

تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر الشيبوي

(٥٨٤٩ - ٥٩١١هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد المحلي

(٥٧٩١ - ٥٨٦٤هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

مراجعة وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراوي

شيخ مؤسس القارئ المصرية ورئيس لجنة المصنف بالأزهر الشريف

ملاذ الوتر للنشر

رفع

عبد الرحمن الجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تفسير الجليلين
ومعه حاشية هداية الموحدين

حقوق الطبع محافظة

طبعة عام

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



مركز الوطن للدراسات والبحوث

المملكة العربية السعودية - الرياض

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

الموقع الإلكتروني: www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني: pop@madaralwatan.com

البريد الإلكتروني: madaralwatan@hotmail.com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٨/٢٢٤٧٧

رفع

سبحان الرحمن الرحيم
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

تفسير جلال الدين ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
(٥٨٤٩ - ٩١١ هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد الحلي
(٥٧٩١ - ٨٦٤ هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

راجعه وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة الصحف بالأزهر الشريف



دار النشر
المصرية
بلاط الشهداء



تقرير فضيلة الشيخ الدكتور / احمد عيسى المعصراوي

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فِيمَا لِنُذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢]

أما بعد: فإن للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة العربية، بل هو المنبع الصافي الذي ينهلون منه فلسفتهم الروحية والخلقية، وكما جعل المولى ﷺ النبوّة نبينا ﷺ مختمة، وجعل شرائع غير المسلمين بشرية الإسلام من وجه منتسخة، ومن وجه آخر مكملة ومتممة، حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فقد جعل المولى ﷺ كتابه المنزل على نبيه ﷺ متضمنا ثمره كتبه التي أولاها أوائل الأمم؛ فقال سبحانه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿١﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة: ٢-٣].

وجعل معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم، فهو متضمن للمعنى الجم، وأنه لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه، فهو كما قال الشاعر:

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتَهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنِكَ نُورًا ثاقِبًا
 كَالشَّمْسِ فِي كَبْدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا يَعْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَعَارِبًا

ومع ذلك فإن محاسن أنواره لا تدرکها إلا البصائر الجليلة، وأطاب ثمره لا تقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفافه لا تنالها إلا النفوس النقية، فهو كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]

ولذلك يعد علم التفسير هو من أجل العلوم التي توضح ما في القرآن من معنى ومبنى، وعلم التفسير في غنى أن يشاد بجلالته، وشدة اعتناء الأمة به، فإنه يستحق ذلك وأكثر، لجلالة ما يضاف إليه في هذا المحل، ويعد من أجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى هو تعلم كتابه وتعليمه الناس ذلك حيث قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمَ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١)، فالخيرية تنأت بتعلم القرآن وتعليمه مع العمل به، ولذلك كانت معرفة تفسير آيات القرآن من أجل المعارف.

وبين أيدينا تفسير من تفاسير القرآن التي اشتهرت بين أهل العلم؛ ألا وهو تفسير الجلالين الذي كان ولا يزال موضع اهتمام العلماء وحفاوتهم، وذلك لسهولة تعبيره ودقة عرضه، والتي عبر عنها الإمام السيوطي بقوله: (وهو ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتبنيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، عن عثمان بن عفان حديث رقم (٥٠٢٧).

التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعريب محلها كتب العربية).

فالكتاب على ذلك موجز اقتصر فيه على ما هو ضروري لفهم النص إجمالاً مع بعض الاستطرادات في العربية أو القراءات، ومن ثم رآه العلماء في حاجة إلى تلك الحواشي لشرحه وتوضيحه.

وقد بلغ هذا التفسير من الإيجاز حدًا دفع بعض علماء اليمن إلى أن يعد حروفه، فوجدها مساوية لحروف القرآن إلى سورة المزمل، ولقد عبر الداوودي عن أهمية هذا التفسير بقوله عن الجلال المحلي: (وأجلّ كتبه التي لم تكمل: تفسير القرآن العظيم، كتب من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن)^(١). ويؤكد الإمام السيوطي هذا الكلام بقوله في مفتتح تأليفه للجزء الباقي، حيث قال: (هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رحمته الله وتتميم ما فاتته، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء بتتمة على نمطه).

ولقد طبع هذا التفسير طبعات كثيرة على مر العصور، ومن هذه الطبعات الطبعة التي بين أيدينا، والتي بذل فيها محققها فضيلة الشيخ هشام برغش، جهدًا كبيرًا استطاع أن يُخرج إلينا نسخة محققة وموثقة تساعد القارئ على فهم النصوص وتوثيقها من مصادرها الأساسية، وتخريج جميع الأحاديث، مما يعطي للقارئ الثقة فيما بين يديه، إضافة إلى تلافيتها للأخطاء الواقعة في الطبعات السابقة إن شاء الله.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يكون في ميزان حسنات كل من قام به، وأن يسخرنا لخدمة كتابه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف
وأستاذ الحديث وعلمه بجامعة الأزهر

رَفَعُ

عبد الرحمن العجمي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رَفَعَ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أحمدته سبحانه حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن هذا التفسير «تفسير الجلالين» من أوجز التفاسير وأدقها عبارة، وأكثرها انتشارًا؛ لما تميز به من سهولة العبارة ودقتها، مع الاهتمام بأرجح الأقوال، والبعث - في الجملة - عن الأقوال الشاذة.

إضافة إلى ما يحويه التفسير من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ووجوه القراءات المشهورة والإعراب، وشرح الغريب، مع إشارات مفيدة إلى آيات الأحكام؛ حتى بات هذا التفسير خلاصة من خلاصات العلوم.

ولا عجب أن يقول عنه صاحب «كشف الظنون»: «وهو - مع كونه صغير الحجم - كبير المعنى؛ لأنه لبُّ لباب التفاسير».

ولا يدرك قيمته ويعرف منزلته إلا من طالع ودرس كتب التفسير بمدارسها المختلفة، وإلا العلماء الأفذاذ وطلبة العلم النابهون.

ولذا كان هذا التفسير موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشروح كثيرة.

وقد انتشر هذا التفسير انتشارًا واسعًا، ومما ساعد على ذلك طباعته على هوامش المصحف الشريف.

غير أن هذا التفسير رغم مكانته هذه لم يخل من مؤاخذات، ولم يحظ بما يستحقه من عناية كافية وتنبه على ما فيه من مؤاخذات وأخطاء، وأهم هذه المؤاخذات على تفسير الجلالين هي:

١- الوقوع في تأويل الصفات.

٢- اشتماله على بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وروايات لا أصل لها.

٣- وجود بعض الإسرائيليات.

٤- بعض الاختيارات المرجوحة في تفسير بعض الآيات.

وقد تتبع العلماء والمفسرون جملة من هذه الأخطاء وقاموا بالتنبيه عليها، ومنهم القاضي محمد كنعان في طبعة المكتب الإسلامي ببيروت (قرة العينين على تفسير الجلالين)، إلا أن الكتاب لم يستوعب جملة من الأخطاء التي وقع فيها مفسرا الجلالين، إضافة إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها القاضي كنعان نفسه في التعليق، كما ذكر الشيخ محمد جميل زينو في

كتابه: «تنبيهات مهمة على قرّة العينين وتفسير الجلالين». وكذا هناك تعليقات وتعقيبات نفيسة للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس في رسالة صغيرة بعنوان «أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين». كما قام الشيخ صفى الرحمن المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ بالتعليق على التفسير المذكور في طبعة لدار السلام تعقب فيها الجلالين في تأويلهما لبعض الصفات... إلا أنه لم يستوعب ما وقع في الجلالين من تأويل.

وقد شرح الله صدري لاقتراح أحد الفضلاء - جزاه الله خيرًا - عليّ؛ أن أضع تعليقًا مختصرًا على ما وقع في هذا التفسير من تأويل لآيات الصفات؛ أئين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم، فانشرح صدري لذلك، فاشتغلت به على عجزى آملًا أن أنضم لهذه الكوكبة من أهل العلم والفضل، في بيان ما وقع فيه صاحب التفسير من تأويل لآيات الصفات، وعرض مذهب السلف الصالح فيها، مع التحذير مما وقع فيه من إسرائيليات وأقوال مردودة، مع كشف لبعض غوامض هذا التفسير وعباراته المبهمة، مع ضبط النص ومقابلته على أكثر من نسخة مطبوعة.

ومن هذه الطبعات:

- ١- طبعة دار إحياء الكتب العربية، الباني الحلبي مع حاشية الصاوي.
 - ٢- طبعة المكتبة التجارية مع حاشية الجمل.
 - ٣- طبعة دار المعرفة - بيروت ١٤١٦هـ.
 - ٤- طبعة دار البشائر الإسلامية - دمشق ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
 - ٥- طبعة دار السلام - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
 - ٦- طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، المسمى (قرّة العينين على تفسير الجلالين) للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- وقد جعلت طبعة دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي هي الأصل المعتمد لدقتها وقلة أخطائها، وإذا حدث اختلاف في النسخ أعتمد الأقرب منها الأوفق للسياق والمعنى، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

التعريف بالتفسير والمفسرين

أما التفسير:

فلم يضع الجلالان رحمهما الله تعالى لهذا التفسير اسمًا، بل عُرف بين العلماء بـ«تفسير الجلالين» وبـ«الجلالين» - اختصارًا - نسبة إليهما، وسماه بعضهم: «كتاب الجلالين في تفسير القرآن العظيم».

وقد اعتمد الجلالان في تفسيرهما هذا على عدد من التفاسير، أشار إليها الجلال السيوطي رحمته الله في كتابه: «بغية الوعاة في تراجم اللغويين والنحاة» عند ترجمته للإمام موفق الدين: «أحمد بن يوسف الكواشي» الموصلي المفسر، المتوفى عام ستين وثمانمائة (٨٦٠هـ، الموافق ١٤٥٥م) حيث قال:

«وله التفسير الكبير والصغير، جود فيه الإعراب وحرر أنواع الوقوف^(١)، وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس، قلت^(٢): وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره، واعتمدت عليه أنا في تكملته مع الوجيز^(٣)، وتفسير البيضاوي، وابن كثير».

ولم يكتب الجلال المحلي مقدمة ولا خاتمة للقسم الذي فسره، أما الجلال السيوطي فقد كتب مقدمة مختصرة في أول سورة «البقرة»، وكتب خاتمة للقسم الذي فسره، في آخر تفسير سورة «الإسراء».

وأما المفسران:

فقد ألف هذا التفسير عالمان جليلان؛ لقب كل منهما: «جلال الدين»، وهما:

الأول هو: أبو عبد الله: «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي»، نسبة إلى «الحلّة الكبرى» - مدينة في مصر - المتوفى عام أربعة وستين وثمانمائة (٨٦٤هـ، الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فسّر: «فاتحة الكتاب» ومن أول سورة «الكهف» حتى آخر سورة «الناس».

والثاني هو: أبو الفضل: «عبد الرحمن بن كمال الدين - أبي بكر - الأسيوطي، أو: الشُّيوطي» - نسبة إلى «أسيوط أو شُيوط» بضم الهمزة والسين - على خلاف بين العلماء -

(١) قوله: «وحرر أنواع الوقوف» أي: بيّن مواضع الوقف في القرآن الكريم وأنواعها؛ كالوقف التام والحسن والقيح... إلخ.

(٢) قوله: «قلت» أي: الجلال السيوطي رحمته الله.

(٣) قوله: «مع الوجيز»: هو تفسير مختصر للشيخ أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى عام

إحدى مدن الجنوب في مصر، وتعرف الآن بـ«أسيوط» بفتح الهمزة، المتوفى عام أحد عشر وتسعمائة (٩١١هـ، الموافق ١٥٠٥م).

وهو الذي فسّر التتمة، أي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «الإسراء»، - وقد وهّم صاحب «كشف الظنون» في نسبة هذا القسم إلى الجلال المحليّ.. وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقلّ منها بشهور، وكان ذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين.

مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به:

لما كان كتاب الجلالين من أجلّ كتب التفسير، فقد أجمع على الاعتناء به جمّ غفير من أهل البصائر والتنوير، وتوجهت همهم لخدمته، فكان موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشروح كثيرة؛ توضح مجمله، وتزيل غامضه، وتبين دقائقه، ومن أهمها:

١- حاشية للشيخ محمد بن عبدالرحمن العلقمي، المتوفى (٩٦٩هـ) سماها: «قَبَسُ النَّبِيِّينَ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ» فرغ من تأليفها عام (٩٥٢هـ). ولا تزال مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢- حاشية للشيخ محمد بن محمد الكرخي المتوفى، عام (١٠٠٦هـ) سماها: «مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ الْبَدْرَيْنِ عَلَى الْجَلَالِينَ» في أربعة مجلدات، وله حاشية أخرى صغرى عليه في مجلدين. (غير مطبوعتين).

٣- حاشية للشيخ الحافظ الملا علي بن محمد القاري، المتوفى عام (١٠١٠هـ) سماها: «حاشية الجمالين على الجلالين» فرغ من تأليفها عام (١٠٠٤هـ) طُبِعَ جزءٌ منها.

٤- حاشية للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بـ«الجمال»، المتوفى عام (١٢٠٤هـ) سماها: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» وهي في أربعة مجلدات، مطبوعة معروفة.

٥- حاشية لتلميذ الشيخ الجمال معروفة بـ«حاشية الصاوي على الجلالين»، ألّفها الشيخ: أحمد ابن محمد الخلوّتي الصاوي، نسبة إلى بلدة «صاء الحجر» في إقليم الغربية بمصر، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

وهاتان الحاشيتان هما المشهورتان، المتداولتان من شروح «تفسير الجلالين».

٦- حاشية للشيخ سلام الله الدهلوي سماها: «حاشية الكمالين على الجلالين» طبعت عام (١٢٨١هـ).

٧- حاشية للشيخ محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري، المتوفى عام (١٢٦٨هـ) في ثلاثة مجلدات - مخطوطة..

٨- حاشية للشيخ سعد الله بن غلام القندهاري، سماها: «كشف المحجوبين عن خَدَي تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ» أو: «على تفسير الجلالين».

- ٩- حاشية للشيخ مصطفى الدومي، المعروف بالدوماني، ثم الصالحاني، المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، في مجلدين سماها: «ضوء النيرين لفهم تفسير الجلالين».
- ١٠- حاشية للشيخ علي بن محمد عفيف الدين العقيلي الأنصاري الشافعي محدث الديار اليمنية، المتوفى عام (١١٠١هـ).
- ١١- شرح على الجلالين للشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي، المتوفى عام (١١٢١هـ).
- ١٢- حاشية للشيخ عطية الله بن عطية البرهاني الأجهوري، المتوفى عام (١١٩٠هـ)، وسماها: «كتاب الكوكبين النيرين في حل ألفاظ الجلالين».
- ١٣- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد التطواني الحائك، المتوفى عام (١٢٣٧هـ).
- ١٤- حاشية للشيخ عبد الله بن محمد النيراوي المصري، المتوفى عام (١٢٧٥هـ)، سماها: «قرة العين ونزهة الفؤاد» في أربعة مجلدات لا تزال بخطه محفوظة في المكتبة الأزهرية.
- ١٥- حاشية للشيخ أحمد بن عبد الكريم الترماني - نسبة إلى «ترمانين» إحدى قرى حلب - المتوفى عام (١٢٩٣هـ).
- ١٦- حاشية للشيخ محمد بن عبد الله الحسيني الزواك الحديدي الزيدي، المتوفى عام (١٣١١هـ).
- ١٧- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي، المتوفى عام (١٠٣٦هـ).
- ١٨- «مَسْرَّة العيين على تفسير الجلالين» للشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي، المتوفى عام (١٣٠٥هـ)^(١).
- ١٩- «قَرَّة العيين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- ٢٠- هذا المختصر الذي سميته: «حاشية هداية الموحدين على تفسير الجلالين»،

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

منهج العمل في الكتاب

- ١- قمت بضبط النص وتصحيحه ومقابلته على النسخ المطبوعة المعتمدة، وجعلت طبعة «دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي» هي الأصل المعتمد؛ لدقتها وقلة أخطائها، وعدم وجود سقط بها، ثم نسخة القاضي كنعان؛ «قرة العينين على تفسير الجلالين»، ثم نسخة الشيخ صفى الرحمن، وعند وجود اختلاف جوهرى، أو سقط، أعتد ما جاء في نسخة حاشية الصاوي إلا ما ظهر لي خطؤه، وهو نادر جدًا - مع الإشارة إلى الاختلاف أو السقط في نسخة القاضي خاصة، ووجه ذلك.
- ٢- تتبعت ما وقع في الجلالين من تأويل لآيات الصفات، وبينت وجه مخالفتها لعقيدة السلف، وبينت عقيدة أهل السنة في تفسير هذه الآيات، في كل موضع وقفت فيه على شيء من ذلك، ولم أكتف بتناول بعضها والإحالة عليه.
- وكان هذا الأمر هو مقصود الكتاب الأول عند بدء العمل فيه، وقد استفدت في هذا الباب بما كتبه المفسرون الذين اعتمدوا طريقة السلف ونصروا عقيدة أهل السنة والجماعة؛ كابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وابن سعدى.
- كما استفدت كثيرًا بما كتبه بعض المتأخرين من أهل العلم ممن عرف بسلامة اعتقاده، ونصرته لعقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؛ ممن تعقب بعض ما في الجلالين من تأويل، ومن ذلك:
 - أ- «أنوار الهالين في التعقبات على الجلالين» للدكتور محمد بن عبدالرحمن آل خميس.
 - ب - «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين» للشيخ محمد بن جميل زينو.
 - ج - تعليقات الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ؛ من سورة غافر إلى سورة الناس.
 - د - «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي.إضافة إلى بعض الكتب والرسائل المتفرقة في هذا الباب؛ كالعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشروحاتها.
- ٣ - بينت ما وقع في الجلالين من إسرائيليات؛ مما لا يجوز نسبته إلى أنبياء الله الكرام أو الملائكة، وذكرت أقوال السلف وكلام أهل التفسير في كل ذلك.
- ٤ - قمت بضبط وشكل الكلمات التي قد يُشكل على القارئ فهمها أو نطقها النطق الصحيح.
- ٥ - كما اجتهدت في وضع علامات الترقيم بما يحقق توضيح المعنى وفهم العبارة، وإزالة ما قد يعترها من لبس أو غموض.

- ٦- كما بينت ما وقع في الجلالين من عبارات غامضة أو كلمات مشككة. وقد جعلت الآيات التي يتناولها المفسران بالتفسير بلون مغاير لغيرها من الآيات التي يذكرها المفسران في ثنايا الشرح؛ للتسهيل على القارئ في الوصول إلى الآيات موضع الشرح، وحتى لا تلتبس عليه بغيرها من الآيات؛ حيث إنني اعتمدت رسم المصحف في الآيات كلها، وليس فيما يفسره المفسران أصالة في كل سورة.
- ٧- بينت أوجه القراءات المختلفة التي تعرض لها المفسران، وعزوتها لأصحابها، مع بيان السببي منها من الشاذ. وذلك بالرجوع إلى كتب هذا الفن ومتخصصيه.
- ٨- تعقب ما اعتمده المفسران من أقوال مرجوحة، وذكرت قول جماهير المفسرين في هذه المواضع، وما اختاره محققوهم كالطبري وابن كثير.
- ٩- قمت بعزو الآيات التي وردت في أثناء التفسير، كما قمت بتخريج الأحاديث تخريجًا مختصرًا، مع بيان درجتها من الصحة والضعف. إذا كانت في غير الصحيحين أو أحدهما؛ بالرجوع إلى علماء هذا الفن، وكان جلُّ اعتمادي على كلام الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وما لم أقف له فيه على قول؛ فكنت أرجع فيه لكلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ أو الشيخ الأرنؤوط رَحِمَهُ اللهُ. وإلا فكنت أرجع إلى كلام المتقدمين في ذلك كالهيشمي وابن حجر وغيرهما.
- ١٠- أثبت في الحاشية الأولى ما جاء من صحيح أسباب النزول، مكتفياً بما جاء في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- واقصرت فيه على الصحيح فقط؛ معتمداً في ذلك على ما صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في كتبه، وأما ما لم أقف فيه على كلام الشيخ الألباني كما في مسند الإمام أحمد - غالباً.. فقد رجعت فيه إلى كلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في الجزء الذي أتمه من المسند، وكذا رجعت لتعليقات الشيخ شعيب الأرنؤوط رَحِمَهُ اللهُ في المسند. واكتفيت في أسباب النزول - في هذه الحاشية - بما صح في هذه الكتب فقط.
- وأما ما جاء في أسباب النزول - مما تعرض له المفسران - مما لم يصح في هذه الكتب الستة ومسند الإمام أحمد فقد جعلته في الحاشية الثانية.
- وكذلك ما ذكره المفسران في أسباب النزول في غير الكتب الستة ومسند أحمد - سواء أكانت صحيحة أم لا - فقد علق عليها بالعزو والتصحيح أو التضعيف، في الحاشية الثانية. جعلت في هذه الحاشية بعض الفوائد المتعلقة ببعض السور أو الآيات من خلال الأحاديث الصحيحة في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- ١١- اعتمدت مصحف المدينة لانتشاره ولجمال خطّه، واجتهدت قدر الإمكان أن أجعل التفسير وحواشيه متوافقة مع صفحات المصحف الشريف، إلا في مواضع قليلة اضطرت

إليها لضيق المجال المتاح.

١٢- حيث إن «الجلالين» لم يتقيدا في تفسيرهما بقراءة أو رواية واحدة، ولم يلتزما بتقديم قراءة بعينها، مع ارتباط تفسيرهما بالقراءة أو الرواية التي اعتمداها؛ فقد تعذر اعتماد رواية بعينها مثل حفص عن عاصم، أو ورش أو غيرهما؛ ومن ثم فقد اعتمدت ما اعتمدها من قراءات أو روايات، وما خالف قراءة حفص جعلته بين معقوفين؛ هكذا [] .

وقد استغرق العمل في هذا الكتاب المبارك قرابة عشر سنوات كاملة، حرصت خلالها على عرضه على كثير من أهل العلم ممن لهم عناية خاصة بالتفسير والقرآن وعلومه، واستفدت من توجيهاتهم ونصائحهم، وقد حاز الكتاب والحمد لله إعجابهم وحظي بثنائهم، وشجعوا على إتمامه وإخراجه، حتى يسر الله وَجَلَّ إخراجه على هذه الصورة الطيبة، فله سبحانه الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وأسأل الله وَجَلَّ أن يتقبل مني هذا العمل بأحسن قبول؛ فهو سبحانه أكرم مسئول، وأرجى مأمول، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لعباده الموحدين.

اللهم أنس به في القبر وحشتي، وفرّج به يوم القيامة كربتي، ويمّن به يوم النشور صحيفتي، وثبت به على الصراط محجتي...

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

الإسكندرية

ليلة الجمعة / غرة جمادي الأولى ١٤٢٨ هـ

dr_hesham_barghash@hotmail.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تفسير الجلالين ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
(٥٨٤٩-٥٩١١هـ)

جلال الدين
محمد بن أحمد بن محمد المحلي
(٥٧٩١-٥٨٦٤هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن هشير محمد سعيد بن عشرين

راجعته وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقاريء المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[مَكِّيَّةٌ، سَنَّعَ آيَاتِهَا بِالسَّمَلَةِ إِنْ كَانَتْ مِنْهَا، وَالسَّابِعَةَ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا؛ فَالسَّابِعَةَ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَيَقْدَرُ فِي أَوْلَاهَا: «قُولُوا»؛ لِيَكُونَ مَا قَبْلَ «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» مَنَاسِبًا لَهُ بِكُونِهَا مِنْ مَقُولِ الْعِبَادِ] (١) (٢) (٣)

[١] يَسْمُوهُ اللَّهُ الرَّجِيمَ

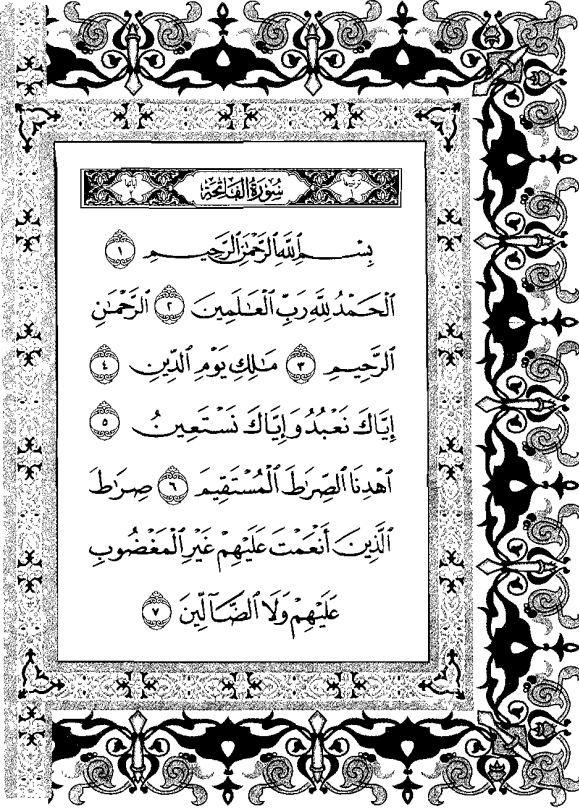
[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية فُصِّدَ بها الثناء على الله بضمونها على أنه - تعالى -: مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، أو مستحقٌّ لأن يحمدوه، (والله) عَلَّمَ على المعبود بِحَقِّ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مالكٌ جميع الخلق؛ من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يُطَلَّقُ عليه عالم؛ يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وغُلِبَ في جمعه بالياء والنون أولي (٣) العلم على غيرهم، وهو (٤) من العلامة؛ لأنه علامة على موجدِه.

[٣] ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ أي: ذي الرحمة؛ وهي: إرادة الخير لأهله (٤). [٤] ﴿مَلِكٌ﴾ (٥) يَوْمِ الدِّينِ أي: الجزاء؛ وهو: يوم القيامة، وَخُصَّ بالذكر؛ لأنه لا ملك ظاهرًا فيه لأحد إلا لله - تعالى -: ؛ دليل ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٦)، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿مَلِكٌ﴾ فَمَتَعَا: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أو هو موصوفٌ بذلك دائماً؛ كـ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ (٧)؛ فَضَخَّ وَقَوَّعَهُ صَفَةً لِعَرَفَةٍ.

[٥] «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أي: نخصك بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

[٦] «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أي: أرشدنا إليه، وَيُجَدَّلُ مِنْهُ (٨):

[٧] «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» بالهداية، وَيُجَدَّلُ مِنْ «الَّذِينَ» بِصَلَاتِهِ (٩): «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» وهم: اليهود ﴿وَلَا﴾ وغير ﴿الضَّالِّينَ﴾ (١٠) وهم: النصارى. ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا دائماً أبداً، وحسبنا الله



ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أتوتيهما لم يؤتيهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤٣) فضل فاتحة وخواتيم سورة البقرة، وأخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله ﷻ في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني». النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٢٦)، وأخرجه الترمذي مطولاً، وفيه: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثله». كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٣٠٧).

(١) في الأصل - من حيث وضع نسخ الجلال (أي السيوطي) - أورد تفسير سورة الفاتحة بعد سورة الناس؛ حيث إن الخليلي هو الذي فسرها بعد سورة الناس؛ فجعلها السيوطي خاتمة وآخر التفسير؛ ليكون تفسير الخليلي منضماً بعضه إلى بعض.

(٢) في بعض النسخ: «أولوه» على تقدير نائب فاعل لدغلب.

(٣) أي: العالم.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب أَهْلِ الْوَأْتِزَةِ من أشعرية ومعتزلة وغيرهما، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما ثبت بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شَيْخَانَهُ - ومن لوازمها إرادة الخير والإحسان والإنعام لمن يرحمه. (٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحجرة، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿مَلِكٌ﴾ (٦) غافر: ١٦. (٧) غافر: ٣.

(٨) أي: بدل كل من كل، وهو قوله بعدها: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»، وفائدته التوكيد والتخصيص على أن صراط المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على أكيد وجه وأبلغه.

(٩) أي: إن ﴿غَيْرِ﴾ بدل من «الَّذِينَ»، وقيل: هي نعت للذنين.

(١٠) قَائِدَةٌ: أي: فاتحة قوله - تعالى -: «وَلَا الضَّالِّينَ»، وأما لفظ «أمين» فليس منها ولا من القرآن مطلقاً؛ بل هو شئ، وهو اسمٌ فِعْلِيٌّ بمعنى: «اللهم استجب».

بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمنه وكرمه.

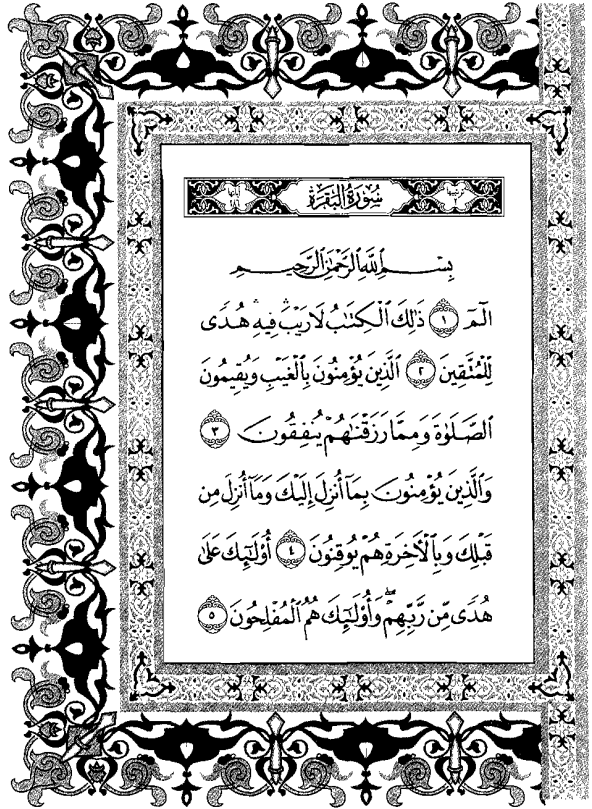
[١] ﴿الْعَرَبُ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خير مبتدؤه ﴿ذَلِكَ﴾، والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خير ثانٍ؛ أي: هادٍ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُقِفُّونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون^(١).

[٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة الناجون من النار.



سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[مدنية، مائتان وست أو: سبع وثمانون آية]*

مقدمة السيوطي رَحِمَهُ اللهُ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الحمد لله حمدًا موافقًا لنعمه مكافئًا لمزيد، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وجنوده. هذا ما اشتملت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء. بتتمة على نخط من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يوسف بن ماهر قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعلي أؤلف القرآن عليه؛ فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيُّ قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا نشرهوا الحمر لقالوا: لا ندع الحمر أبدًا، ولو نزل لا نزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿يَكِلُ الْكَافَّةَ مُؤْتَمَرًا مَمْنًى﴾، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور. البخاري كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (٦) تأليف القرآن.

(١) من هنا إلى آخر سورة الإسراء من وضع السيوطي، وكان المحلي قد بدأ في تفسير البقرة، وبعد أن مضى في تفسير آيات بسيرة نوفاه الله، وليس لدينا علم عن كم ما فسره المحلي من آيات. (٢) أي: علنا قطعًا لا شك فيه.

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(١)، ﴿أَمْ لَمْ نُؤْمِرْكُمْ لَا بُرْهَانَ﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار إعلام مع تخويف.

[٧] ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها واستوثق؛ فلا يدخلها خير ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي: مواضعه؛ فلا ينفعون بما يسمعون من الحق ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ﴾ غطاء؛ فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قوي دائم.

[٨] ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ زوعج في معنى ﴿مَنْ﴾، وفي ضمير ﴿يَقُولُ﴾ لفظها.

[٩] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية، ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾^(٢) ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وتآل خداعهم راجع إليهم؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيّه على ما أبطنوه، ويُتقون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد؛ كـ«عاقبت اللص»، وذكر الله فيها تحسين^(٣)، وفي قراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق، فهو يمرض قلوبهم أي: يضعفها ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بالتشديد أي: نبي الله، وبالتخفيف أي: قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾^(٤).

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوا إِنَّمَا كُنَّ مَضْضُونًا﴾ وليس ما نحن فيه بفساد. قال الله - تعالى - ردًا عليهم: [١٢] ﴿أَلَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ولكن لا يشعرون؛ بذلك.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ عَابُوا كَمَا عَابَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ، ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ آبَاؤُنَا﴾ الجهاد؛ أي: لا نفع لك فعلهم. قال - تعالى - ردًا عليهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهُونَ﴾ ولكن لا يعلمون؛ ذلك.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أصله «القبوا»؛ حذف الضمة؛ للاستتقال ثم الباء؛ لالتفائها ساكنة مع الواو ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا كُنَّ مَسْتَهْزِئِينَ﴾ بهم بإظهار الإيمان.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا كُنَّ مَضْضُونًا ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ عَابُوا كَمَا عَابَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ آبَاؤُنَا أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا كُنَّ مَسْتَهْزِئِينَ ﴿١٤﴾ أَلَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّمَا كُنَّ مَضْضُونًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا كُنَّ مَسْتَهْزِئِينَ ﴿١٦﴾

[١٥] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم باستهزائهم^(٥)، ﴿وَيَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ في طغيانهم؛ بتجاوزهم الحد في الكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيرًا، حال^(٦).

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْرَبُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾ أي: استبدلوا به ﴿فَمَا رَاحَتْ يَجْزُرُهُمْ﴾ أي: ما ربحوا فيها؛ بل خسروا لمصرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وقالوا وهشام ورش يسهّل الهمزة الثانية، لكن الأكرهون عن ورش إبدالها ألفًا خالصة والمد قدر ألف، فإذا كان بعدها ساكن مد للساكنين. وفصل أبو عمرو وقالوا وهشام من طريق الحلواني بين الهمزتين بالألف. وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعين في كلمة، إلا ما يأتي النص على خلافه ويانه إن شاء الله. وأجمعوا على عدم الفصل في قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ نَشْكُرْكُمْ﴾ وسهل همزتها الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾. (٣) أي: للكلام، وكأنه إجابة سؤال تقديره: كيف يُخَادِعُ الله؟ أي: يخاتل عليه وهو يعلم الضمائر؟! فيجيب عنه بما ذكر.

(٤) والتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والتخفيف قراءة الباقين. (٥) وهذا تأويل، والصواب في هذا ونحوه إثباته على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير أن يشق له اسم أو صفة؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع ولا مستهزئ. تعالى الله عن ذلك. قال ابن القيم: «وقد قيل: إن تسمية ذلك مكراً وكيداً واستهزاءً وخذاعاً من باب الاستعارة ومجاز المقابلة... وقيل - وهو أصوب -: بل تسمية ذلك حقيقة على بابه...» [إعلام الموقعين (٣/ ٢١٣، ٢١٨)]. ومن ذلك ما أخبر - شيخنا - أنه يفعله بالمنافقين في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ فُرْقَانِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا ذُنُوبَكُمْ فَمَنْ يَسْتَعِينُ يَسْتَعِينُ إِنَّهُ كَانَ بِآيَاتِكُمْ فِيهِ كَرِهَةٌ وَظَلَهُمْ مِنْ قَبْلِ الْعَذَابِ﴾ [الحديد: ١٣]، وهذا عدل منه - شيخنا -، وحكمة، واتصاف.

(٦) أي: إن جملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في محل نصب على الحال، إما من الضمير في ﴿وَيَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أو من الضمير في ﴿طُغْيَانِهِمْ﴾.

السحاب^(٤) ﴿طَلْمَتْ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعَدٌ﴾ هو الملك الموكل به، وقيل: صوته ﴿رَبِّقٌ﴾ لمعان سوطيه الذي يجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحاب الصيب ﴿أَصْبِعْتُمْ﴾ أي: أناملهم ﴿فِي مَآذِنِهِمْ مِنْ﴾ أجل ﴿الْفَوْصِقِ﴾ شدة صوت الرعد؛ لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿الْمَوْتِ﴾ من سماعها؛ كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن، وفيه ذِكْرُ الكفر المشبه بالظلمات، والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم؛ لئلا يسمعوها فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ علما وقدره؛ فلا يفوتونه.

[٢٠] ﴿يَكَادُ﴾ يقر بـ ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كَلَّمَ﴾ أَصْنَاءَهُمْ لَمْ مَمْنُونًا فِيهِ﴾ أي: في ضوئه ﴿وَإِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفوا، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقفهم عما يكرهون. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ومنه إذهاب ما ذُكِرَ.

[٢١] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَعْبُدُوا﴾ وحلوا ﴿رَبِّكُمْ﴾ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئا ﴿وَوَجَدَ خَلْقَ﴾ الَّذِي مِنْ قَبْلِكُمْ لَمْ تَتَّقُوا﴾ بعبادته عبادة، ولعل: في الأصل للترجي، وفي كلامه - تعالى - للتحقيق. [٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ خَلَقَ ﴿لَكُمْ الْأَرْضَ رِشَاءً﴾ حال^(٥)، بساطا يُفْتَرَشُ، لا غاية في الصلاة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفا ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ فَمَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾

[٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أي: المنزل، و(من) للبيان؛ أي: هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. والسورة قطعة لها أول وآخر، ألقها ثلاث آيات^(٦)، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ ألهمكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من غيره لتعينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمداً قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك؛ فإنكم عربيون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال - تعالى - [٢٤] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذُكِرَ لعجزهم ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبداً؛ لظهور إعجازه، اعتراض^(٧)، ﴿فَأْتُوا بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ﴾ وأنه^(٨) ليس من كلام البشر ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها؛ يعني: أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذُكِرَ، لا كئار الدنيا تنقد بالخطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيِّئَتْ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يُعَذَّبُونَ بها، جملة مستأنفة^(٩) أو حال لازمة^(١٠).

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ صَمُّهُمُ بِكُرْهُمُ عَمَّا فَهَمُوا لَا يَرِجُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كَلَّمَ أَصْنَاءَهُمْ لَمْ مَمْنُونًا فِيهِ وَإِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ إِنْ لَمْ يَشَاءِ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسَ النَّاسَ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾ أوقد ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ فأبصر واستندأ وأمن من يخافه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفاله، وجميع الضمير مراعاة المعنى ﴿الَّذِي﴾ ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم، متحررين عن الطريق، خائفين؛ وكذلك هؤلاء أمثوا بإظهار كلمة الإيمان؛ فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب.

[١٨] هم ﴿صَمُّهُمُ﴾ عن الحق فلا يسمعون سماع قبول ﴿بِكُرْهُمُ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه^(١) ﴿عَمُّهُمُ﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه^(٢) ﴿فَهَمُّمْ لَا يَرِجُونَ﴾ عن الضلالة.

[١٩] ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهُمْ ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: كأصحاب مطر، وأصله صيوب من صاب يصوب أي: ينزل ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي:

(٣) أي: رؤية نافعة.

(٢) أي: قولاً مطابقاً للواقع؛ لما سبق أنهم مؤمنون ظاهراً.

(١) وهو جعلها بمعنى: الذين.

(٤) وظاهر النظم، وكلام كثير من المفسرين أن الضمير راجع للصب.

(٥) أي: من الأرض، وهذا بناء على ما جرى عليه من أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: خَلَقَ المتعدي لواحد وهو الأرض، وجرى غيره على أنه بمعنى: «صَبَّرَ»، وأن ﴿وَرَبَّكَ﴾ المفعول الثاني.

(٦) بيان لخالفها من الواقع؛ فإن أقصر سورة ثلاث آيات، وليس من التعريف، ولو فرض أنها آياتان لعجزوا أيضاً.

(٧) أي جملة: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ معترضة بين الشرط وجوابه، ومعنى الاعتراض في الغالب التوكيد.

(٨) أي: وبأنه.

(٩) أي: لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر، تقديره: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن؟

(١٠) أي: والتقدير: فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين، ودفع بقوله: «لازمة» ما قيل: إنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا. «حاشية الصاوي».

[٢٥] ﴿وَيَبْرُءٌ﴾ أُخْبِرَ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ﴾ حدائق ذات أشجار ومساكن ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي: المياه فيها، والنهر الموضع الذي يجري فيه الماء؛ لأن الماء يَنْهَرُهُ أي: يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كَلِمَاتٌ رُفُوعًا﴾ أي: مثل ما ﴿رُفِعْنَا مِنْ﴾ تلك الجنات ﴿بِئْسَ مَا كُنَّا فِيهَا﴾ أي: قبله في الجنة^(١)؛ لنشابه ثمارها، بقرينة ﴿وَأَنْوَأُ بِهِ﴾ أي: جيئوا بالرزق ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ يشبه بعضه بعضاً لوئنا ويختلف طعماً ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ ﴿أَزْوَاجٌ﴾ من الحور وغيرها^(٢) ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قَدْرٌ^(٣) ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ ﴿يَخْلُدُونَ﴾ ما يكون أبداً، لا يفنون^(٤)، ولا يخرجون. وتَزَلُّ^(٥) رذاً لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَكْبِرُوا﴾ ﴿لَتَكُونَنَّ﴾ ﴿سَيْئَاتٍ﴾^(٦)، والعنكبوت في قوله: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾^(٧): ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ فأنزل الله: [٢٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾^(٨) أن يضرب به، يجعل ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿مَا﴾ نكرة موصوفة بما بعدها، مفعول ثانٍ؛ أي: أيُّ مثل كان، أو زائدة لتأكيد الخسيسة^(٩)، فما بعدها المفعول الثاني ﴿بِعُوضَةٍ﴾ مفرد البعوض؛ وهو صغار البق ﴿فَمَا قَوْهَا﴾ أي: أكبر منها؛ أي: لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿فَيَقُولُونَ﴾ ﴿أَنَّهُ﴾ أي: المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿بَيْنَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿فَيَقُولُونَ﴾ ﴿مَاذَا ءَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾^(١٠)؛ أي: بهذا المثل، وما استفهام إنكار مبتدأ، وذا بمعنى الذي يصلته خبره؛ أي: أي فائدة فيه؟ قال - تعالى - في جوابهم: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِ﴾ كثيرًا من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ﴾ إلا ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته.

[٢٧] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنْ بَدَلٍ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقُولُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ﴾ أن يؤصل من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، ﴿وَأَنْ﴾ بدل من ضمير ﴿به﴾ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. [٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِاللَّهِ وَرَبِّكُمْ﴾ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ نطقاً في الأصلاب ﴿فَأَنذِرْكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ﴿فَإِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يَحْيِيكُم﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَلِمَاتٌ رُفُوعًا لَمْ نَرَفُوعًا مِنْ شَمْرِ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْوَأُ بِهِ مُتَّكِنِينَ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا يَخْلُدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوْهَا قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا ءَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَدَلٍ مِثْقَلِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَهْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

تُرْمَعُونَ ﴿٢٩﴾ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلاً على البعث لما أنكروه: [٢٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى﴾ بعد خلق الأرض أي: قَصَدَ^(١) ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه؛ أي: صيرها؛ كما في آية أخرى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ﴾^(٢) ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مجعلاً ومفصلاً، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً. وهو أعظم منكم. قادر على إعادتهم!؟

(١) أشار بذلك إلى رد ما قيل: إن المراد بقوله: ﴿مِنْ بَدَلٍ﴾ في الدنيا، وقوله: ﴿وَأَنْوَأُ بِهِ مُتَّكِنِينَ﴾: أي يشبه ثمر الدنيا في الصورة.

(٢) أي نساء الدنيا، وهن يكن أجمل من الحور العين - كما جاء به الحديث.

(٣) كالفاس والمخاط والنصاق.

(٤) أي: أي لا يمرضون.

(٥) أي: قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوْهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

(٦) الحج: ٧٣.

(٧) العنكبوت: ٤١.

(٨) ومعنى ﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾: أي لا يستكف، وقيل لا يخشى.

(٩) فليست زيادة محضة، وكذا أي زائد في القرآن عند من يقول به. (١٠) أي: من اسم الإشارة تمييز نسبة، وهي نسبة التعجب والإنكار إلى المشار إليه.

(١١) وكذا فسره ابن كثير هنا، فقال: أي قصد إلى السماء، والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي به إلى. - اهـ. وهذا التفسير مخالف لما رواه البخاري في صحيحه؛ حيث نقل عن مجاهد وأبي العالية: معنى ﴿أَسْتَوَى﴾ أي: علا وارتفع، واختاره الطبري. وقال ابن عثيمين: «إن لأهل السنة في تفسيرها قولين: أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء... القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبخوي في تفسير سورة فصلت... وهذا الكلام ليس صرفاً للكلام عن ظاهره؛ وذلك لأن الفعل «استوى» اقترن بحرف يدل على الغاية والاتهاء؛ فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به...» القواعد المثلثة لابن عثيمين ص ٥٧، ٥٨.

(١٢) فصلت: ١٢.

أي: وجهها؛ بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وُجِنَتْ بالمياه المختلفة، وسَوَّاهُ، ونفخ فيه الروح؛ فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً.

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ أي: أسماء السميات ﴿كُلَّمَا﴾ حتى القصعة والقصبعة، والفسوة والفسية والمعرفة^(٨) بأن أتى في قلبه علمها ﴿فَتَمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: السميات، وفيه تغليب العقلاء^(٩) ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ لَهُمْ تَبَكُّوا﴾: أي: أتواوني أخبروني بأسماء هؤلاء السميات، إن كنتم صديقين؛ في أنني لا أخلق أعلم منكم، أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دل عليه ما قبله. [٣٢] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ تأكيد للكاف ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. [٣٣] ﴿قَالَ تَعَالَى﴾ ﴿يَكَادُ يُبَاهِيهِمْ﴾ أي: الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ السميات، فسقى كل شيء باسمه، وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ - تعالى - لهم ﴿مُوبِحًا﴾: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون^(١٠) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

[٣٤] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا تحية بالاحناء^(١١) ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع من السجود ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عنه، وقال: أنا خير منه، ﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ في علم الله. [٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾ تأكيد للضمير المستتر؛ ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء - بالمد -، وكان خلقها من ضلعه الأيسر ﴿الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلاً ﴿رَغَدًا﴾ واسعاً لا حرج فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها؛ وهي: الخبطة أو الكرم أو غيرها^(١٢) ﴿فَكَفَرْنَا﴾ فقصينا ﴿وَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ العاصين. [٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس أذهبهما، وفي قراءة^(١٣): ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ نجاههما ﴿عَنْهَا﴾ أي: الجنة؛ بأن قال لهما: «هل أدلكما على شجرة الخلد، وقاسمهها بالله إنه لهما من الناصحين؛ فأكلتا منها فأخرجهما مما كانا فيهما من النعيم ﴿أَهْبِطُوا﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ ما تمتعون به من نباتها ﴿إِلَى حِينٍ﴾ وقت انقضاء آجالكم. [٣٧] ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ ألهمه إياها، وفي قراءة^(١٤) بنصب «آدم» ورفع «كلمات»؛ أي: جلاء؛ وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾^(١٥) الآية، فدعا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قَبِلَ تَوْبَتَهُ ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عبادته ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

[٣٠] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم^(١) ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يريقها بالقتل؛ كما فعل بئو الجان، وكانوا فيها؛ فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فظردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك، فاللام زائدة^(٢)، والجملة حال^(٣)؛ أي: فنحن أحق بالاستخلاف^(٤) ﴿قَالَ تَعَالَى﴾: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم الطبع والمعاصي؛ فيظهر العدل بينهم، فقالوا^(٥): لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم؛ لسبقنا له^(٦)، ورؤيتنا ما لم يره^(٧)؛ فخلق الله - تعالى - آدم من أدب الأرض؛

(١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل، كما قال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ خَلِيفَةً﴾، وليس المراد هنا بالخليفة آدم الظليل؛ فقط؛ كما يقوله طائفة من المفسرين...؛ إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾. اهـ.

(٢) أي: لتأكيد التخصص، ويحتمل أنها للتلبية والتعليل؛ أي: ننزهك لك، لا طعماً ولا خوفاً؛ وإنما لذاتك فقط. (٣) أي: جملة قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

(٤) ليس المقصود من ذلك الاعتراض على الله، ولا احتقار آدم، وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من الغناء؛ حيث وقعت المشورة من الله لهم.

(٥) أي: سؤالا. (٦) فنحن أكرم.

(٨) سقط من الأصل: «حتى القصعة والقصبعة، والفسوة والفسية والمعرفة». والثبت من نسخة حاشية الصاوي على الجلالين، وفي هذا إشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء؛ شريفة وخسيسة، وحكمتها أيضاً.

(٩) أي: في الضمير في: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ تغليب العقلاء؛ وهم: الجن والإنس والملائكة على غير العقلاء والجمادات؛ حيث لم يقل: «عرضها».

(١٠) وحكى القرطبي عن الجمهور: أن المراد هنا هو السجود بوضع الجباه على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(١١) الأولى ألقائين من غير دليل قاطع. (١٢) الأعراف: ٢٣.

(١٣) لابن كثير. (١٤) لحمزة.

[٣٨] ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كزوره؛ ليعطف عليه ﴿فَإِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ فأمروني بعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ بأن يدخلوا الجنة.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كتبنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ما كانوا أبدًا، لا يفنون ولا يخرجون. [٤٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أولاد يعقوب ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على آباءكم من الإنجاء من فرعون، وفاق البحر، وظليل الغمام، وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَرِئِي قَاهُيُونَ﴾ تخافون في ترك الوفاء به دون غيري. [٤١] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقة له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَاذِبِينَ﴾ من أهل الكتاب؛ لأن خلفكم تبع لكم؛ فاتهمم عليكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ثَمَانًا قِيلًا﴾ عرضًا يسيرًا من الدنيا؛ أي: لا تكتنموا خوف فوات ما تأخذونه من سفليكم^(١) ﴿وَأِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ تخافون في ذلك دون غيري. [٤٢] ﴿وَلَا تَلْسَبُوا﴾ تخطبوا ﴿الْحَقَّ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بِالْبُطْلِ﴾ الذي تفترونه ﴿وَإِذَا تَكَلَّمْتُمُوهَا﴾ نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أنه الحق.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ صلوا مع المسلمين محمد وأصحابه. ونزل في علمائهم - وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد؛ فإنه حقٌّ :: [٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنْهَوْنَ أُنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنْتُمْ تَنْتَهُونَ﴾ التوراة، وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سوء فليلكم فترجعون، فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري.

[٤٥] ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الحس للنفس على ما تكره ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ أفردها بالذكر؛ تعظيمًا لشأنها، وفي الحديث: ﴿كان ﷺ إذا حزبه أمر، بادر إلى الصلاة﴾^(٢). وقيل: الخطاب لليهود لما عاقبهم عن الإيمان الشريعة وحب الرياسة؛ فأمرؤا بالصبر وهو الصوم؛ لأنه يكسر الشهوة، والصلاة؛ لأنها تورث الحشوع وتنفى الكبر ﴿وَرِئِيهَا﴾ أي: الصلاة ﴿لكبيرة﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هُمْ﴾ الساكين إلى الطاعة.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَنْظُرُونَ﴾ يوقنون ﴿أَنْتُمْ مُلْقَاؤِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٣٩) يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَاتَّقُونُ^(٤٠) وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَاذِبِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا آيَاتِي فَإِنَّهُنَّ سِنَانٌ فَلْيَا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ^(٤١) وَلَا تَلْسَبُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَكُنْتُمُوهَا ثَمَانًا قِيلًا وَأِنِّي فَاتَّقُونَ^(٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ^(٤٣) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ أُنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَنْتَهُونَ^(٤٤) وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ^(٤٥) الَّذِينَ يَنْظُرُونَ أَنْتُمْ مُلْقَاؤِ رَبِّهِمْ وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٤٦) يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ^(٤٧) وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ^(٤٨)

رَجِعُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيهم.

[٤٧] ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأِنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم.

[٤٨] ﴿وَأَتَقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْرِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بالناء^(٣) والباء ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فضيل ﴿فَمَا لَنَا مِنَ شَفِيعِينَ﴾^(٤) ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ يُعْتَمَدُونَ من عذاب الله.

(١) أي: عامتكم.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٨)، وأبو داود (١٣١٩)، وهو في صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٣) لابن كثير وأبي عمرو.

(٤) الشعراء: ١٠٠.

ذَلِكُمْ ﴿٥٠﴾ الْعَذَابُ أَوْ الْإِنجَاءُ ﴿٥١﴾ بَلَاءٌ ﴿٥٢﴾ أَوْ إِنْعَامٌ ﴿٥٣﴾ مِمَّنْ رَزَقَكُمْ عَظِيمًا.

[٥٠] ﴿وَذِكْرُوا﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾ فَلَقْنَا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بِسَبَبِكُمْ ﴿الْبَحْرَ﴾ حَتَّى دَخَلْتُمُوهُ هَارِبِينَ مِنْ عُدُوكُمْ ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ مِنَ الْغَرَقِ ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ أَالَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ مَعَهُ ﴿وَأَنشَرْنَا نَظْرُونَ﴾ إِلَى انْتِطَاقِ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ بِالْفِ وَدُونِهَا ﴿٥٢﴾ ﴿مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نَعِيطِهِ - عِنْدَ انْقِضَائِهَا - التَّوْرَةَ؛ لِتَعْمَلُوا بِهَا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ الَّذِي صَاغَهُ لَكُمْ الشَّامِرِيُّ إِلَيْهَا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَي: بَعْدَ ذَهَابِهِ إِلَى مِيعَادِنَا ﴿وَأَنشَرْنَا ظَلِمَاتٍ﴾ بِاتِّخَاذِهِ؛ لِوَضْعِكُمْ الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ مَحْوُنَا ذُنُوبَكُمْ ﴿مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الْاِتِّخَاذِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نَعْمَتَنَا عَلَيْكُمْ.

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عَطْفٌ تَفْسِيرِي؛ أَي: الْفَارِقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بِهِ مِنَ الضَّلَالِ.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لَّكُمْ أَنفُسَكُمْ يَأْتِيَكُمُ الْعِجْلُ﴾ إِلَيْهَا ﴿فَقُولُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ خَالِقِكُمْ مِنْ عِبَادَتِهِ ﴿فَأَقْبَلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أَي: لِيَقْتُلِ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْحَرَمَ ﴿ذَلِكُمْ﴾ الْقَتْلُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ فَوْقَكُمْ لِفِعْلِ ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ عَلَيْكُمْ سَحَابَ سُودَاءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَبْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِرْحَمَهُ؛ حَتَّى قَتَلَ مِنْكُمْ نَحْوَ سَبْعِينَ أَلْفًا ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَكِيلُ الرَّحِيمُ﴾.

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وَقَدْ خَرَجْتُمْ مَعَ مُوسَى؛ لِتَعْتَدُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَسَمِعْتُمْ كَلَامَهُ: ﴿يَأْتِيُوكُمْ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ عِيَانًا ﴿فَأَخَذْنَاكُمْ الصَّلْوَعةَ﴾ الصَّيْحَةَ؛ فَمُتُّمْ ﴿وَأَنشَرْنَا نَظْرُونَ﴾ مَا حَلَّ بِكُمْ.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أَحْيَيْنَاكُمْ ﴿مِمَّنْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نَعْمَتَنَا بِذَلِكَ.

[٥٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ أَلْمَامًا﴾ سَرْتَنَاكُمْ بِالسَّحَابِ الرَّقِيقِ مِنْ حُرِّ الشَّمْسِ فِي النَّيِّهِ ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ فِيهِ ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ هُمَا التَّرْبِيعِيْنِ (٥) وَالطَّيْرَ السَّمَانِيَّ بِتَخْفِيفِ الْمَيْمِ وَالْقَصْرِ، وَقُلْنَا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وَلَا تُدْخِرُوا. فَكَفَرُوا النِّعْمَةَ وَادْخَرُوا؛ فَفَطَعْنَا عَنْهُمْ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بِذَلِكَ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لِأَنَّ رَبَّاهُ عَلَيْهِمْ.

وَإِذْ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِمَّنْ رَزَقَكُمْ عَظِيمًا ﴿٥١﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنشَرْنَا نَظْرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنشَرْنَا ظَلِمَاتٍ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لَّكُمْ أَنفُسَكُمْ يَأْتِيَكُمُ الْعِجْلُ فَتَقُولُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْبَلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ فَأَخَذْنَاكُمُ الصَّلْوَعةَ وَأَنشَرْنَا نَظْرُونَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمْ أَلْمَامًا وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٩﴾

[٤٩] ﴿وَذِكْرُوا﴾ اذكروا ﴿إِذْ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أَي: أَبَاءَكُمْ، وَالخَطَابُ بِهِ وَبِمَا بَعْدَهُ لِلْمَوْجُودِينَ فِي زَمَنِ نَبِينَا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىٰ آبَائِهِمْ؛ تَذَكِيرًا لَهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - لِيُؤْمِنُوا ﴿مِمَّنْ رَزَقْنَا فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يُدَبِّحُونَكُمْ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أَشَدَّهُ، وَالْجَمْلَةُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿بَعَثْنَاكُمْ﴾ ﴿يُدَبِّحُونَ﴾ بَيَانٌ لِمَا قَبْلَهُ ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ الْمَوْلُودِينَ ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يَسْتَهْتِفُونَ ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لِقَوْلِ بَعْضِ الْكَاهِنَةِ لَهُ: إِنْ مَوْلِدًا يُؤَلَّدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبِيًّا لِهَذَا بَلَدِكُمْ ﴿وَفِي﴾

(١) أَي: مِنْ حَيْثُ عَدِمَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ؛ فَضَارَ بِلَاءِ.

(٢) رَاجِعٌ لِلْعَذَابِ.

(٣) رَاجِعٌ لِلْإِنجَاءِ.

(٤) بِدُونِ أَلْفِ لَأَمِي عَمْرُو.

(٥) مَادَّةٌ صَغِيرَةٌ حَلُوءَةٌ؛ كَالْعَمَلِ السَّقَطِ عَلَى الشَّجَرِ؛ كَمَا يَسْقُطُ الطَّلُّ.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْبَيْتِ: ﴿أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ أَلْقَيْتُمْ﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿فَكَفَرُوا بِمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾. واسعا لا حجر فيه ﴿وَأَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ أَلْقَيْتُمْ﴾ أي: بابها ﴿سُجُودًا﴾ مُتَخَيِّبِينَ ﴿وَقُولُوا﴾: مسألنا ﴿حِطَّةً﴾ أي: أن تحط عنا خطايانا ﴿تَغْفِرْ﴾ وفي قراءة بالياء^(١) والياء^(٢) مبيئا للمفعول فيهما ﴿لَكُنَّ حَطَّاتِكُمْ وَتَزْيِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابا.

[٥٩] ﴿فَدَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شرة. ودخلوا يرحفون على أستاذهم^(٣) ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ مبالغة في توبيخ شأنهم ﴿وَجَزَّاءٌ عَذَابًا طَاعُونَ﴾ ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم؛ أي: خروجهم عن الطاعة؛ فهلك منهم في ساعة سبعون ألفا أو أقل.

[٦٠] ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ ﴿إِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي: طلب الشفعا ﴿لِقَوْمِهِ﴾ وقد عطشوا في الشيبه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وهو الذي فؤ بويه، خفيف مربع كراس الرجل رخام، أو كذبان^(٤)، فضربه^(٥) ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿وَمِنهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجًّا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَايَرَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَشْرِبَهُمْ﴾ موضع شربهم؛ فلا يشركهم فيه غيرهم. وقلنا لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْآرَافِ مَفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها^(٦)، من عتيت بكسر المثلثة: أفسد.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نَضْرِبَ عَلَىٰ طَعَامِكَ وَرِجْلِكَ﴾ نوع منه ﴿وَجِدْ﴾ وهو المن والسلوى ﴿فَأَنْزَلْنَا لَكَ رَبِّكَ حُجْرًا مَبْنِيًّا﴾ ﴿مِنَّا نُحْيِي الْأَرْضَ مِنْ﴾ لَيْتَابٍ ﴿بِقَلْبِهَا وَقَتَابِهَا وَفُؤْمِهَا﴾ حطنها ﴿وَعَدَيْهَا وَبَصِلَهَا﴾ قال لهم موسى: ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ أَحْسَنُ﴾ بالذي هو خير ﴿أَشْرَفُ﴾ أتاخذونه ببدله؟ والهجرة للإبكار، فأبوا أن يرجعوا فدعا الله - تعالى -؛ فقال - تعالى -: ﴿أَهْطُوا﴾ انزلوا ﴿وَمِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِن لَّكُمْ﴾ فيه ﴿مِمَّا سَأَلْتُمُوهُ﴾ من النبات ﴿وَوَضِعْتَ﴾ جعلت ﴿عَلَيْهِمُ﴾ الذلَّة^(٧) الذل والهوان ﴿وَاللَّسْتُكُنَّةُ﴾ أي: أثر الفقر؛ من السكون والخزي؛ فهي لازمة لهم - وإن كانوا أغنياء - لزوم الدرهم المضروب لسكنه^(٨) ﴿وَبَاءَهُمْ﴾ رجعوا ﴿بِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ أي: الضرب والغضب ﴿يَأْتُهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم

﴿وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخِلُوا الْبَابَ سَجَدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿فَدَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجًّا فَادَّعَىٰ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نَضْرِبَ عَلَىٰ طَعَامِكَ وَرِجْلِكَ رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنَبِّئُ الْأَرْضَ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَابِهَا وَفُؤْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا مِصْرًا فَإِن لَّكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمُوهُ وَضَعْتَ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءَهُمْ وَبِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ يَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ﴾ كركريا ويحسى ﴿بِعَدْرِ الْحَقِّ﴾ أي: ظلما ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي، وكثرة^(٩) للناكيد.

(١) لنافع.

(٢) لابن عامر.

(٣) جمع سته؛ وهو: الدرر؛ أي: أديارهم.

(٤) الحجر اللبني.

(٥) يحكى كثير من المفسرين - ومنهم: ابن كثير - هنا أقوالا كثيرة وغريبة في وصف الحجر، ومن أين جيء به، وكلها لا دليل عليها، وتغاضها يُدلل على عدم صحتها، والظاهر أنها من الإسرائيليات، ثم لا حاجة لنا في العلم بذلك، بل لعل القول الأرجح ما ذكره الزمخشري - وحكاه عنه ابن كثير - بقوله: «...ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد؛ أي: اضرب الشيء الذي يقال له: الحجر. وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه، قال: وهذا أظهر في المعجزة، وأبين في القدرة».

(٦) أي: لأن معناها قد فهم من عاملها، وحسن ذلك اختلاف اللغتين؛ كما في قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَقِيلٌ﴾ [براءة: ٢٥].

(٧) أي: وعلى ذرياتهم ثم نحا نحوهم إلى يوم القيامة.

(٨) الكلام على القلب؛ أي: لزوم السكة للدرهم؛ والمراد بالسكة: أثرها؛ لأن السكة اسم للحديدة المنقوشة يضرب عليها الدراهم، فكذلك لا يخلو يهودي من آثار الفجر.

(٩) أي: اسم الإشارة؛ وهو لفظ: ﴿ذَلِكَ﴾.

بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رُوعِي فِي ضَمِيرِ ﴿أَمِنَ﴾ وَ﴿عَمِلَ﴾ لَفْظٌ ﴿مَنْ﴾ وَفِيمَا بَعْدَهُ مَعْنَاهُ.

[٦٣] ﴿وَقَدْ أَذَكَّرْنَا بِمِثْقَلِكُمْ﴾ إِذْ أَخَذْنَا مِثْقَلَكُمْ ﴿عَهْدَكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ﴾ ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ الْجِبَلَ افْتُلَعْنَا مِنْ أَسْفَلِهِ عَلَيْكُمْ لَمَّا آتَيْتُمْ قِبُولَهَا، وَقُلْنَا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ ﴿وَأَذَكَّرُوا مَا فِيهِ﴾ بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿لَمَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النَّارَ أَوْ الْمَعَاصِيَ.

[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ ﴿بِئْسَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الْمِيثَاقَ عَنِ الطَّاعَةِ ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لَكُمْ بِالتَّوْبَةِ أَوْ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الْهَالِكِينَ.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ لَامِ قَسَمٍ﴾ عَلَيْكُمْ ﴿عَرَفْتُمْ﴾ الَّذِينَ أَعْتَدُوا ﴿تَجَاوَزُوا الْحَدَّ﴾ وَمِنْكُمْ فِي النَّبْتِ ﴿بَصِيدِ السَّمَكِ﴾، وَقَدْ نَهَيْتَهُمْ عَنْهُ، وَهُمْ أَهْلُ أُيُلَةٍ ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حُدُودِكُمْ﴾ مَعْدِينَ؛ فَكَانُوا وَهَلَكُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أَي: تِلْكَ الْعُقُوبَةَ ﴿كِنَاةً﴾ عِبْرَةً مَانِعَةً مِنْ ارْتِكَابِ بَيْتِلٍ مَا عَمِلُوا ﴿لَسَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أَي: لِلْأَمِّ الَّتِي فِي زَمَانِهَا وَبَعْدَهَا ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ اللَّهُ، وَخُصُّوا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ الْمُنْتَفِعُونَ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ - وَقَدْ قِيلَ لَهُمْ قَتِيلٌ لَا يُدْرَى قَاتِلُهُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُدْعُو اللَّهَ أَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُمْ؛ فَدَعَاهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَلْبِذُونَ بِالْحُورِ﴾ مَهْرُوعًا بِنَا حَيْثُ تَجَمِينَا بِمِثْلِ ذَلِكَ ﴿قَالَ أَعُودُ﴾ أَمْنَعُ ﴿بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الْمُسْتَهْزِئِينَ. فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ عَرَمَ

[٦٨] ﴿قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ﴾ أَي: مَا سَيُّئُهَا ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿إِنَّهَا﴾ أَي: اللَّهُ ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا مِسْقَةَ﴾ صَغِيرَةٌ ﴿عَوَانٌ﴾ نَصْفٌ ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ مِنَ السَّنِينَ ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُمَرُّونَ﴾ بِهِ مِنْ ذَبْحِهَا.

[٦٩] ﴿قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ شَدِيدِ الصَّفْرَةِ ﴿سَسْرٌ النَّظِيرُ﴾ إِلَيْهَا بِحَسَنَاتِهَا؛ أَي: تَعَجُّبِهِمْ.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِثْقَلَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذَكَّرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ ءَامَنَّا الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حُدُودِكُمْ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُونَ هَاهُنَا ءُكُودًا قَالُوا أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا مِسْقَةَ فَافْعَلُوا مَا تُمَرُّونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُّ النَّظِيرِ ﴿٦٩﴾

[٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ ﴿١﴾ ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هُمُ الْيَهُودُ ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مِنْهُمْ ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فِي زَمَنِ نَبِيِّنا ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

(١) أي: قبل بعثة محمد ﷺ، وأما من آمن بعيسى وأدرك محمدًا ﷺ ولم يؤمن به فإنه كافر خالد مخلد في النار - كما في سورتي المائدة والبنية، وكما صحت بذلك الأحاديث.

(٢) وقال مجاهد: الصالِحون قوم بين الجوس واليهود والنصارى. (الطبري ١٤٦/٢). وقيل: قوم يعبدون الملائكة. وقيل: قوم يعبدون الكواكب. وقيل غير ذلك. وقال ابن كثير: وأظهر الأموال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه... أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا الجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم ياتون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويفتقونه. اهـ. تفسير ابن كثير (١٠٠/١).

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَ لَنَا رَبٌّ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسأمة أم عاملة؟ ﴿إِنَّ الْبَقْرَ﴾ أي: جنسه المنوت بما ذكر ﴿تَشَبَّهَ عَلَيْنَا﴾ لكثرة؛ فلم تهتدي إلى المقصودة ﴿رَبًّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها، وفي الحديث: «لو لم يستنوا لما بينت لهم لآخر الأبد»^(١).

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾ غير مذلة بالعمل ﴿يُتَبَرُّ الْأَرْضَ﴾ تقلبها للزراعة، والجملة صفة ﴿ذَلُولٌ﴾ داخلة في النفي^(٢) ﴿وَلَا تَسْقِي الْمَرْثَ﴾ الأرض المهياة للزراعة ﴿مُسَلَّمَةً﴾ من العيوب وأثار العمل ﴿لَا شَيْءَ﴾ لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلْهَا لِلْعَوِّ﴾ نطقت بالبيان التام، فطلبوها؛ فوجدوها عند الفتى البئر بأمه؛ فاشتروها بملء مسكها^(٣) ذهبا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لئلا تئمنها، وفي الحديث: «لو ذبحوا أي بقرة كانت، لأجزأتهم، ولكن شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم»^(٤).

[٧٢] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ﴾ فيه إدغام الدال في التاء؛ أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿وَيَبِّئُوا اللَّهَ مَخْرَجَ﴾ مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمرها، وهذا اعتراض^(٥) وهو أول القصة^(٦).

[٧٣] ﴿فَقَتَلْنَا أَمْرَأَتَهُ﴾ أي: القتل ﴿بِعَظْمٍ﴾ فضرب بلسانها أو عجب ذنبها، فحيا، وقال: قتلي فلان وفلان لا تبي عمه، ومات؛ فخرم الميراث وقيل، قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء ﴿يَبِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكَمْ هَيْبَتَهُ﴾ دلائل قدرته ﴿لَمَلِكُمْ تَقُولُونَ﴾ تدبرون؛ فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة؛ فتؤمنون.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبَكُمْ﴾ أيها اليهود؛ صلبت عن قبول الحق ﴿وَمِنَ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتل، وما قبله من الآيات ﴿فِيهِ كَالْحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشَقُّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فِيخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَهَيِّطُ﴾ ينزل من علو إلى أسفل ﴿مِنَ حَشِيَّةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَمَلُّونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقفكم، وفي قراءة^(٧) بالتحانية، وفيه التفات عن الخطاب.

[٧٥] ﴿فَأَنْظَمُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي: اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ﴾ طائفة ﴿مِنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُخْرِفُوتَهُ﴾ يغيرونه ﴿مِنَ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون، والهجرة للإنكار؛ أي: لا تطمعوها؛ فلهم سابقة بالكفر.

قَالُوا أَوَ لَنَا رَبٌّ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقْرَ تَشَبَّهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولَ تُشِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلْهَا لِلْعَوِّ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقَتَلْنَا أَمْرَأَتَهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ هَيْبَتَهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَهَيِّطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُخْرِفُوتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِنَّا كَلَّا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَن كَذَّبُوا نَفْسَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

[٧٦] ﴿وَإِذْ لَقُوا﴾ أي: منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ بأن محمداً ﷺ نبي، وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذْ كَلَّا﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ أي: رؤسأوهم الذين لم يناقروا لمن نأفق ﴿أَن كَذَّبُوا نَفْسَهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عزفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ ليخاصموكم، واللام للصرورة ﴿بِهِ﴾ عند ربكم في الآخرة، ويقوموا عليكم الحججة في ترك أتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فشتتوهم؟! .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، قال: قال ابن جرير: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أُبْرِأُوا بِأَدْنَى بَقْرَةٍ، وَكَيْفَهُمْ لَمَّا شَدُّوا شَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَإِلَيْهِ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَشْكُرُوا لَمَّا بَيَّنَّتْ لَهُمْ آجُرَ الْأَبْدَةِ اهـ. فالحدث فيه انقطاع.

(٢) أي: ليست مذلة لعمل ولا مثيرة للأرض.

(٣) الجلد.

(٤) ذكره ابن كثير كما تقدم وضعفه.

(٥) أي: جملة معترضة بين المطوف؛ وهو: ﴿فَقَتَلْنَا أَمْرَأَتَهُ﴾ الآية (البقرة: ٧٢)، والمطوف عليه؛ وهو: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ (البقرة: ٧١).

(٦) وإنما أغرأه ليوصل قبائح بني إسرائيل بعضها بعض.

(٧) لابن كثير.

﴿أَمَانٍ﴾ أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَطْنُونَ﴾ ظلماً ولا علم لهم.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: مختلفاً من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ نَسْأَةً قَلِيلًا﴾ من الدنيا؛ وهم اليهود غيَّبوا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما، وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المخلوق ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾ من الرشا^(٤).

[٨٠] ﴿وَقَالُوا﴾ مَا وَعَدَهُمُ النَّبِيُّ النَّارَ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تصيبنا ﴿النَّارُ﴾ إِلَّا آتِينَا مَمْدُودَةً﴾ قليلة، أربعين يوماً، مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَعْتَدْتُمْ﴾ لحذف منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾، ميثاقاً منه بذلك ﴿فَلَنْ نُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ به؟ لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾.

[٨١] ﴿بَلَى﴾ تمسكهم وتخلدون فيها ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركاً ﴿وَأَحْطَتْ﴾ به خطيئته ﴿بِالْإِفْرَادِ﴾^(٥) والجمع؛ أي: استولت عليه وأحدثت به من كل جانب بأن مات مشركاً ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ زوعى فيه معنى «من». [٨٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في التوراة وقلنا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالباء والياء^(٦) ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ خبر بمعنى النهي، وقرئ^(٧): ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ براءاً ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة عطف على الوالدين ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ قولاً ﴿إِحْسَانًا﴾ من الأمر بال معروف، والنهي عن المنكر، والصدق في شأن محمد، والرفق بهم، وفي قراءة^(٨) بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات^(٩) عن الغيبة؛ والمراد آبائهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ وأنتم معرضون عنه؛ كآبائكم.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ
وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَطْنُونَ ﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ نَسْأَةً قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ
﴿٨٠﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ دَأْمًا
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحْطَتْ بِهِنَّ حَظِيئَتُهُنَّ رَفَأُوْنَ لِيَكُنَّ أَصْحَابَ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَآ تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدِينَ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حَسَنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٤﴾

قال - تعالى -: [٧٧] ﴿أَوْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير^(١)، والواو الداخل^(٢) عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره؛ فَيَزَعُوا^(٣) عن ذلك؟! [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿أُمِّيُونَ﴾ عوام ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿إِلَّا﴾ لكن

(١) أي: على سبيل التوبيخ؛ حيث اعتقدوا أن المناقح يؤخذ والكافر الأصلي لا حجة عليه، وله عذر قائم عند ربه.

(٢) أي: والواو الداخل الاستفهام عليها للعطف على محذوف تقديره: أيلومونهم على الحديث بما ذكر، ولا يعلمون... الخ.

(٣) أي: يتكفروا ويتزجروا.

(٤) بكسر الراء وضمة: جمع رشوة؛ بتثنية الراء.

(٥) بالإفراء؛ أي: باعتبار ذات الشرك. والجمع؛ أي: باعتبار أفرادها، وقرأها نافع بالجمع (خطيئته).

(٦) بالياء حمزة والكسائي وابن كثير.

(٧) قراءة شاذة، وقاعدة المفسر غالباً أنه يشير للشاذة بقوله: قرئ، والسبعة بقوله: في قراءة.

(٨) بفتح الحاء وسكون السين حمزة والكسائي، جمعناه صفة مصدر محذوف، تقديره: وقولوا للناس قولاً حسناً.

(٩) وحكمته الاستدلال للسامع وعدم الملل منه، وهو من المحسنات.

وإذ أخذنا ميثاقكم ولا تسفكون دماءكم ولا تخرجون
 أنفسكم من دياركم ثم أقررناهم وأنتم تشهدون ﴿٨٤﴾
 ثم أنزلناه هؤلاء يقتلون أنفسهم ويخرجون فريقاً
 منكم من ديارهم تظهرون عليهم بالإثم والعذوان
 وإن يأتوكم أسرى فادؤهم وهو محرّم عليكم
 إخراجهم أفئدة مؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض
 فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا الآخرة في الحياة
 الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله
 بغافل عما تعملون ﴿٨٥﴾ أولئك الذين اشتروا الحياة
 الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعفون
 ﴿٨٦﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب وفقيناً من بعده
 بالرسول وءاتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح
 القدس أفكلمناهم كرم رسول وما لاتهموا أنفسهم
 استكبارهم فريقاً كذبته وفريقاً تقتلون ﴿٨٧﴾ وقالوا لو
 كنا نؤمن بالله بكفرهم فقلنا ما يؤمنون ﴿٨٨﴾

بأعطية؛ فلا تعي ما تقول. قال - تعالى -: ﴿بَلْ لِلْإِضْرَابِ﴾ (٨) ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾
 أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿يَكْفُرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل
 في قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ «ما» زائدة؛ لتأكيد القلة؛ أي: إيمانهم قليل
 جداً.

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وقلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ تريقونها
 بقتل بعضهم بعضاً ﴿وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يخرج بعضهم
 بعضاً من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قَبِلْتُمْ ذلك الميثاق ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على
 أنفسكم. [٨٥] ﴿ثُمَّ أَنْزَلْنَاهُمْ﴾ يا هؤلاء ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بقتل
 بعضهم بعضاً ﴿وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ (١) فيه
 إدغام التاء في الأصل في الظاء، وفي قراءة بالتنخيف على حذفها (٢)؛
 تتعاونون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ﴾ بالمصيبة ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾ الظلم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ﴾
 أسرى ﴿وَفِي قِرَاءَةٍ﴾ (٣) ﴿أَسْرَى﴾: ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ (٤)؛ وفي قراءة:
 ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ تنقدوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو مما عهد إليهم
 ﴿وَهُوَ﴾ أي: الشأن (٥) ﴿مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله:
 ﴿وَتَخْرُجُونَ﴾، والجملة بينهما (٦) اعتراض؛ أي: كما حرّم ترك الفداء،
 وكانت قريظة خالفوا الأوس، والنضير الخزرج؛ فكان كل فريق يقاتل مع
 حلفائه، ويخرب ديارهم، ويخرجهم، فإذا أهبوا فدوهم، وكانوا إذا سئلوا: لِمَ
 تقاتلوهم وتقدونهم؟! قالوا: أهبونا بالفداء. يُقَالُ: قَبِلْتُ تَقَاتِلْتَهُمْ؟! فيقولون:
 حياة أن يشتدل حلفاؤنا، قال - تعالى -: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾
 وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ وهو ترك القتل، والإخراج، والمظاهرة
 ﴿فَمَا جزاء من يفعل ذلك منكم إلا جزئ﴾ هو أن ذل ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾
 الدنيا ﴿وَقَدْ خَرُوا بِقَتْلِ قَرِيظَةَ﴾ ونفي النظر إلى الشام، وضرب الجزية
 ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالبلاء
 والتاء (٧).

[٨٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ بأن أتووها عليها
 ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ ينعفون﴾ يُنْفَعُونَ منه.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾
 بالرسول؛ أي: أتبعناهم رسولاً في إثر رسول ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾
 البينات؛ المعجزات؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾
 قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: الروح المقدسة
 «جبريل» لطهارته يسير معه حيث سار، فلم تستقيموا ﴿أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾
 بما لا تهوى ﴿تَحِبُّ﴾ أنفسكم ﴿من الحق﴾ استكبرتم ﴿تَكْبَرْتُمْ﴾ عن اتباعه،
 جواب كلفنا، وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿فَقَرِيفًا﴾ منهم
 ﴿كَذِبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيفًا تَقْتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛
 أي: قتلتم؛ كزكريا ويحيى.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي استهزاء: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف؛ أي: مغشاة

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) أي: بحذف التاء الثانية التي ليست للمضارع، وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي.

(٣) لحمزة.

(٤) لحمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ نافع وعاصم والكسائي (تفادوهم)، والحاصل أن القراءات خمس: ﴿أَسْرَى﴾ بالإمالة مع ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ فقط، و﴿أَسْرَى﴾ بالإمالة مع ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ مع عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ «ما» زائدة؛ لتأكيد القلة؛ أي: إيمانهم قليل جداً.

(٥) ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ ضمير القصة يفسره ما بعده. قال ابن هشام: ويختص بخمسة أشياء: كونه مفرداً - ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعاً - وتأخير مرجعه، وكونه جملة، ولا يعمل فيه إلا الابتداء والناسخ، ولا يتبع.

(٦) الجملة هي قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أسرى فَتَفْدُوهُمْ﴾ وقوله: «بينهما»؛ أي: بين المطوف؛ وهو قوله: ﴿وَهُوَ محرم﴾ الآية، والمطوف عليه؛ وهو جملة: ﴿تَقْتُلُونَ﴾؛ لأنها حال.

(٧) بالبلاء لنافع وابن كثير وشعبة. وقرأ الباقون (تعملون).

(٨) أي: الإبطالي.

(٩) أي: كما ادعوا من أنها مغشاة، فهذا هو الخلل.

حسداً وخوفاً على الرياسة، وجواب «لأ» الأولى دل عليه جواب الثانية ﴿فَلَمَّا أَتَى اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿يَسْمَا أَشْرُوا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي حفظها من الثواب، و«ما» نكرة؛ بمعنى: شيئاً؛ تمييز لفاعل «بس». والخصوص بالذم «أن يَكْفُرُوا» أي كفرهم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿تَعْبِيًّا﴾ مفعول له ﴿يَكْفُرُوا﴾ أي: حسداً على ﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد (١) ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَهُ﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل الله، والتشكير للتعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقاقه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وَاللَّكْفِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة، قال - تعالى -: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ سواء أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي تقتلهم ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ من قبل إن كنتم مؤمنين ﴿بِالتوراة﴾، وقد نهيتم فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل آبائهم لرضاهم به.

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات؛ كالعصا، واليد، وقلق البحر ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إليها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذها.

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا قُرْقُومَ السُّورِ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها؛ ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ العجل؛ أي خالط قلوبهم؛ كما يخالط الشراب ﴿يَكْفُرِهِمْ﴾ ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿يَسْمَا﴾ شيئاً ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ﴾ إيمانكم ﴿بِالتوراة﴾ عبادة العجل لا يأمر بعبادة العجل؛ المراد: آبائهم؛ أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٩٠﴾ يَسْمَا أَشْرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَهُ وَبِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا قُرْقُومَ السُّورِ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ لِمَا مَعَهُمْ قُلْ سَمِعْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ يَكْفُرُونَ ﴿٩٤﴾

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة؛ هو: القرآن ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق؛ وهو: بعثة النبي ﴿يَكْفُرُوا بِهِ﴾

(١) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالتشديد.

(٢) أي: بسبب كفرهم.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ الْأَسْمَاءِ فَتَمَتُّوا بِهَا وَيَرْضَى اللَّهُ عَنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَعْتَدُوا لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْرًا وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَصِرْ فِي كَلِمَاتٍ لَبِّدًا مَعْدُودًا سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٠﴾

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ الْأَسْمَاءِ فَتَمَتُّوا بِهَا وَيَرْضَى اللَّهُ عَنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَعْتَدُوا لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْرًا وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَصِرْ فِي كَلِمَاتٍ لَبِّدًا مَعْدُودًا سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠١﴾

عند الله ﴿١٠٠﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾ أي: التوراة ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ أي: لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله.

[٩٤] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من عند الله خالصة خاصة ﴿مِنْ دُونِ الْأَسْمَاءِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تعلق بتمنيه^(١) الشرطان، على أن الأول قيد في الثاني^(٢)؛ أي: إن صدقت في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها، والموصل إليها الموت، فتمتوه. [٩٥] ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ عَلَيْهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فيجازيهم. [٩٦] ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ لام قسم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَأَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا لِنُكَاحِهِمْ﴾ أي: أحدهم ﴿أَحَدُهُمْ تَوَّعَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ «لو» مصدرية؛ بمعنى: «أن»، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «بود» ﴿وَمَا هُوَ بِأَحَدِهِمْ بِمُزَحَّجٍ﴾ مبعده ﴿مِنْ الْعَذَابِ﴾ النار ﴿أَنْ يَعْصَرَ﴾ فاعل «مزحجه»؛ أي: تعميره ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣)؛ فيجازيهم. وسأل ابن صوريا^(٤) النبي أو عمر عن يأتي بالوحي من الملائكة؟ فقال: «جبريل»؛ فقال: هو عدونا، يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآتانا؛ لأنه يأتي بالحسب والسلم^(٥). ﴿قُرْآنٌ﴾ [٩٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿مَنْ كَانَتْ عِدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ فليمت غيظًا ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قلبه من الكذب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦). [٩٨] ﴿مَنْ كَانَتْ عِدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم وفتحها، بلا همز وبه، بياء ودونها^(٧) ﴿وَمِيكَائِيلَ﴾ عطف على الملائكة، من عطف الخاص على العام^(٨)، وفي قراءة: «ميكائيل» بهمزة وباء^(٩)، وفي أخرى بلا بياء^(١٠) ﴿قَارَتِ اللَّهُ عِدُوًّا لِلْكَافِرِينَ﴾ أوقعه موقع «لهم» بيانا لحالهم. [٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿عَائِيتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: واضحات، حال؛ ردِّ لقول ابن صوريا للنبي: ما جئنا بشيء^(١١) ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ كفروا بها. [١٠٠] ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ لَبِّدًا مَعْدُودًا﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج، أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ طرحة ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ بنقضه، جواب «كلما»، وهو محل الاستفهام الإنكاري؟! ﴿بَلِّغْ لِلنَّاسِ لِقَاءَ اللَّهِ يَوْمَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [١٠١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩٧) وما بعدها: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: حضرت عصاة من اليهود نبي الله ﷺ يوما فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهم لا يعلمهم إلا نبي. . . الحديث وفي آخره: قالوا: وأنت الآن تحدثنا؛ من وليك من الملائكة فعندها نجاملك أو نفارقك.

قال: «فإن وليي جبريل الميكائيل، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه». قالوا: فعندها نفارقك؛ لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعك وصدقك. قال: «فما يتممكم من أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا. قال: «فمعد ذلك قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عِدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. إلى قوله ﷻ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فمعد ذلك ﴿بَأَنَّهُمْ يَمْسُوبُ عَلَى عَصَى﴾ الآية. المسند (٢٧٨/١). (إسناده صحيح) شاكر (٢٥٤).

(١) في العبارة قلب، والأصل تعلق بتمنيه بالشرطين؛ لأن «تَمَنَّوْهُ» هو الجواب، وهو متعلق بالشرطين.

(٢) خالصته: أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيِّداً في الثاني؛ بمعنى: أنه من تمام معناه.

(٣) ظاهره أنهما سبعيتان، وليس كذلك، بل التاء عشرية قرأ بها يعقوب، واختلف فيما زاد عن السبعة؛ هل يلحق بها فجزوز القراءة والصلاة بها، أم بالشواذ فيمتنع؟ والمعتمد الأول.

(٤) واسمه عبد الله، وكان من أحبار اليهود.

(٥) انظر: مسند أحمد (٢٥١٠). وروى البخاري في كتاب التفسير (٤٤٨٠) عن أنس نحو هذا في عبد الله بن سلام قبيل إسلامه وليس فيه أنه سبب نزل الآية..

(٦) جبريل وجبرئيل وجبرئيل، لابن كثير، ثم شعبة ثم حمزة والكسائي على الترتيب، جبرئيل لنافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص.

(٧) والكتابة: شرفهنا وعظمهنا وكون النزاع فيها.

(٨) حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير وابن عامر.

(٩) لنافع.

(١٠) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (١٨١/١)].

يعمل السحر؛ لأنه كفر ﴿وَلَكِنَّ﴾ بالشديد والتخفيف^(١) ﴿الْشَّيْطَانَ﴾ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ السَّحْرَ ﴿الجملة حال من ضمير «كفروا» ﴿و﴾ يعلمونهم ﴿مَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: ألهماه من السحر^(٢)، وفُرئَ بكسر اللام^(٣)، الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَرُوتَ وَمَرُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين، قال ابن عباس: هما ساحران، كانا يعلمان السحر، وقيل: ملكان أنزلا؛ لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ﴾ زائدة ﴿أَمْوَالِهِمْ يَقُولُونَ﴾ له نصحا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فَتَنَةٌ﴾ بِلِقَاءِ اللَّهِ مِنَ النَّاسِ؛ ليمتنعهم بتعليمه؛ فَمَنْ تَعَلَّمَهُ كَفَرَ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعليمه. فإن أتى إلا التعليم علمناه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرْتَدِّ وَالْمُؤْمِنِ﴾ بَأَن يُغْفَضَ كُلًّا إِلَى الْآخِرِ ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ أي السحرة ﴿بِضَارِكِينَ بِهِ﴾ بالسحر ﴿وَمِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلَّمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَنْ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ﴿وَمَنْ﴾ موصولة ﴿أَشْتَرَهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَمْ يَفِي الْآخِرَةَ مِنَ خَلْقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَالْفَسَادِ﴾ شَيْئًا ﴿سَكَّرُوا﴾ باعوا ﴿بِهِ﴾ أَنفُسَهُمْ ﴿أَي: الشارين؛ أي: حظها من الآخرة إن تعلموه؛ حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب، ما تعلموه.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَأَتَقُوا﴾ عقاب الله بترك معاصيه؛ كالسحر، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لأتينا؛ ذلَّ عليه ﴿لَمَثُوبَةٍ﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسمة ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خيره، مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. [١٠٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ﴾ للنبي: ﴿رِزْقًا﴾ أمر من المراعاة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سبَّ من الرعونة^(٤)، فسأروا بذلك، وخاطبوا بها النبي؛ فثبَّي المؤمنين عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها: ﴿انظُرْنَا﴾ أي: انظر لنا ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تومرون به سماع قبولي ﴿وَلْيَكْفُرْ عَذَابُ إِلِيمٍ﴾ مؤلم هو النار.

[١٠٥] ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب، عطف على أهل الكتاب، و«من» للبيان ﴿أَن يُزِيلَ عَلَيْكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ حَيْرٍ ﴿وَمِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسدا لكم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾^(٥) بِنُورِهِ ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنَ وَلَا كُنَّ الشَّيْطَانُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ السَّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِلَابِلِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتَنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرْتَدِّ وَرُوحِهِ وَمَا لَهُمْ بِضَارِكِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنْ أَشْتَرْتَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْهُ بِأَنْفُسِهِمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَمَثُوبَةٍ مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ رِزْقًا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُزِيلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِمَّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿وَأَتَّبَعُوا﴾ عطف على «بذ»^(١) ﴿مَا تَتْلُوا﴾ أي: تلت الشَّيْطَانُ عَلَى ﴿عهد﴾ ﴿مُلْكٍ سُلَيْمَانَ﴾ من السحر، وكانت ذنفته تحت كرسيه لما نزع ملكه، أو كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتلقيه إلى الكهنة؛ فيدونونه، وفشا ذلك، وشاع أن الجن تُلْمُ الغيب؛ فجمع سليمان الكتب ودفنها، فلما مات دلت الشياطين عليها الناس؛ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما ملككم بهذا فتعلموه. فرفضوا كتب أنبيائهم^(٢). قال تعالى: تبرئة لسليمان وردًا على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلا ساحرًا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي: لم

(١) استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: ﴿أَتَّبَعُوا﴾ لا يصلح أن يكون جوابًا؛ لعدم ترتبه على الشرط؛ لأنه سابق على بعثة الرسول ﷺ، فألحس عطفه على جملة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ الآية، فهو بيان لسوء حالهم.

(٢) هذه التفاصيل من قصته مع الجن والكتب وما وجده منها من سحر ونحوه طارها من الإسرائيليات، التي تخالف مناصب الأنبياء وعصمتهم وشأنهم ولا يمكن التصديق بصحتها.

(٣) بتخفيف نون ﴿لَكِنَّ﴾ ورفع ﴿الْشَّيْطَانَ﴾ قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٤) وقيل: ﴿مَا﴾ نافية؛ أي: لم ينزل على الملكين. قال ابن الأباري: وهذا الوجه ضعيف جدًا؛ لأنه خلاف الظاهر والمعنى.

(٥) وهي قراءة شاذة.

(٦) أي: الحمق، والجهل، وقلة العقل، وهي بهذا المعنى عبرية، وقيل: هي عبرانية، أو سريانية. ومعناها: اسمع لا سمعت.

(٧) وفيها إثبات صفة الرحمة على الوجه اللاتق بجلاله - سبحانه، ومن آثار رحمته الشرع الذي شرعه لنبيه ﷺ ولأمته. وأما تفسيره الرحمة بالنبوة فخلاف الظاهر.

ولما طعن الكفار في النسخ، وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر ويهني عنه غداً، نزل: ﴿١٠٦﴾ ﴿مَّا﴾ شرطية ﴿تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ أي: نزل حكمها؛ إما مع لفظها أو لا، وفي قراءة^(١) بضم النون من أنسخ؛ أي: نامرك أو جبريل بنسخها ﴿أَوْ [تَنْسَأَهَا]﴾ تؤخرها؛ فلا تنزل حكمها، وترفع تلاوتها، أو تؤخرها في اللوح المحفوظ، وفي قراءة بلا همز^(٢) من النسيان^(٣)؛ أي: نسيكها؛ أي: نغحها من قلبك، وجواب الشرط ﴿نَأَتْ بِحَيْثُ وَنَهَا﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ وَيُثَلِّهًا﴾ في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَسَلِّمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتفريغ.

﴿١٠٧﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل ما يشاء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلَيْ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا تَصْبِرُ﴾ يمنع عنكم عذابه إن أتاكم. ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذبيحة^(٤): ﴿١٠٨﴾ ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَى﴾ أي: سأله قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قولهم: ﴿إِنَّا اللَّهُ جَهْرَةٌ﴾ وغير ذلك؟ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: يأخذ به بدله بترك النظر في الآيات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ الطريق الحق، والسواء في الأصل الوسط.

﴿١٠٩﴾ ﴿وَدَكَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ مصدرية ﴿يُرْدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَمَا كَانَ سَكَنًا﴾ مفعول له، كائنًا ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: حملتهم عليهم أنفسهم الخبيثة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ في التوراة ﴿الْحَقُّ﴾ في شأن النبي ﴿فَاعْفُوا﴾ عنهم؛ أي: اتركوهم ﴿وَأَصْفَحُوا﴾ أعرضوا، فلا تجازروهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ فيهم من القتال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١١٠﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقِيمُوا لِلنَّفْسِ مِنَ حَيْرٍ﴾ طاعة؛ كصلة وصدقة ﴿وَمَجْدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ يَبْصُرُ﴾ فيجازيكم به.

﴿١١١﴾ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ جمع هَائِدٍ ﴿أَوْ نَصْرِي﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ؛ أي: قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود. وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى^(٥)، ﴿يَلَكُ﴾ القولة ﴿أَمَانِيَهُمْ﴾ شهواتهم الباطلة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حججتكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. ﴿١١٢﴾ ﴿يَلَكُ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: انقاد لأمره، وخصَّ الوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء؛ فغيره أَوْلَى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿قَلْبُهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: ثواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

(١) لابن عامر.

(٢) أي: مع ضم النون ﴿نسيها﴾ لنافع وعاصم وحزمة والكسائي، والقراءة المفسرة (تَنْسَأَهَا) لابن كثير وأبي عمرو.

(٣) الأولى أن يقول: من الإنساء؛ لأنه مصدر الرباعي الذي الكلام فيه.

(٤) واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية، والسؤال من أهل مكة كان قبل الهجرة، فالحق أن يقال: إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إنزال كتاب من السماء؛ لأن السياق في مخاطبة اليهود، ويكون قوله: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ أي: محمد ﷺ لأنه رسول الخلق أجمعين.

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٥٤٨/١)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٣٩٤/١)، وفي إسناده محمد بن أحمد؛ مجهول.

﴿١١٣﴾ ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأَتْ بِحَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ وَمَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿وَدَكَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَمَا كَانَ سَكَنًا﴾ ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِي﴾ ﴿تِلْكَ أَمَانِيَهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿يَلِكُ﴾ ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا
أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ فَائِنَّمَا تُولُوا فَتَمُوجُهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِنَتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
وَإِذَا قُضِيٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ
كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشٰبَهَتْ
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

[١١٣] وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ مُّغْتَدِّبَةً، وكفرت بعيسى **وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ مُّغْتَدِّبَةً**، وكفرت بموسى **وَهُمْ** أي الفريقان **يَتَّبِعُونَ الْكَيْتَابَ** المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصرى تصديق موسى، والجملة حال **كَذَٰلِكَ** كما قال هؤلاء **قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** أي: المشركون من

العرب وغيرهم **﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾** بيان لمعنى ذلك؛ أي: قالوا لكل ذي دين: ليسوا على شيء **﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** من أمر الدين؛ فيدخل الحق الجنة والمثبط النار: [١١٤] **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾** أي: لا أحد أظلم **﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾** بالصلاة والتسبيح **﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾** بالهدم أو التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس، أو في المشركين لما صدوا النبي **﴿صَلَّىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾** عام الحديبية عن البيت **﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾** خبر بمعنى الأمر؛ أي: أخيفوهم بالجهاد؛ فلا يدخلها أحد آمنًا **﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾** هوان بالقتل والسي والجرية **﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** هو النار. ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الرحلة في السفر حيثما توجهت: [١١٥] **﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾** [١١٦] أي: الأرض كلها؛ لأنهما تاجبتاها **﴿فَإِنَّمَا تُولُوا﴾** وجوهكم في الصلاة بأمره **﴿فَتَمُوجُهُ﴾** هناك **﴿وَجْهَهُ اللَّهُ﴾** [١١٧] بقلته التي رضىها **﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ﴾** يسع فضله كل شيء **﴿عَلَيْكُمْ﴾** بتدبير خلقه [١١٨] **﴿وَقَالُوا﴾** بواو وبدونها، اليهود والنصارى **﴿وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بنات الله﴾** **﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾** قال: تعالى: **﴿سُبْحٰنَهُ﴾** تنزيها له عنه **﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾** ملكًا وخلقًا وعبيدًا، والملكية تنافي الولادة، وعبر **﴿بِإِيمَانٍ﴾** لا يعقل **﴿كُلُّ لَّهُ قَدِنَتُونَ﴾** مطيعون، كل بما يراد منه، وفيه تغليب العاقل. [١١٧] **﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾** موجدهم لا على مثال سبقت **﴿وَإِذَا قُضِيَ﴾** أراد **﴿أَمْرًا﴾** أي: إيجاده **﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** أي: فهو يكون، وفي قراءة **﴿بِالنَّبِصِ﴾** جوابًا للأمر.

[١١٨] **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أي: كفار مكة **﴿لَنبِيِّ﴾** **﴿تُولُوا﴾** هلا **﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾** بأنك رسوله **﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾** مما اقترحه على صدقك **﴿كَذَٰلِكَ﴾** كما قال هؤلاء **﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** من كفار الأمم الماضية لأبيائهم **﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾** من التعتت وطلب الآيات **﴿تَشٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي **﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾** يعلمون أنها آيات فيؤمنون، فافتراح آية معها تعنت. [١١٩] **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾** يا محمد **﴿بِالْحَقِّ﴾** بالهدى **﴿بَشِيرًا﴾** من أجاب إليه بالجنة **﴿وَنَذِيرًا﴾** من لم يجب إليه بالنار **﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾** النار؛ أي: الكفار ما لهم لم يؤمنوا؟ إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزء **﴿تَسْأَلُ﴾** نهية **﴿١١٩﴾**.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٥): أخرج مسلم عن ابن عمر قال: كان رسول الله **﴿صَلَّىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾** وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: **﴿فَإِنَّمَا تُولُوا قَوْمَهُ﴾** **﴿اللَّهُ﴾** مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤) جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت. وأخرج الترمذي: عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: كنا مع النبي **﴿صَلَّىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾** في سفره في ليلة فلم ندر أين القبلة، ففصل كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي **﴿صَلَّىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾** فنزلت: **﴿فَإِنَّمَا تُولُوا قَوْمَهُ﴾** الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣) سورة البقرة. (حسن) صحيح الترمذي (٥٨٤، ٢٣٥٧).

(١) اختار القرطبي أنها عامة في كل مسجد إلى يوم القيامة؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ضعيف. (٢) انظر الحديث وتخرجه في أسباب النزول.

(٣) وفيه إثبات لوجه الله - تعالى - على الوجه اللاتق به - تعالى -، وأن له وجهًا لا تشبهه الوجوه.

(٤) وهذا قول مجاهد وتبعه الشافعي. قال ابن القيم: إنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعًا ولا عرفًا... بل القبلة لها اسم بخصها، والوجه له اسم بخصه... وأيضًا فمن المعلوم أن قلة الله التي نصبت لها عبادة هي قلة واحدة... فكيف يقال: أي وجهة وجهتها واستقبلتها فهي قبلة الله... وحصل الآية على استقبال المسافر في التنقل، وعلى الراحلة، وعلى حال العجم ونحوه بعيد جدًا عن ظاهر الآية وإطلاقها وعمومها وما قصد بها... والآية لا تعرض فيها للقبلة ولا لحكم الاستقبال؛ بل سياقها لمعنى آخر؛ وهو: بيان عظمة الرب - تعالى - وسعته، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله: **﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّعْنَةُ﴾** [البقرة: ١١٥]، فبينما بذلك على ملكه ما بينهما، ثم ذكر عظمته سبحانه. وأنه أكبر وأعظم من كل شيء؛ فأينما ولى العبد وجهه فوجه الله، ثم ختم باسمين دالين على السعة والإحاطة؛ فقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْكُمْ﴾** [البقرة: ١١٥]، وأيضًا هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب، والرد على من جعل له ولدًا، قال: تعالى: بعدها: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ﴾** بل **﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾** الآية [البقرة: ١١٦]، فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سبق الكلام لأجلها... فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والإيمان والرد على المشركين لا بيان فرع معين جزئي. نقلًا عن: [المفسرون بين الإثبات والتأويل (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧)] بصرف. تفسير الوجه بالقبلة فيه تعطيل لصفة الوجه. (٥) بدون الواو لابن عامر. (٦) لابن عامر. (٧) بآء مضمرة بعد فاء السبيبية.

(٨) تقدم الإشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة، وقيل: ويمكن أن يكون كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة.

(٩) مع فتح التاء النافع.

[١٢٠] ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دِينهم ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُمْ﴾ أي الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ وما عدها ضلال ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿أَتَبَّتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعوها إليها فَوْضًا^(١) ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا تَصْبِرُ﴾ يمتنع منه.

[١٢١] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي؛ يقرءونه كما أنزل، والجملة حال، و«حق» نصب على المصدر، والخبر: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي؛ بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١٢٢] ﴿يَتَّبِعِي إِسْرَاءَ بِلَ أَدْرُكُوا نِعْمَتِي﴾ أَيِ أَنْتُمْ عَلَيَّكُمْ وَأَيِ فَضْلِكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿تقدم مثله.

[١٢٣] ﴿وَأَتَقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْرِي﴾ تعني ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فيه ﴿سَيِّئًا وَلَا يَقُولُ مِنَّا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا نَعْمَهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ يُتَّقُونَ من عذاب الله.

[١٢٤] ﴿وَإِذْ أَنْتَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَنْتَ﴾ الحَيُّزُ ﴿إِبْرَهْمَ﴾ وفي قراءة: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿رَبُّكَ بِكَلِمَاتٍ﴾ بأوامر وتوابع كلفه بها؛ قيل: هي مناسك الحج. وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، ورفق الشعر، وقلم الإظفار، ونف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء ﴿فَأَتَيْنَهُمْ﴾ أذاهم تامات ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أولادي: اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَتَّالِ عَهْدِي﴾ بالإمامة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين منهم؛ ذل على أنه ينال غير الظالم [١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعًا يشوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمَّا﴾ أممًا لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره؛ كان

الرجل يلقي قاتل أبيه فيه فلا يهجه ﴿وَأَعْتَدُوا﴾ أيها الناس ﴿مِن مَّقَابِرِ إِبْرَهْمَ﴾ هو الحَجْرُ الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلِّ﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة بفتح الحاء خبر^(٢) ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَهْمَ وَاسْمَعِيلَ﴾ أمرانها ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿ظَهَرَ بَيْتِي﴾ من الأوثان ﴿لِلظَّالِمِينَ وَالْمُكْرِبِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَأَلْرُكَّعَ الْجُودِ﴾ جمع راكم وساجد، المصلين.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَهْمُ رَبِّي اجْعَلْ هَذَاكَ﴾ المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ ذا أمن، وقد أحاب الله دعاءه؛ فجعله حرماً، لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُمْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَتَّبِعِي إِسْرَاءَ بِلَ أَدْرُكُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَيُّ فَضْلِكُمْ عَلَيَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ أَنْتَ إِبْرَهْمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَيْنَهُمْ قَالَ إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا آلِ إِبْرَهْمَ وَأَمَّا وَاسْمَعِيلَ وَأَمَّا وَأَعْتَدُوا وَمِنْ مَقَامِ إِبْرَهْمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَهْمَ وَاسْمَعِيلَ أَنْ ظَهَرَ بَيْتِي لِلظَّالِمِينَ وَالْمُكْرِبِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهْمُ رَبِّي اجْعَلْ هَذَاكَ بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَتُّهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

أحد، ولا يُصاد صيده، ولا يُختلى خلاه^(٤) ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه، وكان أوفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿وَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بدل من أهله، وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله: ﴿لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿وَوَرِّقْ﴾ من كثر ﴿فَأَمَتُّهُ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٥) في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ ألجته في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصًا ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

(١) أي: على فرض وقوعه.
(٢) لابن عامر، سوى النقاش عن الأحفش، وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعًا منها خمسة عشر في هذه السورة.
(٣) أي: اتخذوا، لنافع وابن عامر.
(٤) أي: حشيشه.
(٥) بالتخفيف قراءة ابن عامر.

لتقدم قوله: ﴿لَا يَتَّالِ عَهْدَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَأَرَانَا﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَهَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجتنا ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألاه التوبة مع عصمتها تواضعا وتعلينا لذريتهما.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَأَعِثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿وَيُرِيهِمْ﴾ يظهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب ﴿الْحُكْمُ﴾ في صنعه^(١).

[١٣٠] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿يَرْعُبْتَ عَنْ يَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ جهل أنها مخلوقة لله، يجب عليها عبادته، أو استخف بها وامتنعها ﴿وَلَقَدْ أَصْطَلَقْتَنِي﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالسؤال والخلة ﴿وَأَيْدِي﴾ في الآخرة ﴿لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[١٣١] ﴿وَإِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ انقاد لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّى﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿أَوْصَى﴾ ﴿بِهَا﴾ بالملة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ نبيه ويعقوب^(٣) نبيه قال: ﴿يَتَّبِعِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَلَقَ لَكُمْ الدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تُمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهي عن ترك الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مصافة الموت.

ولما قال اليهود للنبي: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى نبيه باليهودية؛ نزل: [١٣٣] ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضورا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله^(٤) ﴿قَالَ لِسَيِّدِي مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عدو إسماعيل من الآباء تغليظ، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَهِهَا وَجِدَادًا﴾ بدل من إلهك ﴿وَتَحَقُّ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾، وهم ﴿بمعنى همزة الإنكار^(٥)﴾؛ أي: لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به؟

[١٣٤] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب ونبيهما، وأنت؛ لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل؛ أي: جزاؤه، استئناف ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٩﴾ رَبَّنَا وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٠﴾ رَبَّنَا وَأَعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرِيهِمْ أَنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣١﴾ وَمَنْ يَرْعُبْ عَنْ يَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ أَصْطَلَقْتَنِي فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَلَقَ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تُمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٤﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِسَيِّدِي مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهِهَا وَجِدَادًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾

[١٢٧] ﴿وَو﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ الأسس أو الجدر ﴿مِنْ الْبَيْتِ﴾ بيته، متعلق بـ«يرفع» ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ عطف على إبراهيم، بقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناهنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾ منقادين ﴿وَلَكَ﴾ واجعل ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ «ومن» للتبعيض، وأتى به؛

(١) الأولى: التعميم في مثقل الحكمة؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شئونه؟ من صنعه، وقدره، وتشريعه، وجزائه، وإرساله رسله، وإنزاله كعبه، ... إلخ. وكذا يقال في كل موضع قصرا فيه المصنفان الحكمة على صنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٢) نافع وابن عامر.

(٣) أي: بدل اشتمال.

(٤) أي: فتارة تفسر بها وحدها، وتارة تفسر به «بل» وحدها.

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ «أو» للتفصيل، وقال الأول يهود المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿بَلْ﴾ نتبع ﴿وَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حال من إبراهيم، ماثلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٣٦] ﴿قُولُوا﴾ خطاب للمؤمنين: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن صُحُفٍ أَلْفَ عَشْرٍ﴾ من الصحف العشر ﴿وَلَا نَسْتَعِيبُ﴾ ﴿وَأَسْحَقَ﴾ ﴿وَبِعُقُوبِ الْإِنجِيلِ﴾ ﴿وَمَا أَوْفَى التَّابُوتِ مِن رَّبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نَعْرِفُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٧] ﴿فَإِنِ ءَامَنُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿بِئْسَلُ﴾ «مثل» زائدة ﴿مَّا ءَامَنَتْ بِهِ قَبْدَ ءَاهْتَدُوا﴾ ﴿وَلَيْنَ قَوْلُوا﴾ عن الإيمان به ﴿فَأَنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف معكم ﴿نَسْتَبِيحُهُمُ اللَّهُ﴾ يا محمد شِقَاقُهُمْ ﴿وَهُوَ التَّسْبِيحُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي الظنير وضرب الجزية عليهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿ءَامَنَّا﴾ ونصبه بفعل مقدر؛ أي: صبغتنا الله؛ والمراد بها: دينه الذي فطر الناس عليه؛ لظهور أثره على صاحبه؛ كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنِ اللَّهِ صِبْغَةَ﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ عِبْدُونَ﴾. قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبياً، لكان منا. ﴿فَتَرَى﴾ [١٣٩] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَنَّمَا جُؤُنَاتُنَا﴾ تخاصمونا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن اصطفى نبياً من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾. فله أن يصطفى من يشاء ﴿وَلَكِنَّا أَسْمَلْنَا﴾ مجازى بها ﴿وَلَكِنَّمَا أَسْمَلْنَاكُمْ﴾ مجازون بها؛ فلا يعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ خُضُّوْنَ﴾ الدين والعمل دونكم؛ فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

[١٤٠] ﴿أَمْ﴾ بل أَمْ نَقُولُونَ ﴿بِالنَّاءِ الْبَاءِ﴾^(١): ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ لَهُمْ: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: الله أعلم، وقد تراءى منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾^(٢) والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ أخفى على الناس ﴿شَهَادَةَ عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿بِرَبِّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه؛ وهم: اليهود؛ كَتَمُوا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية^(٣) ﴿رَمَا اللَّهُ يَفْتِخِلَ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[١٤١] ﴿وَلَيْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْهَوْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا وَقُلْ لَهُمْ: ﴿بَلْ﴾ نتبع ﴿وَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿قُولُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أَوْفَى التَّابُوتِ مِن رَّبِّهِمْ وَلَا نَعْرِفُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٧] ﴿فَإِنِ ءَامَنُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿بِئْسَلُ﴾ «مثل» زائدة ﴿مَّا ءَامَنَتْ بِهِ قَبْدَ ءَاهْتَدُوا﴾ ﴿وَلَيْنَ قَوْلُوا﴾ عن الإيمان به ﴿فَأَنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف معكم ﴿نَسْتَبِيحُهُمُ اللَّهُ﴾ يا محمد شِقَاقُهُمْ ﴿وَهُوَ التَّسْبِيحُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي الظنير وضرب الجزية عليهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿ءَامَنَّا﴾ ونصبه بفعل مقدر؛ أي: صبغتنا الله؛ والمراد بها: دينه الذي فطر الناس عليه؛ لظهور أثره على صاحبه؛ كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنِ اللَّهِ صِبْغَةَ﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ عِبْدُونَ﴾. قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبياً، لكان منا. ﴿فَتَرَى﴾ [١٣٩] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَنَّمَا جُؤُنَاتُنَا﴾ تخاصمونا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن اصطفى نبياً من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾. فله أن يصطفى من يشاء ﴿وَلَكِنَّا أَسْمَلْنَا﴾ مجازى بها ﴿وَلَكِنَّمَا أَسْمَلْنَاكُمْ﴾ مجازون بها؛ فلا يعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ خُضُّوْنَ﴾ الدين والعمل دونكم؛ فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

[١٤٠] ﴿أَمْ﴾ بل أَمْ نَقُولُونَ ﴿بِالنَّاءِ الْبَاءِ﴾^(١): ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ لَهُمْ: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: الله أعلم، وقد تراءى منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾^(٢) والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ أخفى على الناس ﴿شَهَادَةَ عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿بِرَبِّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه؛ وهم: اليهود؛ كَتَمُوا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية^(٣) ﴿رَمَا اللَّهُ يَفْتِخِلَ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[١٤١] ﴿وَلَيْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْهَوْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُولُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ التي في البقرة، وفي الآخرة منهما: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَآلِهَتِهِمْ يَتَّبِعُونَ﴾. مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٣٨) القراءة في ركعتي الفجر.

(١) الباء نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) أي: ولحمد ﷺ بالرسالة؛ حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم فغيروها وبدلوا.

يا أمة محمد ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ خياراً عدولاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة؛ أن رسلمهم بلغتهم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا صُورَتَا لَكَ الْآنَ﴾ القبلتة ﴿الجهة﴾ التي كنت عليها أولاً؛ وهي: الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر، أمر باستقبال بيت المقدس؛ تألفاً لليهود؛ فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً، ثم تحول ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيصده ﴿وَمَنْ يَتَّقِ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر؛ شكاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وإنما كانت؛ أي: التولية إليها ﴿لِكِبْرَةٍ﴾ شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس^(١)؛ بل يبيحكم عليه؛ لأن سبب نزولها السؤال عن مات قبل التحويل^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْكُلُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لِرُؤُوفٍ رَجِيمَةٍ في عدم إضاعة أعمالهم، والرأفة شدة الرحمة، وقَدَّمَ الأبلغ للفاصلة^(٣).

[١٤٤] ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ﴾ تصرف ﴿وَجَهَكَ﴾ في جهة ﴿السَّمَاءِ﴾ منطلقاً إلى الوحي ومنتشوقاً للأمر باستقبال الكعبة، وكان يود ذلك؛ لأنها قبلة إبراهيم، ولأنه أذعى إلى إسلام العرب ﴿فَلَوْلَا سِتْرُكَ﴾ تحولت ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ تحبها ﴿قَوْلٍ وَجَهَكَ﴾ استقبال في الصلاة ﴿سَطَّرَ﴾ نحو ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: الكعبة ﴿وَجَيْتَ مَا كُنْتُ﴾ خطاب للأمة ﴿قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿سَطَّرُوا وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: التولي إلى الكعبة ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَمِنْ رَبِّهِمْ﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا اللَّهُ بِمُتَّبِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٤) بالناء^(٥)، أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالباء؛ أي: اليهود من إنكار أمر القبلة.

[١٤٥] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام القسم ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿مَا تَيَمَّوْا﴾ أي: [لا] يتبعون ﴿فَلَسْتُكَ﴾ عناداً ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ قَطَعَ لطمعه في إسلامهم وطعمهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي: اليهود قبلة النصارى، وبالعكس ﴿وَلَيْنَ أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ السُّورِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذَا﴾ إن اتبعتمهم فوضاً ﴿لَيُنَالَنَّ الْقُلُوبَ﴾

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١٤٦) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِبْرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنْ أَتَى اللَّهُ يَأْتِيَ النَّاسَ لِرءِ وَفٍ رَجِيمٍ﴾^(١٤٧) ﴿قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلَا صِتْرُكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(١٤٨) ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْآيَاتِ لَإِنَّمَا تَتَّبِعُ الظَّالِمِينَ﴾^(١٤٩)

[١٤٢] ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ الْجُهَالُ﴾ من الناس ﴿مِنْ أَنَّى﴾ اليهود والمشركين ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ على استقبالها في الصلاة؛ وهي: بيت المقدس؛ والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الجهات كلها؛ فَيَأْتُرُ بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي: ومنهم أنتم^(١)؛ ذل على هذا: [١٤٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤٤): أخرجه البخاري عن البراء بن عازب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فتوجه نحو الكعبة... البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - (٢) سورة البقرة باب (٢).

(١) أي: من المهتدين أمة محمد ﷺ.

(٢) عبر بالإيمان عن الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

(٣) هو عند البخاري وغيره، وأخرجه البخاري في التفسير من حديث البراء (٤٤٨٦).

(٤) أي: مع أن العادة العكس؛ ليكون للأبلغ بعد غيره فائدة؛ فيقال: عالم نحير، ولا يقال: نحير عالم. والفاصلة هي الكلمة آخر الآية، ككافية الشعر وقرينة السجع.

(٥) وقيل: للتكثير. وهي بالنظر لفعل النبي ﷺ لا لرؤية الله، وهو خطاب ترداد.

(٦) لابن عامر، وحزقة، والكسائي، وقرأ الباقون بالياء.

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ
 وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ
 مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ
 هُومٌ لِّهَا فَأَسْتَخِفُّوا الْحَيَاتِ ابْنَ مَا تَكُونُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
 قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ
 وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
 وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْرُقْ عَلَيْنِمْ
 وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو
 عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
 وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا لِي آذِكْرِكُمْ
 وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٤٦] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمدًا ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ
 آبَاءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم؛ قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأته؛ كما أعرَف
 ابني، ومعرفتي لمحمد أشد ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ
 يَكْتُمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه [١٤٧] ﴿الْحَقُّ﴾ كائنًا ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه؛ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: لا تمتز.

[١٤٨] ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ﴾ من الأمم ﴿وَجْهَةٌ﴾ قبله ﴿هُوَ مَوْلِيَّهَا﴾ وجهه في
 صلته، وفي قراءة^(١): ﴿مَوْلَاهَا﴾ ﴿فَأَسْتَخِفُّوا الْحَيَاتِ ابْنَ﴾ بادروا إلى الطاعات
 وقولها ﴿إِنَّ مَا تَكُونُوا يَأْتِي بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة؛
 فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَنَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٤٩] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر^(٢) ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء واليباء^(٣)،
 تقدم مثله، وكرره؛ لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

[١٥٠] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا
 كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كرهه؛ للتأكيد^(٤) ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾
 اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره؛ لنتفي
 مجادلتهم لكم من قول اليهود: يبعد ديننا ويتبع قبلتنا. وقول المشركين:
 يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالعناد؛ فإنهم
 يقولون: ما تحول إليه إلا ميلاً إلى دين آباءه. والاستثناء متصل؛ والمعنى: لا
 يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في
 التولي إليها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ بامتثال أمري ﴿وَلَا تَمْرُقْ عَلَيَّ﴾ عطف على ﴿لِئَلَّا
 يَكُونَ﴾ يمتني عليكم، بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
 إلى الحق.

[١٥١] ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بـ﴿أَنْتُمْ﴾؛ أي: إتمام كإتمامها بإرسالنا
 ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ محمدًا ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن
 ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن
 ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

[١٥٢] ﴿فَأَذْكُرُوا لِي﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرِكُمْ﴾ قيل: مغناة
 أجازكم. وفي الحديث عن الله: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ
 ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالِي خَيْرٌ مِنْ مَلِيهِ»^(٥) ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي
 بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالعصية.

[١٥٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على
 الطاعة والبلاء ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ خصَّصها بالذكر؛ لتكررها وعظمتها ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ
 الصَّابِرِينَ﴾ بالعون.

(١) لابن عامر.

(٢) ظاهره فرضاً ونفلاً، ولكن السنة خصصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فنجز في السفر لغير القبلة بشروط.

(٣) بالياء لأبي عمرو.

(٤) لغزاة الحكم حينئذ؛ لأنه أول ما ورد من النسخ.

(٥) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

لِيَهُ. مِلْكًا وَعَبِيدًا، يفعل بنا ما يشاء ﴿وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازينا، وفي الحديث: ﴿مَنْ اشْتَرَجَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ أَجْرَهُ اللَّهُ فِيهَا وَأَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرًا﴾^(١)، وفيه أن مصباح النبي ﷺ طُفِعَ؛ فاسترجع؛ فقالت عائشة: إنما هذا مصباح!! فقال: ﴿كُلُّ مَا أَسَاءَ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ﴾^(٢) [رواه أبو داود في مراسيله].

[١٥٧] ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ مغفرة ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعمة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ﴾ إلى الصواب.

[١٥٨] ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان بمكة ﴿مِن سَعَاءِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه، جمع شعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أي: تَلَبَّسَ بالحج أو العمرة، وأصلهما القصد والزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إنم عليه ﴿أَنْ يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأن يسعى بينهما سبعا، نزلت لما كره المسلمون ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما، وعليهما ضمان بمسحونهما، وعن ابن عباس: أن السعي غير فرض؛ لما أفادته رفع الإثم من التخيير. وقال الشافعي وغيره: ركن، ويحرم ﷺ فريضته بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الشَّعْيَ﴾^(٣) [رواه البيهقي وغيره]، وقال: ﴿ابْدُؤْهُمَا بِبَدَأِ اللَّهِ بِهِ﴾^(٤) يعني الصَّفَا ﴿رواه مسلم﴾ ﴿وَمَنْ طَفَّحَ﴾ وفي قراءة: ﴿بالتحتية وتشديد الطاء مجزومًا، وفيه إدغام التاء فيها ﴿حَجًّا﴾ أي: بخير؛ أي: عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿وَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالإتابة عليه ﴿عَلَيْهِ﴾ به^(٥).

ونزل في اليهود: [١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الناس ﴿مَّا أُنزِلْنَا مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كآية الرجم وعت محمد ﷺ ﴿وَمَنْ بَدَّ مَا بَيَّنَّكَ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يعدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة.

[١٦٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ غَمَلَهُمْ ﴿وَيَتَّبِعُوا﴾ ما كَتَبُوا ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. [١٦١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، ﴿وَالنَّاسِ﴾ قيل: عامٌّ. وقيل: المؤمنون. [١٦٢] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة والنار المدلول بها عليها ﴿لَا يَصْفَقُهُمْ عَلَيْهِمُ الْمُؤَدَّبُونَ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُهْمَلُونَ توبة أو لعنذرة. ونزل - لما قالوا: ﴿صِفْ لَنَا رَبِّكَ﴾^(٦): [١٦٣] ﴿وَاللَّهُكَ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَهٌُ وَحْدٌ﴾ لا نظير له؛ لا في ذاته ولا في صفاته ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. وطلبوا آية على ذلك؛ فنزل:

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٥﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالسَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَاءِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَّا أُنزِلْنَا مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِمَّا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَى عَنْهُمْ عَذَابٌ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَاللَّهُ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٤﴾

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم ﴿أَمُوتَ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خُضِرَ تَشْرَحُ في الحِجَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ؛ لحديث بذلك^(١) ﴿وَلَكِنْ لَّا تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ما هم فيه. [١٥٥] ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ للعدو ﴿وَالْجُوعِ﴾ القحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالهلاك ﴿وَالنَّفْسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿وَالسَّمَرَاتِ﴾ بالجواحش؛ أي: لنختبركم؛ فننظر أن تصبرون أم لا؟ ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء بالجنة. هم [١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ بلاء ﴿قَالُوا إِنَّا﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٥٨): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: سألت عائشة ﷺ فقلت لها: رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَاءِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفاء والمروة؛ قالت: بس ما قلت يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يثرب أن يطوف بالصفاء والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك؛ قالوا: يا رسول الله، إننا كنا نتخرج أن تطوف بين الصفا والمروة. فأقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَاءِ اللَّهِ﴾ الآية، قالت عائشة ﷺ: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما. ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته. ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم يذكر أن الناس - إلا من ذكرت عائشة من كان يهل بمناة - كانوا يطوفون كلهم بالصفاء والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن؛ قالوا: يا رسول الله، كنا تطوف بالصفاء والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن تطوف بالصفاء والمروة؟ فأقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَاءِ اللَّهِ﴾ الآية. قال أبو بكر: فأسع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٧٩) وجوب الصفا والمروة.

(١) وهو قوله ﷺ: فأرواح الشهداء في أجواف طيور خُضِرَ ترُدُّ أُنْهَارَ الحِجَّةِ، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل مغلقة في ظل العرش. مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود. (٢) مسلم (٩١٨) بيهو من حديث أم سلمة. (٣) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٣٣). (٤) وهذا تأويل كما هو مذهبه في الصفات؛ والصفوات إثبات هذه الصفة وغيرها. الثابت بالكتاب والسنة. لله على الوجه اللاتق به - شيعانته. ومن لازمه إتمامه على من يرحم. (٥) ورواه أحمد في المسند (٢٧٤٧٤) من حديث حبيبة بنت أبي جراح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٦٨). (٦) ضعف بهذا اللفظ بصيغة الأمر، وضح بلفظ «بدأ بما بدأ الله به» وبلغ «أبدأ بما بدأ الله به» عند مسلم وغيره (مسلم ١٢١٨).

(٧) حمزة والكسائي. (٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٢٤٥/١) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب في بيان الأسباب (٩٠/١).

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ مِمَّا يَنْزِلُ فِي الْبَحْرِ يَمَسُّ مِنْهَا مِنَ الْمَاءِ﴾ لا ترسب موقرة ﴿يَمَسُّ مِنْهَا مِنَ الْمَاءِ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ مَطْرًا فَاتَّخِذُوا بِهِ الْوَسِيلَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يَسْبِقُهَا ﴿وَبَيْنَ﴾ فَوْقَ وَتَسْتَرْ بِهَا ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتٍ﴾ لأنهم يسمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَضْرِيفِ الْيَمِّ﴾ تغليبها جنوباً وشمالاً، حارةً وباردةً ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسَخَّرِ﴾ المذلل بأمر الله - تعالى - يسير إلى حيث شاء الله ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لَا يَتَّبِعُ﴾ دالات على وحدانيته - تعالى - ﴿يَقُولُونَ﴾ يتدبرون.

[١٦٥] ﴿وَمَنْ آتَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ نَسَبٍ﴾ أي: غيره ﴿أَنْدَادًا﴾ أصنامًا ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَمَا حَبَّبَ اللَّهُ﴾ أي: كحبهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْشَدُوا حُبًّا لِلَّهِ﴾ من حبهم للأنداد؛ لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ [رَبَّكَ]﴾ (١) تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (٢)؛ يصرون (٣) ﴿الْعَذَابِ﴾ لرأيت أمراً عظيماً، ﴿إِذْ﴾ بمعنى إذا ﴿أَنْ﴾ أي: لأن ﴿الْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿بِهِمَا جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وفي قراءة: ﴿بِرِّي﴾ بالتحانية، والفاعل ضمير السامع (٤)، وقيل: «الذين ظلموا»؛ فهي بمعنى يعلم، و«أن» (٥) وما بعدها (٦) سدت مسد المفعولين (٧)، وجواب «لو» محذوف؛ والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة، لما اتخذوا من دونه أنداداً.

[١٦٦] ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿وَمِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: أنكروا إضلالهم ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ وعطف على ﴿تَبَرَّأَ﴾ ﴿بِهِمْ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابِ﴾ الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَّبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي: التبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ اليوم، «ولو» للتعني، و«تبرأ» جوابه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما أراهم شدة عذابه، وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيفة ﴿حَسْرَتٍ﴾ حال؛ ﴿تَدَامَاتٍ﴾ (٨) ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وما هم يخرجون من النار بعد دخولها.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ مِمَّا يَنْزِلُ فِي الْبَحْرِ يَمَسُّ مِنْهَا مِنَ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَاهُ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيْنَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتٍ وَتَضْرِيفِ الْيَمِّ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَّتْ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَنْ آتَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ نَسَبٍ دُونَ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا وَإِنَّمَا كَذَلِكَ يَجْتَبِئُهُمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

ونزل فيمن حَزَمَ السَّوَابِ ونحوها: [١٦٨] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا﴾ حال ﴿طَيِّبًا﴾ صفة مؤكدة؛ أي: مُشْتَبِلًا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزييه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ القبيح شرعاً ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون: (بِرِّي).

(٢) أي: بضم الياء، لابن عامر. وقرأ الباقون: (تَرَوْنَ) بالبناء للفاعل.

(٣) على القراءة الأولى: يصرون، وعلى الثانية: يُحْسِرُونَ.

(٤) لو قال: ضمير الرائي؛ لكان أظهر.

(٥) أي: الأولى مع معموليها.

(٦) وهو «أن» الثانية مع معموليها.

(٧) أي: فلذلك وجب فتحها، وإن لم يصح تأويلها بالمفرد؛ لأن وجوب الفتح مداره على أحد أمرين: إما تأويلها بالمصدر، وإما وقوعها موقع المفعولين لعلم - كما هنا - مع عدم التعليق باللام.

(٨) جمع تدامة.

ولا يفهم معناه؛ أي: في سماع الموعظة وعدم تدبرها؛ كالبهايم؛ تسمع صوت راعيها ولا تفهمه^(١)، هم ﴿صُمُّ بِكُمْ عَمَىٰ فَهَمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة.

[١٧٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلِمًا مِنْ رَبِّكَ يُكَلِّمُ فِيهَا مَن يَشَاءُ لِيُخَوِّفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَصَمٌّ أَمْ كَانُوا هُمْ يَسْمَعُونَ﴾

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلها؛ إذ الكلام فيه، وكذا

ما بعدها؛ وهي: ما لم يُذَكَّرْ شَرَعًا، وألحق بها بالسنة ما أئين من حي؛ وخص منها السمك والجراد ﴿وَالدَّمَّ﴾ أي: المسفوح؛ كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ خُصَّ اللحم؛ لأنه معظم المقصود، وغيره تبع له ﴿وَمَا أُهْلَ بِهِ﴾

ليُغَيَّرَ اللَّهُ ﴿أي: ذُبِحَ عَلَىٰ اسْمِ غَيْرِهِ، والإهلالُ رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لألبيتهم ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ أي: ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما

ذُكِرَ، فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ مُتَعَدِّ عَلَيْهِمْ بقطع الطريق^(٢) ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه

﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته؛ حيث وسع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي، ويلحق بهما كل عاص بسفره؛ كالأبي والمكاس^(٣)؛ فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي.

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المشتغل على نعت محمد ﷺ؛ وهم: اليهود ﴿وَنَسُوا﴾ أي: نسيوا ﴿بِهِ﴾ نسيًا قليلًا من الدنيا، يأخذونه بدلًا من سفلتهم، فلا يظهرونه؛ خوف فوته عليهم ﴿أُولَئِكَ مَا

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها مألهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ غضبًا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يظهرهم من دنس الذنوب

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم من النار.

[١٧٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْرَرْنَا إِلَيْكَ الْهَدَىٰ﴾ أخذوها بدلًا في الدنيا ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكنوا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾ عَلَى النَّارِ ﴿أي: ما أشد صبرهم!! وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم

موجباتها من غير مبالاة، وإلا فأبى صبر لهم.

[١٧٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار، وما بعده ﴿يَأْنُ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ سَرَّلَ﴾ السكت ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب﴿سَرَّلَ﴾؛ فاختلفوا فيه؛ حيث آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه بكنمه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بذلك

- وهم اليهود، وقيل: المشركون في القرآن؛ حيث قال بعضهم: شعر. وبعضهم: سحر. وبعضهم: كهانة - ﴿لَبَّى شِقَاقِ﴾ خلاف ﴿بِعِيدِ﴾ عن الحق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: الكفار: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلْ نَسْبَحُ مَا اتَّبَعْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوابب والباطل.

قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَأَبَوْا أَن يُخَالِفُوا بِحُكْمِ اللَّهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَسْتَدِينُونَ﴾ إلى الحق؟! والهمزة للإنكار.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن دعواهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ بصوت ﴿يَا﴾^(٤) لا يسمع إلا دُعَاةَ وَيَدَاةَ ﴿أي: صوتًا،

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَسْبَحُ مَا اتَّبَعْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٢﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ يَمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاةَ وَيَدَاةَ صُومٌ بِكُمْ عَمَىٰ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلِمًا مِنْ رَبِّكَ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ أَتَىٰ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ ثِمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْرَرْنَا إِلَيْكَ الْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: الكفار: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلْ نَسْبَحُ مَا اتَّبَعْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوابب والباطل.

قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَأَبَوْا أَن يُخَالِفُوا بِحُكْمِ اللَّهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَسْتَدِينُونَ﴾ إلى الحق؟! والهمزة للإنكار.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن دعواهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ بصوت ﴿يَا﴾^(٤) لا يسمع إلا دُعَاةَ وَيَدَاةَ ﴿أي: صوتًا،

(١) الباء بمعنى: على.

(٢) وقيل في تفسيره - أيضًا -: الثلل مضروب لشيء الكافر في دعائه للأصنام بالناعق على البهايم. وقيل غير ذلك.

(٣) وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: في الميتة. أي: غير طالب للمحرم مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: متجاوز الحد في تناول ما ألبح له اضطراء؛ أي: لا يشبع منها.

(٤) الأبق: العبد الهارب من سيده، و «المكاس»: «التكس»: بفتح الميم: الخيانة، والمراد به: الذي يأخذ الضريبة ظلماً.

[١٧٧] ﴿لَيْسَ آيِرَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿يَكِلَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ﴾ نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ حَيْثُ زَعَمُوا ذَلِكَ ﴿وَلَكِنَّ الْآيِرَ﴾ أَي: ذَا الْبَرِّ، وَقُرَى^(١) بَفَتْحِ الْبَاءِ؛ أَي: الْبَارِ ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وَالنَّبِيَّاتِ وَالْكِتَابِ ﴿أَي: الْكُتُبِ﴾ وَالنَّبِيِّينَ ﴿وَأَقَى النَّالَ عَلَ﴾ مَعَ ﴿حُبِّهِ﴾ لَهُ ﴿ذَوِي الشَّرَفِ﴾ الْقَرَابَةُ ﴿وَالْيَتَمَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ الْمَسَافِرِ وَالسَّائِلِينَ وَالطَّالِبِينَ ﴿وَفِي﴾ فَكٌ ﴿الرِّقَابِ﴾ الْمَكَاتِينِ وَالْأَسْرَى ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَقَى الزَّكَاةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ، وَمَا قَبْلَهُ فِي التَّطَوُّعِ ﴿وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ اللَّهُ أَوْ النَّاسَ ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَدْحِ^(٢) ﴿فِي الْبِأْسَاءِ﴾ شِدَّةِ الْفَقْرِ وَالضَّرِّ وَالْمَرَضِ ﴿وَيَسِّرَ الْبَأْسَ﴾ وَقَتَّ شِدَّةَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذَكَرَ ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فِي إِيْمَانِهِمْ أَوْ ادَّعَى الْبِرَّ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ اللَّهُ.

[١٧٨] ﴿فَاتَّبَعَ الَّذِينَ آمَنُوا كَيْتَ﴾ فُرِضَ عَلَيْكُمْ الْقَصَاصُ الْمَائِلَةَ ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ وَصِفًا^(٣) وَفِعْلًا^(٤) ﴿الْحَرْجُ﴾ يُقْتَلُ بِالْحَرْجِ وَلَا يُقْتَلُ بِالْعَبْدِ وَالْعَبْدُ بِالْأَنْثَى وَالْعَبْدُ بِالْمَعْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ﴿وَيَسِّرَ الشُّنَّةَ أَنْ الذَّكَرَ يُقْتَلُ بِهَا^(٥)، وَأَنَّهُ تُعْتَبَرُ الْمَائِلَةُ فِي الدِّينِ؛ فَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ لَوْ عُبِدَ بِكَافِرٍ وَلَوْ حَرْجًا^(٦) ﴿فَمَنْ عَفَى﴾ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْقَاتِلِينَ ﴿وَمَنْ دَمَ﴾ آيَتِهِ الْمَقْتُولِ ﴿مَنْ﴾ بِأَنْ تَرَكَ الْقَصَاصَ مِنْهُ، وَتَنكِيرٌ ﴿مَنْ﴾ يَفِيدُ سِقَاطَ الْقَصَاصِ بِالْعَفْوِ عَنْ بَعْضِهِ^(٧) وَمِنْ بَعْضِ الْوَرَقَةِ، وَفِي ذِكْرِ ﴿آيَتِهِ﴾ تَعَطُّفٌ^(٨) ذَاغَ إِلَى الْعَفْوِ، وَإِبْدَانٌ بِأَنْ الْقَتْلَ لَا يَقْطَعُ أَخُو الْإِيْمَانِ^(٩)، وَ«مَنْ» مُبْتَدَأٌ شَرْطِيَّةٌ أَوْ مُوَصُولَةٌ، وَالْحَيْرُ: ﴿فَاتَّبَعَ﴾ أَي: فَعَلَى الْعَافِي اتِّبَاعٌ لِلْقَاتِلِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِأَنْ يَطَالِبَهُ بِالدَّبَّةِ بِلَا عَنَفٍ، وَتَرْتِيبُ الْإِتِّبَاعِ عَلَى الْعَفْوِ يَفِيدُ أَنَّ الْوَاجِبَ أَحَدَهُمَا، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ، وَالثَّانِي: الْوَاجِبُ الْقَصَاصُ، وَالِدَّبَّةُ يَدُلُّ عَلَيْهِ؛ فَلَوْ عَفَا وَلَمْ يَسْمَعْهُ فَلَا شَيْءَ وَرَجَحٌ ﴿وَفِي﴾ عَلَى الْقَاتِلِ ﴿أَذَانَةً﴾ الدَّبَّةِ ﴿إِلَيْهِ﴾ أَي: الْعَافِي؛ وَهُوَ الْوَارِثُ ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بِلَا مَطْلٍ وَلَا بَخْسٍ ﴿ذَلِكَ﴾ الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ مِنْ جَوَازِ الْقَصَاصِ وَالْعَفْوِ عَلَيْهِ عَلَى الدَّبَّةِ ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تَسْهِيلٌ ﴿مَنْ رَزَيْكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بِكُمْ؛ حَيْثُ وَسِعَ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَحْتَمِ أَحَدًا مِنْهُمَا؛ كَمَا حَتَمَ عَلَى الْيَهُودِ الْقَصَاصَ، وَعَلَى النَّصَارَى الدَّبَّةَ ﴿فَمَنْ عَفَى عَنْ قَتْلِهِ﴾ بِالْمَعْرُوفِ ﴿بِعَدْلٍ﴾ ذَلِكَ؛ أَي: الْعَفْوُ ﴿فَلَمْ يَكُنْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤَلِّمٌ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، أَوْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ.

[١٧٩] ﴿وَكَمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَوَةٌ﴾ أَي: بَقَاءٌ عَظِيمٌ ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ ذَوِي الْعُقُولِ؛ لِأَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ ارْتَدَعَ؛ فَأَخْبَتَا نَفْسَهُ وَمَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ؛ فَشَرَعَ لِمَلَكَتِهِمْ تَتَّقُونَ الْقَتْلَ؛ مَخَافَةَ الْقَوْدِ. [١٨٠] ﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ أَي: أَسْبَابُهُ^(١٠) ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ مَالًا

﴿لَيْسَ آيِرَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ وَلَكِنَّ الْآيِرَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكَةَ وَالْكِتَابَ وَالنَّبِيِّينَ وَأَقَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَمَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَقَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبِأْسَاءِ وَالضَّرِّ وَالْمَرَضِ وَبِئْسَ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْجُ بِالْحَرْجِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْلٍ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَكَرُمٌ فِي الْقَصَاصِ حَيَوَةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَدَاكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلذَّكَرِ وَاللِّأُنثَى وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا أَثْمُهُ وَعَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ

﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مَرْفُوعٌ بِ«كُتِبَ»^(١١)، وَمَتَّلَقٌ بِ«إِذَا» إِنْ كَانَتْ ظَرْفِيَّةً^(١٢)، وَدَالٌ عَلَى جَوَابِهَا إِنْ كَانَتْ شَرْطِيَّةً، وَجَوَابُ^(١٣) «إِنْ» أَي: فليُوصِ لِلذَّكَرِ وَاللِّأُنثَى بِالْمَعْرُوفِ بِالْعَدْلِ بِأَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ، وَلَا يُفْضَلُ الْغَنِيُّ حَقًّا، مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اللَّهُ، وَهَذَا مَسْنُوعٌ بِأَيَّةِ الْمِرَاثِ، وَبِحَدِيثِ: «لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»^(١٤) [رواه الترمذي].

[١٨١] ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أَي: الْإِبْصَاءَ مِنْ شَاهِدٍ وَوَصِيٍّ ﴿بَعْدَمَا سَمِعْتُمْ﴾ عِلْمَهُ ﴿فَاتَّبَعُوا إِتْمَامًا﴾ أَي: الْإِبْصَاءَ الْمُبَدَّلَ ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ فِيهِ إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ الْمَضْمُونِ^(١٥) «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لِقَوْلِ الْمُوصِي «عَلَيْكُمْ» بِفِعْلِ الْوَصِيِّ؛ فَمُجَازٌ عَلَيْهِ.

(١) أي شدوذاً.

(٢) وليس المراد أنه يقدر عامل من مادة «مدح» فقط؛ بل المراد أنه معمول لفعل محذوف كأخص أو أذكر أو أمدح؛ وهو للتبني على فضيلة الصبر.

(٣) بأن يكون القتال مثل المقتول أو أدنى منه، ولا فلا قود.

(٤) كما عند البخاري (٢٤١٣)، ومسلم (١٦٧٢) من حديث أنس؛ أن النبي ﷺ أمر برض - دق - رأس يهودي بين حجرين؛ لرثه رأس جارية.

(٥) كما عند البخاري (٣٠٤٧)، ومسلم (١٣٧٠) من حديث علي مرفوعاً: «لا يقتل مسلم بكافر».

(٦) أي: القصاص، ولو شيئاً يسيراً كمشره، وذلك إذا كان الولي واحداً وعفا عن بعض القصاص.

(٧) أي: من الله ﷻ.

(٨) أي: علاماته؛ كالأمراض الشديدة والجراحات التي يظن منها الموت عادة.

(٩) أي: محضنة، لم يكن فيها معنى الشرط، بل المراد منها الوقت والزمن. وتقدير الكلام: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْوَصِيَّةُ إِذَا حَضَرَ أَي: وَقْتُ حُضُورِ الْمَوْتِ».

(١٠) أي: دال على جواب «إن»، (١٤) صحيح سنن الترمذي (٢٢١٨).

(١١) أي: مع مراعاة معنى «من»، ولو راعى لفظها فقال: على الذي بدله. ولو أضمر لقال: عليه.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ فَلَا إِنَّمَا عَلَيْهِ إِنْ آتَى اللَّهُ عَفْوَ رَجِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيُّهَا مَا مَعَدُّوا ذَاتَ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَإِنْ تَصَوْمُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِعَالَمِهِمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ مُخَفَّفًا وَمُنْفَلًا﴾ (١) ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَا إِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَجِيمٌ﴾.

[١٨٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي؛ فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها.

[١٨٤] ﴿أَيُّهَا مَا مَعَدُّوا﴾ نصب بالصيام، أو «صوموا» مقدرًا ﴿تَمَعَدُّواذَاتَ﴾ أي: قلائل أو موقنات بعدد معلوم؛ وهي: رمضان؛ كما سيأتي، وَقَلَّلهُ تسهلاً على المكلفين ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ﴾ حين شهوده ﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافراً سفر القصر، وأجهد الصوم في الحالين؛ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعلية عدة ما أفطر ﴿وَمِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ بصومها بدله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ لكبر أو مرض لا يُجِزِي برؤيه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي: ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه؛ وهو: مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة ﴿فِدْيَةٌ﴾ (٢)، وهي للبيان - وقيل: (لا) غير مقدره (٣)، وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نَسَخَ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد؛ فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي: التطوع ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

تلك الأيام [١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال؛ هادياً من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ آيات واضحات ﴿وَمِنْ الْفُرْقَانِ﴾ بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَمِنْ﴾ من ﴿الْفُرْقَانِ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر ﴿بِنَهْمٍ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله، وكرر؛ لئلا يتوهم بنسخه بتعميم من شهد (٤) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر؛ ولكون ذلك في معنى العلة أيضاً؛ للأمر بالصوم (٥) ﴿عَطَفَ عَلَيْهِ﴾ ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد (٦) ﴿الْعِدَّةَ﴾ أي: عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَيْتُمْ﴾ أرشدكم لمعالج دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

وسأل جماعة النبي ﷺ: أقرئ ربنا فتناجيه أم يعيد فتناديه؟ فنزل: [١٨٦] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (٧) منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِلِعَالَمِهِمْ يَرْشُدُونَ﴾ بهتدون.

(١) بفتح الواو وتشديد الصاد حمزة والكسائي وشعبة.
 (٢) لنافع وابن ذكوان، ومع جمع ﴿مَسْكِينٍ﴾ لنافع وابن عامر.
 (٣) أي: لفظه لآله غير مقدره في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾، وعلى التفسير الأول بتقدير لآله تكون الآية محكمة، وعند عدم التقدير تكون منسوخة.
 (٤) فإنه يعم المسافر وغيره والمرضى وغيره.
 (٥) أي: صوم القضاء يعني: من غير تعقيد بتتابع أو غيره.
 (٦) أي: بتشديد الميم مع فتح الكاف لشعبة.
 (٧) أخرجه ابن جرير والبخاري في معجمه وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الضُّبِّي بن حكيم عن أبيه عن جده. وفي الدر المنثور: عن طريق الضُّبِّي بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده (٣٥٢/١). وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان (٤٨١/٣).

حَتَّى لَا تَكُونَ تَوَجَّدَ فِي شَرِكٍ ﴿١٩٤﴾ وَتَكُونَ الَّذِينَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحده، لَا يُعْبُدُ سِوَاهُ ﴿١٩٥﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا عَنِ الشَّرِكِ، فَلَا تَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ؛ ذَلَّ عَلَى هَذَا: ﴿فَلَا عُدُونَ﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وَمَنْ انْتَهَى فَلَيْسَ بِظَالِمٍ؛ فَلَا عُدُونَ عَلَيْهِ. [١٩٤] ﴿الْمَنْعَرُ لَقَرَامٌ﴾ الحرم مقابل ﴿بِالْمَنْعَرِ﴾ والْمَنْعَرُ جمع حرمة؛ مَا يَجِبُ احْتِرَامُهُ ﴿فِيصَاصٌ﴾ أي: يُقْتَصَصُ بِمِثْلِهَا إِذَا انْتَهَيْتَ ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ سَقَى مِقَابِلَهُ اعْتِدَاءً؛ لِشِبْهِهَا بِالمِقَابِلِ فِي الصُّورَةِ ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ فِي الْإِنْتِصَارِ وَتَرَكَ الْإِعْتِدَاءَ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَعَّ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر. [١٩٥] ﴿وَأَفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طَاعَتُهُ بِالْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿وَلَا تَقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: أَنْفُسَكُمْ، وَالبَاءُ زَائِدَةٌ ﴿إِلَى الْهَيْكَلَةِ﴾ الْهَيْكَلُ؛ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ النَّفَقَةِ فِي الْجِهَادِ^(١)، أَوْ تَرْكِهِ؛ لِأَنَّهُ يَقْوِي الْعَدُوَّ عَلَيْكُمْ ﴿وَأَخْسِنُوا﴾ بِالنَّفَقَةِ وَغَيْرِهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: بِبَيْتِهِمْ^(٢).

[١٩٦] ﴿وَأَنْبِئُوا النَّجَّ وَالْمَنْرَةَ بِاللَّهِ﴾ أَدْوَمَاهُمَا بِحَقُوقِهِمَا ﴿فَإِنِ أَحْسَبْتُمْ﴾ مُبَغِثٌ عَنِ إِتْمَانِهَا بَعْدَهُ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تَيْسَرَ ﴿مِنْ أَلْمَدِيِّ﴾ عَلَيْكُمْ؛ وَهُوَ شَاةٌ ﴿وَلَا تَحْمِلُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أي: لَا تَحْتَلِلُوا ﴿حَتَّى تَبْلُغَ أَلْمَدِيُّ﴾ الْمَذْكُورَ ﴿حِمْلَهُ﴾ حَيْثُ يَجَلُّ ذَبْحُهُ؛ وَهُوَ: مَكَانُ الْإِحْصَارِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ؛ فَيُذْبَحُ فِيهِ بَنِيَّةُ التَّحْلِلِ، وَيَفْرَقُ عَلَى مَسَاكِينِهِ، وَيَحْلِقُ، وَبِهِ يَحْصُلُ التَّحْلِيلُ. ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ تَرَبِّصًا أَوْ بَدَأَ أَدَى مِنْ زَأْبِيهِ﴾ كَمَلَّ وَصَدَّاعٌ؛ فَحَلَقَى فِي الْإِحْرَامِ ﴿فَوَيْدِيَّةٌ﴾ عَلَيْهِ ﴿مِنْ صِيَارٍ﴾ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴿أَوْ صَدَقَةً﴾ بِثَلَاثَةِ أَصْعٍ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينٍ ﴿أَوْ نَسِيئًا﴾ أي: ذَبْحَ شَاةٍ، وَأَوَّلُ التَّخْيِيرِ، وَالْحَقُّ بِهِ مَنْ حَلَقَ لغيرِ عَدْرٍ؛ لِأَنَّهُ أَوْلَى بِالْكَفَّارَةِ، وَكَذَا مَنْ اسْتَمْتَعَ بِغَيْرِ الْحَلْقِ؛ كَالطَّيِّبِ وَاللَّبِيسِ وَالدَّهْنِ لَعَدْرٍ أَوْ غَيْرِهِ ﴿وَإِذَا أَسَيْتُمْ﴾ الْعَدُوَّ، بَانَ يَذْهَبُ، أَوْ لَمْ يَكُنْ ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ﴾ اسْتَمْتَعَ ﴿بِالْعَمْرَةِ﴾ أي: بِسَبَبِ فِرَاقِهِ مِنْهَا بِمَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ^(٣) ﴿إِلَى النَّجَّ﴾^(٤) أي: إِلَى الْإِحْرَامِ بِهِ بَأَنَّ يَكُونُ أَحْرَمَ بَهَا فِي أَشْهُرِهِ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تَيْسَرَ ﴿مِنْ أَلْمَدِيِّ﴾ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ: شَاةٌ يَذْبَحُهَا بَعْدَ الْإِحْرَامِ بِهِ، وَالأَفْضَلُ يَوْمَ النَّحْرِ^(٥) ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الْهَدْيَ؛ لَفَقْدِهِ أَوْ قَدَمْتُهُ ﴿فَصِيَامٌ﴾ أي: فَعَلِيهِ صِيَامٌ ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي النَّجَّ﴾ أي: فِي حَالِ الْإِحْرَامِ بِهِ؛ فَيَجِبُ حَيْثُذِي أَنْ يُحْرَمَ قَبْلَ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالأَفْضَلُ قَبْلَ السَّادِسِ؛ لِكَرَاهَةِ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَلَا يَجُوزُ صَوْمُهَا أَيَّامَ التَّشْرِيقِ عَلَى أَصَحِّ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ ﴿وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إِلَى وَطَنِكُمْ مَكَّةَ أَوْ غَيْرِهَا، وَقِيلَ: إِذَا فَرَعْتُمْ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ، وَفِيهِ

وَأَقْبَلُوهُمُ حَيْثُ تَقِفْتُمْهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْهُمْ وَأَفِيقُوا أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوا فِيهِ فَإِنِ قَتَلْتُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩٦﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٧﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٨﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحَرَمُ كَقِصَاصٍ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٩﴾ وَأَفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠٠﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنِ أَحْسَبْتُمْ رُوفاً اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْمِلُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ رَضًا أَوْ بَدَأَ مِنْ رَأْسِهِ فَفَدِيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نَسِيئَةٍ فَإِذَا أَسَيْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعَمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فصيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠١﴾

[١٩١] ﴿وَأَقْبَلُوهُمُ حَيْثُ تَقِفْتُمْهُمْ﴾ وَجَدْتُمْهُمْ ﴿وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْهُمْ﴾ مِنْ مَكَّةَ، وَقَدْ فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ عَامَ الْفَتْحِ ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشَّرِكُ مِنْهُمْ ﴿أَشَدُّ﴾ أَعْظَمُ ﴿مِنْ الْقَتْلِ﴾ لَهُمْ فِي الْحَرَمِ وَالْإِحْرَامِ الَّذِي اسْتَعْظَمْتُمُوهُ ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: فِي الْحَرَمِ ﴿حَتَّى يَقْتُلُواكُمْ فِيهِ فَإِنِ قَتَلْتُمْ فِيهِ﴾ فَاقْتُلُوهُمْ فِيهِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِلَا أَلْفٍ فِي الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ^(١) ﴿كَذَلِكَ﴾ الْقَتْلُ وَالْإِحْرَاجُ ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. [١٩٢] ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عَنِ الْكُفْرِ وَأَسْلَمُوا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لَهُمْ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ. [١٩٣] ﴿وَقَتْلُوهُمْ

= من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكانه غير بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الشِّيْطَانَ مِنْ ظُهُورِكُمْ وَكَذَلِكَ أَلْبَسَ مِنَ الشَّرِّ وَأَتَى الشِّيْطَانَ مِنْ ظُهُورِكُمْ...﴾ الآية. البخاري - كتاب العمرة (٢٦). وفي رواية عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فانزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الشِّيْطَانَ مِنْ ظُهُورِكُمْ...﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٢٩).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٥): أخرج أبو داود عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة زيد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مئة مئة، لا إله إلا الله، يلقي يديه إلى التهلكة! فقال أبو أوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام، قلنا: هلم نقيم في أمواتنا ونصلحها، فانزل الله تعالى: ﴿وَأَفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْهَيْكَلَةِ﴾؛ فالإلقاء بالأيدي إلى الهلكة: أن نقيم في أمواتنا، ونصلحها، وندع الجهاد... أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٣).

= تهيج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي: كما يقاتلونكم فاقبلوهم أتمم؛ كما قال: ﴿وَقَتْلُوهُمْ مِثْلَ قَتْلِهِمْ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً﴾؛ ولهذا قال في هذه الآية: ﴿وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمْهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْهُمْ﴾ أي: لتكون همتمكم منبذة على قتالهم كما أن همتهم منبذة على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قساصاً. وقوله: ﴿وَلَا تَمَتُّدُوا﴾ أي: قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي... من المَلَكَةِ وَالْعُقُولِ، وَقَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالشُّوْخِ الَّذِينَ لَا رَأْيَ لَهُمْ وَلَا قَاتِلَ فِيهِمْ، وَالرَّهْيَانِ، وَأَصْحَابِ الصَّوَامِعِ، وَتَحْرِيقِ الْأَشْجَارِ، وَقَتْلِ الْحَيَوَانِ لغير مصلحة....

(٢) وهذا مذهب الأشاعرة وأمثالهم من المبتدعة الذين يؤولون الصفات بدعوى أنها تورم نقضاً في حق الخالق، أما أهل السنة فيثبتونها لله على ما يليق بجلاله، من غير أن يقضي ذلك نقضاً أو تشبيهاً، كما يثبتون لازمها؛ وهو: إرادته - سبحانه - إكرام أهل محبته وإثابتهم، وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

(٣) متعلق بتمتع. (٤) متعلق بمحذوف؛ أي: واستمر تمته وانتفاعه بالمحظورات إلى الحج. (٥) هذا قول الشافعي. والجمهور على أن وقت ذبحه يوم النحر، فلا يجوز ذبح الهدي قبله كالأضحية.

التفات عن الغيبة^(١). **﴿وَتِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾** جملة تأكيد لما قبلها **﴿ذَلِكَ﴾** الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع **﴿لَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْمَرْأَةِ﴾** بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي، فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع، وفي ذكر الأهل إشعار باشتراك الاستيطان؛ فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن فعله ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني؛ لا، والأهل كناية عن النفس^(٢)، وألحق بالمتمتع - فيما ذكر السنة - الفأرن؛ وهو: من أحرم بالعمرة والحج معاً أو يُذخِل الحج عليها قبل الطواف^(٣) **﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾** فيما يأمركم به وينهاكم عنه **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَيَذِيقُ الْعَاقِبَ لِمَنْ تَخَالَفَهُ﴾**.

[١٩٧] **﴿الْحَجَّ﴾** وقته **﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ﴾** شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة، وقيل: كله **﴿مَنْ قَرَضَ﴾** على نفسه **﴿فِيهِ الْحَجَّ﴾** بالإحرام به **﴿فَلَا زَنْتَ﴾**^(٤) جماع فيه **﴿وَلَا فُسُوقٌ﴾**^(٥) **﴿مُتَّصٍ﴾** ولا جدال **﴿حِصَامٍ﴾** في **﴿الْحَجَّ﴾** وفي قراءة: بفتح الأولين^(٦)، والمراد في الثلاثة النهي **﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ﴾** كصدقة **﴿يَسْأَلُكُمْ اللَّهُ﴾** فيجازيكم به.

ونزل في أهل اليمن - وكانوا يحجون بلا زاد؛ فيكونون كلأ على الناس^(٧) - **﴿وَسَكَرُودُوا﴾** ما يبلغكم لسفركم **﴿فَلَيْتَ حَيْرَ الزَّادِ النَّقِيُّ﴾** ما يبقى به سؤال الناس وغيره **﴿وَأَتَقُوا يَا أُولَى الْأَلْبَابِ﴾** ذوي العقول [١٩٨] **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** في **﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾** طلبوا **﴿فَضَلًا﴾** رزقاً **﴿وَبَيْنَ رَيْبِكُمْ﴾** بالتجارة في الحج، نزل رزداً لكرهتهم ذلك^(٨) **﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ﴾** دفعتم **﴿وَبَيْنَ عَرَاقَتِ﴾** بعد الوقوف بها **﴿فَإَذْكُرُوا اللَّهَ﴾** بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء **﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾** هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: قُوح^(٩). وفي الحديث: **﴿اللَّهُ يَلْبَسُهُ وَقَفَّ بِهِ، يَذْكُرُ اللَّهُ وَيَدْعُو، حَتَّى أَشْفَرَّ جَدًّا﴾**^(١٠) [رواه مسلم] **﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ﴾** لعالم دينه ومناسك حجه، والكاف للتعليل **﴿وَأَنْ مَخْفَةٌ﴾** **﴿كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾**

قبل هدايته **﴿لِيَمُنَّ الْمَسْأَلِينَ﴾** [١٩٩] **﴿ثُمَّ أَيْضُوا﴾** يا قريش **﴿وَبَيْنَ حَيْثُ أَكَاصَ النَّكَاسِ﴾** أي: من عرفه؛ بأن تقفوا بها معهم، وكانوا يقفون بالمزدلفة؛ ترفعان عن الوقوف معهم، و«ثم» للترتيب في الذكر **﴿وَأَسْتَنْبِئُوا اللَّهَ﴾** من ذنوبكم **﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾** للمؤمنين **﴿رَجِيمٌ﴾** بهم^(١١) [٢٠٠] **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ أَدْبَاتُمْ﴾** **﴿نَسَائِكُكُمْ﴾** عبادات حجكم؛ بأن رَمَيْتُمْ جِمْرَةَ الْعَقِيبَةِ وَطَعْتُمْ وَاسْتَقْرَضْتُمْ بَيْنِي **﴿فَإَذْكُرُوا اللَّهَ﴾** بالتكبير والنساء **﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾** كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة^(١٢) **﴿أَوْ أَسْأَلُكُمْ﴾** من ذكركم بإهام، ونصب **﴿أَسْأَلُكُمْ﴾** على الحال من ذكر المنصوب به [اذكروا]؛

الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ مَن قَرَضَ فِيهِ الْحَجَّ فَلَا رَيْبَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقِيُّ وَأَتَقُوا يَا أُولَى الْأَلْبَابِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَاقَتِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَاصَ النَّكَاسِ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَجِيمٌ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسَكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْذَكَرَافِمَنِ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ

إذ لو تأخر عنه لكان صفة له **﴿قِيَوْمَ النَّكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا﴾** نصيباً **﴿فِي الدُّنْيَا﴾** فيؤتاه فيها **﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾** نصيب [٢٠١] **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾** نعمة **﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾** هي الجنة **﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** بعدم دخولها، وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين، والقصد به الحث على طلب خير الدارين، كما وعد بالثواب عليه بقوله: [٢٠٢] **﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾** ثواب **﴿مِنْ أَجْلِ﴾** من أجل **﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾** عملوا من الحج والدعاء **﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا؛ لحديث

= وأخرج البخاري عن حذيفة: **﴿وَأَنْبِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾** قال: نزلت في النفقة البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣١).
 (٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٧): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوهم الناس، فأقول الله تعالى: **﴿وَسَكَرُودُوا﴾** فليأتهم الله تعالى: [٢٠٠] **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ أَدْبَاتُمْ﴾** البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٦) قول الله تعالى: **﴿وَسَكَرُودُوا...﴾**
 (٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنته وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام، كأنهم تأمروا، فنزلت: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾**. البخاري - كتاب البيوع (٣٤) باب (١).
 (٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٩): أخرج البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب =

(١) حيث روعي معنى ضمير الجمع **﴿مَنْ﴾**، ولو روعي اللفظ لقل: إذا رجع، بضمير الغيبة.
 (٢) وهو معنى بعيد، والأولى ما قاله غيره: من أن المراد بالأهل: الزوجة والأولاد دون الآباء والإخوة؛ ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك، وإنما عبر بالأهل لكون شأن التوطن يكون بذلك.
 (٣) أي: قبل الشروع في طوافها. (٤)، (٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: **﴿فَلَا رَيْبَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾** بتثنية ورفع «رَيْبَ» و«فُسُوقَ». وقرأ بقية السبعة: **﴿فَلَا رَيْبَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾**.
 (٦) أي: «رَفَتْ» و«مُشُوقَ» وهي قراءة بقية السبعة كما تقدم. (٧) وزن عمر.
 (٩) عن ابن عباس **﴿قُوحٌ﴾** قال: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات، ويحمل الديبات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم؛ فأقول الله: **﴿فَإَذْكُرُوا اللَّهَ﴾**

﴿وَأذْكُرُوا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١٢) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٣﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمَهَادُ ﴿١٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَكْوِيمَ الْبَيِّنَاتِ فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٩﴾

بذلك^(١).

[٢٠٣] ﴿وَأذْكُرُوا لِلَّهِ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من يثى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي: هم مخيرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾

أَتَقَى اللَّهُ فِي حَجِّهِ؛ لأنه الحاج في الحقيقة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة؛ لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك؛ لعداوته لك؛ وهو: الأخنس بن شريق؛ كان منافقاً حلوا الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحب له؛ فيدني مجلسه؛ فأكذبه الله في ذلك، ومَرَّ بِرِزْقٍ وَخُبْرٍ لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْرَقَهُ وَعَقَرَهَا لَيْلَةً^(٢)؛ كما قال - تعالى -: [٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ انصرفت عنك ﴿سَعَى﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ أي لا يرضى به^(٣). [٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الذي أمر باتباعه ﴿فَحَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمَهَادُ﴾ الفراش هي: [٢٠٧] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِي بِيَعِ نَفْسَهُ﴾ أي: يبدلها في طاعة الله ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ رضاه؛ وهو: صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله^(٤) ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ونَزَلَ فِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا عَظَمُوا السَّبْتَ^(٥) وكرهوا الإبل^(٦) بعد الإسلام: [٢٠٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرهما^(٧)؛ الإسلام ﴿كَافَّةً﴾ حال من ﴿السِّلْمِ﴾؛ أي: في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: تزيينه بالتفريق ﴿وَأَنَّكُمْ لَعَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة.

[٢٠٩] ﴿كَلِمَاتٍ﴾ ما ينظر التاركون الدخول فيه ﴿وَلَا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمره^(٨)؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَيْبٌ﴾^(٩) أي: عذابه ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة ﴿وَمِنَ الْغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثم أمر هلاكهم ﴿رَبَّىٰ اللَّهُ تَرْجِعَ الْأُمُورَ﴾ - البناء للمفعول والفاعل^(١٠) - في الآخرة؛ فيجازي كلاً بعمله.

[٢١٠] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿وَلَا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمره^(٨)؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَيْبٌ﴾^(٩) أي: عذابه ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة ﴿وَمِنَ الْغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثم أمر هلاكهم ﴿رَبَّىٰ اللَّهُ تَرْجِعَ الْأُمُورَ﴾ - البناء للمفعول والفاعل^(١٠) - في الآخرة؛ فيجازي كلاً بعمله.

= يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفرض منها، لذلك قوله تعالى: ﴿شَرُّ أَوْسِيُوا مِنْ حَيْثُ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٣٥)، وفي رواية قال: «أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحسن: ﴿شَرُّ أَوْسِيُوا مِنْ حَيْثُ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ قال: كانوا يفيضون من جمع إلى عرفات» البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٩١) الوقوف بعرفة.

= كَوَكَّرُوا مَبَأَهُمْ أَوْ أَكْسَدُوا وَضَعُوا... أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٥/٢ رقم ١٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/١). وحسنه صاحب الاستيعاب (١٤٢/١، ١٤٣). (١) لقد مها الجلال السيوطي كَتَلَفَهُ في وصفه نصف النهار بأنه من أيام الدنيا، والصحيح أنه نصف يوم مقداره خمسون ألف سنة، كما جاء في حديث ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة...» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ في عقاب ماني الزكاة في المحشر - قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد... البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧)، وقد تكرر هذا السهو من السيوطي كَتَلَفَهُ في ثلاثة مواضع غير هذا، وهي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٩٩ من آل عمران، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ٥١ من سورة إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرِعُ تَلْفِينًا﴾ آية ٦٢ من سورة الأنعام. ووقع مثله من الجلال المحلي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٧ من سورة غافر، وقد نيه على ذلك القاضي كتمان في فقرة العيتين على تفسير الجلالين.

(٢) أخرجه الطبري (٣٢٤/٢) في تفسيره عن السدي مرسلًا، وضعفه جدًا في الاستيعاب (١٤٤/١، ١٤٥). (٣) وهذا من تأويل صفة المحبة التي يهبها أهل السنة لله ﷻ على الوجه اللائق به، فهذا من تأويل الصفة ببعض لوازمها، وسبق بيان ذلك. (٤) جاء ذلك من عدة طرق كلها ضعيفة كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٦/١، ١٤٧). (٥) أي: الخنزيرة بتحريم الصيد فيه كما كان في شرع موسى. والأثر أخرجه الطبري (١٨٩/٢) من طريق ابن جريج عن عكرمة به. وهو مرسل ضعيف كما في الاستيعاب (١٤٨/١). (٦) حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها. (٧) بالفتح قراءة نافع وابن كثير والكسائي، وقرأ الباقون بالكسر. (٨) وهذا تأويلٌ تأتاه النصوص وكلام السلف، وهو مذهب المبتدعة، أما الذي عليه السلف أهل السنة والجماعة: أن الإتيان والمجيء صفتان من صفات الفعل له - شَيْخَانَةٌ - وهما من أفعاله الاختيارية التي يبتونها لله - شَيْخَانَةٌ - على الوجه اللائق بجلاله وعظمته منزها عن جميع التشبيه الذي يحظر في عقول المعتدلة. [المفسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٧٩)]. (٩) النحل: ٣٣. (١٠) قوله: (البناء للمفعول) يعني من الرجوع وهو الرد. وقوله: (والفاعل) يعني من =

خبر لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ ذلك؛ فبادروا إلى ما يأمركم به. وأرسل النبي أول سراياه وعليها عبد الله بن جحش^(١)؛ فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي أجز يوم من جمادى الآخرة، وأتيتس عليهم برحب؛ فعبرهم الكفار باستحلاله؛ فنزل^(٢): [٢١٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمِ وَقَالَ فِيهِ﴾ بدل اشتمال^(٣) ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿وَقَالَ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم وزر^(٤)، مبتدا وخبر ﴿وَصَدُّ﴾ مبتدأ^(٥)، منع للناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرًا بِهِ﴾ بالله ﴿وَوَكَّ﴾ صد عن^(٦) ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿وَالرَّجَائِ أَهْلِيهِ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون، وخبر المبتدأ^(٧): ﴿الْأَكْبَرُ﴾ أعظم وزرًا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه ﴿وَالْفِتْنَةَ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَرْأُونَ﴾ أي: الكفار ﴿يَقْتُلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يُرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿إِنْ أَسْتَظْهَرُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَنْ تَوَلَّاهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿فَلَا اعْتَدُوا بِهَا وَلَا ثَوَابَ عَلَيْهَا، وَالتَّقِيدَ بِمَوْتِ عَلَيْهِ يَفِيدُ أَنَّهُ لَوْ رَجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ؛ فَيُنَابِ عَلَيْهِ، وَلَا يَعِيدُهُ كَالْحَجِّ مَثَلًا، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ ﴿وَأَوْلَيْتِكَ أَصْحَابُ أَنثَارٍ هُمْ فِيهَا خَلِيدُونَ﴾. ولما ظن السريّة أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر؛ نزل^(٨): [٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فآزفوا أوطانهم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿وَأَوْلَيْتِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. [٢١٩] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الفحش، ما حكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ عظيم، وفي قراءة: بالثلاثة^(٩)، لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاقة وقول الفحش ﴿وَمَنْعُ النَّاسِ﴾ بالذلة والفرح في الخمر، وإصابة المال بلا كد في الميسر ﴿وَأَيْتُهُمَا﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفساد ﴿الْأَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شربها قَوْمٌ وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة^(١٠) ﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي ما قدره؟ ﴿قُلْ﴾: أنفقوا ﴿الْمَعْرُوفَ﴾ أي: الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة: بالرفع^(١١) بتقدير «هو» ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما نبيُّ لكم ما ذكركم ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١٢).

كَيْتَبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهَ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٧﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهِْرِ الْحَرَامِ وَقَالَ فِيهِ قُلْ وَقَالَ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةَ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرْأُونَ يُقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يُرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَظْهَرُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَنْ تَوَلَّاهُمْ فَأَوْلَيْتِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَوْلَيْتِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٨﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَيْتِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٩﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْ لَفَعٌ لِلنَّاسِ وَاشْمَهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ اللَّهُ لَكُمْ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢٠﴾

[٢١٦] ﴿كَيْتَبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَلْفَتْحًا لِلْكَفَارِ ﴿وَهُوَ كَرِهٌ﴾ مكروه ﴿لَكُمْ﴾ طبعًا لمشقتة ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها، وتفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها؛ فلعل لكم في القتال - وإن كرهتموه - خيرًا؛ لأن فيه إما الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر، وفي تركه - وإن أحببتموه - شرًا؛ لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢١٩): أخرج أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم زين لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية. أبو داود - كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صحيح سنن أبي داود (٣١١٧)، وسنن أبي الحديث بتمامه في سورة النساء الآية (٤٣)، والمائدة الآية (٦).

(١) لم تكن سرية عبد الله بن جحش أول السرايا؛ بل كانت خامستها وثامنة التحركات العسكرية، وقد ذكر أهل السير أنهم قتلوا ابن الحضرمي في آخر يوم من رجب والتبس عليهم بأول يوم من شعبان.

(٢) أخرج نحوه البيهقي في السنن الكبرى (١٢/٩)، وفي دلائل النبوة (١٧/٣) من حديث عروة بن الزبير، وهو مرسل. وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٩/٥) رقم (٦٥١٣) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٥/١)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٤/٢) عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٠٢/١).

(٣) أي من الشهر؛ إذ هو مشتعل على القتال لوقوعه فيه.

(٤) أي: إن كان عمدًا، فإن كان خطأ فعمل السرية؛ فلا إثم فيه.

(٥) أي: مع ما عطف عليه، وجعلنا أربعة فأخبر عنها بقوله: ﴿الْأَكْبَرُ﴾ لأنه أعمل تفضيل، وهو يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجردًا من (أل) والإضافة.

(٦) إشارة إلى أن ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (٧) أي: وما عطف عليه - كما سبق.

(٨) أخرجه نحوه ابن اسحاق في السيرة (٢٣٩/٢)، (٢٤٠) من طريق عروة بن الزبير مرسلًا، والبيهقي في دلائل النبوة (١٨/٣)، والطبري في تفسيره (٢٠٧/٢). وهو ضعيف لإرساله كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٥٤/١).

(٩) أي: كبير، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(١٠) أي: عمرو، خير لمخذوف تقديره: هو.

﴿ فِي ﴾ [٢٢٠] أمر ﴿ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ فأخذون بالأصلح لكم فيها ﴿ وَسَتَلُونَكُمْ عَنِ آيَاتِنَا ﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم؛ فإن أكلوهم يأثموا، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاما وحدهم فحرج ﴿ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ ﴾ في أموالهم؛ بتبنيها، ومدخلتكم ﴿ خَيْرٌ ﴾ من ترك ذلك ﴿ وَإِنْ تَخَاطَبْتُمْ فِيهَا ﴾: تخلطوا بفتنكم بنفتهم ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه؛ أي: فلكم ذلك ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ بها؛ فيجازي كلاً منهما ﴿ وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ ﴾ لَصَيِّحٌ عَلَيْكُمْ بتحريم المخالطة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب على أمره ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه^(٥). [٢٢١] ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا ﴾ تزوجوا أيها المسلمون ﴿ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: الكافرات ﴿ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ ﴾ حرة؛ لأن سبب نزولها العيب^(٦) على من تزوج أمّة، وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية: ﴿ وَالْفَحْشَاءُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ﴾ ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا ﴾ تزوجوا ﴿ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: الكفار المومنات ﴿ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَدَّةٌ مِّمَّنْ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ﴾ ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ لاله وجماله ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي: أهل الشرك ﴿ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْرِ ﴾ بدعاهم إلى العمل الموجب لها؛ فلا تليق مَنَّا كُفْرُهُمْ ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوهُمْ ﴾ على لسان رسله ﴿ إِلَى الْبَيْتَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ بإرادته؛ فتجب إجابته بتزويج أولياته ﴿ وَبَيْنَ آيَاتِهِ ﴾ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعلمون. [٢٢٢] ﴿ وَسَتَلُونَكُمْ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ أي: الحيض أو مكانه، ماذا يفعل بالنساء فيه؟ ﴿ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ ﴾ قدر أو محله ﴿ فَأَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ ﴾ اتركا وطاهن ﴿ فِي الْمَحِيضِ ﴾ أي: وقته أو مكانه^(٧)، ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ ﴾ بالجماع ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ بسكون الطاء وتشديد الهمزة، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء^(٨)؛ أي: يتنسلن بعد انقطاعه ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ بالجماع ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ بتجنبه في الحيض؛ وهو القبل، ولا تعدوه إلى غيره ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَبِيحٌ ﴾ يثيب ويكرم^(٩) ﴿ التَّوْبِينَ ﴾ من الذنوب ﴿ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ من الأذكار^(١٠). [٢٢٣] ﴿ يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ أي: محل زرعكم الولد ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ أي: محله؛ وهو: القبل ﴿ أُنَى ﴾ كيف ﴿ شِئْتُمْ ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، ونزل رداً لقول اليهود: (من أتى امرأته في قبليها؛ أي: من جهة دبرها جاء الولد أحول^(١١)) ﴿ وَقَدِيمًا لِأَسْحَابِكُمْ ﴾ العمل الصالح؛ كالتسمية عند الجماع

﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ ﴾ في أمره ونهيه ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْكُوهُ ﴾ بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم ﴿ وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذين اتقوه بالحجة.

[٢٢٤] ﴿ وَلَا تَحْسَبُوا اللَّهَ ﴾ أي: الحلف به ﴿ عَرَضًا ﴾ علة مائة^(١٢) ﴿ لِأَنْبِيئِكُمْ ﴾ أي: نبيها^(١٣) لها بأن تكفروا بالحلف^(١٤) به ﴿ أَنْ ﴾ لا ﴿ تَبْرَأُوا ﴾ وَتَسْقُوا ﴿ فَكُفْرَةُ الْيَمِينِ ﴾ على ذلك، ويسن فيه الحنث، ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه، فهي طاعة ﴿ وَتُضَلُّوا بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ المعنى: لا تمنعوا من

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٠): أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَحْسَبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا بَالِيَهُ مِنْ أَحْسَنِ ﴾ [الأمم: ١٥٢] ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ كُلْمًا ﴾ الآية [النساء: ١٠]، انطلق من كان عنده نبيم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به، فما فضل من طعامه فيجس له حتى يأكله أو يفسد، فاشد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأزل الله ﷻ: ﴿ وَسَتَلُونَكُمْ عَنِ آيَاتِنَا قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبْتُمْ فِيهَا فَأَخْوَانُكُمْ ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه، وشرا بهم بشرا به. أبو داود - كتاب الوصايا (١٢) باب (٧) مخالطة النبيم في الطعام ...

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٢): أخرج مسلم: عن أنس ﷺ: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأزل الله تعالى: ﴿ وَسَتَلُونَكُمْ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ ... إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. مسلم - كتاب الحيض (٣) باب (٢) جواز غسل الخائض رأس زوجها وترجيله.

(٥٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٣): أخرج البخاري عن ابن المنكدر قال: سمعت جابراً ﷺ قال: «كانت اليهود تقول: إذا جماعنا من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿ يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا ﴾

(١) أي: التعيب من المسلمين. (٢) يشير إلى ما أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٤٥ عن ابن عباس أن الآية نزلت في عبد الله بن رواحة ﷺ، كانت أمه سوداء فأعقها وتزوجها؛ فأبوا عليه ذلك وعابوه؛ فأزل الله ﷻ: ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ ﴾. وضعف إسناده في الاستيعاب (١/١٦٨)؛ قال: فيه أسباط من نصر؛ ضعفه النسائي وأبو زرعة وأبو نعيم وغيرهم.

(٣) فهو مصدر مبني يصلح للحدث والزمان والمكان. (٤) بتشديد الطاء وفتحها وفتح الهاء، قراءة حمزة والكسائي وشعبة. (٥) وهذا تأويل لصفة الهجبة ببعض لوزها، وسبق بيان المذهب الحق في ذلك وإثباته وغيرها من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شيخنا. (٦) الحسية والمعنوية. (٧) البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥) من حديث جابر. وانظر ما جاء في نزول الآية. (٨) المعنى: لا تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البر والتقوى؛ يدعي أحدكم لي بر أو صلة رحم فيقول: قد حلفت بالله لا أفعله؛ فيعتل بيمينه في ترك البر والإصلاح.

(٩) أي: غرضاً مانعاً من فعل البر. (١٠) هذا تفسير آخر للآية؛ أي: لا تكفروا بالحلف وإن كنتم تباينون متقين مصلحين؛ لما فيه من ابتداء اسمه - تعالى. في كل شيء، وكان المناسب أن يقول: «أو أن =

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ الَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ وَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْنِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّ هُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلَكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ أَنْتُمْ مَوْهَنٌ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

تَسْبِيحٌ لقولهم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بغيرهم، المعنى: ليس لهم بعد تریص ما ذكر (١) إلا الفیفة أو الطلاق.

[٢٢٨] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: ينتظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (٢٥) تعني من حين الطلاق، جمع قرء؛ بفتح القاف (٢)؛ وهو: الطهر (٣)، أو الحيض (٤)، قولان، وهذا في المذسول بهن، أما غيرهن؛ فلا عدة عليهن؛ لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ﴾ (٥) وفي غير الآية الصغيرة: ﴿فَعِدَّتِهِنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾، والحوامل: فعدهن ﴿وَأَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (٦) كما في سورة الطلاق، والإماء: فعدهن قرءان بالشنة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد والحيض ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْنِهِنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ بمراجعتهن، ولو أئسبن ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: في زمن التریص ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بينهما؛ لا إضرار المرأة (٧)، وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، و﴿أَحَقُّ﴾ لا تفضيل فيه؛ إذ لا حق لغيرهم من نكاحهن (٨) في العدة ﴿وَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿بِشَلِّ الذِّي لَهُمْ﴾ عليهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿وَالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً؛ من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿وَالرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضيلة في الحق؛ من وجوب طاعتهم لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما ذبَّره خلقه.

[٢٢٩] ﴿الطَّلَاقُ﴾ أي: التطلق الذي يُرَاجَعُ بعده ﴿مَرَّتَانٍ﴾ أي: اثنتان ﴿فِيمَا سَأَلَكَ﴾ أي: فعليكم إيساكهن بعده بأن تراجعهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرر ﴿أَوْ تَسْرِيحٍ﴾ أي: إرسالهن ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ أَنْتُمْ مَوْهَنٌ مِنَ الْمَهْرِ ﴿شَيْئًا﴾ إذا طلقتموهن (٩) ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي: الزوجان ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: أن لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق، وفي قراءه: ﴿يَخَافَا﴾ (١٠) بالبناء للمفعول، ف﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ بدل اشتمال من الضمير فيه، وقرئ: بال فوقانية في الفعلين (١١) ﴿فَإِنْ خِفْتُمَا﴾ ن ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ مِنَ الْمَالِ لِيُطْلِقَهَا؛ أي: لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.

[٢٣٠] ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ﴾ بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾ تزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويطأها؛ كما في الحديث الذي رواه الشيخان (١٢) ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي: الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: الزوجة والزوج الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿يتدبرون﴾.

فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفت عليه، بل اتوه وكفروا؛ لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَاللَّهُ تَسْبِيحٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأقوالكم.

[٢٢٥] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إلى اللسان من غير قصد الحلف؛ نحو: والله، وبلى والله؛ فلا إثم عليه، ولا كفارة (١٣) ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصده من الأيمان إذا حنتم ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

[٢٢٦] ﴿لَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي: يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تَرِيصٌ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ فَإِنْ فَاءَ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي: عليه؛ بأن لا يفياها؛ فليوقعه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ

= تَرَبَّصَتْ أَنْ يَضَعْنَ ٥٥. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣٩).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٥): أخرجه البخاري عن عائشة ؓ قالت: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾: أنزلت في قوله: لا والله، وبلى والله. البخاري - كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٤).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٨): أخرجه أبو داود: عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ؓ أنها طلقت على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن للطلقة عدة، فأزل الله ﷻ حين طلقت أسماء بالعدة للطلاق، فكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطلقات. أبو داود - كتاب الطلاق (٧) باب (٣٦) (في عدة المطلقة) حسن. صحيح سنن أبي داود (١٩٩٦).

= نكثوا... بدلاً من قوله: «بأن نكثوا». (١) أي: الأربعة أشهر. (٢) إنما ضبطه المفسر بالفتح فقط مع أنه يصح فيه الوجهان بالضم والفتح؛ لأجل جمعه في الآية على «قرء»؛ ففردتها: «قرءه»، أما «قرءه» فجمعتها «أقراء». (٣) وهو مذهب الجمهور. (٤) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في رواية، وهو الراجح بأدلة كثيرة جمعها ابن القيم في إزاد المعاد (٢٢٥/٤).

(٥) الأحزاب: ٤٩. (٦) الطلاق: ٤. (٧) فحرم الرجعة إذ ذلك. (٨) صوابه أن يقول: فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتن كما عر به غيره. (٩) أي: وأما إن كانت في عصمته ووهبت له صداقتها أو بعضه فلا بأس بذلك. (١٠) لحزمة. (١١) وهي قراءة شاذة. (١٢) البخاري (٢٦٣٩)، وسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة ؓ.

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَنَ أَجَلُهُنَّ فَآرَبُنَّ انْقِضَاءَ عِدَّتِهِنَّ ﴿٢٣١﴾ فَأَتَيْتُمُوهُنَّ ﴿٢٣٢﴾ بَأَن تَرَاجَعُوهُنَّ ﴿٢٣٣﴾ بِمَعْرُوفٍ ﴿٢٣٤﴾ مِنْ غَيْرِ نَضْرٍ ﴿٢٣٥﴾ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴿٢٣٦﴾ أَتَرَكَوهنَّ حَتَّى تَنْقُضِي عِدَّتِهِنَّ ﴿٢٣٧﴾ وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ﴿٢٣٨﴾ بِالرَّجْعَةِ ﴿٢٣٩﴾ ضِرَاكًا ﴿٢٤٠﴾ مَفْعُولٌ لِأَجَلِهِ ﴿لَيْسَ دُونَهُ﴾ عَلَيْهِنَ بِالْإِحْتِاءِ إِلَى الْإِنْتِدَاءِ، وَالتَّطْلِيقِ، وَتَطْوِيلِ الْحَيْضِ ﴿٢٤١﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴿٢٤٢﴾ بِعَرِيضَتِهَا إِلَى عَذَابِ اللَّهِ ﴿٢٤٣﴾ وَلَا تَنْجِدُوا مَا بَيْتَ اللَّهِ هُرُؤًا ﴿٢٤٤﴾ مَهْرُوعًا بِهَا بِمَخَالَفَتِهَا ﴿٢٤٥﴾ ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الْقُرْآنِ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿يُعِظُكُمْ بِهِ﴾ بِأَن تَشْكُرُوهَا بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤٦﴾ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَنَ أَجَلُهُنَّ﴾ انْقَضَتْ عِدَّتِهِنَّ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ حَتَابٌ لِلْأَوْلِيَاءِ؛ أَي: تَتَمَعَّوهُنَّ مِنْ ﴿أَن يَنْكِحَنَّ أَرْوَاجَهُنَّ﴾ الْمُطْلَقَاتِ لَهُنَّ؛ لِأَن سَبَبَ نَزُولِهَا: أَنَّ أُخْتِ مَعْقَلِ بْنِ يَسَارٍ طَلَقَهَا زَوْجَهَا، فَأَرَادَ أَن يَرَا جَمْعًا؛ فَامْنَعَهَا مَعْقَلُ بْنُ يَسَارٍ؛ كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ (٢٣٦) ﴿إِذَا رَزَّضُوا﴾ أَي: الْأَرْوَاجَ وَالنِّسَاءَ ﴿بِئْتِمَامٍ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شَرْعًا ﴿ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنِ الْعَضْلِ ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لِأَنَّهُ الْمُنْتَفِعُ بِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: تَرَكَ الْعَضْلَ ﴿أَذْكُرُ﴾ خَيْرٌ ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لَكُمْ وَلِهَذَا يَخْشَى عَلَى الزَّوْجِ مِنَ الرِّبْيَةِ سَبَبَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَهُمَا ﴿وَاللَّهُ يَسْتَلِمُ﴾ مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ.

[٢٣٣] ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ أَي: لِيَرْضِعْنَ ﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عَامَيْنِ ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صِفَةٌ مُؤَكَّدَةٌ (٢٣٤)، ذَلِكَ ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُرْمِ الرِّضَاعَةَ﴾ وَلَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ ﴿وَعَلَى الْوَالِدِ لَكُمْ﴾ أَي: الْأَبِ ﴿رِضْفُهُنَّ﴾ إِطْعَامُ الْوَالِدَاتِ ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ عَلَى الْإِرْضَاعِ إِذَا كُنَّ مُطْلَقَاتٍ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طَاقَتِهَا ﴿لَا تُضَاكِرُ وَوَالِدَةً يُولَدُهَا﴾ أَي: بِسَبَبِهِ بِأَن تُكْرَهَ عَلَى إِرْضَاعِهِ إِذَا امْتَنَعَتْ ﴿وَلَا﴾ يَضَارُّ ﴿مَوْلُودٌ لَمْ يُولَدْهُ﴾ أَي: بِسَبَبِهِ بِأَن يَكْلَفُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَإِضَافَةُ الْوَالِدِ إِلَى كُلِّ مِنْهُمَا فِي الْمَوْضِعِ لِلِاسْتِعْطَافِ (٢٣٥) ﴿وَعَلَى الْوَالِدِ﴾ أَي: وَارِثِ الْأَبِ؛ وَهُوَ: الصَّبِيُّ؛ أَي: عَلَى وَوَلِيهِ فِي مَالِهِ ﴿وَمِثْلُ ذَلِكَ﴾ الَّذِي عَلَى الْأَبِ الْوَالِدَةَ مِنَ الرِّزْقِ وَالْكِسْوَةِ ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أَي: الْوَالِدَانِ ﴿فِيضَالًا﴾ فَطَاقَا لَهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، صَادِرًا ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ اتِّفَاقٍ ﴿بَيْنَهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بَيْنَهُمَا؛ لِتَظْهِرَ مَصْلَحَةَ الصَّبِيِّ فِيهِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ حَتَابٌ لِلْآبَاءِ ﴿أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مَرَاضِعَ غَيْرِ الْوَالِدَاتِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فِيهِ ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إِلَيْهِنَّ ﴿مَاءَ آيَاتِنَا﴾ أَي: أَرَدْتُمْ إِتِنَاءَهُ لَهُنَّ مِنَ الْأَجْرَةِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِالْجَمِيلِ؛ كَطِيبِ النَّفْسِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٦﴾ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَنَ أَجَلُهُنَّ فَآرَبُنَّ انْقِضَاءَ عِدَّتِهِنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَنْجِدُوا مَا بَيْتَ اللَّهِ هُرُؤًا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ يُعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَنَ أَجَلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَرْزَكُوا لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَآتُصَّارَ وَوَالِدَةً يُولَدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَمْ يُولَدْهُ وَعَلَى الْوَالِدِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِضَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْنَا بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(١) ما حاه في نزول الآية (٢٣٢): أخرج البخاري عن الحسن قال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ قال: حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه؛ قال: زوجت أختي لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يحطها؛ فقلت له: زوجتك وأورثتك وأكرمك فطلقتها؛ ثم جئت تحطها؟! لا والله لا تعود إليك أبدًا؛ وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأقول الله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، فقلت: الآن أفعل يا رسول الله؛ قال: فزوجها إياه. البخاري - كتاب الطلاق (٢٧)، باب (٧٥) نسخ المراجعة بعد التطلقات الثلاث.

(١) أي: العدة.
 (٢) أطلق الاستهزاء وأراد المخالفة.
 (٣) رواه البخاري (٤٥٢٩)، والحاكم (٢٨٠/٢).
 (٤) وفائدتها اعتبار الحولين من غير نقص.
 (٥) وتنبه على أنه حقيق بأن يتفقا على استصلاحه والإشفاق عليه؛ فلا ينبغي أن يضربا به أو يتصارا بسببه.

أَجَلَهُنَّ ﴿٢٣٥﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطاب ﴿يَا مَعْرُوفٍ﴾ شرعا ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

[٢٣٥] ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ لَوْحْتُمْ﴾ أي بين خطبة أَيْتَلَّهٖ ﴿التوفى عنهن أزواجهن في العدة، كقول الإنسان - مثلا -: «إنيك جميلة، ومن يجد مثلك، ورُبُّ راعِبٍ فيك» ﴿أَوْ أَكْتَشَرْتُمْ﴾ أضرمتم ﴿في أنفسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَنَذُرْنَهُنَّ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن؛ فأباح لكم التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعُدْهُنَّ بِرَّاءٍ﴾ أي: نكاحا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: ما عرف شرعا من التعريض، فلکم ذلك ﴿وَلَا تَمَيِّزُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: على عقده ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي: المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُ﴾ بأن ينتهي ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَأَحْذَرُوا﴾ أن يعاقبكم إذا عرستم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفْوٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

[٢٣٦] ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١): ﴿تَمَاشُوهُنَّ﴾ أي: تجمعهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَقْرَضُوا لَهُنَّ قَرِيضَةً﴾ مهرا، و﴿مَا﴾ مصدرية ظرفية؛ أي: لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض ياتم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَىٰ الْمَوْسِعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتَرِ﴾ الضيق الرزق ﴿قَدَرُهُ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الروجة ﴿مَتَّعًا﴾ تمتعا ﴿يَا مَعْرُوفٍ﴾ شرعا، صفة ﴿مَتَّعًا﴾ ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية، أو مصدر مؤكد (٢) ﴿عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

[٢٣٧] ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ قَرَضْتُمْ لَهُنَّ قَرِيضَةً فَيَصِفْ مَا قَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُوا﴾ أي: الزوجات؛ فبقرنته ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي يَبْذُرُهُ عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ وهو الزوج؛ فترك لها الكل، وعن ابن عباس: الولي، إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَرْوَاجًا يَتَرَصَّنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٦﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَشَرْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْ كُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعُدْهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرَضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفْوٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٧﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرَضُوا لَهُنَّ قَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٨﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ قَرَضْتُمْ لَهُنَّ قَرِيضَةً فَيَصِفْ مَا قَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بَيْنَهُمْ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ يَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٩﴾

[٢٣٤] ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ﴾ يموتون ﴿مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَرْوَاجًا يَتَرَصَّنَّ﴾ أي: ليربصن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بقدحهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ بآية الطلاق، والأمة على النصف من ذلك بالشئ (١) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ﴾

(١) أي عدة الأمة المطلقة؛ كما في حديث عائشة مرفوعا: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان». رواه الترمذي (١٨٢) وضعفه، وأبو داود (٢١٨٩)، وابن ماجه (٢٠٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (١١٩٩). ورواه الدارقطني عن ابن عمر موقوفاً ومرفوعاً وصحح الموقوف كما في التلخيص الحبير (٢١٣/٢).

(٢) لحزمة والكسائي.

(٣) في النسخة المطبوعة: «مؤكد»، والمبني من الصاري.

[٢٣٨] ﴿حَفِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾^(١) هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال، وأفردها بالذكور؛ لفضلها ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَلْبَيْنِ﴾ قيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كُلُّ قَوْمٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ»^(٢) [رواه أحمد وغيره]، وقيل: ساكتين؛ لحديث زيد بن أرقم: «كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ، فَأَمْرًا بِالسُّكُوتِ، وَنَهْيًا عَنِ الْكَلَامِ»^(٣) [رواه الشيخان]. [٢٣٩] ﴿فَإِنْ خَفْتُمْ﴾ من عدو أو سيل أو سبع ﴿وَسِئَالًا﴾ جمع راجل؛ أي: مشاة، صلوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب؛ أي: كيف أمكن؛ مستقبلي القبلة أو غيرها، ويومئ بالركوع والسجود ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قيل تعليمه؛ من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى: مثل، ﴿وَمَا﴾ مصدرية أو موصولة.

[٢٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾ وفي قراءة: بالرفع^(٤)؛ أي: عليهم ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ وليعطون ﴿مِمَّا﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿الْحَوْلِ﴾ من موتهم، الواجب عليهن تربصه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال؛ أي: غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ شرعاً؛ كالترين، وترك الإحداد، وقطع النفقة عنها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في ضيعه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة لها عند الشافعي^(٥) - رحمه الله ..

[٢٤١] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ﴾ يُعْطِيهِنَّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ نصب بفعله المقدر^(٦) ﴿عَلَى الْمُتَوَفَّيْنَ﴾ الله - تعالى -، كرره ليُعمِّم المسوسة أيضاً؛ إذ الآية السابقة في غيرها.

[٢٤٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ﴾ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿تدبرون.

[٢٤٣] ﴿لَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجب^(٧) وتشويق^(٨) إلى استماع ما بعده؛ أي: بينه علمك^(٩) ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشر أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً^(١٠) ﴿حَدَرُ الْمَوْتِ﴾ مفعول له، وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم؛ ففروا ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر؛ بدعاء نبينهم «جزئيل» - بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي -؛ فعاشوا دهوراً عليهم أثر

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خَفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مِمَّا تَرَكَوا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَوَفَّيْنَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

الموت لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالكفن، واستمرت في أسباطهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال؛ ولذا عطف عليه: [٢٤٤] ﴿وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فمجازيكم. [٢٤٥] ﴿مَن ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿يَكْفُلُ﴾ عن طيب قلب ﴿فَيَضَعِفُهُ﴾ وفي قراءة^(١):

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٣٨): أخرج أبو داود عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة. ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله ﷺ منها، فنزلت: ﴿حَفِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾ وقال: إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين؛ أبو داود. كتاب الصلاة (٢) باب (٥) في وقت صلاة العصر (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٩٧). وأخرج مسلم عن شقيق بن عبيدة عن البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية: ﴿حَفِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾ فنزلت: ﴿حَفِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾ فقال رجل كان جالساً عند شقيق له: هي إذن صلاة العصر؟ فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله. والله أعلم. مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب (٣٦) (الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر).

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ﴾ فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام. مسلم - المساجد ومواضع الصلاة (٥) باب (٧) تحريم الكلام في الصلاة.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٧٥/٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٢٥). (٢) البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩). (٣) لنافع وابن كثير والكسائي وشعبة.

(٤) أي: أربعة أشهر وعشرا. (٥) وتقديره: أحقه. (٦) أي: إيقاع للمخاطب في العجب، ويستفاد من الآية أن المخاطب لم يسبق له علم بتلك القصة قبل نزول الآية.

(٧) أي: إيقاعه في الشوق؛ لأن ما سبق بعد الطلب أمد ما سبق بلا تعب، وعطف التشويق على التعجب من عطف المسبب على السبب. (٨) في إشارة إلى أن الرؤية علمية، وضمن الفعل معنى الانتهاء؛ ليصح تعديته بـ«إلى»؛ أي: ألم بينه علمك إلى كذا. (٩) ذكر المفسر ستة أقوال، أصحها الثلاثة الأخيرة؛ لأن ألوفاً جمع كثر، ومبدؤه بعد العشرات.

(١٠) لابن كثير - بالتشديد - مع الرفع، وابن عامر - بالتشديد - مع النصب، والحزمة والكسائي ونافع وأبي عمرو بالرفع مع التخفيف ومع إثبات الألف، ولعاصم بالنصب مع التخفيف وإثبات الألف.

شَمُولٍ ﴿أَبَتْ﴾ أقم ﴿لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ﴾ معه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قَالَ﴾ النبي لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بالفتح والكسر^(١) ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الْفِتَالُ أَهْلٌ ن ﴿لَا نَقْتُلُوا﴾ خير «عسى»، والاستفهام لتقرير التوقع بها ﴿قَالُوا وَمَا نَأَىٰ عَنْكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَيْنَا﴾ بسببهم وقتلهم، وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت؛ أي: لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْفِتَالَ تَوَلَّوْا﴾ عنه وجنبا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت - كما سيأتي - ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فمجازيهم، وسأل النبي^(٢) ربه إرسال ملك؛ فأجابته إلى إرسال طالوت. [٢٤٧] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ؟﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة، وكان دابعا أو راعيا ﴿وَلَمْ يَأْتِ سَمَةً يَتِ الْمَالُ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ سعة ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَن يَشَاءُ﴾ إتياءه لا اعتراض عليه ﴿وَاللَّهُ وَسِيعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل له.

[٢٤٨] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه: ﴿إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوق، كان فيه صور الأنبياء، أنزله على آدم واستمر إليهم؛ فغلبهم العاقلة عليه وأخذوه، وكانوا يستفتحون به على عدوهم، ويقدمونه في القتال، ويسكنون إليه^(٣)، كما قال - تعالى -: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَبَيِّنَةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ وهي نغلا موسى وعصاه وعمامة هارون، وفضيز من المني الذي كان ينزل عليهم، ورضاض^(٤) من الألواح ﴿تَحْمِيلُهُ الْمَلَكَةُ﴾ حال من فاعل ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم﴾ على ملكه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعت عند طالوت؛ فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد؛ فاختار من شبابهم سبعين ألفا.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهْمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَيْنَا فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَيِّنَةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِيلُهُ الْمَلَكَةُ ﴿٢٤٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٥٠﴾

﴿فِيضَعْفُهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُمْ أَضْعَافًا كَثِيرَةٌ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمئة - كما سيأتي - ﴿وَاللَّهُ يَفِيضُ﴾ يمسك الرزق عن يشاء ابتلاء ﴿وَيَبْسُطُ﴾ يوسع لمن يشاء امتحانا ﴿وَالَّذِي تَرْجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم^(٥).

[٢٤٦] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ﴾ الجماعة ﴿مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مَن بَعَثَ مَوْتًا﴾ أي: إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ هُوَ:

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿إِن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ﴿وَمَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، وحاطني الذي كان يمكن كذا وكذا، والله لو استطعت أن أسرها لم أعلنها، قال: فاجعله في فراقه أهلك أحمد - السنن (١٤١/٣) وأصله في الصحيحين مطولا، وسيأتي في سورة آل عمران، الآية (٩٢)، وانظر رواية الرمزي عند الآية (١١) من سورة الحديد.

(١) أي بفتح السين وكسرهما، والكسر قراءة نافع.

(٢) أي النبي المذكور في الآية السابقة.

(٣) الكلام عن التابوت وهيته وتوارثه... إلخ لم يثبت فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين، ومرجمها إلى وهب بن منبه، وكتب الأخبار، وأمثالهما، والإسرائيليات على ثلاثة أقسام: الأول: ما علم صحته بالنقل الصحيح، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده؛ فهذا صحيح مقبول، الثاني: ما علم كذبه من شرعنا أو كان لا يتفق مع العقل؛ فهذا لا يصح قبوله ولا روايته، الثالث: ما سكت عنه؛ لا هو من قبيل الأول، ولا قبيل الثاني؛ فهذا يتوقف فيه لا نكذبه ولا نصدق.

(٤) ورضاض (بضم الراء): أي فئات.

[٢٥٧] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ﴾ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿ذَكَرَ الإِخْرَاجَ﴾ إما فِي مَقَابِلَةِ قَوْلِهِ: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾، أَوْ فِي كُلِّ مَنَ مِنْ أَمَنِ بِالنَّبِيِّ قَبْلَ بَعْتِهِ مِنَ الْيَهُودِ ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ^(١) ﴿أُولَئِكَ أَحْصَى النَّارَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ جَادِلَ﴾ جَادَلَ ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لَدَيْهِ ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أَي: حَمَلَهُ بَطْرَةً بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ؛ وَهُوَ: السَّمُودُ ﴿إِذْ هُوَ بَدَلٌ مِّنَ حَاجِّ﴾ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿لَا قَالَ لَهُ: مَن رَّبُّكَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟﴾ ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أَي: يَخْلُقُ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ فِي الْأَجْسَادِ ﴿قَالَ هُوَ: أَنَا أَنبِيءُ وَيُؤْتِيهِم بِالْقَتْلِ وَالْعُقُوبِ عَلَيْهِ؛ وَدَعَا بَرَجِلَيْنِ، فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا، وَتَرَكَ الْآخَرَ، فَلَمَّا رَأَى نَجِيحًا﴾ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ مُتَقَلِّبًا إِلَى حِجَّةٍ أَوْضَحَ مِنْهَا: ﴿فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ يُبَاقِي بِالْمَشْرِيقِ مِنَ الْمَشْرِيقِ فَأَتَى بِهَا﴾ أَنْتَ ﴿وَمِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ تَحَيَّرَ وَدُهَشَ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بِالْكَفْرِ إِلَى مُحِجَّةِ الْإِحْتِجَاجِ.

[٢٥٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَأَى﴾ كَالَّذِي ﴿الْكَافِ زَائِدَةً﴾ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴿هِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ﴾^(٢)، رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ، وَمَعَهُ سَلَةٌ تَيْنٍ وَقَدَحٌ عَصِيرٍ؛ وَهُوَ: عَزِيرٌ^(٣) ﴿وَوَيْ حَاوِيَةَ﴾ سَاقِطَةٌ ﴿عَلَى عَرُوشِهَا﴾ سَقُوطَهَا لَمَّا خَرَّتْهَا ﴿بِخْتِنَصْرٍ﴾^(٤) ﴿قَالَ أَنبِيءُ﴾ كَيْفَ^(٥) ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾ اسْتَعْظَمْنَا لِقُدْرَتِهِ - تَعَالَى^(٦) - ﴿فَأَمَّا تُهَاجِرُ اللَّهُ وَالْبَيْتُ عَابَرٌ ثُمَّ عَبَسَ﴾ أَحْيَاهُ لِيَرِيهِ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ ﴿قَالَ﴾ - تَعَالَى - لِه: ﴿كَمْ لَيْتَ﴾ مَكَثْتُ هُنَا؟ ﴿قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لِأَنَّهُ نَامَ أَوَّلَ النَّهَارِ؛ فَبُضِيَ، وَأُحْيِيَ عِنْدَ الْغُرُوبِ؛ فَظَنَّ أَنَّهُ يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ ﴿قَالَ بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ التَّيْنِ ﴿وَشَرَابِكَ﴾ الْعَصِيرِ ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لَمْ يَتَغَيَّرْ مَعَ طَوْلِ الزَّمَانِ، وَالْهَيَاءِ؛ قِيلَ: أَسْلُ مِنْ «سَانَهَتْ»^(٧)، وَقِيلَ لِلسَّكْتِ مِنْ «سَانَيْتُ»^(٨)، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِحَذْفِهَا^(٩) ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كَيْفَ هُوَ؛ فَرَأَى مِثْلًا وَعِظَامَهُ يَبِضُ تَلَوْحًا! فَعَلَّمْنَا ذَلِكَ لِلتَّلَمِّ ﴿وَلَتَجْعَلَنَّ آيَةً﴾ عَلَى الْبَيْتِ ﴿لِلنَّاسِ﴾ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ ﴿مِنَ حِمَارِكَ﴾ كَيْفَ [تُنشِئُهَا] نَحِيْبِيهَا^(١٠)؛ بِضَمِّ النَّوْنِ، وَقُرئ: بِفَتْحِهَا^(١١) ﴿مِنَ أَنْشُرِ، وَنَشْرٍ﴾

اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَحْصَى النَّارَ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَنبِيءُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَلَمْ يَرَأَى
مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنبِيءُ
يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَّا تُهَاجِرُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ عَبَسَ
وَوَيْ حَاوِيَةَ قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ
لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ
وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِئُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَامًا لَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ وَقَالَ أَعْمَرُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

لنبتان^(١٦)، وفي قراءة: بضمها، والزاي^(١٧)، نحرهما ونرفعها^(١٨) ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَامًا﴾ فَنظَرَ إِلَيْهِ وَقَدِ تَرَكِبَتْ وَكَسَيْتُ لِحْمًا وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ وَنَهَقَ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذَلِكَ بِالمُشَاهَدَةِ ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿أَعْلَمُ﴾^(١٩) أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَهُ.

- (١) قوله: «ذكر الإخراج... الخ» جواب عن سؤال مقدر حاصله: أن الكفار لم يكونوا في نور حتى يخرجوا منه إلى الظلمات، فكيف ذلك؟ أجاب المفسر بجوابين، الأول: أنه مشاكلة لما قبله، والمراد منهم من أصل النور، والثاني: أنه إخراج حقيقي، وهو في كل من آمن بالنبي ﷺ قبل معننه ثم ارتد بعد ذلك. (٢) أي: إن قوله: ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ مفعول لأجله، وهو مجرور باللام لفقد أحد شروطه؛ وهو: عدم اتحاد الفاعل؛ لأن فاعل المحاجة هو السمود، وفاعل إتياء الملك هو الله، وإنما حذف اللام لأن حذفها مطرد مع «أن» و«إن». (٣) أي: بدل اشتمال. (٤) حيث لم يفهم معنى الكلام؛ لأن معنى: «يُحْيِي وَيُمِيتُ»: يخلق الحياة والموت، وما أجاب به اللعين ليس فيه خلق لهما كما هو ظاهر؛ ومن ثم فلم يصدق عليه إبراهيم في ذلك وانتقل إلى حجة أخرى أظهر.
- (٥) أشار بهذا إلى أن ﴿كَالَّذِي﴾ معمول محذوف يدل عليه السياق، وبه قال بعضهم، لكن من قال به جعل الكاف اسما بمعنى «مثل» لا زائدة. أما من جعلها زائدة جعل مدحولها مفعولاً على الموصول ولا يكون في الكلام حذف عامل، فلفق الشارح بين القولين على وجه أوجب صعوبة الفهم. (٦) وقيل: هي القرية التي خرج منها الألوף حذر الموت. وقيل: غيرها.
- (٧) وهذا هو القول المشهور، وقيل: غير ذلك. وضح البعض أنه رجل شك في البعث، كما هو ظاهر الآية... ولعله الأورب من هذه الحادثة والتي قبلها كدليلين عظيمين على قدرة الله، وعلى البعث، ولا فائدة في الانشغال بتعيين ما أبهمه الله في كتابه، والله أعلم.
- (٨) «بخت»: معناه: ابن، و«نضر»: اسم للضم؛ سمي بذلك لأن أمه لما ولدته وضعت عنده، فلما وجدوه قالوا: بختنصر. أي ابن الضمن، وكان كافواً ملك الأرض مشرقاً ومغرباً.
- (٩) وقيل: بمعنى: متى. (١٠) (١٠) أي: لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة.
- (١١) أي: فهي لام الكلمة، والفعل مجزوم بسكون الهاء، فأصل سنة: سنة، وهي ثابتة وصلاً ووقفاً.
- (١٢) أي: فهي زائدة، ولام الكلمة واو، والفعل مجزوم بحذف حرف العلة، وثبتت الهاء في الوقف لا في الوصل، وهي قراءة حمزة والكسائي.
- (١٣) أي: وصلاً، وظاهره أنها قراءة مستقلة وليس كذلك؛ وإنما هي بقية قراءة حمزة والكسائي، فهي عندهما تثبت ووقفاً وتحذف وصلاً.
- (١٤) هذا التفسير لا يلتم مع قوله بعدها: ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا﴾؛ فإن الإحياء قبله لا بعده، ويمكن أن يراد بالإحياء جمعها وضم بعضها إلى بعض، وهو معنى قراءة الزاي المعجمة.
- (١٥) وهي قراءة شاذة. (١٦) لف ونشر مرتب؛ أي: نُشْرُهَا مِنْ أَنْشُرِ، وَنُشْرُهَا مِنْ نَشْرِ. (١٧) وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والباقون بالراء.
- (١٨) أي: نرفعها من الأرض وتردها إلى مكانها من الجسد وتركب بعضها على بعض.

وضمها^(١)؛ أمهلن^(٢) إليك وقطعن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ جبالِ أَرْضِكَ جَبَلًا مِّنْ جَبَلٍ جَبَلًا﴾ أي: إليك ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ سريعًا ﴿وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء، ﴿حَكِيمٌ﴾ في ضعيه؛ فأخذ طاووسًا ونسرا وغرابًا وديكًا^(٣) وفعل بهن ما ذكر، وأمسك رعو سهن عنده ودعاهن؛ فطارت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلت إلى رعو سهن.

[٢٦١] ﴿مَثَلُ﴾ ﴿صَفَةِ نَفَقَاتِ﴾ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعِ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ مَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤) فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

[٢٦٢] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَثَلًا﴾ على المنفق عليه، بقولهم - مثلاً: - ﴿قَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ وَحَبِزْتَ خَالَهٗ﴾ ﴿وَلَا أَدَّى﴾ له يذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ في الآخرة.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام حسن، ورَدٌّ على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في الخاسه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾ بالمعنى وتغيير له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المأثم والمؤذي.

[٢٦٤] ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُطْلُؤُا صَدَقَتِكُمْ﴾ أي: أجورها ﴿بِالْمَنْ وَالْأَذَى﴾ إبطالاً ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَةً لِلنَّاسِ﴾ مراتبا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ صلبًا أملس لا شيء عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف^(٥) لبيان مثلي المنافق المنفي رثاة الناس؛ وجمع الضمير باعتبار معنى "الذي" ﴿عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا﴾ عملوا؛ أي: لا يجدون له ثوابا في الآخرة؛ كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قُلْتَ نُوْمٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا تَظْمِنُ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جَبْرًا ثُمَّ أَدْخَعْهُنَّ أَتْيَاتِكَ سَعْيًا وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعِ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَثَلًا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٣﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُطْلُؤُا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَذَى كَالَّذِي كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَةً لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾

[٢٦٥] ﴿وَر﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ قال - تعالى - له: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ قُلْتَ نَوْمٌ﴾ بقدرتي على الإحياء؛ سأله مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيبه بما سأل؛ فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنت ﴿وَلَٰكِن﴾ سألتك ﴿يَظْمِنُ﴾ يسكن ﴿قَلْبِي﴾ بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ﴾ إليك ﴿بِكسر الصاد

(١) بالكسر قراءة حمزة وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) تفسير للفعل على كل من القراءتين، وأمره بإمالةهن إليه؛ أي: تفريرهن منه ليحقق أوصافهن، حتى يعلم بعد الإحياء أنه لم ينتقل جزء منها عن موضعه الأول أصلاً.

(٣) ولم يرد تحديدهن وتعيينهن في شيء من الأخبار الصحيحة الثابتة، فالأولى الاقتصار على إطلاق القرآن دون تعيين.

(٤) لا بد من تقدير مضاف في أحد الجانبيين؛ أي: مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والشارح سلك الأول.

(٥) غني يعطي عن سعة.

(٦) الجملة استئناف مبني على السؤال؛ كأنه قيل: فماذا يكون مآلهم حيثذا؟ فقيل: لا يقدرُونَ... إلخ.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٧﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُفْسِدْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْتَلْئِقُونَ النَّاسَ الْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٨٠﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٨١﴾

﴿٧٧﴾ أي: نعم شيئاً إبداءه ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ تسروها ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾ فهو خير لكم من إبدائها وإيتائها للأغنياء، أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها، ليقبدي به، ولئلا يهيم، وإيتاؤها الفقراء متعين ﴿وَيُكَفِّرْ﴾ بالياء والنون (١)؛ مجزوماً بالطف على محل ﴿فَهُوَ﴾ (٢) ومرفوعاً على الاستئناف ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ﴾ بعض ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَا تَسْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه. ولما منع ﴿لَكُمْ﴾ من التصديق على المشركين ليسلموا، نزل: ﴿[٢٧٢] لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ أي: الناس إلى الدخول في الإسلام، إنما عليك البلاغ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿وَلَا تُفْسِدْكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (٣) أي: ثوابه (٤) لا غيره من أعراض الدنيا، خير بمعنى النهي (٥) ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون منه شيئاً، والجملة (٦) تأكيد للأولى (٧).

[٢٧٣] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خير مبتدأ محذوف؛ أي: الصدقات ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: حسبوا أنفسهم على الجهاد، نزلت في أهل الضفة؛ وهم: أربعمائة من المهاجرين أُرْضِدُوا لِتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفرًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (٨) أي: لتعففهم عن السؤال وتركة ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يا مخاطباً (٩) ﴿بِسِيمَتِهِمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهد ﴿لَا يَسْتَلْئِقُونَ النَّاسَ﴾ شيئاً فيلحظون ﴿إِلْحَافًا﴾ (١٠) أي: لا سؤال لهم أصلاً؛ فلا يقع منهم إلحاف؛ وهو: الإلحاح ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

[٢٧٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[٢٧٠] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَمَا يَعْلَمُهَا﴾ أي: هرة قال: قال النبي ﷺ: ليس للمسكين الذي ترده التمرة والتمرثان، ولا للقمعة واللقمتان، وإنما للمسكين الذي يتعفف، أقره إن شئتم - يعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَلْئِقُونَ النَّاسَ﴾ (١٢) كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة (٢) باب (٤٨) - وأخرجه مسلم - كتاب الزكاة (١٢) باب (٣٤) المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفتن له، فيصدق عليه.

[٢٧١] ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أي: النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: ليس للمسكين الذي ترده التمرة والتمرثان، ولا للقمعة واللقمتان، وإنما للمسكين الذي يتعفف، أقره إن شئتم - يعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَلْئِقُونَ النَّاسَ﴾ (١٢) كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة (٢) باب (٤٨) - وأخرجه مسلم - كتاب الزكاة (١٢) باب (٣٤) المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفتن له، فيصدق عليه.

(١) بالنون مع الجزم قراءة نافع وحزمة والكسائي، والنون مع الرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء.

(٢) أي: مع خبره ومحلله مجزئ لوقوعه جواب الشرط.

(٣) وفيها إثبات صفة الوجه لله - سبحانه - على الوجه اللاتق به.

(٤) قال ابن القيم: إن حمله - أي الوجه - على الثواب المنفصل من أبطال الباطل؛ فإن اللغة لا تحتمل ذلك، ولا يعرف أن الجزء يسمى وجهاً للمجازي، كما أن الثواب مخلوق؛ فقد صح عنه ﷺ أنه استأذ بوجه الله فقال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُضِلَّنِي...» [رواه أبو داود وغيره]، ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعذ بمخلوق... [المفسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)] تصرف.

(٥) أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله.

(٦) أي: قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

(٧) أي: للشرطية الأولى، وهي: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُفْسِدْكُمْ﴾.

(٨) نكرة غير مقصودة للإشارة إلى أن حالهم ظهر لكل أحد.

(٩) مفعل مطلق عامله محذوف كما قدره المفسر، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله؛ أي: لا يسألون لأجل الإلحاف، ويصح أن يكون حالاً؛ أي: مصدرًا من موضع الحال تقديره: لا يسألون ملحقين.

﴿٢٧٥﴾ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٨﴾ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ وَذُرُّوا الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَقْعَلُوا مَأْمُورًا وَلَا تَنْهَوْا مَنعًا يَنْهَى مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ رِيبًا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٨٠﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٨١﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْتَبِعُوا آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴿٢٨٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيكُمْ آيَاتُهُ تُفَسِّرُهَا وَيُبَيِّنُهَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ وَرَحِمْنَا قَوْمًا لَمَّا كَفَرُوا بَعَثْنَا فِيهِمُ الرَّسُولَ قَرَأَ لَهُمْ آيَاتِ الْكِتَابِ وَذَكَرَ لَهُمُ التَّوْحِيدَ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٨٣﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٨٤﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٨٥﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٨٦﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٨٧﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٨٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٨٩﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٩٠﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٩١﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٩٢﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٩٣﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٩٤﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٩٥﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٩٦﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٩٧﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٩٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٢٩٩﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُفِّرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِعَدْلٍ قَدِيرٍ ﴿٣٠٠﴾**

المعاملة بالثمن والمطومات في القدر^(١) أو الأجل^(٢) ولا يؤمّنون من قبورهم ﴿٢٧٥﴾ قياما ﴿٢٧٦﴾ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴿٢٧٧﴾ بصرعه ﴿٢٧٨﴾ الشيطان من ألمس ﴿٢٧٩﴾ الجنون، متعلق بـ ﴿يؤمّنون﴾، ذلك الذي نزل بهم ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿قالوا﴾ إنما البيع مثل الربوا ﴿في الجواز﴾، وهذا من عكس التشبيه مبالغة؛ فقال - تعالى - ردًا عليهم: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءكم ببلغه موعظة﴾ وغط ﴿من ربه فأنهين﴾ عن أكله ﴿فلم ما سلف﴾ قبل النهي؛ أي: لا يسترد منه ﴿وأمره﴾ في العفو عنه ﴿إلى الله﴾ ومن عاد ﴿إلى أكله﴾ شديدا له بالبيع في الحل ﴿فأولئك أصحاب النار﴾ هم فيها خالدون.

﴿٢٧٦﴾ ﴿يمحق الله الربوا﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿ويزيل الصدقات﴾ يزيدوها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿والله لا يحب كل كافر﴾ بتحليل الربا ﴿أثيم﴾ فاجر بأكمله؛ أي: يعاقبه^(٤).

﴿٢٧٧﴾ ﴿إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

﴿٢٧٨﴾ ﴿يتذكروا الذين ءامنوا اتقوا الله وذرؤا﴾ تركوا ﴿ما بين من الربوا إن كنتم مؤمنين﴾ صادقين في إيمانكم، فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله - تعالى -، نزلت لما طالت بعض الصحابة بعد النهي ريبا كان لهم من قبل.

﴿٢٧٩﴾ ﴿فإن لم تفعلوا ما أمرتم به فأذنوا﴾ اعلموا ﴿يحرب من الله ورسوله﴾ لكم، فيه تهديد شديد لهم، لما نزلت قالوا: ﴿لا يذني﴾ لنا بحربه ﴿وإن تبشر﴾ رجعت عنه ﴿فلكم رؤوس﴾ أصول ﴿أمولكم﴾ لا تظلمون ﴿بزيادة﴾ ولا تظلمون ﴿بنقص﴾^(٥).

﴿٢٨٠﴾ ﴿وإن كان﴾ وقع^(٦) غريم ﴿ذو عسرة فظنر﴾ له؛ أي: عليكم تأخيره ﴿إلى ميسرة﴾ بفتح السين وضمها^(٧)؛ أي: وقت يسر ﴿وإن تصدقوا﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد، وبالتخفيف على حذفها^(٨)؛ أي: تصدقوا على المعسر بالإبراء^(٩) ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير فافعلوه، وفي الحديث: ﴿من أنظر مغييرا أو وضع عنقه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله﴾^(١٠) [رواه مسلم].

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٥٠).

وأخرج أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت الآيات من سورة البقرة في الربا خرج النبي ﷺ إلى المسجد فقرأهن على الناس، ثم حرم تجارة الخمر. البخاري - كتاب الصلاة (٨) باب (٣٧) حرم تجارة الخمر في المسجد.

(١) وهو ربا الفضل ولا يكون إلا عند اتحاد الجنس.

(٢) وهو ربا النساء، ويكون في متحد الجنس ومختلفه، وهو البيع مع تأجيل العوضين أو أحدهما.

(٣) فيها إثبات صفة الحية لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه - وعلى ما تقتضيه الحكمة البالغة.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب الأشاعرة ينفونها بدعوى أنها توهم نقضا؛ فيرجعونها إلى معنى إرادة الثواب والعقاب، ومذهب السلف لإثباتها على الحقيقة على الوجه اللائق به - سبحانه - دون أن يقتضي ذلك عندهم نقضا ولا تشبيها، كما يثبتون لازم الحية وهو الإكرام والإثابة، ولزم ضدها وهو الإهانة والعقاب، أما المعتزلة؛ فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به فيفسرون الحية بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله، وضدها بالعقاب الواجب عندهم على الله؛ بناء على مذهبه في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

(٥) بصيغة الأفراد في نسخة، وفي أكثر النسخ بصيغة التثنية «لا يذني» وحذفت النون تخفيفا؛ والمعنى على كل من النسختين: لا قدرة ولا طاقة لنا.

(٦) أشار بذلك إلى أن «كان» تامه، و«ذو» فاعلها، وهو الأقرب، ويصح كونها ناقصة و«ذو» اسمها، وخبرها محذوف تقديره: غريما لكم.

(٧) بالضم قراءة نافع.

(٨) والتشديد قراءة السبعة عدا عاصم.

(٩) من كل الذين أو بعضه.

(١٠) مسلم (٣٠٠٦).

(١١) أي: «تترجعون»، وهي قراءة أبي عمرو.

﴿٢٨١﴾ ﴿واتقوا يوما ترجعون﴾ بالبناء للمفعول: تردون، وللفاعل: تسيرون^(١١) ﴿في يوم إلى الله﴾ هو يوم القيامة ﴿ثم تؤف﴾ فيه ﴿كل نفس﴾ جزاء ﴿ما كسبت﴾ عملت من خير وشر ﴿وهم لا يظنون﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

الكتاب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدُّنْيُ لأنه المشهود عليه، فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَلَيْسَ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْحَسُ﴾ ينقص ﴿بِئْتَهُ﴾ أي: الحق ﴿سَبِيحًا﴾ فَإِنَّ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَبِيحًا ﴿مَبْدَرًا﴾ أَوْ ضَمِيمًا عن الإملاء ليصغر أو يكبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَيِّنَ هُوَ﴾ لِحَرْسٍ أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُحْمَلْ وَلْيُؤْمَرْ﴾ متولي أمره من الولد ووصي وقِيم ومُتَرَجِم ﴿يَأْتِدَلُّ﴾ وَأَسْتَشْهِدُوا ﴿أَشْهَدُوا عَلَى الدِّينِ﴾ سَهِيدِينَ ﴿شَاهِدِينَ﴾ من رَجَالِكُمْ ﴿أَي: الْبَالِغِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْرَارِ﴾ فَإِنَّ لَمْ يَكُونُوا ﴿أَي: الشَّهِيدَانَ﴾ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَاتَانِ وَأَمْرَاتَانِ ﴿يَشْهَدُونَ﴾ وَمَنْ تَرَضَّوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ لِدِينِهِ وَعَدَالَتِهِ؛ وتعدد النساء لأجل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ الشهادة لنقص عقلمن وضبطهن ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿إِخْلَافًا﴾ الذِّكْرَةَ ﴿الْأُخْرَى﴾ النّاسِيَةَ، وجملة الإذكار محل العلة؛ أي: لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال؛ لأنه سببه^(٢)، وفي قراءة: بكسر^(٣) ﴿أَنْ﴾ شرطية، ورفع ﴿تذكر﴾^(٤) استئناف^(٥)، جوابه: ﴿وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿دُعُوا﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾ تملوا من ﴿أَنْ تَكْتُمُوهُ﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿صَاحِبًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلًا أو كثيرًا ﴿إِلَّا أَجْلِيَّةً﴾ وقت حلوله، حال من الهاء في ﴿تَكْتُمُوهُ﴾^(٦) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكُتْبُ ﴿أَفْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أعون على إقامتها؛ لأنه يذكرها ﴿وَأَدَقُّ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا﴾ تقع ﴿بِحِجْرَةٍ﴾ خاضرة^(٧) في قراءة: بالنصب، فـ ﴿تَكُونُ﴾ ناقصة، واسمها ضمير «التجارة»^(٨) ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا تَكْتُمُوا﴾ المراد بها المنجر فيه ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه؛ فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر نذبي ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبًا وَلَا شَهِيدًا﴾ صاحب الحق ومن عليه؛ بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة^(٩) والشهادة ﴿وَأَنْ تَقْعَلُوا﴾ ما نهيتهم عنه ﴿فَلَيْتَهُمْ سُوءًا﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿بِكُمْ﴾ وَأَنْشَأُوا اللَّهَ فِي أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مصالح أموركم، حال مقدره، أو مستأنف^(١٠) ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُمُوهُ وَلَيْكُتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَيِّنَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلْيَهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَاتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُمُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِمْ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَلُوا فَإِنَّهُ سَوْفَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بِدِينٍ﴾ كتملم قرض ﴿إِلَّا أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَآكْتُمُوهُ﴾ استنطاقًا، ودفعًا للنزاع^(١) ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كتاب الدَّيْنِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ ﴿بِالْحَقِّ فِي كِتَابَتِهِ لَا يَزِيدُ فِي الْمَالِ وَالْأَجَلِ وَلَا يَنْقُصُ﴾ وَلَا يَأْبَ ﴿يَمْتنع﴾ كَاتِبًا ﴿مِنْ أَنْ يَكْتُبَ﴾ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهَا ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أَي: فَضَّلَهُ بِالْكِتَابَةِ؛ فَلَا يَبْخُلُ بِهَا، وَالْكَافُ متعلقة بـ ﴿يَأْبَ﴾^(٢) ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تَأْكِيدٌ ﴿وَلْيُمْلِلْ﴾ يُمْلِلُ

(١) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للإرشاد لا للوجوب، وهو مذهب الجمهور.

(٢) عبارة غير المفسر: متعلقة بـ ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ وهي الصواب؛ لأن التعلّق المذكور على وجه التعليل للنهي عن الإباء؛ أي يحرم عليه الإباء المذكور؛ أي الامتناع من الكتابة؛ لأجل تعليم الله - تعالى - إياها؛ فيجب عليه أن يبذلها كما أمره الله - تعالى - ولا يبخل بها؛ فالكاف للتعليل، وهما مصدرية، والهاء للكتاب.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ولازمه سكنون الذال، فتكون: ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾، قال البعض: من «الذِّكْر» الذي هو ضد الأشي؛ والمعنى: إن المرأة الثانية إذا شهدت مع الأولى ذكرتها؛ أي: جعلتها كالذِّكْر؛ أي: كالرجل الذي لا يحتاج إلى غيره في الشهادة.

(٤) أي: لأن الضلال سبب الإذكار، والإذكار مسبب عنه؛ فنزل منزله؛ ومن شأن العرب إذا كان لليلة علة قدموا ذكر علة العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء؛ لنحصل الدلائلن معًا بعبارة واحدة، وهذا مما يعول فيه على المعنى ويهجر فيه جانب اللفظ، فلا يرد كيف جعل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ علة لاستشهاد الرأتين بدل رجل مع أن عله إنما هي الذِّكْر. [تفسير أبي السعود].

(٥) لحزمة.

(٦) أي: إن أداة الشرط لم تعمل في لفظه، وجملة «هُذِّكْر» خير لمبتدأ محذوف؛ أي: وفيها تذكّر» والجملة في محل جزم جواب الشرط.

(٧) أي: لا تهملوا الأجل في الكتابة، وإنما تقولون: ثبت كذا مؤجلاً بكذا.

(٨) أي: اسمها مضمر فيها وتقديره: إلا أن تكون العاملة أو المايعة أو التجارة.

(٩) مثل أن يأمره بكتابة ما لم يطلع عليه، أو يمنع من إعطائه أجرته له.

(١٠) والأولى الإقتصار عليه؛ لأن جملة حالاً خلاف القاعدة النحوية: أن الجملة المضارعة المثبتة إذا وقعت حالاً فإن الضمير يلزمها وتخلو من الواو، ولا يصح أيضًا عطفها على جملة: ﴿وَأَنْشَأُوا اللَّهَ﴾؛ لأنه يلزم منه عطف الخبر على الإنشاء.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ
 قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
 لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَخْفَى
 عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكَ
 فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هُوَ
 الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
 الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ
 مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ
 إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ
 رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ فُؤُوبَنَا بَعْدَ
 إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ رَبَّنَا
 إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

[مدنية، مائتان أو: إلا آية، نزلت بعد الأنفال]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 [١] الرَّحْمَنُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِذَلِكَ. [٢] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
 الْقَيُّومُ. [٣] نَزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ مَلْتَبِسًا
 بِالصِّدْقِ فِي أَحْبَابِهِ مُمَدِّدًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ

﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [٤] ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل تنزيله ﴿هُدًى﴾ حال ﴿٣﴾؛ بمعنى: هاديين من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ﴾ من تبعهما، وعبر فيها به ﴿أَنزَلَ﴾ وفي القرآن به ﴿نَزَلَ﴾ المقضي للتكرير؛ لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿٤﴾ ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ بمعنى: الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذكره بعد ذكر الثلاثة؛ ليعم ما عداها ﴿٥﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ غالب على أمره؛ فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيدته ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ عقوبة شديدة من عصاه، لا يقدر على مثلها أحد. [٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي، وخصصها بالذكر؛ لأن المحس لا يتجاوزهما. [٦] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكَ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من ذكورة وأنوثة، وبياض وسواد، وغير ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعته. [٧] ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لا تفهم معانيها؛ كأوائل السور، وجعله كله مُحْكَمًا في قوله: ﴿أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (٧) بمعنى: أنه ليس فيه عيب، ومُتَشَابِهَاتٌ في قوله: ﴿كَيْتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ (٧) بمعنى: أنه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مثل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلب ﴿الْفِتْنَةِ﴾ لجهاليتهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ تفسيره ﴿وَمَا يَسْمَعُ تَأْوِيلَهُ﴾ تفسيره ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحده ﴿٨﴾ ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الثابتون المتعمقون ﴿٩﴾ ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ خبيرة؛ ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي: بالمشابهة؛ أنه من عند الله، ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾ من الحكم والمشابهة ﴿وَمَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يادغام الناء في الأصل في الدال؛ أي: يعظ ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول. ويقولون أيضًا إذا رأوا من يشبهه ﴿٨﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ فُؤُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تَنْبِيئًا ﴿٩﴾ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. [٩] يا ﴿رَبَّنَا﴾ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ تَجْمَعُهُمْ ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿وَيَوْمَ﴾ هو يوم القيامة؛ فتجازيهم بأعمالهم؛ كما وعدت بذلك ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ﴾ مواعده بالبعث، فيه التفات (١٢) عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه. تعالَى (١٣). والغرض من الدعاء بذلك بيان أن ههنا أمر الآخرة؛ ولذلك سألوا الثبات على الهداية؛ لينالوا ثوابها؛ روى الشيخان عن

= وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ أَمَانٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا تَقْرُبُ بَيْتَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَكَانُوا سَوِيًّا وَأَلْمَنَّا بِعُقُوبَتِكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ الْغَوِيُّ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنزَلَ اللَّهُ الْفُرْقَانَ، وَلَا يُخَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَمُسَمَّيًّا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَنَهَبًا مَا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذُكَ إِنَّ سَيِّئًا أَوْ أَسْخِيًّا أَوْ أَهْلًا أَوْ كَلْبًا، قَالَ: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْ فُؤُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: تبع المشابهة بالعلم بظواهرها؛ أو بتأويله تأويلًا لا يليق. قِيلَ: قَالَ: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْ فُؤُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: تبع المشابهة بالعلم بظواهرها؛ أو بتأويله تأويلًا لا يليق. (٥٧) بيان مجازي الله عن حديث النفس. فائدة: وأخرج مسلم أيضًا: عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم =

(١) أشار به إلى أن قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بمحذوف؛ فيكون في محل نصب على الحال. (٢) أي: قبل تنزيل الكتاب الذي هو القرآن. (٣) أي: من التوراة والإنجيل. (٤) قال الشيخ صفي المبركفوري في تعليقه على تفسير الجلالين ص ٥٩: «هذا التوجيه لبيان الفرق بين الإنزال والتنزيل غير صحيح، وقد جرى على هذا الخطأ كثير من أهل العلم؛ فقد وقع التعبير عن نزول القرآن بالإنزال ومشتقته بنحو مائة مرة، أما التعبير بالتنزيل ومشتقته فقد وقع ما بين ثلاثين وأربعين مرة فقط. (٥) فسر من عطف العام على الخاص؛ فالراد ﴿بِالْفُرْقَانِ﴾ هنا: الفارق بين الحق والباطل لا خصوص القرآن؛ فالفرقان كما يطلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب. (٦) هود: ١. (٧) الزمر: ٢٣. (٨) أشار به إلى أن الوقف على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو مذهب الأكثرين، وهو أقرس بالعربية وأشبه بظاهر الآية. (٩) قال مالك: الراسخ في العلم من جمع أربع خصال: الخشية فيما بينه وبين الله، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه. (١٠) أي: يتبع المشابهة بالعلم بظواهرها؛ أو بتأويله تأويلًا لا يليق. (١١) تفسيره الرحمة بالتبنيح جريًا على مذهبه في تأويل الرحمة، وسبق بيان المذهب الحق، والتبنيح من لازم الرحمة كما قال ابن كثير: ﴿رَحْمَةً﴾ تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا وتزيدنا بها إيمانًا وإيمانًا. [ابن كثير ١/ ٢٢٩]. (١٢) هذا على أنه من كلام الراسخين؛ فيه التفات من الخطاب في قولهم: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ﴾. (١٣) فلا يكون فيه التفات على مذهب الجمهور، وفيه التفات عن التكلم على مذهب السكاكي.

عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ** إلى آخرها، وقال: فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سئى الله، فأخذوهم»^(١)، وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمتي إلا ثلاث جلال...» وذكر منها: أن يُفتَحَ لهم الكتاب؛ فيأخذهُ المؤمن يتتبع تأويله، وليس يعلم تأويله إلا الله، **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**»^(٢) الحديث.

[١٠] **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ آموالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ** أي: عذابه **وَسَيُنَازِلُهُمْ الْعَذَابُ** كعادة **عَالِي فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** من الأمم؛ كعاد وثمود **كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ** أهلهم **بِذُنُوبِهِمْ** والجملة^(٤) مفسرة لما قبلها^(٥) **وَاللَّهُ سَوِيدٌ أَلْيَقَابِ** ونزل - لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام مزجعة من بدر؛ فقالوا: لا يغرنك أن قلت نفرا من قريش أعمارا لا يعرفون القتال :: [١٢] **قُلْ** يا محمد **يَلْبَسُونَ كَفْرًا** من اليهود: **سَخَفِيكُونَ** بالباء والياء^(٦)، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك **وَيُخَشِرُونَ** بالوجهين^(٧)، في الآخرة **إِنَّكَ جَهَنَّمَ** فندخلونها **وَيَبْسُ الْيَهُودُ الْفِرَاسَ** هي^(٨).

[١٣] **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ** عبرة، **وَذَكَرَ الْفِعْلُ**^(٩) للفضيل **فِي يَتَنَبَّئِينَ** فرقتين **الْفَتَنَاتِ** يوم بدر للقتال **فِي سَبِيلِ اللَّهِ** أي: طاعته؛ هم: النبي وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة **وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم** أي: الكفار **وَيَتَّبِعُهُمُ الْفِئْرَةُ** أي: المسلمين؛ أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف **رَأَى الْفِتْنَةَ** أي: رؤية ظاهرة معاينة، وقد نصرهم الله مع قلتهم **وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ الْبَاقِيَةَ** بقوي **يَضْرِبُونَ** إنك في ذلك **الْمَذْكَورُ** **لِيُؤَيِّدَ لِرَأْيِ الْأَنْصَارِ** لذوي البصائر؛ ألا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟! [١٤] **رَبِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ** ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زيتها الله^(١٠) ابتلاء أو الشيطان^(١١) **مِنَ الْمَرْغَبَاتِ وَالْبَشِيرَاتِ وَالْفَنَائَاتِ** الأموال الكثيرة **الْمُقَنَطَرَةِ** الجمعة **مِنَ الْغَنَمِ وَالْفِئْرَةِ وَالْحَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ** الحسان **وَالْأَنْعَامِ** أي: الإبل والبقر والغنم **وَالْحَرْثِ** الزرع **وَالْحَرْثِ** ذلك **الْمَذْكَورُ** **مَتَكِّعُ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا** يتمتع بها فيه ثم يفنى **وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَصَابِ** المرجع؛ وهو: الجنة؛ فينبغي الرغبة فيه دون غيره. [١٥] **قُلْ** يا

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ آموالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ **كَذَابٌ** آل فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ **وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَابُونَ** وتخشرون إلى جهنم **وَيَبْسُ الْمَهَادُ** قد كان لكم آية في فتنة التي فتنت قتل في سبيل الله وأخرى كفره يرونهم فتأنيدهم رأى العين والله يؤيد بصروهم من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار **رَبِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْمَرْغَبَاتِ وَالْبَشِيرَاتِ وَالْفَنَائَاتِ** **وَالْحَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ** ذلك **مَتَكِّعُ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا** والله عنده رحمن المصاب **قُلْ** **أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ** من ذلكم **لِلَّذِينَ اتَّقَوْا** عند ربهم **جَنَّتْ تَجْرِي** من تحتها الأنهار **خَالِدِينَ فِيهَا** وأزواج مطهرة **وَرِضْوَانٌ** من الله والله بصير **بِالْعِبَادِ**

محمد لقومك: **أُوْنَيْتُكُمْ** أخيركم **بِخَيْرٍ** من ذلكم **الْمَذْكَورُ** من الشهوات، استفهام تقرير^(١٢) **لِلَّذِينَ اتَّقَوْا** الشرك **عِنْدَ رَبِّهِمْ** خير مبتدؤه **جَنَّتْ تَجْرِي** من تحتها الأنهار **خَالِدِينَ** أي: مقدرين الخلود^(١٣) **فِيهَا** إذا دخلوها **وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ** من الحيض وغيره مما يشتدُّ **وَرِضْوَانٌ** بكسر أوله وضمه لغتان^(١٤)؛ أي: رضا^(١٥) كثير **وَرِيتُ** الله والله بصير **عالم**^(١٦) **بِالْعِبَادِ** فيجازي كلأ منهم بعمله.

= لم يفتح قط إلا اليوم، فزل منه ملك. قال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. سبق تخريجه في تفسير سورة الفاتحة. وأخرج الترمذي عن العمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقرنها شيطان». الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٤) ما جاء في آخر سورة البقرة. صحيح سنن الترمذي (٢٣١١).

(١) البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).
 (٢) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٨٠).
 (٣) وهي قراءة العشرة، وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى: الإيقاد. (٤) أي جملة: **كذَّبُوا... الآية**. (٥) وهي قوله: **كَذَابٌ** آل فِرْعَوْنَ الآية [آل عمران: ١١].
 (٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي. (٧) أي: بئاء والياء، بالياء قراءة حمزة والكسائي.
 (٨) أخرجه أبو داود عن ابن عباس، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٦٤٧). وحسنه في الاستيعاب مجموع طرقه. الاستيعاب في بيان الأسباب (١/٢٣٢، ٢٣٣).
 (٩) وهو **كأن** **ذُكِرَ** للفصل والجار والمجرور، وهو قوله: **هَلْ كُنْتُمْ**. (١٠) كما في قول عمر: **اللَّهُمَّ لا ضيرَ لنا على ما زَيَّبتَ لنا إلا بك** [رواه البخاري معناني الرقاق باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خضرة حلوة»].
 (١١) أي: بالوسوسة. (١٢) وليس المراد به هنا طلب الإقرار والاعتراف من المخاطبين كما هو معنى الاستفهام التقريري في الأصل، بل المراد به التحقيق والتثبت في نفوس المخاطبين.
 (١٣) أي: في حال مقدرة.
 (١٤) وهما قراءتان، والضم قراءة شعبة.
 (١٥) أشار بذلك إلى أن كلأ من المكسور والمضموم مصدر «رضي» فهما بمعنى واحد، وإن كان الثاني سماعيًا والأول قياسيًا.
 (١٦) وهذا تأويل، وصفة البصر من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة على الوجه اللاتق به دون أن يقتضي ذلك نقضا أو تمثيلا له المخلوق كما قال - شيخنا: **لَيْسَ كَثِيرُهُ شَيْءٌ وَقُوهُ** **الْتَمِيحُ الْخَيْرِيُّ** [الشورى: ١١].

معبود في الوجود يَحَقُّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ وشهد بذلك ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ بالإقرار ﴿وَأُولُوا أَلْفَبْرُجٍ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿فَأَيُّهَا﴾ بتدبير مصنوعاته، ونَصَبَهُ على الحال^(١)، والعاقل فيها معنى الجملة؛ أي: تَقَرَّرَ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيداً ﴿الْمَرْزُوقِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

[١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ المرضي ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿الْإِسْلَامُ﴾ أي: الشرح المبعوث به الرسل، المبني على التوحيد، وفي قراءة بفتح ﴿إِنَّ﴾ بدل من «أنه... إلخ»، بدل اشتمال^(٢) ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْلُوا﴾ الكتبت ﴿اليهود والنصارى في الدين؛ بأن وَخَدَ بعضٌ وَكَفَرَ بعضٌ﴾ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْفَبْرُجٌ﴾ بالتوحيد ﴿بَنِيًّا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

[٢٠] ﴿فَإِنَّ حَاجُونَكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿نَقَلْ﴾ لهم: ﴿أَسَأَلْتُ وَيَسْأَلُونَ لِي﴾ انقذت له أنا ﴿وَمَنْ أَسَأَلْتُمْ﴾ وخص الوجه بالذكر؛ لشره؛ فغيره أولى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْلُوا﴾ الكتبت ﴿اليهود والنصارى﴾ ﴿وَالَّذِينَ﴾ مشركي العرب: ﴿ءَأَسَأَلْتُمْ﴾ أي: أسألوا ﴿فَإِنْ أَسَأَلُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ من الضلال ﴿وَإِنْ أَوْلُوا﴾ عن الإسلام ﴿فَكَيْفَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ﴾ أي: التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا قبل الأمر بالقتال^(٣).

[٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ بتأييد الله وَيَقْتُلُونَ ﴿وفي قراءة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾﴾ ﴿الَّذِينَ يَسْتُرُونَ﴾ وَيَقْتُلُونَ ﴿الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ وهم: اليهود؛ روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً؛ فنهاهم مائة وسبعون من عُجَابِهِمْ؛ فقتلواهم من يومهم ﴿فَيَنْتَرَهُمْ﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ مؤلم، وذَكَرَ البشارة تَهَكُّمَ بهم، ودخلت الفاء في خبر ﴿إِنَّ﴾؛ لثبته اسمها الموصول بالشرط^(٤).

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَمَلَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ ما عملوا من خير؛ كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها؛ لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ نَّصِيرَةٍ﴾ مانعين من العذاب.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمَتَانَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٢٠﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْلُوا الْأَكْتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ حَاجُونَكَ فَقُلْ أَسَأَلْتُ وَجَهِي إِلَيْهِ وَمَنْ أَسَأَلْتُمْ وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْلُوا الْأَكْتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسَأَلْتُمْ فَإِنْ أَسَأَلُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ وَيَغْتَرِبُونَ فِي الدُّنْيَا وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَيَنْتَرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَمَلَتْ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّصِيرَةٍ ﴿٢٥﴾

[١٦] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا ﴿رَبَّنَا﴾ إِنَّمَا أَمَتَانَا صدقنا بك وبرسولك ﴿فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٧] ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿وَالْمُسْتغْفِرِينَ﴾ في الإيمان^(١) ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ المتصدقين ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ الله؛ بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿وَالْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل، حُصِّتْ بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يَبَيِّنُ لخلقهِ بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

(١) بالتصدق بالقلب واللسان، والانقياد بالقلب واللسان والجوارح.

(٢) إما من لفظ الجلالة، أو من الضمير المنفصل ﴿هُوَ﴾ بعد ﴿إِلَّا هُوَ﴾، والأحسن الثاني؛ ليفيد أن الله شهد شهادتين الأولى: أنه لا إله إلا هو، والثانية: أنه قائم بالقسط، ومتعلق الأولى تنزيه ذاته، ومتعلق الثانية تنزيه صفاته.

(٣) وهي قراءة الكسائي، والتقدير: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين...

(٤) وهذا بناء على تفسيره الإسلام بأنه الشريعة؛ لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، أما إذا فُسر بالإيمان أو التوحيد كان بدل كل من كل. وذكر الرضي: أن بدل الاشتمال أن يكون المخاطب متفظاً للبدل عند سماع المبدل منه وهنا ليس كذلك.

(٥) أي: فهو منسوخ.

(٦) الصوابُ ذَكَرَ هذه العبارة بعد قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ﴾ الآية [آل عمران: ٢١]؛ لأن القراءتين إنما هما في الثانية، أما الأولى فهي ﴿يَقْتُلُونَ﴾ لا غيرها؛ فذَكَرَهَا هنا سبق قَلَمٍ مِنْ بِنِ الشارح.

(٧) في قراءة حمزة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾.

(٨) واسمها الموصول هو ﴿الَّذِينَ﴾ وهو في الأصل مبتدأ، والمبتدأ متى وقع اسم موصول ولو منسوخاً قرن خبره بالفاء، إلا إذا نسخ بـ«ليت»، ولعل، وكان «فتنعت الفاء عند الجميع لتغير المعنى لانتفاء معنى الخبرية؛ فلا يبقى الكلام محتملاً للصدق والكذب بخلافه بعد دخول «إن».

[٣٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ خَبَرَ﴾ اختار ﴿مَادِمًا وَوُكَا وَمَالَ إِبْرَاهِيمَ وَمَالَ عِمْرَانَ﴾ بمعنى: أنفسهما ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤) يجعل الأنبياء من نسلهم.

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنَّيْ وَوَلَدٌ بَعْضُهُمْ مِّنْهُمْ﴾ والله سميعٌ عليهم.

[٣٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتْ أَمْرَأَتُ عِمْرَانَ حَتَّةً﴾ لما أسنت واشتاق للولد؛ فدعت الله، وأحست بالحمل: يا رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُكَ أَنْ أَجْعَلَ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴿عَنِ خَالِصًا مِنْ شَوَاعِلِ الدُّنْيَا لِحُدُومَةِ بَيْتِكَ الْمَقْدِسِ﴾ فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ ﴿لِلدَّعَاءِ﴾ الْعَلِيمُ ﴿بِالْثِّيَابِ﴾ وَهَلَكَ عِمْرَانُ وَهِيَ حَامِلٌ.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ ولدتها جارية، وكانت ترجو أن يكون غلامًا؛ إذ لم يكن يحرر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معنرة: يا رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ﴿بِأَيِّ عَالَمٍ﴾ ﴿يَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ جملة اعتراض من كلامه - تعالى - وفي قراءة: بضم التاء^(٥)، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالذَّكَرِ﴾ التي وهبت؛ لأنه يُفَضَّلُ للخدمة، وهي لا تصلح؛ لضعفها وعورتها وما يعترها من الخيض ونحوه ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُمَا﴾ أولادها ﴿وَمِنَ الشَّقِيَّةِينَ الرَّجِيمِ﴾ المطرود، في الحديث: «ما من مؤلود يؤلَّد إلا سُمِّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ؛ فَيَسْتَهْلِكُ صَارِحًا إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا»^(٦) [رواه الشيخان].

[٣٧] ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قبل مريم من أمها ﴿بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أنشأها بخلق حسن؛ فكانت تنبت في اليوم؛ كما نبت المولود في العام، وأنت بها أمُّها الأجزاء سدة بيت المقدس، فقالت: دونكم هذه النذيرة. فننفسوا فيها؛ لأنها بنت إمامهم؛ فقال زكريا: أنا أحقُّ بها؛ لأن خالتها عندي. فقالوا: لا حتى نقترع. فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن، وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد أولى بها، فثبت قلم زكريا؛ فأخذها وتبى لها غرفة في المسجد بشلم لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكملها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ صَمَّهَا إِلَيْهِ، وفي قراءة: بالتشديد^(٧)، ونصب «زكريا» ممدودًا ومقصورًا^(٨)، والفاعل «الله» ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الغرفة، وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا﴾ من أين لك هذا؟ قالت: وهي صخرية: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقًا واسعًا بلا تبعة.

يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِذْ قَالَتْ أَمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

[٣٠] اذكر ﴿يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ هـ ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ هـ ﴿مِنْ سُوءٍ﴾ مبتدأ خبرية: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرر للتأكيد ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. ونزل - لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حبا لله؛ ليقتربوا إليه^(١) -: [٣١] ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ بمعنى: يتبعكم^(٢) ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِيَنْتَبِعِي مَا سَلَفَ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ ﴿رَجِيمٌ﴾ به.

[٣٢] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر؛ أي: لا يحبهم؛ بمعنى: أنه يعاقبهم^(٣).

(١) يشير إلى ما أخرجه الواحدي بنحوه عن جوير عن الضحاک عن ابن عباس به، وقال الحافظ في العجايب (٢/٦٧٨): «وهذا من منكرات جوير؛ فإن آل عمران مدينة، وهذه القصة إما كانت بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيها في أوائل الزمر، وضعفه جئاً في الاستيعاب (١/٢٤٢/١).

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة التي أنبتها الله لنفسه وأنبتهَا له رسوله ﷺ ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وأنهم يثبتونها على الوجه الذي يليق به - سبحانه.

(٣) وهذا تأويل مخالف لظاهر اللفظ ومذهب السلف، وسبق بيان ذلك مراراً، ومن لازم عدم محبه - سبحانه - لهم أنه يعاقبهم.

(٤) المراد: عالمٌ زمانهم.

(٥) لابن عامر وشعبة، وعلى هذه القراءة يكون ذلك من كلامها اعتذاراً.

(٦) البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة.

(٧) والقراءة الغشيرة بالتخفيف لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٨) بالمد؛ أي: زكرياء، لمن سبق ومعهم شعبة.

[٣٨] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: لما رأى زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادرٌ على الإتيان بالولد على الكبر، وكان أهل بيته انفضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لما دخل الحراب^(١) للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولذا ضاحياً ﴿إِنَّكَ سَمِيعٌ﴾^(٢) مجيب ﴿الدُّعَاءِ﴾.

[٣٩] ﴿فَدَاتَهُ الْمَلَكُ﴾ أي: جبريل^(٣) ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد ﴿أَنْ﴾ أي: بأن، وفي قراءة: بالكسر^(٤) بتقدير القول ﴿اللَّهُ يُبَشِّرُكَ﴾ متفلاً ومخففاً^(٥) ﴿بِإِحْسَانٍ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ كَانَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: بعيسى أنه روح الله، وسَمِعِي كَلِمَةً؛ لأنه خلق بكلمة: ﴿كُنْ﴾ ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعاً ﴿وَصَصُورًا﴾ متبوعاً من النساء ﴿وَيَسَبَّحُ بِحَمْدِكَ مِنَ الصُّلُوحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهَمْ بها.

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي كَيفَ يَكُونُ لِي عَلِيمٌ﴾ ولَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ الْكِبَرَ﴾ أي: بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بَلَغْتَ ثَمَانِي وَتِسْعِينَ ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق الله غلاماً منكماً ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة أَلْهَمَهُ السُّؤَالَ؛ لِيَجَابَ بِهَا. وَمَا نَأَتْ نَفْسَهُ إِلَى سُرْعَةِ الْمُبَشِّرِ بِهِ.

[٤١] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ يَا أَيُّكَ﴾ عليه ﴿أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله - تعالى - ﴿وَتَكُنَّ آيَاتِهِ﴾ أي: بلياليها ﴿إِلَّا مَرَمًا﴾ إشارة ﴿وَأَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ﴾ صَلُّ بِالْمَبْنِيِّ وَالْإِبْرَكَرِ، أواخر النهار وأوائله.

[٤٢] ﴿وَوَدَّ أَنْ يُدْعَى بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: جبريل: ﴿يُنْعِمُ﴾^(٦) إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَكَ إِخْتَارَكَ ﴿وَطَهَّرَكَ﴾ من ميسس الرجال^(٧) ﴿وَأَمْطَفَكَ عَلَى نَيْسَةِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أهل زمانك.

[٤٣] ﴿يُنْعِمُ أَقْنَى لِرَبِّكَ﴾ أطبعه ﴿وَأَسْجُدِي وَأَذْكِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: ضلّي مع المصلين.

[٤٤] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومرم ﴿بَيْنَ أَنْبَاءِ النَّبِيِّ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿فُوجِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمْتَهُمْ﴾ في الماء يفترون؛ ليظهر لهم ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يرعي ﴿مَرِيَمَ﴾ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتهما؛ فتعرف ذلك؛ فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَدَاتَهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي كَيفَ يَكُونُ لِي عَلِيمٌ وَقَدْ بَلَغْتُ الْكِبَرَ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ يَا أَيُّكَ الْأُنثَى أَتَنكِحُنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِبْرَكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَكَ وَطَهَّرَكَ وَأَمْطَفَكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُؤُا أَقْنَى لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمْتَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[٤٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ أي جبريل: ﴿يُنْعِمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أي: ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبته إليها تبيها على أنها تلده بلا أب؛ إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جلال ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعاة والدرجات العلى ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

(١) أي: المسجد.

(٢) فيه إثبات صفة السمع لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه ..

(٣) فهو من تسمية الخاص باسم العام تعظيماً له.

(٤) حمزة وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي، ويكون بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين.

(٦) لعل الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم عالي الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس؛ فكان الله يقول: لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها. (حاشية الصاوي على الجلالين).

(٧) أي: ومن الحيض والنفس وكل قدر.

[٤٩] ﴿وَ﴾ يجعله ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعث الله إلى بني إسرائيل، قال لهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿أَنْ﴾ أي: بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ علامة على صدقي ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ هي: ﴿أَنْ﴾ وفي قراءة^(١): بالكسر؛ استنفاً ﴿أَخْلَقُ﴾ أصور ﴿لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورته؛ فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف^(٢) ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وفي قراءة^(٣): ﴿طَائِرًا﴾ ﴿يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ بإرادته، فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقاً؛ فكان بطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ﴿وَأُتِرَى﴾ أُنشئ ﴿الْأَكْصَمَةَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وَخَصَّ بالذكر؛ لأنهما ذاء إعياء^(٤)، وكان بعثه في زمن الطب؛ فأبرأ في يوم خمسين ألف بالداء بشرط الإيمان ﴿وَأُتِيَ الْمُؤْمِنُ يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ كره؛ لنفي توهم الألوهية فيه؛ فأحيا ﴿عازراً﴾ - صديقاً له - وابن العجوز، وابنة العاشر؛ فعاشوا وولد لهم، ﴿وسام بن نوح﴾ ومات في الحال ﴿وَأُتِيْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرُسُونَ﴾ تخبثون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعياه؛ فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً لِّكُمْ﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿٤٩﴾

[٥٠] ﴿وَ﴾ جنتكم ﴿مُضْطَفًّا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ﴾ قبلي ﴿وَمِنَ التَّورَةِ﴾ ولأجل لكم بعض الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فيها؛ فأحل لهم من السمك والطير ما لا صبيصة له^(٥)، وقيل: أحل الجميع؛ فبعض بمعنى «كل» ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كرهه تأكيداً وليني عليه ﴿فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاقته. [٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي آمَرَكُمْ بِهِ﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عَيْسَىٰ وَهُمْ الْكُفَرَاءُ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَن أَنصَارِي﴾ أعواني ذاهباً^(١) ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ الْخَوَارِجُ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ أعوان دينه؛ وهم: أصفياء عيسى، أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور؛ وهو: البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحررون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿عَامَّةً﴾ صدقنا ﴿بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ﴾ يا عيسى ﴿يَأْتَا سُئِلُونَ﴾

وَيَكْفُرُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٩﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ
﴿٥٠﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
﴿٥١﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ
فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرُسُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُضْطَفًّا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِّنَ التَّوْرَةِ وَإِلَّحْلَ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا
هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ
أَنصَارُ اللَّهِ قَالَ مَن أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُ نَحْنُ
أَنصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥١﴾

[٤٦] ﴿وَيُكْفِّرُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهَلًا﴾^(١) ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ولا غيره ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

[٤٨] ﴿وَأُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء^(٢) ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط^(٣) ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾^(٤) وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

(١) أي: ويكلمهم بأن يدعوهم إلى دين الله حال كونه كهلاً، والكهل: ما بين الغلام والشيوخ؛ وقيل: من له ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: من ناهز الأربعين، وقيل: في الآية إشارة إلى نزوله - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في آخر الزمان؛ ففيها إخبار عن معجزتين وحجتين.

(٢) بالنون قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

(٣) أي: الكتابة، وقيل: المراد جنس الكتب الإلهية.

(٤) قيل: المراد بها العلم، وقيل: تهذيب الأخلاق. وقيل: قوة الفهم وحسن التدبير للأمور بوضعها في مواضعها.

(٥) لنافع.

(٦) ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المغايرة بين ما هنا وما يأتي في آخر المائدة أن التكلم هنا عيسى، وهناك الله ﷻ.

(٧) لنافع.

(٨) أي: أغنيا الأطباء الذين كانوا في زمنه.

(٩) أي: شوكة يؤذي بها، وأما ما له صبيصة فهو باق على حله لم يحرم.

(١٠) حَمَلَةُ الْمَثَرَةِ عَلَى أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْدُوفٍ، عَلَى أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الْبَاءِ فِي ﴿أَنصَارِي﴾ أَي: مَن أَنصاري حال كوني ذاهباً إلى الله؛ أي: مُتَّجِئاً إِلَى اللَّهِ وَشَارِعاً فِي نَصْرَةِ دِينِهِ، وَقَالَ السُّدِّيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ: ﴿مَن أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] مع الله. وقال الحسن وأبو عبيدة: ﴿إِلَى﴾ بمعنى: «في»؛ أي: من أعواني في الله؛ أي: في ذات الله وسبيله.

[٥٣] ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ مِنَ الْإِنجِيلِ وَآتَيْنَا الرَّسُولَ عِيسَىٰ ﴿٥٣﴾ فَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مِنَ الْبُحْرَانِ وَلِرَسُولِكَ بِالصِّدْقِ. قَالَ - تَعَالَى: -

[٥٤] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: كفار بني إسرائيل بعيسى؛ إذ وُكِّلُوا به من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ بهم؛ بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه^(١) ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٥٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَأَيْكَ﴾ إنك من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مبعذك ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ صدقوا بنوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك؛ وهم: اليهود؛ يعلنونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ﴾ إلى يوم القيامة ﴿إِنَّ مَرْجِعَكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

[٥٦] ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي والحزبية ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ بَيْنَ تَصْمِيرِكَ﴾ مانعين منه.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء والنون^(٢) ﴿أَجْرَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: يعاقبهم^(٣)؛ روي أن الله - تعالى - أرسل إليه سبحانه فرقة؛ ففعلقت به أمه وبكت؛ فقال لها: إن القيامة تجمعنا. وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين^(٤). وروي الشيخان حديث: «إنه ينزل قرب الساعة، ويحكم بشريعة نبينا، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الحزبية^(٥). وفي حديث مسلم: «إنه يمكث سبع سنين^(٦). وفي حديث عند أبي داود الطيالسي: أربعين سنة، ويتوفى ويصلى عليه^(٧). فيحتمل أن المراد مجموع ليله في الأرض قبل الرفع وبعده.

[٥٨] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿تَتَلَوُّهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ حال من البهاء في ﴿تَتَلَوُّهُ﴾، وعامله ما في ﴿ذَلِكَ﴾ من معنى الإشارة^(٨) ﴿وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ﴾ الحكم؛ أي: القرآن.

[٥٩] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ شأنه الغريب ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أب، وهو من تشبيه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بشوا ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فكان؛ وكذلك عيسى قال له: «كن» من غير أب؛ فكان.

[٦٠] ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمر عيسى ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه.

[٦١] ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ جادلك من النصارى ﴿فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿تَعَالَوْا نُبَيِّنْ لَكُمْ آيَاتِنَا وَنُبَيِّنْ لَكُمْ

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَآتَيْنَا الرَّسُولَ فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ ﴿٥٥﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْذِبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ ذَلِكَ تَتَلَوُّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ ﴿٥٩﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٠﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦١﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبَيِّنْ لَهُمْ فَنَجْعَلِ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فجمعهم ﴿ثُمَّ نَبَيِّنْ﴾ نتضرع في الدعاء ﴿فَنَجْعَلِ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى. وقد دعا ﷺ وقد نجران لذلك لما حاجوه به؛ فقالوا: حتى نظفر في أمرنا ثم نأتيك. فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما تأهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا. فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين، وفاطمة وعلي، وقال لهم: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَمْتُوا»، فأبوا أن يلاعوا وصالحوه على الحزبية^(٩). [رواه أبو نعيم]. وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يياهلون، لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا. وروي: لو خرجوا لاحترقوا.

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: إن الذي صلب شاب من تلاميذ المسيح ﷺ، رضي بأن يلقى عليه شبه المسيح، ويقتل مكانه ليكون رفيقه في الجنة. الدر المنثور [٢/٧٢٧].

(٢) بالنون، للبيعة عدا حفص.

(٣) وهذا تأويل سبق التنبيه والرد عليه وإثبات صفة الحب لله ﷻ على الوجه الذي يليق به سبحانه، ومن لازم عدم محبته سبحانه لهم أنه يعاقبهم.

(٤) وهذا لم تأت به سنة صحيحة وهو أشبه بالإسرائيليات التي يتوقف في القول بها.

(٥) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٦) مسلم (٢٩٤٠).

(٧) وأخرجه أحمد وأبو داود (٤٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٣٥)، والصححة (٢١٨٢)، من حديث أبي هريرة، وفيه: «وَهُوَ صَلِّيَ عَلَيَّ الْمُسْلِمُونَ».

(٨) لأنه مضمن معنى «أشيرة»، واغترض ذلك بأن العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها هو الهاء في: ﴿تَتَلَوُّهُ﴾؛ فالعامل هو: ﴿تَتَلَوُّهُ﴾. قال بعضهم معترضًا عن المفسر: بأنه خلط إعرابًا بآخر.

(٩) أخرجه أبو نعيم في الدلائل كما في الدر المنثور (٢٣٢/٣) وأصله عند مسلم (٢٠٤).

فيجازيهم، وفيه وضع الظاهر موضع الضمير.

[٦٤] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى: ﴿تَمَاتُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوِيَّةٍ﴾ مصدر؛ بمعنى: مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هي: ﴿أَنَّ نُوَّالًا تَعْبُدُوا إِلَهًا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأحرار والرهبان ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ أنتم لهم: ﴿أَشْهَدُوا يَا نَسَائِدُ مُسْلِمُونَ﴾ موحدون. ونَزَّلَ - لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه. وقالت النصارى كذلك: [٦٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم ^(١) ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَدْوَةٍ﴾ بزمن طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم؟! [٦٦] ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ، يا ﴿هَؤُلَاءِ﴾ والخبر: ﴿حَجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من شأن إبراهيم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ شَأْنَهُ﴾ وأنتم لا تعلمون.

[٦٧] قال - تعالى - تبرئة إبراهيم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُسْلِمًا﴾ موحداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٦٨] ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْبَيْتِ﴾ أحقهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ محمد؛ لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أمته؛ فهم الذين ينبغي أن يقولوا: نحن على دينه. لا أنتم ﴿وَاللَّهُ وَفِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ناصرهم وحافظهم. ونَزَّلَ - لما دعا اليهود مُعَادَاً وحذيفة وعماراً إلى دينهم: [٦٩] ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم، والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يُشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٧٠] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون أنه الحق؟! [٦٢] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ وليك الله فهو العزيز ﴿فِي مَلِكِهِ﴾ الحكيم ﴿فِي صُنْعِهِ﴾.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٧﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَدْوَةٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٠﴾ هَؤُلَاءِ حَجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ أَوَّلَ الْبَيْتِ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَفِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْعُرُونَ ﴿٧٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٥﴾

[٦٢] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ وليك الله فهو العزيز ﴿فِي مَلِكِهِ﴾ الحكيم ﴿فِي صُنْعِهِ﴾. المزمدي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤) سورة آل عمران. وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٤).

[٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولادة من النبيين، وإن وليي أبي وخليلي ربي». ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْبَيْتِ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَفِي الْمُؤْمِنِينَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤) سورة آل عمران. وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٤).

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١٨١، ١٨٠/٢)، ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٢١٦/٣)، والبيهقي في الدلائل (٣٨٤/٥) عن ابن عباس، وضعفه في الاستيعاب (٢٥٩/١، ٢٦٠).

[٧١] ﴿يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُمْ﴾ تخططون ﴿أَلْحَقَ بِالْبَطْلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: نعت النبي ﴿وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ﴾ أنه حق!.

[٧٢] ﴿وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود لبعضهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُزِيلَ عَلَى الْبَيْتِ مَأْمُورًا﴾ أي: القرآن ﴿وَبِمَنَّةِ الْكَهَّارِ﴾ أوله ﴿وَكَافِرًا﴾ به ﴿يَا جِبْرَةَ لَعَلَّهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن دينهم؛ إذ يقولون: ما رجوع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه. وقالوا أيضًا:

[٧٣] ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَنْ﴾ اللام زائدة^(١) ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمْ﴾ قال - تعالى -: ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿إِنَّ إِلَهَنَا هُدَى اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام، وما عباده ضلال، والحملة اعتراض^(٢) ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مَّا أُوتِيتُمْ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، و﴿أَنْ﴾

مفعول «تؤمنوا»، والمستثنى منه «أحد»^(٣) قدم عليه المستثنى؛ المعنى: لا تقروا^(٤) بأن أحدًا يؤتى ذلك إلا لمن اتبع دينكم ﴿أَوْ﴾ بأن ﴿بِمَأْمُورِكُمْ﴾ أي: المؤمنون يغلبوكم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة؛ لأنكم أصح دينًا، وفي قراءة:

﴿أَنْ﴾^(٥) بهمة التوسيع^(٦)؛ أي: إيتاء^(٧) أحد مثله تقرون به؟ قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿وَاللَّهُ وَسِيعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بمن هو أهله.

[٧٤] ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٧٥] ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن لَّان تَأْمَنَهُ بَقِطَارٍ﴾ أي: مجال كثير ﴿يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ لأمانته؛ كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفًا ومائتي أوقية ذهبًا فأداها إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَن لَّان تَأْمَنَهُ بِيَدَيْتَارٍ﴾ لا يؤدُّهُ إِلَيْكَ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ لا تفارقه، فمتى فارقه أنكره؛ كعبد بن الأشرف استودعه قرشيًّا دينارًا ففجده ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا مَا سَبَّبَ قَوْلَهُمْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ﴾ أي: العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ أي: إنهم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم، ونسبوه إليه - تعالى -، قال - تعالى -:

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كاذبون.

[٧٦] ﴿بِكَلِّ﴾^(٨) عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْقَىٰ بَعْدَهُ﴾ الذي عاهد عليه، أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَأَتَقَىٰ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمرة^(٩)؛ أي: يحبهم؛ بمعنى: ينيهم^(١٠). ونزل في اليهود: لما بدلوا نعت

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُمْ بِالْحَقِّ يَا بَطْلٍ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجِهَ الْكَهَّارِ ﴿٧٢﴾ وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ بِهِ الْيُودِيَةَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيَ سَاءَ مَا يَحْكُمُ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٤﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٥﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن لَّان تَأْمَنَهُ بَقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَّان تَأْمَنَهُ بِيَدَيْتَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ بَلَىٰ مَن أَوْقَىٰ بَعْدَهُ وَأَتَقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

النبي ﷺ وعهد الله إليهم في التوراة^(١١)، وفيمن حلف كاذبًا في دعوى أو في بيع سلعة -: [٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ حلفهم به - تعالى - كاذبين ﴿فَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ غضبًا^(١٢) ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ يرحمهم^(١٣) ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم^(١٤).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط، ليقع فيها رجلاً من المسلمين، فزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ البخاري - كتاب البيوع (٣٤) باب (٢٧) ما يكره من الحلف في البيع.

(١) الأولى أن يضمن الإيمان هنا معنى الاتقياء والتسليم والإقرار، فيكون المراد: فصدقه واتبعه مقلداً لما جاء به، كما هو معناه الشرعي؛ فلا تكون اللام زائدة، ونظير ذلك قوله - تعالى -: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ لَوْلَا﴾. والله أعلم. (٢) أي: بين العامل والمفعول. (٣) هذا باعتبار أن اللام في قوله: ﴿لِمَنْ﴾ زائدة، أما على عدم تقدير زيادتها فالمستثنى منه محذوف تقديره: ولا تؤمنوا؛ أي: تقروا وتعترفوا وتصرحوا لأحد من الناس بأن أحدًا يؤتى مثل ما أوتيتم من الفضائل والكمالات إلا لشخص اتبع دينكم. (٤) ضغن المفسر ﴿تُؤْمِنُوا﴾ معنى: تقروا؛ لتكون اللام في قوله: ﴿لِمَنْ﴾ أصلية. (٥) لابن كثير، وعلى هذه القراءة يكون هذا الكلام مستأنفاً. (٦) أي: بهمة الاستفهام الذي هو للتوبيخ مع الإنكار.

(٧) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مَّا أُوتِيتُمْ﴾ في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف تقديره: تقرون به. (٨) إضراب إبطالي؛ وهو مغن عن جملة قدرها المفسر بقوله: «عليهم فيهم سبيل».

(٩) وكان مقتضى الظاهر أن يقول: ﴿فإن الله يحبه﴾، وهذا للاعتناء بشأن المؤمنين، وإشارة إلى عمومته لكل مثق. (١٠) وهذا تأويل غير جائز لهذه الصفة، وسبق بيان فساده، وبيان مذهب السلف في صفات الله ﷻ مراراً. (١١) ذكره ابن حجر في المحاب (٧٠٢/٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقال في الفتح (٢١٣/٨): «وقص الكلبي في تفسيره في ذلك قصة طويلة، وهي محتسلة أيضاً، لكن المعتمد في ذلك ما ثبت في الصحيح». والكلبي وأبو صالح متهما بالكذب؛ فالحديث موضوع. (١٢) أي: لا يكلمهم كلاً ما يتفهم ويسرهم، ولكن يمكن أن يكلمهم كلاً ما يسوؤهم كما في قوله - سبحانه - لهم: ﴿أَحْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكْمُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وفي هذه الآية وغيرها إثبات صفة الكلام لله - سبحانه - على الوجه اللائق به كما هو مذهب السلف.

(١٣) أي: لا ينظر إليهم نظر رحمة وإحسان، ومن لازمها: إثبات أنه ينظر للمؤمنين نظر رحمة، وفي هذا إثبات صفة البصر له على الوجه اللائق به كما جاء صريحاً في غير آية.

كاذبون. ونزل - لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه^(١) رباً. أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ^(٢): [٧٩] ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لِيَسْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْعَمَلَ﴾ أي: الفهم للشرعية **وَالشُّبُهَةَ** ثم يقول للناس كُذُّوا عِيسَا كَمَا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ يَقُولُ: ﴿كُذُّوا رَبِّيئِينَ﴾ علماء عاملين منسوبين إلى الرب بزيادة ألف ونون تضيخاً **﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** بالضعيف والتشديد^(٣) **﴿الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾** بسبب ذلك؛ فإن فائدته أن تعملوا. [٨٠] **﴿وَلَا تَأْمُرُوا بِالرِّفْعِ﴾** بالرفع^(٤) استئنافاً؛ أي: الله^(٥)، والنصب عطفًا على **﴿يَقُولُ﴾**؛ أي: البشر^(٦) **﴿أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾** كما اتخذت الصابئة الملائكة، واليهود عزيرًا، والنصارى عيسى **﴿يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** لا ينبغي له هذا^(٧).

[٨١] **﴿وَ﴾** اذكر **﴿إِذ﴾** حين **﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾** عهدهم **﴿لَمَّا﴾** بفتح اللام؛ للابتداء وتوكيد معنى القسم^(٨) الذي في أخذ الميثاق، وكسرها متعلقة بـ«أخذ»^(٩)، و«ما» موصولة على الوجهين؛ أي: للذي **﴿عَاتَبْتِكُمْ﴾** إياه، وفي قراءة: **﴿عَاتَبْتِكُمْ﴾**^(١٠) **﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾** من الكتاب والحكمة؛ وهو: محمد ﷺ **﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾** ولتصبرنَّ **﴿جواب القسم:﴾** إن أدركموه، وأثمهم تبع لهم في ذلك **﴿قَالَ﴾** تعالى لهم: **﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾** بذلك **﴿وَأَخَذْتُمْ﴾** قبلتم **﴿عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾** عهدي؟ **﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا﴾** على أنفسكم وأتباعكم بذلك **﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** عليكم وعليهم.

[٨٢] **﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ﴾** أعرض **﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾** الميثاق **﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلِقُونَ﴾**.

[٨٣] **﴿فَعَدَّ دِينَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ﴾** بالياء والتاء^(١١)؛ أي: المتولون **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾** انقاد **﴿مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾** بلا إباء **﴿وَكَرْهًا﴾** بالسيف ومعانبة ما يلجئ إليه **﴿وَأُولَٰئِكَ رُجِحُونَ﴾** بالياء^(١٢)، والهمزة في أول الآية للإنكار.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُنَ إِلَيْهِمْ﴾ **﴿بِالْكِتَابِ لِحَسْبِهِ﴾** من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعامون^(٧٨) **﴿مَا كَانَ لِيَسْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُذُّوا عِيسَا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبِّيئِينَ﴾** بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون^(٧٩) **﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾** أي: أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون^(٨٠) **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾** ولتصبرنَّ **﴿قَالَ﴾** **﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾** قالوا **﴿أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا﴾** وأنا معكم من الشاهدين^(٨١) **﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلِقُونَ﴾** **﴿أَفَعَدَّ دِينَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ﴾** وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا **﴿وَأُولَٰئِكَ يُرْجَعُونَ﴾**^(٨٢)

[٧٨] **﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾** أي: أهل الكتاب **﴿لَفَرِيقًا﴾** طائفة؛ ككعب بن الأشرف **﴿يَلُؤُنَ إِلَيْهِمْ﴾** بالكتيب؛ أي: يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حروفه من نعت النبي ﷺ ونحوه **﴿وَلِحَسْبِهِ﴾** أي: الحرف **﴿مِنْ كِتَابٍ﴾** الذي أنزله الله **﴿وَمَا هُوَ مِنْ كِتَابٍ﴾** ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون أنهم

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣/٣٢٥)، وعراه في الدر المنثور للبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن أبي رافع القرظي. وضعفه في الاستيعاب (١/٢٦٨).

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن الحسن كما في الدر المنثور (٣/٢٥٠). وهو ضعيف مرسل كما في الاستيعاب (١/٢٦٩).

(٣) بالتحفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، ويكون مع فتح التاء وسكون العين. وقرأ بقية السبعة: **﴿تَعْلَمُونَ﴾** بالتشديد مع ضم التاء وفتح العين.

(٤) أي: بضم الراء، قراءة نافع وابن كثير والكلابي. وقرأ أبو عمرو وبخلف عن الدوري: **﴿يَأْمُرُكُمْ﴾** بسكون الراء، وبقية السبعة **﴿يَأْمُرُكُمْ﴾** بالفتح.

(٥) أشار بذلك إلى أن فاعل **﴿يَأْمُرُكُمْ﴾** - بالرفع - ضمير مستتر عائداً على «الله».

(٦) أي: على هذا التقدير يكون فاعل **﴿يَأْمُرُكُمْ﴾** - بالنصب - ضميراً مستتراً عائداً على «بشر».

(٧) أشار بهذا إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي.

(٨) أي: مؤكدة لليقين المأخوذ من الميثاق؛ فإنه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد بيمين.

(٩) أي: على أنها للتعليل **﴿لَمَّا﴾**؛ أي: لرعاية وحفظ ما آتيتكم، وهي قراءة حمزة.

(١٠) لنافع.

(١١) بالياء لأبي عمرو وحفص، وبالتاء للباقيين.

(١٢) بالياء قراءة حفص، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٦﴾ كَيْفَ
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنْ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّالُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ لَأَرْضٍ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩٢﴾

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالصدق والتكذيب
﴿وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٥) مخلصون في العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق
بالكفار:

[٨٥] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ﴾ لمصيره إلى النار المؤبدة عليه.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
وَشَهِدُوا﴾ أي: وشهادتهم ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾
الحجج الظاهرات على صدق النبي ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي:
الكاافرين.

[٨٧] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنْ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يَخَفُ
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُجْهَلُونَ.

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
لَهُمْ رَحِيمٌ﴾^(٦) بهم. ونزل في اليهود:

[٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعيسى ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ موسى ﴿ثُمَّ
أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفارًا
﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّالُونَ﴾.

[٩١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ
لَأَرْضٍ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِمِلَّةٍ﴾ أدخل الفاء في خبر
﴿إِنَّ﴾؛ لشبهه «الذي»^(٧) بالشرط وإيدانًا بتسبب عدم القبول عن الموت على
الكفر ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾
مانعين منه.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ في الركعة الأولى، وفي الركعة الأخرى بهذه الآية: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ
وَأَنبَعَثْنَا أَكْرَمًا فَكُنَّا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أو ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (٢٩٢) في تخفيفها. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود
(١١٢٢).

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٨٦ - ٨٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تدم، فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله ﷺ، هل لي من توبة؟
فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلانًا قد تدم، وإنه أمرنا أن نسألك: هل له من توبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فأرسل إليه
فأسلم. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧)، باب (١٥) توبة المرتد، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٩٢). واسم هذا الأنصاري: الحارث بن سويد كما في المطالب العالية لابن
حجر (٣/٣١٤).

(١) فيه حكاية بالمعنى؛ إذ المذكور في الآية ﴿الَّذِينَ﴾ لكن حكمهما واحد.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ
مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنِ
سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا وَعَجَابَ وَإِنْتُمْ شَاهِدُونَ وَمَا اللَّهُ
بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ طُغِيَوا فَرِيقًا
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

تكن على عهده حرامًا كما زعموا ﴿٩٢﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿قَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾
ليبين صدق قولكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؛ فبهتوا ولم يأثروا بها. قال -
تعالى :- ﴿٩٤﴾ ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: ظهور
الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل. ﴿٩٥﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في هذا؛
كجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن
كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. ونزل - لما قالوا: قبلتنا قبل
قبلتكم :- ﴿٩٦﴾ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ متعبداً ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض
﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ بآباءه، لغة في «مكة»، سميت بذلك؛ لأنها تك أضاف
الجارية؛ أي: تدقيقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما
أربعون سنة؛ كما في حديث الصحيحين^(١)، وفي الحديث: «أنه أول ما ظهر
على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زنبدة بيضاء؛ فحدثت الأرض من
تحتها»^(٢). ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من «الذي»؛ أي: ذا بركة ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه
قبلتهم. ﴿٩٧﴾ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها^(٣): ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: الحجر
الذي قام عليه عند بناء البيت؛ فأثرت قدماءه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان
وتداول الأيدي عليه، ومنها: تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا يعلوه^(٤)
﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى
النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب، بكسر الحاء وفتحها^(٥) لغتان في مصدر حج؛
بمعنى: قصد، وببديل من^(٦) «الناس»: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا؛ فشره
﴿بِالزَّيَادِ وَالزَّاجِلَةِ﴾^(٧). [رواه الحاكم وغيره] ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه
من الحج ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم.
﴿٩٨﴾ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. ﴿٩٩﴾ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ
تَصَدُّونَ﴾ تضرّفون ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بتكذيبكم
النبي وكنتم نقيبه ﴿تَبِعُونَهَا﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عَجَابًا﴾ مصدر؛ بمعنى:
معوجة؛ أي: مائلة عن الحق ﴿وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ﴾ علمون بأن الدين المرضي
القيم هو دين الإسلام؛ كما في كتابكم ﴿وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من
الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم؛ ليجازيكم. ونزل - لما مرّ بعض
اليهود^(٨) على الأوس والخزرج، وغاظهم تألفهم؛ فذكروهم بما كان بينهم في
الجاهلية من الفتن؛ فتشاجروا وكادوا يقتلون :- ﴿١٠٠﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ طُغِيَوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾.

﴿٩٢﴾ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي: ثوابه؛ وهو: الجنة ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾
تصدّقوا ﴿وَمِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَلَا يَرِيهِ
عَلَيْكُمْ﴾ فيجازي عليه^(٩). ونزل - لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة
إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها^(١٠): ﴿٩٣﴾ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ
حِلالًا﴾ حلالاً ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَى
نَفْسِهِ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق الشّمس - بالفتح والقصر؛ فنذر إن شفي
لا يأكلها فحرم عليه ﴿وَمِن قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلًا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء. وإنما صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعاها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ: «بيع. ذلك مال رابح، ذلك مال رابح. وإني سمعت ما قلت. وإني أرى أن تجعلها في الأقرين» قال أبو طلحة: أعمل يا رسول الله. قسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة آل عمران (٣) باب (٥).

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٧٥، ٧٦)، والحاظ في العجائب (٧١/٢)، عن الكلباني وأبي ورق، وهو موضوع كما في الاستيعاب (١/٢٧٤، ٢٧٥).

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) من حديث أبي ذر وليس فيه أن الذي بناه الملائكة..

(٣) ذكره الطبري في تفسيره من طريق عبد الله بن عمرو ومجاهد موقوفًا عليهما. وعزاه في الدر المنثور للطبراني والبيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمرو [الدر المنثور (٤/٢٦٥)].

(٤) أشار الشارح بذلك أن آياته لا تنحصر في هذين المثلين: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وإنما خصهما بالذكر؛ لعظهما، وأنها تقوم بهما الحجة على الكفار؛ إذ هم مدركون لهما بحواسهم.

(٥) ليس على هذا دليل والواقع على خلافه إذ إن الطير يعلوه ويجلس على سقفه كما هو مشاهد.

(٦) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة. (٧) أي: بدل بعض من كل، والعائد محذوف تقديره: منهم.

(٨) الحاكم في المستدرک (١/٤٤٢)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، والترمذي (٨١٣) من حديث ابن عمر، والدارقطني من حديث أنس، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٣٥).

(٩) أخرجه ابن إسحاق في المغازي (١٨٥/٢) عن زيد بن أسلم، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٧/١٦٤)، وضعفه الحاكم في إسناده في الإصابة (١/٨٧)، وهذا اليهودي قبل اسمه: شاس بن =

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجب وتوبيخ ﴿وَأَنْتُمْ تَنْتَلِ عَالِيَكُمْ مَائِدَتِ اللَّهِ وَيَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ﴾ بيمسك ﴿بِإِلَهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[١٠٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفَعًا اللَّهُ حَقَّ تَقَاتُلِهِ﴾ بَأَن يَطَّاع فَلَا يُغْضَى، وَيُشَكَّرُ فَلَا يُكْفَرُ، وَيُذَكَّرُ فَلَا يُنْسَى؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ هَذَا^(١). فَتَسْبَحُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنْقَا اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢). ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ موجدون.

[١٠٣] ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ تَمَسَّكُوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أَي: دِينِهِ ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إِنْعَامَهُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالْمُخْزَجِمْ، إِذْ كُنْتُمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ﴿أَعْدَاءُ قَالَتْ﴾ جَمَعَ ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ فَصِرْتُمْ ﴿بِنِعْمَتِهِ﴾ إِخْوَانًا ﴿فِي الدِّينِ وَالْوَلَايَةِ﴾ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا طَرْفِ ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا كَفَرًا ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا﴾ بِالْإِيمَانِ ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا بَيْنَ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ﴾ بِإِيتِيهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

[١٠٤] ﴿وَلَنْتَكُنَّ بَيْنَكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تُكْفُرُونَ﴾

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عَنِ دِينِهِمْ ﴿وَأَخْتَلَفُوا﴾ فِيهِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ^(٤) ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَذَابُ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ فَيَلْقَوْنَ فِي النَّارِ وَيُقَالُ لَهُمْ تَوَيْخًا: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يَوْمَ أَحَدِ الْمِيثَاقِ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تُكْفُرُونَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آيِسْتُمْ وُجُوهُهُمْ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٥) أَي: جَنَّتِهِ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ﴾ أَي: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿إِذْ أَنْتَ اللَّهُ تَتْلُوهَا عَلَيْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ بَأَن يَأْخُذَهُمْ بِغَيْرِ جَرْمٍ.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنْتَلِ عَالِيَكُمْ مَائِدَتِ اللَّهِ وَيَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِإِلَهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفَعًا اللَّهُ حَقَّ تَقَاتُلِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢) ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءُ قَالَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ آيَاتٌ لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣) ﴿وَلَنْتَكُنَّ بَيْنَكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٥) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تُكْفُرُونَ﴾^(٦) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آيِسْتُمْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٧) ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾^(٨)

= قيس. وجاء نحوه عن مجاهد كما في تفسير الطبري (١٧/٤). وضعفهما في الاستيعاب (٢٧٩/١، ٢٨٠).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في الناسخ والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه عن ابن مسعود. [الدر المنثور (١٠٥/٢)].

(٢) التلحين: ١٦.

(٣) وقال: صلة؛ كقولہ - تعالیٰ: :: ﴿وَأَجْعَلِيكُمْ آيَاتٍ مِّنَ الْآيَاتِ﴾ [الحج: ٣٠] لم يرد اجتناب بعض الأوثان، بل أراد: فاجتنبوا الأوثان. قال ابن كثير: المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ يَدِيهِ، فَإِن لَّمْ يَتَّعِظْ قَلْبَانِيهِ، فَإِن لَّمْ يَتَّعِظْ قَلْبِيهِ، وَكَذَلِكَ أضعف الإيمان﴾ [تفسير ابن كثير (٣٦٨/١)].

(٤) حكى هذا عن أبي بن كعب. وقال الحسن: هم المناقون تكلموا بالإيمان بالسننهم وأنكروا بقلوبهم. وعن عكرمة أنهم أهل الكتاب، آمنوا بأنبياهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به والآن أعلم. وتحذير لهذه الأمة أن يسلكوا سبيل التفرق والاختلاف في الدين كما سلكه من قبلهم من اليهود والنصارى حتى ربما أدى بهم إلى الكفر. والعياذ بالله. بعد إيمانهم، فيقال لهم كما قيل لهؤلاء: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، ويشهد له قوله - تعالیٰ - في أمر المؤمنين بالاعتصام بحبله ﷻ وبهيمهم عن التفرق بعد أن أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ.

(٥) فيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

أُخْرِجَتْ ﴿١١٠﴾ أَظْهَرَتْ ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْكِتَابُ لِكَانَ الْإِيمَانَ ﴿خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ﴾ الْمُؤْمِنُونَ ﴿عَبَدَ اللَّهُ بِنِهَايَةِ سَلَامٍ﴾ وَأَصْحَابَهُ ﴿وَأَكْرَمَهُمُ الْفَلْسَفُونَ﴾ (١١٠) الكافرون.

[١١١] ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّا أَذَى﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكمُ الْأَدْبَارَ﴾ منزهين ﴿ثُمَّ لَا يُضُرُّوكُمْ﴾ عليكم؛ بل لكم النصر عليهم.

[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقَفُوا﴾ حينما وجدوا؛ فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كاتنين ﴿يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَيَحْبِلُ مِنَ النَّاسِ﴾ (١) المؤمنين؛ وهو: عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية؛ أي: لا عصمة لهم غير ذلك (٢) ﴿وَبَاءُوا﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴿أَي: بسبب أنهم﴾ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ ﴿تَأْكِيدًا﴾ بِمَا عَصَوْا ﴿أَمَرَ اللَّهُ﴾ وَكَانُوا يَسْتَدُونَ ﴿يَتَجَاوَزُونَ الْحِلَالَ إِلَى الْحَرَامِ﴾.

[١١٣] ﴿لَيْسُوا﴾ أي: أهل الكتاب ﴿سَوَاءٌ﴾ مستوين ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق؛ عبد الله بن سلام ﴿وَأَصْحَابَهُ﴾ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ ﴿أَي: في ساعاته﴾ وَهُمْ يَسْتَدُونَ ﴿يصلون، حال﴾.

[١١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَتُسَبِّحُونَ فِي الصُّبْحِ وَأُولَئِكَ ﴿الموصوفون بما ذكر الله﴾ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من الصالحين﴾.

[١١٥] ﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾ بالناء (٣)؛ أيها الأمة، والياء؛ أي: الأمة القائمة ﴿مِنَ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا﴾ بالوجهين (٤)؛ أي: تعلموا ثوابه؛ بل تجازون عليه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١٠﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْكِتَابُ لِكَانَ الْإِيمَانَ ﴿خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ﴾ الْمُؤْمِنُونَ ﴿عَبَدَ اللَّهُ بِنِهَايَةِ سَلَامٍ﴾ وَأَصْحَابَهُ ﴿وَأَكْرَمَهُمُ الْفَلْسَفُونَ﴾ (١١٠) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكمُ الْأَدْبَارَ شَرًّا لَا يَضُرُّوكُمْ ضَرْبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقَفُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبِلُ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١١﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَبِّحُونَ فِي الصُّبْحِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

[١٠٩] ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْدًا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿الْأُمُورُ﴾.

[١١٠] ﴿كُنْتُمْ﴾ يا أمة محمد في علم الله - تعالى - ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. البخاري - كتاب التفسير

(٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (٧) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (١١٣-١١٥): أخرج أحمد عن ابن مسعود قال: أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد إذا الناس ينتظرون الصلاة.

قال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم. قال: وأنزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أحمد - المسند (٣٩٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٧٦٠).

(١) يعني: إلا بعهد من الله، وهو أن يسلموا.

(٢) لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله بأن يسلموا ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وعاشوا في ذل.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) أي: الباء والناء، بالناء لمن سبق ذكرهم.

[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿سَيِّئًا﴾ وخصهما بالذكر؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه نارة بفداء المال، ونارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأَوْلَادِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١١٧] ﴿مَثَلٌ﴾ صفة ﴿مَا يُبْفِقُونَ﴾ أي: الكفار ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي أو صدقة ونحوها^(١) ﴿كَمَثَلٍ يَبِيحُ فِيهَا صِرٌّ﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكْنَاهُ﴾ فلم ينتفخوا به؛ وكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضياعها.

[١١٨] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سرهم ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأْتُونَكُمْ حَبَالًا﴾ نصب بنزع الحافض؛ أي: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا﴾ تموا ﴿مَا عَيْنُهُمْ﴾ أي: عنتكم؛ وهو: شدة الضرر ﴿فَقَدْ بَدَتْ﴾ ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَوْفِيهِمْ﴾ بالوقعة فيكم وإطلاع المشركين على سرهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ذلك فلا توالوهم.

[١١٩] ﴿هَا﴾ للتبعية ﴿أَنْتُمْ﴾ يا ﴿أَوْلَادَ﴾ المؤمنين ﴿مُحِبُّوهُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصدقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لخالفتمكم لكم في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُّوَكُمْ قَالُوا ءَأَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ اللَّغْظِ﴾ شدة الغضب؛ لما يرون من اختلافكم، ويعبر عن شدة الغضب بفض الأنامل مجازًا، وإن لم يكن ثم غض ﴿فَلَمْ مَوْتُوا بِعَيْظِكُمْ﴾ أي: ابغوا عليه إلى الموت^(٢)؛ فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمه هؤلاء.

[١٢٠] ﴿إِنْ تَسْتَكْتُمُ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةً﴾ نعمة؛ كصبر وغنيمة ﴿سَيُؤْتِكُمْ﴾ تخزيهم ﴿وَإِنْ تَصِيحْكُمُ سَيِّئَةً﴾ كهزيمة وجذب ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل، وما بينهما اعتراض؛ والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم؛ فلم توالوهم؟! فاجتنبوهم ﴿وَإِنْ تَصَيَّرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في مواليتهم وغيرها ﴿لَا يَضُرُّوكُمْ﴾ بكسر الضاد، وسكون الراء^(٣) وضمها وتشديدها^(٤) ﴿كَيْدَهُمْ سَيِّئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَمْلِكُ ﴿بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ﴾^(٥) ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم^(٦)؛ فيجازيهم به.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلٌ مَا يُبْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلٍ يَبِيحُ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ حَبَالًا وَدُّوا مَا عَيْنَتْهُمُ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَوْفِيهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰؤُلَاءِ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَلَا يَضُرُّوكُمْ وَلَا يَضُرُّوكُمْ وَلَا يَضُرُّوكُمْ كَيْدَهُمْ سَيِّئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١١٩﴾ وَإِذَا عَدَوْتُمْ مِنْ أَهْلِكُمْ تَبَوُّؤِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدِ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٠﴾

[١٢١] ﴿وَر﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تَبَوُّؤِ﴾ تنزل ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدِ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ﴾ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴿لِقَوْلِكَ﴾ عَلِيمٌ ﴿بِأَحْوَالِكُمْ﴾ وهو يوم أحد؛ خرج النبي ﷺ بالرف أو إلا خمسين رجلا، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وسوى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل، وقال: «انضحوا غنًا بالثبل، لا يأتون من ورائه، ولا تبرزوا غلبنا أو نصرنا»^(٧).

(١) كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

(٢) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به، أو باشتداده إلى أن يهلكهم.

(٣) من ضار يضير، وهذه القراءة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: تشديد الراء، مع ضم الضاد من ضر يضرو، وهي قراءة بقية السبعة.

(٥) قراءة العشرة بالياء، والقراءة بالناء شاذة، وقد سها السيوطي عن التبعية إلى ذلك كما جرت عادته بأن يقول عن القراءة الشاذة: وقرئ.

(٦) فهو - سبحانه - محيط بهم وبأعمالهم ومكائدهم، حافظ له، لا يعزب عنه شيء منه.

(٧) لم أشر عليه بهذا اللفظ لكن أخرجه البخاري (٢٧٢٧) من حديث البراء بن عازب نحوه.

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ ليقفوا به دون غيره. ونَزَّلَ - لما هزموا تذكروا لهم
بنعمة الله :- [١٢٣] ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة
﴿وَأَنْتُمْ أَوْلَىٰ﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ نعمه.

[١٢٤] ﴿إِذْ﴾ ظرف له نصركم ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تودعهم تطمينا:
﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَكُمْ﴾ يعينكم ﴿رَبِّكُمْ﴾ بِتَلْفَةٍ ءَالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُزَلِّينَ ﴿بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ﴾^(١).

[١٢٥] ﴿بَلَىٰ﴾ يكفيكم ذلك، وفي الأفعال ﴿بِأَلْفٍ﴾؛ لأنه أمدهم أولاً
بها، ثم صارت ثلاثة، ثم صارت خمسة؛ كما قال - تعالى -: ﴿إِنْ تَصَبَّرُوا﴾ على
لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا اللَّهَ فِي الْخَالِفَةِ﴾ وَأَتَوَكَّلُوا ﴿أَي: المشركون﴾ مِنْ قُوَرِهِمْ ﴿وَقَتِهِمْ﴾
هَذَا يُبَدِّدُكُمْ رَبِّكُمْ بِحَسَّةٍ ءَالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿بِكسر الواو
وفتحها﴾^(٢)؛ أَي: مُعَلِّمِينَ، وقد صبروا وأبجز الله وعده، بأن قاتلت معهم الملائكة
على خيل بلق، عليهم عمائم صفراء^(٣) أبيض^(٤)، أرسلوها بين أكتافهم.

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أَي: الإمداد ﴿إِلَّا بُنْتُرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنصر
﴿وَلِيُظَمِّنَ﴾ تسكن ﴿قُلُوبَكُمْ بِرُءُوسِهِمْ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقتلكم ﴿وَمَا
أَنْتَصِرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يؤتية من يشاء، وليس بكثرة الجند.

[١٢٧] ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بـ «نصركم»؛ أَي: ليهلك ﴿طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْتُمَهُمْ﴾ بذلهم بالهزيمة ﴿فَيَقْتُلُوا﴾ يرجعوا
﴿حَايِبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه. ونَزَّلَتْ - لما كُيِّرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ ﴿شَجًّا وَخِجْهُ﴾
يَوْمَ أُحُدٍ، وقال: «كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ خَضَعُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْذَمِّ؟»^(٥) :-

[١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى: «إلى»
أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بالكفر.

[١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْدًا
﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذبه ﴿وَاللَّهُ
عَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته.

[١٣٠] ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾
بألف ودونها^(٦)؛ بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُلَاحِظُونَ﴾ تفوزون. [١٣١] ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ
الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أن تعذبوا بها. [١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَسِلُوا
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرج البخاري عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر، يقول: «اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا»، بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»؛ فأقول الله: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» إلى قوله: «ظَالِمُونَ». البخاري كتاب التفسير (٦٥). سورة آل عمران (٣) باب (٩).
وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسלט الدم عنه، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبينهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهن إلى الله؟»
فأقول الله ﷻ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» مسلم - كتاب الجهاد والسير (٦٤) باب (٣٧) غزوة أحد.
قال الحافظ في الفتح (٧٥/٨): «وطريق الجمع بينه وبين حديث ابن عمر أنه ﷺ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلته؛ فنزلت الآية في الأمرين معاً؛ فيما وقع من الأمر المذكور، وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم. وذلك في أحد...».

(١) بالتشديد، ومع فتح النون، قراءة ابن عامر.
(٢) قراءتان سبعيتان، وهي بالكسر: اسم فاعل؛ والمعنى: معلمين أنفسهم آداب الحرب، وبالفتح: اسم مفعول؛ بمعنى: أن الله علمهم آدابه، وبالفتح قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر.
(٣) هذا ما رواه أبو نعيم في «فضائله» عن عروة بن الزبير: «كَانَتْ عَمَامَةٌ جَبْرِيْلُ يَوْمَ بَدْرٍ صَفْرَاءُ؛ فَتَرَكْتُ الْمَلَائِكَةَ كَذَلِكَ».
(٤) هذا ما رواه إسحاق والطبراني عن ابن عباس قال: «كَانَتْ سِيَمَاءُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَامَتُهُمْ بَيْضًا، مُعَلِّمِينَ بِالصُّرُوفِ الْبَيْضِ فِي تَوَاجِيهِ الدُّوَابِّ وَأَذَانِبِهَا»، وجمع بين الروايتين بأن جبريل كانت
عمامته صفراء، وغيره كانت عمامته بياضاً.
(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٧) وصححه الألباني، وأحمد (١٢٣٦٦، ١٢٦٦٣) من حديث أنس بن مالك، وأخرجه مسلم (٣٣٤٦) بلفظ «كيف يفلح قوم شجوا نبينهم وكسروا رباعيته...».
(٦) «مُضَاعَفَةٌ» وهي قراءة ابن كثير وابن عمر، ومعناها كما ذكر المفسر؛ كان الطالب يقول: أتفضي أم تربي؟ فرجما فعل ذلك مراراً فزيد الدين أضغافاً مضغفة. و«مُضَاعَفَةٌ»: إشارة إلى
تكرير التضغيف عمائاً بعد علم كما كانوا يضعفون، وهذا توبيخ لا تقيد أو بحسب الواقعة.

إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكَ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَؤْلَىٰ
فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَكُمْ رَبِّكُمْ بِحَسَّةٍ ءَالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُزَلِّينَ ﴿١٢٥﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَتُنصِرُنَّكُمْ مَنِ الْقَوْمَ
هَذَا يُبَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِحَسَّةٍ ءَالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٦﴾
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُنْتُرَىٰ لَكُمْ وَلِيُظَمِّنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمَهُمْ فَيَقْبَلُوا حَايِبِينَ ﴿١٢٨﴾
لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَالِمُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَن
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٠﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَسِلُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٣﴾

[١٢٣] ﴿إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿هَمَّتْ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة جناح
العسكر ﴿طَّائِفَتَانِ مِنْكَ﴾ أَنْ تَفْشَلَا ﴿تَجَنَّبًا﴾ عن القتال وترجعاً؛ لما رجع
عبدالله بن أبي المنافق وأصحابه، وقال: غلام نقتل أنفسنا وأولادنا؟! وقال -
لأبي جابر السلمي القاتل له: أئندكم الله في نبيكم وأنفسكم :- لو نعلم قتلاً
لا تبعناكم. فثبتها الله ولم ينصرفا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّنَاهُ﴾ ناصرهما ﴿وَعَلَىٰ آثَرِهِ

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿أَلَمْ تَرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ حيث قلتم: ليت لنا يوماً كيوم بدر؛ لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ﴾ أي: سببته؛ الحرب ﴿وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ أي: بصراء تتأملون الحال كيف هي؟ فلم انهزمتم؟! ونزل في هزمتهم لما أشيع أن النبي قُتل، وقال لهم المنافقون: إن كان قُتل فارجعوا إلى دينكم:

[١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فُتِلَ﴾ (٣) كغيره ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري؛ أي: ما كان معبوداً فترجعوا ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمته بالثبات.

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كَتَبْنَا﴾ مصدر؛ أي: كتب الله ذلك ﴿مُوجِلاً﴾ مؤقثاً، لا يتقدم ولا يتأخر؛ فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة؟! ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: جزاءه منها ﴿فَوْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له، ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ فَوْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: من ثوابها ﴿وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

[١٤٦] ﴿وَكَانَ﴾ كم ﴿مِنْ نَبِيِّ [قُتِلَ]﴾ (٤) وفي قراءة: ﴿قَتَلَ﴾، والفاعل ضميره (٥) ﴿مَعَهُ﴾ خبر مبتدؤه: ﴿رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ جنوا ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا اسْتَكَاثَرُوا﴾ خضعوا لعدوهم؛ كما فعلتم حين قتل: قتل النبي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ﴾ على البلاء؛ أي: يشيهم (٦).

[١٤٧] ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ تجاوزنا الحد ﴿فِي أَمْرِنَا﴾ إيداناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمنا لأنفسهم ﴿وَكَيْتَ أَقْدَامُنَا﴾ بالقرعة على الجهاد ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿فَقَاتِلْهُمْ﴾ الله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحَسَنَ تَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة، وحسنه: التفضل فوق الاستحقاق ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلِيُخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (١) أم ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢) ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون (٣) وما محمد إلا الرسول قد خلت من قبله الرسل أفأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين (٤) وما كانت لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتبنا مؤجلاً ومن يرِدْ تواب الدنيا فواتيه منها ومن يرِدْ تواب الآخرة فواتيه منها وسيجزي الشاكرين (٥) وكان من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (٦) وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين (٧) فقاتلهم الله تواب الدنيا وحسن تواب الآخرة والله يحب المحسنين (٨)

[١٤١] ﴿وَلِيُخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يظهرهم من الذنوب بما يصيهم ﴿وَيَمَحَقَ﴾ يهلك ﴿الْكُفْرِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿أَمْ﴾ بل (١) أ (٢) ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ علم ظهور ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ في الشدائد!.

(١) ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ فلذا فسرها المفسر بـ«بل» التي للإضراب الانتقالي.

(٢) الهمزة المقدره للاستفهام الإنكاري.

(٣) أخرجه ابن جرير عن الضحاك (٧٤/٤) من طريق جوير عنه به، وجوير ضعيف جداً كما في التقريب (١٣٦/١) وهو مرسل أيضاً، وضعفه جداً في الاستيعاب (٣٠٥/١).

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿قاتل﴾.

(٥) يعود إلى النبي، ويحتمل أن يكون الفاعل «ربون»، وعلى القراءة الأولى: (قُلْ) يكون نائب الفاعل: «ربون»، أو ضميراً مستتراً يعود إلى «نبي».

(٦) هذا تأويل سبق الرد عليه مراراً ويان مذهب السلف من إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - ومن لازم محبته سبحانه للصابرين أن يشيهم ويكرههم.

[١٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿رُدُّوكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿عَلَّ أَغْفِيَكُمْ فَتَسْقِلُوا خَيْرِينَ﴾. [١٥٠] ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فأطيعوه دونهم.

[١٥١] ﴿سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضماً^(١)؛ الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين، فوعبوا ولم يرجعوا^(٢) ﴿يَمَا أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة^(٣) على عبادته؛ وهو: الأصنام ﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ النَّارُ وَيَتَسَمَّوْنَ الْأَطْلَامِينَ﴾ الكافرين هي.

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ تَقْتُلُونَهُمْ﴾ بإذنيه ﴿بِإِرَادَتِهِ﴾ حَتَّى إِذَا قِيَلَتْ لَهُمْ جِبْتُمْ عَنِ الْقِتَالِ ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي؛ فقال بعضهم: نذهب؛ فقد نصّر أصحابنا. وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَوَعَصَيْتُمْ﴾ أمره؛ فتركتم المركز؛ لطلب الغنيمة ﴿مَنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ اللَّهُ﴾ ما جئبوتكم من النصر، وجواب «إذا» دل عليه ما قبله؛ أي: منعكم نصرة ﴿وَبَنَيْتُمْ مِّنْ بُرَيْدِ الدُّنْيَا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَبَنَيْتُمْ مِّنْ بُرَيْدِ الْآخِرَةِ﴾ فثبت به حتى قتل؛ كعبد الله بن جبير وأصحابه^(٤) ﴿ثُمَّ سَكَرْتُمْ﴾ عطف على جواب «إذا» المقدر: رُدُّكُمْ بِالْهَزِيمَةِ عَنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم؛ فيظهر الخالص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعمو.

[١٥٣] اذكروا ﴿إِذْ تَضَعُورَتِ﴾ تبعدون في الأرض هارين ﴿وَلَا تَكُلُوتُ﴾ تُعْرِجُونَ ﴿عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجْتُمْ﴾ أي: من ورائكم؛ يقول: «إني عباد الله»^(٥) ﴿فَأَتَيْتُمْ﴾ فجازاكم^(٦) ﴿عَمَّا﴾ الهزيمة ﴿يَعْمَرُ﴾ بسبب عَمَمِكُم للرسول بالخالفه، وقيل: الباء بمعنى: على؛ أي: مضاعفاً على غم فَوَيْتُ الغنيمة ﴿لِيَكَيْلًا﴾ متعلق بـ«عفا»، أو بـ«أتابكم»؛ فلا زائدة^(٧) ﴿تَحَرَّوْا عَلَى مَا قَاتَلْتُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥١﴾ سَنَلْقَى
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا أَوْلَاهُمْ النَّارُ وَيَتَسَمَّوْنَ
الْأَطْلَامِينَ ﴿١٥٢﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ
وَعْدَهُ إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا قِيَلَتْ لَهُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ
مَنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ اللَّهُ مِمَّا جِئْتُمْ بِالنَّصْرِ
وَجَوَابِ «إِذَا» دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ؛ أَي: مَنَعَكُمْ نَصْرَهُ
مِّنْ بُرَيْدِ الدُّنْيَا فَتَرَكَ الْمَرْكَزَ
لِلْغَنِيمَةِ ﴿وَبَنَيْتُمْ مِّنْ بُرَيْدِ الْآخِرَةِ﴾ فَثَبَّتَ بِهِ
حَتَّى قَتَلَ كَعْبِدَ اللَّهِ بْنِ جَبْرِ وَأَصْحَابِهِ^(٤)
﴿ثُمَّ سَكَرْتُمْ﴾ عَطْفٌ عَلَى جَوَابِ «إِذَا» الْمَقْدَر:
رُدُّكُمْ بِالْهَزِيمَةِ عَنْهُمْ﴾ أَي: الْكُفَّارَ ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ لِيَمْتَحِنَكُمْ؛
فِيظْهَرُ الْخَالِصَ مِنْ غَيْرِهِ ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ مَا ارْتَكَبْتُمُوهُ
﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالْعَمَوِ.

[١٥٣] اذكروا ﴿إِذْ تَضَعُورَتِ﴾ تَبْعُدُونَ فِي الْأَرْضِ هَارِينَ
﴿وَلَا تَكُلُوتُ﴾ تُعْرِجُونَ ﴿عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي
أَخْرَجْتُمْ﴾ أَي: مِنْ وَرَائِكُمْ؛ يَقُولُ: «إِنِّي عِبَادُ اللَّهِ»^(٥)
﴿فَأَتَيْتُمْ﴾ فَجَازَاكُمْ^(٦) ﴿عَمَّا﴾ الْهَزِيمَةَ
﴿يَعْمَرُ﴾ بِسَبَبِ عَمَمِكُمْ لِلرَّسُولِ بِالْخَالْفَةِ، وَقِيلَ: الْبَاءُ
بِمَعْنَى: عَلَى؛ أَي: مُضَاعَفًا عَلَى غَمِّ فَوَيْتُ الْغَنِيمَةَ
﴿لِيَكَيْلًا﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ«عَفَا»، أَوْ بِـ«أَتَابَكُمْ»؛
فَلَا زَائِدَةٌ^(٧) ﴿تَحَرَّوْا عَلَى مَا قَاتَلْتُمْ﴾ مِنَ الْغَنِيمَةِ
﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ
يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

(١) بالضم لابن عامر والكسائي.
(٢) أخرجه ابن جرير عن السدي (٨١/٤) وضعفه جداً في الاستيعاب (٣٠٧/١).
(٣) سميت سلطاناً؛ لوضوحها والارتها، أو لقوتها ونفوذها.
(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).
(٥) أخرجه الطبري عن السدي (٨٠٥٠).

(٦) جعل الإثابة بمعنى: العقاب، وأصلها في الحسنات؛ لأنه وضعها موضع الثواب؛ ومعناه: جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون ﴿عَمَّا يَمُوتُ﴾.
(٧) قوله: «فلا زائدة» راجع إلى تعليق «أتابكم» فقط؛ والمعنى: فجازاكم بالغم لأجل أن تحزنوا، أما إذا كانت متعلقة بـ«عفا» فلا تكون زائدة؛ أي: عفا عنكم لأجل أن ينتفي حزركم.

﴿الْحَقُّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ أي: كظنُّ ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قُتِلَ^(٦) أو لا يُضَرُّ ﴿يَقُولُونَ هَلْ﴾ ما^(٧) ﴿لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: النصر الذي وعدناه ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿عَنْ قَلْبِهِ﴾ لهم: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ بالنصب توكيد، أو الرفع مبتدأ خبره: ﴿لِلَّهِ﴾ أي: القضاء له، يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ﴾ يظهرهون ﴿لَكَ﴾ يقولون، بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هُنَا﴾ أي: لو كان الاختيار إلينا، لم نخرج؛ فلم نقل، لكن أخرجنا كرهًا ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كَتَبَ اللهُ عليه القتل ﴿لَبَرَزْتُمْ﴾ خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ فِيهِمْ الْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِنْ مَضَّاجِعُهُمْ﴾ مصارعهم؛ فيقتلوا، ولم ينجم قعودهم؛ لأن قضاء - تعالى - كائن لا محالة ﴿وَرَوْى﴾ فعل ما فعل بأحد ﴿وَلِيَتَّبِعِيَ﴾ يختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُخَبِّرَ﴾ يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ والله عليمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿بِمَا فِي الْقُلُوبِ﴾ لا يخفى عليه شيء؛ وإنما يتلبي؛ ليظهر للناس.

[١٥٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد؛ وهم: المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿وَإِنَّمَا أَسْتَأْذِنُكُمْ﴾ أزلهم ﴿الْتَبِطُّنُ﴾ بوسوته ﴿بِعِضِّ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَوَلَدَ عَقًا اللَّهُ عَنَّهُمْ﴾ إنَّ الله عَفُورٌ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حليمٌ لا يتعجل على العصاة.

[١٥٦] ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المناقذين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا عُرَىٰ﴾ جمع غَزَاةٍ؛ فقتلوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تقولوا قتلهم ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً﴾ في قلوبهم والله يحيي ويميت ﴿فلا يمنع عن الموت قعودٌ﴾ والله بما تعملون ﴿بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ﴾^(٨) بصيرٌ فيجازيكم به.

[١٥٧] ﴿وَلِيُنزِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد ﴿أَوْ مُتَرِّفًا﴾ بضم الميم وكسر هاء^(٩)؛ من مات يموت^(١٠) ويُمَاتُ^(١١)؛ أي: أتاكم الموت فيه ﴿لَتَعْرِفَنَّهُ﴾ كائنه ﴿بَيْنَ اللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةً﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها جواب القسم^(١٢)، وهو في موضع الفعل، مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالناء والياء^(١٣).

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغِشِّي طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا أَسْتَأْذِنُكُمْ الشَّيْطَانُ يَبْعَثُ مَا كَسَبُوا وَأَلْفَدَ عَقًا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا عُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٨﴾ وَلِيُنزِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَتَرًا لِّمَعْرِفَةِ مَنْ وَاللَّهُ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٩﴾

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أمناً^(١) ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل^(٢) ﴿يَغِشِّي﴾ بلياء والناء^(٣) ﴿طَائِفَةً مِّنْكُمْ﴾ وهم المؤمنون؛ فكانوا يبدون^(٤) تحت الحجب^(٥) وتسقط السيوف منهم ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: حملتهم على الهيم؛ فلا رغبة لهم إلا بنجاتها دون النبي وأصحابه؛ فلم يناموا؛ وهم: المناقرون ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ﴾ ظنًا ﴿غَيْرَ﴾ الظن

(١) أشار بذلك إلى أن الأمانة والأمن بمعنى واحد، وهو الطمأنينة سواء زال الخوف أم لا؟ وقيل: إن الأمن هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، والأمانة هي الطمأنينة مع وجود أسبابه.

(٢) أي: بدل كل من كل وهو ظاهر؛ لأن الأمانة هي التعاس بينهما، وقيل: بدل اشتغال؛ لأن الأمانة لها اشتغال بالعباس وهو له اشتغال بها؛ لأنه لا يحصل التعاس إلا للأمن.

(٣) بالناء قراءة حمزة والكسائي، وعلى الياء الضمير عائد على التعاس، وعلى الناء الضمير عائد على الأمانة.

(٤) أي: يميلون.

(٥) جمع حجبفة: اسم للترس والدرقة.

(٦) أي: ولن يظهر دبه ولا ينم ما دعا إليه.

(٧) أشار به إلى أنه استفهام إنكاري معناه النبي.

(٨) وجملة ﴿كَلِمَةً لِلَّهِ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، والرفع قراءة أبي عمرو.

(٩) بلياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(١٠) بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(١١) قوله: (من مات يموت)، راجع إلى قراءة الضم، من باب: قال يقول، وأصله: يموت؛ يسكون الميم وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها.

(١٢) قوله: (ويمات)، راجع إلى قراءة الكسر؛ وهي من باب: خاف يخاف، وأصله: من مات يموت؛ يسكون الميم وفتح الواو، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها

فقلت ألفًا.

(١٣) وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم؛ لقول ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم . جواب ما أخرت فهو ملتزم

(١٤) بالناء قراءة السبعة عدا حفص.

[١٥٨] ﴿وَلَيْنَ مَثَرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١) ﴿أَوْ قَاتِلْتُمْ﴾ في الجهاد وغيره ﴿لِأُولِي اللَّهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم.

[١٥٩] ﴿يَسْمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لِيَتَّخِذَ الْكَافِرُ مِنَّا حَمَلًا ضَالًّا﴾ ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فَطَا﴾ سَيِّئِ الْخَافِي ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ جافيا فأغلظت لهم ﴿لَا تَقْضُوا﴾ تفرقوا ﴿مِنَ حَوْلِكَ﴾ تجاوز ﴿عَنَّهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوبهم حتى أغفر لهم ﴿وَيَسْأَلُوكُمُ اسْتِخْرَاجَ آرَاءِهِمْ فِي الْأُمُورِ﴾ أي: شأنك من الحرب وغيره؛ تطييبا لقلوبهم، وليستغن بك، وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ تن به لا بالمشاورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه.

[١٦٠] ﴿إِن يَصْرَفْكَ اللَّهُ﴾ يُعْزِمُكَ على عدوك؛ كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ وَإِن يَخْذَلْكُمْ يَبْرِكْ نَصْرَكُمْ؛ كيوم أُخْبِدُ ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَصْرِفُكُم مِّن بَدْرِهِمْ﴾ أي: بعد خذلانه؛ أي: لا ناصر لكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. ونزلت - لما فقدت قطيفة حمراء يوم أُخْبِدُ؛ فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها -: [١٦١] ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لِنَبِيِّ أَنْ يَقُلَ﴾ يخون في الغنيمه؛ فلا تظنوا به ذلك، وفي قراءة البناء للمفعول (٢)؛ أي: أن يُنْسَبَ إلى الغلول ﴿وَمَنْ يَقُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حاملًا له على عنقه ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ العال وغيره جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿وَهُمْ لَا يظُنُّونَ﴾ شيئا (٥).

[١٦٢] ﴿أَقْمِنَ أَسْبَغَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فأطاع ولم يغل ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطِ اللَّهِ﴾ لمصعبته وغلوله ﴿وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرَ﴾ المرجع هي؛ لا (٤). ﴿هُمُ دَرَجَاتُ﴾ أي: أصحاب درجات ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: مختلفو المنازل؛ فليمن أتبغ رضوانه الثواب، وليئ بآء بسخطه العقاب ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به. [١٦٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: عربيا مثلهم؛ ليفهموا عنه ويشرفوا به، لا ملكا ولا عجميا ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ مَا نَزَّلَ فِي الْقُرْآنِ﴾ ويترجمهم ﴿يظهرهم من الذنوب﴾ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴿الْقُرْآنَ﴾ وَالْحِكْمَةَ السَّيِّئَةَ وَمِنْهُمْ مِّنْ مَّخْفُوفٍ أَي: إنهم ﴿كَأَنَّهُمْ قَبِلُوا﴾ أي: قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين.

[١٦٥] ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ يأخذ بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَابَتْكُمْ مَّتَلَبَاتُ﴾ بيدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿فَلْتَرْجُوا﴾ متعجبين: ﴿أَنِّي﴾ من أين لنا ﴿هَذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟! والجملة الأخيرة (٥) محل الاستفهام الإنكاري (١) ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم المركز؛ فخذلتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصر ومنعه، وقد جازاكم بخلافكم.

وَلَيْنَ مَثَرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٥٨﴾ ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَصْرَفْكَ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَصْرِفُكُمْ مِنْ بَدْرِهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُلْ وَمَنْ يَقُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظَنُّونَ ﴿١٦١﴾ أَقْمِنَ أَسْبَغَ رِضْوَانِ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرَ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مَّتَلَبَاتٍ فَلَمْ أُنْ أَنْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦١): أخرج أبو داود عن ابن عباس. رضي الله عنهما. قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُلْ﴾ في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُلْ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود. كتاب الحروف والقراءات (٢٤) رقم (٣٩٧١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٦٠).

(١) أي: ضم الميم وكسرهما، والكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٢) رواه أبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩)، وانظر ما جاء في نزول الآية، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٦٠).

(٣) لحمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٤) قوله: (لا)، جواب الاستفهام.

(٥) وهي قوله: ﴿فَلْتَرْجُوا﴾.

(٦) أي: فهو بمعنى النفي؛ والمعنى: لا تقولوا ذلك حين أصابكم مصيبة؛ لأنه من عند أنفسكم؛ فسيبه ظاهر لا يتعجب منه.

للمؤمنين، وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ يَا قَوْمِهمْ مَا لَيْسَ بِقُدْرَتِهِمْ﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، (٣) أو نعت ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الدين ﴿وَوَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فِقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ لَا تَبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ يَا قَوْمِهمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قَاتِلَ قَادِرٍ وَأَعَنَ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا بِالْتَخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ ﴿٤﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَي: لأجل دينه ﴿أَمْؤَاتًا بَلَّ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضرت تسرح في الجنة حيث شاءت؛ كما ورد في الحديث (٥) ﴿يَرْزُقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة (٦).

[١٦٩] ﴿وَالَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، (٣) أو نعت ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الدين ﴿وَوَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فِقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ لَا تَبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ يَا قَوْمِهمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قَاتِلَ قَادِرٍ وَأَعَنَ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْؤَاتًا بَلَّ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿١٦٨﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، ويبدل من «الذين» ﴿أَقْرَبُ﴾ أَي: بأن ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ المعنى: يفرحون بأمنهم وفرحهم.

[١٧٠] ﴿وَرِحِينَ﴾ حال من ضمير «يرزقون» ﴿يَسَاءَ آتَاهَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من «الذين» ﴿أَقْرَبُ﴾ أَي: بأن ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ المعنى: يفرحون بأمنهم وفرحهم.

[١٧١] ﴿وَرِحِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ أَي: نعيم بن مسعود الأشجعي: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدَّ جَبَعُوا لَكُمْ﴾ الجموع؛ ليستأصلوكم ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك القول ﴿إِيصًا﴾ تصديقاً بالله وقيناً ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافيهم أمرهم ﴿وَيَعْتَمِدُ الْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ؛ فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه؛ فلم يأتوا، وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا (٩). قال الله - تعالى: .

[١٧٢] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ دعاءً بالخروج للقتال؛ لما أراد أبو سفيان وأصحابه العودة (٧)، تواعدوا مع النبي ﷺ سوق بدر العام المقبل من يوم أُحُدٍ ﴿وَمَنْ بَعَدَ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بأُحُدٍ (٨)، وخبر المبتدأ: ﴿بِالَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَأَتَقُوا﴾ مخالفتهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ أَي: نعيم بن مسعود الأشجعي: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدَّ جَبَعُوا لَكُمْ﴾ الجموع؛ ليستأصلوكم ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك القول ﴿إِيصًا﴾ تصديقاً بالله وقيناً ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافيهم أمرهم ﴿وَيَعْتَمِدُ الْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ؛ فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه؛ فلم يأتوا، وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا (٩). قال الله - تعالى: .

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهُ وَيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فِقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ لَا تَبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ يَا قَوْمِهمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قَاتِلَ قَادِرٍ وَأَعَنَ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْؤَاتًا بَلَّ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ الْأَخْوَفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَاللَّهُ وَفَضْلٍ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأُحُدٍ ﴿فَيَا ذُنَّ اللَّهُ﴾ بإرادته ﴿وَيَعْلَمُ﴾ علم ظهور (١) ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

[١٦٧] ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ والذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن القتال؛ وهم: عبدالله بن أُبَيٍّ وأصحابه: ﴿تَعَالَوْا فِقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أعداءه ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ نُحِبِّينَ﴾ (٢) ﴿وَقِتَالًا لَأَتَّبَعْنَاكُمْ﴾ قال - تعالى - تكذيباً لهم: ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦٩): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضرت ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق، لتلا يهدوا في الجهاد ولا يتكلموا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أعلمهم عنكم. قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٧) في فضل الشهادة. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٩).

(١) أي: بالنسبة للخلق.

(٢) وفي الآية قول آخر لعله الأقرب، وهو أن المعنى: لو تعلم أنه سيكون قتال لقاتلنا معكم. وفي الإتيان (١٢٧/٢) قال الشيخ السيوطي رحمه الله في كلامه على الحذف: «نحو ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ لَا تَبَعْنَاكُمْ﴾ أَي: مكان قتال، والمراد مكاناً صالحاً للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخير الناس بالقتال، ويتفخرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تنه عن أن يريدوا، لو تعلم حقيقة القتال، لذلك قدره مجاهد: مكان قتال». (٣) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾. (٤) بالتشديد قراءة ابن عامر. (٥) رواه مسلم من حديث ابن مسعود (١٨٨٧)، وسبق ذكره وتخريجه عند الآية (١٥٤) من سورة البقرة. (٦) بالكسر قراءة الكسائي. (٧) أخرج نحو السائي في التفسير (٣٤٣/١، ٣٤٤)، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (١١/رقم ١١٦٣٢)، وقال البيهقي في مجمع الزوائد (١٢١/٦): «ورجلاه رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجوزي، وهو ثقة، وضححه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٥/١)». وقال الحافظ في الفتح (٢٢٨/٨ - ٢٢٩): «المخفوط لإرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس... وضعفه في الاستيعاب (٣٣٤/١)». (٨) فيه أن الذين استجابوا لله والرسول ﷺ هم الذين حضروا الأحد، ونزلت في أهل أحد حين دعاهم للقتال ثانية، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال»، واستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف المردي، وسار ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا «حمراء الأسد» على بعد ثمانية أميال من المدينة، فالآية ليست في غزوة بدر الموعد كما ذهب المصنف. وقول المفسر: لما أراد أبو سفيان وأصحابه... إلخ غير صحيح؛ إذ إن خروجه ﷺ والصحابه لم يكن نتيجة إرادة أبي سفيان وأصحابه العود كما ذكر. (٩) ذكره الواقدي في معانيه (٣٨٤/١)، وأكثر أهل السير أن هذه الحادثة كانت بعد أحد في حمراء الأسد، ويؤيده ما أخرجه في الصحيحين عن عائشة ﷺ. قلت قلت لعمري: ما ابن أخي كان أبوك، منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون: خاف أن يرجعوا، قال: «من ذهب في إثرهم... الحديث» البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (١٨٨١).

[١٧٤] ﴿فَأَنْقَلَبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِعَمَّةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِلٍ﴾ بسلامة وريح ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته واطاعة رسوله في الخروج ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ لَكُمْ﴾ أي: القائل لكم: إن الناس... إلخ ﴿الشَّيْطَانُ يَجُوفٌ﴾ كُمْ ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُون﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

[١٧٦] ﴿وَلَا يُخِزِّنَا﴾ بضم الباء وكسر الزاي^(١)، ويفتحها وضم الزاي؛ من «خزنته» لغة في «أخزته»^(٢) ﴿الَّذِينَ يُسِرُّونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يعقون فيه سريعًا بنصرته؛ وهم: أهل مكة أو المنافقون؛ أي: لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفعلهم؛ وإنما يضررون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطْلًا﴾ نصيبًا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة؛ فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أَشْرَكُوا بِالْإِيمَانِ ﴿أَي: أَخَذُوهُ بَدَلَهُ﴾ لَن يَصْرُوا اللَّهَ ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿مَوْلَى﴾.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء^(٣) ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: إملأنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿حَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ و«أن» ومعمولها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية، ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ نَهْمٌ﴾ نَهْمٌ لِيَزَادُوا إِسْمًا ﴿بِكثرة المعاصي﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿ذو إهانة في الآخرة.

[١٧٩] ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليعترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يُمَيِّزَ﴾ بالتخفيف والتشديد؛ يفصل ﴿الْحَيِّتَ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك؛ ففعل ذلك يوم أُحُد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيظلمه على غيبه؛ كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء^(٤) ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا أَنعَانَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: بركاته ﴿هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿حَيْرًا لَهُمْ﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل، والأول^(٥) «بخلهم» مقدرا قبل الموصول على الفوقانية^(٦)، وقبل الضمير على التحتانية^(٧) ﴿بَلْ هُوَ مَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ﴾ أي: بركاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه؛ كما ورد في الحديث^(٨) ﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالباء والياء^(٩) ﴿حَيِّرٌ﴾ فيجازيكم به.

(١) وهي قراءة نافع.

(٢) قوله: «من «خزنته»... إلخ» راجع إلى القراءة الثانية بفتح الباء وضم الزاي.

(٣) قراءتان سبجتان، وبإتاء قراءة حمزة. وعلى قراءة التاء وهي قراءة حمزة: الخطاب للنبي ﷺ، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول ل (تحسين)، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ﴾ في محل المفعول الثاني. وعلى قراءة الباء - وهي قراءة الباقيين - يكون قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل (تحسين) وقوله: ﴿أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ حَيْرٌ...﴾ سد مسد مفعوليها كما ذكر المفسر.

(٤) التاء: قراءة حمزة، والياء: قرأ الباقون.

(٥) أي المفعول الأول.

(٦) أي فقديره: (ولا تحسين بخل الذين يبخلون... إلخ) خيرًا لهم؛ فقول المفسر: «بخلهم» فيه تسميح؛ لأن المقدر قبل الموصول يكون مضافًا له لا للضمير، وإنما المضاف إلى الضمير هو ما قدر قبله.

(٧) أي فقديره: (ولا يحسن الذين يبخلون... إلخ) بخلهم خيرًا لهم.

(٨) وهو قوله ﷺ: «يمثل مال مانع الزكاة شجاع أقرع له زبيبتان، يأخذ بهرمتيه ويقول: أنا كبرك، أنا مالك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ...﴾ الآية. البخاري (٤٥٦٥)، ومسلم (٩٨٨).

(٩) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وبإتاء قرأ الباقون.

فَأَنْقَلَبُوا بِعَمَّةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ يَجُوفٌ وَأَوْلِيَاءُ هُوَ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَخِزِّنَا الَّذِينَ يَسِرُّونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطْلًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ نَهْمٌ لِيَزَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُمَيِّزَ الْحَيِّتَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا أَنعَانَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَيِّرٌ ﴿١٨٠﴾

نكس ﴿وَقَتْلَهُمْ﴾ بالنصب والرفع^(١) ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ بالنون والياء^(٢)؛ أي: الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار. ويقال لهم إذا ألقوا فيها: [١٨٢] ﴿ذَلِكَ الْعَذَابُ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان؛ لأن أكثر الأفعال تزاوُل بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّبَشَرٍ﴾ أي: بذي ظلم^(٣) ﴿لَلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب. [١٨٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوا﴾ محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَاهَدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصدهه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانَ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ فلا نُؤْمِنُ لك حتى تأتينا به؛ وهو ما يُقَرَّبُ به إلى الله من نعم وغيرها، فإن قيل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، والابقي مكانه، وعُهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا لَمْ يَنْصُرُوا رَسُولَنَا﴾ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ يَأْتِيَنَّتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم؛ لرضاهم به ﴿فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿فِي أَنْكُمْ تُوْمِنُونَ عِنْدَ الْإِنْتَانِ﴾ به!؟ [١٨٤] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ والمعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﷺ ﴿وَالْكِتَابِ﴾ وفي قراءة: بإثبات الباء فيها^(٤) ﴿الْمُنِيرِ﴾ الواضح؛ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ﴾ بُعِدَ ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾ فَقَدْ فَازَ ﴿نَالَ غَايَةَ مَطْلُوبِهِ﴾ ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا مَنَعٌ الْمُرُورِ﴾ الباطل؛ يتمتع بها قليلا ثم ينفى.

[١٨٦] ﴿لَتُؤْتُوا﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع؛ لانتفاء الساكنين؛ لِتُحْيِيَنَّوْا فِيهِ أَمْوَالَكُمْ﴾ بالفرائض فيها والحوالح ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبلاء ﴿وَلتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارى^(٥) ﴿وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من العرب ﴿أَذْفَىٰ كَثِيرًا﴾ من السب والظعن والتشبيب^(٦) بسناكهم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَذَابِ الْأُمُورِ﴾ أي: من معزوماتها التي يعزم عليها؛ لوجوبها.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكُتُكُمْ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٢﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٣﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ يَأْتِيَنَّتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٤﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ مُّرُورٍ ﴿١٨٦﴾ لَتُؤْتُوا أَمْوَالَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ وَلتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَذَابِ الْأُمُورِ ﴿١٨٧﴾

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وهم اليهود قالوه لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُرْسِلُ اللَّهَ قَرْمًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو كان غنيا ما استقرضنا^(١). ﴿سَنَكُتُكُمْ﴾ نأمر بكسب ﴿مَا قَالُوا﴾ في صحائف أعمالهم؛ ليجازوا عليه، وفي قراءة: بالياء مبيئا للمفعول^(٢) ﴿و﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٦): أخرج أبو داود عن عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه - وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم - وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم المشركون يعبدون الأوثان، واليهود. وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر والعفو، ففهم أنزل الله: ﴿وَلتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية. فلما أبين كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطا يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة - وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فرغت اليهود والمشركون، فعدوا على النبي ﷺ، فقالوا: طرق صاحبنا قتل. فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقول، ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكسب بينه وبينهم كتابا يتنون إلى ما فيه. فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة. أبو داود - كتاب الخراج والإمارة (١٤) باب (٢٢) كيف كان إخراج اليهود من المدينة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٢٥٩٤).

(٢) أي: (سَيَكُتِب) وهي قرأة حمزة.

(١) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٠/٢). عن ابن عباس بسند حسن.

(٣) لف ونشر مرتب؛ والنصب (وقتلهم): على قراءة (النون) وهي قرأة حمزة، والرفع (وقتلهم): على قراءة الياء للباقيين.

(٤) على التفضيل في الهامش السابق. (٥) دفع بذلك ما يقال: إن المنفي: كثرة الظلم؛ فيفيد أن أصل الظلم ثابت - فأجاب بأن هذه الصيغة للنسب لا للباعثة.

(٦) قرأ هشام: (وبالزبر وبالكتاب)، وقرأ ابن ذكوان: (وبالزبر والكتاب).

(٧) هذا التفسير يوهم عدم إثبات رؤية المؤمنين ربه يوم القيامة، وهو مذهب المعتزلة - الذي هو أعظم نعيم وغاية مطلوب، كما قال البلقيني: استخرجته من الكشف اعتزالا بالمناقش من تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. قال: أي فوز أعظم من دخول الجنة؛ أشار به إلى عدم الرؤية. والمصنف مذهبه إثبات الرؤية كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: أي لا تراه، وهذا مخصوص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمُ ثَمِيرًا﴾ [النبي: ٢٢، ٢٣]، وحديث الشيخين: (إنكم سترون ربكم...).

(٨) أي بذكر محاسنها وأوصافها بالفصائد، وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف، لعنه الله.

[١٨٧] ﴿وَذَكَرْ﴾ أي ذكر ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أي: الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ﴾ أي: الكتاب، الباء والناء في الفعلين^(١) ﴿فَتَبَدُّوهُ﴾ طرحوا الميثاق ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ﴾ أخذوا بدله ﴿ثَمَّنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم؛ فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شراؤهم هذا.

[١٨٨] ﴿لَا يَخْسِنُونَ﴾ بالياء والناء^(٢) ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ﴾ في الوجهين^(٣) تأكيد ﴿بِمَعَارِزِهِمْ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة؛ بل هم في مكان يعذبون فيه؛ وهو: جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها^(٤)، ومفعولا «بحسب» الأولى ذل عليها مفعولا الثانية على قراءة التحتانية^(٥)، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط^(٦). [١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَاللَّهُ عَالِمُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿لَايَكْتَفِي﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لذوي العقول. [١٩١] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لما قبله، أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال، وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعها، يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ الخلق الذي نراه ﴿بَطَلًا﴾ حال، عبثًا؛ بل دليلاً على كمال قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن العبث ﴿فَقِيَمًا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن ذَخِرَ النَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدَّ أَخْرَجْتَهُ﴾ أهنته ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وُضِعَ الظاهر موضع المضمير^(٧)؛ إشعاراً بتخصيص الخزي بهم ﴿وَمَنْ زَائِدَةٌ﴾ أنصار^(٨) ﴿يَمْنَعُونَهُمْ﴾ من عذاب الله - تعالى.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إليه؛ وهو: محمد، أو القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَطْفًا﴾ عطفًا^(٩) ﴿عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ فلا تظهرها

وَأِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ، فَتَبَدُّوهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَّنًا قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا مِنَ التَّمَسُّكِ بِالْحَقِّ وَهُمْ عَلَىٰ ضَلَالٍ ﴿١٨٨﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ فِي الْوَجْهِينِ تَأْكِيدٌ ﴿بِمَعَارِزِهِمْ﴾ بِمَكَانٍ يَنْجُونَ فِيهِ ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ فِي الْآخِرَةِ؛ بَلْ هُمْ فِي مَكَانٍ يَعْذَبُونَ فِيهِ؛ وَهُوَ: جَهَنَّمُ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤَلِّمٌ فِيهَا^(٤)، وَمَفْعُولًا «بِحَسَبِ» الْأُولَى ذَلَّ عَلَيْهَا مَفْعُولًا ثَانِيَةً عَلَى قِرَاءَةِ التَّحْتَانِيَةِ^(٥)، وَعَلَى الْفُوقَانِيَةِ حَذْفُ الثَّانِي مَفْعُولًا فَحَقًّا فَقَدْ خَلَقْنَا سَمَوَاتٍ وَآرْضًا وَمَا خَلَقْنَا هَذَا بَطَلًا سُبْحَانَكَ قِيَمًا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن ذَخِرَ النَّارَ فَقَدَّ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّفْ مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٣﴾

بالعقاب عليها ﴿وَتَوَقَّفْنَا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَع﴾ فِي جُمْلَةٍ ﴿الْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين. [١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ السنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل، وسؤالهم ذلك - وإن كان وعده - تعالى - لا يُخْلَفُ - سؤالٌ أن يجعلهم من مستحقه؛ لأنهم لم يتقنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربنا» مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٨): أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه إن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقدمهم بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا، وأجروا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (١٦).

(١) أي وهما: «ليبينته» و«لا يكفرونه»، وقراءة الباء لابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ الباقون بالناء في الموضعين.

(٢) قرأ بالياء: نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، والباقون بالناء.

(٣) أي على القراءتين بالياء والناء.

(٤) والتقدير: أنفسهم ناجين.

(٥) وتقديره: ناجين من عذاب الله.

(٦) حيث قال: ﴿وما للظالمين﴾ ولم يقل: «وما لهم».

(٧) للتوكيد.

(٨) في نسخة: «عطف»، والنبت هو الواق لما بعده في قوله: «فلا تظهرها... الخ».

إلى المدينة ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ ديني ﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفار ﴿وَقِيلُوا﴾ بالتحفيف والتشديد^(١)، وفي قراءة: بتقديمه^(٢) ﴿لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ﴾ سَيِّئَاتِهِمْ، أسرها بالمغفرة ﴿وَلَا نُخِيطُنَّهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا﴾ مصدر من معنى «لا كفرن» مؤكد له ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فيه التفات عن التكلم^(٣) ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الجزاء.

[١٩٦] ونزل - لما قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد -: ﴿لَا يَغْرِبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) تصرفهم ﴿فِي الْبَلَدِ﴾ بالتجارة والكسب.

[١٩٧] هو ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتعون به يسيرًا في الدنيا ويفنى ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرْنَا لِبُهَادِكُمْ﴾ الفراهي.

[١٩٨] ولكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، أي: مقدرين الخلود ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ وهو ما يعد للضيف، ونصبه على الحال من «جنات»، والعامل فيها معنى الظرف ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿حَيْرٌ لِلْآبَرَارِ﴾ من متاع الدنيا.

[١٩٩] ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه، والنجاشي^(٥) ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: التوراة والإنجيل ﴿حَشِيشِينَ﴾ حال من ضمير «يؤمن» مرأى فيه معنى «من»؛ أي: متواضعين لله لا يشترتون بعبادته التي عندهم في التوراة والإنجيل من بعث النبي ﷺ ﴿ثُمَّ نَسْنَا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن يكتموها؛ خوفًا على الرياسة؛ كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يؤتونه مرتين؛ كما في القصص^(٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا^(٧).

[٢٠٠] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْرًا﴾ على الطاعات والمصائب، وعن المعاصي ﴿وَصَارُوا﴾ الكفار؛ فلا يكونوا أشد صبرًا منكم ﴿وَرَابِطُوا﴾ أقبموا على الجهاد ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ۗ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغْرِبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبَرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعِبَادَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْرًا وَصَارُوا وَرَابِطُوا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ الْاِنْتِبَاهِ

[١٩٥] ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعاهم ﴿إِنِّي﴾ أي: بأني ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ﴾ كائن ﴿بَعْضٌ﴾ أي: الذكور من الإناث وبالعكس، والجملة مؤكدة لما قبلها؛ أي: هم سواء في المجازة بالأعمال وترك تضييعها، نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول الله، إنني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء^(٨)، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من مكة

(٥) ما جاء في سبب نزول الآية (١٩٥): أخرجه الترمذي عن أم سلمة قالت: يا رسول الله لا أسمع ذكر النساء في الهجرة! فأقول الله تعالى: ﴿إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح بما قبله) صحيح سنن الترمذي (٢٤٢٠).

(٥٥) ما جاء في سبب نزول الآية (١٩٩): أخرجه النسائي في تفسيره (٣٥٦/١) عن أنس قال: لما جاء نبي النجاشي؛ قال رسول الله ﷺ: «صلوا عليه»، قالوا: يا رسول الله، نصلي على عبد حشيشي؟ فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨/٣): «رواه الزوار والطبراني في الأوسط، ورجال الطبراني ثقاة». اهـ.

وذكره الواحدي في أسباب النزول. وصحح إسناده في الاستيعاب (٣٥٢/١).

(١) بالتشديد قراءة ابن كثير وابن عامر.

(٢) أي: بتقديم المبنى للمفعول، لكن بالتحفيف، وتكون الواو على هذه القراءة بمعنى: مع؛ أي: مع كونهم قاتلوا فلم يفروا، بل قاتلوا في حال مقاتلتهم الأعداء، وهي قراءة حمزة والكماتني.

(٣) أي: وكان مقتضى الظاهر أن يقول: «توَابًا من عندي»، وإنما أظهر محل الإضمار تشريفًا لهم.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول، وذكره البغوي في تفسيره (١٥٤/٢).

(٥) الآيات من ٥٠ حتى ٥٥ من السورة.

(٦) سبق بيان أن هذا سهو من الجلال السيوطي رحمه الله في تفسير آية البقرة رقم (٢٠٢). - والصحيح أن الله يحاسب الخلق في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة؛ كما في صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة...»، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة في عقاب مانعي الزكاة في الحشر - قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد... البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧).

سُورَةُ النِّسَاءِ

[مدنية، وآياتها مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء - بالمد - من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَنَى﴾ فرق ونشر ﴿وَمِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ (١) فيه إدغام التاء في الأصل في السين (٢)، وفي قراءة بالتخفيف (٣) بحذفها؛ أي: تتساءلون ﴿يَدِي﴾ فيما بينكم حين يقول بعضهم لبعض: أسألك بالله، وأنشدك بالله ﴿وَاتَّقُوا﴾ اتقوا ﴿الْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها، وفي قراءة (٤) بالجر عطفًا على الضمير في «به»، وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظًا لأعمالكم؛ فيجازيكم بها؛ أي: لم يزل منصفًا بذلك.

[٢] ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فتمعه: ﴿وَمَا أَوْلَىٰ لِلْيَتِيمِ﴾ (٥) الصغار الأولى (٦) لا أب لهم ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْبَةَ﴾ الحرام ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ الحلال؛ أي: تأخذوه بدلته كما تفعلون من أخذ الحيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: أكلها ﴿كَانَ حُوبًا﴾ ذنبا ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا.

[٣] ولما نزلت تخرجون من ولاية التامى، وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج؛ فلا يعدل بينهم؛ فنزل: ﴿وَلَنْ خِفْتُمْ أَلْفًا﴾ ن ﴿لَا تَقْسِطُوا﴾ تعدلوا ﴿فِي الْبَيْنِينَ﴾ فتخرجتم من أمرهم فخافوا - أيضًا - أن لا تعدلوا بين النساء (٧) إذا نكحتموهن ﴿فَأَنْكِحُوا﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى: من ﴿طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ﴾ أي: اتنين اثنتين، وثلاثًا ثلاثًا، وأربعًا أربعًا، ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلْفًا﴾ ن ﴿لَا تَقْسِطُوا﴾ فيها بالنفقة والقسم ﴿فَوَجِدُوا﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء؛ إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات (٨) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأربع فقط، أو الواحدة، أو الثنوي ﴿أَدْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ تجوروا (٩).

[٤] ﴿وَمَا أَوْلَىٰ﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ﴾ جمع صدقة: مهورهن ﴿حِجْلَةً﴾ مصدر (١٠)، عطية عن طيب نفس ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ تمييز محول عن الفاعل؛ أي: طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبته لكم ﴿فَكُلُوهُ هَيْبَةً﴾ طيبًا ﴿رَبِيًّا﴾ محمودًا العاقبة، لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت ردًا على من كره ذلك.

[٥] ﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾ أيها الأولياء ﴿الْمُبْدِرِينَ﴾ من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: أموالكم التي في أيديكم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ مصدر «قام»؛ أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أولادكم؛ فضيعوها في غير وجهها، وفي قراءة: ﴿قِيَامًا﴾ (١١) جمع «قيمة»؛ ما تقوم به الأمعة ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعموهم منها ﴿وَأَكْسُوهُمْ﴾ وقلوا ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) أن رجلاً كانت له يتيمة فحكها، وكان لها علق، وكان يسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت: ﴿وَلَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا﴾

- (١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. (٢) فأصله: تتساءلون؛ فقلت التاء سينًا ثم أدغمت في السين؛ فلقب مخرجهما. (٣) قرأه الكوفيون حمزة والكسائي وعاصم مخففًا على حذف إحدى التائين، وشدد الباقون على إدغام التاء الثانية في السين. (٤) حمزة. (٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير (الدر المنثور ٢٠٧/٢) وسنده ضعيف كما في الاستيعاب (٣٥٨/١). (٦) أي الدين. (٧) أي: التامى. (٨) أي: فلا يجب العدل بينهن لا في القسم ولا في النفقة ولا في الكسوة. (٩) مؤكد من معنى قوله: ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ (١٠) نافع وابن عامر. (١١) وكذلك هو عند الحنابلة، وأما أبو حنيفة فقال: يبلوغ الذكر ثمانين سنة، والحجارية سبع عشرة سنة. وقال مالك: يبلوغها ثمانين سنة. والأرجح الأول وهو قول الجمهور. (١٢) الأفضل أن يقول: علمتم؛ لمناسبته للرشد.
- (١٣) أي: تعليم لمصالح الدنيا؛ فهو أمر نذوب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتِيمَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَيْبَةَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنْ وَتِلْكَ أَوْصِيَّتُكُمْ لَعَلَّكُمْ أَتَقَدَّرُونَ ﴿٣﴾ فَوَجِدُوا أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٤﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٥﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُهَاتِ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٦﴾ وَآتُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٧﴾

عذوهم عذة جميلة؛ بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا.

[٦] ﴿وَابْتَلُوا﴾ اختبروا ﴿الْيَتِيمَ﴾ قبل البلوغ؛ في دينهم، وتصرفهم في أموالهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ أي: صاروا أهلاً له؛ بالاحتلام أو السن؛ وهو: استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي (١) ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ أبصرتم (٢) ﴿بِتَمَّتْ رُشْدًا﴾ صلاحًا في دينهم ومالهم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ وَلَا تَأْكُلُوهَا أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق، حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ رُشْدًا؛ فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ﴾ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴿أَي﴾ يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى التامى ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها، ويرثتم؛ لئلا يقع اختلاف؛ فترجعوا إلى البينة، وهذا أمر إرشاد (٣) ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ الباء: زائدة ﴿حَسِيبًا﴾ حافظًا لأعمال خلقه، ومحاسبهم.

تهاون الناس في تركه؛ وعليه فهو نذب، وعن ابن عباس: واجب.

[٩] ﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ عَلَى الْيَتَامَى﴾ أي: ليحفظ على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكَآ﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: من بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾ أولادًا صغارًا ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضعاع ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريعتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا لِلْمَيْتِ﴾ ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صوابًا؛ بأن يأمره أن يتصدق بدون ثلته، ويدع الباقي لورثته، ولا يتركهم عائلة.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: ملاًها ﴿نَارًا﴾ لأنه يقول إليها ﴿وَسَمَلُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(١): يدخلون ﴿سَوِيرًا﴾ نازًا شديدة يحترقون فيها.

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ بما يذكر ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلَ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الأنثيين﴾ إذا اجتمعا معه فله نصيب نصف المال ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلهما الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ﴿فَوَقَّ﴾ أنتنن فلهن ثلثا ما تركه، وكذا الانتنان؛ لأنه للأختين بقوله: ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانُ مِمَّا تَرَكَ﴾ فيما أولى؛ ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر؛ فمع الأشي أولى، ﴿وَوَقَّ﴾ قيل: صلة، وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد؛ لما فهم استحقاق البنين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَلِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَّاحِدَةً﴾ وفي قراءة: بالرفع^(٢)؛ فلا كان: تامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَالْأُخْرَى﴾ أي: الميِّت، ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ أَوْ نِسَاءٌ، ونكته البدل: إفادة أنهما لا يشتركان فيه، وأخى بالولد ولد الابن، وبالأب الجد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرَّثَهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها^(٣)؛ فرازا من الانتقال من ضمة إلى كسرة؛ لتلقه في الموضعين^(٤) ﴿الثُّلُثُ﴾ أي: ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: اثنان فصاعداً - ذكورا أو إناثا - ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة، وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّتَهُ يُوْصِي﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(٥) ﴿بِهَا أَوْ﴾ قضاء ﴿دِينٍ﴾ عليه^(٦).

وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخره عنه في الوفاء؛ للاهتمام بها، ﴿عَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ مبتدأ خبره: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ تَعْقًا﴾ في الدنيا والآخرة؛ فظان أن ابنه أضع له؛ فبعضه الميراث؛ فيكون الأب أضع، وبالعكس، وإنما العالم بذلك هو الله؛ ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ إِنْ كَانَ عَلِيًّا بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما ذبته لهم؛ أي: لم يزل مخصفاً بذلك.

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ لِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا يُؤْتِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرَّثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْلَادُهُمْ وَأَبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ لَاتَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

[٧] ونزل - ردًا لما كان عليه في الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار^(١) : ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا بتسليمه إليهم.

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ ذُو الْقُرْبَىٰ مِنْ لَا يَرِثُ ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴿شَيْقًا﴾ قبل القسمة ﴿وَقُولُوا﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغارًا ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ جميلًا؛ بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار، وهذا قيل: إنه منسوخ، وقيل: لا، ولكن

في التبيين البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: عادي النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا أعقل، فدعا بماء فوضأ منه ثم رش علي فأفتت، قلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أي: أولادكم. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٤).

وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فجمعت المرأة بائنتين لها، فقالت: يا رسول الله، هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استفاء عمهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالا إلا أخذته فماتت يا رسول الله! فولأه لا تتكحان أبداً إلا ولهما مال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بفضي الله في ذلك». قال: فنزلت سورة ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا لي المرأة وصاحبهاء فقال لعمري: وأعططهما الثلثين، وأعطت أمهما الثمن، وما بقي فلها». أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (٤) ما جاء في ميراث الصلب. وقال عقبه: «أخطأ يشر فيه، إنما هما ابنتا سعد بن الربيع. وثابت بن قيس قتل يوم اليمامة. ثم ساق رواية أخرى على الصواب.

(١) أخرجه نحوه الطبري في جامع البيان (١٧٦/٤) عن قتادة، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٣٦٧/١).

(٢) أي: لمن حضرته الوفاة. (٣) بالبناء للمفعول لابن عامر وشعبة. (٤) لتألف. (٥) بالكسر حمزة والكسائي. (٦) راجع إلى الكسر.

(٧) أي: في قوله: ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾، وقوله: ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾. (٨) بالبناء للمفعول لابن كثير وابن عامر وشعبة.

[١٢] ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يَوْصِيَتِ بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٌ﴾ أي: الزوجات: تَعَدُّنَّ أو لا ﴿الرُّبْعُ﴾ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي تُوْصُونَ بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٌ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ﴾ صفة، والخبر^(١): ﴿كَكَلَّةٍ﴾ أي: لا ولد له ولا ولد ﴿أَوْ أَمْرَأَةً﴾ تورث كلالته ﴿وَلَكُمْ﴾ أي: للموروث كلالته ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي: من أم، وقرأ به ابن مسعود وغيره^(٢) ﴿فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مما ترك ﴿فَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوْصَى بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٍ غَيْرِ مُضَارٍّ﴾ حال من ضمير «يوصى»؛ أي: غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّةٌ﴾ مصدرٌ مُؤَكَّدٌ لـ«يوصيكم» ﴿وَمَنْ أَلَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بما ذُكِرَ لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمَةٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مخالفة، وخصت الشئة تورث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل، أو اختلاف دين، أورد.

[١٣] ﴿تِلْكَ﴾ الْأَعْكَامُ الْمَذْكُورَةُ - من أمر اليتامى وما بعده - ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه التي حُدِّثَها لعباده؛ ليعملوا بها، ولا يتعدوها ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياء، والنون^(٣): الثقات^(٤) ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حُلِيِّنَ﴾ فيها وذلك الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

[١٤] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالوجهين^(٥) ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُ فِيهَا وَلَكُمْ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة، روعي في الضمائر في الآيتين لفظ «من»^(٦) وفي «خالدين» معناها.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يَوْصِيَتِ بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٌ﴾ وَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي تُوْصُونَ بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٌ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ أَمْرَأَةً وَلَهُ رَاحٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوْصَى بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمَةٌ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حُلِيِّنَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ

(١) أي: خبر ﴿كان﴾، وهذا على أنها ناقصة، وأما باعتبارها تامة؛ فتكون ﴿ككَلَّةٍ﴾ حالاً.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالنون لنافع وابن عامر.

(٤) راجع للنون؛ وهو الثقات من الغيبة للتكلم.

(٥) أي: بالياء والنون، والنون لنافع وابن عامر.

(٦) أي: فأفرد في قوله: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ في الموضعين، وفي قوله: ﴿وَلَكُمْ﴾ أي: فجمع؛ مراعاة لمعنى «من».

الفاحشة: الزنا أو اللواط^(١) ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: الرجال ﴿فَتَادُوهُمْ﴾ بالسب والضرب بالنعال ﴿فَإِنَّ تَابَ﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿رَحِيمًا﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجع عنده - وإن كان مُحْضًا - بل يجلد ويغرب، وإرادة اللواط أظهر؛ بدليل ثنية الضمير^(٢)، والأول قال: أراد الزاني والزانية، ويرده تبيينهما بـ«من» المتصلة بضمير الرجال^(٣)، واشتركا في الأذى. والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال لما تقدم في النساء من الحسب.

[١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وكان الله عليهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ وَلَا تَعْلُوهُنَّ لَتَذهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[١٨] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزاع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه: ﴿إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ﴾ فلا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معابة العذاب؛ لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أَعْتَدْنَا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ﴾ أي: ذَاتَهُنَّ ﴿كَرِهًا﴾ بالفتح والضم، لغتان^(٤)؛ أي: مكرهيهن^(٥) على ذلك - كانوا في الجاهلية^(٦) يرتون نساء أقرانهم، فإن شاءوا تزوجوهن بلا صداق، أو زوّجهن وأخذوا صداقهن، أو عَضَلُوهُنَّ؛ حتى يقتدين بما ورثه، أو يُتَمَّنَّ فَيَرْتُوهُنَّ؛ فُتُوهَا عن ذلك - ﴿وَلَا أَنْ تَعْلُوهُنَّ﴾ أي: تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم؛ يَأْمَسِكُهُنَّ ولا رغبة لكم فيهنَّ: ضِرَارًا ﴿لَتَذهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ بفتح الباء وكسرها^(٧)؛ أي: بَيِّنَتٌ^(٨)، أو هي بيته؛ أي: زنا أو نُشُورٌ^(٩)؛ فلکم أن تُضَارُوهُنَّ؛ حتى يقتدين منكم ويختلفن ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ولعله يجعل فيهن ذلك؛ بأن يرفعكم منهنَّ ولذا صالحاً.

وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَاعَادُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٧﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٨﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ وَلَا تَعْلُوهُنَّ لَتَذهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢٠﴾

[١٥] ﴿وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ الزنا ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ أي: من رجالكم المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي: ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أن ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الخروج منها - أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلاً؛ بجلد البكر مائة وتعريتها عاماً؛ ورجم المحصنة، وفي الحديث: لَمَّا بَيَّنَّ الْحَدَّ - قال: «تُحْدُوا عَنِّي تُحْدُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» [رواه مسلم]^(١٠).

[١٦] ﴿وَالَّذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها^(١١) ﴿يَأْتِيَنَّهَا﴾ أي:

(١) مسلم (١٦٩٠). وتامه: «الْبُيُوتِ تَرْجُمُ، وَالْبُيُوتُ تَجْلُدُ».

(٢) بالتشديد مع اللد اللازم لابن كثير.

(٣) قولان للمفسرين، ورجح المصنف الثاني بقوله: «إرادة اللواط أظهر... الخ».

(٤) أي: في قوله: ﴿وَالَّذَانِ﴾، وقد يقال: إنه فيه تغليب الذكر على الأنثى.

(٥) وهو قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾.

(٦) وهما قرائتان، والضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) وفي بعض النسخ: «مكرهين» جمع مكره: اسم فاعل، ومفعوله محذوف؛ أي: مكرهين لهن.

(٨) أي: وفي صدر الإسلام.

(٩) بالفتح لابن كثير وشعبة.

(١٠) أي: بينها من يدعيها وأوضحها وأظهرها.

(١١) خروج عن طاعة الزوج.

[٢٠] ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ سَبِّدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ﴾ أي: أخذها بدلها بأن طلقتموها ﴿و﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِيَّاهُنَّ﴾ أي: الزوجات ﴿قِطَارًا﴾ مالا كثيرا؛ صدقا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ سَحِيحًا﴾ أتأخذونه بَهْتِنًا ﴿ظُلْمًا﴾ وإِنَّمَا مَيْبَتَا بَيْتَا، ونصبهما على الحال، والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في قوله: [٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: بأي وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَى﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ بالجماع المُقَرَّرُ لِلْمَهْرِ ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ بَيْتُنَا﴾ عَهْدًا ﴿عَلِيظًا﴾ شديداً؛ وهو: ما أمر الله به من إفساحهنَّ بمعروف أو تضييعهنَّ لإحسان.

[٢٢] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا﴾ بمعنى: من ﴿نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من فلكم ذلك؛ فإنه مغفورٌ عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أي: يكافهون ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾ فيحيا ﴿وَمَقْتًا﴾ سببا للمقت من الله - وهو أشد البغض - ﴿وَسَاءَ﴾ بس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقا ذلك.

[٢٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أن تنكحوهنَّ، وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشملت بنات الأولاد وإن سفلنَّ ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ من جهة الأب أو الأم ﴿وَعَمَّتُكُمْ﴾ أي: أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَوَحَلَاتُكُمْ﴾ أي: أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ ويدخل فيهن أولادهنَّ ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ﴾ أي: أمهاتكم ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ استكمال الحولين خمس رضعات^(١) - كما بينه الحديث - ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ﴾ ويلحق بذلك - بالشيء - البنات منها؛ وهنَّ من أرضعنهنَّ مؤطراتهنَّ، والعمات والحالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها؛ لحديث «يُحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يُحْرَمُ مِنَ النَّسَبِ» [رواه البخاري ومسلم]^(٢).

﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمْ﴾ جمع «رَبِيَّة»؛ وهي بنت الزوجة من غيره ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ تربونهن، صفة موافقة للغالب؛ فلا مفهوم لها ﴿وَمِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ أي: جامعتموهنَّ ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ فلا جناح عليكنَّ ﴿فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ وَوَحَلَاتِكُمْ﴾ أزواج «أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أُمَّتِكُمْ» بخلاف من تَبَيَّنْهُمْ؛ فلكم نكاح حلالهم ﴿وَأَنْ تَجَمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع؛ بالنكاح، ويُلتحق بهما - بالشيء - الجمع بينها وبين عمتهَا، أو خالتها^(٣)، ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد، ويملكهُمَا مَعًا، وَبَطْأً وَاحِدَةً ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية - من نكاحهم بغير ما ذُكِرَ. فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَجِيمًا﴾ بكم في ذلك.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ سَبِّدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَعَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ أتأخذونه بَهْتِنًا ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا عَلِيظًا﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْتَكُمُ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَوَحَلَاتِكُمْ الَّتِي مِنْ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أُمَّتِكُمْ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَأَنْ تَجَمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَجِيمًا﴾

(١) وهو مذهب الشافعي وأحمد وهو الراجح؛ لحديث عائشة عند مسلم: «كَانَ فِيمَا أُتِرَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رِضَاعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحْرَمُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ نَسِيخٌ بِحَسْبِ مَعْلُومَاتٍ، فَزَوَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ».

(٢) البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧).

(٣) البخاري (٥١٠٨)، ومسلم (١٤٠٨).

مُتَزَوِّجِينَ^(٥) عَيْرٌ مُسْفِهِينَ زَانِينَ ﴿فَمَا﴾ فَمَنْ ﴿أَسْتَمْتَعْتُمْ﴾ تَمَتَّعْتُمْ ﴿بِهِ﴾ وَنَهْنٌ مِنْ تَزْوِجْتُمْ بِالْوَطْءِ ﴿فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مُهُورَهُنَّ الَّتِي فَرَضْتُمْ لِهِنَّ ﴿وَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فِيمَا تَرَصَّيْتُمْ عَنْهُنَّ وَهِنَّ ﴿بِهِ﴾ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ مِنْ حَطْلَةٍ أَوْ بَغْضَاءٍ أَوْ زِيَادَةٍ عَلَيْهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمًا﴾ فِيمَا دَبَّرَهُ لَهُمْ.

[٢٥] ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ غَشَى لِي أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْحُرَّاتِ الْمُؤْمِنَاتِ وَهُوَ جَزِيٌّ عَلَى الْغَالِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ^(٦) ﴿فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بِتَكْوِينِ ﴿وَمَنْ فَتَنَيْتُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فَانْكَفُوا بِظَاهِرِهِ، وَكَلِمَةُ الشَّرَائِرِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ الْعَالِمُ بِتَفْصِيلِهَا، وَرَبُّ أُمَّةٍ تَفْضُلُ حُرَّةً فِيهِ، وَهَذَا تَأْنِيسٌ بِنِكَاحِ الْإِمَاءِ ﴿بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أَي: أَنْتُمْ وَهِنَّ سِوَاهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ نِكَاحِهِنَّ ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ﴾ مَوَالِيهِنَّ ﴿وَأَنْفُسَهُنَّ﴾ أَعْطَوْهُنَّ ﴿أَجُورَهُنَّ﴾ مَهْرَهُنَّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَنَقْصٍ ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ غَفَائِفُ، حَالٌ ﴿عَيْرٌ مُسْفِهَاتٍ﴾ زَانِيَاتٌ جَهْرًا ﴿وَلَا مَخْذَلَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ أَخْلَاءُ يَزْنُونَ بِهِنَّ سِرًّا ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ زُوجَهُنَّ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ^(٧): تَزْوِجَنَّ ﴿فَلِإِنْ آتَيْتَ بِفَحِشَةٍ﴾ زَانَا ﴿فَقَلِّبِيَنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الْحُرَّاتِ الْأَبْكَارِ إِذَا زَانِينَ ﴿وَمَنْ أَلْعَدَابُ﴾ الْحَدِّ؛ فَيَجْلِذُنَّ خَمْسِينَ وَيُعَزِّبُنَّ نِصْفَ سَنَةٍ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِنَ الْعَبِيدُ، وَلَمْ يُجْعَلِ الْإِحْصَانُ شَرْطًا لَوْجُوبِ الْحَدِّ؛ بَلْ لِإِفَادَةِ أَنَّهُ لَا رَجْمَ عَلَيْهِنَّ أَسْلًا ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: نِكَاحِ الْمَمْلُوكَاتِ عِنْدَ عَدَمِ الطَّوْلِ ﴿لِيَمُنَّ حَيَاتِنَ﴾ خَافَ ﴿أَلْعَتَّةَ﴾ الزَّانَا، وَأَصْلُهُ الْمُشَقَّةُ؛ سُمِّيَ بِهِ الزَّانَا؛ لِأَنَّهُ سَبِيحًا بِالْحَدِّ فِي الدُّنْيَا وَالْعُقُوبَةُ فِي الْآخِرَةِ ﴿وَمِنْكُمْ﴾ بِخِلَافِ مَنْ لَا يَخَافُهُ مِنَ الْأَحْرَارِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا، وَكَذَا مَنْ اسْتَطَاعَ طَوْلَ حُرَّةٍ؛ وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ فَتَنَيْتُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الْكَافِرَاتِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا - وَلَوْ عَدِيمًا^(٨) وَخَافَ - ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ عَنِ نِكَاحِ الْمَمْلُوكَاتِ ﴿حَيْرٌ لَكُمْ﴾ لِتَلَا بَصِيرِ الْوَالِدِ رَقِيقًا ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ بِالتَّوَسُّعِ فِي ذَلِكَ.

[٢٦] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾ شَرَائِعَ دِينِكُمْ وَمَصَالِحَ أَمْرِكُمْ ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ طَرِيقِ الدَّرَجَاتِ﴾ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ فَتَبْعُوهُمْ ﴿وَيُؤْتِيكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ يَرْجِعُ بِكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَى طَاعَتِهِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِكُمْ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيمَا دَبَّرَهُ لَكُمْ.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَحْلَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنَاتٍ عَيْرٍ مُسْفِهِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَصَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْنَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ وَأَتْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ عَيْرٍ مُسْفِهَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنَّ تَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَآخِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الدَّرَجَاتِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُؤْتِيكُمْ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾

[٢٤] ﴿وَمَنْ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمُحْصَنَاتُ﴾ ذَوَاتِ الْأَزْوَاجِ ﴿مِمَّنْ أَلْسِنَتْ﴾ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَبْلَ مَفَارِقَةِ أَزْوَاجِهِنَّ - حُرَّاتٌ مُسْلِمَاتٌ كُنَّ أَوْ لَا - ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٩) مِنَ الْإِمَاءِ بِالسُّبْحِيِّ؛ فَلَكُمْ وَطْؤُهُنَّ - وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ بَعْدَ الْاِسْتِبْرَاءِ - ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ^(١٠)؛ أَي: كَتَبَ ذَلِكَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [وَأَحْلَلَ] بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولُ^(١١) ﴿لَكُمْ﴾ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَي: سِوَى مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ تَطْلُبُوا النِّسَاءَ ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بِصَدَاقِكُمْ^(١٢) أَوْ تَمَنِّ^(١٣) ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ يوم حنين بعث جيشًا إلى أوطاس فلقوا عدوًا فقاتلوهم، فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبائب، فكان ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ تخرجوا من غشيانهم من أجل أزواجهم من المشركين، فأذن الله ﷻ في ذلك: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أَي فَمَنْ لَكُمْ حلال إذا انقضت عدتهن. مسلم - كتاب الرضاغ (١٧) باب (٩) جواز وطء النسبية بعد الاستبراء.

(١) أي: المؤكد لعامله المعنوي، المستفاد من قوله: ﴿حُرِّمَتْ﴾؛ فإن التحريم والفرض والكتب بمعنى واحد.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٣) أي: بالتزويج.

(٤) أي: بالملك.

(٥) أو متملكين، بدليل قوله: «أو تمن».

(٦) وعلى هذا القول فإنه إن قدر على طول حرة كناية فليس له أن يتزوج أمة مسلمة، واختاره القرطبي. والقول الثاني: إن له ذلك، والأمة المؤمنة خير من الحرة الكناية، واختاره ابن العربي. وهو الأول والأظهر بنص هذه الآية. والله أعلم.

(٧) وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٨) أي: غنم الطول، وخاف العنت.

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كَوْرُهُ لِيُنِي عَلَيْهِ ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اليهود والنصارى، أو الجوس، أو الزناة ﴿أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ تعدلوا عن الحق؛ بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ يُسَهِّلَ عَلَيْكُمْ أَحْكَامَ الشَّرْعِ ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ لَا يَصْبِرُ عَنِ النِّسَاءِ وَالشَّهَوَاتِ.

[٢٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَّوْا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ﴾ بالحرام في الشرع؛ كالربا والغصب ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ^(١) ﴿أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً صَادِرَةً عَنِ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ﴾ وفي قراءة بالنصب^(٢)؛ أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ أَمْوَالًا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها. أيا كان في الدنيا أو الآخرة - بقريئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في منعه لكم من ذلك.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أَي: مَا نَهَى عَنْهُ ﴿عُدْوَانًا﴾ تَجَاوُزًا لِلْحَلَالِ، حَالًا ﴿وَطُلْمًا﴾ تَأْكِيدًا ﴿فَسَوْفَ نُضَلِّهِهُ﴾ نَدَخَلُهُ ﴿نَارًا﴾ يَحْتَرِقُ فِيهَا ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هَيْئًا.

[٣١] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبِيرًا﴾ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا وَعِيدٌ؛ كَالْقَتْلِ وَالزَّانَا وَالسَّرْقَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ أَقْرَبُ^(٣) ﴿تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصَّغَائِرُ؛ بِالطَّاعَاتِ ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها^(٤)؛ أَي: إِدْخَالًا، أَوْ مَوْضِعًا^(٥) ﴿كَرِيمًا﴾ هُوَ الْجَنَّةُ.

[٣٢] ﴿وَلَا تَنَّمَوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا أَوْ الدِّينِ؛ لِذَا يُؤَدِّي إِلَى التَّحَاشِدِ وَالتَّبَاغُضِ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ نَوَابٍ ﴿وَمَا أَكْتَسَبُوا﴾ بِسَبَبِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾ مِمَّا أَكْتَسَبْنَ مِنْ طَاعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَحِفْظِ فُرُوجِهِنَّ - نَزَلَتْ لِمَا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَيْتَنَا كُنَّا رِجَالًا فَجَاهَدْنَا؛ وَكَانَ لَنَا مِثْلُ أَجْرِ الرِّجَالِ^(٦) - ﴿وَسْتَلُوا﴾ بِهَمْزَةٍ، وَدُونَهَا^(٧) ﴿اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مَا اخْتَجْتُمْ إِلَيْهِ يُعْطِكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمًا﴾^(٨) وَمِنْهُ مَحَلُّ الْفَضْلِ وَسُؤَالِكُمْ.

[٣٣] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَّ﴾ عَضْبَةً يُعْطُونَ ﴿وَمَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ لَهُمْ مِنَ الْمَالِ ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ﴾ بِالْفِ، وَدُونَهَا^(٩) ﴿أَيْتُنَّكُمْ﴾ جَمْعُ «يَمِين» بِمَعْنَى الْقِسْمِ، أَوْ الْيَدِ؛ أَي: الْخُلَفَاءُ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الثَّمَرَةِ وَالْإِرْثِ ﴿فَقَاتُوهُمْ﴾ الْآنَ

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَّوْا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَطُلْمًا فَسَوْفَ نُضَلِّهِهُ تَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبِيرًا مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَنَّمَوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حَظُّوهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ؛ وَهُوَ: السُّدُسُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مُطْلَعًا، وَمِنْهُ حَالِكُمْ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ^(١) بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(٢).

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْوِلِ آيَةِ (٣٢): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَنَّمَوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٤١٩).

(١) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الِاسْتِنَاءَ مُنْقَطِعٌ؛ لِأَنَّ التِّجَارَةَ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْأَمْوَالِ الْمَأْكُولَةِ بِالْبَاطِلِ، وَخِصَّ التِّجَارَةُ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا كَالِهَبَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ التَّنْفِيزِ فِي الْأَمْوَالِ بِهَا. (٢) وَالْقِرَاءَةُ الْمُفْرَقَةُ بِالضَّمِّ، نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٣) أَي: مِنْهَا لِلسَّبْعِينَ الَّتِي قَبِلَ بِهَا.

(٤) وَالْفَتْحُ قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٥) لَفًا وَنَشْرَ مَرْتَبٍ؛ فِإِدْخَالًا عَلَى قِرَاءَةِ «مَدْخَلًا»؛ وَمَوْضِعًا عَلَى قِرَاءَةِ: «مَدْخَلًا»؛ فَيَكُونُ اسْمَ كَانٍ.

(٦) أَخْرَجَ نَجْوَةَ الطَّبْرِيِّ عَنْ مُجَاهِدٍ (٩٢٣٩، ٩٢٤٠) وَنَجْوَةَ أَيْضًا عَنْ عَطَاءٍ (٩٢٤٥) وَنَجْوَةَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (٩٢٤٢) وَلَكِنَّا سَهْمَةٌ فِي النِّسَاءِ لَيْسَ فِيهَا تَعْيِينٌ أَمْ سَلْمَةَ فِي هَذَا الْمَقُولِ. وَلَكِنْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٨) وَغَيْرُهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا تَغْزُو النِّسَاءُ وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفَ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَنَّمَوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وَأَنْزَلَ فِيهَا: ﴿إِنَّ الْمُتَسَلِّمِينَ وَالْمُسْتَلْمِينَ﴾ وَصَحَّحَهُ الْأَبْيَانِيُّ.

(٧) بِلُونِهَا قِرَاءَةُ الْكِسَائِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ.

(٨) بِالْأَلْفِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٩) أَي: قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٣].

(١٠) الْأَحْزَابُ: ٦.

أَمْوَالَهُمْ فَأَلْبَسْتُمْ لَهُمْ مَنَافِعَ أَزْوَاجِهِمْ وَمِنْهُنَّ يُفْتَنُونَ ﴿٣٥﴾ مَنَنْ ﴿قَدِينَتُكُمْ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَتُكُمْ﴾ لِلْعَيْبِ ﴿أَي:﴾ لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بِمَا حَفِظْتُمْ﴾ هن (١) ﴿أَلَّهْتُمْ﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج (٢) ﴿وَأَلَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصبانتهن لكم؛ بأن ظهرت أمارته ﴿فَيَقْطَعُوهُنَّ﴾ فحقوقهن الله ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ في المصاحب اعزلوا إلى فراش آخر؛ إن أظهرن النشوز ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح؛ إن لم يرجعن بالهجران ﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيْرًا﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن.

[٣٥] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين، والإضافة للاتساع؛ أي: شقاقاً بينهما ﴿فَاتَّبَعُوا﴾ إلهما رضاهما ﴿حَكْمًا﴾ رجلاً عدلاً ﴿وَمِنْ أَهْلِيهِمْ﴾ أقاربه ﴿وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وتوكل (٣) الرُّوحُ حَكْمَةٌ في الطلاق وقبول عوض عليه، وتوكل هي حكمة في الاختلاع؛ فيجتهدان وأمران الظالم بالرجوع، أو يفرقان؛ إن رأيتاه، قال - تعالى -: ﴿إِنْ يُرِيدَا كَيْدًا﴾ أي: الحكمان (٤) ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين (٥)؛ أي: يُقَدِّرُهُمَا على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيْمًا﴾ بكل شيء ﴿خَيْرًا﴾ بالبوطن كالظواهر.

[٣٦] ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وخذوه ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يرا ولين جانب ﴿وَوِزَى الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ والمسنكين والجار ذى القربى القريب منك في الجوار أو النسب ﴿وَالْجَارِ الْبَعِيدِ﴾ البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة، وقيل: الزوجة ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الأرقاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ مُتَكَبِّرًا ﴿فَخُورًا﴾ على الناس بما أوتي.

[٣٧] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَسْخَرُونَ﴾ بما تجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من العلم والمال؛ وهم: اليهود، وخبر المبتدأ: «لهم وعيد شديد» (١) ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُّهِمًّا﴾ ذا إهانة.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَتْ فَوْتَهُنَّ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعَطُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَصَاحِبِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيْلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيْمًا كَبِيْرًا ﴿٣٥﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَاتَّبِعُوا أَحْكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيْمًا خَيْرًا ﴿٣٦﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يَسْخَرُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِمًّا ﴿٣٧﴾

[٣٤] ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ مسلطون ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن ﴿وَمِنْ

(١) أشار المصنف إلى أن «ما» اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والمائد محذوف قدره بقوله: «هن».

(٢) وقيل: حفظ الله لهم؛ أي: توفيق الله لهم. وقيل: يهتبهن عن المخالفة.

(٣) اشتراط التوكيل هو مذهب الأحناف والشافعية، لانحصار مهمة الحكيم عندهم في الإصلاح، ولا يحق لهما التفريق بين الزوجين إلا بتفويض منهما، بخلاف المذهب المالكي الذي يعطي الحكيم حق الحكم بالتفريق من غير توكيل منهما.

(٤) ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين؛ والمعنى: إن برد الزوجان إصلاحاً؛ معاشرة بالمعروف وترك ما يسيء، تحصل الموافقة بينهما.

(٥) ويحتمل أن يعود الضمير على الحكيم؛ والمعنى: لا يحصل اختلاف بين الحكيم؛ بل تحصل الموافقة بينهما.

(٦) أي: محذوف، وهذا تقديره.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ عَظَّمَ عَلَى الَّذِينَ قَبْلِهِمْ أَنْ يَقُولُوا أَمْوَالُهُمْ رِثَاةَ النَّاسِ﴾ مراثي لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كالمناقين وأهل مكة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ بِالْحَقِّ﴾ صاحبنا؛ يعمل بأمره؛ كهؤلاء ﴿فَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بس ﴿قربنا﴾ هو.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَّمَهُم لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَعُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أي ضرر عليهم في ذلك، والاستفهام للإنكار، ولو؛ مصدرية^(١)؛ أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا.

[٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظُنُّكُمْ أَنْتُمْ كَالَّذِينَ يَشْقَى زُنُورًا﴾ أصغر نعمة؛ بأن ينقصها من حسناته أو يزيد بها في سيئاته ﴿وَإِنَّ تَكْفُرًا﴾ الذرة ﴿حَسَكَةً﴾ من مؤمن، وفي قراءة: بالرفع^(٢)؛ فدا كان؛ تامة ﴿يُضَعِّفُهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، وفي قراءة: ﴿يُضَعِّفُهَا﴾ بالتشديد^(٣) ﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدره أحد.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها؛ وهو: نبيا ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿وَعَلَى هَذِهِ شَهِيدًا﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَ يُدْعَى﴾ يوم الجيء ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ كَقَرَأُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أن ﴿شُؤبَى﴾ بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل، ومع إدغامها في السين^(٤)؛ أي: تنسوي ﴿بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا ترابا مثلها؛ لعظم هولها - كما في آية أخرى ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٥) - ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه، وفي وقت آخر يكتمونه، ويقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٦).

[٤٣] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: لا تصلوا ﴿وَأَنْتُمْ شُكْرَى﴾ من الشراب؛ لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال سكر ﴿حَتَّى تَمْلَأُوا مَا نَقُولُونَ﴾ بأن تضحوا^(٧) ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإبلاج أو إنزال، ونصبه على الحال، وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِي﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق؛ أي: مسافرين ﴿حَتَّى تَمْتَلِئُوا﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر؛ لأن له حكما آخر سيأتي، وقيل: المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة؛ أي: المساجد، إلا عبورها من غير مكث ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ﴾ مرضا يضره الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين، وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المعد لقضاء الحاجة؛ أي: أحدث ﴿أَوْ لَمَسْتُمْ النِّسَاءَ﴾ وفي قراءة: بلا ألف^(٨)، وكلاهما بمعنى: اللبس؛ وهو: الجنس باليد، قاله ابن عمر - وعليه الشافعي - وألحق به الجنس بباقي البشرية، وعن ابن عباس؛

وَالَّذِينَ يُفْقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاةَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ بِالْحَقِّ فَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَمَاذَا عَلَّمَهُم لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَعُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَا يَظُنُّكُمْ أَنْتُمْ كَالَّذِينَ يَشْقَى زُنُورًا وَإِنَّ تَكْفُرًا حَسَكَةً مِنْ مُؤْمِنٍ وَفِي قِرَاءَةٍ بِالرَّفْعِ (٢)؛ فَدَا كَانَ؛ تَامَةً (٣) يُضَعِّفُهَا مِنْ عَشْرٍ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ وَفِي قِرَاءَةٍ: (٤) يُضَعِّفُهَا بِالتَّشْدِيدِ (٥) وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ مِنْ عِنْدِهِ مَعَ الْمُضَاعَفَةِ (٦) أَجْرًا عَظِيمًا لَا يَقْدِرُهُ أَحَدٌ [٤١] فَكَيْفَ حَالُ الْكُفَّارِ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا؛ وَهُوَ: نَبِيًّا (٧) وَجِئْنَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ (٨) وَعَلَى هَذِهِ شَهِيدًا [٤٢] يَوْمَ يُدْعَى يَوْمَ الدِّينِ كَقَرَأُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ أَي: أَنْ (٩) شُؤْبَى بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلُ مَعَ حَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ فِي الْأَصْلِ، وَمَعَ إِدْغَامِهَا فِي السِّينِ (١٠)؛ أَي: تَنْسَوِي (١١) بِهِمُ الْأَرْضُ بِأَنْ يَكُونُوا تَرَابًا مِثْلَهَا؛ لِعَظَمَةِ هَوْلِهَا - كَمَا فِي آيَةٍ أُخْرَى (١٢) وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (١٣) - وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا عَمَّا عَمِلُوهُ، وَفِي وَقْتٍ أُخَرَ يَكْتُمُونَهُ، وَيَقُولُونَ: (١٤) وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ [٤٣] يَتَأْتِي الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ أَي: لَا تَصَلُّوا (١٥) وَأَنْتُمْ شُكْرَى مِنَ الشَّرَابِ؛ لِأَنَّ سَبَبَ نَزُولِهَا صَلَاةُ جَمَاعَةٍ فِي حَالِ سُكْرِ (١٦) حَتَّى تَمْلَأُوا مَا نَقُولُونَ بِأَنْ تَضْحُوا (١٧) (١٨) وَلَا جُنُبًا بِإِبْلَاجٍ أَوْ إِنْزَالٍ، وَنَصَبَهُ عَلَى الْحَالِ، وَهُوَ يُطْلَقُ عَلَى الْمَفْرَدِ وَغَيْرِهِ (١٩) إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ طَرِيقٌ؛ أَي: مُسَافِرِينَ (٢٠) حَتَّى تَمْتَلِئُوا فَلَكُمْ أَنْ تَصَلُّوا، وَاسْتِثْنَاءُ الْمُسَافِرِ؛ لِأَنَّ لَهُ حُكْمًا أُخَرَ سِيَّئِي، وَقِيلَ: الْمُرَادُ النَّهْيُ عَنِ الْقُرْبَانِ مَوَاضِعَ الصَّلَاةِ؛ أَي: الْمَسَاجِدِ، إِلَّا عَبُورَهَا مِنْ غَيْرِ مُكْثٍ (٢١) وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ مَرَضًا يَضُرُّهُ الْمَاءُ (٢١) أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَي: مُسَافِرِينَ، وَأَنْتُمْ جُنُبٌ أَوْ مُحَدِّثُونَ (٢٢) أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ هُوَ الْمَكَانُ الْمَعْدُّ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ؛ أَي: أَحَدٌ (٢٣) أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ وَفِي قِرَاءَةٍ: بِبِلَا أَلْفٍ (٢٤)، وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى: اللَّبْسِ؛ وَهُوَ: الْجِنْسُ بِالْيَدِ، قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ - وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ - وَأَلْحَقَ بِهِ الْجِنْسَ بِبَاقِي الْبَشَرَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛

هو: الجماع^(١٤) ﴿فَلَمَّ تَجِدُوا مَاءً﴾ تطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أفصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابا طاهرا، فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المؤقتين منه^(١٥)، و(مسح) يتعدى بنفسه^(١٦) وبالحرف^(١٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾.

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَإِنْ يَسْأَلُوكَ الَّذِينَ لِيَ الْكُفَّةِ﴾ اليهود ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَلَاحِ﴾ بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَمْلَأُوا السَّبِيلَ﴾ تخططوا الطريق الحق؛ لتكونوا مثلهم.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٤٣): أخرج أبو داود عن علي بن أبي طالب أن رجلا من الأنصار دعاه وعبدالرحمن بن عوف فسقاها قبل أن تحرم الخمر، فأهم علي في المغرب فقرا: ﴿فَلْيَكُنَّ مِنَ الْكَاثِرِينَ﴾ فخلط فيها، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكْرَى حَتَّى تَمْلَأُوا مَا نَقُولُونَ﴾. وأخرج أيضا: عن عمر بن الخطاب قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: =

(١) أي: والكلام على تقدير حرف الجر «في» الداخل على المصدر المقدر؛ أي: : وماذا عليهم في إيمانهم؟! (٢) نافع وابن كثير. (٣) لابن كثير وابن عامر. (٤) قرأها ﴿شُؤْبَى﴾ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، وقرأها ﴿شُؤْبَى﴾ حمزة والكسائي، وقرأها ﴿شُؤْبَى﴾ نافع وابن عامر. (٥) سورة النبأ: آية ٤٠ - (٦) سورة الأنعام: آية ٢٣، (٧) حذرة والكسائي. (٨) وهذا هو الصحيح في تفسير الآية - إن شاء الله، ولا ينقض الفوضة مجرد من المرأة ولو بشهوة... لأن الأصل عدم النقص حتى يقوم دليل صحيح صريح على ذلك، ولما روت عائشة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ «فَلْيَكُنَّ تَفَضُّ نِشَابِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»، كما أن تفسير ابن عباس (رضي الله عنه) هو المناسب لسياق الآية كما بينته أهل العلم، وإن كانوا قد اختلفوا في صحة الحديث المذكور والذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، فقد صححه ابن عبدالبر كما في «الليل»، وأما ما ورد عن ابن عباس فقد قال الشيخ ابن عثيمين (رحمته الله): إن ذلك صح عنه وهو الذي دعا له النبي ﷺ أن يعلمه التأويل، وهو أولى من يؤخذ قوله في التفسير إلا أن يعارضه من هو أرجح منه. انظر: [الشرح المنع (١/٢٣٩)]. (٩) أي: من الصعيد الطيب، وهو مذهب الشافعي في الجديد، واستدل بحديث ضعيف، والراجح أن التيمم يكون بمسح الوجه واليدين إلى الكفين فقط، ويكون بضرية واحدة. (١٠) فكانت الباء زائدة. (١١) وتكون الباء لتعدية.

قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴿٤٥﴾ بَدَلٌ ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ﴿وَأَسْمَعُ﴾ فَقَطُّ ﴿وَأَنْظُرْنَا﴾ انظر إلينا بدل ﴿رَعَيْتَا﴾ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْوَمُ﴾ أعدل منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

[٤٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة ﴿مِن قَبْلِ أَنْ تَطْغَىٰ وَجُوهَهَا﴾ منحوما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَرَدَّهَا عَلَيَّ آذَانَهَا﴾ فنجعلها كالأقفاء لوجها واحدا ﴿أَوْ لَعَنَهُمْ﴾ نمنسخهم قرده ﴿كَمَا لَعْنَا﴾ مسخنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾، ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام (١)؛ فقيل: كان وعيدا بشرط؛ فلما أسلم بعضهم رُفِعَ، وقيل: يكون طمس ومسح قبل قيام الساعة.

[٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُشْرَكَ﴾ أي: الإشراك ﴿بِهِ وَيَعْرِفُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِيَمُنَّ يَسَّكَ﴾ المغفرة له؛ بأن يدخله الجنة بلا عذاب، ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا كَبِيرًا﴾ ذنبا ﴿عَظِيمًا﴾ كبيرا.

[٤٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ وهم اليهود؛ حيث قالوا: ﴿عَنْ آبَائِنَا اللَّهُ وَاجْتَبَوهُ﴾ (١) أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ يَزُكِّيهِمْ﴾ يُطَهِّرُهُمْ ﴿مَنْ يَسَّكَ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يَطْلُمُونَ﴾ يُنْقِضُونَ من أعمالهم ﴿قَلِيلًا﴾ قَدْرَ قشرة (٢) النواة.

[٥٠] ﴿انظُرْ﴾ مُتَعَجِّبًا ﴿كَيْفَ يَقْفَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَلْبُ﴾ بذلك ﴿وَكَيْفَ يَهْدِي إِثْمًا مُبِينًا﴾ يثابا. ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قَدِمُوا مَكَّةَ، وشاهدوا قتلى بدر؛ وحرصوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ.

[٥١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ آوَوْا صَيْبًا مِنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّلُوتِ﴾ (٤) صنمانا لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي سفيان (٥) وأصحابه؛ حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلا ونحن ولادة البيت؛ نسقي الحاج ونفري الضيف، ونفك العاني، ونفعل... أم محمد؛ وقد خالف دين آباءه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ أقوم طريقا.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَيَحْمِرُونَ الْكَلِمَةَ عَنِ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ
وَطَعَنَاتِي الَّذِينَ وَلَّوْا أَنفُسَهُمْ وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَطْغَىٰ وَجُوهَهَا فَرَدَّهَا
عَلَىٰ آذَانِهَا أَوْ لَعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْرِفُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يَزُكِّيهِمْ مِنْ يَشَاءُ
وَلَا يَطْلُمُونَ قَلِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَقْفَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَلْبُ
وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ آوَوْا صَيْبًا
مِنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّلُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم؛ فيخبركم بهم لتجنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظا لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعا لكم من كيدهم.

[٤٦] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قَوْمٌ ﴿يَحْمِرُونَ﴾ يغيرون ﴿الْكَلِمَةَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَنِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أملك ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ حال؛ بمعنى: الدعاء؛ أي: لا سمعت ﴿وَرَعَيْتَا﴾ له ﴿رَعَيْتَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها؛ وهي كلمة سب بلغتهم ﴿لِيًّا﴾ تحريفا ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعَنَاتِي﴾ قديما ﴿فِي الَّذِينَ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ

= اللهم بين لنا في الحمر بيانا شفاء، فنزل الآية التي في البقرة: ﴿يَتَأْتِيكَ مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا قُلُوبٌ كَثِيرَةٌ﴾ الآية. قال: فدعا عمر، فقرئت عليه. قال: اللهم بين لنا في الحمر بيانا شفاء، فنزل الآية التي في النساء: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْمِلُونَهَا وَأَنْتُمْ مُكْرَهُونَ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي: ألا لا يقربن الصلاة سكران. فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الحمر بيانا شفاء، فنزلت هذه الآية: ﴿قَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ قال عمر: انتهينا. وضححه الألباني وسبق تخريجه عند الآية (٢١٩) من سورة البقرة.

(١) لم أجد أن عبد الله بن سلام أسلم لما نزلت، وإن كان القرطبي قد ذكره في تفسيره بلا إسناد، ولكن ورد إسلام كعب الأحبار لما سمع هذه الآية فيما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي إدريس الخولاني، وابن جرير عن عيسى بن المغيرة وإسناده ضعيف (الدر المنثور ٣٠١/٢).

(٢) المائة : ١٨. (٣) قشرة النواة هي القظمير، وأما الفليل فهو الحيط الذي في شق النواة.

وقيل: الفليل هو ما يخرج بين إصبعيك أو فكيفك من الوسخ إذا فلتتهما، وقيل فيه غير ذلك. انظر: (الدر المنثور ٣٠٥/٢) وغيره.

(٤) أخرجه نحوه عبد الرزاق وابن جرير عن عكرمة مرسلًا بدون ذكر قتلى بدر (الدر المنثور ٣٠٦/٢)، وأخرجه أحمد كما في تفسير القرآن العظيم (٥٢٥/١)، والطبري في جامعه (٨٥/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٧٣/٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧٢) عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح صحيح على شرط الصحيح.

(٥) وذلك قبل إسلامه ﷺ.

[٥٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ مانعاً من عذابه.

[٥٣] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي شيئاً تافهاً قَدَّرَ النقرة في ظهر النواة؛ لفرط بخلهم.

[٥٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة وكثرة النساء؛ أي: يتعنون زواله عنه، ويقولون: لو كان نبياً لاشتغل عن النساء^(١) ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جدّه؛ كموسى^(٢) وداود وسليمان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والنبوة ﴿وَرَأَيْنَهُمْ مُتْكِفِينَ﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأة، ولسليمان ألف؛ ما بين حرة وسُرْبِيَّة^(٣).

[٥٥] ﴿فِيهِمْ مَن مَّاتَ مِنْهُمْ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَوَيْتَهُم مَّن صَدَقَ﴾ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴿فَلَمْ يُؤْمِنْ﴾ وكفى بجهنم سعيراً ﴿عَذَابًا لَّنْ لَا يُؤْمِنُ﴾.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا﴾ يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول، غير محترقة ﴿يَلِدُونَ فِيهَا الْعَذَابَ﴾ ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قدر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ دائماً لا تتسخه شمس؛ هو: ظل الجنة.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أي: ما أوتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي ﷺ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحنفي سادنها قسراً، لما قدّم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه؛ وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أتمعه. فأمر رسول الله ﷺ برده إليه؛ وقال: «هاك خالدةً تالدة»^(٤)، فعجب من ذلك؛ فقرأ له عليّ الآية؛ فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شيبه فبقي في ولده والآية. وإن وردت على سبب خاص - فعمومها مُغْتَبَرٌ بقرينة الجمع ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُبْصِرُ ﴿فِيهِ إِدْغَامٌ مِمَّ﴾ «نغم» في «ما» النكرة الموصوفة؛ أي: نعم شيئاً ﴿يَبْطِئُكُمْ بِهِ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ بما يُفْعَلُ ﴿يَصِيرًا﴾ بما يُفْعَلُ.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
 أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
 فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَعْتَهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا فَضَحَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

﴿الْأَمْرِ﴾ أي: الولاة ﴿مِنْكُمْ﴾ إذا أمرتكم بطاعة الله ورسوله^(١) ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ مُدَّة حياته، وبعده إلى شئبه؛ أي: اكشفوا عليه منهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ذلك ﴿لَكُمْ﴾ الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: نزلت في عبدالله بن عبد الله بن عدي إذ بعث النبي ﷺ في سرية البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١١). وأخرجه أيضاً عن عليّ ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه. ففضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطبا. فجمعوا. فقال: أوقدوا نارا، فأوقدوا. فقال: ادخلوها. فهجروا، وجعل بعضهم يسلك بعضها ويقولون: فرنا إلى النبي ﷺ من النار. فمارالوا حتى حمدت النار فسكن غضبه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: وار دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة إما الطاعة في المعروف البخاري. كتاب المغازي (٦٤) باب (٥٩).

(١) والظاهر أن المراد بالناس هنا: الرسول والمؤمنون، والفضل: النبوة والكتاب والعز والنصر والتكمين، حسدتهم اليهود على ذلك، كما اختاره طائفة من المفسرين؛ كالفاسمي والسعدي، ولا وجه ظاهر لإجماع ذكر النساء، كما لا نقل صحيح. والله أعلم. (٢) أي: جد النبي ﷺ والمراد الجد الأعلى، وآل إبراهيم ذريته، ومنهم موسى وداود وسليمان. (٣) المعنى: فقد جمعنا لأسلافكم من ذرية إبراهيم بين الملك والنبوة، فلأني شيء تخصون محمداً ﷺ والحسد دون غيره من أئمة الله عليه. وأما تخصيص المفسر الملك العظيم بتعدد الزوجات فبني نظر، والصواب الإطلاق. والله أعلم. (٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول بدون ذكر جملة (هاك...)، وأخرجه الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»، يعني حجابة الكعبة [الدر المنثور (٣١٢/٢)]. وإسنادها ضعيف كما في الاستيعاب (٤١٤/١)، وأخرجه ابن إسحاق بسند صحيح في السيرة (٤١١/٢)، ونقله ابن كثير في تفسيره (٥٢٨/١) عن صفية بنت شيبه: أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت؛ فطاف به سبعا على راحلته... فلما فرغ من طوافه؛ دعا عثمان بن أبي طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة؛ ففتحت له فدخلها.. ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن أبي طلحة؟» فدعي له، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان؛ اليوم يوم وفاء وبره».

وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ بُرُودًا أَنْ يَتَّكِمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴿٦١﴾ الكثير الطعنان؛ وهو: كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحُكْمِ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ ليحكم بينهم ﴿رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يغرصون ﴿عَنْكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُّوْا﴾.

[٦٢] ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا أَصَبَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي؛ أي: أيقنوا على الإعراض والفرار منها؛ لا ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ﴾ معطوف على: ﴿يَصُدُّونَ﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وَتَوَفِّيْنَا﴾ تأليفاً بين الخصمين؛ بالتقريب في الحكم دون الحمل على مُر الحن.

[٦٣] ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعَظَّمْتُمْ﴾ عَظَمْتُمْ الله ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ مؤثرا فيهم؛ أي: ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره؛ لا ليُعصَى ويُخَالَفَ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ يتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءَهُمْ﴾ تائبين ﴿فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطأ؛ تضحيماً لشأنه ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَجِيمًا﴾ بهم.

[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ (١) لا: زائدة (٢) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ﴾ فيما شَجَرْتُمْ ﴿خِطْلًا﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقاً أو شكاً ﴿وَمَا قَضَيْتُمْ بِهِ﴾ ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ ينفادوا للحكمك ﴿سَلِيمًا﴾ من غير مغارضة (٣).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ بُرُودًا أَنْ يَتَّكِمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُّوْا ﴿٦٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَبَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ وَكَيْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٣﴾ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمْتُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءَهُمْ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرْتُمْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتُمْ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[٦٠] ونزل لما اختصم يهودي ومنافق؛ فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأثابه فقبض لليهودي؛ فلم يرضَ المنافق، وأثا عجزه؛ فذكر اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذاك؟ قال: نعم؛ فقتله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦٥): أخرجه البخاري عن عروة قال: حاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريح من الحرة، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمك؟ فظن وجهه، ثم قال: «اسق يا زبير ثم أحبس الماء حتى يرجع إلى الجذر ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري. وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرْتُمْ بَيْنَهُمْ﴾. البخاري. كتاب التفسير (١٢) سورة النساء (٤) باب (١٢).

(١) أخرجه التلمبي عن ابن عباس [الدر المنثور (٢/٣٢٠)]: وقال المحافظ في الفتح (٣٨/٥): «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً؛ لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإسكان التعدد». وتُعَبُّ بأن في إسنادها الكلبي وأبا صالح وهما كذابان. (الاستيعاب ١/٤٢٤)، وأخرج الطبراني في الكبير (١١/٢٩٥/٤٥٠/١٢) وابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون؛ ففتنوا إليه أناس من أسلم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾».

(٢) قال القرطبي: قال مجاهد وغيره: المراد بهذه الآية من تقدم ذكره عن أراد التحاكم إلى الطاغوت، وفيهم نزلت،... وقالت طائفة: نزلت في الزبير مع الأنصاري، وكانت الخصومة في سقي بستان... وذكر القصة.

(٣) وهو اختيار الرمخشري، وقال الطبري: قوله: ﴿فَلَا﴾ رد على ما تقدم ذكره، تقديره: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك. ثم استأنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ مُسْرَةً^(١)﴾ أَفْتَلَوْا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴿كَمَا كُنَّا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِمَّا فَعَلُوا﴾ أَي: المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بِالرَّفْعِ: عَلَى الْبَدَلِ، وَالنَّصْبِ: عَلَى الْإِسْتِنَاءِ^(٢) ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ مِنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْهُنَا﴾ تَحْقِيقًا لِإِيمَانِهِمْ.

[٦٧] ﴿وَإِذَا﴾ أَي: لَوْ تَنَبَّأُوا ﴿لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا﴾ مِنْ عِنْدِنَا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هُوَ الْجَنَّةُ [٦٨] ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

[٦٩] قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: كَيْفَ تَرَكَ فِي الْجَنَّةِ وَأَنْتَ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ وَنَحْنُ أَسْفَلُ مِنْكَ؟ فَزَل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾^(٣) ﴿فِي مَا أَمَرَ بِهِ﴾ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ﴿أَفْضَلُ أَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ﴾ لِمَبَاهِغَتِهِمْ فِي الصَّدَقِ وَالْتَصِدِيقِ ﴿وَالشَّهَدَاءِ﴾ الْقَتْلَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غَيْرَ مِنْ ذِكْرٍ ﴿وَحَسَنَ أَوْلَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ رَفَقَاءَ فِي الْجَنَّةِ؛ بَأَن يَسْتَمْتِعَ فِيهَا بِرُؤْيُوعِهِمْ وَزِيَارَتِهِمْ وَالْحُضُورَ مَعَهُمْ - وَإِنْ كَانَ مَقْرَمٌ فِي الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ بِالنَّسْبَةِ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ ..

[٧٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: كُونَهُمْ مَعَ مَنْ ذُكِرَ، مَبْتَدَأُ خَبْرِهِ: ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ نَالُوهُ بِطَاعَتِهِمْ ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَٰلِمًا﴾ بِثَوَابِ الْآخِرَةِ؛ أَي: فَفَقُوا بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ ﴿وَلَا يَبْتَئِثُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾^(٤).

[٧١] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ مِنْ عَدُوِّكُمْ؛ أَي: احْتَرِزُوا مِنْهُ وَتَقَطَّطُوا لَهُ ﴿فَأَنْفِرُوا﴾ انْهَضُوا إِلَىٰ قِتَالِهِ ﴿ثَبَاتٌ﴾^(٥) مَتَفَرِّقِينَ؛ سَرِيَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ مَجْتَمِعِينَ.

[٧٢] ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبْتَاطِنَ﴾ لَيَتَأَخَّرُونَ عَنِ الْقِتَالِ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيْبِ الْمُنَافِقِ وَأَصْحَابِهِ، وَجَعَلَهُ مِنْهُمْ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرِ^(٦)، وَاللَّامُ فِي الْفِعْلِ: لِلْقَسَمِ ﴿فَإِنَّ أَصْبَحْتُمْ مُصْبِحًا﴾ كَقَتْلِ هَزْرِيَّةٍ ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَرَأَىٰ أَنَّ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حَاضِرًا فَأَصَابَ.

[٧٣] ﴿وَلَيْنَ﴾ لَامُ قَسَمٍ ﴿أَصْبَحْتُمْ فَضَّلْتُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ كَفَتَحَ وَغَيْمَةً ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نَآدِيًا ﴿كَأَنَّ﴾ مُخَفَّفَةٌ، وَاسْمُهَا: مَحْذُوفٌ؛ أَي: كَأَنَّهُ ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ^(٧) ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ مَعْرِفَةٌ وَصِدَاقَةٌ، وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ وَاعْتَرَضَ بِهِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَمَقُولِهِ؛ وَهُوَ: ﴿يَا لَتَنبِيهِ لَيَتَنبِيهِ كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أَخَذَ حَظًّا وَأَفْرَازًا مِنَ الْغَنِيمَةِ.

﴿لَوْ أَنَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ مُسْرَةً أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ كَمَا كُنَّا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِمَّا فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْهُنَا وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلَٰئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَٰلِمًا بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ وَأَنْفِرُوا ثَبَاتًا أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبْتَاطِنَ فَإِنَّ أَصْبَحْتُمْ مُصْبِحًا قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَرَأَىٰ أَنَّ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَيْنَ أَصْبَحْتُمْ فَضَّلْتُمْ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنَّ لَرَأَىٰ أَنَّ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَأَنْفِرُوا جَمِيعًا فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَاتِلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

[٧٤] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لِإِعْلَاءِ دِينِهِ ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ بِبَيْعُونَ ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَاتِلْ يُسْتَشْهِدُ أَوْ يَغْلِبُ يُظَفَّرُ بَعْدُوهُ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثَوَابًا جَزِيلًا.

(١) أَي: بِمَعْنَى: أَي، وَضَابِعُهَا أَنْ يَتَقَدَّمَهَا جُمْلَةٌ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ.

(٢) أَي: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ.

(٣) أَخْرَجَ نَحْوَهُ لِإِسْنَادِ حَسَنِ مَجْمُوعِ طَرَفِ الطَّبْرَانِيِّ فِي الصَّغِيرِ (٢٦/١)، وَالْأَوْسَطِ (١٥٢/١)، ١٥٣ (رَقْمٌ ٤٧٧) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ. قَالَ الْخَلِيفَةُ ابْنُ حَجْرٍ فِي «الْعَجَابِ» (٩١٤/٢): «رَجُلٌ مَوْتَقُونَ». وَأَخْرَجَ ابْنُ شَيْبَةَ فِي مِصْنَفِهِ (٥٠١/١١) رَقْمٌ ١١٨٢٣، وَالطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِهِ (١٠٤/٥) عَنْ مَسْرُوقٍ مَرْسَلًا، وَيَشْهَدُ لَهُ رِوَايَةُ الطَّبْرَانِيِّ عَنْ عَائِشَةَ.

(٤) سُورَةُ فَاطِرٍ: آيَةٌ ١٤.

(٥) مَفْرَدَهَا: ثَبَاتٌ؛ وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ مِنَ الرِّجَالِ فَوْقَ الْعِشْرَةِ إِلَى الْمِائَةِ.

(٦) أَي: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، بَلْ هُوَ عَدُوٌّ لَهُمْ.

(٧) بِالْيَاءِ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا حِفْصَ وَابْنِ كَثِيرٍ.

دعاهم؛ فَيَسَّرَ لِعِضْهِمُ الْخُرُوجَ، وبقي بعضهم إلى أن فَيَحْتَ مَكَّةَ، وَوَلَّى ﷺ عتاب بن أسيد^(١)؛ فأُصِفَ مَظْلُومَهُمْ مِنْ ظَالِمِهِمْ.

[٧٦] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أنصار دينه؛ تغلبوهم؛ لقرنكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهيًا؛ لا يقاوم كَيْدَ اللَّهِ بِالْكَافِرِينَ.

[٧٧] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار - لما طلبوه بمكة؛ لأذى الكفار لهم - وهم؛ جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿النَّاسَ﴾ الكفار؛ أي: عذابهم بالقتل ﴿كَخَشِيْتُمْ﴾ بهم عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ حَشْيَةً ﴿مَنْ خَشِيَتهُمْ لَهُ، وَنَضَّبَ﴾ أَشَدَّ ﴿عَلَى الْحَالِ، وَجَوَابَ﴾ «لَمَّا» دل عليه ﴿إِذَا﴾ وما بعدها؛ أي: فأجابهم الحشية ﴿وَقَالُوا﴾ جَزَعًا مِنْ الْمَوْتِ: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا﴾ فلا ﴿أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا﴾ ما يَمْتَنِعُ بِهِ فِيهَا، أَوِ الْاسْتِمَاعَ بِهَا ﴿قِيلَ﴾ أَيْلَ إِلَى الْفَنَاءِ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِمَنْ أَتَى﴾ عتاب الله، ترك معصيته ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالثناء والباء^(٢): ﴿تُنْقَضُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ قَيْلًا ﴿قَدَرِ قَشْرَةَ النَّوَاةِ﴾؛ فجاهدوا^(٣).

[٧٨] ﴿أَنِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ مَحْضُونَ ﴿مُسَيَّرَةً﴾ مُؤْتَفَعَةً؛ فلا تخشوا القتال خوفاً الموت ﴿وَإِنْ نُصِبْتُمْ﴾ أي: اليهود ﴿حَسَنَةً﴾ خَضَّتْ وَسِعَةً ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِبْتُمْ سَيِّئَةً﴾ جَذَبَتْ وَتَلَاثًا؛ كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يا محمد؛ أي: بشؤمك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ من الحسنة والسيفة ﴿مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ من قَيْلِهِ ﴿قَالَ هَذَلِكَ الْقَوْرُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلْقَى إِلَيْهِمْ، «وما»: استفهام تعجب من فرط جهلهم، ونفي مقارنة الفعل أشد من نفيه.

[٧٩] ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ سُيِّئَةٍ﴾ أيها الإنسان ﴿وَمِنْ حَسَنَةٍ﴾ خير ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِي أَتَكَ فَضْلًا مِنْهُ﴾ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سُيِّئَةٍ تَلِيَّةٌ ﴿فَوَيْلٌ لِمَنْ أَتَكَ﴾ حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ تَهَيِّدًا﴾ على رسالتك.

وَمَا لِكُلِّمَاتٍ لَا تُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ نُصِبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِبْتُمْ سُيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سُيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

[٧٥] ﴿وَمَا لِكُلِّمَاتٍ لَا تُقْبَلُونَ﴾ استفهام توبيخ؛ أي: لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في تخلص ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين خبستهم الكفار عن الهجرة وأذوهم - قال ابن عباس عليهما السلام: كنت أنا وأمي منهم - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين؛ يا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مَكَّةَ ﴿الظَّالِمِ أَوْلَاهَا﴾ بالكفر ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولى أمورنا ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يمنعنا منهم، وقد استجاب الله

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج النسائي عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة؛ فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا في عُرٍّ ونحن مشركون؛ فلما آمننا أضرتنا أدلة. فقال: «إني أمرت بالعمو، فلا تقالوا». فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال مكفوك، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. أخرجه النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٨٩١).

(١) استخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام لعتاب بن أسيد على مكة المذكور في المغازي للواقدي وفي سيرة ابن هشام وحسنه الألباني في [فقه السيرة (ص ٤٠٠)] [وجعل عتاب بن أسيد أميراً على مكة].

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٣) تقدم قريباً عند الآية (٤٩)، أن الغنيل هو الذي في شق النواة طولاً، وليس هو قشر النواة.

[٨٠] ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ عَنْ طَاعَتِكَ فَلَا يَهْتَمُّكَ ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ حَافِظًا لِأَعْمَالِهِمْ بَلْ نَذِيرًا، وَالنِّبَا أَمْرُهُمْ؛ فَنَجَازِيهِمْ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أَي: الْمُنَافِقُونَ. إِذَا جَاءَكَ - : أَمْرُنَا ﴿طَاعَةَ﴾ لَكَ ﴿فَإِذَا بَرَأُوا﴾ خَرَجُوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بِتَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الطَّاءِ وَتَرَكَهُ (١)؛ أَي: أَضْمَرَتْ ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ لَكَ فِي حَضْرِكَ مِنَ الطَّاعَةِ؛ أَي: عَصِيَانِكَ ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ بِأَمْرِ يَكْتُبُ (٢) ﴿مَا يَبْتَغُونَ﴾ فِي صَحَافَتِهِمْ؛ لِجَازَاوِ عَلَيْهِ ﴿فَاعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ بِالصَّفْحِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يُقَى بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافِيكَ ﴿وَتَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مُفَوَّضًا إِلَيْهِ.

[٨٢] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ بِتَأْمُلُونَ ﴿الْقُرْآنَ﴾ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيْعَةِ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تَنَاقُضًا فِي مَعَانِيهِ وَتَبَايُنًا فِي نَظْمِهِ.

[٨٣] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عَنِ سِرَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ ﴿وَمِنْ أَلَمِينَ﴾ بِالنَّصْرِ ﴿أَوْ الْخَوْفِ﴾ بِالْهَزِيمَةِ ﴿أَدْعُوا بِهِ﴾ أَفْشُوهُ، نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ فِي ضِعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فَتَضَعُفُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَأَذَى النَّبِيُّ ﷺ (٣) ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أَي: الْخَبْرَ ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أَي: ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ؛ أَي: لَوْ سَكَنُوا عَنْهُ حَتَّى يُخْبِرُوا بِهِ ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هَلْ هُوَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَبْذَعَ أَوْ لَا ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْطِطُونَ﴾ يَتَّبِعُونَهُ وَيَطْلُبُونَ عِلْمَهُ؛ وَهُمْ: الْمَذْبُوعُونَ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ مِنَ الرَّسُولِ وَأُولَى الْأَمْرِ ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَرَحْمَتَهُ﴾ لَكُمْ؛ بِالْقُرْآنِ ﴿لَا تَبْعُتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٨٤] ﴿فَقَاتِلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُلْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فَلَا تَهْتَمُ بِتَخْلُفِهِمْ عَنْكَ، الْمَعْنَى: قَاتِلْ - وَلَوْ وَحْدَكَ - فَإِنَّكَ مَوْعُودٌ بِالنَّصْرِ ﴿وَحَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حُتْمُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَرَغْبَتُهُمْ فِيهِ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بَأْسًا﴾ حَرْبَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ مِنْهُمْ ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تَعْدِيًّا مِنْهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لأُخْرِجَنَّ لَوْ وَخَيْدِي﴾ (٤) فَخَرَجَ بِسَبْعِينَ (٥) رَاكِبًا إِلَى بَدْرِ الصُّغْرَى؛ فَكَفَّ اللَّهُ بَأْسَ الْكُفْرَانِ؛ بِإِلْقَاءِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَنْعِ أَيِّ سَفِيَانٍ عَنِ الْخُرُوجِ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي آلِ عِمْرَانَ ..

[٨٥] ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ بَيْنَ النَّاسِ ﴿شَفَعَةً حَسَنَةً﴾ مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ مِنَ الْأَجْرِ ﴿مِنْهَا﴾ بِسَبَبِهَا ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً﴾ مُخَالَفَةً لَهُ ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نَصِيبٌ مِنَ الْوِزْرِ ﴿مِنْهَا﴾ بِسَبَبِهَا ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةَ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بِيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَاَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنْ أَلَمِينَ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعُوا بِهِ وَرُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْطِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَا تَبْعُتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُلْ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿يَأْحَسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

شَيْءٍ مُقَيَّبًا مُفَضَّلًا؛ فَيَجَازِي كُلَّ أَحَدٍ بِمَا عَمِلَ.

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّبْتُمْ﴾ بِتَجَرُّفِ ﴿كَأَنَّ قِيلَ لَكُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴿فَحَبِّبُوا﴾ الْحَيِّبَ﴾ بِأَحْسَنِ مِنْهَا ﴿بَأَنَّ تَقُولُوا لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ﴾ أَوْ رُدُّوهَا ﴿بَأَنَّ تَقُولُوا لَهُ كَمَا قَالَ: أَي: الْوَأَجِبْ أَخَذَهُمَا، وَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿مُحَابِبًا؛ فَيَجَازِي عَلَيْهِ، وَمِنْهُ رَدُّ السَّلَامِ، وَحَصَتْ السَّنَةُ الْكَافِرَ وَالْمُبْتَدِعَ وَالْفَاسِقَ وَالْمُتَمَلِّمَ عَلَى قَاضِي الْحَاجَةِ وَمَنْ فِي الْحَمَامِ وَالْأَكْلِ؛ فَلَا يَجِبُ الرُّدُّ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ يُكْرَهُ لَيْ غَيْرِ الْأَجْبِرِ؛ وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ: «وَعَلَيْكَ».

(١) بالإدغام. لحمزة وأبي عمرو.

(٢) وصفة الكتابة ثابتة لله - سبحانه - على الوجه اللائق به، كما هو ظاهر هذه الآية، والتي قبلها، وغير ذلك من الآيات. وفي الحديث: «مَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: أَنْ رَعَيْتِي غَابَتْ غَضْبِي». وفي حديث احتجاج آدم وموسى: «قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اضْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِي وَخَطَّ لَكَ الثُّورَةَ بِيَدِهِ [متفق عليهما].»

(٣) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن زيد [الدر المنثور (٢/٢٣٤)].

(٤) ذكره البهري عن مجاهد وعكرمة (١٣٧/٢)، ورواه البيهقي في دلائل النبوة.

(٥) قال الواقدي وغيره من أهل السير: الصحيح أنه خرج في ألف وخمسمائة في السنة الرابعة للهجرة.

[٨٨] ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم؛ فقال فريق: اقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ ما شأنكم صرتم ﴿فِي الْكٰفِرِيْنَ﴾ في الكافرين فقتلتم، والله أركسهم رذمهم ﴿يَمَّا كَسَبُوْا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿اَتْرِيْدُوْنَ اَنْ تَهْتَدُوْا مِّنْ اَضَلِّ اُمَّةٍ﴾ أي: تعذبوهم من جملة المهتدين، والاستهتام في الموضعين للإنكار ﴿وَمَنْ يُضِلِلْهُ﴾ الله فلن نجد له سبيلاً طريقاً إلى الهدى^(١).

[٨٩] ﴿رُدُّوْا﴾ تمموا ﴿اَوْ تَكْفُرُوْنَ كَمَا كَفَرُوْا فَتَكُوْنُوْنَ اَنْتُمْ وَّهُمْ سَوَآءٌ﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَنجِدُوْا مِنْهُمْ اَوْلِيَآءٌ﴾ توالوهم - وإن أظهروا الإيمان - ﴿حَتَّىٰ يَهْجُرُوْا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَعَذُوْبُهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوْهُمۡ حَيْثُ وَجَدْتُمُوْهُمْ وَلَا تَنجِدُوْا مِنْهُمْ وَيَلِيَّآءُ﴾ توالونه ﴿وَلَا نَصِيْرًا﴾ تنتصرون به على عدوكم.

[٩٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَبِئِضُونَ﴾ يلجئون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ يَبِيْئُكُمْ وَيَبِيْئُكُمْ مِّتَقًا﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم؛ كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عوير الأسلمي^(٢) ﴿أَوْ﴾ الذين ﴿جَاءَكُمْ﴾ وقد ﴿حَصِرْتُمْ﴾ ضاقت صدورهم ﴿عَنْ﴾ أن يقتلواكم ﴿مَعَ قَوْمِهِمْ﴾ أو يقتلوا قومهم معكم؛ أي: تمسكين عن قتالكم وقتالهم؛ فلا تعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل - وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف - ﴿وَلَوْ سَأَلَ اللّٰهُ﴾ تسليمهم عليكم ﴿لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يعوي قلوبهم ﴿فَلَقَاتَلُوْكُمْ﴾ ولكنه لم يشأ؛ فآلقى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ﴾ فتم يقتلواكم وألقوا إليكم السلم ﴿الصلح﴾ أي: اتفادوا ﴿فَمَا جَمَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيْلًا﴾ طريقاً بالأخذ والقتل.

[٩١] ﴿سَتَجِدُوْنَ اٰخَرِيْنَ يُرِيْدُوْنَ اَنْ يَّامِنُوْكُمْ﴾ يظهرون الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمِنُوْا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم؛ وهم: أسد وغطفان ﴿كُلُّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْاٰفِنَةِ﴾ دعا إلى الشرك ﴿أَرْكَسُوْا فِيْهَا﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿فَإِنْ لَّمْ يَعْزِلُوْكُمْ﴾ يترك قتالكم ﴿وَوَلَّوْا﴾ يلقوا إليكم السلم ﴿لَمْ يَكْفُرُوْا﴾ أيديهم عنكم ﴿فَعَذُوْبُهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوْهُمْ﴾ وأوليتكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴿برهاناً بيناً ظاهراً على قتلهم وسيبهم؛ لغدرهم.

اللّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيْهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنٰفِقِيْنَ فِتْنَتَيْنِ وَاللّٰهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوْا أَتْرِيْدُوْنَ اَنْ تَهْتَدُوْا مِّنْ اَضَلِّ اُمَّةٍ وَاللّٰهُ وَمَنْ يُضِلِلْهُ فَان يَّجِدْ لَهُ سَبِيْلًا ﴿٨٨﴾ وَوَلَوْ تَكَفَّرُوْنَ كَمَا كَفَرُوْا فَتَكُوْنُوْنَ سَوَآءٌ فَلَا تَتَّخِذُوْا مِنْهُمْ اَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يَهْجُرُوْا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَذُوْبُهُمْ وَاَقْتُلُوْهُمۡ حَيْثُ وَجَدْتُمُوْهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوْا مِنْهُمْ وَيَلِيَّآءًا نَّصِيْرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَبِئِضُوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ يَبِيْئُكُمْ وَيَبِيْئُكُمْ مِّتَقًا اَوْجَاءٌ رَّكِبٌ حَصِرْتُمْ صُدُوْرُهُمْ اَنْ يَّقْتُلُوْكُمْ اَوْ يَقْتُلُوْا قَوْمَهُمْ وَلَوْ سَأَلَ اللّٰهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَاتَلُوْكُمْ اِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يَّقْتُلُوْكُمْ وَالْقَوْلُ الْيَكْرُ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيْلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُوْنَ اٰخَرِيْنَ يُرِيْدُوْنَ اَنْ يَّامِنُوْكُمْ وَيَأْمِنُوْا قَوْمَهُمْ كُلُّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ اَرْكَسُوْا فِيْهَا اِنْ لَّمْ يَعْزِلُوْكُمْ وَيَلْقُوْا اِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوْا وَيَكْفُرُوْا اَيْدِيَهُمْ فَعَذُوْبُهُمْ وَاَقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوْهُمْ وَاُولٰٓئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلٰطٰنًا مَّبِيْنًا ﴿٩١﴾

[٨٧] ﴿اللّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ والله^(١) ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ من قبوركم ﴿إِلَى﴾ في ﴿يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ ومن ﴿أَي﴾ لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ حَدِيثًا﴾ قولاً.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٨): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت رضي عنه قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: تقتلهم، وقالت فرقة: لا تقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْكٰفِرِيْنَ﴾

(١) أشار بذلك إلى أن اللام في قوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ موطقة لقسم محذوف.
(٢) روى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد أنها نزلت في هلال بن عوير الأسلمي وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصد ناس من قومه فكرة أن يقتل المسلمين وكره أن يقتل قومه [ضع الباري (١٠٤/٨)].

[٩٢] ﴿وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا﴾ أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿الْأَخْطَاءُ﴾ مخطفًا في قتله من غير قصد ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْأً﴾ بأن قصد رمي غيره؛ كصيد أو شجرة، فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالبًا^(١) ﴿فَتَحْرِيْرٌ عَنَّا﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَوَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾ مودة ﴿إِلَىٰ أَهْلِيهِ﴾ أي: ورثة المقتول ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ يصدقوا عليه بها؛ بأن يعفوا عنها. وبينت السنة أنها مائة من الإبل؛ عشرون^(٢) بنت مخاض، وكذا بنت لبون وبنو لبون، وحفاق وجذاع، وأنها على عاقلة القتال^(٣)؛ وهم: عصبته في الأصل والفرع، موزعة عليهم على ثلاث سنين؛ على الغني منهم نصف دينار، والمتوسط ربع كل سنة^(٤)؛ فإن لم يفوا فمِن بيت المال؛ فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِنْ كَانُ الْمَقْتُولُ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة، ولا دية تسلم إلى أهله؛ لخراجتهم ﴿وَإِنْ كَانُ الْمَقْتُولُ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد؛ كأهل الذمة ﴿فَدِيَّةٌ﴾ له ﴿مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِيهِ﴾ وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهوديًا أو نصرانيًا^(٥)، وثلثا عشورها إن كان مجوسيًا^(٦) ﴿وَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الرقية؛ بأن فقدها وما يخلصها بها ﴿فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة، ولم يذكر الله - تعالى - الانتقال إلى الطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه^(٧) ﴿تَوْبَةٌ مِنْ اللَّهِ﴾ مصدرٌ منصوبٌ بفعله المقدر ﴿وَكَانُ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم.

[٩٣] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالبًا بإيمانه ﴿فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتْهُ﴾ أبعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار، وهذا مؤول من يستحله، أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي، ولا بدع في خلف الوعيد لقوله: ﴿وَيُعَذِّبُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٨)، وعن ابن عباس: أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة. ويثبت آية البقرة: أن قاتل العمد يقتل به، وأن عليه الدية إن عُفي عنه - وسبق قدرها^(٩)، ويثبت السنة أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد^(١٠) وهو: أن يقتله بما لا يقتل غالبًا؛ فلا قصاص فيه، بل دية كالعمد في الصفة^(١١) والخطأ في التأجيل والحمل^(١٢)، وهو العمد أولى بالكفارة من الخطأ^(١٣).

[٩٤] ونزل - لما مرَّ نَفَرٌ من الصحابة يربجل من بني سليم وهو يسوق غنماً، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا تقيفة. فقتلوه واستاقوا غنمه^(١٤): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بَرَأْتُمْ سَفَرْتُمْ سَافِرْتُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ وفي قراءة^(١٥): ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ في الموضوعين^(١٦) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَكُمْ﴾ بألف أو دونها^(١٧)؛ أي: التحية أو الانقياد بكلمة الشهادة التي هي أمانة على الإسلام

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩٤): أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس: كان رجل في غنيمه فله حلقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأمر الله في ذلك إلى قوله: =

(١) وهذا الأخير هو قتل شبه العمد، والذي يقول به جمهور الفقهاء، والمشهور عن مالك أنه لا في الإين مع أبيه، والصحيح قول الجمهور باعتباره. قال الشافعي: شبه العمد ما كان عمدًا في الضرب خطأ في القتل، والخطأ ما كان خطأً فيها جميعًا، والعمد ما كان عمدًا فيها جميعًا. [بداية المجتهد (٢/ ٣٩٧)]. (٢) أخرجه أحمد (٤٠٧٦)، وأبو داود (٣٣٩٩)، والترمذي (١٣٠٧)، والنسائي (٤٧٢٠) عن ابن مسعود، وضعفه الألباني (صحيح وضعيف الجامع ٤٠١٢)، السلسلة الضعيفة (٤٠٢٠، ٢٦٢١)، وابن ماجه وابن المنذر [الدر المنثور (٣٤٦٢/٢)]، لكن حسن الألباني أحاديث أخر ورد فيها تفصيل المدة: ثلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبون وثلثون حقة وعشرة بني لبون (صحيح وضعيف الجامع ٦٤٤٣)، وكذلك حسن الألباني أحاديث فيها ذكر المائة بدون تفصيل في الإرواء (٢٢٠٤) و«بنت المخاض»: هي أنثى الإبل التي أتمت السنة الأولى. و«اللبنون»: التي أتمت الثانية. و«الحقنة»: التي أتمت الثالثة. و«الجمدة»: التي أتمت الرابعة. (٣) أخرجه البخاري (٦٧٧٣)، ومسلم (١٦٨٢) من حديث أبي هريرة. (٤) ذكره البيهقي عن عمر وعلي رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة من طريق إبراهيم التيمي عن عمر، وكذا رواه عبد الرزاق من طريقه عن عمر (تحفة الأحوذني، شرح الحديث رقم ١٣٠٧)، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٣٠٨). (٥) لم أجده في السنة صريحًا. (٦) هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم؛ كآثي الحر المسلم. وكذلك قول أحمد إلا أنه ضعف الدية على المسلم إذا قتل ذنبًا أو مستأنفًا عمدًا، وأما عند الحنفية فديته كدية المسلم، والراجح قول الإمام مالك للحديث الوارد في ذلك. (٧) وهذا باتفاق بين مالك والشافعي، وأثابته على الصفة منه. (٨) سورة النساء: آية ٤٨. (٩) سورة النساء: آية ٤٨. (١٠) أخرجه النسائي (٤٧٠٩)، وأبو داود (٣٩٤١)، وابن ماجه (٢٦١٧)، وأحمد (٦٧٩١)، والدارمي (٢٢٧٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٩٧). (١١) أي: كونها من ثلاثة أنواع. (١٢) أي: كون العاقلة تحملها. (١٣) وهذا واضح في شبه العمد؛ لأنه يجري مجرى الخطأ في نفي القصاص، وحمل العاقلة دية، وتأجيلها في ثلاث سنين، فجزى مجراه في وجوب الكفارة، وهذا مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، أما في العمد فالأقرب عدم وجوب الكفارة كما هو ظاهر هذه الآيات، وهو قول الإمام مالك والحنفية والمشهور من مذهب الحنابلة، وأرجحها الشافعي بأن حاجته إلى تكفير ذنبه أعظم. (١٤) رواه البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥) وغيرهما. (١٥) حمزة والكسائي. (١٦) أي: هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فَسَبَّحْ لِلَّهِ عَنَّا﴾ ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، ويحتمل أنه يقصد ما هنا بشقيه، وآية الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ نَسَائِقُ فَبَيِّنُوا﴾، وهذا كذلك. (١٧) بدلونها قراءة نافع وحزمة وابن عامر.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا الْأَخْطَاءُ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْأً فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَوَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِيهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِيهِ وَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانُ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتْهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بَرَأْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَكُمْ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبَتُّعْتُمْ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَابِرُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ كَفَرْتُمْ تَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾

﴿لَسْتُ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك، فقتلوه ﴿تَبَتُّعْتُمْ﴾ تطلبون لذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمه ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَابِرُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله ماله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ تُعْضَمُ دماؤكم وأمواكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ كَفَرْتُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أن تقتلوا مؤمنًا، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به^(٥).

لضرر **﴿درجته﴾** فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالباشرة **﴿وَكَلَّا﴾** من الفريقين **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ﴾** الجنة **﴿وَفَعَلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْفُجُورِ﴾** لغير ضرر **﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾** ويبدل منه ^(٢) ^(٥).

[٩٦] **﴿وَرَجَّحْتُ بَيْنَهُ﴾** منازل بعضها فوق بعض من الكرامة **﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾** منصوبان بفعلهما المقدر ^(٦) **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾** لأوليائه **﴿رَجِيمًا﴾** بأهل طاعته.

[٩٧] ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفُسِيهِمْ﴾** بالمقام مع الكفار وترك الهجرة **﴿قَالُوا﴾** لهم موبخين: **﴿وَيْدِعُكُمْ﴾** أي: في أي شيء كنتم في أمر دينكم **﴿قَالُوا﴾** معترضين: **﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾** عاجزين عن إقامة الدين **﴿فِي الْأَرْضِ﴾** أرض مكة **﴿قَالُوا﴾** لهم توبيخًا: **﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا﴾** فيها **﴿مِنْ أَرْضِ الْكُفْرِ﴾** إلى بلد آخر كما فعل غيركم، قال الله تعالى: **﴿قَالُوا لَيْتَكُمَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾** هي ^(٧).

[٩٨] **﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ﴾** الذين لا يستطيعون جيلة لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة **﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾** طريقًا إلى أرض الهجرة.

[٩٩] **﴿قَالُوا لَيْتَكُمَاؤُنْهُمْ﴾** أن يعقوب عنهم **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا﴾**.

[١٠٠] **﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْتَضًا﴾** مهاجرًا **﴿كَبِيرًا وَسَعَةً﴾** في الرزق **﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾** مهاجرًا إلى الله **﴿وَرَسُولِهِ﴾** ثم يذكركم الموت **﴿فِي الطَّرِيقِ﴾** كما وقع لجندع بن صرمرة الليثي ^(٨) **﴿فَقَدَّ وَقَع﴾** ثبت **﴿أَجْرُهُ﴾** على الله **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**.

[١٠١] **﴿وَلِيَا صَبْرَتِكُمْ﴾** سافرت **﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** في أن تقصروا **﴿وَمِنَ الصَّلَاةِ﴾** بأن تردوها من أربع إلى الثنتين **﴿إِنْ جُئْتُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ﴾** أي: ينالككم بمكروه **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** بيان للواقع إذ ذاك ^(٩)؛ فلا مفهوم له، وبينت السنة أن المراد بالسفر: الطويل؛ وهو: أربع برد؛ وهي مرحلتان، ويؤخذ من قوله: **﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي ^(١٠) **﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ كَانُوا كُفْرًا﴾** أي: الكفرين كَانُوا كُفْرًا عِدًّا مِينًا ^(١١).

= **﴿عَرَضَ الْحَبَشِيُّ الْأَذْيَا﴾**: تلك الغنيمة البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٧)، ومسلم - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٣٠٢٥). وفي رواية لأحمد عن ابن عباس (٢٢٩/١): «مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنماً له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعود منا. فعدلوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ فنزلت هذه الآية...».

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩٥): أخرجه البخاري عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه **﴿لَا يَسْتَوِي الْقَتِيلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** **﴿وَالْمُجَاهِدُونَ﴾** في سبيل الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله على رسول الله ﷺ **﴿فَخَذَهُ﴾** فخذه على فخذي، فنقلت علي حتى نفت أن ترض فخذي ثم شوي عنه، فأنزل الله: **﴿عَفْرٌ أُولَى الْكُفْرِينَ﴾**. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٨).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٩٧): أخرجه البخاري عن محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكتبت فيه، فقلت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاه عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناشا من المسلمين كانوا مع المشركين يكترون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفُسِيهِمْ﴾** الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٩).

(٢) أي: يبدل **﴿وَرَجَّحْتُ﴾** بدلاً من **﴿أَجْرًا﴾** وهو بدل كل من كل مين لكسمة التفضيل.

(١) بالنصب قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

(٣) أي: غفر لهم مغفرة، ورحمهم رحمة.

(٤) ذكره الطبري مرسلًا عن قتادة في جامع البيان (١٥١/٥)، وكان شيخًا مريضًا كثيرًا، فلما سمع الآية قال: والله ما أتأ من استثنى الله؛ فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يلغني وأهد منها، والله لا أبيت بمكة، أخرجه جوتي. فخرجوا به على سير حتى أتوا به التثنية فأدرکه الموت... وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠/٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٩٥٣/٢، ٩٥٤) بسند حسن عن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة؛ فنهشته حية في الطريق؛ فمات فنزلت فيه: **﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾** مهاجرًا إلى الله **﴿وَرَسُولِهِ﴾** ثم يذكركم الموت **﴿فَقَدَّ وَقَعَ أَجْرُهُ﴾** على الله... الآية.

(٥) أي: قوله: **﴿إِنْ جُئْتُمْ﴾** الآية، إلخ.

(٦) وعليه أيضًا جمهور أهل العلم خلافاً للحنفية القائلين بوجوبه على المسافر.

[١٠٢] ﴿وَلِذَا كُنْتَ﴾ يا محمد حاضرًا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ وهذا جرى على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له ﴿فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكُمْ﴾ وتأخر طائفة ﴿وَلِيَأْخُذُوا﴾ أي: الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَلِذَا سَجَدُوا﴾ أي: صلوا ﴿فَلْيَسْكُوتُوا﴾ أي: الطائفة الأخرى ﴿وَمِنْ زُرَّابِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا وَيَسْمِعُوا مَقَلَّاتًا مِمَّا قَالُوا﴾ وقد فعل النبي ﷺ كذلك بطن نخل. [رواه الشيخان] (١) ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْلِبُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم؛ فيأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضِينَ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة، ورجح ﴿وَأُخِذُوا بِجُرُوبِكُمْ﴾ من العدو؛ أي: احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة (٢).

[١٠٣] ﴿فَلِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فرغتم منها ﴿فَازْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالهليلج والتسبيح ﴿فِي سَمَاءٍ وَتُحُودٍ وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال ﴿فَلِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أمنتُم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَكْتُوبًا﴾ أي: مفروضًا ﴿مَوْفُوتًا﴾ أي: مقدرا وقها؛ فلا تؤخر عنه.

[١٠٤] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما بعث ﷺ طائفة (١) في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات :: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ طلب ﴿الْقُورَى﴾ الكفار لقتالهم ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ تجدون ألم الجراح ﴿فَلْيَهِنُوا بِأَلْمِمْ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي: مثلكم، ولا يجيبون (٢) على قتالكم ﴿وَرَجُونَ﴾ أنتم ﴿وَمِنَ اللَّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك؛ فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ (٣) في صنعه.

[١٠٥] وسرق طُعْمَةُ بن أبيرق دِرْعًا وَخَنَافًا عند يهودي، فوجدت عنده،

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا جُنُودَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضِينَ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا جُنُودَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَلِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِي سَمَاءٍ وَتُحُودٍ وَعَلَى جُنُوبِكُمْ وَأُخِذُوا بِجُرُوبِكُمْ
فَلِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾
بَيْنَ النَّاسِ يَمَّا آرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه ويرثه؛ فنزل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (١) القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق به أنزل ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ يَمَّا آرَبَكَ﴾ أعلمك ﴿اللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ محاصمًا عنه.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٢): أخرج أحمد عن مجاهد عن أبي عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة. فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبياتهم وأنفسهم قال: فنزل جبريل ﷺ بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَلِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح. قال: نصفقتنا خلفه صفيين... إلخ. أحمد. المسند (٤/٥٩٠-٦٠) وأخرجه أبو داود دون التصريح بلفظ الآية، وفيه نزلت آية القصر. كتاب الصلاة (٢) باب (٢٨١) صلاة الخوف. وصحیح سنن أبي داود (١٠٩٦).

(١) البخاري (٤١٣٧)، ومسلم (٨٤٠) من حديث جابر بن عبد الله. (٢) وهم جميع من حضر أحدًا من المؤمنين الناجين، وكانوا ستمائة وثلاثين.
(٣) في «حاشية الصاوي»: «يجنون»، وقال في «الشرح»: المناسب فيجبون بالنون إلا أن يقال: حذفت تخفيفًا.
(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٢٨٢/٢).
(٥) أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة نحوه [الدر الثور (٢/٣٨٤)]]، ورواه الكلبي عن ابن عباس كما في تفسير البغوي (٢/٢٨٢)، ورواه الطبري برقم (١٠٤١٤) عن ابن زيد أيضًا (٩/١٨٤).

لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَيْسًا﴾ أي: بعاقبه^(١).

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طعمة وقومه حياءً ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يَبْتَئِنُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُخِيطًا﴾ علمنا.

[١٠٩] ﴿هَاتَيْنِ﴾ يا ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَدَلْتُمْ﴾ خاصتم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طعمة وذويه، وقرئ: ﴿عَنْهُ﴾ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فمن يُجدل الله عنهم يؤدِّ أَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا عَذِبَهُمْ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ يتولى أمرهم، ويدب عنهم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك^(٢).

[١١٠] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنبا يسوء به غيره؛ كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يظَلِّمْ نَفْسَهُ﴾ يعمل ذنبا قاصرا^(٤) عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه؛ أي: يثبُّ ﴿يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَا﴾ له ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنبا ﴿فَلْيَمَّا يَكْسِبُهُ عَلَيَّ نَفْسِهِ﴾ لأن وئاله عليها ولا يضُرُّ غيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنبا صغيرا ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنبا كبيرا ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا﴾ منه ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿ثِيئَتَنَا﴾ برميهِ ﴿وَإِنَّمَا تُنِيبًا﴾ نبيئا بكسبه.

[١١٣] ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾^(٥) بالعصمة ﴿لَهَمَّتْ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتبليسهم عليك ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٦) وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجِدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبْتَئِنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُخِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَاتَيْنِ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُنَّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظَلِّمْ نَفْسَهُ وَثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ وَعَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيًّا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

[١٠٦] ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ ما هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجِدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي؛

(١) وهذا تأويل من المصنف يَكَلِّفُهُ لصفة عدم المحبة من الله بلازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات وغيرها على ما يليق بجلال الله ﷻ.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

(٤) في حاشية الصاوي: «يعمل ذنب قاصره».

(٥) وفيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

[١١٤] ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ أي: الناس؛ أي: ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل برٍّ ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ الْمَذْكَورَ﴾ المذكور ﴿أَتَيْتَكَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتٍ اللَّهُ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيَهُ﴾ بالنون والياء^(١)؛ أي: الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١٥] ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿وَمِن بَعْدِهِ مَا نَبَّيْنَهُ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقًا ﴿عَبْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين؛ بأن يكفر ﴿تَوَلَّيْهِ مَا تَوَلَّى﴾ فجعله واليًا لما تولاها من الضلال؛ بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿وَنُصَلِّهِ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعًا هي.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق^(٢).

[١١٧] ﴿إِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿إِلَّا إِنْشَاءً﴾ أصنامًا مؤنثة؛ كاللات والعزى ومناة ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا سَطَنًا مَّرِيدًا﴾ خارجًا عن الطاعة لطاعتهم له فيها؛ وهو: إبليس.

[١١٨] ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعل لي ﴿مِن عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ حَظًّا ﴿مَقْرُوصًا﴾ مقطوعًا أدعوهم إلى طاعتي.

[١١٩] ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ﴾ عن الحق بالسوسة ﴿وَلَا مَنَّبَتْهُمْ﴾ ألقى في قلوبهم طول الحياة، وأن لا تبغ ولا حساب ﴿وَلَا مَرَّتْهُمْ﴾ يلبسكن ﴿يَقَطْعَنَ﴾ عَادَاتُ الْأَنْفَعِ﴾ وقد فعل ذلك بالبخائر^(٣) ﴿وَلَا مَرَّتْهُمْ فَتَيَّبَرَّتْ﴾ دينة^(٤) بالكفر، وإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطبعه ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ يَبْتَئِصِرُهُ إِلَى النَّارِ الْمُؤَيَّدَةِ عَلَيْهِ. [١٢٠] ﴿يَعُدُّهُمْ﴾ طول العمر ﴿وَيُعْتَمِبُهُمْ﴾ نيل الآمال في الدنيا، وأن

﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ أَتْبَعَهُ مَرْضَاتُ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عِبْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ أَجْرًا وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْشَاءً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنَّبَتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَتَّبِعْ قَوْلَهُ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا إِنْشَاءً وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعُدُّهُمْ وَيُعْتَمِبُهُمْ وَمَا يَتَّبِعُهُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا ﴿١٢٠﴾ أَوْلَيْتَكَ مَاؤْنَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

لا تبغ ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا عُرْوًا﴾ باطلًا. [١٢١] ﴿أَوْلَيْتَكَ مَاؤْنَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلاً.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١٠٥ - ١١٦): أخرج الترمذي عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت مئًا يقال لهم بنو أبيرق يشركون، وبشير، وبشير، وكان بشير رجلًا منافقًا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الحديث أو كما قال الرجل، وقالوا ابن الأبيرق قالها ... فقدتم صافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملًا من الدرملك فجعله في مشربة له، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحنسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. قال: وكان بنو أبيرق قالوا: ونحن نسأل في الدار. والله ما نرى صاحبكم إلا ليبد بن سهل - رجل منا له صلاح وإسلام - فلما سمع ليبد اختبر سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطكم هذا السيف أو لنبين هذه السرعة. قالوا: إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها. فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله فذكرت ذلك له. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: «سأمر في ذلك» فلما سمع بنو أبيرق أنوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلموه في ذلك، فانجمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأقيمت رسول الله ﷺ فكلمته، فقال: عمدت إلى أهل بيتك ذك منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة. قال: فرجعت، ولوددت أنني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان. فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا ظَهَرَ لَهُمْ وَأَلَّا يُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا شَرَكُوا مِن دُونِهِ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿وَأَلَّا يُتَّخِذُوا لِلدِّينِ حِسَابًا﴾ بنو أبيرق ﴿وَأَلَّا يُسْتَفْعَى اللَّهُ﴾ أي ما قلت لقتادة ﴿إِنَّ اللَّهَ =

(١) بآياء قراءة حمزة وأبي عمرو.

(٢) جمع بحيرة، وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس يذكرو، فكانوا لا يحملون عليها ولا يأخذون نتاجها ويجعلون لبنها للظواغيت، ويشقون أذانها علامة على ذلك.

(٣) ويقال: المراد بهذا التغيير الوشم. ويقال: والمراد خصاء الدواب. والأقرب كما اختاره بعض المفسرين: أنه يشتمل تغيير الحلقة الظاهرة؛ بالوشم والوشم والتقص والتفطيج للحسن، ونحو ذلك، كما يشمل الحلقة الباطنة؛ حيث إنه - سبحانه - خلق عباده حنفاء مطهورين على الحق، فأجتأفتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان.

وَعَدَا وَحَقَّهُ حَقًّا^(١) ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: قولاً.

[١٢٣] وَنَزَلَ - لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب -: ﴿لَيْسَ﴾ الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^(٢) بل بالعمل الصالح ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرَ بِهِ﴾، إما في الآخرة^(٣) أو في الدنيا بالبلاء والنحن - كما ورد في الحديث^(٤) - ﴿وَلَا يُجِدْ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾^(٥) يمنع منه.

[١٢٤] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ شيئاً ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل^(٦) ﴿الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيًّا﴾ قَدَّرَ نَفْرَةَ التَّوَابِ.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد^(٧) ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مؤخِّدٌ ﴿وَأَتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال؛ أي: مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيّاً لخالص المحبة له.

[١٢٦] ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ علماً وقدره؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[١٢٧] ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿النِّسَاءِ﴾ وميراثهن ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث، وفتيكم أيضاً ﴿فِي نِسَاءِ الَّذِينَ لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرَعِبْنَ﴾ أيها الأولياء عن^(٨) ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن، وتعطلوهن^(٩) أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن؛ أي: فتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَوَيْ﴾ في ﴿السَّمْعِيِّينَ﴾ الصغار ﴿مِنَ الْوَالِدِينَ﴾ أن تعطوهم حقوقهم^(١٠) ﴿وَوَيْ﴾ بأمركم ﴿أَنْ تَقُولُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَقُولُوا مِنْ حَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾^(١١) فيجازيكم به^(١٢).

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا^(١٣) لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرَبُ بِهِ وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^(١٤) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيًّا^(١٥) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا^(١٦) وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا^(١٧) وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَسْمَعِي النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرَعِبْنَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَأَنْ تَقُولُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَقُولُوا مِنْ حَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا^(١٨)

[١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدمه الله ذلك

كأن عَفْوَرًا رَجِيمًا وَلَا يُجْدِلُ... إلى قوله: ﴿عَفْوَرًا رَجِيمًا﴾ أي لو استغفروا الله لغفر لهم، ﴿وَمَنْ يَكْتِبْ إِتْمَانًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُبَيِّنُهَا﴾ قوله للبيد: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ إلى قوله: ﴿سَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلح فرده إلى رفاعه، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلح، وكان شيئاً قد عسى أو عشي في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتته بالسلح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، ففرقت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية، فأقول الله: ﴿وَمَنْ يُنْفِقْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ لُولِيهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ﴾ وماتت مصيبة^(١٩) إن الله لا يقوِّر أن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَقْوِرُ مَا دُوَكَ ذَلِكَ لِمَنْ يَكْفَاهُ وَمَنْ يُشْرَكَ بِاللَّهِ فَقَدْ شَلَّ سَلْطَانًا بَعِيدًا.

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعره، فأخذت رحله فوضعتها على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (حسن). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٢).

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرَبُ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: ﴿قاروا وسددوا﴾ ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكها أو الشوكة يشاكها. مسلم - كتاب البر والصلوة (٤٥) باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٧): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة^(٢٠) عن قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَغْفِرَ﴾ إلى ﴿وَوَيْتُمْ﴾ قالت: يا ابن أخي، هي البيعة تكون في حجر وليها =

(١) أشار بذلك إلى أن «وعداً» و«حقاً» منصوبان بفعلين محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون «حقاً» صفة له و«عداً». (٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر من طريق جوير عن الضحاك كما في الدر المنثور (٣٩٩/٢).

(٤) يشير إلى ما أخرجه عبد بن حميد في مسنده، والترمذي في سننه وضعفه، في نزول الآية أن أبا بكر قال: يا رسول الله، وأبنا لم يعمل السوء؟ وأنا تجرؤون بكل سوء علمناه؟ فقال ﷺ: «أنا أنت وأصحابك المؤمنون فتجزؤن بذلك في الدنيا؛ حتى تلقوا الله ولين عيسى عليكم ذنوب، وأنا الآخرون فيجتمع لهم ذلك، حتى يجازوا به يوم القيامة» وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٣٢٤٣).

(٥) بالبناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. (٦) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

(٧) هذا على أحد وجهي التفسير، وأن الرغبة بمعنى: الرهد، والبعض قدر «في» إشارة إلى أن الرغبة بمعنى: الحب، ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة^(٢١) قالت: «فهذه البيعة تكون في حجر وليها؛ فيزوّج في جمالها وتالها، ويُرِيدُ أَنْ يُنْقِصَ صَدَاقَهَا فَهَوَا عَنْ نِكَاحِهَا إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهَا فِي إِكْمَالِ الصَّدَقَةِ... الحديث. (٨) أي: تتموهن.

(٩) وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقاً ولا النساء.

[١٢٨] ﴿وَإِنْ أَسْرَأَتْ﴾ مرفوعٌ بفعل^(١) يفسره ﴿خَافَتْ﴾ تَوَقَّعَتْ ﴿مِنْ﴾ بَعْلِهَا زوجها ﴿شُورًا﴾ تَزَعُّعًا عليها بترك مضاجعتها، والتقصير في نفقتها، لبعضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاصًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُبْصَلَ﴾ فيه إدغام الناء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: ﴿يُضْلِحُ﴾^(٢) من أصلح ﴿بَيْنَهَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة؛ بأن ترك له شيئًا طلبًا لبقاء الصحبة؛ فإن رضيت بذلك، وإلا فعلى الزوج أن يوفيهما حقها أو يفارقها ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة والشور والإعراض، قال - تعالى - في بيان ما يجبل عليه الإنسان: ﴿وَأَحْزَبْتَ الْأَنْفُسَ الشَّحَّ﴾ شدة البخل؛ أي: مجبَلت عليه؛ فكانها حاضرته لا تعيب عنه؛ المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيها من زوجها، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ عشرة النساء ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور عليهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به^(٣).

[١٢٩] ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ تسوا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَبِيلُوا كَلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فَتَدْرُوهَا﴾ أي: تتركوا الممال عنها ﴿كَالْمُعَلِّقَةِ﴾ التي لا هي أم ولا هي ذات بغل ﴿وَإِنْ تَصْلِحُوا﴾ بالعدل بالقسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يُعْنِ اللَّهُ كِلَا﴾ عن صاحبه ﴿مِنْ سَعْيِهِ﴾ أي: فضله؛ بأن يرزقها زوجها غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا﴾ خلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرَ لهم.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿وَإِنَّا كُنَّا بِأَهْلِ الْقُرْآنِ﴾ أي: بأن ﴿أَتَقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَلَوْ قُلْنَا لَهُمْ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وُصِّيتُمْ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكوًا وعبيدًا؛ فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَكِيمًا﴾ محمودًا في صنعه بهم.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كرره تأكيدًا؛ لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيدًا؛ بأن ما فيهما له.

[١٣٣] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ النَّاسِ وَيَأْتِ بِحَارِبٍ﴾ بَدَلِكُمْ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ذَكِيرًا﴾.

وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْزَبْتَ الْأَنْفُسَ الشَّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَبِيلُوا كَلَّ الْمَيْلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلِّقَةِ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَفْرَقَا يُعْنِ اللَّهُ كِلَا مِنْ سَعْيِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِنَّا كُنَّا لَنَاقِلِينَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا ﴿١٣١﴾ وَإِنْ يَسْأَلْكُمْ أَهْلُ النَّاسِ وَيَأْتِ بِحَارِبٍ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ذَكِيرًا ﴿١٣٢﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَوَدَّ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٣﴾

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا فَوَدَّ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أرادها لا عند غيره، فلم يطلب أحدكم^(٤) الأُخْسَ وهلا طلب الأعلى بإخلاصه له؛ حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

= تشاركه في ماله فيعجبها ماله وجمالها، فريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقتها فيعطيهما مثل ما يعطيهما غيره. فهو أن ينكحهن إلا أن يقسطوا لهن ويلبوا بهن أعلى سنتهن من الصداق ... قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾، والذي ذكر الله أنه ينلى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ جُنِحْتُمْ آلَا تَقْطِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاكْرَهُمَا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني هي رغبة أحدكم لبيتمه التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فهو أن ينكحوا ما رغبوها في مالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن. البخاري - كتاب الشركة (٤٧) باب (٧) شركة اليتيم وأهل الميراث.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمسكتر منها، يريد أن يفارقها، فنزل: أجمعك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٢٤).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: خشيت سورة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة. ففعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. كأنه من قول ابن عباس. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٤).

(١) ولا يصح جمعه مبتدأ؛ لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقديرا.
 (٢) وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ بقية السبعة رضي الله عنهم.
 (٣) في حاشية الصاوي: فأحمد.

وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ ﴿١٣٦﴾ المشهود عليه ﴿عَنْيَا أَوْ قَبِيْرًا قَالَهُ أَوْلَىٰ بِنِسَابِكُمْ﴾
منكم، وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ في شهادتكم؛ بأن تحابوا
الغني لرضاه، أو الفقير رحمة له ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقْدُلُوا﴾ عن الحق ﴿وَلِإِنْ﴾
تَلَوُّوا ﴿تَحَرَّفُوا الشَّهَادَةَ، وفي قراءة (١) بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوْ﴾
تُعْرَضُوا﴾ عن أداها ﴿فَلْيَلِ اللَّهُ كَاتِبًا تَمَلُّوا حَبِيرًا﴾ فيجازيكم
به.

[١٣٦] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنًا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ﴾
ورُسُلِهِ، وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ ﴿مُحَمَّدٌ ﷺ﴾؛ هو: القرآن
﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل؛ بمعنى: الكتاب، وفي قراءة
بالبناء للفاعل في الفعلين (١) ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[١٣٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بوسى؛ وهم: اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادتهم
العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾
بمحمد ﴿لَنْ يَكُنَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾
طريقاً إلى الحق.

[١٣٨] ﴿بَشِيرٌ﴾ أخبر يا محمد ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿مَوْلَعًا﴾ هو: عذاب النار.

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾
من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿لَمَا يَتَوَهَّمُونَ فِيهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ﴾ آيِبِنُغُوْتُ ﴿يَطْلُبُونَ﴾
﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾؟ استفهام إنكاري؛ أي: لا يجدون عندهم ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾
جَمِيعًا ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا يَبَالِهَا إِلَّا أَوْلِيَآؤُهُ﴾.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (٢) ﴿عَلَيْكُمْ فِي﴾
الْكِتَابِ ﴿الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ (٤)﴾ ﴿أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛
أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ فلا تَقْعُدُوا
مَعَهُمْ ﴿أَي: الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ عَثْرَةٍ﴾ إنكروا إذا
إن قدمت معهم ﴿يَتْلُوهُمْ﴾ في الإنم (٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾
في جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شَهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ﴾
عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنْيَا أَوْ قَبِيْرًا
قَالَهُ أَوْلَىٰ بِنِسَابِكُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَقْدُلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا
أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٦﴾ يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنًا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ
عَلَىٰ رُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ
كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًا ﴿١٣٨﴾ بَشِيرٌ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٩﴾ الَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتَعُونَ
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْنَا فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ عَثْرَةٍ إِنْ كُنْتُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

[١٣٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ﴾ قاتمين ﴿بِالْقِسْطِ﴾
بالعدل ﴿شَهَدَاءَ﴾ بالحق ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾
فاشهدوا عليها؛ بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أَوْ﴾ على ﴿الْوَالِدِينَ﴾

(١) لخمزة وابن عامر.

(٢) أي: ﴿تَوَلَّوْا﴾ و﴿أَوَّلُوا﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

(٤) وهو قوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا كَانَتْ آيَاتُ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ فِي مَآكِنِكُمْ لَأَخْرُجَنَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ عَثْرَةٍ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٥) أي: كَفَرُوا أَوْ غَيَّرُوا، فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالمحرم عاصي.

[١٤١] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ قبله^(١) ﴿يَرْتَضُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر ﴿وَقَانَ كَانَ لَكُمْ فَتَحَ﴾ ظفر وغنيمة ﴿وَمِنَ اللَّهِ قَالُوا﴾ لكم: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد؛ فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ﴾ نشتول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَوَدَّ أَلَمْ﴾ ننتفخكم من المؤمنين ﴿أَنْ يَظْفَرُوا بِكُمْ﴾ بنخذيهم ومراسلتكم بأخبارهم؛ فلما عليكم المنة، قال - تعالى -: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالاستئصال^(٢).

[١٤٢] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم^(٣)؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نية على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كَسَالٍ﴾ متعاقبين ﴿بِرَأْيِهِمْ مِنَ النَّاسِ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ رياء.

[١٤٣] ﴿مُذَّبَذِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ منسويين ﴿إِلَّا هَوْلًا﴾ أي: الكفار ﴿وَلَا إِلَى هَوْلًا﴾ أي: المؤمنين ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ﴾ به ﴿اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا بَيْنَهُمْ بِلْوَالِهِمْ﴾ بمواليتهم ﴿سُلْطَنًا مُبِينًا﴾ برهاناً بيناً على نفاقهم.

[١٤٥] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْمَسْفُورِ﴾ المكان ﴿الَّذِينَ هُمْ مِنَ النَّارِ﴾ وهو قعرها ﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً من العذاب.

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا﴾ وتقوا ﴿بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة؛ وهو: الجنة.

الَّذِينَ يَرْتَضُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ عَلَيْهِمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالٍ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَّبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَوْلًا وَلَا إِلَى هَوْلًا وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا بَيْنَهُمْ سُلْطَنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْمَسْفُورِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَٰمَنُتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

[١٤٧] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمته ﴿وَعَٰمَنُتُمْ﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يعذبكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلفه.

(١) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء: ١٣٩]، والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين.

(٢) دفع بذلك ما يقال: إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا، فأجاب بأن المعنى: أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين، ويحاجب أيضاً: أن المراد سبيلاً بالشرع؛ فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة؛ فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم، وليس له أن يملك عبداً مسلماً، ولا يقتل المسلم بالذمي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أتمتها الله لنفسه، وسبق بيان مذهب السلف فيها وفي أمثالها في مواضع كثيرة ووجوب الإيمان بها وإثباتها لله على ما يليق به - سبحانه وتعالى - دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل أو تكيف.

ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يفعل. [١٤٩] ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿حَيْرًا﴾ من أعمال الرب ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ تعلموه سرًا ﴿أَوْ تَعْمُوا عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾. [١٥٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ويريذون أن يقرؤا بين الله ورسوله ﴿بأن يؤمنوا به دونهم﴾ وبقولوت تؤمن ببعض من الرسل ﴿وَتَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿ويريذون أن يتخذوا بين ذلك الكفر والإيمان سبيلاً﴾ طريقاً يذهبون إليه.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد (٢) لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: عذاب النار. [١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ بالياء والنون (٣) ﴿أُجُورَهُمْ﴾ نواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًّا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى نعمتًا؛ فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي: أبائهم ﴿مُوسَى أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿وَمِنْ ذَلِكَ قَالُوا أَرَأَى اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ عيانا ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّخْرَةَ﴾ الموت عقابا لهم ﴿يَطَّلِعُهَا﴾ حيث تعثتوا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ لها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجرات على وحدانية الله ﴿فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصمهم ﴿وَأَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ تسلطاً بينا ظاهراً عليهم؛ حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَقِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم؛ ليخافوا قبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مظل عليهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجدوا انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال (٤)، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: لا تعدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَأَعْتَدْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا عَلِيمًا﴾ على ذلك فنقضوه.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وكان الله سميعاً عليماً ﴿إِنْ تَبَدُّوا حَيْرًا أَوْ تَخْفَوْهُ أَوْ تَعْمُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًّا رَحِيمًا﴾ ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى اللَّهُ جَهَنَّمَ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّخْرَةَ يُطَّلِعُهَا ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَعْتَدْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا عَلِيمًا﴾

[١٤٨] ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من أحد؛ أي: يعاقبه عليه (١) ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به؛ بأن يخبر عن ظلم ظالمه

(١) وهذا تأويل لصفة المحبة التي أثبتها لنفسه ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وإثباتها على ما يليق بجلاله - سبحانه -

(٢) أي: وعامله محذوف ويقدر مؤخراً عن الجملة المؤكدة لها، وتقديره: أحقه حقاً.

(٣) بالنون قراءة السبعة عدا حفص.

(٤) لتأنيق، واحتسب قالون حركة العين.

فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ الْأَنْبِيَاءَ
 بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا يَكْفُرْهُمْ
 فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٦﴾ وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْمٍ بُهْتَانًا
 عَظِيمًا ﴿١٥٧﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
 اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ سُبُّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
 اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ
 وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٨﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
 ﴿١٥٩﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٦٠﴾ فَيُظَلِّمَنَّ الَّذِينَ هَادُوا
 حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَبِيبَتٍ أُجَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 كَبِيرًا ﴿١٦١﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَّهَهُمْ أَمْوَالُ
 النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٢﴾ لَٰكِنِ
 الرَّاكِبُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
 وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٣﴾

[١٥٥] ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ﴾ «ما» زائدة، والباء متعلقة بمحذوف؛ أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا تعني كلامك ﴿بَلْ طَعِبَ﴾ ختم ﴿اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَكْفُرْهُمْ﴾ فلا تعني وغطا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه.

[١٥٦] ﴿وَيَكْفُرْهُمْ﴾ ثانياً بعيسى، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْمٍ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ في زمعهم^(١)؛ أي: بمجموع ذلك عذبناهم، قال - تعالى - تكذبنا لهم في قتله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ سُبُّهُ هُمْ﴾ المقتول والمصلوب - وهو صاحبه - بعيسى؛ أي: ألقى الله عليه شبهة فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ﴾ من قتله؛ حيث قال بعضهم - لما رأوا المقتول؛ الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده -: فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿مَا هُمْ بِهِ﴾ بقتله ﴿وَمِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع^(٢)؛ أي: لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل.

[١٥٨] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.
 [١٥٩] ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: الكتابي حين يعاين ملائكة الموت؛ فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى^(٣) لما ينزل قرب الساعة - كما ورد في حديث^(٤) - ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه، لما بعث إليهم.

[١٦٠] ﴿فَيُظَلِّمَنَّ﴾ أي: فيسب ظلم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَبِيبَتٍ أُجَلَّتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله - تعالى -: ﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْمٍ﴾^(٥) الآية ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه صفاً ﴿كَثِيرًا﴾.

[١٦١] ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكَّهَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشا في الحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٦٢] ﴿لَٰكِنِ الرَّاكِبُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ التابعون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبدالله بن سلام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ

قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح^(٦)، وقرئ بالرفع^(٧) ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء^(٨) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

(٥) تالدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خبزاً من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: وقرعوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٩) نزول عيسى ابن مريم، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧١) نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشرعة نبينا محمد ﷺ.

(١) متعلق بقوله: ﴿فَيُظَلِّمَنَّ﴾، وفي نسخة «في زمعهم» بالإفراد؛ ويكون متعلقاً بقوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾.

(٢) لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم.

(٣) وهذا وجه آخر في التفسير.

(٤) الأنعام: ١٤٦.

(٥) وذلك تنظيماً للشأنهم.

(٦) وهي قراءة شاذة.

(٧) الباء قراءة حمزة.

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴿١٦٦﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ﴿١٦٧﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٨﴾
لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَهُ وَإِعْلَمُهُ وَآلَمَتِيكُهُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا ﴿١٧١﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَكَفَرُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٦﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٧﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٨﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَهُ وَإِعْلَمُهُ وَآلَمَتِيكُهُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٧١﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَكَفَرُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٣﴾ ﴿١٦٣﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَ﴿١٦٣﴾
وكما ﴿١٦٣﴾ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ابْنِهِ ﴿١٦٣﴾ وَيَعْقُوبَ ابْنِ
إِسْحَاقَ ﴿١٦٣﴾ وَالْأَسْبَاطِ أَوْلَادِهِ ﴿١٦٣﴾ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ

﴿١٦٤﴾ ﴿١٦٤﴾ وَأَرْسَلْنَا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴿١٦٤﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف من
إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ ^(١) في سورة غافر ^(٢) ﴿١٦٦﴾ وَكَلَّمَ
اللَّهُ مُوسَى ﴿١٦٦﴾ بلا واسطة ﴿١٦٦﴾ تَكْلِيمًا ﴿١٦٦﴾

﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٥﴾ رُسُلًا ﴿١٦٥﴾ بدل من ﴿١٦٥﴾ رُسُلًا ﴿١٦٥﴾ قَوْلُهُ ﴿١٦٥﴾ مُبَشِّرِينَ ﴿١٦٥﴾ بِالنَّوَابِ مِنْ
أَمِّنَ ﴿١٦٥﴾ وَمُنذِرِينَ ﴿١٦٥﴾ بِالْعِقَابِ مِنْ كَفَرٍ، أَرْسَلْنَاهُمْ ﴿١٦٥﴾ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ ﴿١٦٥﴾ نَقَالَ ﴿١٦٥﴾ بَعْدَ ﴿١٦٥﴾ إِرْسَالِ ﴿١٦٥﴾ الرُّسُلِ ﴿١٦٥﴾ إِلَيْهِمْ فَيَقُولُوا: ﴿١٦٥﴾ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رُسُلًا فَتَنَّبَحَ آذَانِيكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ ﴿١٦٥﴾ ^(٤) فبعضناهم لقطع
عذرهم ﴿١٦٥﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴿١٦٥﴾ فِي مَلِكِهِ ﴿١٦٥﴾ حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ فِي صُنْعِهِ ﴿١٦٥﴾

﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٦﴾ وَنَزَلَ ﴿١٦٦﴾ - لَمَّا شِئِلَ الْيَهُودَ عَنْ نُبُوتهِ ﴿١٦٦﴾ فَأَنكَرُوهُ: ﴿١٦٦﴾ لَكِنِ اللَّهُ
يَشْهَدُ ﴿١٦٦﴾ ^(٥) بَيْنَ نُبُوتِكَ ﴿١٦٦﴾ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴿١٦٦﴾ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَعْجَزِ ﴿١٦٦﴾ أَنْزَلَهُ ﴿١٦٦﴾
مَلْتَبَا ﴿١٦٦﴾ بِعِلْمِهِ ﴿١٦٦﴾: أَي: عَالِمًا بِهِ، أَوْ وَفِيهِ عِلْمُهُ ﴿١٦٦﴾ وَالْمَلْتَبَا كَتَبْتَهُمْ
لَكَ أَيْضًا ﴿١٦٦﴾ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ عَلَى ذَلِكَ ﴿١٦٦﴾

﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٦٧﴾ بِاللَّهِ ﴿١٦٧﴾ وَصَدُّوا ﴿١٦٧﴾ النَّاسَ ﴿١٦٧﴾ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ ﴿١٦٧﴾ دِينَ الْإِسْلَامِ بِكَيْفِهِمْ تَعَفَّى مُحَمَّدٌ ﴿١٦٧﴾ وَهُمْ: الْيَهُودُ ﴿١٦٧﴾ قَدْ ضَلُّوا
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ عَنِ الْحَقِّ ﴿١٦٧﴾

﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٦٨﴾ بِاللَّهِ ﴿١٦٨﴾ وَظَلَمُوا ﴿١٦٨﴾ نَبِيَهُ بِكُتْمَانِ نَعْتِهِ ﴿١٦٨﴾ لَمْ
يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ مِنَ الطَّرِيقِ ﴿١٦٨﴾

﴿١٦٩﴾ ﴿١٦٩﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴿١٦٩﴾: أَي: الطَّرِيقَ الْمُوْدِي إِلَيْهَا ﴿١٦٩﴾ خَالِدِينَ ﴿١٦٩﴾
مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ ﴿١٦٩﴾ فِيهَا ﴿١٦٩﴾ إِذَا دَخَلُوهَا ﴿١٦٩﴾ أَبَدًا ﴿١٦٩﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ هُنَا.

﴿١٧٠﴾ ﴿١٧٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ﴿١٧٠﴾: أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿١٧٠﴾ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ ﴿١٧٠﴾ مُحَمَّدٌ
﴿١٧٠﴾ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَكَفَرُوا ﴿١٧٠﴾ فَكَفَرُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴿١٧٠﴾ مَا أَنْتُمْ فِيهِ
﴿١٧٠﴾ وَإِن تَكْفُرُوا ﴿١٧٠﴾ بِهِ ﴿١٧٠﴾ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١٧٠﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا
وعبيدًا؛ فلا يضره كفركم ﴿١٧٠﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴿١٧٠﴾ بِخَلْقِهِ ﴿١٧٠﴾ حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ فِي صُنْعِهِ
بِهِمْ.

﴿١٧١﴾ ﴿١٧١﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴿١٧١﴾: أَي: الطَّرِيقَ الْمُوْدِي إِلَيْهَا ﴿١٧١﴾ خَالِدِينَ ﴿١٧١﴾
مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ ﴿١٧١﴾ فِيهَا ﴿١٧١﴾ إِذَا دَخَلُوهَا ﴿١٧١﴾ أَبَدًا ﴿١٧١﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٧١﴾ هُنَا.

﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ﴿١٧٢﴾: أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿١٧٢﴾ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ ﴿١٧٢﴾ مُحَمَّدٌ
﴿١٧٢﴾ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَكَفَرُوا ﴿١٧٢﴾ فَكَفَرُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴿١٧٢﴾ مَا أَنْتُمْ فِيهِ
﴿١٧٢﴾ وَإِن تَكْفُرُوا ﴿١٧٢﴾ بِهِ ﴿١٧٢﴾ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١٧٢﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا
وعبيدًا؛ فلا يضره كفركم ﴿١٧٢﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴿١٧٢﴾ بِخَلْقِهِ ﴿١٧٢﴾ حَكِيمًا ﴿١٧٢﴾ فِي صُنْعِهِ
بِهِمْ.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) أي: الجلال الخلي.

(٣) أي: عند تفسير قوله - تعالى: ﴿١٦٦﴾ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٦﴾ [غافر: ١٧٨].

(٤) القصص: ٤٧.

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٣٩/٢)]. وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٥٢٠/١).

[١٧١] ﴿يَتَأَمَّلَ الْكِتَابَ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَسْأَلُوا﴾ تتجاوزوا الحدَّ ﴿فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْقَوْلَ الْحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا﴾ أوصلها الله ﴿إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: ذوروح ﴿مِنْهُ﴾ أضيف إليه - تعالى - تشریفاً له، وليس كما زعمتم ابن الله، أو إلهاً معه، أو ثالث ثلاثة؛ لأن ذا الروح مركب، والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه^(١) ﴿فَقَاتِلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَلَا تَقُولُوا الْآلِهَةَ ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ اللَّهُ وَعَيْسَى وَأُمُّهُ ﴿أَنْتَهُوا﴾ عن ذلك وأنوا ﴿حَيْرًا لَكُمْ﴾ منه؛ وهو: التوحيد ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً، والملكية تنافي النبوة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيداً على ذلك.

[١٧٢] ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿الْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبداً، وهذا من أحسن الاستطراد، ذكِرَ للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله، كما رد بما قبلة على النصارى الزاعمين - ذلك المقصود - خطأهم ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَن عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهُ جَمِيعًا﴾ الآخرة.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً؛ هو: عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يذفع عنهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يمنعهم منه.

[١٧٤] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مُخْتَصِمٌ﴾ تين زريقكم ﴿عليكم؛ وهو: النبي ﷺ﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ بيتاً؛ وهو: القرآن.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ يَتَنَّهُ﴾

يَتَأَمَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاتَمَّ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُوا حَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا أَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَن عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهُ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مُخْتَصِمٌ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ يَتَنَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا هو دين الإسلام.

(١) وهذه الألفاظ محدثة ومهمة، فإن كان يقصد منها نفي الصفات التي أنبأها الله لنفسه أو أنبأها له رسوله ﷺ من اليد والقدم وغيرها؛ فهو باطل، وإن كان يقصد منها نفي صفات النقص عنه - سبحانه - فهو حق، ولكن التعبير عن ذلك بعبارة السلف أشمل وأولى.

﴿فَإِنْ كَانَتْ﴾ أي الأختان ﴿أُثْنَيْنِ﴾ أي: فصاعداً؛ لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات^(٥) ﴿فَلَهُمَا الثَّلَاثَانُ بِمَا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الورثة ﴿إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَصَلُّوا﴾ والله يكفل شئاً عليكم ومنه الميراث، روى الشيخان عن البراء: أنها آخرة نزلت؛ أي: من الفرائض^(٦).

سورة التائدة

[مدنية، وآياتها مائة وعشرون آية^(٥)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْعَتُكُمْ أَلْفَاظُ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح^(١) ﴿إِلَّا مَا يَبْلَغُ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ الْأَنْبِيَّةِ﴾^(٢) الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحرير لما عرّض من الموت^(٣) ونحوه ﴿غَيْرِ حَيْلٍ الصِّيدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي: مُخْرَجُونَ، ونصب ﴿غَيْرِ﴾ على الحال من ضمير ﴿لَكُمْ﴾ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِحَيْكُمٍ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ جمع شعيرة؛ أي: معالم دينه؛ بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْمَدَى﴾ ما أهدي إلى الحرم من الثعم بالعرض له ﴿وَلَا الْقَلْبِدَ﴾ جمع قلادة؛ وهي: ما كان يقلده من شجر الحرم ليأمن؛ أي: لا تعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَا﴾ تحلوا ﴿عَائِنَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ بأن تقاتلوه^(٤) ﴿يَتَّبِعُونَ فَضَلًا﴾ رزقاً ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بالتجارة ﴿وَرِضْوَانًا﴾ منه بقصد برعهم الفاسد، وهذا منسوخ بآية براءة^(٥) ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَأَصْلِحُوا﴾ أمر بإباحة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبكم ﴿شَتَانًا﴾ بفتح النون وسكونها^(٦)؛ بعض ﴿فَوْرٍ﴾ لأجل ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ بترك عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿وَالْتَقَوْا﴾ بترك ما نهيتهم عنه ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى الْإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿وَالْمُدْرَيْنِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَوَلَدٌ لَهُ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ تَرِيهَا وَوَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أُثْنَيْنِ فَهُمَا الثَّلَاثَانُ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَصَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥﴾

سورة التائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْعَتُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْلَغُ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّ الصِّيدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضَلًا مِنْ رَبِّهِمْ رِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكلالية^(١) ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إِنْ أَمَرُوا ﴿مَرْفُوعٌ﴾ بفعل يفسره^(٢) ﴿هَلْكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَوَلَدٌ﴾ له ولا والد؛ وهو: الكلالية ﴿وَوَلَدٌ لَهُ﴾ من أويون أو أب ﴿فَلَهُمَا يَصِفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾ أي: الأخ كذلك ﴿بَرِيهَا﴾ جميع ما تركت ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَوَلَدٌ﴾ فإن كان لها وولد ذكر؛ فلا شيء له، أو أنثى فله ما فضل من نصيبها، ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه الشدس - كما تقدم أول السورة -

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٧٦): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر بعوداني ماشيين فأعني علي، فوضأ ثم صب علي من وضوئه فأقمت. قلت: يا رسول الله كيف أفضي في مالي؟ فلم ير علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ مسلم - كتاب الفرائض (٢٣) - باب (٢) ميراث الكلالة.

(١) اختلف في المراد بالكلالية؛ وأصح الأقوال فيها هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل.

(٢) لأن الجملة الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديرًا.

(٣) البخاري (١٩٤) من حديث جابر، وأخرج نحوه مسلم (١٦١٦).

(٤) البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) في نسخة: مدنية، مائة وعشرون أو: وثنتان أو: ثلاث آية.

(٦) لو قال: «بعد التذكية» لكان أحسن؛ ليشمل النحر - أيضًا.

(٧) وهي عشرة أشياء مطعومة كما جاءت في الآية: أولها الميتة وأخرها ما ذبح على النصب.

(٨) لأن ما قبل ﴿إِلَّا﴾ فيما أحل، وما بعدها فيما حرم؛ أي: ما بعدها مغاير لما قبلها في الحكم والاتصال إذا كانا متفقين في الحكم، ويلزم من ذلك أن كل استثناء منقطع؛ لأن ما بعد «وَأَلَهُ» دائماً مخالفت لما قبلها منقطعاً كان أو متصلاً. وأهل اللغة على أن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه.

(٩) وإن حمل على غير القتال؛ كالظلم، فليس منسوخ.

(١٠) أي: قوله: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْمَدَى وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا عَائِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢]، وليس في المائدة منسوخ غير هذه الآية.

(١١) بالسكون قراءة شعبة وابن عامر.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَحَلْمُ الْخِزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْحَفَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمَتْرَدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى الرُّوحِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
فَذَبِحْتُمُوهُ، وَمَا ذُبِحَ عَلَى اسْمِ النَّصَبِ جَمْعُ نَصَابٍ؛ وَهِيَ الْأَصْنَامُ
وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا تَطْلُبُوا الْقِسْمَ وَالْحَكْمَ ﴿يَا أَزْكَرَ﴾ جَمْعُ زَلَمٍ - يَفْتَحُ
الزَّاي وَضَمُّهَا مَعَ فَتْحِ اللَّامِ -: قَدَحٌ - بِكَسْرِ الْقَافِ - صَغِيرٌ لَا رِيشَ لَهُ وَلَا
نَصْلَ، وَكَانَتْ سَبْعَةً عِنْدَ سَادِنِ الْكَعْبَةِ، عَلَيْهَا أَعْلَامٌ، وَكَانُوا يَحْكُمُونَهَا؛ فَإِنْ
أَمْرَتْهُمْ اتَّمَعُوا وَإِنْ نَهَيْتَهُمْ اتَّهَمُوا ﴿ذَلِكُمْ فِتْنَةٌ﴾ خُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ، وَنَزْلُ
يَوْمِ عَرَفَةَ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ^(١): ﴿الْيَوْمَ يَبَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ رِيْبِكُمْ﴾ أَنْ
تَرْتَدُوا عَنْهُ بَعْدَ طَمَعِهِمْ فِي ذَلِكُمْ لَأَوْأَمِنْ قُوَّتِهِ ﴿فَلَا تَحْتَوِهِمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أَحْكَامُهُ وَفَرَائِضُهُ، فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ
﴿وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ يَا كَامِلَاهُ، وَقِيلَ: بِدُخُولِ مَكَّةِ آمِنِينَ ﴿وَرَضِيَتْ
أَي: اخْتَرْتِ^(٢)﴾ ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ مَجَاعَةً إِلَى أَيِّ
شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ فَأَكَلَهُ﴾ عَيْرٌ مَجْتَانِفٌ مَائِلٌ ﴿لَا يُرِيَّتُمْ﴾ مَعْصِيَةٌ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ﴾ لَهُ مَا أَكَلَ ﴿رَجِيمٌ﴾ بِهِ فِي بَاطِنِهِ، بِخِلَافِ الْمَائِلِ لِإِثْمٍ؛ أَي: التَّلْبِيسِ
بِهِ كَقَطَاعِ الطَّرِيقِ وَالْبَاغِي مَثَلًا؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ.

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ﴾ أَي: أكلها ﴿وَالِدَمُ﴾ أَي: المسفوح - كما
في الأنعام^(١) - ﴿وَحَلْمُ الْخِزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ بَأَنْ ذُبِحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ
﴿وَالْمُنْحَفَةُ﴾ الْمَيْتَةُ نَحْتًا ﴿وَالْمَوْفُوذَةُ﴾ الْمَقْتُولَةُ ضَرْبًا ﴿وَالْمَتْرَدِيَّةُ﴾ السَّاقِطَةُ
مِنْ عَلْوٍ إِلَى أَسْفَلِ فَمَاتَتْ ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ الْمَقْتُولَةُ يَنْطَحُ أُخْرَى لَهَا ﴿وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ﴾ مِنْهُ ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أَي: أَدْرَكْتُمْ فِيهِ الرُّوحَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
فَذَبِحْتُمُوهُ، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى اسْمِ النَّصَبِ﴾ جَمْعُ نَصَابٍ؛ وَهِيَ الْأَصْنَامُ
﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾ تَطْلُبُوا الْقِسْمَ وَالْحَكْمَ ﴿يَا أَزْكَرَ﴾ جَمْعُ زَلَمٍ - يَفْتَحُ
الزَّاي وَضَمُّهَا مَعَ فَتْحِ اللَّامِ -: قَدَحٌ - بِكَسْرِ الْقَافِ - صَغِيرٌ لَا رِيشَ لَهُ وَلَا
نَصْلَ، وَكَانَتْ سَبْعَةً عِنْدَ سَادِنِ الْكَعْبَةِ، عَلَيْهَا أَعْلَامٌ، وَكَانُوا يَحْكُمُونَهَا؛ فَإِنْ
أَمْرَتْهُمْ اتَّمَعُوا وَإِنْ نَهَيْتَهُمْ اتَّهَمُوا ﴿ذَلِكُمْ فِتْنَةٌ﴾ خُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ، وَنَزْلُ
يَوْمِ عَرَفَةَ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ^(١): ﴿الْيَوْمَ يَبَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ رِيْبِكُمْ﴾ أَنْ
تَرْتَدُوا عَنْهُ بَعْدَ طَمَعِهِمْ فِي ذَلِكُمْ لَأَوْأَمِنْ قُوَّتِهِ ﴿فَلَا تَحْتَوِهِمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أَحْكَامُهُ وَفَرَائِضُهُ، فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ
﴿وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ يَا كَامِلَاهُ، وَقِيلَ: بِدُخُولِ مَكَّةِ آمِنِينَ ﴿وَرَضِيَتْ
أَي: اخْتَرْتِ^(٢)﴾ ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ مَجَاعَةً إِلَى أَيِّ
شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ فَأَكَلَهُ﴾ عَيْرٌ مَجْتَانِفٌ مَائِلٌ ﴿لَا يُرِيَّتُمْ﴾ مَعْصِيَةٌ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ﴾ لَهُ مَا أَكَلَ ﴿رَجِيمٌ﴾ بِهِ فِي بَاطِنِهِ، بِخِلَافِ الْمَائِلِ لِإِثْمٍ؛ أَي: التَّلْبِيسِ
بِهِ كَقَطَاعِ الطَّرِيقِ وَالْبَاغِي مَثَلًا؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ.

[٤] ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿مَاذَا أَجَلَ هَمَّتْ﴾ مِنَ الطَّعَامِ ﴿قُلْ أَجَلَ لَكُمْ
الطَّيْبَاتُ﴾ الْمَسْتَلَدَاتُ ﴿وَرَبِّ صَيْدٍ﴾ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ ﴿الْكَوَاسِبُ مِنَ
الْكِلَابِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ﴾ مُكَلِّبٌ ﴿حَالٌ مِنْ كَلْبَتِ الْكَلْبِ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ ؛
أَي: أُرْسِلَتْ عَلَى الصَّيْدِ ﴿تَقْلُبُونَهَا﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾؛ أَي:
تُؤَدَّبُونَهَا ﴿يَمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ مِنَ آدَابِ الصَّيْدِ ﴿فَكُلُوا يَمَّا أَسْكَنَ عَلَيْكُمْ﴾ وَإِنْ
قَتَلْتُمْ؛ بَأَنْ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ، بِخِلَافِ غَيْرِ الْعَلَمَةِ؛ فَلَا يَحِلُّ صَيْدُهَا، وَعَلَامَتُهَا^(٣)
أَنْ تَسْتَوِيلَ إِذَا أُوسِيَتْ وَتَنْزَجِرَ إِذَا رُجِرَتْ، وَتَمْسِكُ الصَّيْدَ وَلَا تَأْكُلُ مِنْهُ،
وَأَقْلُ مَا يَعْرِفُ بِهِ ثَلَاثُ مَرَاتٍ؛ فَإِنْ أَكَلَتْ مِنْهُ فَلَيْسَ مِمَّا أَسْكَنَ عَلَى
صَاحِبِهَا؛ فَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ وَفِيهِ: «أَنْ صَيْدَ الْكَلْبُ
إِذَا أُوسِيَتْ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَصَيْدِ الْعَلَمِ مِنَ الْجَوَارِحِ»^(٤). ﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ
عَلَيْهِ﴾ عِنْدَ إِسْرَائِهِ^(٥) ﴿وَأَقْفُوا اللَّهَ﴾ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

[٥] ﴿الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَاتُ﴾ الْمَسْتَلَدَاتُ ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾
أَي: ذَبَابُ الْبُهْرَدِ وَالنَّصَارَى ﴿حِلٌّ﴾ حَلَالٌ ﴿لَكُمْ﴾ وَطَعَامُكُمْ ﴿إِيَّاهُمْ﴾ حِلٌّ

لَهُمْ وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحَصَّنَاتُ الْحَرَامَاتُ ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنَ قَبْلِكُمْ﴾ حَلٌّ لَكُمْ أَنْ تَتَكَبَّرُوا مِنْهُمْ ﴿إِذَا تَابَتْهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾
مَهْرُهُنَّ ﴿مُحَصَّنَاتٌ﴾ مَتْرُوجَاتٌ ﴿عَيْرٌ مُسْفِحِينَ﴾ مُعَلَّنِينَ بِالزَّنَا بِهِنَّ ﴿وَلَا
مُتَّخِذِي أَعْدَانٍ﴾ مِنْهُنَّ، تَسْرُونَ بِالزَّنَا بِهِنَّ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ أَي:
يَرْتَدِ ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ الصَّالِحُ قَبْلَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَعْتَدُ بِهِ، وَلَا يَنَابُ عَلَيْهِ
﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ إِذَا مَاتَ عَلَيْهِ.

(١) أَي: فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿هُوَ ذِكْرٌ مَسْهُومٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٠٧)، وَمُسْلِمٌ (٣٠١٧).

(٣) هَذَا تَأْوِيلٌ لَصَفَةِ الرِّضَا الثَّابِتَةِ لِلَّهِ ﷻ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي يَلْبَسُ بِهِ سَبْحَانَهُ. وَمِنْ لُؤْزَامِهَا أَنَّهُ اخْتَارَ مَا رَضَاهُ مِنَ الدِّينِ لِهَذِهِ الْأَمَةِ.

(٤) ذَكَرَ أَرْبَعُ عِلْمَاتٍ وَهِيَ مَعْتَبَرَةٌ فِي الْكَلْبِ وَالسَّبُعِ، وَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَا يَجْعُرُ فِيهِ إِلَّا قَبْدَانٌ: أَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ، وَإِذَا أُرْسِلَ اسْتَرْسَلَ، وَيَرَى مَالِكًا أَنْ الْأَكْلَ لَيْسَ قَبْدًا كَذَلِكَ فِي الْكَلْبِ وَالسَّبُعِ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِالْحَدِيثِ.

(٥) لَا يَبُوجِدُ بِهَذَا اللَّفْظِ فِي الصَّحِيحِينَ وَلَكِنْ يَسْتَفَادُ هَذَا الْحُكْمَ مِنْ أَحَادِيثَ فِيهَا. انظر: الْبُخَارِيُّ (٥٠٦٢)، وَمُسْلِمٌ (٣٥٦٥).

(٦) ذَهَبَ الْمَصْنَفُ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى ﴿مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾، وَقِيلَ: عَائِدٌ إِلَى ﴿مَا أَسْكَنَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أَي: سَمَوُا اللَّهَ إِذَا أَدْرَكْتُمْ ذِكَاةً.

ألقوا المسح بها من غير إسالة ماء، وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه؛ وهو: مسح بعض شعره^(٦)، وعليه الشافعي **﴿وَأَرْكَبَكُمْ﴾** بالنصب، عطفًا على **﴿أَيَّدِيكُمْ﴾**، وبالجر على الجوار^(٧) **﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ^(٨)؛ وهما: العظام الناتان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل الممسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات **﴿وَأَن كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهَّرُوا﴾** فاعتسلوا **﴿وَأَن كُنْتُمْ مَرْتَبِينَ﴾** مرضًا يضره الماء **﴿أَوْ عَلَيَّ سَفَرٍ﴾** أي: مسافرين **﴿أَوْ جَسَدًا أَحَدًا مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾** أي: أخذت **﴿أَوْ لِنَسَمِ الْإِنْسَاءِ﴾** سبق مثله في آية النساء **﴿فَلَمَّ يَجِدُوا مَاءً﴾** بعد طلبة **﴿فَتَيَسَّمُوا﴾** اقصوا **﴿صَدِيدًا طَيِّبًا﴾** ترابًا طاهرًا **﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾** مع المرفقين **﴿يَنْتَهُ﴾** بضرين^(٩)، والباء للإلصاق، وتبينت الشئ أن المراد استيعاب العضوين بالمسح^(١٠) **﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾** ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم **﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾** من الأحداث والذنوب **﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام؛ بيان شرائع الدين **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** نعمة^(١١).

[٧] **﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام **﴿وَمِنْ نِعْمَتِهِ﴾** عهده **﴿الَّذِي وَافَّقَكُمْ بِهِ﴾** عاهدكم عليه **﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾** للنبي ﷺ حين بايعتموه: **﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** في كل ما تأمر به وتنهى؛ **﴿يَا نَحْبُ وَنَكَرُهُ﴾** **﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾** في ميثاقه أن تنقضوه **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب، فغيره أولى.

[٨] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ﴾** قاتمين **﴿لِلَّهِ﴾** بحقوقه **﴿شُهَدَاءَ يَأْتِسُّ بِالْعَدْلِ﴾** بالعدل **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾** يحميلكم **﴿سِتَانًا﴾** بغض **﴿قَوْمٍ﴾** أي: الكفار **﴿عَلَىٰ آلَا تَعْدَلُوا﴾** فتنالوا منهم؛ لعداوتهم **﴿أَعْدِلُوا﴾** في العدو والولي **﴿هُوَ﴾** أي: العدل **﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾** **﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾** إن الله إنك خيرٌ بما تعملون؛ فيجازيكم به.

[٩] **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** وعدًا حسنًا **﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** هو الجنة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهَّرُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرَضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لِنَسَمِ الْإِنْسَاءِ فَلَمَّ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَسَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ يَأْتِسُّ بِالْعَدْلِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ سِتَانًا قَوْمًا عَلَىٰ الْآخَرِينَ أَتَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

[٦] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾** أي: أردتم القيام **﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾** وأنتم محدثون **﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ^(١١) - **﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾** الباء للإلصاق^(١٢)؛ أي:

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦): أخرج البخاري عن عائشة **﴿سقطت فلاة لي بالبيداء - ونحن داخلون المدينة - فأناب النبي ﷺ ونزل، فنى رأسه في حجري راقدا. أقبل أبو بكر فلكرني لكرة شديدة وقال: حبست الناس في فلاة؟ في الموت لكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فامسح الماء فلم يوجد؛ فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية. قال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم. البخاري - التفسير (٦٥) - سورة المائدة (٥) باب (٣).**

(١١) من حديث وائل بن حجر الحضرمي أن النبي ﷺ **﴿غسل في وضوئه: يمينه ويساره، حتى جاوز المرفق ثلاثاً، وغسل رجله حتى جاوز الكعبين﴾**. أخرجه الدارقطني من حديث عثمان، وأخرجه الدارقطني والبيهقي عن جابر، وأخرجه الزبير الطبراني من حديث وائل بن حجر، وأخرجه الطحاوي والطبراني من حديث ثعلبة بن عباد عن أبيه مرفوعاً [فتح الباري (١/٣٥٠)].
وانظر: صحيح الجامع (٤٦٩٨)، والسلسلة الصحيحة (٩٩/٥)

(١٢) وقيل: للتبعيض. وهو قول مرجوح.
(٣) وقال أبو حنيفة: يجب مسح أربع الرأس. وقال مالك وأحمد: يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه في التيمم. وهو الصحيح.
(٤) قراءة الجرايين كثير وأبي عمرو وحمرزة وشعبة، وقوله: **﴿على الجوار﴾** أي: فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، واعتراض على هذا بأنه لم يرد الجر بالمجاورة إلا في النعت، والأولى أن يقال: إنه مجرور لفظاً ومعنى، معطوف على الرؤوس، والمسح مسلط عليه ويحمل على حالة ليس الخف.
(٥) كما تقدم قريباً في حديث وائل بن حجر.
(٦) حديث الضربين ضعيف، والصحيح أن التيمم ضربة واحدة كما في حديث عمار عند البخاري مرفوعاً: **﴿إنما كان يكفيك هكذا، ونفخ فيها ثم مسح بهما وجهه وكفيه﴾** البخاري (٣٤٧).
(٧) لحديث زوي عن ابن عمر عند الدارقطني (١٨٠/١) مرفوعاً، وصحح الأئمة وفقه على ابن عمر.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَّا يَسْطُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
 فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 وَبَعَثْنَا فِيهِمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي
 مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
 وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
 حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ
 مِنكُم مِّنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضْتُمُ
 مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
 الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَوَسَّوْا حُطًًا مِّمَّا
 ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ إِذْ قِيلَ لَهُمْ
 لَئِن لَّمْ يَؤْتُوا بِالسَّيفِ

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾
 [١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَّا يَسْطُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ لِيَفْتَكُوا بِكُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَعَصَمَكُمْ مِمَّا أَرَادُوا بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)
 [١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بما يذكر بعد ﴿وَبَعَثْنَا فِيهِمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ - فيه التفات عن الغيبة - أقمنا ﴿مِنْهُمْ﴾ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴿مِنْ كُلِّ سِبْطٍ نَقِيبٌ يَكُونُ كَفِيلًا عَلَى قَوْمِهِ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ تَوْثِقَةً عَلَيْهِمْ﴾ وقال ﴿لَهُمْ﴾ ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والصره ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق؛ والسواء في الأصل: الوسط، فنقضوا الميثاق.
 [١٣] قال الله - تعالى -: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمُ﴾ «ما» زائدة ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَنْ مَّوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿وَتَوَسَّوْا حُطًًا﴾ نصيبًا ﴿وَمِمَّا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِفَةٍ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَآئِفَةٍ﴾ أي: خيانة ﴿مِنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ من أسلم ﴿فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف^(٢).

(٥) فائدة: قال الأوسى: هو الآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر أن المشركين رأوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم بعسفان فاموا إلى الظهر معًا، فلما صلوا ندما ألا كانوا أكبوا عليهم، وهما أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى صلاة العصر؛ فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف... .

وقيل غير ذلك. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢٤/٦، ١٢٥).

(١) أي: من قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية [التائده: ١٢].

(٢) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

[١٤] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا﴾ متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل العهد، ﴿فَسَاَوْا حَقًّا وَمَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل؛ من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا أَوْعِنَا﴾ بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة إلى يوم القيامة بتفرقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[١٥] ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿بَيِّنَاتٍ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتمون ﴿وَمِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل؛ آية الرجم وصفته^(١) ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ من ذلك؛ فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا اقتضاحكم. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ نُبَأٌ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَابٌ﴾ قرآن ﴿مُبِينٌ﴾ بيقن ظاهر.

[١٦] ﴿يَهْدِي يَوْمَ﴾ أي: بالكتاب ﴿اللَّهُ مِنَ اتَّبَعِ رِضْوَانَهُ﴾ بأن آمن ﴿سُئِلَ السَّلَامُ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

[١٧] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهًا، وهم العنقوية - فرقة من النصارى^(١) - ﴿قُلْ مَن يَمْلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿وَمَن عَذَابُ اللَّهِ سَيِّئًا إِنِ ارَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهًا؛ لقد علم عليه ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَسَاَوْا حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنَ اتَّبَعِ رِضْوَانَهُ وَسُئِلَ السَّلَامُ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

(١) فائدة: أخرج الحاكم (٤/٤٠٠) وغيره عن ابن عباس ؓ قال: (من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحاسب. وذلك قول الله ﷻ: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ بل هذا هو معتقد عامتهم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٧٦/١٠) وصححه الأرنؤوط. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٤٣٠).

(١) بل هذا هو معتقد عامتهم.

(٢) والأولى الإطلاق وعدم التقيد، كما أطلق الله ﷻ، ورسوله ﷺ، كما أنه أكمل في الصفة، والله أعلم.

[١٨] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ: أَي: كل منهما: ﴿عَنْ أَنْبَأُوا اللَّهَ﴾ أَي: كائنه في القرب والمنزلة، وهو كائنا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَجْتَوَوْهُ﴾ قُلْ لهم يا محمد: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إن صدقتم في ذلك، ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه، وقد عذبكم؛ فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثَالَهُمْ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَ﴾ من البشر، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم ﴿يَعْزِفُونَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذبه، لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

[١٩] ﴿يَتَأَهَّلُ الْكَاتِبُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿بَيِّنَاتٍ لَكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَىٰ قَرْنٍ﴾ انقطاع ﴿مِنْ الرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة^(١) ﴿لأن﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ إذا عذبتم: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ﴾ زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴿فَلَا عَذْرَ لَكُمْ إِذَا﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه.

[٢٠] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ مَوْسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ يَقُولُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ ﴿أَي: منكم﴾ ﴿أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ أصحاب خدم وخشم ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ مَا تَدْعُونَ آسَفًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من المُلِّ والسُلوي وفلج البحر وغير ذلك.

[٢١] ﴿يَقُولُوا أَذْهَبْنَا بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾ المطهرة ﴿الَّتِي كَذَّبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أمركم بدخولها؛ وهي: الشام ﴿وَلَا تَرْجِعُوا إِلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ تنهزوا خوف العدو ﴿فَتَسْقِلُوا خَيْرِينَ﴾ في سعيكم.

[٢٢] ﴿قَالُوا يَمْوَسِيٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ﴾ من بقايا عاد طولاً ذوي قوة^(٢) ﴿وَأَنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ لها.

[٢٣] ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ﴾ مخالفة أمر الله؛ وهما: يُوشع وكآب^(٣)؛ من النقاء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبارة ﴿أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة فكنما ما اطعنا عليه من حالهم إلا عن موسى؛ بخلاف بقية النقاء فأفشوه؛ فجنبوا: ﴿أَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ باب

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثَالَهُمْ يَخْلَقُ مَا يَخِفُّ لَكُمْ وَمَا يَبْغِضُ لَكُمْ وَيَسْخَرُ مِنْكُمْ وَهُوَ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمَا يَبْغِضُ لَكُمْ وَيَسْخَرُ مِنْكُمْ وَهُوَ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ وَمَا يَبْغِضُ لَكُمْ وَيَسْخَرُ مِنْكُمْ وَهُوَ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا يَبْغِضُ لَكُمْ وَيَسْخَرُ مِنْكُمْ وَهُوَ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَمَا يَبْغِضُ لَكُمْ وَيَسْخَرُ مِنْكُمْ وَهُوَ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَمَا يَبْغِضُ لَكُمْ وَيَسْخَرُ مِنْكُمْ وَهُوَ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

القرية، ولا تخشوهم؛ فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فالأ ذلك تيقناً بنصر الله وإيجاز وعده ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٤) عن سلمان الفارسي قال: فترة بين عيسى ومحمد ﷺ ستماية سنة. وعن قتادة خمسمائة وستون سنة. أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه.

وعن الكلبي: خمسمائة وأربعين، وقيل: أربعمائة سنة. انظر: [فتح الباري (٣٢٥/٧)].

وعن الضحاك: أربعمائة وبضع وثلاثون سنة.

والمشهور ستماية سنة. ومنهم من يقول: ستماية وعشرون سنة بالقرمية فكون ستماية بالشمسية [البداية والنهاية].

(٢) يشير إلى ما ورد في الإسرائيليات من وصف هؤلاء القوم، واختار بعض أهل العلم أن لا يعتمد ذلك في تفسير كلام الله ﷻ، بل لا يفسر القرآن إلا بما هو متيقن غير مشكوك فيه، وأما الإذن في نقل أخبار أهل الكتاب وأحاديثهم بغير تصديق ولا تكذيب فهو في غير تفسير القرآن الكريم، وهو قول وجيه وقوي، وسبق الكلام عن أقسام الإسرائيليات في سورة البقرة عند ذكر الثابت، فليراجع.

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وأخرجه عبد بن حميد عن عطية العوفي [الدر المنثور (٤٧٩/٢)].

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ﴾ يتحرون ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهي تسعة فراسخ، قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأْسُ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْرِ الْفَيْسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم^(١) في الموضع الذي ابتعدوا منه، وسيرون النهار كذلك حتى انقضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في الشَّيْءِ، وكان رحمةً لهما وعدائًا لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رميةً بحجر؛ فأدناه - كما في الحديث^(٢) -، وثبت يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتال الجبارين؛ فسار بمن بقي معه وقتلهم، وكان يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث: ﴿إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَحْسَبْ عَلَيَّ بَشَرًا إِلَّا يَوْشَعَ^(٣)﴾ لِيَالِي سَارَ إِلَى يَتِيبِ الْمُقَدَّسِ^(٤).

[٢٧] ﴿وَأَتَى﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿أَبْنَى عَادَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ ﴿أَتَى﴾ ﴿إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا﴾ إلى الله؛ وهو: كسب لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَنُقِلَ مِنْ أَسْوَاهِمَا﴾ وهو هابيل؛ بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمْ يُنْقَلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ وهو قابيل؛ فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لم؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لِيُنْزِلَ﴾ لام قسم ﴿بَسَطَتْ﴾ مددت ﴿إِلَيْكَ يَدَكَ﴾ لِيُقْتَلَ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ في تلك^(٥).

[٢٩] ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوَّأَ﴾ ترجع ﴿إِلَيْهِمْ﴾ يائس قتلتي ﴿وَأَيْتُكَ﴾ الذي ارتكبه من قبل ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ولا أريد أن أبوء يائسك إذا قتلتك؛ فأكون منهم، قال - تعالى -: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٠] ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ زينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ وَقَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ فأنصحه ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ قال يوبلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سؤة أحي فأصبح من الندميين^(٦).

[٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يَبْحَثُ التراب بمنقاره ويرجله ويَبْحَثُهُ على غراب ميت حتى وازاه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي﴾ يَشْرُو ﴿سَوَاءَ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِ﴾ قَالَ يَبْلُوَلِيَّ أعجزت عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَيْحَى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمله، وحفر له وواراه.

قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدَّخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسُ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا فَتُقِيلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ لِيَنْ بَسَطَتْ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوَّأَيْتُكَ وَأَيْتُكَ فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ وَقَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ وَفَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٢﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَبْلُوَلِيَّ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَيْحَى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٣﴾

[٢٤] ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدَّخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا﴾ هم ﴿إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ عن القتال. [٢٥] ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَوَالِدِي وَأَخِي﴾ ولا أملك غيرهما؛ فاجبرهم على الطاعة ﴿فَافْرُقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث، قال: قلت يا رسول الله، أرأيت إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كإبي آدم»، وتلا يزيد. هو يزيد بن خالد الرملي شيخ أبي داود. «لِيُنْزِلَ بَسَطَتْ إِلَيْكَ يَدَكَ لِيُقْتَلَ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ الآية. أبو داود - كتاب الفتن والملاحم (٢٩) باب (٢) في النهي عن السعي في الفتنة. وأشار محققه في هامشه (٤٥٦/٤) أنه وقع في نسخة: «كن كخبر إبي آدم». وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٨١).

وقوله: «في هذا الحديث» يعني حديث أبي بكر مرفوعاً: «إنها ستكون فتنة، يكون المضطجع فيها خيرا من الجالس...» وهو عند مسلم في كتاب الفتن (٥٢) باب (٣) نزول الفتن كموافق القطر.

وفي آخر الحديث عند مسلم: «فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصغين - أو إحدى الفتنين - فضررتي رجل بسيفه، أو يحيي سهم فيقتلني؟ قال: يوء يائسه وإنك، ويكون من أصحاب النار».

(١) أخرج نحوه ابن جرير عن مجاهد وعن الربيع بن أنس [الدر المنثور (٤٨٢/٢)].

(٢) البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٣) أي: قبل يوشع، وإلا فقد حسبت لبينا ﷺ مرتين؛ يوم الخندق، وصيحة ليلة الإسراء.

(٤) رواه أحمد (٧٩٦٤) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «إن الشمس لم تحبس لبشر...». وانظر: صحيح الجامع (٥٦١٢).

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا يَغْيِرْ نَفْسًا أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثُرُوا
مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّمَا
حَزَّوْنَا الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَنَسَعُونَ فِي
الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٢٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآئِن لَّهُمْ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾

[٢٢] ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ الذي فعله قاييل ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا يَغْيِرْ نَفْسًا﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير
﴿فَسَادًا﴾ أناه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من كُفِّرَ أَوْ زَنَا أَوْ قَطَعَ طَرِيقَ أَوْ نَحْوَهُ
﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن امتنع عن قتلها
﴿وَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: من حيث انتهاك حرمتها
وصونها^(١) ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾
المعجزات ﴿ثُمَّ إِنْ كَثُرُوا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾
مجاورون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك.

[٢٣] ونزل في العرنيين - لما قدموا المدينة وهم مرضى^(٢)؛ فأذن لهم النبي
ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوابها وألبانها، فلما صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِي
النبي ﷺ واستاقوا الإبل -: ﴿إِنَّمَا حَزَّوْنَا الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ﴾
بمحاربة المسلمين ﴿وَنَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطريق ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا
أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: أيديهم
اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿أَوْ﴾ لترتيب
الأحوال، فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ
المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي^(٣)،
وأصح قوله: أن الصلب ثلاثاً^(٤) بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويلحق بالنفي
ما أشبهه في التشكيل من الحبس وغيره^(٥) ﴿ذَلِكَ﴾ الجراء المذكور ﴿لَهُمْ
خِزْيٌ﴾ ذل ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذاب النار.
[٢٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من الحاربين والْقَطَّاعِ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا
عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، عتبر بذلك
دون ﴿فلا تحذوهم﴾؛ ليفيد أنه لا يسقط عنه توبته إلا حدود الله دون حقوق
الآدميين، كذا ظهر لي، ولم أرى من تعرض له، والله أعلم. فإذا قتل وأخذ المال
يقتل ويقطع ولا يصلب^(٦)، وهو أصح قول الشافعي، ولا تنفيذ توبته بعد
القدرة عليه شيئاً، وهو أصح قوله أيضاً^(٧).

[٢٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه
﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته
﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

[٢٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ. مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٢٣، ٢٤): أخرج النسائي عن أنس: أن نغزاً من عُكَلٍ قدموا على النبي ﷺ فاجتوا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوابها وألبانها ففعلوا، فقتلوا
راعيها واستاقوها، فبعث النبي ﷺ في طلبهم قال: فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم، ولم يحسمهم، وتركهم حتى ماتوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا حَزَّوْنَا الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ
وَرُسُلَهُ﴾ الآية. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧) باب (٧)، والحديث عند البخاري بدون ذكر نزول الآية.

البخاري - كتاب الوضوء (٤) باب (٦٦) أبواب الإبل والدواب والغمم ومرايضها.

(١) لم أجد من ابن عباس أو غيره، وأخرج ابن جرير (٢٠٢/٤) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: أوبق نفسه كما لو قتل الناس جميعاً. وفي قوله: ﴿وَمَنْ
أَحْيَاهَا﴾ قال: من سلم من قتلها. وانظر أيضاً: [إلدر المنثور (٦٤/٣)]. وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليس من نفس تُقتل ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول
كفيل - أي نصيب - من دمها؛ لأنه أول من سنَّ القتل». البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (٤٤٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٩٨) والنسائي (٣٩٥٩) عن أنس بن مالك، والقصة في البخاري ومسلم بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٥٨).

(٣) وعند مالك: ﴿أَوْ﴾ على بابها للتخيير، لكن بحسب ما يراه الحاكم.

(٤) أي: ثلاثة أيام.

(٥) وعند مالك: النفي بإعادة عن الأرض مسافة قصر، ولا يكفي الحبس.

(٦) أي: إذا تاب قبل القدرة عليه؛ فلا يسقط في هذه الحال المذكورة إلا الصلب؛ لأنه من حق الله.

الكوع، وَبَيَّنَّتِ الشَّنَّةُ أَنْ الَّذِي (١) يَقَطَعُ فِيهِ رِيعَ دِنَارٍ فِصَاعِدًا، وَأَنَّهُ إِذَا عَادَ قَطَعْتَ رِجْلَهُ الْبِيسْرَى مِنْ مِفْصَلِ الْقَدَمِ ثُمَّ الْبِدَ الْبِيسْرَى ثُمَّ الرَّجْلَ الْبِيسْرَى، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَعْزُرُ (٢) ﴿جَزَاءً﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ ﴿يَمَا كَسَبَا نَكَالًا﴾ عَقُوبَةً لِهَمَا ﴿وَمَنْ أَلَّهَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي خَلْقِهِ. [٣٩]

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ رَجَعَ عَنِ السَّرْقَةِ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عَمَلَهُ ﴿فَارْتَأَى اللَّهُ يَتُوبَ عَلَيْهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿فِي التَّعْبِيرِ بِهَذَا مَا تَقَدَّمَ؛ فَلَا يَسْقُطُ بَتُوبَتِهِ حَقُّ الْأَدْمِيِّ مِنَ الْقَطْعِ وَرَدِّ الْمَالِ، نَعَمْ بَيَّنَّتِ الشَّنَّةُ أَنَّهُ إِنْ عَفَا عَنْهُ قَبْلَ الرَّفْعِ إِلَى الْإِمَامِ سَقَطَ الْقَطْعُ، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ (٣)﴾.

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الْاسْتِفْهَامُ فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ ﴿أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُلْكًا أَلْسَمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تَعْذِيهِ ﴿وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الْمَغْفِرَةُ لَهُ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَمِنَ التَّعْذِيبِ وَالْمَغْفِرَةِ.

[٤١] ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا بَحْرُنَاكُ﴾ صَنَعَ ﴿الَّذِينَ يَسْتَرْغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يَقَعُونَ فِيهِ بِسُرْعَةٍ؛ أَي: يَظْهَرُونَ إِذَا وَجَدُوا فُرْصَةً ﴿وَمَنْ لَلْبَيَانِ (٤)﴾ ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَابِهِمْ﴾ بِالسُّتْمِ مَتَلَقٌ بِ﴿قَالُوا﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبَهُمْ﴾ وَهَمَّ الْمُنَافِقُونَ ﴿وَمَنْ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قَوْمٌ ﴿سَمِعُوا لِلْكَذِبِ﴾ الَّذِي افْتَرَاهُ أَجْرَاهُمْ سَمَاعٌ قَبُولٌ ﴿سَمِعُوا﴾ مِنْكَ ﴿لِقَوْمٍ﴾ لِأَجْلِ قَوْمٍ ﴿عَاقِبِينَ﴾ مِنَ الْيَهُودِ ﴿لَمْ يَأْتُواكَ﴾ وَهَمَّ أَهْلُ خَيْرٍ، زَنَى فِيهِمْ مَحْصَنَانِ فَكْرَهُمَا رَجْمَهُمَا؛ فَبَعَثُوا قَرِيطَةَ لِيَسْأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ حُكْمِهِمَا ﴿يَجْرُونَ الْكَلِمَ﴾ الَّذِي فِي التَّوْرَةِ؛ كَاتِبَةُ الرَّجْمِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ الَّتِي وَضَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا؛ أَي: يَبْدُلُونَهُ ﴿يَقُولُونَ﴾ لِمَنْ أَرْسَلُوهُمْ: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الْحُكْمَ الْمَحْرُوفَ؛ أَي: الْجِلْدَ الَّذِي أَفْتَاكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﴿فَخَذُوهُ﴾ فَاقْبَلُوهُ ﴿وَإِنْ لَمْ تُوْتُوهُ﴾ بَلْ أَفْتَاكُمْ بِخِلَافِهِ ﴿فَأَخَذُوا﴾ أَنْ تَقْبَلُوهُ ﴿وَمَنْ يُرِيدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ إِضْلَالَهُ ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فِي دَفْعِهَا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ لَمْ يَكُنْ لَكَانَ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾ ذَلٌّ بِالْفِصْحِيَّةِ وَالْحِزْبَةُ ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا كَلَامًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْتَرْغُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَابِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَسَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِكُفْرٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخَذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُوتُوهُ فَأَخَذُوا وَمَنْ يُرِيدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

[٣٧] ﴿يُرِيدُونَ﴾ يَتَمَنُونَ ﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دَائِمٌ.

[٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ «ال» فِيهِمَا مُوَصُولَةٌ مُبْتَدَأٌ، وَلِشَبْهِهِ بِالشَّرْطِ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ؛ وَهِيَ: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أَي: يَمِينُ كُلِّ مِنْهُمَا مِنْ

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٣٩): أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ بِهَا الَّذِي سَرَقْتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ امْرَأَةٌ سَرَقْنَا. قَالَ قَوْمُهَا: فَحَنَنْ نَفْسِيهَا. بِعْنِي أَمَلُهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْطَعُوا يَدَيْهَا فَقَالُوا: نَحْنُ نَفْسِيهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ. قَالَ: «اقْطَعُوا يَدَيْهَا بِعَيْنِي، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الْيَوْمَ مِنْ حَطِيئَتِكَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. أَحْمَدُ - الْمُسْنَدُ (١٧٧/٢). وَقَالَ أَحْمَدُ شَاكِرٌ: إِسْنَادُهُ صَاحِحٌ (٦٦٥٧). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهِيَ امْرَأَةٌ هِيَ الْخَزْرُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ. وَحَدِيثُهَا ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِينَ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٢٩١)، وَمُسْلِمٌ (٣١٨٩، ٣١٩٠، ٣١٩٢)، عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا.

(٢) وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ، وَعِنْدَ الْحَنَفِيِّ وَرَجَّحَهُ ابْنُ قَدَامَةَ: لَوْ عَادَ فِي الثَّلَاثَةِ وَالرَّابِعَةِ يَعْزُرُ، وَلَا تَقْطَعُ يَدَهُ الْبِيسْرَى وَلَا رِجْلَهُ الْبِيسْرَى. وَهُوَ الْأَصْحَحُ؛ لِأَنَّ قَطْعَ يَدَيْهِ يَفُوتُ نَمْفَةَ الْجِنْسِ، فَلَا يَبْقَى لَهُ يَدٌ يَأْكُلُ بِهَا وَلَا يَتَوَضَّأُ وَلَا يَسْتَنْظِفُ وَلَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ؛ فَيَصِيرُ كَالْهَالِكِ، وَلِأَنَّهُ لَوْ جَازَ قَطْعُ الْبَيْدَيْنِ لَقَطَعْتَ الْبِيسْرَى فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ لِأَنَّهَا آتَةٌ الْبَطْلِشِ كَالْبِيسْرَى، وَإِنَّمَا لَمْ تَقْطَعْ لِلْمَسْئَلَةِ فِي قَطْعِهَا. [الْمَغْنِي (١٠٦/٩ - ١٠٩)].

(٣) وَعِنْدَ مَالِكٍ: لَا يَنْضَعُ عَفْوَهُ عَنْهُ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ لِلَّهِ.

(٤) أَي: لِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُسْتَرْغُونَ﴾ [المائدة: ٤١].

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ تَوَلَّوْا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَوْا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلٍ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

أي: بالقصاص؛ بأن مَن من نفسه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ لما أتاه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٤٢] هُمْ ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ﴾ بضم الحاء وسكونها^(١)؛ أي: الحرام؛ كالرشا ﴿فَإِنْ جَاءَكَ وَكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، فيجب الحكم بينهم إذا تراءفوا إلينا، وهو أصح قولي الشافعي^(٢)، فلو تراءفوا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿وَإِنْ تَمَرَضَ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم؛ أي: بينهم^(٣).

[٤٣] ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَيُنْزِلُ التَّورَةَ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ بالرجم، استفهام تعجب؛ أي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحق، بل ما هو أهون عليهم^(٤) ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْمَوْا﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبِيُّونَ﴾ العلماء منه ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ الفقهاء ﴿وَمَا﴾ أي: بسبب الذي ﴿اسْتُحْفِظُوا﴾ استودعوه؛ أي: استحفظهم الله إياهم ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أن يبدلوه ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ أنه حق ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ في كتمانها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِأَهْوَاءِ قَلِيلٍ﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ به.

[٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا﴾ فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي: التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِالنَّفْسِ﴾ إذا قتلها ﴿وَالْعَيْنَ﴾ ثَقْفًا ﴿بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ﴾ يَجْدَعُ ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ﴾ تقطع ﴿بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ﴾ تقلع ﴿بِالسِّنِّ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة^(٥) ﴿وَالْجُرُوحَ﴾ بالوجهين^(٦) ﴿قِصَاصٌ﴾ أي: يقتص فيها إذا أمكن؛ كاليد والرجل ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه الحكمة، وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٤٥): أخرج الترمذي عن عمران بن حصين أن رجلاً عض يد رجل، فزعم يده، فوقعت ثيباه، فاختمصوا إلى النبي ﷺ، فقال: «بعض أحدكم أخاه كما بعض الفحل!! لا دية لك»، فأنزل الله: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾. الترمذي - كتاب الديات (١٤) باب (٢٠) ما جاء في القصاص. وقال: حسن صحيح. والحديث في صحيح مسلم بدون ذكر نزول الآية، وكذلك في صحيح البخاري لكن من حديث يعلى بن أمية.

(١) بالضم قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) ومشهور مذهب مالك أن التخيير باق وليس بمنسوخ، وبه قال أحمد وهو الراجح، واختاره السعدي مملأ بأنهم لا قصد لهم في الحكم الشرعي إلا أن يكون موافقاً لأهوائهم، وكذلك القاسمي وزاد: لأنه لا منافاة بين الآيتين، فالأولى فيها التخيير، والأخرى فيها كيفية الحكم إذا حكم بينهم.

(٣) وهذا تأويل يلازم الصفة، وسبق بيان مذهب السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها على الوجه اللائق به - سبحانه.

(٤) وهو الجلد.

(٥) للكسائي.

(٦) أي: بالرفع والصب، والرفع قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

[٥١] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ تولوهم وتوادونهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ لآحادهم في الكفر ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بمولاتهم الكفار [٥٢] ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد؛ كبد الله بن أبي المنافق ﴿يَسْتَرْغِبُونَ فِيهِمْ﴾ في مولاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معذرين عنها: ﴿تَحْتَسِبُ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ يدور بها الدهر علينا؛ من جذب أو غلبه، ولا يتم أمر محمد؛ فلا يبرونا، قال - تعالى -: ﴿فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لنبهه بإظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضحهم ﴿فَيُصِيبُحُوا عَلَنَ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من الشك وموالات الكفار ﴿تَنذِيرًا﴾ عطفًا [٥٣] ﴿وَيَقُولُ﴾ بالرفع استئنافاً - براو ودونها(١)، وبالصب(٢) عطفًا على ﴿يَأْتِي﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لبعضهم إذا هنك سترهم تعجبًا: ﴿أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمُ﴾ في الدين قال - تعالى -: ﴿حِطَّتْ﴾ بطلت ﴿أَعْتَلَهُمْ﴾ الصالحة(٣) ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَيْرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب.

[٥٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرَدٍ﴾ بالفك والإدغام(٤)؛ يرجع ﴿مِنْكُمْ﴾ عن دينه. إلى الكفار، إخبار بما علم الله وقوعه، وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ بدلهم ﴿يَقُورُ مِنْهُمْ وَيُجِوْنَهُ﴾ قال ﷺ: ﴿هُم قَوْمٌ هَذَا﴾، وأشار إلى أبي موسى الأشعري(٥) [رواه الحاكم في صحيحه] ﴿أَذَلَّةٍ﴾ عاطفين ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضُوا﴾ أُنْشَاءً ﴿عَلَى الْكُفْرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيه؛ كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ (٦) كثير الفضل ﴿عَلَيْهِ﴾ بمن هو أهله. [٥٥] وَنَزَّلَ - لما قال ابن سلام: يا رسول الله، إن قومنا هجرونا :: ﴿إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكُوعٌ﴾ (٧) خاشعون، أو يصلون صلاة التطوع.

[٥٦] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ﴾ لنصره إياهم؛ أوقعه موقع: ﴿فإنهم﴾ بياناً لأنهم من حربه؛ أي: أتباعه.

[٥٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُرُوعًا﴾ مهزوعاً به

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْتَعِينُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُحُوا عَلَنَ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ تَنذِيرًا﴾ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمُ حِطَّتْ أَعْمَلَهُمْ فَأَصْبَحُوا خَيْرِينَ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرَدٍ مِّنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضُوا عَلَى الْكُفْرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكُوعٌ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُرُوعًا وَلَا وَلِعًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ الَّذِينَ آمَنُوا كَثُرَ مَوْمِنِينَ﴾

﴿وَلِعًا مِّنَ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾ المشركين؛ بالجر والنصب(٨) ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وَأَنْقَرُوا اللَّهُ ﴿بترك مولاتهم﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿صادقين في إيمانكم﴾.

= وأخرج السنائي عن ابن عباس قال: كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة أدى مائة وسق من تمر، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوا إلينا نقتله، فقالوا: بينا وبينكم النبي ﷺ، فأثمه، فنزلت: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت: ﴿أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَتُورُونَ﴾. السنائي - كتاب القسامة (٤٥) باب (٩، ٨).

(١) بدلونها قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.
 (٢) أي: مع إثبات الواو قراءة أبي عمرو.
 (٣) أي: بحسب الظاهر.
 (٤) بالفك؛ أي: ﴿يَسْتَرْغِبُونَ﴾، وهي قراءة نافع وابن عامر.
 (٥) أخرجه ابن سعد وابن أبي شبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عياض الأشعري، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٦٨/٧) [الدر المنثور (٥١٨/٢)].
 (٦) قال ابن جرير: يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجدود والتدبير. وقال مثله ابن كثير.
 (٧) أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نحوه [الدر المنثور (٥٢٠/٢)] وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب (٦٧/٢).
 (٨) بالجر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

على ﴿أَنْ آمَنَّا﴾ المعنى: ما تذكرون إلا إيماننا، ومخالفتكم في عدم قبوله المبرر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما ينكر^(١).

[٦٠] ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم ﴿بِشَرِّ مَنِ﴾ أهل ﴿ذَلِكَ﴾ الذي تنقمونه ﴿مُنُوبَةً﴾ ثواباً بمعنى جزاء^(٢) ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدته عن رحمته ﴿وَعَصَّبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ بالمسخ ﴿وَمِنْ﴾ ﴿عِبَدِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان بطاعته، وروعي في ﴿مِنْهُمْ﴾ معنى ﴿مِنْ﴾، وفيما قبله: لفظها؛ وهم: اليهود، وفي قراءة^(٣) بضم باء ﴿عَبِيدٌ﴾ وإضافته إلى ما بعد اسم جمع لـ «عبيد»، ونصبه بالعطف على «القردة» ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ تمييز؛ لأن ماواهم النار ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق، وأصل السواء الوسط، وذكر ﴿شَرٌّ﴾ ﴿وَأَضَلُّ﴾ في مقابلة قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم.

[٦١] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ أي: مناقفوا اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلْنَا﴾ إليكم متلبسين ﴿بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من عندكم متلبسين ﴿بِالْيَوْمِ﴾ ولم يؤمنوا ﴿وَاللَّهُ أَقْبَرُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

[٦٢] ﴿وَوَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿يُسْرِعُونَ﴾ يقعون سريعاً ﴿فِي الْآثِرِ﴾ الكذب ﴿وَالْعُدُولِ﴾ الظلم ﴿وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحَّتُ﴾ الحرام؛ كالرشا ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عملهم هذا [٦٣] ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَهْتَمُّهُمُ﴾ الرِّبِّيُّوتُ وَالْأَخْبَارُ منهم ﴿عَنْ قَوْلِهِمْ آلِإِنَّمَا﴾ الكذب ﴿وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحَّتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ من ترك نهيهم.

[٦٤] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس ملاً: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾ مقبوضة عن إردار الرزق علينا؛ كُنُوتًا به عن البخل - تعالى الله عن ذلك - قال - تعالى -: ﴿عَلَّتْ﴾ أمسكت ﴿أَبْيَهُمُ﴾ عن فعل الخيرات دعاء عليهم ﴿وَلِيُنَازِلَ بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مبالغة في الوصف بالجلود، وتثني اليد؛ لإفادة الكثرة^(٤)؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي يديه ﴿يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ أي: لحرب النبي ﷺ ﴿أطفاها الله﴾ أي: كلما أرادوه ردُّهم ﴿وَسَعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: مفسدين بالمعاصي ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم^(٥).

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَاهُنَا وَلِجَاءِ ذَلِكَ بَأْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مِنِّي إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مَنِ ذَلِكَ مُنُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَعَصَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلُ آيَاتِنَا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِنَّ وَاللَّهُ أَكْبَرُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦٣﴾ وَوَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْآثِرِ وَالْعُدُولِ وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحَّتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْلَا يَهْتَمُّهُمُ الرِّبِّيُّوتُ وَالْأَخْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِنَّمَا وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحَّتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٨] ﴿و﴾ الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتهم ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوا﴾ أي: الصلاة ﴿هُزُؤًا وَلِبَاسًا﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا ﴿ذَلِكَ﴾ الانحاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[٥٩] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال اليهود للنبي ﷺ: من يؤمن من الرسل؟ فقال: ﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ﴾^(١) تذكرون ﴿وَمَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إلى الأنبياء ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ قٰتِلُونَ﴾ عطف

(١) ذكره البخاري في تفسيره (٧٤/٣)، والواحد في أسباب النزول (ص ١٦٥)، وأخرج نحوه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس وفيه: «فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا تؤمن بعيسى» [الدر المنثور (٥٢٢/٢)]، وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٧١/٢).

(٢) فالاستثناء منقطع.

(٣) أي: بالعقاب، وهو تهكم بهم.

(٤) لجمرة.

(٥) وله - سبحانه - يدان حقيقة، ومذهب السلف بالإجماع إثبات الصفات لله على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) وهذا تأويل بلازم للصفة وهو خلاف مذهب السلف، وسبق بيان إثبات هذه الصفة ونحوها لله على الوجه اللائق به - سبحانه - «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١٠].

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَاتَّقَوْا﴾ الكفر ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا لَظَنَّهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمُ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آفَمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ بالعمل بما فيها؛ ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتب ﴿مِن رَّبِّهِمْ لِأَكْفُلُوا مِنْ قَوْعِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ تعمل به؛ وهم: من آمن بالنبي ﷺ؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ﴾ بس ﴿مَا﴾ شيئاً ﴿يَعْمَلُونَ﴾ به.

[٦٧] ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَجُ﴾ جمع ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئاً منه؛ خوفاً أن تنال بمكروه ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ أي: لم تبلغ جمع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بالإنفراد والجمع^(١)؛ لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أن يقتلوك، وكان ﷺ يحرس حتى نزلت، فقال: «انصرفوا فقد عصمتي الله»^(٢) [رواه الحاكم] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٨] ﴿قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدين معتد به ﴿حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٣) بأن تعملوا بما فيه؛ ومنه الإيمان بي ﴿وَلْيُرِيدَنَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إن لم يؤمنوا بك؛ أي: لا تهتم بهم.

[٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود، مبتدأ ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾^(٤) فرقة منهم ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ ويبدل من المبتدأ ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، خبر المبتدأ^(٥)، ودال على خبر إن.

[٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ ﴿وَمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ من الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كزكريا، والتعبير به^(٦) دون (قتلوا) حكاية للحال الماضية^(٧) للفاصلة.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا لَظَنَّهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمُ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آفَمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لِأَكْفُلُوا مِنْ قَوْعِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَجُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلْيُرِيدَنَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّادِقِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن سفيان قال: ما في القرآن آية أشد علي من ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾. البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (١٩) الرجاء مع الحرف.

قال الحافظ في الفتح: «يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء، ومقتضاه أن من أجل بعض الفرائض قد أجل بالجميع، ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها...».

الفتح (١١٩/٨).

(١) بالجمع قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٢) الحاكم (٣١٣/٢)، ورواه الترمذي في تفسير القرآن، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٤٠)، وروى ابن حبان في صحيحه (١٧٢٩ - موارد) عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فجملوهما للنبي ﷺ فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة. فبينما هو نازل تحت شجرة - وقد علق السيف عليها - إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة، ثم دنا من النبي ﷺ وهو قائم فأيقظه، فقال: يا محمد من يمنعك مني الليلة؟ فقال النبي ﷺ: «الله»؛ فأزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ نَلْعَجُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٤٨٩).

(٣) رُفِعَ عَلَى الْإِبْدَاءِ، وخبره محذوف، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذي هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابغون كذلك. «القاسمي».

(٤) أي: قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٦٩].

(٥) أي: بالمضارع.

(٦) أي: كأنها حاصله الآن.

(٧) أي: ومراعاة للفاصلة، وهي المحافظة على رعوس الآي.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ مما قالوا، استفهام توبيخ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[٧٥] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو يضي مثلهم وليس ياله كما زعموا، وإلا لما مضى ﴿وَأَنْتُمْ صَادِقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَأَنَّا يَاكُلَانِ الطَّلْعَامَ﴾ كغيرهما من الناس؛ ومن كان كذلك لا يكون إلهًا؛ لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿أَنْظُرْ﴾ متعجبًا ﴿كَيْفَ تَبَيَّنَتْ لَهُمُ الْآيَاتُ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان.

[٧٦] ﴿قُلْ أَتُحَدِّثُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

[٧٧] ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى:﴾ ﴿لَا تَتَّبِعُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ علوًا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ بغلوهم؛ وهم: أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق، والسواء في الأصل: الوسط.

وَحَسِبُوا إِلَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا عَمِلُوا ﴿٧٤﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٥﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٧﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّهُ وَصَدِيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّلْعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ تَبَيَّنَتْ لَهُمُ الْآيَاتُ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٨﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٩﴾ قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٨٠﴾

[٧١] ﴿وَحَسِبُوا﴾ ظنوا ﴿أَنَّ﴾ ن ﴿لَا تَكُونُ﴾ بالرفع^(١)؛ فَأَنْ مخففة، والنصب؛ فهي ناصبة؛ أي: تقع ﴿فِتْنَةً﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق؛ فلم يبصروه ﴿وَصَمُوا﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ ثانياً ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بَدَلٌ من الضمير^(٢) ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا عَمِلُوا﴾ فيجازيهم به.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله^(٣) ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ يَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فإني عبد ولست ياله ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منه أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ بمنعهم من عذاب الله.

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي: أحدها، والآخران: عيسى وأمه؛ وهم: فرقة من النصارى ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الثلاثيت ويؤخدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: تبتوا على الكفر ﴿وَمِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم؛ وهو: النار.

(١) قراءة أبي عمرو وحمة والكسائي.

(٢) أي: في قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]، والضمير هو الفاعل.

(٣) في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ نَنَسْنَا حَتَّى لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا أَتَوْا بِاللَّهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسْفُوتَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَانْهَمَكُم فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكُمْ وَأَنْتُمْ بَنَاتُنَا فَاسْفُوتَ ﴿٨٢﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَانْهَمَكُم فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكُمْ وَأَنْتُمْ بَنَاتُنَا فَاسْفُوتَ ﴿٨٣﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَانْهَمَكُم فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكُمْ وَأَنْتُمْ بَنَاتُنَا فَاسْفُوتَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا فَاكْتِسَابَ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٥﴾

[٧٨] ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ بأن دعا عليهم؛ فمسخوا قُرْدَةً؛ وهم: أصحاب أيلة ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن دعا عليهم؛ فمسخوا خنازير؛ وهم: أصحاب المائدة ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فعلهم هذا.

[٨٠] ﴿تَرَى﴾ يا محمد ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة بفضلك ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ محمد ﴿وَمَا أَتَوْا بِاللَّهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسْفُوتَ﴾ خارجون عن الإيمان.

[٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من أهل مكة؛ لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكُمْ ذَلِكَ﴾ أي: قرب مردتهم للمؤمنين ﴿وَأَنْتُمْ بَنَاتُنَا﴾ بسبب أن ﴿مِنْتُمْ قَيْسِيَّةٌ﴾ علماء ﴿وَرُهَبَانَا﴾ عُشَاذًا ﴿وَأَنْتُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة. نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة قرأ ﴿سورة يس﴾ فبكوا وأسلموا؛ وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى^(١).

[٨٣] قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا﴾ صدقنا نبيك وكتابك ﴿فَاكْتِسَابَ مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المقرين بتصديقهم.

(١) أخرج نحوه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير [الدر المنثور (٥٣٧/٢)].

والمشهور في كتب السير والتفاسير أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعدما سمعوا سورة «مرم» من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، لما قدم مع المسلمين في الهجرة الأولى للحبيشة، ففاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، ثم أسلم النجاشي. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٩/١٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٨٠٥/٤)، وأبو نعيم في الحلية (١١٧/١) عن عروة بن الزبير. وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٨٠/٢).

قال القاضي كتمان معلقاً على ذلك في قرة العينين على تفسير الجلالين ص ١٥٣: «وما يجب التنبيه إليه؛ أن هذه الآيات لا تشمل جميع النصارى كما يتوهم البعض؛ فإن عداوتهم للمسلمين ظاهرة، ووقائع التاريخ في الأندلس والحروب الصليبية، حتى عصرنا، تشهد على ذلك، بل تشير الآيات إلى جماعة موصوفة منهم، سمعوا القرآن؛ ففاضت أعينهم من الدمع لمعرفة الحق، ثم آمنوا؛ ففي هؤلاء نزلت الآيات...» اهـ.

قلت: ويؤكد ذلك ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٦ رقم ٦١٢١) بسند صحيح عن سلمان قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة صنعت طعناً، فبحث به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: «هدية، ففرض يده فأكل، وقال لأصحابه: «كلوا». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن النصارى؟ قال: «ولا خير فيهم ولا فيمن أحبهم»، فقتت وأنا منقل؛ فأنزل الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ حتى بلغ: ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾؛ فأرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا سلمان، إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/٩): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير سلامة العجلي وقد وثقه عن حبابه وصححه في الاستيعاب (٨٢/٢)».

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأْتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا اجْتَبْتُمْ جَحْيَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَتُوا طَيْبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيْبًا ۚ وَأَقْرَبُوا لِلَّهِ الَّذِينَ أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ۖ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۚ فَكْفَرْتُمْ فِيهَا بِمَا طَعَمْتُمْ ۚ فَأَهْلِكُمْ ۖ وَأَكْسَوْتُمْ أَوْتَحْرِيرِ رِقَبَةٍ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُرْمُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْزَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۚ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

[٨٧] ونزل - لما هم قَوْمٌ من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش :: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحْرَمُوا طَيْبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ (١) تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ .

[٨٨] ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيْبًا﴾ مفعول، والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَأَقْرَبُوا لِلَّهِ الَّذِينَ أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٢) .

[٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو: ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الخلف؛ كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، ولكن

يؤاخذكم بما عَقَدْتُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة: ﴿عَاقَدْتُمْ﴾ (٣) ﴿الْأَيْمَانَ﴾ عليه؛ بأن حلفتم عن قصد ﴿فَكْفَرْتُمْ فِيهَا﴾ أي: اليمين؛ إذا حنثتم فيه ﴿بِمَا طَعَمْتُمْ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ﴾ لكل مسكين مَدٌّ ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْمَعُونَ﴾

منه ﴿أَهْلِكُمْ﴾ أي: أفضده وأغلبه؛ لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كَسَوْتُمْ﴾ بما يسمى كسوة؛ قميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي (٤) ﴿أَوْ تَحْرِيرِ رِقَبَةٍ﴾ أي: مؤمنة كما في

كفارة القتل والظهار حلاً للمطلق على المقيد (٥) ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ واحداً ما ذكر ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التسابع؛ وعليه الشافعي ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَرْتُمْ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل ير أو إصلاح بين الناس - كما في سورة البقرة - ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، هـ على ذلك (٦) .

[٩٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا كَفَرْنَا﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار ﴿وَالْأَنْصَابِ﴾ الأصنام ﴿وَالْأَرْزَامِ﴾ قداح الاستقسام ﴿وَجِسْمٍ﴾ حيث مستقذر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يرينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي:

الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

[٩٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا كَفَرْنَا﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار ﴿وَالْأَنْصَابِ﴾ الأصنام ﴿وَالْأَرْزَامِ﴾ قداح الاستقسام ﴿وَجِسْمٍ﴾ حيث مستقذر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يرينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي:

الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

[٨٤] ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ قالوا في جواب من عرهم بالإسلام من اليهود: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن؛ أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجوب مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عطف على: ﴿نُؤْمِنُ﴾ ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنة.

[٨٥] قال تعالى: ﴿فَأْتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا اجْتَبْتُمْ جَحْيَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ .

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٧، ٨٨): أخرجه الترمذي عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت إلى النساء وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم. فأزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحْرَمُوا طَيْبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ و﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيْبًا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٤١).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٨٩): أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت أهل قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهل قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْمَعُونَ أَهْلِيكُمْ﴾. ابن ماجه - كتاب الكفارات (١١) باب (١٠)، وسكت عليه الألباني.

فائدة: أخرجه البخاري عن عائشة أن أباه كان لا يبحث في بين حتى أنزل الله كفارة اليمين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥).

(١) أخرجه نحوه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وليس فيه ذكر الطيب والقيام، وأخرجه ابن جرير عن إبراهيم النخعي (قال: كانوا حرموا الطيب واللحم فأزل الله هذا فيهم)، وفي البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤٨٧) عن عائشة قصة نحو ذلك بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية، وليس فيها ذكر الطيب [الدر المنثور (٥٤٤/٢)].

وأخرج الطبري عن السدي... فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء... (١٢٢٤٥).

(٢) لابن ذكوان، وبالتخفيف بدون ألف قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) والجمهور، وهو الراجح.

(٤) وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا أتحد السبب، وهنا اختلف فلا حمل، ويكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إذا أتيتكما، لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿وَيُضِلُّكُمُ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَنَسِيَ الصَّلَاةَ﴾ خصها بالذكر تعظيماً لها ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ عن إتيانهما، أي: انتهوا^(٩١).

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ المعاصي ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ﴾ الإبلاغ بين، وجزاؤكم علينا. [٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الخمرات ﴿وَمَا آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ العمل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بمعنى: أنه يشيهم^{(٩٢) (٩٣)}.

[٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمُ لِيُخْبِرَكُمْ﴾ ليخبركم ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يرسله لكم ﴿مِنْ أَلْفَيْدٍ تَنَاءَهُ﴾ أي: الصغار منه ﴿أَيُّدِيكُمْ وَمِمَّا كَفَرْتُمْ﴾ الكبار منه، وكان ذلك بالحدبية وهم مخرمون^(٩٤)؛ فكانت الوحش والطيور تغشاهم في رحالهم ﴿يَلْعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَخْفَأُ بِالنَّيْبِ﴾ حال: أي: غائبا لم يره؛ فيجنب الصيد ﴿مَنْ أَتَىٰ بَدَنَهُ بَدَدَ ذَلِكَ﴾ النهي عنه؛ فاصطاده ﴿فَلَمْ عَدَّابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ مخرمون بحج أو عمرة ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ﴾ بالتقنين ورفع ما بعدها؛ أي: فعليه جزاء هو: ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي: شبهه في الخلق، وفي قراءة^(٩٥): «إضافة «جزاء»، ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي: بالمثل رجلا «وَدَرَأَ عَدْلَ يَسْكُمُ﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به، وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي^(٩٥) في النعامة بتدنية، وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحمارة ببقرة، وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة، وحكم بها^(٩٥) ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام؛ لأنه يشبهها في العيب^(٩٥) «هَذَا﴾ حال من «جزاء» ﴿يَبْلُغُ الْكَبِيرَ﴾ أي: يبلغ به الحرم؛ فيذبح فيه، ويتصدق به على مساكينه، ولا يجوز أن يذبح حيث كان، ونصبه نعتاً لما قبله. وإن أضيف؛ لأن إضافته لفظية؛ لا تفيد تعريفاً؛ فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والحراد فعليه قيمته «أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غير الجزاء. وإن وجده - هي: ﴿طَعَامٌ مَسْكِينٍ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزء لكل مسكين مئذ، وفي قراءة^(٩٥): «كَفَّارَةٌ﴾ لما بعده، وهي للبيان «أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلٌ﴾ مثل «ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ يصومه؛ عن كل مئذ يوم، وإن وجده وجب ذلك عليه ﴿يَلِدُوقٌ وَيَأْكُلُ﴾ نقل جزء «أَمْرٍ﴾ الذي فعله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلْفٍ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِلُّكُمُ اللَّهُ عَنِ الذِّكْرِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمُ لِيُخْبِرَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَلْفَيْدٍ تَنَاءَهُ وَأَيُّدِيكُمْ وَمِمَّا كَفَرْتُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَبِيرَ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَيَأْكُلَ وَأَمْرٌ مِنْ عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلْفٍ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ ممن عصاه، والحق بقتله متعمداً فيما ذكر الخطأ.

(٩٥) ما جاء في نزول الآيتين (٩٠، ٩١): أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه نزلت فيه آيات من القرآن. قال: ... وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك حموا - وذلك قبل أن تحرم الخمر - قال: فأتيتهم في حش - والحش: البستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر. قال: فأكلت وشربت معهم. قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال: فأخذ رجل أحد لحبي الرأس فضرني به، فجرح بأفني، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأقول الله ﷻ في - يعني نفسه - شأن الخمر ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَسْهَابُ وَالْأَلْكَامُ﴾. مسلم كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) فضل سعد بن أبي وقاص.

وأخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في البقرة: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الآية. فدعي عمر فقترت عليه. ثم قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ فدعي عمر فقترت عليه، ثم قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ فدعي عمر فقترت عليه فقال: انتهينا انتهينا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة. وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: حرمت الخمر ثلاث مرات: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأقول الله على نبيه: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال: ﴿فِيمَا نَسِيتُمْ كَبِيرًا﴾، وكانوا يشربون الخمر حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين، ثم أصحابه في المغرب خلط في قراءته، فأقول الله فيها آية أعظم منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾، وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفق.

ثم أنزلت آية أعظم من ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَسْهَابُ وَالْأَلْكَامُ رِيسٌ بَيْنَ عَيْنِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَبُونَ﴾ فقالوا: انتهينا. سبق تخريجه في سورة البقرة عند الآية رقم (٢١٩).

(٩٥) ما جاء في نزول الآية (٩٢): أخرج البخاري عن أنس ﷺ: كنت سافيا القوم في منزل أبي طلحة - وكان خمرهم يومئذ الفضيخ - فأمر رسول الله ﷺ مناديا ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت.

(١) وهذا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إثباتها والإيمان بها على الوجه اللائق به - سبحانه - وسبق ذلك مرازا. (٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان [الدر المنثور (٥٧٦/٢)]. (٣) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. (٤) أي بالبدنة. (٥) أي: شرب الماء بلا مش. (٦) لنافع وابن عامر.

ثمرات كل شيء إليه، وفي قراءة^(١): ﴿فِيمَا﴾ بلا ألف؛ مصدر قام غير مُغْلٍ ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بمعنى: الأشهر الحرم. ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب. قياما لهم؛ بأمنهم من القتال فيها ﴿وَالهَدَى وَالْقَلْبَدَى﴾ قياما لهم؛ بأمن صاحبيهما من العرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿يَتَعَلَّمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن جملة ذلك لطلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمها بما هو في الوجود وما هو كائن.

[٩٨] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ذَلِيلٌ لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدَى وَالْقَلْبَدَى ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ذَلِيلٌ لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدَى وَالْقَلْبَدَى ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ذَلِيلٌ لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدَى وَالْقَلْبَدَى ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[٩٩] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تخفون منه؛ فيجازيكم به.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ الْحَرَامُ وَالطَّيِّبُ الْحَلَالُ وَرَبُّوْهُمَا أَصْحَابُكُمْ﴾ أي: شرك ﴿كَرَّةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَتَأُولَى الْأَيْتَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

[١٠١] ﴿وَنَزَّلَ﴾ ما أكرهوا سؤاله ﴿يَتَأَيُّبُ الْأَزِيتَ﴾ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ ﴿نَظَرُ﴾ لَكُمْ سَوْءُكُمْ ﴿لَا فِيهَا مِنَ الْمَشَقَّةِ﴾ وَإِنْ تَسْتَلُوا عَنْهَا مِنْ سُرَّتْ لِقُرْءَانٍ ﴿فِي زَمَنِ النَّبِيِّ﴾ بُدِّئَ لَكُمْ ﴿الْمَعْنَى﴾ إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فِي زَمَنِ نَزْلِ الْقُرْآنِ بِإِدْبَارِهَا، وَمَتَى أَبْدَاهَا سَأَلْتُمْ؛ فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهَا؛ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ عَنْ مَسْأَلَتِكُمْ؛ فَلَا تَعُدُّوهُ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أَنبِيََاءَهُمْ؛ فَاجْبِيبُوا بَيَانَ أَحْكَامِهَا ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾ صَارُوا ﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ بِتَرْكِهَا الْعَمَلِ بِهَا.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ﴾ شَرَعَ ﴿اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَمْرٍ﴾ كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَفْعَلُونَهُ، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسْبُوحِ قَالَ: الْبَحِيرَةُ: الَّتِي يَمْنَحُ دَرَاهِمَ لِلطَّوَاغِيتِ؛ فَلَا يَحِلُّهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَالسَّائِبَةُ: الَّتِي كَانُوا يَسْبِغُونَهَا لِأَهْلِهِمْ؛ فَلَا يَحِلُّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، وَالْوَصِيَّةُ: النَّاقَةُ الْبَكْرَى؛ تَبْكُرُ فِي أَوَّلِ تَنَاجِ الْإِبِلِ بِأَنْثَى، ثُمَّ تَنْثِي بَعْدَ بَأْنَثَى، وَكَانُوا يَسْبِغُونَهَا لِلطَّوَاغِيتِ؛ إِنْ وَصَلَتْ إِحْدَاهُمَا بِأُخْرَى، لَيْسَ بَيْنَهُمَا ذَكَرٌ، وَالْحَمْرُ: فَحْلُ الْإِبِلِ يَضْرِبُ الضَّرْبَ الْمَعْدُودَ؛ إِذَا قَضَى ضَرَابَهُ وَدَعَاهُ لِلطَّوَاغِيتِ وَأَعْفُوهُ مِنْ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَسَقَمَهُ الْحَامِي ﴿وَلَكِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ فِي ذَلِكَ وَفِي نَسْبَتِهِ إِلَيْهِ ﴿وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَقُولُونَ﴾ فِي ذَلِكَ إِفْرَاءً؛ لِأَنَّهُمْ قَلَدُوا فِيهِ آبَاءَهُمْ.

أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَعَالَى الْكُفْرِ وَالسَّيِّئَةِ وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٨﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدَى وَالْقَلْبَدَى ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ذَلِيلٌ لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدَى وَالْقَلْبَدَى ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْبَجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ بَتَّاءُ إِلَى الْبَيْتِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٠١﴾ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ أَنْ بُدِّئَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنْصَبُوا بِهَا كُفْرِينَ ﴿١٠٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَمْرٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٦] ﴿أَجَلٌ لَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ - لِحَلَالِ كُنْتُمْ أَوْ مُخْرَجِينَ - صَيْدَ الْبَحْرِ أَنْ تَأْكُلُوهُ؛ وَهُوَ: مَا لَا يَعْشَى إِلَّا فِيهِ؛ كَالسَّمَكِ، بِخِلَافِ مَا يَعْشَى فِيهِ وَفِي الْبَرِّ؛ كَالسَّرَطَانِ ﴿وَطَعَامَهُ﴾ مَا يَقْدَفُهُ مَيْثًا ﴿مَتَعَالَى﴾ تَمْتِيقًا ﴿لَكُمْ﴾ تَأْكُلُونَهُ ﴿وَالسَّيِّئَةِ﴾ الْمَسَافِرِينَ مِنْكُمْ؛ يَتَزَوَّدُونَ ﴿وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ﴾ وَهُوَ: مَا يَعْشَى فِيهِ مِنَ الْوَحْشِ الْمَأْكُولِ؛ أَنْ تَصِيدُوهُ ﴿مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ فَلَوْ صَادَ حِلَالٌ فَلِلْمَحْرَمِ أَكَلُهُ. كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي السَّنَةِ^(١). ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ الْحَرَمَ ﴿فِيمَا لِلنَّاسِ﴾ يَقُومُ بِأَمْرٍ دِينِيًّا؛ بِالْحَجِّ إِلَيْهِ، وَدِيْنِيًّا؛ بِأَمْنِ دَخَلِهِ، وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لَهُ، وَجَبِي

= قال: فقال لي أبو طلحة: أخرج أهرقها، فخرجت فهرقتها، فحرت في سلك المدينة. فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأقول الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية. البخاري - كتاب المظالم (٤٦) باب (٢١) صب الخمر في الطريق.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠١): أخرج البخاري عن موسى بن أسن عن أسن رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط. قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيكم كثيراً». قال: فغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين، فقال رجل: من أي؟ قال: «أبوك فلان». فنزلت هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّبُ الْأَزِيتَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ لَكُمْ تَسْأَلُوا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة باب (١٢).

وأخرج أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاءً، فيقول الرجل من أي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأقول الله فيهم هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّبُ الْأَزِيتَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ لَكُمْ تَسْأَلُوا﴾ حتى فرغ من الآية كلها. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥) باب (١٢).

(١) روى البخاري (٢٣٨٢) ومسلم (٢٠٦٣) واللفظ له عن أبي قتادة السلماني أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحابه له محرمن وهو غير محرم فرأى حملاً وحشياً فاستوى على فرسه فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا عليه فسألهم رمحه فأبوا عليه فأخذته ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بعضهم، فأدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذلك فقال: «إنما هي طعمعة أطعمكموها الله». (٢) لابن عامر. (٣) أخرج نحوه الطبري عن أسن بن مالك وفيه (سألوه حتى أجفوه بالمسألة...) (١٢٩٧)، وعن قتادة وفيه «حتى أكرهوا ذلك»... (١٢٨٠). وأخرج البخاري (٤٢٥٦) عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاءً فيقول الرجل: من أي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ ۗ أَيْ: إلى حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿تَقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافياً ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَنَافِقَةً﴾ من الدين والشريعة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّا نَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا وَمَا نَعْتَدُ لَكُمْ إِلَّا الْآخِرَةَ﴾ إلى الحق، والاستفهام للإنكار. ﴿وَلَوْ كَانُوا يَتَّقُونَ﴾ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿أَيْ: احفظوها، وقوموا [١٠٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: احفظوها، وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: المراد: لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم؛ لحديث أبي ثعلبة الحاشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: ﴿اتَّبِعُوا بِالْغُرُوبِ﴾، وتناهاها عن المنكر؛ حتى إذا رأيت شُخْطًا مُطَاعًا وَهَوًى مُبْتِغًا وَذُنُوبًا مُؤْتَرَةً وَإِعْجَابًا كُلِّ ذِي رَأْيٍ يَرَأِيهِ؛ فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ﴾ (١) [رواه الحاكم وغيره] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ ۗ أَيْ: أسبابه ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَيْنَا ذُو عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر أي: لشهيد، وإضافة ﴿شَهِدُوا﴾ لـ «بين» على الاتساع (٢) ﴿وَمِنْ بَيْنٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ أو ظرف لـ ﴿حَضَرَ﴾ ﴿أَوْ أَخْرَجَ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: غير ملتكم ﴿إِنْ أَنْتُمْ صَرِيحُونَ﴾ سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهَا﴾ توقفونهما، صفة ﴿ءَاخِرَانَ﴾ ﴿وَمِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: صلاة العصر ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿يَاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ﴾ شكتم فيها، ويقولان: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهَا﴾ بالله ﴿ثَمَانًا﴾ عوضاً نأخذ به من الدنيا؛ بأن نحلّف به أو نشهد كذباً لأجله ﴿وَلَوْ كَانُوا مَقْسُومًا لَّوَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ لَمَّا كُنَّا فِيهَا﴾ قرأته منا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ التي أمرنا بها ﴿إِنَّا إِذَا كُنَّا مِنَ الْإِنْسَانِ﴾ [١٠٧] ﴿وَإِنْ غَيْرُكَ﴾ أطلع بعد حلفهما ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي: فعلا ما يوجب؛ من خيانة أو كذب في الشهادة؛ بأن وجدّ عندهما مثلاً ما أتتهما به وادعيا أنهما ابتاعا من الميت أو وصى لهما به ﴿فَخَافَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية؛ وهم: الورثة، ويبدل من ﴿ءَاخِرَانَ﴾ ﴿الْأَوْلِيَّيْنَ﴾ بالميت؛ أي: الأقران إليه وفي قراءة (٣) ﴿الْأَوْلِيَّيْنَ﴾ جمع أول؛ صفة أو بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين؛ ويقولان: ﴿لَمْ نَشْهَدْ لَكَ﴾ يميناً ﴿أَوْ أَصَدَقْ﴾ ومن شَهِدْتَهُمَا يمينهما ﴿وَمَا أَهْتَدَيْنَا﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ المعنى: ليُشْهَدَ المحضَرُّ على وصيته اثنين، أو يوصى إليهما من أهل دينه أو غيرهم؛ إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما؛ فأدعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعماً أن الميت أوصى له به؛ فليحلفا إلى آخره، فإن أطلع على أمارة تكذيبهما فأدعيا دافعا له؛ حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه، والحكم ثابت في الوصيين، منسوخ في الشاهدين (٤)، وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة، واعتبار صلاة العصر؛ للتغليب، وتخصيص الحلف في الآية بـ «بين» من أقرب الورثة؛ لخصوص الواقعة التي نزلت لها؛ وهي: ما رواه البخاري (٥) أن رجلاً

من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بدء - أي: وهما نصرانيان -

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ ۗ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَوْ لَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَيْنَا ذُو عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ أَخْرَجَ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرِيحُونَ فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَمْ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَانًا وَلَوْ كَانُوا ذُرِّيًّا وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظُّلُمَاتِ فَإِنْ غَيْرُكَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَخَافَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَقْرَبِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحْقًا مِنْ شَهَدْتَهُمَا وَمَا نَحْتَدِينَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظُّلُمَاتِ ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا وَيُخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿

فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جثتا من فضة مَحْوُضًا بالذهب؛ فرعوا إلى النبي ﷺ؛ فنزلت؛ فأحلفهما؛ ثم وجدّ الجام بمكة؛ فقالوا: ابتعنا من تميم وعدي؛ فنزلت الآية الثانية؛ فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا، وفي رواية الترمذي (١)؛ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه، وفي رواية: فمرض؛ فأوصى إليهما؛ وأمرهما أن يُبْلِغَا ما ترك أهله؛ فلما مات أحذا الجَمَّ ودَفَعَا إلى أهله ما بقي.

[١٠٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور؛ من رَدِّ اليمين على الورثة ﴿أَذَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي: الشهود أو الأوصياء ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أَوْ﴾ أقرب إلى أن ﴿يُخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ على الورثة المدعين؛ فيحلفون على خيانتهم وكذبهم؛ فيفتضحون ويغرمون؛ فلا يكذبوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبولي ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير (٢).

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠٦ - ١٠٨): أخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ؛ قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدء؛ فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما =

(١) لم أجده عند الحاكم، ورواه الترمذي (٢٩٨٤) وأبو داود (٣٧٧٨) وابن ماجه (٤٠٠٤) وضعفه الألباني لكن بعضه صحيح. صحيح وضعيف الجامع (٢٣٤٤)، ضعيف الترغيب والترهيب (١٨٤٦).

(٢) أي: التسمع والتجوز، وأضيفت إلى «البين» ولم تنصف إلى «الأموال»؛ لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين، والأصل فيه «شهادة بينكم»؛ أي فرض عليكم أن يشهد الوصية بينكم اثنان؛ فحذف المفعول به، وأضيفت الشهادة إلى الطرف، وهو المسمى عند النحويين بالمفعول على السعة. (٣) محررة وشعبة. (٤) أي: عند من يشترط في الشهود الإسلام ولو عند فقد المسلمين، وأما من لم يشترط فلا نسخ عنده. (٥) البخاري (٢٧٨٠). (٦) أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) سورة المائدة. [ضعيف الإسناد جليل]، [ضعيف سنن الترمذي (٥٨٦)].

لهم توييحاً لقومهم: ﴿مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿أَجْتَدُّ﴾ به حين دعوتهم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عِزَّ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْعُلُوبِ﴾ ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه، لشدة هول يوم القيامة؛ وفرغهم، ثم يشهدون على أمهم لما يسكنون.

[١١٠] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَقِلْ وَادَّبْكَ﴾ بشكرها ﴿إِذْ آتَيْنَاكَ﴾ قُوَّتِكَ ﴿يُرِجُ الْقَدْسِ﴾ جبريل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف في ﴿آتَيْنَاكَ﴾ ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وَكَهَلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة؛ لأنه رُفِعَ قبل الكهولة. كما سبق في آل عمران.. ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ نَحْنُ مِنَ الطَّيِّبِينَ كَهَيْئَةٍ﴾ كصورة ﴿الطَّيِّبِ﴾ والكاف؛ اسم بمعنى: مثل، مفعول ﴿بِإِذْنِي فَتَنْفَعُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيِّبًا بِإِذْنِي﴾ يرادني ﴿وَنُزِجْنَا السَّمْعَ وَالْأَنْزَالَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ نَحْنُ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ حين هُمُوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وفي قراءة: ﴿سَاجِرٌ﴾^(١) أي: عيسى.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِ﴾ ورسولي ﴿عِيسَى﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِمَا ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

[١١٢] اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَطِيعُ﴾ أي: يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ وفي قراءة: بالفوقانية ونصب ما بعده^(٢)؛ أي: تقدر أن تسأله ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قَالَ لَهُمْ عِيسَى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في اقتراح الآيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَ﴾ تسكن ﴿قُلُوبَنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ﴾ نرداد علماً ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة ﴿وَنُكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾^(٣) إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْعُلُوبِ ﴿١٠٨﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَقِلْ وَادَّبْكَ إِذْ آتَيْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدْسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ نَحْنُ مِنَ الطَّيِّبِينَ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَعُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيِّبًا بِإِذْنِي وَنُزِجْنَا السَّمْعَ وَالْأَنْزَالَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُومُومِينَ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِى وَرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

[١٠٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾

بتركنه فقدوا جاماً من فضة مخوفاً من ذهب، فأحفظها رسول الله ﷺ ثم وجد الجم بمكة، فقالوا: اجعنا من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجم لصاحبهم. قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يُنَادِيا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ إِنَّا حَصَرْنَاكُمْ بِبَيْتِكُمْ إِذَا حَصَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾. البخاري كتاب الوصايا (٥٥) باب (٣٥).

(١) لحمزة والكسائي.

(٢) أي: ﴿نَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ وهي قراءة الكسائي.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبِّيهِمْ يَعْدُلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَستَهْزِئُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ
مَا لَهُمْ مِنْكُمْ لَكُمُ وَارْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ فِطْرًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَامْسُوه بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَابٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

الشيخ^(١) في سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خصهما بالذكور؛ لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي: كل ظلمة ونور، وجمعها^(٢) دونه؛ لكثرة أسبابها، وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿رَبِّيهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ يسوون غيره في العبادة.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِنْدَهُ﴾ لبعثكم ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تُشْكُونَ في البعث بعد علمكم أنه ابتداء خلقكم، ومن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر.

[٣] ﴿رَبُّهُمُ اللَّهُ﴾ مستحق للعبادة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من خير وشر.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا يَستَهْزِئُونَ﴾.

[٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾ خبرية؛ بمعنى كثيرة ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمّة من الأمم الماضية ﴿مَكَّنَّهِمْ﴾ أعطيناهم مكانًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَرُّ شُكْنٍ﴾ نعط ﴿لَكُمْ﴾ فيه، التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ المطر﴾ عليهم ﴿مِدْرَارًا﴾ متتابعًا ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مسابغهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

[٧] ﴿لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوبًا ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ رق؛ كما اقترحوه ﴿فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من «عابونه»؛ لأنه أنقى للشك ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إن ﴿ما﴾ هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ تمعنا وعنادا.

[٨] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ﴾ كما اقترحوه؛ فلم يؤمنوا ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ يهلون لنوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم؛ من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[مكية*] إلا: ﴿رَبُّهُمُ اللَّهُ﴾ الآيات الثلاث، وإلا: ﴿قُلْ تَسَاءَلُوا﴾ الآيات الثلاث، وهي: مائة وخمس، أو: وست وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو: الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الشاء به أو هما؟ احتمالات، أفيدها الثالث، قاله

(٥) فائدة: تفسيم الشور إلى مكّيّة ومدنيّة، وتكون الشورة كلها مكّيّة أو مدنيّة إما هو الأعلب الأعم في شور القرآن، ذلك أنه قد وردت آيات مدنيّة في شور مكّيّة والعكس على وجه القلّة، وسبب ذلك ما نفّز بأن ترتيب الآيات توقيفي بالإجماع كما تقدّم، قال ابن حجر *تكملة*: وقد اعتنى بعض الأئمّة ببيان ما نزل من الآيات بالمدنية في الشور المكّيّة... إلى أن قال: *ووأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكّة، تأخر نزول تلك الشورة إلى المدينة فلم أره إلا نادرا.* والاستثناء المذكور مشهور في تحبّ القراء ومثبت في المصاحف، وثبوت وقوعه دلّت عليه الأدلّة، لكن هل يُقبل كل ما يُذكر من الاستثناء، أم لا بدّ من النظر فيه؟ ذهب المحققون من أهل التفسير إلى أنه لا يصحّ الاستثناء إلا بتبليغ لأنه يخلط الأصل. ولا يجوز القُدُولُ عن هذا الأصل إلا بتبليغ صحيح صريح. قال ابن الحصار في نظيه للسور المكّيّة والمدنية:

وذا الذي احتفظت فيه الزوّاة له
وما سوى ذلك مكّيّ تنزله
فليس كلّ خلاف جاء مفتريا
إلا خلاف له حطّ من الشطر
وقد تكبّع السوطيّ *تكملة* ما قبل باستثناءه وذكر الأدلّة على ذلك مختصرا في كتابه الإتيان.

(١) أي: الحلال المحلي.
(٢) أي: الظلمة.

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: المنزل إليهم ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صورته؛ ليتمكنوا من رؤيته؛ إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿وَوَلَّى لُو أَنْرُلَاهُ وَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ ﴿لَلْبَشَانَا﴾ شَبَهْنَا ﴿عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ على أنفسهم؛ بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَقَّ﴾ نزل ﴿بِالْبَيِّنَاتِ سَجْرًا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَوَسَّوْنَ﴾ يستهزئون؛ وهو: العذاب؛ فكذا يحق بمن استهزأ بك.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ الرسل؛ من هلاكهم بالعذاب؛ ليعتبروا.

[١٢] ﴿قُلْ لَئِن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلُوبٌ لَّيَعْلَمْنَ مَا لَمْ يَقُولُوا؛ لَا جِوَابَ غَيْرِهِ﴾ ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(١) ﴿قَضَى عَلَى نَفْسِهِ﴾ ﴿الرَّحْمَةَ﴾ ﴿فَضَلَا مِنْهُ﴾ وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَبَّ سِوَاكَ﴾ شك ﴿فِيهِ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب، مبتدأ، خبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَهُ﴾ - تعالى - ﴿مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: كل شيء؛ فهو ربه وخالقه ومالكة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعل.

[١٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَعْبَدُوا اللَّهَ الَّذِي أَحْتَدِ وَيَأْتِي﴾ أعبدوه ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُعَلِّمُ﴾ يُزَوِّقُ ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ يُزَوِّقُ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ من هذه الأمة ﴿وَوَيْلٌ لِّمَنِ الْوَاقِعَةُ﴾ لا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾ هو: يوم القيامة.

[١٦] ﴿مَنْ يُصِرِّفْ﴾ بالبناء للمفعول؛ أي: العذاب، وللفاعل^(٢)؛ أي: الله، والعائد: محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمْتَهُ﴾ - تعالى؛ أي: أراد له الخير^(٣) ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ النجاة الظاهرة.

[١٧] ﴿وَإِنْ يَمَسُّنَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كمرض وفقر ﴿فَلَا كَافِرٌ يَخَفُ﴾ رافع ﴿لَهُ؛ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّنَّكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وعتى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلْبَشَانَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَجَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَوَسَّوْنَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لَمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلُوبٌ لَّيَعْلَمْنَ مَا لَمْ يَقُولُوا؛ لَا جِوَابَ غَيْرِهِ ﴿١٢﴾ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ ﴿١٣﴾ قَضَى عَلَى نَفْسِهِ ﴿١٤﴾ الرَّحْمَةَ ﴿١٥﴾ فَضَلَا مِنْهُ ﴿١٦﴾ وَفِيهِ تَلَطُّفٌ فِي دَعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ ﴿١٧﴾ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١٨﴾ لِيَجْزِيَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ﴿١٩﴾ لَا رَبَّ سِوَاكَ ﴿٢٠﴾ فِيهِ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿٢١﴾ بِتَعْرِيفِهَا لِلْعَذَابِ، مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿٢٢﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴿٢٣﴾ مَا يَقَالُ ﴿٢٤﴾ الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾ بِمَا يَفْعَلُ. ﴿٢٦﴾ لَمَّا سَأَلْتُهُمْ عَنِ الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُمْ تُبَدِّعُونَ فِي الْأَرْضِ قُلْتُمْ لَا نَعْلَمُ لَقَدْ كُنَّا أَهْلَ آبَاءٍ وَأَبْنَاؤُا وَمَنْزِلَ الْجِبَالِ كَوْنًا ﴿٢٧﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٨﴾ مَنْ يُصِرِّفْ عَنَّا يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمْتَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ يَمَسُّنَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَافِرٌ يَخَفُ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّنَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣١﴾

قَدِيرٌ ومنه تشك به؛ ولا يقدر على رده عنك غيره.

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ القادر^(٤)؛ الذي لا يعجزه شيء مستعليا^(٥) ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بيواطنهم؛ كظواهرهم.

(١) وفيها إثبات صفة الكتابة له - سبحانه - كما سبق التنبيه عليه.

(٢) قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) هنا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إثبات ما أثبتته الله لنفسه على ما يليق به سبحانه.

(٤) قال ابن جرير: ﴿الْقَاهِرُ﴾: الْمَلِكُ الْمُتَعَبَّدُ خَلْقَهُ الْعَالِي عَلَيْهِمْ. وقال ابن كثير: هو الذي خضعت له الرقاب، وَذَلَّتْ له الجبابرة، وَعَثَّتْ له الوجوه، وَفَقَرَ كل شيء.

(٥) وهذا تأويل لصفة الفوقية، وهو مذهب المؤولة الذين ينفون عن الله علو الذات، وهو - سبحانه - له علو الذات وعلو الشأن وعلو القهر.

الأصنام.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ عَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمدًا؛ بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^{٥٤}.

[٢١] ﴿رَمَنَ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطْلَمَ مِنِّي أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يَفْلِحُ الْظَالِمُونَ﴾ بذلك. ﴿وَمَا أَذَكَرَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخًا: ﴿إِن شِرْكًا لَكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء الله.

[٢٢] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ بالباء والياء^(٥٥) ﴿فَتَنَّتُهُمْ﴾ بالنصب والرفع^(٥٦)؛ أي: معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قولهم ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾ بالجر: نعمت، والنصب^(٥٧) نداء ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٥٨).

[٢٣] قال - تعالى -: ﴿أَنْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَوَضَّلَ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ تَمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ له على الله من شركاء.

[٢٤] ﴿وَمَنَّهُمْ مَن يَسْتَعِزُّ بِآبِكَ﴾ إذا قرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية لهم ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وَوَفَىٰ مَا آدَابُهُمْ وَقُرْآنًا﴾ صمما؛ فلا يسمعون سماع قبول ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا مَّا يُؤْمِنُ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كالأصاحب والأعاجيب، جمع أسطورة، بالضم.

[٢٥] ﴿وَمَعَهُمُ يَهُودٌ﴾ الناس ﴿عَنَّهُمْ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَنَسَبَتُوا﴾ يتباعدون ﴿عَنَّهُمْ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب كان ينهى عن آذاه ولا يؤمن به^(٥٩).

[٢٦] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَهْتَكِرُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يُفْطِنُونَ﴾ عرضوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَلنَّبِيِّ﴾ لنتيبه ﴿أَيْنَمَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا تُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَلَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ برفع الفعلين استئنافًا، ونصبهما في جواب التمني، ورفع الأول ونصب الثاني^(٦٠)، وجواب «لو» لرأيت أمرًا عظيمًا.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ لَشَاهِدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَإِنِّي بِرِئَءِ مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَالَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا يَشْرِكُوا الَّذِينَ كُنتُمْ تُزْعِمُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّتُهُمْ بِآيَاتِنَا أَلَّا قَالُوا إِنَّ اللَّهَ رَبَّنَا وَمَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٢﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنَهُمْ مَن يَسْتَعِزُّ بِالَّذِي وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفَىٰ مَا آدَابُهُمْ وَقُرْآنًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا مَّا يُؤْمِنُ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ وَهُمْ يَهْتَوُونَ عَنْهُ وَيَسْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُفْقَرُونَ عَلَى النَّارِ فَمَا قَالُوا بَلَيْتْنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾

[١٩] ونزل - لما قالوا للنبي ﷺ: اثنا من يشهد لك بالنبوة؛ فإن أهل الكتاب أنكروا^(٦١) -: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ تمييز محوّل عن المبتدأ ﴿قُلْ﴾ الله ﴿إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره؛ هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿بِهِ﴾ وبه ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ عطفت على ضمير «أنذركم»؛ أي: بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿أَتَيْتُكُمْ لَشَاهِدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ﴾ استنفاهاً إنكاري ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَإِنِّي بِرِئَءِ مَا تَشْكُرُونَ﴾ معه من

(٥٤) فائدة: أخرج البخاري عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ؛ قال: ... ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، ﴿وَاللَّهُ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقد كتموا في هذه الآية... فقال: ... أما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: «ما كنا مشركين»، فحتم على أفواههم، فتنتطق أيديهم؛ فنندغدغ عرف الله لا يكتم حديثًا، وعنده ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا أَرْسُولَ لَوْ شِئْنَا لَوْ شِئْنَا لَمَّا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥). سورة فصلت (٤١) الترجمة.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي، والكلبي كذاب.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالنصب قراءة نافع وحمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالنصب قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أخرج نحوه الفريابي وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وواقعه الذهبي. وحسنه صاحب الاستيعاب بمجموع طرقه (١٣٢/٢)، وأخرج نحوه أيضًا ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن القاسم بن مخيمرة [والدر المنثور (١٥/٣)].

(٦) بالرفع ثم النصب قراءة ابن عامر، وبالرفع في الفعلين قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

[٢٨] قال - تعالى :- ﴿بَلْ لِلْإِضْرَابِ^(١) عَنِ إِزَادَةِ الْإِيمَانِ الْمَفْهُومِ مِنَ التَّمْنِي «بَدَأَ» ظَهَرَ «لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْتَمُونَ مِنْ قَبْلِ» يَكْتُمُونَ بِقَوْلِهِمْ: «وَاللَّهُ رَيْبًا مَا كُنَّا مُتَّكِرِينَ» بِشَهَادَةِ جَوَارِحِهِمْ؛ فَضَمُّوا ذَلِكَ «وَلَوْ رُذُّوا» إِلَى الدُّنْيَا فَرْضًا «لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ» مِنَ الشَّرِكِ «وَأَيُّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فِي وَعْدِهِمْ بِالْإِيمَانِ.

[٢٩] ﴿وَقَالُوا هِيَ أَيُّ مَنْكُرٍ الْبَعثِ: «إِنْ» مَا «هِيَ» أَيُّ: الْحَيَاةِ «إِلَّا حَيَاتِنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ».

[٣٠] ﴿وَلَوْ رَيَّبْنَا إِنْهُ وَفُؤُوا» عَرَضُوا «عَلَى رَبِّهِمْ» لَرَأَيْتُمْ أَمْرًا عَظِيمًا «قَالَ» لَهُمْ عَلَى لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ تَوْبِيحًا: «أَلَيْسَ هَذَا» الْبَعثُ وَالْحِسَابُ «بِالْحَقِّ» قَالُوا بَلَى وَرَبِّيَ» إِنَّهُ لِحَقٌّ «قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» بِهِ فِي الدُّنْيَا.

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ» بِالْبَعثِ «حَتَّى» غَايَةَ لِلْكَذِبِ «إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ الْغَيَامَةُ» بِمَنْقَطِهِمْ «فَجَاءَهُ» قَالُوا «يَحْسِرُنَا» هِيَ شِدَّةُ النَّالِمِ، وَنَدَاؤُهَا مَجَازٌ؛ أَيُّ: هَذَا أَوْنَاكَ فَاحْضِرِي «عَلَى مَا فَرَقْنَا» قَضَرْنَا «فِيهَا» أَيُّ: الدُّنْيَا «وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ» بِأَنْ تَأْتِيَهُمْ عِنْدَ الْبَعثِ فِي أَفْبَحِ شَيْءٍ صَوْرَةً، وَأَنْتَهُ رَيْحًا؛ فَفَرَكِبَهُمْ «أَلَا سَاءَ» بِس «مَا يَرُورُونَ» يَحْمِلُونَهُ حَمْلَهُمْ ذَلِكَ.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» أَيُّ: الْإِشْتِغَالُ بِهَا «إِلَّا لُيُبٌ وَلَهْوٌ» وَأَمَّا الطَّاعَةُ وَمَا يَبِينُ عَلَيْهَا مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ «وَاللَّذَارُ الْآخِرَةُ» وَفِي قِرَاءَةٍ^(٢): «وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ» أَيُّ: الْجَنَّةِ «خَيْرٌ لِمَنْ يَتَّقُونَ» الشَّرِكِ «أَفَلَا يَعْقِلُونَ» بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ^(٣)، ذَلِكَ فَيُؤْمِنُونَ.

[٣٣] ﴿قَدْ» لِلتَّحْقِيقِ^(٤) «تَعَلَّمَ إِنَّهُمْ» أَيُّ: الشَّانُ «لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ» لَكَ مِنَ التَّكْذِيبِ «فَأَنْتُمْ لَا تَكْذِبُونَ» فِي السَّرِّ لَعَلَّهُمْ أَنْتَ صَادِقٌ، وَفِي قِرَاءَةٍ بِالْخَفِيفِ^(٥)؛ أَيُّ: لَا يَسْبُونَكَ إِلَى الْكُذْبِ «وَلَكِنَّ الْفَالِغِينَ» وَضَعَهُ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ «يَايَتِ اللَّهِ» الْقُرْآنِ «يَحْضَدُونَ» يَكْذِبُونَ.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ» فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ «فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآذُوا» حَتَّى أَنْهَمُ نَصْرًا» لِإِهْلَاكِ قَوْمِهِمْ؛ فَاصْبِرْ حَتَّى يَأْتِيَكَ النُّصْرُ لِإِهْلَاكِ قَوْمِكَ «وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» مَوَاعِيدِهِ^(٦) «وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِكَ الْمُرْسَلِينَ» مَا يَسْكُنُ بِهِ قَلْبِكَ.

بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْتَمُونَ مِنْ قَبْلِ وَرُذُّوا وَالْعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَأَنْهَمُ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ ذُوقُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّيَ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَعَثَهُ قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَقْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرُورُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُيُبٌ وَلَهْوٌ وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ تَعَلَّمَ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهِ يَحْضَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآذُوا حَتَّى آتَاهُمُ نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِكَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَاتَّبِعْهُمْ بِأَيَّةٍ وَوَشَّاءَ اللَّهُ لَجَمْعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

[٣٥] ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ» عَظُمَ «عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ» عَنِ الْإِسْلَامِ؛ لِحِرْصِكَ عَلَيْهِمْ «فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا» سِرًّا «فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا» مَصْعَدًا «فِي السَّمَاءِ فَاتَّبِعْهُمْ بِأَيَّةٍ» مِمَّا اقْتَرَحُوا فَاغْفِرْ؛ الْمَعْنَى: أَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؛ فَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ» هِدَايَتَهُمْ «لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى» وَلَكِنْ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ؛ فَلَمْ يُؤْمِنُوا «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ» بِذَلِكَ.

(هـ) فائدة: دخول «قد» على الفعل المضارع من «علم» جاء في ستة مواضع في القرآن الكريم، قال ابن هشام في كتابه «معنى اللبيب عن كتب الأعريب»: «... المعنى الثالث من معاني «قد»: التقليل، وهو ضربان: تقليل وقوع الفعل نحو: «قد يصدق الكذوب»، وقد يجرد البخيل»، وتقليل متعلقه نحو قوله تعالى: «قَدْ بَعَثْنَا مَا أُشْرَفْنَا عَلَيْهِ» أَيُّ: مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ هُوَ أَقْلُ مَعْلُومَاتِهِ سَبْحَانَهُ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ لِلتَّحْقِيقِ. اهـ. وقد أخذ الجلالان؛ المحلي والسيوطي بقول هذا البعض؛ إنهما للتحقيق لا للتقليل في هذه المواضع على خلاف القاعدة.

(١) أَيُّ: الْإِبْطَالِي؛ وَالْمَعْنَى: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا: مِنْ أَنْهَمُ لَوْ رُذُّوا لِأَمْنًا.

(٢) لِابْنِ عَامِرٍ.

(٣) بِالْبَاءِ، قِرَاءَةُ حِمْرَةَ وَالْكَسَائِي وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَشُعْبَةُ.

(٤) لِلنَّفْعِ وَالْكَسَائِي.

(٥) الْمُرَادُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ هُنَا مَا كَتَبَهُ النَّصْرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِعِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَعَدَهُ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ. وَمِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ تَجَلُّقٌ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ.

بالتشديد والتخفيف^(١) ﴿أَيَّةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
أن نزولها بلائاً عليهم؛ لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

[٣٨] ﴿وَمَا مِنْ ذَاذِبَةٍ﴾ زائدة ﴿ذَاذِبَةٍ﴾ تمشي في الأرض ولا طائر يطير في
الهواء ﴿يَحْتَجِبُ إِلَّا أُمَّ أُمَّاتِكُمْ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَا
فَرَقْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِنْ ذَاذِبَةٍ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فلم
نكتبه ﴿ثُمَّ لِي رَبِّهِمْ مُحَشَّرَاتٌ﴾ فيقضي بينهم، ويقصص للجماع من القرناء،
ثم يقول لهم: كونوا تراثاً.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿صُدُّوا﴾ عن سماعها سماع قبول
﴿وَبِكُمْ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿مَنْ يَسْأَلِ اللَّهَ﴾ إضلاله
﴿بِضَلِيلَةٍ وَمَنْ يَسْأَلِ﴾ هدايته ﴿بِجَعَلَهُ عَلَنَ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَوِيرٍ﴾ دين
الإسلام.

[٤٠] ﴿فَلِ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَنْتُمْ
عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ﴾ القيامة المشتملة عليه بغته
﴿أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم
فادعوها.

[٤١] ﴿بَلِ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ
إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضّر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كشفه ﴿وَنَسُونَ﴾
تتركون ﴿مَا كُنْتُمْ كُونَ﴾ معه من الأصنام؛ فلا تدعونه.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ﴾ زائدة ﴿فَبِئْسَ﴾ رسلاً فكذبوهم
﴿فَأَخَذْتَهُمْ بِالْأَسْأَةِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ﴾
يتذللون فيؤمنون.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم
يفعلوا ذلك مع قيام المقضي له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تزل للإيمان
﴿وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي؛ فأصروا عليها.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا سَوَّأُ﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وُعظوا وُخُوْفُوا ﴿يَدِي﴾ من
البأساء والضراء؛ فلم يعظوا ﴿فَتَحَنَّنَّا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢) ﴿عَلَيْهِمْ
أَيُّوبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾
فَرِحَ بَطَرٍ ﴿أَخَذْتَهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْتَلُونَ﴾ آيسون
من كل خير^(٣).

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَهُمُ اللَّهُ قَدْ أَلِيَهُ
يُرْجَعُونَ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِنْ ذَاذِبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّ أُمَّاتُكُمْ
مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا آيَاتِنَا صُمُّوا وَبُكْرٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ
اللَّهُ يُضَلِّلهُ وَمَنْ يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ
تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلِ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَنَسُونَ مَا كُنْتُمْ كُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْتَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى
إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْتَلُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع
تفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَى﴾ أي: الكفار، شبههم به في عدم السماع ﴿يَبْعُهُمُ﴾
اللَّهُ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يردون؛ فيجازيهم بأعمالهم.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ
رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ﴾

(٥) فالدة: أخرج أحمد عن عتبة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيَةٍ مَا يَجِبُ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا سَوَّأُ مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْتَلُونَ﴾. مسند أحمد (١٤٥/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١).

(١) بالتخفيف، ولازمه سكون النون، قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالتشديد قراءة ابن عامر.

[٤٥] ﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخرهم؛ بأن استوصلوا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين.

[٤٦] ﴿قُلْ لَأَهْلَ مَكَّةَ﴾ أي: أرضهم ﴿أخبروني﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أي: سمعكم ﴿وَأَبْصَرَكُمْ﴾ أي: أبصركم ﴿أَعْمَانَكُمْ﴾ أي: وعظمتكم ﴿وَوَحَمَّ﴾ أي: وطبع ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: فلا تعرفون شيئاً ﴿مَنْ إِلَهُ عِزِّ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ يَوْمَ﴾ أي: بما أخذه منكم؛ برعكم ﴿أَنْظُرَ كَيْفَ نَصْرَفُ نُبُيْنُ﴾ أي: الآيات ﴿الدَّلالات على وحدانيتنا ﴿نَعَمْ هُمْ يَصِدُقُونَ﴾ أي: يقرضون عنها؛ فلا يؤمنون.

[٤٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ أي: أرضهم ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً﴾ أي: ليلاً أو نهاراً ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون؛ أي: ما يهلك إلا هم.

[٤٨] ﴿وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ أي: من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ أي: من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ أي: بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أي: عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: في الآخرة.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمَهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: يخرجون عن الطاعة.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ أي: لا أقول لكم عندي خزائن الله التي منها يوزق ﴿وَلَا إِنِّي﴾ أي: أعلم الغيب ﴿مَا غَاب عَنِّي وَلَمْ يُوْحِ إِلَيَّ﴾ أي: ولا أقول لكم إنِّي ملكٌ من الملائكة ﴿إِنْ﴾ أي: ما أتيتُ إلا ما يوْحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الظَّالِمُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ؟ لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: في ذلك فتؤمنون.

[٥١] ﴿وَأَنْذِرْ﴾ أي: خوفٌ ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسَرُوا﴾ أي: إلى ربهم ليس لهم من دونه شيء؛ أي: غيره ﴿وَالَّذِينَ يَنْصَرِمُونَ﴾ أي: ولا شفيع لهم، وجملة النفي: حالٌ من ضمير ﴿يُحْسَرُوا﴾؛ وهي محل الخوف، والمراد بهم: المؤمنون العاصون ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: الله؛ بإقلاعهم عما هم فيه، وعمل الطاعات.

[٥٢] ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْئِ يُرِيدُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: وتعالى - لا شيئاً من أعراض الدنيا؛ وهم: الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردوهم؛ ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك؛

فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَوَحَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ عِزِّ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصِدُقُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمَهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٠﴾ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِ اتَّبَعِ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْئِ يُرِيدُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَجَهْرَةً - تَعَالَى - لَا شَيْئًا مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا وَهُمْ: الْفُقَرَاءُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ طَعَنُوا فِيهِمْ وَطَلَبُوا أَنْ يَطْرُدُوهُمْ؛ لِجَالِسُوهُ، وَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ؛

طمعاً في إسلامهم^(١) ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ زائدة ﴿وَمَنْ﴾ إن كان باطنهم غير مريض ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلت ذلك.

(١) أخرج نحو ذلك مسلم (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقاص.

[٦٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِأَنفُسِكُمْ يَاقِيلُ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿وَيَسْأَلُ مَا جَرَحْتُم بِكِسْفٍ﴾ بالنهار ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ أَي: النهار؛ يرزق أرواحكم ﴿لِيُقَضَّىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو: أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُبْعَثُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٦١] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ مستعليا^(١) ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة؛ تحصى أعمالكم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ وفي قراءة: ﴿تَوَفَّاهُ﴾^(٢) ﴿رُسُلَنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون به.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوهُ﴾ أَي: الخلق ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ﴾ مالكهم ﴿الْحَقِّ﴾ الثابت العدل؛ ليجازيهم ﴿أَلَا لَهُ الْكُفُومُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسْرِعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهارٍ من أيام الدنيا؛ لخديث^(٣) بذلك.

[٦٣] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَنْ يُبْغِضِكُمْ مِنْ ظَلَمَتِ الْبَرِّ وَالْأَنْبِيَاءِ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿تَدْعُونَهُمْ قَضَاءً﴾ علانية ﴿وَحَقِيقَةً﴾ سرا؛ تقولون: ﴿لَيْنٌ﴾ لام قسم ﴿أَتَيْتَنَا﴾ وفي قراءة: ﴿أَتَيْتَنَا﴾^(٤) أَي: الله ﴿وَمِنْ هَذِهِ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ المؤمنين.

[٦٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ يُبْغِضِكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿بَيْنَهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ غم سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُنْفِرُونَ﴾ به.

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ فَوْقِكُمْ﴾ من السماء؛ كالخجارة والصبحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يُخْلِطُكُمْ ﴿شَيْعًا﴾ فرقا مختلفة الأهواء ﴿وَيُؤَيِّنُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال، قال البخاري^(٦) لما نزلت: «هَذَا أَهْوَاؤُهُمْ وَأَيْمُهُمْ»، ولما نزل ما قبله: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» [رواه البخاري]^(٧)، وروى مسلم حديث: «سَأَلْتُ رَبِّي أَلَا يُجْعَلُ بَأْسُ أُمَّتِي بَيْنَهُمْ؛ فَمَنْعَتِيهَا»^(٨)، وفي حديث: «لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ: أَمَّا إِنَّهَا كَاتِبَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدَهُ»^(٩) ﴿أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرَفُ﴾ نيين لهم ﴿أَلَايَتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْفَهُوكم﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل.

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿قَوْمَكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصدق ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَسَأْتِ عَلَيْكُمْ يَوْكِيلَ﴾ فأجازيكم، إنما أنا مُثَدِّرٌ، وأمركم إلى الله. وهذا قبل الأمر بالقتال ..

[٦٧] ﴿لِكُلِّ نَبَلٍ﴾ خير ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ وقت يقع فيه ويستقر، ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد لهم.

(١) سبق الرد على ما ذهب إليه المفسر من تأويل هذه الصفة وبيان مذهب السلف فيها.

(٢) حمزة.

(٣) سبق بيان أن هذا سبق قلم من السيوطي رحمته الله، وأن الحساب يقع في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة وليس أيام الدنيا. راجع تفسير آية (٢٠٢) من سورة البقرة.

(٤) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٦) البخاري (٤٦٢٨) عن جابر بن عبد الله مرفوعا.

(٧) مسلم (٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا.

(٨) رواه الترمذي (٢٩٩٢) وأحمد (١٣٨٧) ونعيم بن حماد في الفتن وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا [الدر المنثور (٣٢/٣)] وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن

الترمذي (٥٩٢).

(٩) بفتحها قراءة ابن عامر.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَضَّىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهو القاهر فوق عبادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرِعُ الْحِسَابِ قُلْ مَنْ يُبْغِضِكُمْ مِنْ ظَلَمَتِ الْبَرِّ وَالْأَنْبِيَاءِ وَتَضَرَعَا وَخَفِيَةً لِيَنْجِدَنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلْ اللَّهُ يُبْغِضِكُمْ مِمَّا مِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شَيْعًا وَيُؤَيِّنُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرَفُ الْأَيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبَاٍ مُسْتَقَرٍّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن؛ بالاستهزاء ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ وإمَّا ﴿فيه إدغام نون﴾ الشرطية في «ما» المزيدة ﴿بُنسِيَنَّكَ﴾ بسكون النون والتخفيف، وفتحها والتشديد^(١) ﴿الْشَّيْطَانُ﴾ فقعدت معهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ أَي: تذكرة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمَر.

عليهم ﴿ذَكَرْنِي﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض.
 [٧٠] ﴿وَدَّرَ﴾ اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم﴾ الذي كلفوه ﴿لِعِبَادٍ﴾
 ولهم ﴿بِاسْتِزْهَاتِهِمْ بِهِ﴾ واستزهاؤهم به ﴿وَعَزَّزْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم - وهذا
 قبل الأمر بالقتال ﴿وَذَكَّرَ﴾ عظم ﴿بِهِ﴾ بالقرآن الناس ل ﴿أَنْ﴾ لا
 ﴿يُبْسَلُ نَفْسٌ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
 دُونِ اللَّهِ أي: غيره ﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب
 ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كَعَدْلٍ نَقْدٌ كُلُّ فِدَاءٍ﴾ لا يؤخذ بها ما تفدي به
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية
 الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] ﴿قُلْ أَدْعُوهُ﴾ أعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾
 بتركها؛ وهو: الأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ﴾
 إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ أَضْلَتُهُ﴾ الشَّيْطَانِ فِي
 الْأَرْضِ حَيْرَانٌ متحيرا؛ لا يدري أين يذهب، حال من: الهاء (١) ﴿لَهُ﴾
 أَصْحَابٌ رُفَقَةٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَي: ليهدوه الطريق؛ يقولون له:
 ﴿أَتَيْتْنَا﴾ فلا يجيبهم؛ فيهلك، والاستفهام (٢): للإنكار، وجملة التشبيه:
 حال من ضمير ﴿نُرَدُّ﴾ ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ هُوَ﴾
 الْهُدَى وما عداه ضلال ﴿وَأَمْرُنَا لِنُسَلِّمَ﴾ أَي: بأن نسلم ﴿لِرَبِّ﴾
 الْمَلَكِيِّتِ.

[٧٢] ﴿وَأَنْ﴾ أَي: بأن ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةَ﴾ - تعالى - ﴿وَهُوَ﴾
 الَّذِي إِلَيْهِ تُحْتَشَرُونَ ﴿تجمعون يوم القيامة؛ للحساب.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: محققا.
 ﴿وَمَنْ يَذُكَّرْ﴾ يوم يقول للشيء: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ هو: يوم القيامة؛
 يقول للخلق: قوموا؛ فيقوموا. ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ﴾
 الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ القرن؛ النفخة الثانية من إسرافيل، لا ملك فيه
 لغيره ﴿لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٤) ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما
 شوهد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿تَلْفِيزٌ﴾ بباطن الأشياء كظواهرها.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ
 ذَكَرْنِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَدَّرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ
 لِعِبَادٍ وَلَهُمْ وَعَزَّزْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَّرْتَهُمْ أَن
 يُبْسَلُ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ
 وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ فِدَاءٍ مَنَّمَا أُوتِيَتْكَ
 الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابًا مِنْ حَمِيمٍ
 وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوهُمْ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ
 هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ
 حَيْرَانٌ لَهُ وَأَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْتْنَا إِنْ
 هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرُنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ
 أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْتَشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ
 فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

[٦٩] وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في
 المسجد وأن نطوف؛ فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (١) الله ﴿مِنْ﴾
 حِسَابِهِمْ أَي: الخاضعين ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالسوه ﴿وَلَكِنْ﴾

(١) ذكر البغوي عن ابن عباس نحوه (١٥٥/٣).

(٢) أي: الضمير في: ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾.

(٣) في قوله: ﴿أَدْعُوهُمْ﴾.

(٤) غافر: ١٦.

[٧٤] ﴿وَإِذْ قَالُوا لَنْبَاهِيهِمْ لَأَبِيهِمْ أَرَادَ﴾ هو: لقبه واسمه: تارخ^(١) ﴿أَنْتَجِدُ أَصْنَامًا إِلَهَةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ﴾ باتخاذها ﴿فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ﴾ مُبِينٌ ﴿بَيْنَ﴾

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما أربناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ السُّؤْمِيَيْنِ﴾ بها، وجملة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وما بعدها: اعتراض وعطف على ﴿قَالَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَزَّ أَظْلَمُ﴾ عَلَيْهِ أَيْل رَا كَوْنًا ﴿قِيلَ﴾: هو الزُّهْرَةُ ﴿قَالَ﴾ لقومه - وكانوا نجّامين -: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِيَّةَ﴾ أن أخذهم أرباباً؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال^(٢)؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَا الْقَمَرَ بَارِعًا﴾ طالفا ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَذَا رَبِّي فَمَا أَفَلَ﴾ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِي رَبِّي ﴿بِبَنِي عَلَى الْهَدَى﴾ لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿تَعْرِضُ لِقَوْمِهِ﴾ بأنهم على ضلال؛ فلم ينجع^(٣) فيهم ذلك.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَا الشَّمْسَ بَارِعَةً﴾ قَالَ هَذَا ﴿ذَكَرَهُ﴾ لذكير خبره^(٤) ﴿رَبِّي﴾ هَذَا أَكْبَرُ ﴿مِنَ الْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ﴾ فَلَمَّا أَفَلَتْ ﴿قَوِيَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ﴾ ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله - من الأصنام والأجرام الْمُحَدَّثَةِ الْمُحْتَاجَةِ إِلَى مُخَيَّدٍ ..

[٧٩] فقالوا له: ما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[٨٠] ﴿وَسَاجِدٌ قَوْمُهُ﴾ جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام؛ أن تصبيه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَتَحْجُبُونِي﴾ بتشديد النون، وتخفيفها؛ بحذف إحدى النونين^(٥) - وهي: نون الرفع عند النحاة، ونون الوقاية عند الفراء - أئجادلوني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي﴾ - تعالى - إليها ﴿وَلَا أَنفَأ مَا تُشْرِكُونَ﴾ هُ ﴿بِهِ﴾ من الأصنام؛ أن تصبيني بسوء؛ لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه يصبيني؛ فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا؛ فتؤمنون؟.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَادَ أَنْتَجِدُ أَصْنَامًا إِلَهَةً﴾ وَإِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ فَلَمَّا جَزَّ عَلَيْهِ أَيْل رَا كَوْنًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَمَا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِيَّةَ ﴿فَلَمَّا رَا الْقَمَرَ بَارِعًا﴾ قَالَ هَذَا رَبِّي فَمَا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿فَلَمَّا رَا الشَّمْسَ بَارِعَةً﴾ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَمَا أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَسَاجِدٌ قَوْمُهُ وَقَالَ أَتَحْجُبُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[٨١] ﴿رَكِبْتَ أَنفَأ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله - وهي لا تضر ولا تنفع - ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حُجَّةً وبرهاناً - وهو القادر على كل شيء - ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ نحن أم أنتم؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به؟ أي: وهو: نحن؛ فاتبعوه.

(١) ويقرأ بالحاء المعجمة، والحاء المهملة، وقيل: إن أزر أشئمة، وتارخ لقبه.

(٢) وهذه العبارة مجملة، ولم ترد في كلام السلف، فإن أراد بها نفي صفات الفعل من المحيي، والنزول الإلهي وغيرها من الصفات التي أئبتها الله لنفسه وأئبتها له رسوله ﷺ، فهذا تأويل وتعطيل وهو خلاف مذهب السلف، وإن أراد بها نفي التغير الذي يقتضي نقضاً فيكون المعنى صحيحاً، ولكن هذه الألفاظ لم ترد في كلام السلف، فالأولى اجتنابها.

(٣) أي: يؤثر ويثد.

(٤) وهو قوله: ﴿رَبِّي﴾.

(٥) بالتخفيف والحذف قراءة نافع وابن ذكوان.

على وحدانية الله - من أقول الكوكب وما بعده - والنجوى: ﴿وَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه لها؛ حجة ﴿عَلَى قَوْمِهِ تَرَفَعَ دَرَجَاتٍ مَن لَّمْ يَسْأَلْ﴾ بالإضافة والتونين (٢)؛ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه ﴿وَكُلًّا﴾ منها ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿وَمِن دُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نوح ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ كما جزناهم ﴿بِحُجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى﴾ ابنه ﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم؛ يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَالْيَاسَّ﴾ ابن أخي (٣) هارون؛ أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ ابن إبراهيم ﴿وَاللَيْسَ﴾ اللام زائدة ﴿وَيُوشَعَ﴾ ولوطاً ﴿ابن هارون؛ أخي إبراهيم﴾ ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة.

[٨٧] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على «كُلًّا» أو «نُوحًا»، وإيماء: للتعويض؛ لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافراً ﴿وَأَجْنِبْتَهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ﴾ ولو أشركوا ﴿فَرَضًا﴾ فرضاً ﴿لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿وَالْحِكْمَ﴾ الحكمة ﴿وَالنَّبِيَّةَ﴾ فإن يكفر بها ﴿أَي: بهذه الثلاثة﴾ ﴿هَوَآءَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ رَكْنَا بِهَا﴾ أرضنا لها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هم: المهاجرون والأنصار.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ﴾ هم ﴿اللَّهُ فَيَهْدِيهِمْ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿أَقْسَدَةً﴾ بهاء السكت وقفاً وصلوا، وفي قراءة (٤): بحذفها وصلوا ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطينه ﴿إِن هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عطية ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٦﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن لَّمْ يَسْأَلْ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَاللَيْسَ وَيُوشَعَ كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمِنَ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبْتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩١﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبِيَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَوَآءَ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيَهْدِيهِمْ أَقْسَدَةً قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٤﴾

[٨٢] قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: شوك - كما فُسر بذلك في حديث الصحيحين (١) - ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ، ويُبدل منه: ﴿حُجَّتُنَا﴾ التي احتج بها إبراهيم

(١) وهو حديث ابن مسعود: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أبنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشُّرْكُ؛ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ لُقْمَانَ لَأَيُّوبَ: «يَسْتَجِبْ لَآ شُرْكَ بِأَنَّهُ رِبْكُ الْبِرِّكَ لَطْفٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣]... الحديث. البخاري (٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٢) بالإضافة قرأه نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون» قال: وهو الصحيح؛ فالإياس من ذرية هارون.

(٤) لحمزة والكسائي.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: اليهود ﴿اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق عظمتهم؛ أو ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذْ قَالُوا لَنْبِيَ اللَّهِ﴾ - وقد خاصموه في القرآن -: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ لَهُمْ: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهُمْ﴾ بالبلاء والناء^(١) في المواضع الثلاثة^(٢) ﴿فَرَأَيْتُمْ﴾ أي: يكتبونه في ذفائر مقطعة ﴿يَتْلُونَهَا﴾ أي: ما يحبون إبداه منها ﴿وَيُحْفُونَ﴾ كثيرًا ﴿مَّا فِيهَا﴾ كتبت محمد ﷺ ﴿وَعَلَّمْتُمْ﴾ أيها اليهود؛ في القرآن ﴿مَا لَمْ تَلْمُوهَا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ من التوراة؛ بيان ما التبس عليكم، واختلقت فيه ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أنزله - إن لم يقولوه - لا جواب غيره ﴿فَتُدْرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾^(٣).

[٩٢] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كُتِبَ أَنْزَلْتَهُ مَبْرُوكًا مُصَدِّقًا لَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَالنَّذِيرِ﴾ بالناء والبلاء^(٤)، عطف على معنى ما قبله؛ أي: أنزلناه للبركة، والتصديق، ولتنبيه ﴿أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خوفًا من عقابها^(٥).

[٩٣] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطَّلَعَ مِّنْ أَفْرَاقٍ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة؛ ولم يبيأ ﴿أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في مسليمة^(٦) ﴿وَمَنْ قَالَ سَأَزِلُّ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهم: المستهزون؛ قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي عَمْرَاتٍ﴾ سكرات ﴿الْوَتْرِ وَالْمَلِكَةِ﴾ باسطوا أيديهم؛ إليهم بالضرب والتعذيب؛ ويقولون لهم تعنيًا: ﴿أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ﴾ إلينا؛ لنقضها ﴿الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عَتْرَ الْحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذبًا ﴿وَكُنْتُمْ عَن آيَاتِيهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تكبرون عن الإيمان بها، وجواب (لَوْ): لرأيت أمرا فظيحا.

[٩٤] ﴿وَوَ﴾ يقال لهم - إذا بعثوا -: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حفاة عراة غولًا ﴿وَرَكْنَكُمْ مَّا حَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَكَّةَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَوَ﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿مَّا تَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استحفاق عبادتكم ﴿شُرَكَؤُكُمْ﴾ لله ﴿لَقَدْ

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهُمْ فَرَأَيْتُمْ لِيَجْعَلُوهُ قُرْآنًا يَدْعُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ يُدْرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كُتِبَ أَنْزَلْتَهُ مَبْرُوكًا مُصَدِّقًا لَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنَذِيرٍ لِّلْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَطَّلَعَ مِّنْ أَفْرَاقٍ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَزِلُّ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلِكَةِ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عَتْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِيهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُكُمْ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

تَقَطَّ بَيْنَكُمْ^(٧) وَصَلَّكُمْ أَي: تشتت جمعكم، وفي قراءة: بالنصب^(٨): ظرف؛ أي: وَصَلَّكُمْ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ ذَهَبٌ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ في الدنيا؛ من شفاعتها.

(١) بالبلاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: «يجعلون»، و«يدعون»، و«يخفون».

(٣) أخرج الطبري نحوه عن ابن عباس في جامع البيان (١٧٧/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (١٥٥/٢).

(٤) بالبلاء قراءة شعبة.

(٥) أي: الآخرة.

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج، وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة، وأخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة [الدر المنثور (٥٦٦/٢)]. وقال صاحب

الاستيعاب: «إسناده ضعيف جدًا» (٤٨/٢).

(٧) بالرفع قراءة حمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة: هو فاعل ﴿نَقَطَ﴾، و«الين» بمعنى: الوصل، وهو المراد هنا، ويطلق ويراد به البعد من باب تسمية الأضداد.

(٨) والفاعل في هذه القراءة: ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: ﴿شُفَعَاءَكُمُ﴾ و«شُرَكَؤُكُمْ»؛ لأن بين الشفع والمشفوع له اتصالًا، و«بَيْنَكُمْ» ظرف له، والتقدير: تقطع الوصل فيما بينكم.

﴿اللَّيْلِ﴾ ﴿حُسْبَانًا﴾ حسابًا للأوقات، أو الباء محذوفة؛ وهو: حال من مُفَدَّرٌ؛ أي: يجريان بحسبان - كما في آية الرحمن (١). ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْمَرِيضِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيِّرِ﴾ بخلفه.
[٩٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ في الأسفار ﴿فَقَدْ فَصَّلْنَا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[٩٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَجِدْوَةٍ﴾ هي: آدم ﴿فَسَمَّيْتُمْ﴾ (٢) منكم في الرحم ﴿وَمُسَوِّغٌ﴾ منكم في الصلب، وفي قراءة: بفتح الفاء؛ أي: مكان قرار لكم ﴿فَقَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿مَا يِقَالُ لَهُمْ﴾.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ النَّبَاتِ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِ﴾ بالماء ﴿بَنَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النبات، شيئًا ﴿حَضْرًا﴾ بمعنى: أخضر ﴿فَنُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضرة ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضًا، كسابل الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبز، ويبدل منه: ﴿مِنَ طَلْحَمًا﴾ أول ما يخرج منها، والمبتدأ: ﴿فِتْوَانٌ﴾ عراجين ﴿وَأَبْنَةً﴾ قريب بعضها من بعض ﴿وَوَجَّعْنَا مِنْهُ﴾ بسنتين ﴿وَمِنَ أَنْتَبِ وَالزَّيْتُونِ وَالرِّمَّانِ مُسْتَبِيحًا﴾ ورَفْهًا، حال ﴿وَعَوَّجَ مُسْتَبِيحًا﴾ ثمرهما ﴿أَنْظُرُوا﴾ يا مخاطبون (٤) نظر اعتبار ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ بفتح التاء والميم، وبضمهما (٥)؛ وهو: جمع ﴿ثَمَرَةٍ﴾ كـ ﴿شَجَرَةٍ﴾ و﴿شَجَرٍ﴾، و﴿حَشْبِيَّةٍ﴾ و﴿حَشْبٍ﴾ ﴿إِذَا أَمَّرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿وَوَجَّعْنَا﴾ إلى ﴿بَيْعِهِ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصًا بالذکر؛ لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾ مفعول ثانٍ ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول، ويبدل منه: ﴿الْحِينَ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَوَجَّعْنَا﴾ قد ﴿خَلَقْتُهُمْ﴾ فكيف يكونون شركاء ﴿وَعَرَّفُوا﴾ بالتخفيف، والتشديد (٦)؛ أي: اختلفوا ﴿لَمْ يَبَيِّنْ وَبَيَّنَّتْ يَغَيِّرُ عَلَيْهِ﴾ حيث قالوا: عُزَيْرٌ ابن الله والملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولدًا.

[١٠١] هو ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَكُمْ وِلْدًا﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ صَحِيحَةٌ ﴿زَوْجَةً﴾ و﴿مَخْلُقَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يُخْلَقَ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تَوَفُّكَوتَ﴾ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ آيَل سَعَكْنَا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدْوَةٍ فَمُسَوِّغٌ وَمُسَوِّغٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ بَنَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ حَضْرًا تُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانِ مُسْتَبِيحًا وَعَوَّجَ مُتَشَابِهٌ نَّظُرًا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبَتِ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ فَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[٩٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾ شاقٌّ ﴿الْحَبِّ﴾ عن النبات ﴿وَالنَّوَى﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطارق من النطفة والبيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ النطفة والبيضة ﴿وَمِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ﴾ الفالق الخرج ﴿اللَّهُ فَالِقُ تَوَفُّكَوتَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟!.

[٩٦] ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدرٌ بمعنى: الصبح؛ أي: شاقٌّ عمودَ الصبح؛ وهو: أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ ﴿سَكَنًا﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرَ﴾ بالنصب: عطفًا على محل

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسِ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الرحمن: ٥].

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٤) وفي بعض النسخ: «يا مخاطبين» باعتباره نكرة غير معين.

(٥) بالضم حمزة والكسائي.

(٦) بالتشديد قراءة نافع.

[١٠٢] ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَاعْبُدُوهُ وَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفظ.

[١٠٣] ﴿لَا تُذِرْكُمُ الْآبَصْرُ﴾ (١) أي: لا تراه، وهذا مخصوص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِرْ بِأَخِيهِ فَلْيَفْسُقْ﴾ (٢) إلى ربها ناطقة (٣) وحديث الشيخين ﴿أَنْتُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ انْتِدَارِهِ﴾ (٤) وقيل: المراد: لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبَصْرَ﴾ أي: يراها، ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علماً ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿الْخَيْرُ﴾ بهم.

[١٠٤] قل يا محمد لهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ﴾ محجج ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها فأمّن ﴿فَلْيَفْسُقْ﴾ أبصر؛ لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها؛ فضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إضلاله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير.

[١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصِرْتُ﴾ نين ﴿الْآيَاتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلْيُقُولُوا﴾ أي: الكفار في عاقبة الأمر: ﴿إِذَا رَسَتْ﴾ (١) ذكرت أهل الكتاب، وفي قراءة: ﴿ذَرَسَتْ﴾ أي: كتب الماضي؛ وجمت بهذا منها ﴿وَلْيُسَيِّرُوا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[١٠٦] ﴿أَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَوْ سَأَلَ اللَّهُ مَا أَتَرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيباً؛ فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على الإيمان - وهذا (٢) قبل الأمر بالقتال ..

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْهُمْ﴾ من دون الله ﴿أَي: الْأَصْنَامِ﴾ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ اعتداء وظلماً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً منهم بالله ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زينا ليهؤلاء ما هم عليه ﴿رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ من الخير والشر؛ فأتوه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ تَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلٌّ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؛ أي: أنتم لا تدرون ذلك ﴿إِنَّهَا﴾ (٣) إذا جاءت لا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق في علمي، وفي قراءة: بالناء (٤) خطاباً للكفار، وفي أخرى:

ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُذِرْكُمُ الْآبَصْرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبَصْرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلْيَفْسُقْ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصِرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَرَجِعُوا إِلَى اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ تَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ وَلَٰكِنْ هِيَ آيَةٌ لِّمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٠٧﴾

يفتح (أن)؛ بمعنى: لعل، أو معمولاً لما قبلها.

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَقْسَامَهُمْ﴾ نحول قلوبهم عن الحق؛ فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصُرُهُمْ﴾ عنه؛ فلا يبصرونه؛ فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد فقه شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهن فقد كذب؛ من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُذِرْكُمُ الْآبَصْرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبَصْرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾...، ولكن رأى جبريل الطيب في صورته مرتين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة النجم (٥٣) باب (١)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٨) [إثبات رؤية المؤمنين ربه في الآخرة].

(٢) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٣) أخرج نحوه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بفتح السين أيضاً ﴿ذَرَسَتْ﴾ بمعنى: انمحت.

(٥) أي: الأمر بالإعراض عن المشركين، وليس الإجمار على الإيمان.

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وشعبة بخلاف عنه.

(٧) لحزمة وابن عامر، ولا يقرأ بالناء إلا من يقرأ هاءه [أنها] بالفتح. أما من يقرأ بكسر «إن» فيتمين معها الباء في «لا يؤمنون».

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك.

[١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه: ﴿شَيْطَانٍ﴾ مرادة ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ موهبة من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغروهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا قَهَرْتَهُمْ﴾ أي: الإيهام المذكور ﴿فَدَرَرْتَهُمْ﴾ دع الكفار ﴿وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم. وهذا قبل الأمر بالقتال..

[١١٣] ﴿وَلِيَصْحَبَنَّ﴾ عطف على ﴿غُرُورًا﴾ أي: تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزخرف ﴿أَقْبِدَهُ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَصْحَبَنَّهُمْ﴾ ولا يفتروا ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أن يجعل بينه وبينهم حكماً. [١١٤] قل: ﴿أَفَسَرَّ اللَّهُ أَبْتَدَى﴾ (٢) أطلب ﴿حَكْمًا﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿وَالَّذِينَ آمَنَّا بِهِمْ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ﴾ بالتحفيف والتشديد (٣) ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ فلا تكونون من الممتريين ﴿الشاكين فيه، والمراد بذلك: التقرير للكفار أنه حق.

[١١٥] ﴿وَوَعَدْنَا﴾ [كلمات] (٤) ﴿رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ تمييز ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بنقص أو حلف ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ (٥) بما يفعل.

[١١٦] ﴿وَإِنْ نَطَعُ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة؛ إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَجْرُؤُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وهو أعلم ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازي كلًّا منهم.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا﴾ وما ذكر اسم الله عليه ﴿أَي: ذبح على اسمه﴾ ﴿إِنْ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَوَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا قَهَرْتَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ ﴿وَلِيَصْحَبَنَّ إِلَيْهِ أَقْبِدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَصْحَبَنَّهُمْ وَيَفْقَرُوا مَا هُمْ مَقْتَرُونَ﴾ ﴿أَفَسَرَّ اللَّهُ أَبْتَدَى﴾ ﴿حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنَّا بِهِمْ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿وَوَعَدْنَا رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿وَإِنْ نَطَعُ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَجْرُؤُونَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَوَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ كما افترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ بضمين؛ جمع «قبيل» أي: فوجا فوجا، وبكسر القاف وفتح الباء (١)؛ أي: معاينة؛ فشهدوا بصدقك ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم؛ فيؤمنوا

(٥) فائدة: أخرج النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ يقول ووضع رداه ناحية الخندق، وقال: ﴿وَوَعَدْنَا رَبَّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر. أي سقط. ثلث الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ بركة. ثم ضرب الثانية وقال: ﴿وَوَعَدْنَا رَبَّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الآخر، فبرقت بركة فرأها سلمان. ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَوَعَدْنَا رَبَّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداه وجلس. النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (٤٢) غزوة الترك والحبيشة، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩٧٦).

(١) بالكسر قراءة نافع وابن عامر.

(٢) لم أجده.

(٣) بالتحفيف قراءة السبعة عدنا ابن عامر وحفص.

(٤) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

﴿وَمَا لَكُمْ أَنْ﴾ [١١٩] ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَضَّلَ﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل في الفعلين^(١) ﴿لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(٢) في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْسَتُهُ﴾ إلا ما اضطررتم إليه منه، فهو أيضا حلال لكم؛ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر، وقد بين لكم الحرام أكله؛ وهذا ليس منه ﴿وَإِنْ كَثُرَ بَلَّغْتُمْ﴾ بفتح الباء وضمتها^(٣) ﴿يَأْهُوِيهِمْ﴾ بما تهواه أنفسهم؛ من تحليل الميتة وغيرها ﴿يَغْيِرُ عَلَيْهِ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين.

[١٢٠] ﴿وَدَرُوا﴾ اتروا ﴿ظَهَرَ الْإِثْمُ وَبَاطَنُهُ﴾ علانيته وسره، و﴿الْإِثْمُ﴾ قيل: الزنا، وقيل: كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ يكتسبون.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات، أو ذبح على اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم ولم يُسَمَّ فيه عمداً أو نسياناً؛ فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي^(٤) ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: الأكل منه^(٥) ﴿لَيْسَ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ﴾ يوسوس ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَاءِهِمُ﴾ الكفار ﴿لِيُجْبَدُوا لَهُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَلْطَمْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٦).

[١٢٢] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ وَغَيْرِهِ﴾: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ ينصر به الحق من غيره؛ وهو: الإيمان ﴿كَمَنْ تَمَلَّكُ﴾ «تملك»: زائدة؛ أي: كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ وهو: الكافر؛ لا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿رَبِّينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَسْمُونَهُ﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فشق مكة أكارها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمَهَا لِيَتَكَبَّرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا يَأْنُسِيهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا﴾ به ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِنْ أَوْتَىٰ رُسُلِ اللَّهِ﴾ من الرسالة والوحي؛ وإنما لأننا أكثر مالا، وأكبر سبأ، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ بالجمع والافراد^(٧)، و﴿حَيْثُ﴾ مفعول به لفعل دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾

أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه؛ فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَعَارٌ﴾ ذل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا كَانُوا يَتَكَبَّرُونَ﴾ أي: بسبب مكرهم.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١١٩ - ١٢١). أخرج الترمذي عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، أتأكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأمر الله: ﴿تَكُونُوا مِثْلًا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِتِلْكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَلْطَمْتُمُوهُمْ لَكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧) سورة الأنعام. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٤).

(١) البناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، ووافقهم في الثاني حمزة والكسائي وشعبة.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) وعند مالك وأبي حنيفة ورواية عن أحمد: إن تركها عمداً لا تؤكل.

(٥) وقيل: إن الضمير يعود على ما ذكر اسم غير الله عليه عند الذبح، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ يَسْقًا أَوْلَىٰ يَغْيِرُ اللَّهُ بِهِ﴾.

(٦) بالجمع قراءة السبعة عدا ابن كثير وحفص.

أي: يسلمه ﴿عَلَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَذَا﴾ الذي أتت عليه يا محمد ﴿صِرْطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ﴾ مُسْتَقِيمًا لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكد للجملته، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿فَدَفَضْنَا﴾ بِنَا ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: يتعظون، وخصشوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون.

[١٢٧] ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلْوٰتِ﴾ أي: السلام؛ وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٢٨] ﴿وَإِذْ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والياء^(٦)؛ أي: الله الخلق ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال لهم: ﴿يَنْمَعَتِرَ الْجِنُّ فَدَا سَكَرَتُمْ مِّنَ الْإِنسِ﴾ يا غواصكم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمُ﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا أَسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم على لسان الملائكة^(٧): ﴿الَّذِي مَوَّعْتُمْ مَّوَاعِدًا يَّخْتَلِفِينَ فِيهَا إِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم^(٨)؛ فإنه خارجها؛ كما قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَكِلَىٰ الْحَمِيمِ﴾^(٩) وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون ف«مأ» بمعنى: «من» ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٢٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿تُؤْتَىٰ﴾ من الولاية ﴿بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: على بعض ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

[١٣٠] ﴿يَنْمَعَتِرَ الْجِنُّ وَالْإِنسُ أَلَّا يَأْتِيَكُمُ الرَّسُولُ بِكُمْ﴾ أي: من مجموعكم؛ أي: بعضكم الصادق بالإنس، أو رسل الجن تُذَرُّهُمْ الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرُّوكُمُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ أن قد بلغنا، قال - تعالى -: ﴿وَعَرَّزْتُمُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كٰفِرِينَ﴾

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِالإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَمَا أَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ وَهَذَا صِرْطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٧﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٨﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا نَمَعَتِرَ الْجِنِّ قَدْ أَسْتَمْتَعْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَائِهِمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا أَسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَّكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّبُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣٠﴾ يَنْمَعَتِرَ الْجِنُّ وَالْإِنسُ أَلَّا يَأْتِيَكُمُ الرَّسُولُ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرُّوكُمُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَرَّزْتُمُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾

[١٢٥] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِالإِسْلَامِ﴾ بأن يقذف في قلبه نورًا؛ فينفسح له ويقبله - كما ورد في حديث^(١) - ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ الله ﴿أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ عن قبوله ﴿حَرَجًا﴾ شديد الضيق؛ بكسر الراء: صفة، وفتحها^(٣): مصدر؛ وصف فيه المبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ﴾ وفي قراءة: ﴿بِضَاعِدُ﴾^(٤) وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها^(٥) ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان؛

(١) يشير إلى ما جاء في حديث: لما نزلت هذه الآية سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن شرح الصدر، فقال: «هُوَ نُورٌ يُقَدِّفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ؛ فَيُنْشِرُ لَهُ وَيَنْفِخُ لَهُ...» الحديث. أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧/٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وإسناده ضعيف جدًا؛ فيه عبد الله بن المسور وهو متروك كما قال الدارقطني.

(٢) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٣) لابن كثير.

(٤) بالنون قراءة السبعة عدا حفص.

(٥) ظاهر الآية أن هذا الكلام من الله تعالى إليهم، وفيها إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف. وقول المصنف: على لسان الملائكة، صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، وربما هذا فرار من إثبات صفة الكلام لله ﷻ. والله أعلم.

(٦) في معنى هذا الاستثناء أقوال عدة للمفسرين، فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار، والمستثنى العصاة؛ لأنهم لا يخلدون، ورؤد بأن السياق في بيان حال الكفار، وبأن استعمال ﴿مَّا﴾ للقلاء قليل، وذهب بعضهم إلى أن المراد المدة التي كانوا فيها في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة قبل دخولهم النار، وذهب بعضهم إلى أن المراد النقل من النار إلى الزمهرير، وقيل: المراد المبالغة في الخلود؛ بمعنى: أنه لا ينتهي إلا وقت مشيئة الله، وهو مما لا يكون. وقيل: المراد بيان أن أمرهم مَوْكُوفٌ إِلَى اللَّهِ، وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه. وقيل: المراد إلا ما شاء من زيادة عذابهم، وقيل: استثنى قوماً سبق علمه أنهم يسلمون. وقيل غير ذلك، فإله أعلم.

(٩) الصفات: ٦٨.

[١٣١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ اللام مقدره، وهي مخففة؛ أي: لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ يُظَلِّرُ﴾ منها ﴿رَاهُلَهَا غَافِلُونَ﴾ لم يُؤَسَّل إليهم رسول بين لهم؟

[١٣٢] ﴿وَلِكُلِّ﴾ من العالين ﴿دَرَجَاتٍ﴾ جزء ﴿وَمَا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء^(١).

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِٰ إِنْ يَشَاءُ يُدْبِكْكُمْ﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مَلَكَوْنَ﴾ أذهبهم؛ ولكنه أبقاكم رحمة لكم.

[١٣٤] ﴿إِنَّ مَا نُوعِدُكُمْ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فانتين عذابنا.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَقَوَّرُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَائِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من موصولة؛ مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، نحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَوْمَ مَا دَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرِّ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ بصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيباً بصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ﴾ بالفتح والضم^(٢) ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه؛ وقالوا: إن الله غني عن هذا. كما قال - تعالى -: ﴿كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَىٰ اللَّهِ﴾ أي: لجهته^(٣) ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ﴾^(٤) ساء ﴿بِئْسَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذُكِرَ ﴿رَبُّكَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوآء ﴿مُشْرِكًاؤُهُمْ﴾ من الجن؛ بالرفع: فاعل ﴿رَبُّكَ﴾، وفي قراءة: بينائه للمفعول ورفع «قتل»، ونصب «الأولاد» به، وجر «شركائهم» بإضافته^(٥)، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول - ولا يضر^(٦) - وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ يُظَلِّرُ وَأَهْلَهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْبِكْكُمْ وَمَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مَلَكَوْنَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا نُوعِدُكُمْ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَتَقَوَّرُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنْ يَشَاءُ يُدْبِكْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا مِنْ الْحَرِّ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٧﴾

(١) بالياء قراءة ابن عامر.

(٢) أي: للزاي، والضم للكسائي.

(٣) أي: إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها؛ كالصدقة وصلة الرحم وقري الضيف.

(٤) أي: يجعلونه لأنهم ويفقونها في مصالحتها.

(٥) لابن عامر.

(٦) يرد على من أنكر ذلك.

﴿وَأَنْعَمَ حَرَمْتَ طُهُورَهَا﴾ فلا تركب؛ كالسواحب والحوامي ﴿وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله ﴿أَفِرَاءَ عَلَيْهِ سَجَزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ الحرمة؛ وهي: السواحب والبياتر ﴿خَالِصَةً﴾ حلال ﴿لِنُكُورِنَا وَمُحَرَّمٍ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ أي: النساء ﴿وَأِنْ تَكُنْ فِتْنَةً﴾ بالرفع والنصب (١) مع تأنيث الفعل وتذكيره (٢) ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَجَزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ ذلك بالتحليل والتحریم؛ أي: جزاءه ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقها.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ بالتخفيف والشديد (٣) ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بالوأة ﴿سَفَهًا﴾ جهلاً ﴿يَتَّبِعُوا عِلْمًا وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿أَفِرَاءَ عَلَى اللَّهِ فَذُصَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٤).

[١٤١] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّتٍ﴾ بساين ﴿مَعْرُوشَتٍ﴾ مسوطات على الأرض؛ كالطبخ ﴿وَعَيْرٍ مَعْرُوشَتٍ﴾ بأن ارتفعت على ساق؛ كالنخل ﴿وَمَا أَنْشَأَ﴾ أنشأ ﴿النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُمْ﴾ أكلهم في الهيئة والطعم ﴿وَالزَّرْعُ وَالرَّمَاتُ مُتَشَابِهًا﴾ ورقهما، حال ﴿وَعَيْرٍ مُتَشَابِهٍ﴾ طعمهما ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَمَا تَأْتُوا حَقَّهُ﴾ زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بالفتح والكسر (٥)؛ من العشر (٦) أو نصفه (٧) ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بإعطاء كله (٨)؛ فلا يبقى لبيابلكم شيء ﴿إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حد لهم.

[١٤٢] ﴿وَمَا أَنْشَأَ﴾ من الأنعام ﴿حَمُولَةً﴾ صالحة للحمل عليها؛ كالإبل الكبار ﴿وَمَرْسًا﴾ لا تصلح له؛ كالإبل الصغار والغنم؛ سُمِّيت فرسًا؛ لأنها كالفرس للأرض؛ لدنوها منها ﴿كُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرائقه من التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمَ حَرَمْتَ طُهُورَهَا وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفِرَاءَ عَلَيْهِ سَجَزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِمَّا تَنَعَمْتُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَجَزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ وَحَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفِرَاءَ عَلَى اللَّهِ فَذُصَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّتٍ مَعْرُوشَتٍ وَعَيْرٍ مَعْرُوشَتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَاتُ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَرَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا كُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٤٣﴾

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا﴾ حرام ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿بَرَعْمِهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرا ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ صَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. البخاري كتاب المناقب (٦١) باب (١٢) قصة زمر وجهل العرب.

(١) بالرفع لابن كثير وابن عامر.
 (٢) بالتأنيث لابن عامر وشعبة.
 (٣) بالنشديد لابن كثير وابن عامر.
 (٤) أي: حاء «حصاده». بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن كثير.
 (٥) أي: فيما سقي بغير كلفة؛ كمطر ونحوه من غير آلة.
 (٦) أي: فيما احتاج في سقيه إلى كلفة وآلة.
 (٧) قوله: «إعطاء كله فلا يبقى لبيابلكم شيء»؛ تفسيره الإسراف بهذا هو قول محمد بن مروان المعروف بالسدي الصغير، وهو قول غير قوي. واختار ابن جرير الطبري قول عطاء بن أبي رباح أنه نهى عن الإسراف في كل شيء، وظاهر سياق الآية النهي عن الإسراف في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن؛ كقولته تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

تَمَيَّنَةَ أَرْوَجٍ مِّنَ الضَّانِ أَتَيْنَ وَمِنَ الْمَعَزِ أَتَيْنَ ﴿١٤٣﴾
 قُلْ ءَآلَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْرَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْه
 أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِغُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٤﴾
 وَمِنَ الْإِبِلِ أَتَيْنَ وَمِنَ الْبَقَرِ أَتَيْنَ قُلْ ءَآلَ الذَّكَرَيْنِ
 حَرَّمَ أَمْرَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْه أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ
 أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهِدًا فَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ قُلْ لَا أَجِدُ
 فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
 فِسْقًا أَهْلَ لِيغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ ءَفَمَنْ أَضْطَرَّ عَلَيْهِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
 فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٦﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
 كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعِزْرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
 شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ
 بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٧﴾

[١٤٣] ﴿تَمَيَّنَةَ أَرْوَجٍ﴾ أضاف؛ بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾
 ﴿وَمِنَ الضَّانِ﴾ زوجين ﴿أَتَيْنَ﴾ ذكر وأثنى ﴿وَمِنَ الْمَعَزِ﴾ بالفتح
 والسكون (١) ﴿أَتَيْنَ قُلْ﴾ يا محمد - لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإنانها
 أخرى، ونسب ذلك إلى الله :: ﴿ءَآلَ الذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله
 عليكم ﴿أَمْرَ الْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْه أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ ذكرا
 كان أو أثنى ﴿نَبِغُونِي بِغَيْرِ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
 فيه؛ المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور
 حرام، أو الأوثنة فجميع الإناث، أو اشتمال الرحم فالزوجان، فمن أين
 التخصص؟ والاستفهام للإنكار.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ أَتَيْنَ وَمِنَ الْبَقَرِ أَتَيْنَ قُلْ ءَآلَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْرَ
 الْأُنثَيَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْه أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ﴾ بل ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾
 حضوراً ﴿إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهِدًا﴾ التحريم، فاعتمدتم ذلك! لا بل أنتم
 كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك
 ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤٥] ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ شيقاً ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾
 إِلَّا أَنْ يَكُونَ ﴿بِالْيَأِ وَالنَّاءِ﴾ (٢) ﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب، وفي قراءة: بالرفع مع
 التثنية (٣) ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ سائلاً بخلاف غيره؛ كالكبد والطحال ﴿أَوْ
 لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ حرام ﴿أَوْ﴾ إلا أن يكون ﴿فِسْقًا أَهْلَ لِيغَيِّرَ
 اللَّهُ بِهِ﴾ أي: ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ إلى شيء مما ذُكِرَ فأكله
 ﴿عَبْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ (٤) ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٌ﴾ به، ويلحق
 بما ذُكِرَ بالشيء كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير.

[١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي
 ظُفْرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه؛ كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعِزْرِ
 حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ (٥) ﴿وَمِنَ الْكَلْبِ﴾ وشحم الكلب ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ
 ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أَوْ﴾ حملته ﴿الْحَوَايَا﴾ الأمعاء، جمع
 حاوية، أو حاوية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ منه؛ وهو: شحم الإلية؛ فإنه أحل
 لهم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَاهُمْ﴾ به ﴿بِغَيْرِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم - بما سبق
 في سورة النساء (٦) - ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في أخبارنا ومواعدنا.

(١) بالفتح لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بالناء قراءة حمزة وابن كثير وابن عامر.

(٣) وهذا سبق قلم من المصنف كقولهم؛ قراءة الرفع مع الفوقانية وليس مع الفوقانية كما ذكر المصنف، وهي لابن عامر.

(٤) راجع تفسير ﴿عَبْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ في سورة البقرة آية (١٧٣).

(٥) جمع «ثرب»: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، والمراد هنا الذي على الكرش فقط.

(٦) أي: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْهَاهُمْ يَسْتَهْزِئُوا وَكَفَّرَهُمْ بِكَيْدِ اللَّهِ﴾ الآية [النساء: ١٥٥]، إلى قوله: ﴿وَيُظَلِّرُ بَيْنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَقَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

رَحْمَةً وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ وَبِهِ يَتَّوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٤٨﴾
 ﴿١٤٨﴾ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ رَسُولُهُمْ ۚ فَاتِرَاكَ نَحْرِمَا وَنَحْرِمَا مَشِيئَتُهُ ۚ فَبِهِ رَاضٍ بِهِ ۚ قَالَ -

تعالى :- ﴿كَذَلِكَ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾
 رسولهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ بِأَنَّ اللَّهَ رَاضٍ بِذَلِكَ﴾ ﴿فَتَخْرِجُوهُ لَنَّا﴾ أي: لا علم عندكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون فيه.

﴿١٤٩﴾ ﴿قُلْ﴾ إن لم يكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ الْحُكْمُ الْيَوْمَ﴾ الثامنة ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿١٥٠﴾ ﴿قُلْ هَلْمْ﴾ أحضروا ﴿شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ الذي حرّمه ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْبِهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون.

﴿١٥١﴾ ﴿قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ﴾ أفرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أن
 ن، مفسرة ﴿لَا تَحْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا
 أَنْفُسَكُمْ﴾ بالوآء ﴿مِنْ﴾ أجل ﴿إِمْلِقُوا﴾ فقر تخافونه ﴿تَحْنُ تَزُرُّكُمْ
 وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
 بَطَّنَ﴾ أي: علانيتها وسرها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
 بِالْحَقِّ﴾ كالثقود، وحذ الرذة، ورجم المحضن ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَصَنَّكُمْ
 بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٥) تدبرون.

فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥١﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَّا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُكْمُ الْيَوْمَ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ هَلْ مِنْكُمْ شَهِدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْبِهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥١﴾ قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ لَكُمْ رَبُّكُمْ أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ إِمْلِقُوا تَحْنُ تَزُرُّكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿١٤٩﴾ ﴿فَإِنْ كَذَّبْتُمْ﴾ فيما جئت به ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿رَبُّكُمْ ذُو

(٥) فائدة: أخرج الحاكم في مستدرکه (٣٤٨/٢) عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أبكم يابمني على ثلاث؟» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ لَكُمْ رَبُّكُمْ أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ حتى فرغ من الآيات - فمن وثى فأجره على الله، ومن انقص منهن شيئاً فأدرکه الله به في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخرج إلى الآخرة فأمره إلى الله، إن شاء عبده، وإن شاء عفا عنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه أيضاً محمد ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٦١٥/٢).

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ﴾ أي: بالحصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم^(١) ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقها في ذلك؛ فإن أخطأ في الكيل والوزن. والله يعلم صحة نيته؛ فلا مؤاخذه عليه؛ كما ورد في حديث^(٢)، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فِي حُكْمٍ أَوْ فِي غَيْرِهِ﴾ فأعدوا له؛ بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿ذًا قُرْبَىٰ﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بالشديد تتعظون^(٣) والسكون.

[١٥٣] ﴿وَأَن﴾ بالفتح؛ على تقدير اللام، والكسر استئنافاً^(٤) ﴿هَذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرْطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُونَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ تمليل ﴿بِكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٥).

[١٥٤] ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة، و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بيانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يُخْتِاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿بِإِلْقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿بِؤْمُونٍ﴾.

[١٥٥] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَآتِيهِمْهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَأَتَقْرَأُوا﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أنزلناه.

[١٥٦] ﴿لَئِن﴾ لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم ﴿لَعَنَفَيْنَا﴾ لعدم معرفتنا لها؛ إذ لَمِشَتْ بِلِقَائِنَا.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لجملة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطَاعَ﴾ وَمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أعرض ﴿عَنْهَا سَتَجِدُنَا الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَدَابِ﴾ أي: أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ﴾ هي أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فِي حُكْمٍ أَوْ فِي غَيْرِهِ فَأَعِدُوا لَهُ بِالصِّدْقِ وَلَوْ كَانَ الْمَقُولُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ ذًا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرْطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُونَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ بِإِقْلَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَآتِيهِمْهُ وَأَتَقْرَأُوا الْعَدَابَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَعَنَفَيْنَا ﴿١٥٦﴾ وَأَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَطَاعَ مِنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَتَجِدُنَا الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَدَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (١٥٢): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ﴾ وَرَبِّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ الآية. انطلق من كان عنده يبيع فزول طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيحس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷻ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَتَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتِيمِ قُلْ إِصْلَاحٌ لِّمَنْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلْيَنْزِلُكُمْ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه. سبق تخريجه عند الآية (٢٢٠) من سورة البقرة. فائدة: أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً». قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذا السبيل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرْطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُونَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾. مسند أحمد (٤٦٥/١، ٤٣٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤١٤٢)، وأخرج نحوه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١١).

(١) أخرج ابن مردويه عن سعيد بن المسيب قال: تلا رسول الله ﷺ ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فقال: من أوفى على يديه في الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ وذلك تأويل وسعها (الدر المنثور (١٠/٣)).
 (٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.
 (٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ ابن عامر بالفتح مع سكن النون.

تنفعها توبتها؛ كما في الحديث ﴿قُلْ أَنْظِرُوا﴾ أخذ هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَفَرُوا دِيْنَهُمْ﴾ باختلافهم فيه؛ فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا يَشْكُرُونَ﴾ فرقا في ذلك، وفي قراءة: ﴿فَارْتَفِقُوا﴾ (٤) أي: تركوا دينهم الذي أمروا به؛ وهم: اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فلا تتعرض لهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف.

[١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿فَلَمْ يَشُرْ أَثْمَالَهَا﴾ أي: جزاء عشر حسنة ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُمْ لَا يُلْطَفُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئا.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيما ﴿يَلَهُ إِزْهَابُهُمْ حَيْفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي عِبَادَتِي مِنْ حَجِّ وَغَيْرِهِ﴾ ﴿وَحَيَاتِي حَيَاتِي﴾ ﴿وَمَمَاتِي﴾ موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَكَ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُزِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمَسْلُوبِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّي﴾ إلهاء؛ أي: لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّكَ﴾ مالك ﴿كُلُّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذنبا ﴿إِلَّا عَلَيْهِهَا وَلَا تَزُرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَارِثَةٌ﴾ أمة ﴿وَزِدَّ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ لَكَ رَيْبُكَ مَرْجِعُكَ فَيُنشِرُكَ﴾ بما كنتم فيه ﴿تَهْتَلُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضا فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم؛ ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَأَنْتُمْ لَعَنُونَ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَفَرُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تُرِيبُنِيَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦٠﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٢﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمَسْلُوبِينَ ﴿١٦٤﴾ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزُرُ وَارِثَةٌ وَارِثَةٌ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَهْتَلُونَ ﴿١٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٩﴾

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذوبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالثناء والبياء (١) ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره؛ بمعنى: عذابه (٢) ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها؛ كما في حديث الصحيحين (٣) ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الجملة صفة «النفس» ﴿أَوْ﴾ نفسا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (٤) طاعة؛ أي: لا

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا». البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٠)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٢) بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(١) بالباء قراءة حمزة والكسائي.

(٢) وهذا تأويل لهذه الصفة من صفات الفعل التي أتيها ربنا ﷻ لنفسه، ونحن نثبتها له ونؤمن بها على الوجه اللاتق به - شبهة، ولا يشبه إثباته إثبات الخلقين، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

(٣) البخاري (٤١٣٦)، ومسلم (١٥٧)، وعند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» (٢٧٠٣)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

(٤) حمزة والكسائي.

(٥) وهذا التفسير على القراءة بالشديد، وهي نافع وابن كثير وأبي عمرو، وأما على قراءة باقي السبعة بدون تشديد فعلى أنه مصدر نعت به، وأصله «قوم» ك«عوض»، فأُعلل لإعلال فغلبه كالتقديم.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

[مكية إلا ﴿وَسَتَلَّهُمْ﴾ الثمان أو الخمس آيات، مائتان وخمس أو : ست آيات، نزلت بعد (ص)]^(*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿التَّصَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿كُنْتُ أُزِيلُ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿وَبَنِيَّةٌ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿لِيُنذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿أُنزِلَ﴾ أي: للإنذار ﴿بِهِ﴾ وذكروا في تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٣] قل لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تتخذوا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿أُولَئِكَ﴾ تطيعونهم في معصيته - تعالى - ﴿فَلَيْلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ بالثناء والياء^(١)؛ تعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة: بسكونها^(٢)، ﴿وَمَا﴾ زائدة؛ لتأكيد القلة.

[٤] ﴿وَكَمْ﴾ خبرية، مفعول ﴿مِنْ قَرِيْبَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَمَا بَعَا بِأَسْمَاءٍ﴾ عذابنا ﴿بَيْنَنَا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ نائمون بالظنيرة؛ والقيلولة: استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم؛ أي: مرة جاءها ليلاً، ومرة جاءها نهاراً. [٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْمَاءٍ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ.

[٦] ﴿فَلَنَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأمم عن إجابتهم الرسل، وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْتَأْذِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ.

[٧] ﴿فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَاقِبَةٍ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَافِلِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا.

[٨] ﴿وَالْوَزْنَ﴾ للأعمال أو لصحافتها ميزان له لسان وكفتان - كما ورد في حديث^(٣) - كائن ﴿بِوَيْبِذٍ﴾ أي: يوم السؤال المذكور؛ وهو: يوم القيامة ﴿الْحَقِّ﴾ العدل، صفة الوزن ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالחסنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسينات ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتصويرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بيجحدون.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً﴾ بالياء^(٤)؛ أسباباً تعيشون بها، جمعت معيشة ﴿فَلَيْلًا مَا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَسْكُرُونَ﴾ على ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَصَّ ﴿١﴾ كُنْتُ أُزِيلُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ
لِيُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ
مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا بِأَسْمَاءٍ نَسَايْنَا أَوْ هُمْ
قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْمَاءٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأْذِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَاقِبَةٍ ﴿٧﴾
وَالْوَزْنَ بِوَيْبِذٍ الْحَقِّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظَاهَرُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَسْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِلآدَمِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: أباكم آدم ﴿فَمِنْ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: صورناه وأنتم في ظهركم ﴿فَمِنْ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِلآدَمِ﴾ سُجُودٌ تَحْقِيقٌ بِالانحناء ﴿تَسْجُدُوا﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿أَبَا الْجِنِّ﴾ كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت: «ما لك تقرأ في المغرب بقصار؟» وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطول الطولين. البخاري - كتاب الأذان (١٠) باب (٩٨) القراءة في المغرب. وأخرجه أبو داود وزاد: «قال: أي ابن أبي مليكة راوي الحديث.. قلت: وما طولى الطولين؟ قال: أي عروة بن الزبير الراوي عن مروان: الأعراف، والأخرى الأمام». أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (١٢٢) قدر القراءة في المغرب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٢٨).

(١) قوله: «بالتاء» أي: مع تشديد الذال بعدها، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقوله: «والياء» أي: قبل التاء مع تخفيف الذال، وهي قراءة ابن عامر. (٢) هكذا في النسخ المطبوعة التي بأيدنا، وهو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «بتخفيفها»، أي الذال، وحاصله: أن في «تذكرون» ثلاث قراءات سبعة هي: «تذكرون» بالتاء مع تشديد الذال وتخفيفها، و«تذكرون» بياء قبل التاء.

(٣) أخرج ابن النذر واللاكثي عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان. وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي في قوله: ﴿وَالْوَزْنَ بِوَيْبِذٍ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨] قال: أخبرني أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: له لسان وكفتان وزن، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ومنزلة في الجنة بما كانوا ياتينا بظلمون [الدر المنثور (١٢٩/٣)]، وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات»، ولم أقف على حديث مرفوع فيه ذكر اللسان.

(٤) أي: باتفاق القراء؛ لأن الياء أصلية.

[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَعْدِ أَكْمَلُ يَوْمٍ مِنْ يَوْمِنَا﴾ [١٥] أي: يوم النسخة الأولى.

[١٦] ﴿قَالَ فِيمَا آغَايَيْتَنِي﴾ أي: يا غوائل لي؛ و«الباء» للقسمة وجوابه ﴿لَأَمْتَدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: على الطريق الموصل إليك.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: من كل جهة؛ فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم؛ لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله - تعالى. ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين.

[١٨] ﴿فَالْأَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمُعْتَابًا﴾ بالهمزة؛ معييباً أو موقوتاً ﴿مَذْمُومًا﴾ مُبْعَدًا عن الرحمة ﴿لَنْ يَمَكَّ مِنْهُمْ﴾ من الناس؛ و«اللام» للابتداء، أو موطئة للقسمة؛ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منك بذريعتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «من» الشرطية؛ أي: من تبعك أعذبه.

[١٩] ﴿ذُكِرَ﴾ قال: ﴿يَتَادَمُ أَشْكُنَ أَنْتَ﴾ تأكيد للضمير في ﴿أَشْكُنَ﴾ ليعطف عليه ﴿وَرَوْحِكَ﴾ حواء، بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها؛ وهي: الخنطة^(١) ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ لَهَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿يَبْدِي﴾ يظهر ﴿لَهَا مَا وُورِيَ﴾ فوجعل؛ من المواراة ﴿عَنْهَا مِنْ سَوَاءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَيْتُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا كَرَاهَةً﴾ أن تكونا ملكين ﴿وقرى بكسر اللام^(٢)﴾ ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها؛ كما في آية أخرى: ﴿هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةٍ تُقْلَدُ وَمَلِكٍ لَا يَبْلُغُ﴾^(٣).

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَوْنُ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك.

[٢٢] ﴿فَدَلَّلَهُمَا﴾ حطَّهُمَا عن منزلتهما ﴿يَهْرُورُ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلها منها ﴿بَدَتْ لَهَا سَوَاءُ تَيْهَمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما فبئله وقيل الآخر ودؤبه، وشئني كل منهما سواة؛ لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَوَّقَا بِمُخَصَّفَانِ﴾ أخذوا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْحِ الْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يبيِّن العداوة، والاستفهام للتقرير.

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا سَجْدًا إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٥﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ فِيمَا آغَايَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمُعْتَابًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢١﴾ وَيَتَادَمُ أَشْكُنَ أَنْتَ وَرَوْحِكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَيْتُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٣﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٤﴾ فَدَلَّلَهُمَا بِرُوحٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُ تَيْهَمَا وَطَوَّقَا يَخْضَعَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْحِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾

[١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَهْنُ﴾ ﴿لَا﴾ زائدة ﴿سَجْدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الدُّلِيلِينَ.

[١٤] ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أخرى ﴿إِنَّ يَوْمَ يَبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

(١) الحجر: ٣٨.

(٢) لم يرد ما يعتمد عليه في تعيين هذه الشجرة، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأنه ليس المقصود معرفة عين تلك الشجرة، وما لا يكون مقصوداً لا ينبغي الانشغال به - كما ذكر أهل التحقيق.

(٣) وهي قراءة شاذة.

(٤) طه: ١٢٠.

[٢٣] ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا بِمَعْصِيَتِنَا وَإِن لَّر تَعْفُرَ لَنَا وَرَحِمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ أَهْطُوا﴾ أي: آدم وحواء؛ بما اشمئتما عليه من ذريكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكَّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا﴾ أي: مكان استقرار ﴿وَمَتَّعَ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي فيه أجالكم.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأرض ﴿تَحْيَوْنَ﴾ ويحيون وفيها تموتون ومنها ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(١).

[٢٦] ﴿يَبْنِي بَيْنَهُمَا دَمْعًا قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ لِبَاسًا﴾ أي: خلقناه لكم^(٢) ﴿يُؤِيرِي﴾ بستر ﴿سَوَاءَ بَيْنَهُمَا وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسٍ الْقَوِيِّ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب^(٣) عطف على ﴿لِبَاسًا﴾، والرفع مبتدأ، خبره: جملة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب.

[٢٧] ﴿يَبْنِي بَيْنَهُمَا دَمْعًا لَا يَفِيئُهُمْ﴾ بصلبكم ﴿الَّذِينَ﴾ أي: لا تتبعوه؛ ففتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ﴾ بفتنته ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسًا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ تَهُمَا﴾ أي: الشيطان ﴿بِرَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ للظافة أجسادهم، أو عدم ألوانهم ﴿وَإِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعرافاً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا قَالُوا فَجِئْنَا﴾ كالشرك، وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها. فنوها عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا﴾ فافتدينا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمْرًا بَيِّنًا﴾ أيضاً ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه قاله، استفهام إنكار.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: قال: أقسطوا وأقيموا. أو قبله فاقبلوا، مقدراً ﴿وَتُؤْمِرُكُمْ﴾ لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أخلصوا له سجدكم ﴿وَأَذَعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعْبُدُونَ﴾ أي: يعبدكم أحياء يوم القيامة.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ أي: غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّر تَعْفُرَ لَنَا وَرَحِمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكَّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمَتَّعَ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِي بَيْنَهُمَا دَمْعًا قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ لِبَاسًا لِيُرِيَهُمْ سَوَاءَ بَيْنَهُمَا وَرِيشًا وَلِبَاسٍ الْقَوِيِّ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِي بَيْنَهُمَا دَمْعًا لَا يَفِيئُهُمْ الشَّيْطَانَ كَمَا أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسًا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ تَهُمَا إِنَّهُ بِرَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا قَالُوا فَجِئْنَا قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمْرًا بَيِّنًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

(١) بالبناء للفاعل وابتداءً من ذكوان.

(٢) وهذا أحد الأقوال، وهو كقولهم تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ حَنِينًا رَازِجًا﴾ أي: خلق، وقيل: المراد المطر الذي يبتس به القطن والكتان. فجعل المسبب بمنزلة السبب، وقيل: المعنى: ألهمناكم كيفية صنعته. وقيل: المعنى: فضينا وقسمنا لكم؛ حيث كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وقضاياه - شيخانته - مما توصف بالنزول. وقيل: هو على ظاهر معناه المعروف، فإنه ينزل من ظهور الأنعام من أصوافها وأوبارها وأشعارها، وهذا الأخير هو الأثر. وفي الآية إنبات صفة علوية. جل وعلا. فوق خلقه، وهو ما يتحاشى المفسر - عفا الله عنه - إنباته موافقة مذهبه الأشعري. ﴿لَا يَنْفَعُ تَسَاءُلَ إِيْتِنَاءَ لَر تَكُنَّ مَأْتَتٌ مِنْ قَبْلِ﴾ وانظر مجموع الفتاوى (١٢/٢٤٦ - ٢٥٧).

(٣) وهي فراءة نافع والكسائي وابن عامر.

لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾

[٣٢] ﴿قُلْ﴾ إنكاراً عليهم: ﴿مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من اللباس ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿وَمِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم، بالرفع والنصب (١) حال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ﴾ نبيها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون؛ فإنهم المنتفعون بها.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ الكباثر؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا نَطَرَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَالإِثْمَ﴾ المعصية ﴿وَالَّذِينَ﴾ على الناس ﴿يَغْتَرِبُونَ﴾ وهو الظلم ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُرْسِلْ بِهِ﴾ يشاركه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه.

[٣٥] ﴿يَنْبِئُ ءَادَمَ﴾ إماماً ﴿فِيهِ إِدْغَامٌ نُونٌ﴾ «إن» الشرطية في «ما» المريدة ﴿بِأَيِّنُّكُمْ رُسُلٌ يَنْصُرُونَ عَلَيْكُمْ عِنْدَكُمْ﴾ «بِأَيِّنُّكُمْ» «وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاشْتَبَذُوا﴾ تكبروا ﴿عَنَّا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٣٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطَاعَ﴾ «مَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ بِمَا عَصَوْهُمْ﴾ يصيبهم ﴿يَصِيبُهُمْ﴾ عَظْمُهُمْ ﴿مِنَ الْكُتُبِ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ مُسُكِّنَةٌ﴾ أي: اللانكسة ﴿يَتَوَفَّوْنَهَا﴾ قالوا ﴿لَهُمْ تَبَكُّيَاتٌ﴾: «إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ» تعبدون ﴿مِنَ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿يَنْبِئُ ءَادَمَ خُدُوًا رَبَّنَا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٢) ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَطَابَتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣٣) ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِلَافِهِمُ الْبَغْيُ بَعْدَ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُرْسِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٥) ﴿يَنْبِئُ ءَادَمَ إِمَامًا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ﴾ (٣٦) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٧) ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُتُبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ تَهْرُجُ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (٣٧)

[٣١] ﴿يَنْبِئُ ءَادَمَ خُدُوًا رَبَّنَا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ إنكم

(٣١) ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة تقول: من يعبرني تطوافاً يجعله على فرجها؟ وتقول: اليوم يدو بعضه أو كله. فما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية: ﴿خُدُوًا رَبَّنَا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٢) رقم (٣٠٢٨).

(١) بالرفع قراءة نافع.

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أمر قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ متعلق بـ ﴿ادخلوا﴾. ﴿كلما دخلت أمة﴾ النار ﴿لمنت أخنبا﴾ التي قبلها؛ لضلالها بها ﴿حتى إذا أدركوا﴾ تلاحقوا ﴿فيها جميعاً قالت أخرجهم﴾ وهم الأنبياء ﴿وَأُولئهِمْ﴾ أي: لأجلهم^(١)؛ وهم: المشبورون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلُّونَا فَتَأْتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّثْلَ مِثْلِهِمْ﴾ - تعالى -: ﴿لِكُلِّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ عَذَابٍ مِّثْلَ مِثْلِهِمْ﴾ ولكن لا ﴿يعلمون﴾ بالباء والتاء^(٢)، ما لكل فريق.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولئِهِمْ لِأَخْرَجْتُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا؛ فنحن وأنتم سواء، قال - تعالى - لهم: ﴿فَدُودُوا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عنها﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا غرغ بأرواحهم إليها بعد الموت، يهبط بها إلى «سجين»، بخلاف المؤمن، يفتح له، ويصعد بروحه إلى السماء السابعة؛ كما ورد في حديث^(٣)، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ﴾ يدخل ﴿الْجَمَلُ فِي سَرِّ الْجَبَابِطِ﴾ نعب الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر، [٤١] ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أعظية من النار، جمع عاشية، وتنوينه عوض من الباء المحذوفة ﴿وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبدأ، وقوله: ﴿لَا تَكُنْ لَكُمْ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَةً﴾ طاقتهما من العمل اعتراض بينه وبين خبره؛ وهو: ﴿أُولئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت قصورهم ﴿الَّذِينَ هُمْ فِيهَا يَدْعُونَ﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿الَّذِينَ هَدَّنا إِلَيْهِ هَدَّنا إِلَيْهِ هَذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَّنا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنا بِالْحَقِّ﴾ حذف جواب ﴿لولا﴾ لدلالة ما قبله عليه. ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنا بِالْحَقِّ وَوُودُوا أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنه، أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿فَلَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

قَالَ ادْخُلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ آخِثَهَا حَتَّى إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَجْتُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلُّونَا فَتَأْتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ ضِعْفٌ عَذَابٍ مِّثْلَ مِثْلِهِمْ لَأَخْرَجْتُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُودُوا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَرِّ الْجَبَابِطِ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَأْتِيَنَّهُمْ الْوَسْءُ الْأَوْسَعُ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ لَوْلَا أَنْ هَدَّنا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنا بِالْحَقِّ وَوُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادي: إن لكم أن تصحوا فلا تسمعوا أبدأ، وإن لكم أن تموتوا أبدأ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدأ، وإن لكم أن تتعموا فلا تبسوا أبدأ، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَوُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». مسلم - كتاب الجنة (٥١) باب (٨) في دوام نعيم أهل الجنة.

(٢) وفي نسخة «لأجلهم».

(٣) بالياء قراءة شعبة.

(٤) روى أحمد (٨٥٥١)، والنسائي (١٨٣٣)، وابن ماجه (٤٢٦٢) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة؛ فإذا كان الرجل صالحاً، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة التي فيها الله ﷻ. وإذا كان الرجل سوءاً، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يبرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة؛ فإنها لا تفتح لك أبواب السماء؛ فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر». والحديث أصله في الصحيحين وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٢٧).

﴿أَنْ لَّمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَ﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَيَبْغِينَ﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجر، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسيتانهم؛ كما في الحديث^(١) ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَتِهِمْ﴾ بعلامتهم؛ وهي: يبيض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين؛ لرؤيتهم لهم؛ إذ موضعهم عال ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الجنة أَن سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ قال - تعالى -: ﴿لَنْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي: أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ﴾ في دخولها. قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم. وروى الحاكم عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة؛ فقد غفرت لكم»^(٢).

[٤٧] ﴿وَأَيُّ أَصْحَابِ الأَعْرَافِ﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿بِلقاء﴾ جهة ﴿أَصْحَابِ النار قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي النار﴾ مع القوم الظالمين.

[٤٨] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَبْرَأُونَ﴾ أي: واستكباركم عن الإيمان، ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين: ﴿٤٩﴾ ﴿أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَبْرَأُونَ﴾ قد قيل لهم: ﴿أَدْخُلُوا الجنة لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿أَدْخُلُوا﴾ بالبناء للمفعول، و«دخّلوا»^(٣) فجملة النفي حال؛ أي: مقولاً لهم ذلك^(٤).

[٥٠] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النار أَصْحَابَ الجنة أَن أَوْضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَمَهَا﴾ منعها ﴿عَلَى الكافرين﴾.

[٥١] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِبَاسًا وَعَزَّتْهُمْ الحَيوةُ الدُّنْيَا قَالِيبًا﴾ تركهم في النار ﴿كَمَا كُنُوا يَلْعَنُونَ﴾ أي: وكما جحدوا.

وَنَادَى أَصْحَابُ الجنة أَصْحَابَ النار أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَبْغِينَ حِجَابًا وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الجنة أَن سَلِّمُوا عَلَيْنَا لِيُرِيدَ خُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النار قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ القومِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَبْرَأُونَ لَهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الجنة لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النار أَصْحَابَ الجنة أَن أَوْضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِنَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَمَهَا عَلَى الكافرين ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِبَاسًا وَعَزَّتْهُمْ الحَيوةُ الدُّنْيَا قَالِيبًا نَسُوا حَمِيمًا كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ بِحَدُوثِهَا ﴿٥١﴾

[٤٤] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الجنة أَصْحَابَ النار﴾ تقييداً أو توكيداً: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ كم ﴿رَزَقَكُمُ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم:

(١) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساکر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابه دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابه دخل النار». قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف» ﴿لَنْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ﴾. والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة وإلدر المنثور (١/٦٦٢/٣).

(٢) الحاكم (٢/٣٢٠)، وقال في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) وهما قراءتان شاذتان، على عادة المصنف رحمه الله؛ حيث يغير في الشاذ في الغالب «بقرى»، وفي السبعي بقوله: «وفي قراءة».

(٤) قال السمين الحلبي: «أبي وعلى هاتين القراءتين؛ فالجملة النافية في محل نصب بقول مقدر، ذلك القول منصوب على الحال؛ أي مقولاً لهم: لا خوف... له».

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَلَّيْنَاهُ﴾ بَيَّنَّاهُ بالأخبار والوعيد والوعيد ﴿وَعَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال؛ أي: عالين بما فُضِّلَ فيه ﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به .

[٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ سَبَّوْهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به: ﴿قَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَبَلَّغْنَا مِنْ آتَاؤُنَا مَا فِي شِعْمِ الْآيَاتِ﴾ هل ﴿تُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحده الله ونترك الشرك؛ فيقال لهم: لا .

قال - تعالى -: ﴿قَدْ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وَصَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾ من دعوى الشرك .

[٥٤] ﴿إِن كَرِهْتَ رَبُّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثمَّ شمس، ولو شاء خلقهن في لحظة، والعدول عنه لتعليم خلقه الثابت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْجِ﴾ هو في اللغة: سير الملك، استواءً يليق به^(١) ﴿يُعْشَى الْيَلِّ الْتَهَارَ﴾ مخففاً ومشدداً^(٢)؛ أي: يُعْطِي كُلًّا مِنْهُمَا بِالْآخِرِ ﴿يَطْلُبُهُ﴾ يطلب كل منهما بالآخر طلباً ﴿حَيْثُ﴾ سريعاً ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿السَّمَوَاتِ﴾ والرفع مبتدأ خبره: ﴿مُسْحَرَاتٍ﴾^(٣) مُذَلَّلَاتٍ ﴿بِأَرْبَعٍ﴾ بقدرته^(٤) ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَالْأَكْرَمُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعظيم ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾ .

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبُّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال؛ تذللاً ﴿وَرُخْفَةً﴾ سراً ﴿إِنَّهُ لَا يَجِدُ الْمُتَعَدِّينَ﴾ في الدعاء؛ بالتشدد ورفع الصوت .

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت الرسل ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِن رَحِمَ اللَّهُ قَرِيبَ رَبِّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين، وتذكير ﴿قَرِيبٌ﴾ الخبير به عن ﴿رَحْمَتِكَ﴾ لإضافتها إلى الله .

[٥٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [نُشْرًا]^(٥) بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: متفرقة فُدَامَ المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفاً^(٦)، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدرًا^(٧)، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون^(٨)؛ أي: مبشراً، ومفرد الأولى: «نشور» كـ«رسول»، والأخيرة^(٩): «بشير» ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا يَقْرَأُ﴾ بالمطر

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّيْنَاهُ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ وَيَوْمَ يَأْتِي يَأْتِي تَأْوِيلَهُ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الَّذِينَ سَبَّوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَبَلَّغْنَا مِنْ آتَاؤُنَا مَا فِي شِعْمِ الْآيَاتِ هَلْ تَرُدُّونَنَا إِلَى الدُّنْيَا فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ نُوَحِّدُ اللَّهَ وَنَتْرَكُ الشِّرْكَ؛ يُقَالُ لَهُمْ: لَا . قَالَ - تَعَالَى -: ﴿قَدْ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ إِذْ صَارُوا إِلَى الْهَلَاكِ ﴿وَصَلَّ﴾ ذَهَبَ ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾ مِنَ دَعْوَى الشِّرْكِ . [٥٤] ﴿إِن كَرِهْتَ رَبُّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا؛ أَي: فِي قَدْرِهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَمْسٌ، وَلَوْ شَاءَ خَلَقَهُنَّ فِي لَحْظَةٍ، وَالْعُدُولُ عَنْهُ لِتَعْلِيمِ خَلْقِهِ الثَّابِتُ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْجِ﴾ هُوَ فِي اللُّغَةِ: سَيْرُ الْمَلِكِ، اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِهِ^(١) ﴿يُعْشَى الْيَلِّ الْتَهَارَ﴾ مَخْفِيفًا وَمَشْدِدًا^(٢)؛ أَي: يُعْطِي كُلًّا مِنْهُمَا بِالْآخِرِ ﴿يَطْلُبُهُ﴾ يَطْلُبُ كُلُّ مِّنْهُمَا بِالْآخِرِ طَلَبًا ﴿حَيْثُ﴾ سَرِيعًا ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى السَّمَوَاتِ وَالرَّفْعَ مُبْتَدَأً خَبَرَهُ: ﴿مُسْحَرَاتٍ﴾^(٣) مُذَلَّلَاتٍ ﴿بِأَرْبَعٍ﴾ بِقُدْرَتِهِ^(٤) ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جَمِيعًا ﴿وَالْأَكْرَمُ﴾ كُلَّهُ ﴿تَبَارَكَ﴾ تَعْظِيمٌ ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مَالِكُ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ . [٥٥] ﴿ادْعُوا رَبُّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حَالًا؛ تَذَلُّلًا ﴿وَرُخْفَةً﴾ سِرًّا ﴿إِنَّهُ لَا يَجِدُ الْمُتَعَدِّينَ﴾ فِي الدَّعَاءِ؛ بِالتَّشَدُّدِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ . [٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بَيْعَتِ الرُّسُلِ ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ مِنْ عِقَابِهِ ﴿وَطَمَعًا﴾ فِي رَحْمَتِهِ ﴿إِن رَحِمَ اللَّهُ قَرِيبَ رَبِّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الْمُطِيعِينَ، وَتَذَكِيرٌ ﴿قَرِيبٌ﴾ الْخَبِيرُ بِهِ عَنِ ﴿رَحْمَتِكَ﴾ لِإِضَافَتِهَا إِلَى اللَّهِ . [٥٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [نُشْرًا]^(٥) بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أَي: مُتَفَرِّقَةً فُدَامَ المَطَرِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِسُكُونِ الشَّيْنِ تَخْفِيفًا^(٦)، وَفِي أُخْرَى: بِسُكُونِهَا وَفَتْحِ النُّونِ مُصَدَّرًا^(٧)، وَفِي أُخْرَى: بِسُكُونِهَا وَضَمِّ المَوْحِدَةِ بَدَلَ النُّونِ^(٨)؛ أَي: مُبَشِّرًا، وَمُفْرَدِ الأُولَى: «نُشُورٌ» كـ«رَسُولٌ»، وَالأُخْرَى^(٩): «بَشِيرٌ» ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حَمَلَتِ الرِّيحُ السَّحَابًا يَقْرَأُ﴾ بِالمَطَرِ

﴿سُقْنَتُهُ﴾ أي: السحاب، وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِيَلْمَرَنَّ﴾ لا نبات به؛ أي: لإحيائها ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ كذلك ﴿الإخراج﴾ نُخْرَجُ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِم بِالْإِحْيَاءِ ﴿لِنَمْلِكَنَّ تَذَكُّرًا﴾ فتؤمنون .

(١) إن كان المصنف يريد بذلك توبيخ كيفية الاستواء فهذا حق، كما قال مالك: «... والكيف مجهول»، وأما إن كان يريد بذلك أن معنى الاستواء نفسه مجهول، فيكون فراغًا من إثبات صفة العلو والاستواء على العرش؛ إذ إن كلام السلف في معنى الاستواء أنه العلو والارتفاع والاستقرار .
(٢) بتشديد الشين، ولازمه فتح الباء قراءة حمزة والكسائي وشعبة .
(٣) بالرفع في الأربع الكلمات قراءة ابن عامر .
(٤) وهذا صرف اللفظ عن ظاهره، وتعطيل لصفة الأمر، والمراد منه كلام الله وحكمه، وهو غير القدرة .
(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو .
(٦) لابن عامر .
(٧) لحمزة والكسائي .
(٨) وهي قراءة عاصم .
(٩) في نسخة مطبوعة: «والآخرة» .

رَبِّهِ ﴿ هَذَا مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ بِسَمْعِ الْمَوْعِظَةِ فَيَنْتَفِعُ بِهَا ﴾ ﴿ وَالَّذِي خَبَتْ ﴾ تَرَابَهُ ﴿ لَا يَخْرُجُ ﴾ نَبَاتُهُ ﴿ إِلَّا نَكِيدًا ﴾ غَيْرًا بِمَشَقَّةٍ، وَهَذَا مَثَلٌ لِلْكَافِرِ ﴿ كَذَلِكَ ﴾ كَمَا يَكُنُّ مَا ذُكِرَ ﴿ تُصْرَفُ ﴾ نَبِيُّنَ ﴿ الْأَيُّمُ لِقَوْمِهِ يَشْكُرُونَ ﴾ اللَّهُ فَيُؤْمِنُونَ.

[٥٩] ﴿ لَقَدْ ﴾ جَوَابُ قَسَمِ مُحَدِّثٍ ﴿ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورُ أَتَبُدُّوْا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ﴾ بِالْحَرِّ (١) صِفَةً لِدَوْلِهِ، وَبِالرَّفْعِ بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّهِ ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ إِنْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ ﴿ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

[٦٠] ﴿ قَالَ الْمَلَأُ ﴾ الْأَشْرَافُ ﴿ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي صَدَلٍ مُّبِينٍ ﴾ يَبِينُ.

[٦١] ﴿ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ صَلَاةٍ ﴾ هِيَ أَمُّ مِنَ الضَّلَالِ؛ فَفِيهَا أَبْلَغُ مِنْ نَفِيهِ ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

[٦٢] ﴿ [أَبْلَغُكُمْ] ﴾ (٢) بِالنَّخْفِيفِ وَالشَّدِيدِ ﴿ رَسَلْتَنِي رَبِّي وَأَنْصَحُ ﴾ أُرِيدُ الْحَيْرَ ﴿ لَكُرْ وَأَعْلَمُ ﴾ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

[٦٣] ﴿ أَمْ ﴾ كَذِبٌ ﴿ وَبِحَسْرَةٍ أَنْ جَاءَكَ ذِكْرٌ ﴾ مَوْعِظَةٌ ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ عَلَيَّ ﴿ لَسَانَ ﴾ رَجُلٍ يَنْكُرُ يُنذِرُكُمْ ﴿ الْعَذَابِ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴾ وَلِنَقُورًا ﴿ اللَّهُ ﴾ وَلِقُلُوكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿ بِهَا.

[٦٤] ﴿ كَذَّبُوهُ فَأَجْحَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ مِنَ الْغُرُقِ ﴿ فِي الْفُلِكِ ﴾ السَّفِينَةِ ﴿ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بِالطُّورِ فَانَ ﴿ إِنَّمَا كَانُوا قَوْمًا عَصِيًّا ﴾ عَنِ الْحَقِّ.

[٦٥] ﴿ وَ ﴾ أَرْسَلْنَا ﴿ إِلَىٰ عَادٍ ﴾ الْأُولَى (٣) ﴿ لَهَا مُمْرُودًا قَالَ يَنْقُورُ أَتَبُدُّوْا اللَّهَ ﴾ وَخُدُّوهُ ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ تَخَافُونَهُ فَتُؤْمِنُونَ.

[٦٦] ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ جَهَالَةٍ ﴿ وَإِنَّا لَنُنظُّنُكَ ﴾ مِنَ الْكَذِبِيَّةِ ﴿ فِي رِسَالَتِكَ.

[٦٧] ﴿ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

وَالْبَدَأَ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا كَذَلِكَ كَمَا يَكُنُّ مَا ذُكِرَ تُصْرَفُ الْأَيُّمُ لِقَوْمِهِ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورُ أَتَبُدُّوْا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي صَدَلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ صَلَاةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَجْحَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَصِيًّا ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورُ أَتَبُدُّوْا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُنظُّنُكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

[٥٨] ﴿ وَالْبَدَأَ الطَّيِّبُ ﴾ الْعَذْبُ التُّرَابِ ﴿ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ ﴾ حَسَنًا ﴿ بِإِذْنِ

(١) وهي قراءة الكسائي.

(٢) بالنخفيف قراءة أبي عمرو.

(٣) وهم قوم نبي الله هود عليه السلام؛ كما جاء وصفهم بذلك في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]، وأما عاد الآخرة، وهم المعينون بوعده عند الإطلاق - فهم

«شوء» قوم نبي الله صالح عليه السلام.

[٦٨] ﴿أَبْلَغْتُمْ وَسَلَكْتُمْ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ مأمون على الرسالة.
 [٦٩] ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى لِسَانٍ رَّجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذَكُرًا وَإِذْ جَعَلْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ من بعد قوم نوح
 وَرَأَدَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً قُوَّةً وَطَوَلًا، وَكَانَ طَوِيلُهُمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَقَصِيرُهُمْ
 سِتِينَ^(١) ﴿فَأَذَكُرًا ۗ إِنَّ آيَةَ اللَّهِ لَخَلْقُ النَّفْلِخُونِ﴾ تفوزون.
 [٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ
 يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا سِمَاتِنَا﴾ به من العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
 في قولك.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وَجِبَ ﴿عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ﴾ عذاب
 ﴿وَعَضْبٌ أَتَجِدُونِي فِي سَمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: سميت بها ﴿أَنْتُمْ
 وَأَبَاؤُكُمْ﴾ أصناما تعبدونها ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن
 سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿فَانظُرُوا﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ
 الْمُنظِرِينَ﴾ ذلك بتكذيبكم لي؛ فأرسلت عليهم الريح العقيم.

[٧٢] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ أي: هوذا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿يَرْجِعُونَ
 وَقَطَعْنَا دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُوا
 مُؤْمِنِينَ﴾ عطف على ﴿كَذَّبُوا﴾.

[٧٣] ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ بترك الصرف^(٢)؛ مرادًا به القبيلة
 ﴿أَنَّهُمْ صَالِحٌ قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ
 جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ
 لَكُمْ آيَةٌ﴾ حال، عاملها معنى الإشارة، وكانوا سألوه أن يخرجها لهم
 من صخرة غشيها ﴿فَدَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءُ﴾ يعقر
 أو ضرب ﴿فِيأخذكم عذاب أليم﴾

أَبْلَغْتُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ
 جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى لِسَانٍ رَّجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
 وَأَذَكُرًا وَإِذْ جَعَلْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَرَأَدَكُمْ
 فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذَكُرًا ۗ إِنَّ آيَةَ اللَّهِ لَخَلْقُ النَّفْلِخُونِ ﴿٦٩﴾
 قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
 آبَاؤُنَا فَأَيْنَا سِمَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾
 قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَضْبٌ
 أَجِئْتُنِي فِي سَمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
 مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ
 الْمُنظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَرَحِمَةً مِّنَّا
 وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ
 ﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَنَّهُمْ صَالِحٌ قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ
 مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
 هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ فَدَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ
 اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءُ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(١) تحديد طول أطولهم وأقصهرهم على هذا النحو مخالف لما جاء في الصحيح في وصف آدم عليه السلام؛ ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا فلم يرزل الخلق ينقص بعده حتى الآن». البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١). فهذا الحديث صريح في أنه ليس بعد آدم من هو أطول منه.

(٢) أي بالنقص من الصرف؛ للعلمية والتأنيث.

وَبَوَّأَكُمْ ﴿٧٦﴾ أَسْكَنْكُمْ ﴿٧٦﴾ فِي الْأَرْضِ تَنْبِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا فَصُورًا ﴿٧٦﴾ تَسْكُنُونَهَا فِي الصَّيْفِ ﴿٧٦﴾ وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا ﴿٧٦﴾ تَسْكُنُونَهَا فِي الشِّتَاءِ وَنَضَبَهُ عَلَى الْحَالِ الْمَقْدَرَةِ ﴿٧٦﴾ فَأَذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾.

[٧٥] ﴿٧٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ تَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ ﴿٧٥﴾ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴿٧٥﴾ أَي: مِنْ قَوْمِهِ، بَدَلُ مَا قَبْلَهُ لِإِعَادَةِ الْجَارِ ﴿٧٦﴾ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ﴿٧٦﴾ إِلَيْكُمْ ﴿٧٦﴾ قَالُوا لَا نَعْلَمُ نَعَمْ ﴿٧٦﴾ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٦﴾.

[٧٦] ﴿٧٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ وَكَانَتِ النَّاقَةُ لَهَا يَوْمَ فِي الْمَاءِ وَلَهُمْ يَوْمَ، فَمَلُوا ذَلِكَ.

[٧٧] ﴿٧٧﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴿٧٧﴾ عَقَرَهَا «فَعَدَّاهُ» (١) بِأَمْرِهِمْ؛ بَأَن قَتَلَهَا بِالسَّيْفِ ﴿٧٧﴾ وَعَقَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ أَثْمِنًا يَمَّا تَعَدَّاهُ ﴿٧٧﴾ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى قَتْلِهَا ﴿٧٧﴾ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾.

[٧٨] ﴿٧٨﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴿٧٨﴾ الرَّزْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ مِنَ الْأَرْضِ، وَالصَّيْحَةُ مِنَ السَّمَاءِ ﴿٧٨﴾ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيئِينَ ﴿٧٨﴾ بَارَكِينَ عَلَى الرُّكْبِ مَبِيتِينَ.

[٧٩] ﴿٧٩﴾ فَتَوَلَّى ﴿٧٩﴾ أَعْرَضَ صَالِحٌ ﴿٧٩﴾ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾.

[٨٠] ﴿٨٠﴾ وَ﴿٨٠﴾ لَوْطًا ﴿٨٠﴾ وَيُثِدُّ مِثْنَهُ ﴿٨٠﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ ﴿٨٠﴾ أَي: أَدْبَارَ الرِّجَالِ ﴿٨٠﴾ مِمَّا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَسَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

[٨١] ﴿٨١﴾ [الَّذِينَ] ﴿٨١﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالِ الْأَلْفِ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ، وَفِي قِرَاءَةِ ﴿٨١﴾ [إِنَّكُمْ] ﴿٨١﴾ ﴿٨١﴾ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِثْنِ دُونَ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ مُتَجَاوِزُونَ الْحِلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ ﴿٧٦﴾ فِي الْأَرْضِ تَنْبِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا فَصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا فَأَذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ أَثْمِنًا يَمَّا تَعَدَّاهُ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيئِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِثْنِ دُونَ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

[٧٤] ﴿٧٤﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ ﴿٧٤﴾ فِي الْأَرْضِ ﴿٧٤﴾ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ﴿٧٤﴾

(١) أي تنجيتها مقدّرين جعلها بيوتاً لكم.

(٢) ابن سالف.

(٣) قرأ السبعة عدداً نافع وحفص بهزتين على لفظ الاستفهام، الذي في معناه التوبيخ، غير أن ابن كثير يسهل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء، وكذلك أبو عمرو لكنه يدخل بين الهمزتين ألفاً فيمد، وهشاماً يدخل بين الهمزتين ألفاً مع تخفيفهما، بخلاف عه، وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعتين في كلمة، الثانية منهما مكسورة، ومع موافقة نافع لابن كثير موافقة قالون لأي عمرو وهشام.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ ﴿٨٢﴾ أَي: لوطاً
وَأَبْنَاءَهُ الَّذِينَ قَرَّبْتُمْ إِلَيْهِمْ أَنْاسٌ يَبْطَلُهُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ.
﴿٨٣﴾ فَأَجَبْتَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَمَّ كَانَتْ مِنَ الْفَاجِرِينَ ﴿٨٤﴾ الْبَاقِينَ فِي
الْعَذَابِ.
﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿٨٥﴾ هُوَ حِجَارَةٌ السَّجِيلِ؛ فَاهْلَكْتَهُمْ
﴿٨٥﴾ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ.
﴿٨٥﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ ﴿٨٦﴾ مَعْجزة ﴿٨٦﴾ مِنْ
رَبِّكُمْ ﴿٨٧﴾ عَلَى صِدْقِي ﴿فَأَوْفُوا﴾ أَمْوًا ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا
تَبْخَسُوا﴾ تَنْقُصُوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْكَفْرِ
وَالْمَعَاصِي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بَيْعِ الرِّسْلِ ﴿ذَالِكُمْ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿حَتَّى لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مَرِيدِي الْإِيمَانِ فَبَادَرُوا إِلَيْهِ.
﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٌ ﴿تُوعِدُونَ﴾ تَخَوِّفُونَ
النَّاسَ بِأَخْذِ ثِيَابِهِمْ أَوْ التَّمَكُّسِ (١) مِنْهُمْ ﴿وَتَصَّدُّونَ﴾ تَصْرِفُونَ ﴿عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ﴾ دِينِهِ ﴿مَنْ ءَامَرَ بِهِ﴾ بِنُوعِدْكُمْ إِيَّاهُ بِالْقَتْلِ ﴿وَتَعْمُونَهَا﴾ تَطْلُبُونَ
الطَّرِيقَ ﴿عِوَجًا﴾ مَعُوجَةً ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْكُمْ
وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿قَبْلَكُمْ﴾ بِتَكْذِيبِ رِسْلِهِمْ؛ أَي: أَخْرَجُوا
أَمْرَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ.
﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَا يُؤْمِنُوا بِهِ ﴿فَأَصْبِرُوا﴾ أَنْظِرُوا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾
وَبَيْنَكُمْ بِإِجْمَاعِ الْحَقِّ وَهَلَاكِ الْمَبْطَلِ ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لِمُتَكَبِّرِينَ﴾ أَعْدَلُهُمْ.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ ﴿٨٢﴾ أَي: لوطاً
وَأَبْنَاءَهُ الَّذِينَ قَرَّبْتُمْ إِلَيْهِمْ أَنْاسٌ يَبْطَلُهُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ.
﴿٨٣﴾ فَأَجَبْتَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَمَّ كَانَتْ مِنَ الْفَاجِرِينَ ﴿٨٤﴾ الْبَاقِينَ فِي
الْعَذَابِ.
﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿٨٥﴾ هُوَ حِجَارَةٌ السَّجِيلِ؛ فَاهْلَكْتَهُمْ
﴿٨٥﴾ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ.
﴿٨٥﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ ﴿٨٦﴾ مَعْجزة ﴿٨٦﴾ مِنْ
رَبِّكُمْ ﴿٨٧﴾ عَلَى صِدْقِي ﴿فَأَوْفُوا﴾ أَمْوًا ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا
تَبْخَسُوا﴾ تَنْقُصُوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْكَفْرِ
وَالْمَعَاصِي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بَيْعِ الرِّسْلِ ﴿ذَالِكُمْ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿حَتَّى لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مَرِيدِي الْإِيمَانِ فَبَادَرُوا إِلَيْهِ.
﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٌ ﴿تُوعِدُونَ﴾ تَخَوِّفُونَ
النَّاسَ بِأَخْذِ ثِيَابِهِمْ أَوْ التَّمَكُّسِ (١) مِنْهُمْ ﴿وَتَصَّدُّونَ﴾ تَصْرِفُونَ ﴿عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ﴾ دِينِهِ ﴿مَنْ ءَامَرَ بِهِ﴾ بِنُوعِدْكُمْ إِيَّاهُ بِالْقَتْلِ ﴿وَتَعْمُونَهَا﴾ تَطْلُبُونَ
الطَّرِيقَ ﴿عِوَجًا﴾ مَعُوجَةً ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْكُمْ
وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿قَبْلَكُمْ﴾ بِتَكْذِيبِ رِسْلِهِمْ؛ أَي: أَخْرَجُوا
أَمْرَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ.
﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَا يُؤْمِنُوا بِهِ ﴿فَأَصْبِرُوا﴾ أَنْظِرُوا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾
وَبَيْنَكُمْ بِإِجْمَاعِ الْحَقِّ وَهَلَاكِ الْمَبْطَلِ ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لِمُتَكَبِّرِينَ﴾ أَعْدَلُهُمْ.

(١) التَّمَكُّسُ (بفتح الميم وسكون الكاف): الضريبة، والجمالية والإتاوة التي تؤخذ بغير حق. وأصله في اللغة: الخيانة. «والتَّمَكُّسُ»: هو أخذها.

وأخرج مسلم في صحيحه (١٦٩٥) في قصة رجم العاصية: «... لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له...». وفي هذا دليل على عظم هذا الذنب وأن المكس من أقيح المعاصي والذنوب والموبقات؛ وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلماتهم عنده. كما ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم.

وأخرج أحمد في مسنده (١٦٨٤٣) وأبو داود في سننه (٢٩٣٧) من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً: «لا يدخل الجنة صاحب مكس». وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٦٣١).

ملتهم قَطُّ، وعلى نحوه أجاب: ﴿قَالَ أَلَمْ نَعُودْ فِيهَا ﴿١٧٠﴾ لَوْ كُنَّا كَرِيمِينَ ﴿١٧١﴾ لَهَا!؟ استفهام إنكار.

[١٨٩] ﴿فَإِذْ أَقْرَبْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ ﴿١٨٩﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴿١٩٠﴾ ذلك فيدخلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٩١﴾ أي: وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ ﴿١٩٢﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿١٩٣﴾ الحاكمين.

[١٩٠] ﴿قَالَ أَلَمْ نَكْفُرُوا بِاللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴿١٩٠﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَيْنٌ ﴿١٩١﴾ لام قسم ﴿أَتَبِعْتُمْ شُعْبًا إِذْ كُذِّبُوا إِذَا لَخِيسِرُونَ ﴿١٩٢﴾.

[١٩١] ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ ﴿١٩١﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثين ﴿١٩٢﴾ باركين على الرُّكَبِ ميتين ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا ﴿١٩٣﴾ مبتدأ وخبره: ﴿كَانَ ﴿١٩٤﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَنْتَوُوا ﴿١٩٥﴾ يقيموا ﴿فِيهَا ﴿١٩٦﴾ في ديارهم.

[١٩٢] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَائِرِينَ ﴿١٩٢﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق.

[١٩٣] ﴿فَتَوَلَّى ﴿١٩٣﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴿١٩٤﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءَأْسَى ﴿١٩٥﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمِي كَافِرِينَ ﴿١٩٦﴾ استفهام بمعنى النفي^(١).

[١٩٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ ﴿١٩٤﴾ فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا ﴿١٩٥﴾ عاقبتنا ﴿أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ ﴿١٩٦﴾ بشدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ ﴿١٩٧﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ ﴿١٩٨﴾ يتذللون فيؤمنون.

[١٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا ﴿١٩٥﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ ﴿١٩٦﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ ﴿١٩٧﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا ﴿١٩٨﴾ كثروا ﴿وَقَالُوا ﴿١٩٩﴾ كفروا للنعمة: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ ﴿٢٠٠﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال - تعالى -: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ ﴿٢٠١﴾ بالعذاب ﴿بِقِتَّةٍ ﴿٢٠٢﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٣﴾ بوقت مجيئه قبله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ ﴿١٨٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْلَعُودٌ ﴿١٨٩﴾ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَرِيمِينَ ﴿١٩٠﴾ قَدْ أَقْرَبْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿١٩١﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِن أَتَبَعْتُمْ شُعْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخِيسِرُونَ ﴿١٩٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثين ﴿١٩٣﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَائِرِينَ ﴿١٩٤﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأْسَى عَلَى قَوْمِي كَافِرِينَ ﴿١٩٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ ﴿١٩٦﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩٧﴾

[١٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴿١٨٨﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْلَعُودٌ ﴿١٨٩﴾ ترجعن ﴿فِي مِلَّتِنَا ﴿١٩٠﴾ ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد؛ لأن شعبيًا لم يكن في

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ المكذبن ﴿ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بالبر ﴿وَالنَّبَاتِ﴾ بالنبات ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.
[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيْتَاتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ غافلون عنه.
[٩٨] ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ أن يأتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحَّىٰ ﴿نَهَارًا﴾ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استدراجاً إليهم بالنعمة وأخذهم بغتة^(٢) ﴿فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ بين ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُوبُونَ﴾ الأرض ﴿بِالسُّكْنَى﴾ مِن بَعْدِ هَلَاكِ ﴿أَهْلِهَا﴾ أَن ﴿فَاعِلٌ﴾ مخففة واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ أصبناهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ يَذُوبُهُمْ ﴿كَمَا﴾ أصبنا من قبلهم، والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف، وفي قراءة: يسكون الواو في الموضع الأول^(٣) عطفًا بـ ﴿أَوْ﴾ ﴿وَنَحْنُ﴾ نَطْبَعُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ المعوضة سماع تدير.

[١٠١] ﴿يَذُوقُوا﴾ ذُوقُوا ﴿الْعَذَابَ﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقْضُ عَيْتِكِ﴾ يا محمد ﴿مِنَ أَنْبِيَائِهَا﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجرات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر ﴿كَذَلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِكَرِيمٍ﴾ أي: الناس ﴿مِنَ عَهْدٍ﴾ أي: وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق^(٤) ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الرسل المذكورين ﴿مُوسَىٰ﴾ بِأَيَّتِنَا ﴿التَّسْعَ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴿قَوْمَهُ﴾ فَظَلَمُوا ﴿كَفَرُوا﴾ بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿بِالْكَفْرِ﴾ من إهلاكهم.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَّتَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحَّىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوبُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَوْ نَشَاءُ أَصَبْتَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقْضُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْبِيَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِكَرِيمٍ مِّنَ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِأَيَّتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) ومنهذ السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به . شجاعتاً ، وهي فيما سيق له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها، وكذا لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع.

(٣) وهو قوله - تعالى -: ﴿أَوْ آمِنَ﴾، وهي قراءة نافع وابن عباس وابن عامر.

(٤) وهم في صلب أبيهم آدم ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَوَدَّ أَنْزَلَ رُوحَكَ مِنْ رَبِّكَ مِنْ نَحْوِ مَا دَمٍ مِنْ لُطُوفِهِمْ دُرَّتُهُمْ وَآشَتْهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنْتَ يَرِيحُكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

- [١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿إِنْ كُنْتَ إِحْسَنَ يَأْتِيكَ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ فيها.
- [١٠٧] ﴿فَأَلْفَنُ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ حية عظيمة.
- [١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاهُ﴾ ذات شعاع^(١) ﴿لِلنّٰظِرِيْنَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(٢).
- [١٠٩] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر، وفي الشعراء: أنه من قول فرعون نفسه، فكانهم قالوه معه على سبيل التشاور.
- [١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.
- [١١١] ﴿قَالُوا أَرَبِيَّةٌ وَأُنْهَاءٌ﴾ أخر امرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين.
- [١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ﴾ وفي قراءة: ﴿سَحَابٍ﴾^(٤) ﴿عَلِيمٍ﴾ بفضل موسى في علم السحر، فجمعوا.
- [١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَأَبْرَأُ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٥) ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.
- [١١٤] ﴿قَالَ نَمَّ وَإِنَّكُمْ لَيَنَّ الْمُرْغَبِينَ﴾.
- [١١٥] ﴿قَالُوا يَمْوَسِجُ إِمَّا أَنْ نُلْقَى﴾ عصاك ﴿وَأِمَّا أَنْ نُكُونَ نَحْنُ الْمُرْغَبِينَ﴾ ما معنا.
- [١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَأَسْرَهُوهُمْ﴾ خوفهم؛ حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَاءَهُ سِحْرٌ عَظِيمٌ﴾.
- [١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل^(٦)؛ تبتلع ﴿مَا يَأْتِيكُنَّ﴾ يقلبون بتمويههم.
- [١١٨] ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر.
- [١١٩] ﴿فَغُلِبُوا﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هَنَالِكَ وَالْقَابِلُوا صٰغِرِينَ﴾ صاروا ذليلاً.
- [١٢٠] ﴿وَأَلْفَى السَّحَرَةُ سٰجِدِينَ﴾.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُمْكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ إِحْسَنَ يَأْتِيكَ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿١٠٧﴾ فَأَلْفَنُ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٨﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاهُ لِلنّٰظِرِيْنَ ﴿١٠٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١١﴾ قَالُوا أَرَبِيَّةٌ وَأُنْهَاءٌ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٢﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمْوَسِجُ إِمَّا أَنْ نُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نُكُونَ نَحْنُ الْمُرْغَبِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا أَلْقُوا سِحْرَهُمْ وَجَاءَهُ سِحْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هَنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْفَى السَّحَرَةُ سٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

- [١٠٥] فكذبه فقال: أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ وفي قراءة: بتشديد الياء^(١)، ف﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ خبره: ﴿أَنْ﴾ وما بعده.
- ﴿قَدْ جِئْتُمْكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وكان استغنيهم.

(١) مع فتحها، أي: ياء ﴿عَلَىٰ﴾ من قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ وهي لنافع.

(٢) من غير برص ولا مرض.

(٣) أي: السمرة.

(٤) لحزمة والكسائي.

(٥) ظاهر كلام المصنف يفيد أن هنا قراءتين فقط، مع أنها أربع، فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة وهي ﴿إِنَّ﴾ بهززة واحدة، وهي قراءة نافع وابن كثير وحفص، أما قراءة الاستفهام فهي لباقي السبعة، على أصل كل واحد كما سبق ذكره في: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ﴾.

(٦) أي: وأصلها: تلتقف، وهي قراءة السبعة عدا حفص.

[١٢١] ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّي فَأَعْبُدْهُ﴾ .
 [١٢٢] ﴿رَبِّي مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العضا لا يتأتى بالسحر.
 [١٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَنَّمَنَّمُ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً^(١) ﴿بِي﴾ . موسى ﴿قَالَ أَن مَّاذَن﴾ أنا ﴿لَكُرَّ إِنَّ هَذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكُرَّ﴾ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ .
 [١٢٤] ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .
 [١٢٥] ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَهُ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُتَقَلِّبُونَ﴾ راجعون في الآخرة.
 [١٢٦] ﴿وَمَا نُنْقِمُ﴾ تنكر ﴿وَمَا إِلَا أَنْتَ أَمَّا نَا يَا بَنِي رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ نَا رَبِّنَا أَرْعَىٰ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعدنا به؛ لئلا نرجع كفارًا ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ مُسْلِمِينَ .
 [١٢٧] ﴿وَقَالَ الْكَلْبُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَنْدَرُ﴾ ترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ﴾ يُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرُكَ﴾ وَهَلْهَكَ ﴿وكان صنع لهم أصنامًا صغارًا يعبدونها، وقال: «أنا ربكم وربها»؛ ولذا قال: «أنا ربُّكُمْ الْأَخْلَىٰ﴾ ﴿قَالَ سَنُقْلِبُكَ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢) ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَسَنَسْتَبِي﴾ نستبي ﴿بِأَبْنَاءِهِمْ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿وَأِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ قادرون؛ ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل.
 [١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لله.
 [١٢٩] ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها.
 [١٣٠] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِاللَّيْسِينِ﴾ بالقشط ﴿وَنَقِصَ مِنْ أَلْمَمَرَاتِ لَمَأَهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون.

قَالُوا أَمَّا رَبِّي فَأَعْبُدْهُ رَبِّي مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنَّمُ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَىٰ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَهُ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ أَمَّا يَا بَنِي رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ نَا رَبِّنَا أَرْعَىٰ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْكَلْبُ مِنَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْدَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ وَيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَهَلْهَكَ قَالَ سَنُقْلِبُكَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٧﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِاللَّيْسِينِ وَنَقِصَ مِنْ أَلْمَمَرَاتِ لَمَأَهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾

(١) وهي قراءة نافع والنبري وأبي عمرو وابن عامر؛ حيث قرأوا بهجرة مخففة وبعدها همزة بين يين، وبعدها ألف بدل من الساكنة، وكذلك قرأ قبل إذا ابتداء بها، أما في الوصل فيقرأ بواو بدل من الهمزة الأولى؛ لانضمام ما قبلها وهي مفتوحة، وخفف الثانية بين يين إرادة التخفيف، وقرأ حفص بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية وبعدها ألف، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بهمزتين محقتين بعدهما ألف، وكذلك في موضع طه والشعراء.

(٢) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جذب وبلاء ﴿يَطْرُقُوا﴾ يتشاءموا ﴿يَوْمِي وَمَنْ نَعْمَةٌ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتَهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده.

[١٣٢] ﴿وَقَالُوا﴾ موسى: ﴿مَهْمَا تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَحْنُ لَكَ يَوْمَئِذٍ﴾ فدعا عليهم.

[١٣٣] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَالجُرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَالقُمَّلَ﴾ السوس، أو نوع من الفُرَادِ (١) فتبع ما تركه الجراد ﴿وَالصَّفصَاءَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ في مياههم ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ مبيات ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يما عهد عندك ﴿من كشف العذاب عنا إن آمنا﴾ كَيْنَ ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ قِيسٌ﴾ من كشف عنا الرِّجْزَ لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ لَهُمْ يَلْفُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[١٣٦] ﴿فَأَنفَقْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر الصليح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَعْمُونَ﴾ بالاستعباد؛ وهم: بنو إسرائيل ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا﴾ التي بركنا فيها ﴿بِالْمَاءِ وَالشَّجَرِ﴾ صفة

للأرض؛ وهي: الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله - تعالى -: ﴿وَرُبِّيذُ أَنْ تَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (٢) إلخ ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يما صبروا ﴿على أذى عدوهم﴾ ودَمَرْنَا ﴿أهلكتنا﴾ ما كانت يصنع فرعون وقومه ﴿من العمارة﴾ وما كانوا يعرشون ﴿بكسر الراء وضمها﴾ (٣) يرفعون من البنيان.

فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطْرُقُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ وَالْآيَاتُ لِنَاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَحْنُ لَكَ يَوْمَئِذٍ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالصَّفصَاءَ وَالِدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَمَا عَهْدَ عِنْدِكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٥﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ لَهُمْ يَلْفُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٦﴾ فَانفَقْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا ۗ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الحصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي:

(١) وقيل: هو القمل المعروف.

(٢) القصص: ٥٠.

(٣) بالضم قرلة شعبة وابن عامر.

﴿وَجَوْرَنَا﴾ ﴿وَجَوْرَنَا﴾ عَزَّوَجَلَّ بِسَبَبِ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا ﴿فَمَرُوا﴾ ﴿عَلَى قَوْمٍ يَمْكُرُونَ﴾ بضم الكاف وكسر هاء^(١) ﴿عَلَى أَصْنَابٍ لَهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿فَاتَّوَا يَمْوَسَىٰ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صنعا نعبده ﴿كَمَا لَهُمُ إِلَهَةٌ﴾ قَالَ ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَهْتَلُونَ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه. ﴿١٣٩﴾ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا﴾ ﴿هَالِكٌ﴾ ﴿مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَا كَانُوا يَمْشُونَ﴾.

﴿١٤٠﴾ ﴿قَالَ أَغْرَىٰ اللَّهُ آبِيكُمْ إِلَهًا﴾ معبودا، وأصله: أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله: ﴿١٤١﴾ ﴿وَوَاقِعُوا﴾ ﴿إِذْ أَجْبَيْتُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿أَجْبَأْتُمْ﴾^(٢) ﴿مِنْ عَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشد؛ وهو: ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يَشْتَبِقُونَ ﴿بِنِسَائِكُمْ﴾ وفي ذلكم الإجماع والعذاب ﴿بِنِسَائِكُمْ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أفلا تتعظون فنتهتوا عما قلتم؟

﴿١٤٢﴾ ﴿وَوَاعَدْنَا﴾ بألف ودونها^(٣) ﴿مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ نُكَلِّمُهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا؛ بَأَن يَصُومَهَا؛ وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ؛ فَصَامَهَا، فَلَمَّا تَمَّت أَنْكَرَ خُلُوفَ فِيهِ^(٤)؛ فَاسْتَاكَ؛ فَأَمَرَ اللَّهُ بِعَشْرَةِ أُخْرَىٰ لِيُكَلِّمَهُ بِخُلُوفِ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأْتَمَّنَّهَا بِعَشْرِ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ يَمِنتُ رَبِّي﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حَالٌ ﴿لَيْلَةً﴾ تَمَيِّزٌ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة: ﴿أَخْلَفْتِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أَمْرُهُمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بموافقتهم على المعاصي.

﴿١٤٣﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِيَمِيقِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة كالما سمعه من كل جهة^(٥) ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي ﴿أَي: لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ رُؤْيِي﴾، والتعبير به دون «لَنْ أَرَى» يفيد إمكان رؤيته - تعالى - ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ﴾ ثَبِتَ ﴿مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ أي: تثبت لرؤيتي، وإلا فلا طاقة لك.

﴿فَلَمَّا بَدَّلْنَا رَبُّهُ﴾ أي: ظهر من نوره قَدْرٌ يُضْفِئُ أُنْمَلِيَةَ الْخَنَصِرِ؛ كَمَا فِي حَدِيثٍ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ^(٦) ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بالقصر والمد^(٧)؛ أي: مذكوكا مستويا بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَبَقًا﴾ مغشيا عليه لهول ما

﴿وَجَوْرَنَا﴾ ﴿وَجَوْرَنَا﴾ عَزَّوَجَلَّ بِسَبَبِ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا ﴿فَمَرُوا﴾ ﴿عَلَى قَوْمٍ يَمْكُرُونَ﴾ بضم الكاف وكسر هاء^(١) ﴿عَلَى أَصْنَابٍ لَهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿فَاتَّوَا يَمْوَسَىٰ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صنعا نعبده ﴿كَمَا لَهُمُ إِلَهَةٌ﴾ قَالَ ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَهْتَلُونَ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه. ﴿١٣٩﴾ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا﴾ ﴿هَالِكٌ﴾ ﴿مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَا كَانُوا يَمْشُونَ﴾.

﴿١٤٠﴾ ﴿قَالَ أَغْرَىٰ اللَّهُ آبِيكُمْ إِلَهًا﴾ معبودا، وأصله: أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله: ﴿١٤١﴾ ﴿وَوَاقِعُوا﴾ ﴿إِذْ أَجْبَيْتُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿أَجْبَأْتُمْ﴾^(٢) ﴿مِنْ عَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشد؛ وهو: ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يَشْتَبِقُونَ ﴿بِنِسَائِكُمْ﴾ وفي ذلكم الإجماع والعذاب ﴿بِنِسَائِكُمْ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أفلا تتعظون فنتهتوا عما قلتم؟

﴿١٤٢﴾ ﴿وَوَاعَدْنَا﴾ بألف ودونها^(٣) ﴿مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ نُكَلِّمُهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا؛ بَأَن يَصُومَهَا؛ وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ؛ فَصَامَهَا، فَلَمَّا تَمَّت أَنْكَرَ خُلُوفَ فِيهِ^(٤)؛ فَاسْتَاكَ؛ فَأَمَرَ اللَّهُ بِعَشْرَةِ أُخْرَىٰ لِيُكَلِّمَهُ بِخُلُوفِ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأْتَمَّنَّهَا بِعَشْرِ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ يَمِنتُ رَبِّي﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حَالٌ ﴿لَيْلَةً﴾ تَمَيِّزٌ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة: ﴿أَخْلَفْتِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أَمْرُهُمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بموافقتهم على المعاصي.

﴿١٤٣﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِيَمِيقِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة كالما سمعه من كل جهة^(٥) ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي ﴿أَي: لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ رُؤْيِي﴾، والتعبير به دون «لَنْ أَرَى» يفيد إمكان رؤيته - تعالى - ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ﴾ ثَبِتَ ﴿مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ أي: تثبت لرؤيتي، وإلا فلا طاقة لك.

﴿فَلَمَّا بَدَّلْنَا رَبُّهُ﴾ أي: ظهر من نوره قَدْرٌ يُضْفِئُ أُنْمَلِيَةَ الْخَنَصِرِ؛ كَمَا فِي حَدِيثٍ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ^(٦) ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بالقصر والمد^(٧)؛ أي: مذكوكا مستويا بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَبَقًا﴾ مغشيا عليه لهول ما

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) لابن عامر.

(٣) بدون ألف قراءة أبي عمرو.

(٤) أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعا. [الدر المنثور (٥٣٦/٣)].

(٥) وهذا فرار من المفسر من إثبات الجهة والعلو بذاته - شيعائه - كما هو منهج الأشاعرة، وأما عند أهل السنة: فهم مجمعون على إثبات هذا العلو، ومنهم من يثبت الجهة لكن يقصدون بذلك إثبات العلو، ومنهم من قال في الجهة والمكان: لا ينبغي إثباتهما ولا نفيهما مطلقا. يعني يستفصل القائل بذلك عن مراده؛ فإن أراد نفي العلو أو غيره من المعاني الباطلة رد قوله، وإن أراد بذلك إثبات العلو، وإقناعه، وهذا هو الصحيح - إن شاء الله.

(٦) المستدرک (٣٢٠/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. روى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعا ذكر طرف الخنصر.

(٧) وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. روى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعا ذكر طرف الخنصر.

(٨) وفي ظلال الجنة (٤٨١) (أنه أخرج طرف الخنصر) وضححه الألباني.

(٩) وفي ظلال الجنة (٤٨٠) (وضع إبهامه على قريب من طرف أمله) وضححه الألباني.

(٧) بالمد قراءة حمزة والكسائي.

رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك ﴿ثَبَّتَ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم أؤمر به ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زمني.

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُمُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ أي: ألواح التوراة، وكانت من صدر الجنة، أو زبرجد، أو زمرد، سبعة أو عشرة^(١) ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبيينًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدلًا من الجار والمجرور ﴿قَبْلَهُ﴾ فَمَذْهَبًا ﴿قَبْلَهُ﴾ قبله ﴿قَلْنَا﴾ مقدارًا ﴿بِقَوْلِهِ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَمْرًا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنَهَا سَأُورِيكَو دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه؛ وهي: مصر؛ لتعبروا بهم.

[١٤٦] ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بأن أخذلهم؛ فلا يتكبرون فيها ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا تَأْتِيهِمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوا سَيْلًا﴾ طريق ﴿الرُّشْدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا﴾ سبيل النَّجْوَى الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ذلك الصَّرف ﴿بِأَيْتَانِهِمْ كَذَّبُوا﴾ بِأَيْتَانِيكََا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿تَقَدَّمَ بِقَلْبِهِ﴾

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير؛ كصلة رحم وصدقة؛ فلا ثواب لهم^(٢)؛ لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ﴾ إِلَّا ﴿جِزَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي.

[١٤٨] ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلبة غزوي^(٣)؛ فبقي عندهم ﴿عِجْلًا﴾ صاعه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدلًا؛ لحمًا ودماغًا ﴿لَهُ خَوَارِ﴾ أي: صوت يسمع؛ انقلبت كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه؛ فإن أثره الحَيَاةَ فيما يُوضَعُ فيه^(٤)، ومفعول ﴿أَتَّخَذَ﴾ الثاني محذوف؛ أي: لها ﴿أَلَدَ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يَكْفُرُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذ إليها؟! ﴿أَتَّخَذُوهُ﴾ لها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذها.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا لَوْلَا أَلَيْنَ لَمْ يَرِحْمَنَّا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والناء فيهما^(٥) ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ بها، وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرِحْمَنَّا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والناء فيهما^(٦) ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قَالَ يَكْمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنَهَا سَأُورِيكَو دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٦﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا تَأْتِيهِمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ النَّجْوَى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ وَلَا يَكْفُرُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا لَوْلَا أَلَيْنَ لَمْ يَرِحْمَنَّا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿يَكْمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالجمع والإفراد^(١) ﴿وَبِكَلِمَتِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنعمي.

(١) بالإفراد قراءة نافع وابن كثير.

(٢) والصحيح عدم تحديد شيء من ذلك من غير دليل.

(٣) في الآخرة؛ لعدم إيمانهم، ولكنهم يجازون عليه في الدنيا لحديث أنس بن مالك مرفوعًا عند مسلم وغيره وإن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة؛ يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة. أما الكافر فيقطع بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها. رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين، وظاهر الآية يقتضي أن الحلي ملك لهم؛ وأن الإضافة في قوله: ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ هي إضافة الملك. لكن قولهم في آية طه: ﴿جَمَلْنَا أَوْرَاقًا مِنْ زَيْتُونٍ وَنَرِيَّو الْقُرُوبِ﴾ [طه: ٨٧] لإضافة الزينة إلى غيرهم وهم القبط يعمد على ذلك. وأجيب بأن قولهم يحتمل أن يكون لظنهم الحرمة لجهلهم بأنفسهم؛ وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ [الأعراف: ١٤٨]. قال: حين دفنوها ألقى عليها السامري قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام. [الدر المنثور (٣/٢٣٤)].

(٦) بالناء قراءة حمزة والكسائي، وعلى قراءة الباء يكون ﴿وَرِحْمَنَا﴾ مرفوعًا على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوبًا على النداء.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَتَعْبُدُونَ إِلَّا الْآلِهَةَ الْأَوْلَاحَ ۖ وَاتَّخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَمْرُوتَ إِلَهًا ۚ قَالَ ابْنُ آدَمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ۖ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِأَن رَّبَّهُمْ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَىٰ الْعَصْبُ أَخَذَ الْأَوْلَاحَ فِي شُحْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاتَّخَذَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ وِسْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَنُتَلِّكُهُم بَإِمْعَانٍ ۖ أَلِيفَةً ۖ مِن مِّنَّا ۖ وَإِن مِّن مِّن شَيْءٍ إِلَّا فَنَنفِثُ بِهِ ۖ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٥﴾

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: ﴿بِئْسَمَا﴾ أي: بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ ﴿أَتَعْبُدُونَ هَذِهِ﴾ حيث أشرككم ﴿أَتَعْبُدُونَ إِلَّا الْآلِهَةَ الْأَوْلَاحَ﴾ (١) الالهة التي جعلتموها آلهة من دون الله ﴿وَاتَّخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعره يمينه، ولحيته بشماله ﴿يَمْرُوتَ إِلَهًا﴾ غضبا ﴿قَالَ﴾: يا ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ بكسر الميم (٢) وفتحها؛ أراد: أمي، و﴿ذِكْرُهَا أَغْطَفَ لِقَلْبِهِ﴾ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا ﴿قَارِبُوا﴾ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ ﴿تُفْرَحُ﴾ بِيَ الْأَعْدَاءَ ۖ يَاهَانَتِكَ يَا بِي وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿عبادة العجل في المواخذه.﴾

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِإِخِي﴾ أشركته في الدعاء؛ إرضاء له ودفعاً للشتمات به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١٥٢] قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ الالهة ﴿سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب (٣) ﴿وَمِن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا؛ بالأمر يقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهاهم ﴿نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله؛ بالإشراك وغيره.

[١٥٣] ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: التوبة ﴿لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَن مُّوسَىٰ الْعَصْبُ أَخَذَ الْأَوْلَاحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي شُحْحَتِهَا﴾ أي: ما نسخ فيها؛ أي: كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول؛ لتقدمه.

[١٥٥] ﴿وَأَخَذَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه ﴿وِسْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره - تعالى - ﴿لِمِيقَاتِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه؛ ليعتدروا من عبادة أصحابهم العجل؛ فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزالوا قومهم حين عبدوا العجل. قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة (٤)، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل خروجي

بهم؛ ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِنِّي أَنُتَلِّكُهُم بَإِمْعَانٍ ۖ أَلِيفَةً﴾ أي: استفهام استعطاف؛ أي: لا تعدبنا بذنب غيرنا ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هُنَّ﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فَنَنفِثُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُفْضِلُهَا مِنْ نَّفْسِكَ﴾ إضلاله ﴿وَتَهْدِيكَ مِنْ نَّفْسِكَ﴾ هدايته ﴿أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿فَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبير كالمعاينة؛ إن الله ﷻ أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت». المسند (٢٧١/١)، وصرحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة.
 (٢) تأويل الغضب من الله بالعذاب هذا مذهب المعتزلة، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به، ومن لازمها استحقاقهم العذاب.
 (٣) أخرج عبد بن حميد وابن أبي عمير في مسنده وابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يرضوا بالعجل ولم يبهوا عنه. قلت: ولكن أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن نوف البكالي ما يفيد أنهم هم الذين سألوا الرؤية. انظر: [الدر المنثور (٣/٢٣٨، ٢٣٩)].

* وَأَكْتَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
 إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَايُ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ لَا يُغْفَرُونَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
 الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
 عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
 النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ تَأْوِيلُكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾
 قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
 لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنَ
 قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

الْآخِرَةَ ﴿حَسَنَةً﴾ إِنَّا هُدْنَا ﴿تُبْنَا﴾ إِلَيْكَ قَالَ ﴿عَدَايُ﴾
 أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ عَشَتْ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾
 فِي الدُّنْيَا ﴿فَسَاكُنْهَا﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُغْفَرُونَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٦] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿الَّذِي
 يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ ﴿يَأْمُرُهُمْ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مَا حَرَّمَ فِي
 شَرْعِهِمْ ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ مِنَ الْمَيْتَةِ وَنَحْوِهَا ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ
 إِصْرَهُمْ﴾ نَفْلَهُمْ ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشَّدَائِدَ ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كَفَلِ
 النَّفْسَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَقَطَعَ أَثَرَ النَّجَاسَةِ ﴿فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ مِنْهُمْ
 ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وَوَقَّرُوهُ ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ أَي:
 الْقُرْآنَ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٥٧] ﴿قُلْ﴾ خُطَابَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
 إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَلَكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي
 وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾
 الْقُرْآنَ ﴿وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تَرْشِدُونَ.

[١٥٩] ﴿وَمِنَ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِالْحَقِّ
 وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ فِي الْحُكْمِ.

[١٥٦] ﴿وَأَكْتَبَ﴾ أَوْجَبَ (١) ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

(١) وفيه إثبات لصفة الكتابة له سبحانه - على الوجه اللامع به، كما سبق التنبؤ عليه.

[١٦٠] ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿أَفْتَى عَشْرَةَ﴾ حال ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه، أي: قبائل ﴿أَمَّا﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ﴾ في التيه ﴿أَبِ أَضْرِبِ يَعْصَاكَ الْجَنَكِرَ﴾ فضربه ﴿فَأَنْجَسْتُمْ﴾ انجسرت ﴿مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْتًا﴾ بعدد الأسباط ﴿فَدَعَا كُلُّ نَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ طلب منهم ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ في التيه، من حر الشمس ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَلْ وَالسَّلْوَىٰ﴾^(١) هما الترجيحين^(٢) والطير السماوي - بتخفيف الميم والقصر - وقلنا لهم: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا﴾: أمرنا ﴿حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿تَغْفِرُ﴾ بالنون والتاء مَبِيئًا للمفعول^(٣) ﴿لَكُمْ حَظِيظَكُمْ سَازِدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شعرة. ودخلوا يزحفون على أستاههم^(٤) ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرًا﴾ عذابًا ﴿وَرَكَّ السَّمَاءَ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦٣] ﴿وَسَأَلَهُمْ﴾ يا محمد توبيخًا ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ مجاورة بحر القلزم؛ وهي: «أيلة»، ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ ﴿يَعْدُونَ﴾ ﴿تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبُوتُ﴾ لا يعظمون السبت؛ أي: سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ولما صادوا السمك افرقت القرية أثلاثًا؛ ثلث صادوا معهم، وثلث نهوهم، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أَمَّا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنْ أَضْرِبِ يَعْصَاكَ الْجَنَكِرَ فَانْجَسْتُمْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْتًا فَدَعَا كُلُّ نَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَلْ وَالسَّلْوَىٰ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾
وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ حَظِيظَكُمْ سَازِدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرًا وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبُوتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٢﴾

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن النبي ﷺ أن: «الكفاة من المثل الذي أنزل الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين». مسلم - كتاب الأشربة (٣٦) باب

(٢٨) فضل الكفاة ومداد العين بها.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: قال لبني إسرائيل: «وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً» فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا، وقالوا: حطة حبة من شعيرة.

البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧).

(١) وهو شيء حلوا كان ينزل عليهم مثل الثلج.

(٢) بالناء لابن عامر ونافع، لكن ابن عامر قرأ ﴿حَظِيظِكُمْ﴾ بالإنفراد، وقرأ أبو عمرو بالنون كالباقين لكنه قرأ ﴿حَظِيظِكُمْ﴾ من غير تاء على الجمع المكسر لحظيفة، كالذي في سورة البقرة.

يرجعوا ﴿أَجْمِنَا الَّذِينَ يَهْتَكُونَ عَنَّا شِعْرَةَ اللَّهِ وَآخِذْنَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بالاعتداء ﴿يُعَذِّبُ بَيْنِينَ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنَّا﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ فَلَمَّا هَمُّوا كَرُّوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ صاغرين؛ فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس: ما أدري ما فعل بالفرقة الساكنة.

وقال عكرمة: لم تهلك، لأنها كرهت ما فعلوه، وقالت: ﴿لِمَ تَعْطُونَ﴾ الخ. وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه^(١).

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ﴾ أعلم^(٢) ﴿رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالذلل وأخذ الجزية؛ فبعث عليهم «سليمان»، وبعده «بختنصر» فقتلهم وسبأهم وضرب عليهم الجزية؛ فكانوا يؤدونها إلى الجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ؛ فغضبها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعَذَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم.

[١٦٨] ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ فرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقًا ﴿وَبَنَيْنَاهُمُ الصَّلَاحُونَ وَبَنَيْنَاهُمُ الْكُفَّارَ وَالْفَاسِقُونَ﴾ وبنوئناهم بالهستنت ﴿بِالنَّعْمِ﴾ والسننات ﴿النَّعْمِ﴾ لهمم يرجعون عن فسقهم.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة عن آباءهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: حطام هذا الشيء الدنيء؛ أي: الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سِعْفِرٌ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ﴾

الجملة حال؛ أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه، وليس في التوراة وعُد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِمْ يَتَّبِعُوا الْكِتَابَ﴾ الإضافة بمعنى: في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ عطف على ﴿يُؤْخَذُ﴾ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار؟! ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣)، أنها خير؛ فيؤثرونها على الدنيا.

[١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يَمَسِّكُونَ﴾ بالشديد والتخفيف^(٤) ﴿بِالْكِتَابِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُنْصِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ﴾ الجملة خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمرة؛ أي: أجرهم.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا سَأَلْنَا مَادُكْرَ وَإِيَّاهُ أَجْمِنَا الَّذِينَ يَهْتَكُونَ عَنَّا الشُّعْرَةَ وَآخِذْنَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنَّا مَاهُوا عَنْهُ فَلَمَّا هَمُّوا كَرُّوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٨﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّمَّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَنَيْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٠﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سِعْفِرٌ لَّنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِثْقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ وَالَّذِينَ يَمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُنْصِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٧٢﴾

[١٦٤] ﴿وَإِذْ﴾ عطف على ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى: ﴿لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾: موعظتنا ﴿مَعذِرَةٌ﴾ نتعذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصيّد.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا سَأَلْنَا﴾ تركوا ﴿مَا دُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ فلم

(١) الحاكم (٣٥٢/٢)، وقال في التلخيص: صحيح، وأخرج نحوه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن عكرمة، وأخرج نحوه أيضًا عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة [الدر المنثور (٢٥٢/٣، ٢٥٣)].

(٢) مفعوله محذوف، والتقدير: أعلم ربك أسلافهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة شعبة.

[١٧١] ﴿وَذَكَرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾ رفعناه من أصله ﴿فَوَقَّهْمُ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم؛ بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أتوها ليقلبها؛ فقبلوا، وقلنا لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَذْكُرُوا مَا يُوَدُّ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

[١٧٢] ﴿وَإِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتغال مما قبله، بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم، نسلاً بعد نسل؛ كنجوى ما بوالدنون كالذرر ب«تعمان» يوم عرفه^(١)، ونصب لهم دلائل علي ربوبيته، وَرَكَّبَ فِيهِمْ عَقْلاً ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ قال: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك؛ والإشهاد لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَقُولُوا﴾ بالياء والتاء^(٢) في الموضعين؛ أي: الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ التوحيد ﴿عَظِيمِينَ﴾ لا نعرفه.

[١٧٣] ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فافتدينا بهم ﴿أَفَنُبَلِّغُكُمْ أَجْرَ آبَائِكُمْ﴾ بما فعل المظلمون ﴿مِنْ آبَائِنَا﴾ بتأسيس الشرك؛ المعنى: لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهدهم على أنفسهم بالتوحيد، والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس.

[١٧٤] ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نبيئها مثل ما بيننا الميثاق؛ ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

[١٧٥] ﴿وَأَتَى﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ﴾ خرج بكفره؛ كما تخرج الحية من جلدتها؛ وهو: «يلعم بن باعوراء» من علماء بني إسرائيل^(٣)، سُئِلَ أَنْ يَدْعُو عَلَى مُوسَى وَأَهْدِي إِلَيْهِ شَيْءً؛ فدعا فانقلب عليه^(٤)؛ واندلع لسانه على صدره^(٥) ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهِمَا﴾ بأن نوقه للعمل ﴿وَلِكَيْتَهُمْ أَتَّخَذُوا خُلُقًا مَسْكُونًا﴾ إلى الأرضين؛ أي: الدنيا، ومثال إليها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في دعائه إليها؛ فوضعناه ﴿فَمَكَّنْهُ﴾ صِفَتُهُ ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ إن تَحَمَّلَ عَلَيْهِ ﴿بِالطَّرْدِ وَالزَّجْرِ﴾ يَلْهَثُ ﴿يَذْلَعُ لِسَانَهُ﴾ أَوْ ﴿إِنْ تَنَزَّكَتْ﴾ يَلْهَثُ ﴿وَلَيْسَ غَيْرُهُ مِنَ الْبِحْيَانِ﴾ كذلك؛ وحملنا الشرط حالاً؛ أي: لاهئاً ذليلاً بكل حال، والقصد التشبيه في الوضع والحشمة؛ بقرينة الفاء المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى،

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوَقَّهْمُ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخَبَّرَهُ كَلْبُ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ إِنْ تَنَزَّكَتْ أَتَى لِسَانَهُ عَلَى صَدْرِهِ ﴿١٧٦﴾ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٧﴾ وَمَنْ يُضِلِلْ فَالْوَيْلُ لَهُ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿١٧٨﴾

وبقرينة قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فأقصص القصص على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتدبرون فيها؛ فيؤمنون. [١٧٧] ﴿سَاءَ﴾ بس ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ أي: مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَاذِبِينَ﴾ بالتكذيب. [١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَنْ يُضِلِلْ فَالْوَيْلُ لَهُ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾

(١) أخرج أحمد في المسند (٢٢٢/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بتعمان - يعني عرفه - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، ففرهم بين يديه كالذرر، ثم كلمهم قبلًا قال: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. وقال الشيخ أحمد شاكر في تخرجه على المسند (٢٤٥٥): إسناده صحيح، وضح الألباني إسناده في المشكاة (١٢١)، وفي تعليقه على الطحاوية (٢١٩) وتعمان بالفتح: واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات.

(٢) بالناء قراءة أبي عمرو، والموضع الثاني المشار إليه هو قوله - تعالى -: ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا﴾.

(٣) أخرجه النسائي في تفسيره (٥١٠/١)، والطبري في جامع البيان (٨٢/٩)، والطبراني في الكبير (٢١٩/٩)، والحاكم في المستدرک (٣٢٥/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٠/٧): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٦٦/٣). وفي الآية أقوال أخر، فقيل: هو أمية بن أبي الصلت، كما أخرجه النسائي في تفسيره (٥٠٨/١) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦/٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - بسند صحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٠/٧). وقيل غير ذلك.

ويلعلم هذا قيل: هو عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل: كان نبيًا في بني إسرائيل.

(٤) ورد ذكر ذلك فيما رواه ابن جرير وأبو الشيخ عن المعتمر (يحدث عن سيار) (الدر المنثور ٢٦٨/٣).

(٥) قوله: (واندلع لسانه على صدره) أخرجه الطبري (١٥٤٢٢) عن سالم بن أبي النضر. قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿فَمَكَّنْهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ إن تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَنَزَّكَتْ أَتَى لِسَانَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فتشبيهه بالكلب في لهيته في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك ظاهر، وقيل معناه: فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء بالكلب في لهيته في حالتيه؛ إن حملت عليه وإن تركه هو يلهث في الحالين، فكذلك هذا لا يتنفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه... (تفسير ابن كثير ٢٥٠٦/٢).

معاندة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَوَلَّوْنَ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الواردة بها الحديث^(١)، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مؤنث «الأحسن» ﴿فَادْعُوهُ﴾ سئوهُ ﴿يَهَيَّا وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْجِدُونَ﴾ من الخلد والحد^(٢)؛ يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء آلهم؛ كالات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان ﴿سَيَجْزُونَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد ﷺ؛ كما في حديث^(٣).

[١٨٢] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[١٨٣] ﴿وَأَمَلِ لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنِّي كِيدِي مَبِينٌ﴾ شديد لا يطاق.

[١٨٤] ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا يَصْحَابِجِيمٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ينذر الإنذار.

[١٨٥] ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان له ﴿مَا﴾؛ فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَمَا﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي: أنه ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ قُرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفاراً؛ فيصبروا إلى النار؛ فيبادروا إلى الإيمان ﴿فِي أَيِّ حَلِيثٍ بَعْدَهُمُ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٦] ﴿مَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَكَلَا هَادِيَ لَمْ وَيَدْرَهُمْ﴾ بالياء والنون، مع الرفع^(٤) استئنافاً، والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء ﴿فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونُ﴾ يترددون تحيراً.

[١٨٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَهَا قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهَا﴾ متى تكون ﴿عِنْدَ رَبِّي لَا يَحِيبُهَا﴾ بظهورها ﴿لَوْ قُتِلَ﴾ اللام بمعنى: في ﴿إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ﴾ عظمت ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على أهلها؛ لهولها ﴿لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بِنَهْءٍ﴾ فجاءه ﴿يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَيٌّ﴾ مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن علمها عنده - تعالى ..

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨١﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨٢﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ وَأَمَلِ لَهُمْ إِنْ كِيدِي مَبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصْحَابِجُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٥﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٦﴾ مَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَدْرَهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٧﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُحِيبُهَا لَوْ قُتِلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكَ إِلَّا الْبَغْتَةُ يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خَلَقْنَا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله؛ بصر اعتباري ﴿وَلَهُمْ أذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآيات والموعظ سماع تدبير واتعاظ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام؛ لأنها تَطْلُبُ مَنَافِعَهَا وَتَهْرَبُ مِنْ مَضَارِّهَا، وهؤلاء يقدمون على النار

(١) بل الأسماء أكثر من ذلك ولا يخصصها إلا الله ﷻ؛ كما في حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِنَّ عَبْدَكَ وَإِنَّ عَبْدُكَ وَإِنَّ عَبْدُكَ...» وفيه: «وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ هُوَ لَكَ؛ شَيْئٌ يَهْتَمُّ بِهِ تَشْمُكٌ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْعَبِيدِ عَيْنِكَ...» الحديث [رواه أحمد برقم (٣٧٠٤ - ٤٣٠٦)]. وأما حصر الأسماء في التسعة وتسعين في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره؛ فلم يصح.

(٢) يشير إلى القراءتين فيها، فيفتح الحاء قرأ حمزة، من «الحد» الثلاثي.

(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمي بالحق يحكمون ويقضون ويأخذون ويعطون».

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذا قرأها: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها» ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنٍ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. [الدر المنثور (٢/٢٧٢)].

(٤) بالنون مع الرفع قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وبالياء مع الجزم قراءة حمزة والكسائي.

[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجله ﴿وَلَا ضَرًّا أَدْعُهُ﴾ إلا ما سَأَلَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ ما غاب عني ﴿لَسْتَ تَعْرِفُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره؛ لاحترازه عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٩] ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿الَّذِي خَلَقَكَ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿وَبَنَى زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَلَيْسَ كُنَّ إِنثًا﴾ وبأنفها ﴿فَلَمَّا تَعَشَّيْنَاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّت بِهِ﴾ ذهبت وجاءت؛ لحفته ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ﴾ بكر الولد في بطنها، وأشفقا أن يكون بهيمة^(١) ﴿دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَاكَ وَلَدًا﴾ وُلدًا ﴿صَلِحًا﴾ سويا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ ولدا ﴿صَلِحًا جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ﴾ وفي قراءة: بكسر الشين والتنون^(٢)؛ أي: شريكًا ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبدًا إلا لله، وليس يشارك في العبودية؛ لعصمة آدم^(٣).

وروى سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال: سيء عبد الحارث؛ فإنه يعيش؛ فمسخته؛ فعاش؛ فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره^(٤)» [رواه الحاكم، وقال: صحيح. والترمذي وقال: حسن غريب]. ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهل مكة به من الأصنام، والجملة سببية عطف على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ وما بينهما اعتراض.

[١٩١] ﴿يُشْرِكُونَ﴾ به في العادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾.

[١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءًا؛ من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ.

[١٩٣] ﴿وَإِنْ دَعَوْهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْمَدَى لَا يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿سِوَاةً عَلَيْهِمْ أَدْعُوهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَالِحُونَ﴾ عن دعائهم؛ لا يتبعوه؛ لعدم سماعهم.

[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ دَعَّوْا﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادًا﴾ مملوكة ﴿أَمْ أَنْتُمْ قَادِعُوهُمْ فَلَئِنْ نَسَبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنها آلهة.

[١٩٥] ثم بيّن غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِ رَجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ بل أ ﴿لَهُمْ آيَاتٌ﴾ جمع يد ﴿يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصْهَرُونَ بِهَا﴾ أم لهم مآذات يسمعون بها ﴿استفهام إنكارى؛ أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟!﴾ قُلْ ﴿لَهُمْ﴾ يا محمد: ﴿أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكهم ﴿فَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ فلا ينظرون؛ تمهلون؛ فإني لا أبالي بكم.

(١) يشير إلى ما ورد في بعض الأحاديث والآثار والتي يفهم منها أن المراد بهذا السياق آدم وحواء، وهي واهية الإسناد معلولة كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره، ولا يعتمد عليها؛ إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مثيلثة أهل الكتاب، ويُقَالُ ثلثة من السلف لها، وذكر كثير من المفسرين لها لا يجدي في صحتها شيئاً كما أفاده أهل التحقيق.

(٢) لنافع وشعبة.

(٣) هذا الذي اختاره المفسر من أن الكلام في آدم وحواء، وفسروا الشرك بأنه تسمية الولد «عبدالحارث» لا في الصفة والربوبية. وقال آخرون: إن ما في الآيتين لا يعني آدم وزوجته، بل يعم جنس الآدميين، وبين حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يعول عليه، فقوله - تعالى -: ﴿جَمَلًا لَهُمْ﴾؛ يعني: الجنسين؛ أي: الذكر والأنثى الكافرين، دل على هذا قوله - تعالى -: بعدها: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولم يقل: «الشركاء». قال القرطبي: هذا حسن. وروى ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى زقهم الله أولاداً فهدودوا ونصروا... قال ابن كثير: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رجحة الله - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. ا. هـ.

(٤) الترمذي (٣٠٠٣) وأحمد (١٩٢٥٨) وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٦٩).

(٥) بالتخفيف قراءة نافع.

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ تَرَكْتُ فِي تَرْكِ الْكَلَامِ الْحَطِيئَةَ (٢٠٥) وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْقُرْآنِ؛ لاشتمالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً (٢٠٦).

﴿٢٠٥﴾ «وَأَذْكُرُ نَزْكَ فِي نَفْسِكَ» أي: سرّاً «نَضْرَعاً» تذللاً «وَحَيْفَةً» خوفاً منه «وَفَوْقَ السَّرِّ» دون الجهر من القول «أي: فصلاً بينهما» بِالْعَدْوِ وَالْأَصَالِ «أوائل النهار وأواخره» «وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ» عن ذكر الله.

﴿٢٠٦﴾ «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ» أي: الملائكة «لَا يَسْتَكْبِرُونَ» يتكبرون «عَنْ عِبَادَتِهِ» وَيُسَبِّحُونَهُ بِزَهْوِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ «وَلَمْ يَسْجُدُوا» أي: يخضونه بالخشوع والعبادة؛ فكونوا مثلهم.

﴿١٩٦﴾ «إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ» متولي أموري «الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ» القرآن «وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ» بحفظه.

﴿١٩٧﴾ «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» لا يستطيحون نصركم ولا أنفسهم ينصرون «فكيف أبالي بهم».

﴿١٩٨﴾ «وَإِنْ تَدْعُوهُمْ» أي: الأصنام «إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ لَا يَبْصُرُونَ» أي: الأصنام يا محمد «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ» أي: يقابلونك كالناظر «وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ».

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من نفر الذين يدينهم عمر - وكان الفراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمر، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحو لعينته، فأذن له عمر. فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحو: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لبيبه عليه السلام: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وفقاً عند كتاب الله. البخاري. كتاب التفسير (٦٥). سورة الأعراف (٧) باب (٥)، «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ».

(١) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أخرج نحوه ابن مردويه عن ابن عباس، وأخرج نحوه أيضاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس، ففي هذه الآثار ما يفيد أن الإنصات للقراءة في الصلاة وللخطبة على السواء. [الدر المنثور (٢٨٧/٣)]، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٧/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦/٥)، والطبري في جامعه (١١٠/٩)، والبيهقي في الكبرى (١٥٥/٢) وغيرهم من طرق عن مجاهد. وهو صحيح بمجموعها عن مجاهد.

(٣) ويدخل في ذلك دخولاً أولياً متأكداً الاستماع والإنصات للإمام إذا قرأ في الصلاة الجهرية، وهذا القول بالعموم هو الأرجح، واختاره غير واحد من المفسرين.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

[مدنية، أو: إلا ﴿وإذ يمكركم﴾ الآيات السبع؛ فمكية، خمس أو ست أو سبع وسبعون آية، نزلت بعد البقرة^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَسْمَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنَ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾
يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَزَّ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يَحِقَّ الْحَقُّ بِكُم مِّنْهُ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيَجْطِلَ الْأَبْطُلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا؛ لأننا باشرنا القتال.
وقال الشيوخ: كنا ردعًا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتهم لقتم إلبنا؛ فلا تستأثروا بها.

[١] نزل: ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿وَالرَّسُولُ﴾ يقسمها بأمر الله^(١)؛ فقسمها ﷺ بينهم على السواء ﴿رِزْوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ^(٢)﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ أَي: حقيقة ما بينكم؛ بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا. [٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون بالإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أَي: وعيده ﴿وَجِلَّتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به يثقون، لا بغيره. [٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها بحسبها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقًا بلا شك ﴿هُمُ دَرَجَاتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. [٥] ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أخرج» ﴿وَأَنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ الخروج، والجملة حال من كاف ﴿أَخْرَجَكَ﴾ و﴿كَمَا﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أَي: هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيرًا لهم؛ فكذلك أيضًا، وذلك أن أبأ سفيان قدم يعير من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموا، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة؛ ليزبوا عنها؛ وهم: النفير، وأخذ أبو سفيان باليعير طريق الساحل؛ فنجت؛ فقتل لأبي جهل؛ أرجع. فأبى، وسار إلى بدر؛ فشاور النبي ﷺ أصحابه، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ؛ فوافقوه على قتال النفير^(٣)﴾، وكره بعضهم ذلك، وقالوا: لم نستعد له. كما

قال - تعالى -: [٦] ﴿يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليه عيانًا في كراهتهم له. [٧] ﴿وَإِذْ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ عَزَّ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ أَي: البأس والسلاح؛ وهي: العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلعة عددها ومددها؛ بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَحِقَّ الْحَقُّ بِكُمْ﴾ يظهره ﴿بِكَيْفَتِهِ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أخرجهم؛ بالاستئصال؛ فأمركم بقتال النفير [٨] ﴿لِيُحِقَّ

(٥) ما جاء في نزول السورة: خرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عباد بن الصامت عن الأنفال فقال: فبنا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في الفل وسابت فيه أخلاقنا. أحمد - المسند (٣٢٢/٥). وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (٣٢٦/٢). وأخرج أحمد أيضًا عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه - وكان يسمى ذا الكتيبة - فأثبت به نبي الله صلى قال: «ذهب فاطرحه في الفض» قال: فرجعت وبني ما لا يعلم إلا الله من قتل أخي وأخذ سلسبي. قال: فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال. فقال لي رسول الله صلى: «ذهب فخذ سيفك». أحمد - المسند (١٨٠/١). وأخرجه مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (١٢) الأنفال وفيه: فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾.

(٥هـ) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٥): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا». قال: فقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات، فلم يبروها، فلما فتح الله عليهم قال المشيخة: كنا ردعًا لكم، لو انهمزتم لقتم إلبنا، فلا نذهبوا بالمغنم ونبقى؛ فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله صلى لنا، فأنزل الله: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ بقول: فكان ذلك خيرًا لهم، فكذلك أيضًا فأطيعوني فإني أعلم بما هنا منكم. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٥٦) في النفل (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٧٦).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة عن عباد بن الصامت قال: خرجنا مع النبي صلى فشهدت معه بدرًا، فلقى الناس، ففرزهم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة برسول الله صلى لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويهاها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن =

(١) المستدرک (٣٢٦/٢)، وروى نحوه أحمد (٢١٦٨٥)، (٢١٦٩١) عن عباد بن الصامت، وكذلك ابن مردويه عن عائشة [الدر المنثور (٢٩٤/٣)] وصححه الألباني في فقه السيرة بلفظ: «قسمها رسول الله صلى بين المسلمين».

(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ
 مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٦﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
 وَلِتُظْمِنَ بِهِ فُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧﴾ إِذِ يَعْبَسُكُمْ التُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ
 عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ
 رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
 ﴿٨﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا
 قُوقَ الْأَعْتَقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
 عَذَابَ النَّارِ ﴿١١﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
 دُبْرَهُ إِلَّا الْمُتَحَرِّفَ الْقِتَالِ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِعْءٍ فَقَدَبَاءَ
 يَغْضِبُ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَلَهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُمْ﴾ معيكم ﴿بِالْفِ﴾
 الملائكة ﴿مُرَدِّينَ﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً، وعدهم بها أولاً، ثم
 صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة؛ كما في آل عمران، وقرئ: ﴿بِالْفِ﴾ (١)
 كـ«أفلس» جمع. [١٠] ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾
 ولتظمنن به فلوبكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إن الله عزير حكيماً.
 [١١] اذكر ﴿إِذِ يَعْبَسُكُمْ التُّعَاسُ أَمَنَةً﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف
 ﴿مِنْهُ﴾. تعالى - ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الأحداث
 والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾، وسوسته اليكم؛ بأنكم لو كنتم على
 الحق ما كنتم ظمأى محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَىٰ﴾
 قلوبكم ﴿بِالْفِ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل.
 [١٢] ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِي﴾
 أي: بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير
 ﴿سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَأَصْرَبُوا قُوقَ﴾
 الأعتاق ﴿أَي: الرُّوسِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطراف اليدين
 والرجلين؛ فكان الرجل يقصد ضرب رقبته الكافر؛ فتسقط قبل أن يصل إليه
 سيفه (٢)، ورامهم ﴿بِقَبْضَةٍ مِنَ الْحِصَى﴾ فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه
 منها شيء؛ فنهزموا (٣). [١٣] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا﴾
 خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.
 [١٤] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوا﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ﴾
 للكافرين ﴿فِي الْآخِرَةِ عَذَابَ النَّارِ﴾. [١٥] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا﴾
 لقيتم الذين كفروا رحفاً ﴿أَي: مجتمعين﴾؛ كأنهم لكثرتهم يرحفون ﴿فَلَا﴾
 ﴿تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين.
 [١٦] ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ (٤) أي: يوم لقايمهم ﴿إِلَّا الْمُتَحَرِّفًا﴾
 منعطفاً ﴿لِقِتَالِهِمْ﴾ بأن يريهم الفرقة مكيدة، وهو يريد الكفرة ﴿أَوْ مُتَحَيِّرًا﴾
 منعطفاً ﴿إِلَىٰ قُوقِ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدَبَاءَ﴾ رجع
 ﴿يَغْضِبُ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَلَهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي، وهذا
 مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعيف.

أَلْفٌ وَيُطِيلُ ﴿يَحِقُّ﴾ الأبطال ﴿الكفر﴾ ولو كره المجرمون ﴿المشركون﴾
 ذلك.
 [٩] اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه العون بالنصر عليهم (٥)

= فنيا عنها العدو وهزناهم. وقال الذين أحذقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحب بها منا، نحن أحذقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به. فنزلت: ﴿تَسْتَأْذِنُ بَعْضُ الْأَقْدَامِ عَلَى الْأَقْدَامِ يَوْمَ الْأَنْفَالِ يَوْمَ الْأَنْفَالِ وَأَسْلَبُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. وقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين. قال: وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نقل الربع، وإذا أقبل راجعاً وكل الناس نقل الثلث. وكان يكره الأفعال. ويقول: «يرد قوي المؤمن على ضعيفهم». أحمد - المسند (٣٢٤/٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١٣٦، ١٣٥/٢)، وصححه ابن حبان (الإحسان: ١٦٩٣).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً - فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم أت ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف بربه، ماذا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداؤه فلقاه على منكبيه، ثم التزم من ورائه وقال: يا نبي الله، كفكفك مناقشتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فانزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ فأمد الله باللائكة.
 قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً. فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. مسلم - الجهاد والسير (٣٢) باب (١٨) الإمداد باللائكة في غزوة بدر وإباحتها الغنائم.
 (٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج أبو داود عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم بدر. . . ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُونَ﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٠٦) في التولي يوم الزحف. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٠٦).

(١) وهي قراءة شاذة. (٢) أخرج ذلك أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي أمامة بن سهل الأنصاري عن أبيه. [الدر المنثور (٣٣/٤)]، ويشهد له ما رواه مسلم عن ابن عباس ﷺ قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم فنظر إليه؛ فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه... الحديث» وتقدم تخريجه قويتاً في أسباب النزول. (٣) روى ذلك الطبراني بإسناد حسن والواقدي وابن جرير الطبري وغيرهم. وعند مسلم أنه ﷺ فعل ذلك وقاله يوم حنين؛ فيحتمل تكرار الأمر منه ﷺ في الغزوتين. (مسلم ١٧٧٧).

[١٧] ﴿فَلَمَّ تَفَلَّوهُمْ﴾ بيدر بقوتكم ﴿وَلِكَيْتَ اللَّهُ فَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى؛ لأن كَمَا من الحصى لا يبلأ عيون الجيش الكثير برمية بَنَرٍ ﴿وَلِكَيْتَ اللَّهُ رَمَى﴾ بإبصال ذلك إليهم؛ فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِّحٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

[١٨] ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُهِينٌ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ الْكُفْرِينَ﴾.

[١٩] ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا﴾ أيها الكفار؛ إن تطلبوا الفتح؛ أي: القضاء؛ حيث قال أبو جهل منكم: «اللهم أينما كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف؛ فأحنه الغداة»^(١)؛ أي: أهلكته ﴿فَقَدَّ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك؛ وهو: أبو جهل ومن قُبل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿تَعُدُّ﴾ لنصره عليكم ﴿وَأَنْ تَتَّقِي﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ فتتقون ﴿جماعاتكم﴾ شيئاً ولو كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بـكسر «إن» استئنافاً، وفتحها على تقدير اللام^(٢).

[٢٠] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواظع.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبير واتعاطي؛ وهم: المنافقون أو المشركون.

[٢٢] ﴿إِنَّ سَرَ أَلْوَابٍ عِنْدَ اللَّهِ أُصْمٌ﴾ عن سماع الحق ﴿أَلَيْكُمْ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً.

[٢٤] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين؛ لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ

فَلَمَّ تَفَلَّوهُمْ وَلَا كِنَ اللَّهُ قَتَلَهُمْ وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَا كِنَ اللَّهُ رَمَى وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مُهِينٌ كَيْدِ
الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدَّ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ
تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعُدُّ وَلَنْ نُغْنِي عَنْكُمْ
فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنهُ
وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ سَرَ أَلْوَابٍ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ وَإِنَّ
نُحْشِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَنْتُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٥] ﴿وَأَنْتُمْ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ إن أصابتكم ﴿لَا نُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل نعلمهم وغيرهم، وناقضها يانكار موجبها من المنكر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(١) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرجه أحمد في المستند عن عبد الله بن ثعلبة بن ضعير - بهجمة مصغراً - أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أظعننا الرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة: فكان المستفتح. (المستند ٤٣١/٥)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣٢٨/٢)، وضححه وواقفه الذهبي، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي (٢٧٠/٢) وفيه عنده زيادة: ... وكان ذلك استفتاحه، فأزل الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدَّ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو وابن كثير.

(٢) روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هم نفر من بني عبد الدار. صحيح البخاري (٤٦٤٦).

تَعُوذُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَ﴿١﴾ لَا تَحْمِلُوا أَسْمَاءَكُمْ ﴿٢﴾ ما اتتمتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْرُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ لَكُمْ، صَادَّةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه؛ بمراعاة الأموال والأولاد والحياة لأجلهم.

[٢٩] ﴿وَنَزَلَ فِي تَوْبَتِهِ﴾: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَشَاءُوا بِالْإِنَابَةِ﴾ وغيرها ﴿يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون؛ فتنجون ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٠] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿وَإِذْ يَبْكُوكَ يَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُنشِئُكَ﴾ يوتقوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَتَمَكَّنُ مِنْكُمْ﴾ كلهم قتلته رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمَكَّرُونَ بِكَ﴾ ﴿وَيَمَكَّرُ اللَّهُ﴾ بهم؛ بتدبير أمرك؛ بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمُنْكَرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٣١] ﴿وَإِذَا نُنشِئُ عَلَيْهِمُ ءَايَاتِنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مَثَلًا هَذَا﴾ قاله النضر بن الحارث؛ لأنه كان يأتي الحيرة، ينجس؛ فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة ﴿﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَصْطِيزُ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا هَذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر وغيره استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة، وحزم بطلانه. قال - تعالى -: [٣٣] ﴿وَمَا كُنَّا لِنُعْذِبَهُمْ﴾ بما سألوه ﴿﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عم، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كُنَّا لَنُعْذِبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم. كما قال - تعالى -: ﴿لَوْ تَرَكْنَا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. ﴿٥﴾

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ نَحَاوُونَ أَن يَخَطَفَكُمْ الْإِنْسَانُ فَتَأْوِلَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بِبَصْرِهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَتَّخِذُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ مَحْشُورًا وَأَمَلْتُمْ كُمْ وَأَنْتُمْ تَعَامُونَ ﴿٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْرُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَشَاءُوا اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٩﴾ وَإِذْ يَمَكَّرُوكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنشِئُوكَ أَوْ يَمَكَّرُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمَكَّرُونَ وَيَمَكَّرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمُنْكَرِينَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ أَنْتَ عَلَىٰ عِلْتَمِهِمْ ءَايَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مَثَلًا هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَصْطِيزُ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٣﴾

[٢٦] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿نَحَاوُونَ أَن يَخَطَفَكُمْ الْإِنْسَانُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَتَأْوِلَكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ قواكم ﴿بِبَصْرِهِمْ﴾ يوم بدر باللائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. ونزل في أبي لبياب مروان ابن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة؛ لينزلوا على حكمه؛ فاستشاروه؛ فأشار إليهم أنه الذبيح؛ لأن عياله وماله فيهم :- [٢٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٣، ٣٤)؛ أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كُنَّا لَنُعْذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا لَنُعْذِبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا بِعُذْبِ اللَّهِ وَمَا لَهُمْ بِعُذْبِ اللَّهِ عَنِ السَّجْدِ الصَّارِي﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٣)، (٤) واب (٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤٦/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٤/٥) والسيوطي في الدر المنثور (٤٨٨/٤)، وإسناده ضعيف.
 (٢) لم أجده.
 (٣) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله تعالى على الوجه اللائق به - شبحاً، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه تعالى مجردة بدون ذكر متعلقها؛ وكذا لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر، ولا مخادع.
 (٤) أخرجه نحوه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي - وليس فيه ذكر التجار بالكتب وإنما فيه سماعه لسجع أهلها وكلامهم - [الدر المنثور (٣٢٧/٣)]. وإسناده ضعيف جداً كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٣٣/٢).
 (٥) الفتح: ٢٥.

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ أَهٌ نُّ لَّا يَعْبُدُهُمُ اللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك، والمستضعفين، وعلى القول الأول: هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم الله بيدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ ينعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كما زعموا ﴿إِنَّ مَا أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْذَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه. [٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ صفيراً ﴿وَتَضِيئَةً﴾ تصفيقاً؛ أي: جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها^(١) ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بيدر ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ الْبَيْتَ كَفَرُوا يُشْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾ ندامة؛ لغواتها وفوات ما فصدوه ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْتَرُونَ﴾ يساقون.

[٣٧] ﴿لِيُجِزَ اللَّهُ﴾ متعلق بـ﴿تَكُونُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ أي: يفصل ﴿الْحَيِّثُ﴾ الكافر ﴿وَمِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلُ الْحَيِّثُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُكُمْ جَمِيعًا﴾ يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ هُمُ الْخَائِرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي سفيان وأصحابه: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وقاتل النبي ﷺ ﴿يُعْطَىٰ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من أعمالهم ﴿وَإِنْ يَؤُودُوا﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنننا فيهم بالإهلاك؛ فكذا فعل بهم.

[٣٩] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ تَوْجِدَ﴾ وتشد ﴿وَفِتْنَةً﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ﴾ وحده، ولا يعبد غيره ﴿فَإِنْ أَنْهَرُوا﴾ عن الكفر ﴿فَارْتَبِطْ﴾ الله يما يعلمون بصير^(٣) فيجازيهم به.

[٤٠] ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصرهم ومتولي أموركم ﴿يَعْمَ الْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَيَعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصر لكم.

وَمَا لَهُمُ الْأَيْدِيَّ بِهَمُّ اللَّهِ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ وَإِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْذَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَضِيئَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُمْ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيُجِزَ اللَّهُ الْحَيِّثُ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلُ الْحَيِّثُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُكُمْ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ هُمُ الْخَائِرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْطَىٰ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَؤُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَارْتَبِطْ اللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ

(١) قال القرطبي: «... وفي معنى الآية رد على الجهال من المنصوفة الذين يرقصون ويصفقون، وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء، وينشبهه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت» اهـ.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي، فتكون هكذا: ﴿لِيُجِزَ﴾.

المقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه، من أن لكل حُمن الحُمن، والأحماس الأربعة الباقية للغنائم **﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾** فاعلموا ذلك **﴿وَمَا﴾** عطف على **﴿بِاللَّهِ﴾** **﴿أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾** محمد ﷺ من الملائكة والآيات **﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾** أي: يوم بدر الفارق بين الحق والباطل **﴿يَوْمَ الْنَقَى الْجَمْعَانَ﴾** المسلمون والكفار **﴿وَاللَّهُ عَلَى كَلْبٍ نَقِيٍّ قَدِيرٌ﴾** ومنه نصركم مع قتلكم وكثرتهم.

[٤٢] **﴿إِذْ﴾** بدل من **﴿يَوْمَ﴾** **﴿أَنْتُمْ﴾** كائون **﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾** القرى من المدينة؛ وهي - بضم العين وكسرها^(١) - : جانب الوادي **﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾** البُعدي منها **﴿وَالرَّكْبُ﴾** العبر كائون بمكان **﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾** مما يلي البحر **﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ أَنْتُمْ وَالنَّفِيرَ﴾** القتال **﴿لَأَخْلَقْتُمْ﴾** في اليعبد **﴿وَلَكِنْ﴾** جمعكم بغير ميعاد **﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَاتِبًا مَفْعُولًا﴾** في علمه؛ وهو: نصر الإسلام ومحق الكفر، فَعَلْ ذَلِكَ **﴿لِيَهْلِكَ﴾** يكفر **﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه؛ وهي: نصر المؤمنين مع قتلهم على الجيش الكثير **﴿وَيَحْيَى﴾** يؤمن **﴿مَنْ حَتَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** وإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ.

[٤٣] اذكر **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ﴾** أي: نومك **﴿فَلَيْلًا﴾** فأخبرت به أصحابك؛ فسروا **﴿وَلَوْ أَرَادْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ﴾** جبثتم **﴿وَلَلنَّزَعْتُمْ﴾** اخلقتهم **﴿فِي الْأَمْرِ﴾** أمر القتال **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَنٌ﴾** كَمُ من الفشل والتنازع **﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ﴾** يذات الصُدُور **﴿بِمَا فِي الْقُلُوبِ﴾**.

[٤٤] **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ﴾** أيها المؤمنون **﴿إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَيْلًا﴾** نحو سبعين، أو مائة، وهم ألف؛ لتقدموا عليهم **﴿وَيَقْلَلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾** ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثلهم؛ كما في آل عمران **﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَاتِبًا مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾** تصير **﴿الْأُمُورُ﴾**.

[٤٥] **﴿يَتَأْتِيهَا الْبُرُكُ﴾** أمواتا إذا لَيْسَتْ فِيكَ **﴿جَمَاعَةٌ كَافِرَةٌ﴾** **﴿فَاتَّبَعُوا﴾** لقتالهم ولا تنهزموا **﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾** ادعوه بالنصر **﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾** تفوزون.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ﴾ وللرسول ولذي القربى واليتيمى والمساكين **﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾** إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا **﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾** **﴿يَوْمَ الْنَقَى الْجَمْعَانَ﴾** والله على كل شيء قدير **﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾** وهم بالعدوة القصوى **﴿وَأَرَكَبُ اسْفَلَ مِنْكُمْ﴾** ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد **﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَاتِبًا مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَتَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** وإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ قَلِيلًا﴾** **﴿وَأَرَادَكُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ﴾** ولتنزعنكم في الأمر **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾** إِنَّهُ عَلَيْهِمْ يذات الصُدُور **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلَلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾** لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَاتِبًا مَفْعُولًا **﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾** فَاتَّبَعُوا **﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾**

[٤١] **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾** أخذتم من الكفار فهرا **﴿مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ﴾** يأمر فيه بما يشاء **﴿وَاللرَّسُولِ﴾** ولذِي الْقُرْبَى **﴿وَالْيَتِيمِ﴾** قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب **﴿وَالسَّكِينِ﴾** أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء **﴿وَالسَّبِيلِ﴾** ذوي الحاجة من المسلمين **﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾**

﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا فِتْنَتَهُمْ قِبَالَهُمْ وَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ﴾ [٤٦] ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بِطَرَاةٍ وَأَنفُسُهُمْ يَدْعُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُخِيطٌ﴾ [٤٨] ﴿وَأَذِّنْ لَهُمُ السَّلَاطِينَ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ أَيُّومٍ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ تَضَمَّنْ عَلَى عَقْبِيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٤٩] ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَنزَلُوهُمْ وُدُوقًا عَذَابِ الْحَرِيقِ﴾ [٥١] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [٥٢] ﴿كَذَابٌ عَلَىٰ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٥٣]

[٥٢] ذَأَبُ هَؤُلَاءِ ﴿كَذَابٌ﴾ كَعَادَةٌ ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالْعِقَابِ ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ جَمَلَةٌ ﴿كَذَرُوا﴾ وَمَا بَعْدَهَا: مَفْسَرَةٌ لِّمَا قَبْلَهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ عَلَىٰ مَا يَرِيدُهُ ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[٤٦] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا فِتْنَتَهُمْ قِبَالَهُمْ وَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ﴾ تَخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قُوَّتُكُمْ وَدَوْلَتُكُمْ ﴿وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِالنَّصْرِ وَالْعَوْنِ.

[٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ لِيَمْنَعُوا غَيْرَهُمْ وَلَمْ يَرْجِعُوا بَعْدَ نَجَاتِهَا ﴿بَطَرًا وَرِيَاةَ النَّاسِ﴾ حَيْثُ قَالُوا: لَا نَرْجِعُ حَتَّىٰ نَشْرِبَ الْحَمْرَ، وَنَحْرَ الْجَزُورِ، وَتَضْرِبَ عَلَيْنَا الْقِيَامَ^(١) يَبْدُرُ فَيَسْمَعُ بِذَلِكَ لِلنَّاسِ ﴿وَيَضُدُّوكَ﴾ النَّاسِ ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ^(٢) ﴿مُخِيطٌ﴾ عَلِمًا فَيَجَارِيهِمْ بِهِ.

[٤٨] ﴿وَ﴾ اذْكَرْ ﴿إِذْ زَيْنٌ لَهُمُ السَّلَاطِينَ﴾ لِيَلِيسَ ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ بِأَنَّ شَجْعَهُمْ عَلَىٰ لِقَاءِ الْمُسْلِمِينَ - لَمَّا خَافُوا الْخُرُوجَ مِنْ أَعْدَانِهِمْ بَنِي بَكْرٍ - ﴿وَقَالَ﴾ لَهُمْ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ أَيُّومٍ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ مِنْ كِنَانَةٍ، وَكَانَ أَتَاهُمْ فِي صُورَةِ سَرَاةٍ مِنْ مَالِكِ سَيِّدِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ﴿فَلَمَّا تَرَآتِ﴾ التَّقَى ﴿الْفِتْنَانَ﴾ الْمُسْلِمَةَ وَالْكَافِرَةَ، وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ وَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ﴿تَضَمَّنْ﴾ رَجَعَ ﴿عَلَىٰ عَقْبِيهِ﴾ هَارِبًا ﴿وَقَالَ﴾ - لَمَّا قَالُوا لَهُ: أَتُخَذِلُنَا عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ؟! - ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ مِنْ جَوَارِكِ ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ^(٣) ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أَنْ يَهْلِكَنِي ﴿وَأَلَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٤٩] ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ ضَعْفُ اعْتِقَادٍ: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ أَي: الْمُسْلِمِينَ ﴿دِينُهُمْ﴾ إِذْ خَرَجُوا مَعَ قَتْلِهِمْ بِقَاتِلُونَ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ تَوْهَمًا أَنَّهُمْ يَنْصُرُونَ بِسَبَبِهِ، قَالَ - تَعَالَى - فِي جَوَابِهِمْ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يَتَّقْ بِهِ، يَغْلِبُ ﴿فَلَمَّا تَرَآتِ اللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ.

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ^(٤) ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حَالٌ ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَنزَلُوهُمْ﴾ بِمَقَامٍ مِنْ حَدِيدٍ ﴿وَيَقُولُونَ لَهُمْ﴾: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أَي: النَّارِ، وَجَوَابُ «لَوْ» لِرَأْيِ أَمْرٍ عَظِيمًا.

[٥١] ﴿ذَلِكَ﴾ الْعَذَابُ ﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾ عَبْرَ بَهَا دُونَ غَيْرِهَا؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَعْمَالِ تَزَاوُلَ بَهَا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ﴾ أَي: بِذِي ظَلَمٍ ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فَيُعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

(١) جمع فتيحة و«فين». و«الفتية»: هي الأمة المملوكة المغنية. وقيل: «لو كانت غير مغنية»، و«الفتين»: العبد.

(٢) ظاهره أنهما سبعيتان، وليس كذلك، بل الناء النوقية لم يقرأ بها أحد من السبعة ولا العشرة، فذكرها سبق قلم.

(٣) أخرج نحوه الطبري مختصراً في جامع البيان (١/٤١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٥/٥) دون ذكر سراقه والحارث. وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (٢٤١/٢).

(٤) بالياء قراءة ابن عامر.

[٥٤] ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۗ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم الكاذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.
[٥٥] ﴿وَنَزَّلَ فِي قُرَيْظَةَ^(١)﴾. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٦] ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ أن لا يُعِينُوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْزٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَنْقُضُونَ﴾ الله في عهدهم.

[٥٧] ﴿فَأَمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إن﴾ الشرطية في ﴿ما﴾ المزيدة ﴿تَنْقُضْنَهُمْ﴾ تجدهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ فرق ﴿بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ﴾ من الحارين؛ بالنسكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون بهم.

[٥٨] ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ﴾ من قورٍ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمانة تلوح لك ﴿فَأَيْدِي﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حال؛ أي: مستوتا أنت وهم في العلم بنقض العهد؛ بأن تعلمهم به؛ لئلا يتهموك بالعدو ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنَافِقِينَ﴾.

[٥٩] ﴿وَنَزَلَ﴾ فيمن أفلت يوم بدر^(٢) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾^(٣) يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ الله؛ أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْجِرُونَ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة: بالتحنانية، فالمفعول الأول محذوف؛ أي: أنفسهم، وفي أخرى: بفتح ﴿إن﴾^(٤) على تقدير اللام.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لقتالهم ﴿مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: ﴿هي الرُّبِيَّةُ﴾ [رواه مسلم]^(٥) ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ مصدر؛ بمعنى: حبسها في سبيل الله ﴿رَهْبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِيَدِ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: غيرهم؛ وهم: المنافقون، أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظُنُّونَ﴾ تنقصون منه شيئاً.

[٦١] ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلَامِ﴾ بكسر السين وفتحها^(٦)؛ الصلح ﴿فَأَجْحَ لَهَا﴾ وعاهدهم، وقال ابن عباس: هذا منسوخ بأية السيف. وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة^(٧) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثى به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعْتَبِرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُعْذِرُوا مَا بَأْسَ بِنَفْسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ ۗ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْزٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ فِيمَا تَنْقُضْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَلْيُذِئِدْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنَافِقِينَ ﴿٥٩﴾ وَلَا يُحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۗ إِنَّهُمْ لَا يَعْجِرُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ۖ وَآخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظُنُّونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْحَحْ لَهُمْ وَأَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

[٥٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكُ مُعْتَبِرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُعْذِرُوا مَا بَأْسَ بِنَفْسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفرًا؛ كتبديل كفار مكة إطاعتهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ﴾ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٦] [البر المنور (٣/٣٤٧)].

(٢) ذكر نحوه البغوي في تفسيره (٣/٣٦٩).

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لابن عامر.

(٥) أخرجه نحوه مسلم (٣٥٤١) عن عتبة بن عامر مرفوعاً.

(٦) بالكسر لشعبة.

(٧) قال ابن كثير: وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكنف لهذا كله. ثم قال معلقاً على القول بالنسخ: «وفيه نظر أيضاً؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيراً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص. والله أعلم». اهـ.

[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح؛ ليستعدوا لك ﴿فَارْتَحِبْ﴾ حَسْبَكَ كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُكُمْ﴾ والمؤمنين .

[٦٣] ﴿وَأَلْفٌ مِنْكُمْ﴾ جمع ﴿بَيْتٌ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آَلَفَ الَّذِينَ يَشَاءُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ غَلَبَ عَلَى أَمْرِهِ﴾ حَكِيمٌ لا يخرج شيء عن حكمته.

[٦٤] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ حَسْبُكَ حَسْبُكَ ﴿مَنْ أَمْتَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٦٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِيصٌ﴾ حُرٌّ ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْفِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرًا يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾

بالباء والياء (١) ﴿بَيْنَكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وهذا خبر؛ بمعنى الأمر؛ أي: ليقابل العشرون منكم المائتين، والمائة ألف ويثبتوا لهم، ثم نُسِخَ - لا كُتِبُوا - بقوله:

[٦٦] ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُرَكَاءَ﴾ بضم الضاد وفتحها (٢)، عن قتال عشرة أمثالكم (٣) ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء والياء (٤)

﴿بَيْنَكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته؛ وهو: خبر بمعنى الأمر؛ أي: لقاتلوا مثلكم وتثبتوا لهم ﴿وَأَلْفٌ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه.

[٦٧] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لا أخذوا الفداء من أسرى بدر (٥) : ﴿مَا كَانَتْ لِيُنِّيَ أَنْ تَكُونَ﴾ بالياء والياء (٥) ﴿لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبلغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الَّذِينَ﴾ حطامها بأخذ الفداء

﴿وَأَلْفٌ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي: ثوابها بقتلهم (٦) ﴿وَأَلْفٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله: ﴿لِيَأْتِيَنَّكُمْ مَتَى يَشَاءُ اللَّهُ﴾ (٧).

[٦٨] ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٦٩] ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا وَنَهَى اللَّهُ أَنْ يَكُنْ اللَّهُ عَفْوَ رَبِّكُمْ﴾.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُكُمْ﴾

﴿بِنَصْرِهِمْ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَأَلْفٌ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آَلَفَ الَّذِينَ يَشَاءُ﴾

﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ غَلَبَ عَلَى أَمْرِهِ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ ﴿مَنْ أَمْتَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرًا يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ ﴿وَإِنْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

﴿وَأَلْفٌ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا وَنَهَى اللَّهُ أَنْ يَكُنْ اللَّهُ عَفْوَ رَبِّكُمْ﴾

﴿وَأَلْفٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾

﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا وَنَهَى اللَّهُ أَنْ يَكُنْ اللَّهُ عَفْوَ رَبِّكُمْ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٦٥، ٦٦): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرًا يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُرَكَاءَ﴾ فإن يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ. قال: فلما خفف الله عنهم العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٧).

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٧ - ٦٩): أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة. أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن نمتكنا فنضرب أعناقهم؛ فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسبتنا لعمر فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يكيان. قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاءً تبكيت ليكاتبكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة». شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وأرسل الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا كَانَتْ لِيُنِّيَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا وَنَهَى اللَّهُ أَنْ يَكُنْ اللَّهُ عَفْوَ رَبِّكُمْ﴾. كتاب الجهاد والسير (٢٣) باب (١٨) الإمداد بالمالكة.

وأخرج الترمذي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لم تحمل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها» قال سليمان الأعمش: فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحمل لهم؛ فأرسل الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٩) سورة الأنفال (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٦٣).

(١) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم.

(٣) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) أخرجه مسلم (٣٣٠٩) عن عمر بن الخطاب.

(٥) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٦) القتال: ٤.

بِمَا أُخِذَ مِنْكُمْ ﴿٧٠﴾ من الفداء؛ بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثبتكم في الآخرة ﴿وَيَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٧١] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي: الأوسى ﴿حِيَاثَكَ﴾ بما أظهروا من القول ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمَّا كَيْفَ﴾ بدر؛ قتلاً وأسراً؛ فليتوقموا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعهم.

[٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ النبي ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ ولِيَّتِيهِمْ﴾ بكسر الواو وفتحها (٧) ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّىٰ يهاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بأخر السورة ﴿وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ النَّصْرَ﴾ لهم على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد؛ فلا تصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث؛ فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: تولى المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ يَغْفِرَ وَرِثَ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

[٧٥] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (٨) في الإرث؛ من التوارث في الإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ﴾ ومنه حكمة الميراث.

بِمَا أُخِذَ مِنَ اللَّهِ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمَّا كَيْفَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِيهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يهاجِرُوا وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ النَّصْرَ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِثَةٌ كَرِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

[٧٠] ﴿بِمَا أُخِذَ مِنَ اللَّهِ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ يَتَّ﴾ [الأسارى] (١) وفي قراءة: ﴿الأسرى﴾ ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإحلاصاً ﴿يؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاثِبُهُمْ تَعْيِبُهُمْ﴾ [النساء: ٢٣]: كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب، فبرث أحدهما الآخر، فسبح ذلك الأنفال، فقال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (١٦) نسخ ميراث العقد بميراث الرحم، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٣٥): حسن صحيح.

(١) وهي قراءة أبي عمرو.

(٢) بالكسر لحمزة.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الجزء العاشر

سُورَةُ التَّوْبَةِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

بِرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
 فَيَسْجُدُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُّعْجِزِي
 اللَّهُ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
 وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا
 أَنَّكُمْ عِزٌّ مُّعْجِزِي اللَّهِ وَيَسِّرُ اللَّهُ لِيَوْمِ بَدَأَ الْبِرِّ
 ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا
 وَلَمْ يُظْهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَوْا إِلَيْهِمْ عَاهِدَهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ
 إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ
 فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ
 وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
 الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِن أَحَدٌ
 مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ
 اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

[مدنية، أو إلا الآيتين آخرها. مائة وثلاثون،
 أو: [إلا آية، نزلت بعد المائة] (*)

ولم تكتب فيها بالبسملة؛ لأنه ﷺ لم يأمر بذلك؛ كما يؤخذ من حديث
 رواه الحاكم (١). وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع
 الأمان بالسيف (٢). وعن حذيفة: «إِنَّكُمْ تَسْتَوْنَهَا سُورَةُ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ
 الْعَذَابِ» (٣)، وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت (٤).

[١] هذه ﴿بِرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ واصلة ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾ عهدًا مطلقًا أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونص العهد بما يذكر في
 قوله: [٢] ﴿فَيَسْجُدُوا﴾ سبوا آمنين أي المشركون ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ
 أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال - بدليل ما سيأتي -، ولا أمان لكم بعدها ﴿وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ
 عِزٌّ مُّعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: فاتي عذابه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ مُدْلِهِمْ فِي
 الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْآخِرَةِ بِالنَّارِ. [٣] ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى
 النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِّنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بَرِيءٌ أَيْضًا، «وقد بعث النبي ﷺ عليًا من
 الشَّيْءِ؛ وهي: سنة تسع، فأَذَّن يوم النحر يمتن بهذه الآيات، وأن لا يحج بعد
 العام مشرك ولا يطوف في البيت عريان» (٥) [رواه البخاري]. ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾
 من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ
 مُّعْجِزِي اللَّهِ وَيَسِّرُ اللَّهُ لِيَوْمِ بَدَأَ الْبِرِّ﴾ مؤلِّم؛ وهو: القتل
 والأسر في الدنيا والنار في الآخرة. [٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
 ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظْهِرُوا﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ
 أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَتَوْا إِلَيْهِمْ عَاهِدَهُمْ إِلَىٰ﴾ انقضاء ﴿مَدِينِهِمْ﴾ التي
 عاهدتم عليها (٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهود.

[٥] ﴿وَإِذَا أَسْلَخَ﴾ خرج ﴿الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ وهي آخر مدة التأجيل (٧)
 ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في جِل أَوْ حَرَمٍ ﴿وَاخْذُواهُمْ﴾ بِالْأَسْرِ
 ﴿وَأَحْضُرُوهُمْ﴾ فِي الْقِتَالِ وَالْحَصُونِ، حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام
 ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طريق يسلكونه، ونصب ﴿كُلِّ﴾ على

نزع الخافض ﴿فَإِن تَابُوا﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ
 فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب.

[٦] ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوعٌ بفعل يفسره ﴿اسْتَجَارَكَ﴾
 استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أَمْنُهُ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ
 أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وهو دار قومه إن لم يؤمن؛ لينظر في أمره ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور
 ﴿وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دين الله؛ فلا بد لهم من سماع القرآن؛ ليعلموا.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن البراء ﷺ قال: آخر سورة نزلت براءة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التوبة (٩) باب (١) والمراد معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفا النبوية، فأولها مثل نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حجاج أبي بكر بالناس - كما سيأتي - وقد نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهي من المائدة في حجة الوداع سنة عشر بينما غالب سورة براءة نزل في غزوة تبوك سنة تسع، وقد أخرج النسائي عن ابن عباس أن سورة النصر آخر سورة نزلت من القرآن، فالجمع بينهما أن آخر سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف براءة فالمراد معظمها. (راجع تفصيل ذلك في الفتح ٨/ ١٦٧، ١٦٥، ١٦٦).

(١) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٢) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٣) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٤) البخاري (٤٦٥٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) عن أبي هريرة.

(٦) قيل: هم: «بنو ضمره» من قبائل «بنو بكر» من «كثافة» لم ينقضوا عهدهم مع النبي ﷺ فأمر بإتمام عهدهم إلى مدتهم. وقيل: هم من لهم عهد مؤقت ولم ينقضوه.

(٧) قيل: هذا التأجيل خاص بالذين نقضوا العهد، وهم «قريش» الذين أعلنوا حلفاءهم «بنو دئل» من «بنو بكر» على «خزاعة» حلفاء النبي ﷺ. وقيل: هو لمن كان له عهد مطلق ليس بمؤقت؛

فضرب له هذا الأجل يسبح في الأرض؛ أي يذهب فيها ليجنو بنفسه.

رسوليه ﴿ وهم كفرون بهما غادرون ﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ ﴿ يوم الحديبية؛ وهم: قريش المستنون من قبل (١) ﴿ فَمَا اسْتَقْتَمُوا
لَكُمْ ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ على الوفاء به، و«ما»
شرطية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى
نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة.

[٨] ﴿ كَيْفَ ﴾ يكون لهم عهد ﴿ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ يظفروا بكم
﴿ لَا يَرْفُتُوا ﴾ يراعوا ﴿ فِيكُمْ ﴾ إلاً ﴿ قَرَابَةً ﴾ وَلَا ذِمَّةً ﴿ عَهْدًا، بَلْ يُوذُّوكُمْ مَا
اسْتَطَاعُوا، وَجَمَلَةُ الشَّرْطِ حَالٌ ﴾ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿ بِكَلَامِهِمُ الْحَسَنِ
﴿ وَأَنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الوفاء به ﴿ وَأَكْرَهُمْ نَيْسِقُونَ ﴾ ناقضون للعهد.

[٩] ﴿ أَشْرَوْا بِعَيْتِ اللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ فَبِنَا قَلِيلًا ﴾ من الدنيا؛ أي: تركوا
اتباعها للشهوات والهوى ﴿ فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ دينه ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ ﴾ بس
﴿ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ به عملهم هذا.

[١٠] ﴿ لَا يَرْفُتُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ ﴾ .

[١١] ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَلِئِنَّكُمْ ﴾ أي: فهم
إخوانكم ﴿ فِي الَّذِينَ وَتَفَضَّلَ ﴾ نبين ﴿ الْأَلْبَتِ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ يتدبرون.

[١٢] ﴿ وَإِنْ نَكَرْتُمْ ﴾ نقضوا ﴿ آيْمَانَهُمْ ﴾ مواليقهم ﴿ تَرَى بَعْدَ عَهْدِهِمْ
وَطَلَسُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ عابوه ﴿ فَتَنَبَلُوا أَيَّمَةَ الْكُفَرِ ﴾ رؤسائه فيه، وضع
الظاهر موضع المضمرة ﴿ إِنَّهُمْ لَا آيْمَانَ ﴾ عهود ﴿ لَهُمْ ﴾ وفي قراءة:
بالكسر (١) ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهَرُونَ ﴾ عن الكفر.

[١٣] ﴿ أَلَا ﴾ للتخصيص ﴿ تَتَّبِعُونَ قَوْمًا نَكَرْتُمْ ﴾ نقضوا
﴿ آيْمَانَهُمْ ﴾ عهودهم ﴿ وَهَكُومًا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ من مكة - لما تشاوروا
فيه بدار الندوة - ﴿ وَهُمْ بَدُّوكُمْ ﴾ بالقتال ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ حيث قاتلوا
خزاعة حلفاءكم مع بني بكر، فما يمنعكم أن تقاتلوهم؟! ﴿ أَنْتَحِرْتُمْ ﴾
أنخافونهم؟! ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ ﴾ في ترك قتالهم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ .

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَمُوا
لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُتُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا
ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَأَنْ قُلُوبُهُمْ وَأَكْرَهُمْ
فَلَيْسُوا (٨) أَشْرَوْا بِعَيْتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ
سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْفُتُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ
تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَلِئِنَّكُمْ فِي
الَّذِينَ وَتَفَضَّلَ الْأَلْبَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ
نَكَرْتُمْ آيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ
فَقَاتِلُوا أَيَّمَةَ الْكُفَرِ إِنَّهُمْ لَا آيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
يَنْتَهَرُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُونَ قَوْمًا نَكَرْتُمْ آيْمَانَهُمْ
وَهُمْ يُأْخِرُونَ الرَّسُولَ وَهُمْ بَدُّوكُمْ وَكَمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَنْتَحِرْتُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

[٧] ﴿ كَيْفَ ﴾ أي: لا ﴿ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

(١) وقيل: هم: «بنو ضمرة» الذين دخلوا في عهد قريش.

(٢) أي: «لا إيمان لهم» وهي لابن عامر.

[١٤] ﴿فَتَلَوْتُمُوهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخَذِّرُهُمْ﴾ يذللهم بالأسر والقهر ﴿وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فعل بهم؛ وهم: بنو خراعة.

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كزبها ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام؛ كأي سفیان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْمُرْ﴾ الله علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَمَّةٍ﴾ بطانة وأولياء؛ المعنى: ولم يظهر المخلصون؛ وهم: الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالإنفراد والجمع^(١)؛ بدخوله والقعود فيه ﴿شُهَدَايْنَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ أَحَدًا﴾ إلا الله فَمَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

[١٩] ﴿أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْكَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْفَضْلِ﴾ والله لا يهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الكافرين، نزلت رذًا على من قال ذلك^(٢)؛ وهو: العباس أو غيره^(٣).

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الظافرون بالخير.

فَتَلَوْتُمُوهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخَذِّرُهُمْ وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْمُرْ مَسْجِدَ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَمَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شُهَدَايْنَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ فَمَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْكَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلت. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ. وهو يوم الجمعة. ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. فأنزل الله ﷻ: ﴿أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْكَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ إلى آخرها. مسلم - كتاب الإمارة (٣٣) باب (٢٩) فضل الشهادة في سبيل الله.

(١) بالإنفراد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. ويكون المقصود: المسجد الحرام.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (نزولها في العباس) [الدر المنثور (٣/٣٩٥)]، وأخرجه مسلم (٣٤٩١) عن النعمان بن بشير (نزولها في رجل).

مُقِيمٌ ﴿٢٢١﴾ دائم.

[٢٢٢] ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢٣﴾ وَنَزَلَ فِيمَن تَرَكَ الْهَجْرَةَ لِأَجْلِ أَهْلِهِ وَتِجَارَتِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَيُخَوِّنُكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إِنَّ أَسْتَحْبُوا ﴿اِحْتَارُوا﴾ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَكْفُرْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٤﴾

[٢٢٤] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَيُخَوِّنُكُمْ وَأَوْلَاؤُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَقْرَابَاؤُكُمْ، وَفِي قِرَاءَةِ (١)﴾: ﴿عَشِيرَاتِكُمْ﴾ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴿اِكْتَسَبْتُمُوهَا﴾ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴿عَدَم نَفَاذَهَا﴾ وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴿فَقَعْدْتُمْ لِأَجْلِهِ عَنِ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ﴾ فَتَرَضُّوا ﴿انْتظروا﴾ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴿تَهْدِيد لِهِمْ﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٢٥﴾

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ لِلْحَرْبِ ﴿كَثِيرٍ﴾ كَبِيرٍ وَفَرِيقَةَ وَالنَّضِيرِ ﴿وَر﴾ وَاذْكَرَ ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ وَإِدْبَارَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ؛ أَي: يَوْمَ قِتَالِكُمْ فِيهِ هَوَازِنَ، وَذَلِكَ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانٍ ﴿إِذ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمٍ﴾ ﴿أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ﴾ فَقَلْتُمْ: لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قَلَّةٍ. وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَالْكَفَّارُ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ ﴿فَلَمْ تَعْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «مَا» مُصَدَّرَةٌ؛ أَي: مَعَ رَحْبِهَا؛ أَي: سَعْتِهَا؛ فَلَمْ تَجِدُوا مَكَانًا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ؛ لِشِدَّةِ مَا لِحَقِّكُمْ مِنَ الْخَوْفِ ﴿ثُمَّ وَرَيْتُمْ مُدْرِبِينَ﴾ مِنْهُمْ مِزِينَ، وَثَبِتَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ الْعَبَّاسِ، وَأَبُو سَفْيَانَ أَخَذَ بِرِكَابِهِ ﴿٢٢٦﴾ ﴿ثُمَّ أُنزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طَمَئِنْتَهُ ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَرَدُّوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا نَادَاهُمْ الْعَبَّاسُ بِإِذْنِهِ (٢)، وَقَاتَلُوا ﴿وَأُنزِلَ جُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ مَلَائِكَةٌ ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾

يُبَيِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ أَسْتَحْبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَقْرَابَاؤُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَضُّوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَرَيْتُم مُدْرِبِينَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢٥﴾

[٢١] ﴿يُبَيِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ

(١) لشعبة.

(٢) أي ياذن رسول الله ﷺ.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام
﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ﴾ قدر؛ نجس باطنهم
﴿فَلَا يَدْخُرُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَابِهِمْ﴾
هكذا ﴿غَامٌ يَسْعُ مِنَ الْهَجْرَةِ﴾ وَإِنْ خَفَّتْ عَلَيْهِمْ فَقَرَأْهُ بِانْقِطَاعِ تِجَارَتِهِمْ
عَنكُمْ ﴿فَسَوْفَ يُعْزِبُكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ وقد أغناهم بالفتح
والجزية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وإلا آمنوا
بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ﴾
دِينَ الْحَقِّ ﴿التَّابِ النَّاسِخَ لغيره من الأديان؛ وهو: دين الإسلام ﴿مِنْ﴾ بيان
«للذين» ﴿الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا﴾
الْجِزْيَةَ ﴿الخِراج المضرِب على كل عام ﴿عَنْ يَدَيْ﴾ حال؛ أي: منقادين،
أو بأيديهم لا يُؤكَلون بها ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ﴾ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ
عيسى ﴿أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه بل
﴿يَضَعُهُنَّ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من آبائهم
تقليداً لهم ﴿فَتَنَلَّهُمْ﴾ نعنهم ﴿اللَّهُ أَتَى﴾ كيف ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾
بصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

[٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْسَابَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ عُبادَ
النصارى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حَرَّمَ اللَّهُ وتحريم ما
أَحَلَّ اللَّهُ^(١) ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُورُوا﴾ في التوراة والإنجيل
﴿إِلَّا لِيُعْبَدُوا﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إِلَّهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
سُبْحَانَهُ ﴿تَزَيَّنَّهَا﴾ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿﴾.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
نجسٌ فَلَا يَدْخُرُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا
وَإِنْ خَفَّتْ عَلَيْهِمْ فَسَوْفَ يُعْزِبُكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
وَهُمْ صَافِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ
وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ
بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَعُّهُنَّ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤَفِّكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْسَابَهُمْ
وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
مَرْيَمَ وَمَا أُورُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا وَإِلَّهًا وَاحِدًا
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

(١) أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال بعد أن قرأ هذه الآية: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه». كتاب تفسير القرآن (٤٨) - باب (١٠) سورة براءة. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١).

[٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

[٣٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينة ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ الذهب وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقَهُنَّهَا﴾ أي: الكنوز ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير ﴿فَيَبْزُرُهُمْ﴾ أخبروهم ﴿بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها، ويقال لهم: ﴿هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٥) أي: جزاءه.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ في كتاب الله ﴿اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ﴾ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ﴿يَتَبَّهَا﴾ أي: الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ مُحَرَّمَةٌ، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وَرَجَبٌ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تحريمها ﴿الَّذِينَ الْقِيَمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَطْلُبُوا فِيهِنَّ﴾ أي: الأشهر الحرم ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي؛ فإنها فيها أعظم وزرا، وقيل: في الأشهر كلها ﴿وَقَدِّمُوا الْفِتْنَةَ كَأَنَّكُمْ﴾ جميعا في كل الشهر ﴿كَمَا يُقَدِّمُونَكُمْ كَافَّةً﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر (١).

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَّعَزَّزَهُ وَوَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَوَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَطْلُبُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَدِّمُوا الْفِتْنَةَ كَأَنَّكُمْ يُقَدِّمُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ شرعه وتبراهينه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأفواههم فيه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَّعَزَّزَهُ﴾ يظهر ﴿نُورُهُ﴾ ولو كره الكافرون ذلك.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تاما. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا، فوفى كل من في قلبه مقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم». مسلم - كتاب الفتن وأشراف الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخليفة.

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ثوبان لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال: كنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل لو علمنا أي المال خير فنسخره؟ فقال: «أفضله: لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٠).

(٥٥٥) أخرج البخاري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كفر فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهورا للأموال. البخاري - كتاب الزكاة (٢٤) باب (٤) ما أدى زكاته فليس بكفر.

(١) في الآية إثبات معية الله ﷻ الخاصة للمتقين، ومعية الله تعالى مع عبده نوحا؛ معية عامة، ومعية خاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقة المعية الصحية اللطيفة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستويا على عرشه، وقرن بين الأمرين كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيهِ مَا عَلَى السَّمَاءِ وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَمَا بَيْنَ الْأَرْضِ وَمَا يَشْعُرُ وَمَا نَحْوِ عَرْشِهِ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يصر أعمالهم من فوق عرشه؛ فلمع لا يناقض معيته، ومعية لا تبطل عنه.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَنْ رَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾

إِنَّا نَتَفَرُّوهُ بِكُمْ وَعَدَابُكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَأَنْتُمْ تَسْتَدِيلُونَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

إِنَّمَا نَنْصُرُهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذِ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ﴿٣٠﴾

وَكَالِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣١﴾

[٣٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي: التأخير لحرمة شهر إلى آخره؛ كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حُرْمَةِ الْحَوْصِ إِذَا هَلَ وَهَمَّ فِي الْقِتَالِ إِلَى صَفَرٍ ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها ^(١) ﴿يُؤْطِقُوا﴾ يذوقون ﴿يُحْلُونَهُ﴾ أي: النسية ﴿عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِقُوا﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحریم آخر بذلك ﴿عِدَّةٌ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر؛ فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا، ولا ينظروا إلى أعيانها ﴿فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسنًا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿وَنَزَلَ﴾ لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، وكانوا في عسرة وشدة حَرْوً، فسق عليهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ﴾ ^(٢) يادغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل؛ أي: تباطؤكم وملتم عن الجهاد ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والقعود فيها؛ والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿وَمَتَّعَ الْآخِرَةَ﴾ أي: بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير.

[٣٩] ﴿إِنَّمَا﴾ يادغام «لا» في نون «إن» الشرطية في الموضعين ^(٣) ﴿نَتَفَرُّوهُ﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا ﴿وَسَتَدِيلُونَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي: الله، أو النبي ﷺ ﴿سَتَدِيلُونَ﴾ بترك نصره؛ فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه وتأييده.

[٤٠] ﴿إِنَّمَا نَنْصُرُهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة؛ أي: أُلجؤوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِيًا أَثْنَيْنِ﴾ حال؛ أي: أحد اثنتين، والآخر أبو بكر - المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة؛ فلا يخذله في غيرها - ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿هُمَا فِي الْعَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثانٍ ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر - وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: (لو نظر أحدكم تحت قدميه لأبصرنا) ^(٤) -: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: على النبي ﷺ. وقيل: على أبي بكر، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿وَجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾

ملائكة في الغار، ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: دعوة الشرك ﴿السُّفْلَى﴾ المقلوبة ﴿وَكَالِمَةَ اللَّهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هُوَ الْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد. [الدر المنثور (٢٢٧/٣)]، وهو مرسل صحيح الإسناد كما قال صاحب الاستيعاب (٢٧٧/٢).

(٣) أي: هذا، وقوله: ﴿إِنَّمَا نَنْصُرُهُ﴾.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم؛ فلا تناقوا.

[٤٢] ﴿وَنَزَّلَ فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَفُوا﴾: ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾ منافعاً من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً ﴿لَأَتَّبَعُواكَ﴾ طلباً للغميمة ﴿وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة؛ فتخلفوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إذا رجعت إليهم ﴿لَوْ أَسْتَظَنَّا﴾ الخروج ﴿لَوَجَّهْنَا مَعَكُمْ﴾ يهلكون أنفسهم، بالحلف الكاذب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ لِمَ يَكْفُرُونَ﴾ في قولهم ذلك.

[٤٣] ﴿وَكَانَ﴾ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه؛ فنزل عتاباً له (٣)، وقدم العفو تطميناً لقلبه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لِهَمْ﴾ في التخلف، وهلا تركهم ﴿حَقٌّ يَبَيِّنُ لَكَ الْآيَاتِ صِدْقًا﴾ في العذر ﴿وَتَعْلَمُ الْكٰذِبِينَ﴾ فيه.

[٤٤] ﴿لَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُكَ﴾ في التخلف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّاتَبَتْ﴾ شكك ﴿فُلُوبَهُمْ﴾ في الدين ﴿فَهَمُّ فِي رِيبِهِمْ يَزِدُّهُمْ﴾ يتحIRON.

[٤٦] ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا لَكَ عُدَّةً﴾ أهبة من الآلة والرجال ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِيْمَانِهِمْ﴾ أي: لم يرد (٤) خروجهم ﴿فَتَبَطَّهْمُ﴾ كشلهم ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ لهم: ﴿أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ المرضى والنساء والصبيان؛ أي: قدر الله تعالى ذلك.

[٤٧] ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكَ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فساداً؛ بتخذييل المؤمنين ﴿وَلَا وَضَعُوا خِطْلَكُمْ﴾ أي: أسرعوا بينكم بالمشي بالميممة ﴿يَبْغُونَكُمْ﴾ يطلبون لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون، سماع قبول ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَا كُنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَظَنَّا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكٰذِبُونَ ﴿٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ لَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّاتَبَتْ فُلُوبَهُمْ فَهَمُّ فِي رِيبِهِمْ يَزِدُّهُمْ وَأَوْ تَابَتْ فُلُوبُهُمْ فَهَمُّ فِي رِيبِهِمْ يَزِدُّهُمْ ﴿٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَكَ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِيْمَانِهِمْ فَتَبَطَّهْمُ وَقِيلَ لَهُمْ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا خِطْلَكُمْ يَبْغُونَكُمْ أَلْفِتْنَةً وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

[٤١] ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ نشاطاً وغير نشاط، وقيل: أوفياء وضعاء، أو أغنياء وفقراء، وهي منسوخة بآية (١) ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ﴾ (١)

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية. نسختها التي في النور: ﴿إِنَّمَا التَّوْحُوتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنَّا كُنَّا نَمُتُّ عَلَى أَمْرِ جَابِعٍ لَمْ يَهَيِّؤُوا حَتَّى يَسْتَنْدِثُوا﴾ إلى قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ [النور: ٦٢]. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٧١) في الإذن في القول بعد النهي، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٤٠٩).

(١) أي: على القولين الآخرين لا على الأول فهي محكمة.

(٢) التوبة: ٩١.

(٣) لعله يقصد ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف وابن جرير عن عمرو بن ميمون الأودي رضي الله عنه قال: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء؛ إذنه للمنافقين وأخذته من الأسارى، فأنزل الله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٤٣] [الدر المنثور (٤٤١/٣)] وهو مرسل صحيح الإسناد كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٨٠/٢).

(٤) وهذا تأويل لهده الصفة التي أئبها ربنا - جلَّ وعلا - لنفسه، ومذهب السلف [ثبت هذه الصفات وغيرها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل.

[٤٨] ﴿لَقَدْ أَسْتَعَاذُواكَ﴾ لك ﴿الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أول ما قدمت المدينة ﴿وَوَكَّلْنَا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي: أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّىٰ جَاءَكَ الْحَقُّ﴾ النصر ﴿وَوَظَهَرَكَ عَزْرُ﴾ أمر الله، دينه ﴿وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ له، فدخلوا فيه ظاهرًا.

[٤٩] ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْأَلُ أَعْدَنَ لِي﴾ في التخلف ﴿وَلَا نَقْتَتِي﴾ وهو الجعد بن قيس، قال له النبي ﷺ: «هل لك في جلاذ بني الأصفر؟»، فقال: إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن؛ فأفتني^(١). قال - تعالى -: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخلف، وقرأ: «سَقَطُوا»^(٢) ﴿وَرَأَتْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةً بِالْكَافِرِينَ﴾ لا محص لهم عنها.

[٥٠] ﴿إِن تَصَبَّكَ حَسَنَةٌ﴾ كصر وغنيمه ﴿كَسَرُوا نَجْمًا﴾ نَصَبَكَ مُصِيبَةً ﴿شِدَّةٌ﴾ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا بِالْحَرَمِ حِينَ تَخَلَفْنَا مِنْ قَبْلُ ﴿قَبْلَ هَذِهِ الْمِصْبَةِ﴾ وَيَسْتَوْلُوا وَهُمْ فِرْحُونَ ﴿بِمَا أَصَابَكَ﴾.

[٥١] ﴿قُلْ لِمَ﴾ لهم: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا، ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل؛ أي: تنتظرون أن يقع ﴿بَيْنَنَا إِلَّا إِحْدَى الْعَاقِبَتَيْنِ﴾ الْحَسَنَيْنِ ﴿تَنْبِيءٌ﴾ تَنْبِيءٌ «أحسن»: النصر أو الشهادة ﴿وَعَنْ نَرْتَضِ﴾ ننظر ﴿يَكُمُ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ يَأْتِيَنَا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرْتَضُوا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرْتَضُونَ﴾ عاقبتكم.

[٥٣] ﴿قُلْ أَنْفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يَنْقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والأمر هنا بمعنى الخير.

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا﴾ بالياء والتاء^(٣) ﴿وَمِنْهُمْ نَفَقَتْهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ﴾ فاعل، ورأى يقبل مفعول ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ متناقلون ﴿وَلَا يُفْقَهُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ النفاق؛ لأنهم يعدونها مفرًا.

لَقَدْ أَسْتَعَاذُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَكَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتَذَّنَ لِي وَلَا نَقْتَتِي الْأَلْفِي الْفِتْنَةَ سَقَطُوا وَإِن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تَصَبَّكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تَصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَسْتَوْلُوا وَهُمْ فِرْحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بَيْنَنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَعَنْ نَرْتَضِ يَكُمُ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا فَتَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرْتَضُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يَنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا بَالِيَاءَ وَالتَّاءُ ﴿٥٤﴾ وَمِنْهُمْ نَفَقَتْهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يُفْقَهُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٥﴾

(١) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله، وكذا ابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٤٣/٣)]، واختلف في تحسينه وتضعيفه؛ فحسبه فريق بشواهده منهم صاحب الاستيعاب (٢٨١/٢ - ٢٨٣)، ومنهم من ضعه كالهشمي وغيره كما في الجمع (٣٠/٧).

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وخلف.

﴿أَوْ مَدَّحًا﴾ موضعاً يدلخونه ﴿لَوْلَا إِلَيْهِ وَهَمَّ يَمْحُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراراً لا يرده شيء؛ كالفرس الجموح.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ يَزُكْ بِبَيْتِكَ﴾ ﴿وَفِي﴾ قسّم ﴿الصَّدَقَاتِ إِنْ أَعْطُوا﴾ مِنهَا رِضْوَانًا لَّمْ يَعْطُوا مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن نغنيينا، وجواب ﴿لَوْ﴾: لكان خيراً لهم.

[٦٠] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقفاً من كفايتهم ﴿وَالسَّكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَيْهِ﴾ أي: الصدقات؛ من جاب وقاسم وكاتب وخاثير ﴿وَالْمَوْلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ليسلموا، أو بنيت إسلامهم، أو يسلم نظراً لهم، أو يذبوا عن المسلمين، أقسام؛ الأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي - رضي الله

تعالى عنه؛ لجز الإسلام، بخلاف الآخرين يعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾ فَكَّ ﴿الرِّقَابِ﴾ أي: المكاتبين ﴿وَالْعُرْيَيْنِ﴾ أهل الدُّنْيَا إِنْ اسْتَدَانُوا الْغَيْرَ مَعْصِيَةً، أو تابوا وليس لهم فداء، أو لإصلاح ذَاتِ النَّبِيِّ وَلَوْ أَعْيَاءَ ﴿وَفِي﴾ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أَي: الْقَائِمِينَ بِالْجِهَادِ مِنْ لَا فِيهِ لَهُمْ وَلَوْ أَعْيَاءَ﴾ ﴿وَأَنَّ السَّبِيلَ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب يفغله المقدر ﴿وَيَنَّ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه؛ فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا يمنع صنف منهم^(١) إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض أحاد الصنف على بعض، وأفادت «اللام» وجوب استغراق أفرادها^(٢)، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها - كما أفادته صيغة الجمع -، وبينت الشئ أن شرط المعطى منها الإسلام، وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بعقبيه وينقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - إذا نهوا عن ذلك؛ لئلا يبلغه :: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أي: يسمع كل قيل وقيل، فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أَذُنٌ﴾ مُشْتَمِعٌ ﴿حَبْرٍ لَّكُمْ﴾ لا مُشْتَمِعٌ شَرٌّ ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم، و«اللام» زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع عطفاً على ﴿أَذُنٌ﴾ والجر^(٣) عطفاً على ﴿حَبْرٍ﴾ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْدِثُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَظًا أَوْ مَدْحَلًا لَوْلَا إِلَيْهِ وَهَمَّ يَمْحَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يَعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعُرْيَيْنِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّ السَّبِيلَ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن بقرصان عليهم؛ فهي: استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: أن يعذبهم ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة، وفيها من المصائب ﴿وَتَرْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ رَهْمًا كَافِرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب.

[٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي: مؤمنون ﴿وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ﴾ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين؛ فيحلفون بقرصانهم ﴿لَوْ يَحْدِثُونَ مَلْجَأًا﴾ يلجأون إليه ﴿أَوْ مَعْرَظًا﴾ سراديب

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٨): أخرج البخاري عن أبي سعيد قال: بينما النبي ﷺ يقسم، جاء عبد الله بن ذي الحويصرة التميمي فقال: أعدل يا رسول الله. فقال: «وبلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه. قال: «دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يقرن من الدين كما يقرن السهم من الرمية، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضجه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرت والدم. أيهم: رجل إحدى يديه. أو قال: تديه - مثل ثدي المرأة. أو قال: مثل البضعة تدر - يخرجون على حين فرقة من المسلمين». قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه. جيء بالرجل على التنت التي نعت النبي ﷺ قال: فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾. البخاري - كتاب استنباط المرتدين (٨٨) باب (٧) من ترك قال الخوارج للثألفين.

(١) ذكر النووي عن الشافعي: أن الكفار إن جاز تأليفهم فإنما يعطون من سهم المصالح من النبي، ونحوه، ولا يعطون من الزكاة. وقال جمهور الحنفية بنسخ سهم المولفة قلوبهم. وعند الحنابلة والمالكية: أنه باق لم ينسخ، وهو الصحيح؛ لأن القول بالنسخ ليس عليه دليل صريح، والحاجة إلى تأليف القلوب لم تنقطع.

(٢) وهذا مذهب الشافعي، وعند الجمهور لا يلزم تعميم الأصناف؛ فاللام في قوله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ لبيان المصرف، لا للاستحقاق، وهذا هو الأرجح، لكن قال مالك: الأمر عندنا في قسم الصدقات أن ذلك لا يكون إلا على وجه الاجتهاد من الولي، فأبي الأصناف كانت الحاجة فيه والعدد أوفر ذلك الصنف بقدر ما يرى الولي... وهو أولى ما يؤخذ به في حال وجود الحاكم الشرعي، وإلا فالأقرب ما نقل عن الشعبي وغيره: إذا كان المال كثيراً ففرقه في الأصناف، وإذا كان قليلاً فأعطه صنفًا واحداً... مع مراعاة الأشد حاجة... والله أعلم.

(٣) بالجر قرأه حزمة.

[٦٢] ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْسُوَكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسُوَ﴾ بالطاعة ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً، وتوحيد الضمير؛ لتلازم الرضاهين، أو خبر «الله» أو «رسوله» محذوف.

[٦٣] ﴿الَّذِينَ يَسْلَمُونَ﴾ أي: الشان ﴿مَنْ يُحَادِدُ﴾ يشاقق ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُمْ خَلِيلٌ فِي ذَلِكَ الْخِزْيِ الْعَظِيمِ﴾ جزء ﴿خَلِيلًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيِ الْعَظِيمِ﴾.

[٦٤] ﴿يَحْدَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنْفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلْ أَسْتَهْزِئُ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ تَجَرَّجٌ﴾ مظهر ﴿مَا تَحْدَرُونَ﴾ لإخراجه من نفاقكم.

[٦٥] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرهم معك إلى تبوك ﴿لِيَقُولُوا﴾ معذرين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُ وَكَلَمَتٍ﴾ في الحديث؛ لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَيُّ اللَّهِ وَعَائِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٦٦] ﴿لَا تَعْدُوا﴾ عنه ﴿فَدَكَّرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِنْ يُعْطَى﴾ بالياء مبتدأ للمفعول، والنون مبتدأ للفاعل ﴿عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها؛ كمخشي بن حمير^(١) ﴿تُعَذِّبُ﴾ بالناء والنون^(٢) ﴿طَائِفَةٌ﴾^(٣) يَأْتُهُمْ كَأَنَّهُمْ مُجْرِمِينَ مصرين على النفاق والاستهزاء.

[٦٧] ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: متشابهون في الدين؛ كأبعض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتُ وَالْكٰفِرَاتُ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا﴾

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْسُوَكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسُوَهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ يَسْلَمُونَ مَنْ يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُمْ خَلِيلٌ فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ يَحْدَرُ الْمُنْفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَهْزِئُ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْدَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُ وَكَلَمَتٍ قُلْ لَهُمْ أَيُّ اللَّهِ وَعَائِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْدُوا عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تَعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتُ وَالْكٰفِرَاتُ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ جَزَاءُ وَعِقَابًا ﴿٦٨﴾ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ أَبْعَدَهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، أنتم أيها المنافقون.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، أنتم أيها المنافقون.

(١) في بعض النسخ: «جحش بن حمير».

(٢) بالبناء للمفعول في الفعلين قراءة السبعة عدا عاصم؛ ﴿إِنْ يُعْطَى﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً، وقرأ عاصم بالنون والبناء للفاعل فيهما.

(٣) بالرفع والنصب؛ ففيها قراءتان سبعتان: الأولى: «إِنْ يُعْطَى﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالرفع، والثانية: «إِنْ نَعْفَى﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالنصب. وراجع الحاشية السابقة.

وَأُولَئِكَ فَاسْتَمْتَعُوا ﴿٧٠﴾ تَمَتَّعُوا ﴿يَخْلَفِيهِمْ﴾ نَصَبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾
أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿يَخْلَفِيكُمْ﴾ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَخْلَفِيهِمْ
وَحُضَّتُمْ ﴿فِي الْبَاطِلِ وَالطَّعْنِ فِي النَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿كَالَّذِي حَاضُوا﴾ أَي:
كَخَوَاضِهِمْ ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ﴾.

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خَبْرٌ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَصَالِحٌ
قَوْمٌ هُودٌ وَكُفُودٌ﴾ قَوْمٌ صَالِحٌ ﴿وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابَ الْمَدِينِ﴾ قَوْمٌ
شَعِيبَ ﴿وَالْمُؤْتَفِكِينَ﴾ فَرَى قَوْمٌ لَوْطَ؛ أَي: أَهْلَهَا ﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ
يَأْتِيَنَّهُمْ﴾ بِالْمُعْجَزَاتِ؛ فَكَذَّبُوهُمْ؛ فَأَهْلَكُوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾
بِأَن يَعْذِبَهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِارْتِكَابِ الذَّنْبِ.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴿٧١﴾ لَا يَعْزِزُ شَيْءَ عَنِ إِجْزَارِ
وَعَدِهِ وَوَعِيدِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ لَا يَضَعُ شَيْئًا إِلَّا فِي مَحَلِّهِ.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴿٧٢﴾ اِقَامَةً ﴿وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ
أَكْبَرُ﴾ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا أَمْوَالًا
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْفِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضَّتُمْ
كَالَّذِي حَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧١﴾ الْمَرِيَاتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَكُفُودٌ وَقَوْمٌ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابَ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
يَأْتِيَنَّهُمْ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧١﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا أَمْوَالًا

(٥) فائدة: في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ مقابل قوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُمْ رِيءٌ بِبَعْضٍ﴾.

قال الطاهر بن عاشور: وعبر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعض الإشارة إلى أن اللحمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام؛ فهم فيها على السواء؛ ليس واحد منهم مقلداً للآخر ولا تابعاً له على غير بصيرة؛ لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين، فكان بعضهم ناشئ من بعض في مذاهبهم... التحرير والتنوير (٢٦٢/١١).

[٧٣] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز وَالْمَقَبِ ﴿وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ وَيَسَّ الْمَصِيرُ المرجع هي.

[٧٤] ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿يَاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من الشبَّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهُمْ أَوْ يَمَاتُ يَأْتُوا﴾ مِنَ الْفِتْكَ بالبني ليلة العقبة عند عوده من تبوك - وهم بضعة عشر رجلاً؛ فضرب عمار بن ياسر وجمرة الرُّوَاحِلِ لما عَشُرُوهُ فَرُؤُوا^(١) ﴿وَمَا تَقْضُوا﴾ أَنْكُرُوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالفنائم بعد شدة حاجتهم؛ المعنى: لم ينلهم منه إلا هذا، وليس مما ينقم^(٢) ﴿فَإِنْ يَتُوبَا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿بِكَ خَيْرًا لَمَّْا وَإِنْ يَتُوبَا﴾ عن الإيمان ﴿بِعَذَابِهِمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَمَّْا فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم.

[٧٥] ﴿وَمَنْ مَنَّهُمْ مَنَّ عَهْدُ اللَّهِ لَيْتَ﴾ مَا تَنَا مِنْ فَضْلِهِ لِنَصْدَقَ ﴿فِي إِدْغَامِ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الصَّادِ﴾ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ وهو ثعلبة بن حاطب؛ سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالا، ويؤدي منه إلى كل ذي حَقٍّ حَقَّهُ فذعا له؛ فوسع عليه؛ فانقطع عن الجمعة والجماعة، ومنع الزكاة^(٣)؛ كما قال - تعالى -: [٧٦] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ جَحَلُوا بِهِمْ وَتَوَلَّوْا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: فصر عاقبتهم ﴿بِفَأَقَا﴾ ثَابِتًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لِكَيْ يَتُوبُوا بِلِقْوَتِهِ ﴿أَيُّ اللَّهِ﴾ وهو: يوم القيامة ﴿بِمَا أَسْلَفُوا اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ﴾ وَمِمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿فِيهِ﴾ فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بركاته، فقال: «إِنَّ اللَّهَ مُتَعَبِّدِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ»؛ فجعل يحشو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها، ومات في زمانه^(٤).

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي: المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ مَا أَشْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿وَوَجَّهْتُمْ﴾ مَا تَاجَا بِهِ بَيْنَهُمْ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ﴾ مَا غَابَ عَنِ الْعِيَانِ. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فنصدق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُرَاءٍ. وجاء رجل فنصدق بصاع، فقالوا: إن الله غني عن صدقة هذا. فنزل: [٧٩] ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٤﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَوْ يَمَاتُ يَأْتُوا بِنَا وَأَوَّامِنًا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبَا يَكْ خَيْرًا لَمَّْا وَإِنْ يَتُوبَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٥﴾ وَمَنْ مَنَّهُمْ مَنَّ عَهْدُ اللَّهِ لَيْتَ مَا تَنَا مِنْ فَضْلِهِ لِنَصْدَقَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ جَحَلُوا بِهِمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَئِمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِمْ جَحَلُوا بِهِمْ وَتَوَلَّوْا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ بِلْقَاؤِهِ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَمِمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٠﴾

يعيون^(٥) ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتسولين ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقهم؛ فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخبر ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم^(٦) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٩): أخرج البخاري عن أبي سعيد قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فنصدق بشيء كثير، فقالوا: مرأي، وجاء رجل فنصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا. فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ...﴾ الآية. البخاري - كتاب الزكاة (٢٤) باب (١٠) اتقوا النار ولو بشق تمره.

(١) القصة أخرجها البيهقي في الدلائل عن عروة وعن حذيفة بن اليمان، وأخرجها ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك وليس في أي منها أن عمار بن ياسر ضرب وجوه الرواحل وانظر: الدر المنثور (٤٦٤/٣ - ٤٦٦) وحسنه صاحب الاستيعاب بقوله: وهذا إسناد حسن؛ رجاله ثقات، إلا ابن إسحاق وهو صدوق حجة في «الغازي» الاستيعاب (٢٩١/٢).

(٢) أي يكره؛ فالاستثناء منقطع.

(٣) هذه القصة التي أشار إليها السيوطي وهي قصة متداولة على الألسن نقلها بعض المفسرين دون إنكار نسبتها إلى ثعلبة، وتعقبها آخرون بالنقد واستبعدوا نزولها في حق صحابي شهد معركة بدر، قال القرطبي: وثعلبة بدري، أنصاري، ومن شهد الله له وروسه بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح، والراجح أنها نزلت في رجال من المنافقين كما قال الضحاك، والله أعلم.

(٤) أخرجه الحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والمسكوفي في الأمثال والطبراني وابن منده والبارودي وأبو نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساکر عن أبي أمانة الباهلي كما في الدر المنثور (٤٦٧/٣). قال البيهقي في الشعب (٧٩/٤، ٨٠): «وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما بين أهل التفسير، والله أعلم». وقال الهيثمي في المجمع (٢٣٧/٧): «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك. ولزيد من البيان والتفصيل راجع كتاب «الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلب بن حاطب» لسليم الهلالي.

(٥) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكنها لا تطلق عليه - شُبْحَانَهُ - مجردة بدون ذكر متعلقها، كما لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ساخر... ومذهب السلف الإيمان بها على الوجه اللائق به - شُبْحَانَهُ - من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكيف.

بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاري حديث: «لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ مِائَةً لَزِدْتُ عَلَيْهَا»^(١)، وقيل: المراد العدد المخصوص. لحديثه أيضا: «وَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ»^(٢)؛ فَيَنْبَغُ لَهُمْ حَسْمُ الْمَغْفِرَةِ يَا بَنِي سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ»^(٣) «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِإِلَهِهِمْ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ»^(٤).

[٨١] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم ﴿خَلْفَ﴾ أي: بعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَا نَجِدُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرْبِ قُلُوبًا نَارًا جَهَنَّمَ أَشَدَّ حَرًّا﴾ من تبوك؛ فالأولى أن يُقَوِّمَهَا بِتَرْكِ التَّخَلُّفِ ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا.

[٨٢] ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ في الآخرة ﴿كثيرًا جزاءً﴾ بما كانوا يكفرون. خبر عن حالهم بصيغة الأمر.

[٨٣] ﴿فَإِنْ رَجَعْتَ﴾ رَدَّكَ ﴿اللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ من تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَأَسْتَدْذُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالصِّبَانَ وَغَيْرِهِمْ.

[٨٤] ﴿وَمَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ابْنِ أُتَيْ نَزَلَ﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ»^(٥) لدفن أو زيارة»^(٦) «إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ» كافرون.

[٨٥] ﴿وَلَا تَجِدَكَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَزَهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٨٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ ثُرَيْدًا أَثْرَلَتْ سُورَةُ﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ﴾ ذوو الغنى ﴿وَمِنْهُمْ﴾ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ»^(٧).

أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨١﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلُوبًا نَارًا جَهَنَّمَ أَشَدَّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٢﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَإِنْ رَجَعْتَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْذُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَجِدَكَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَزَهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٧﴾

[٨٠] «أَسْتَغْفِرُ» يا محمد «لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ» تخيير له في الاستغفار وتزكوه، قال ﷺ: «إِنِّي خَيْرُ مَا خَشَعْتُ»؛ يعني: الاستغفار. [رواه البخاري]^(١) «إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» قيل: المراد

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٤): أخرج البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لما توفي عبدالله بن أبي جاه ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ ثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله فقال: أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً» وسأزيد على السبعين؛ قال: إنه منافق. قال: فضلى عليه رسول الله ﷺ فانزل الله: «وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة براءة (٩) باب (١٢).

(١) البخاري (١٣٦٦) عن عمر بن الخطاب مرفوعاً.

(٢) البخاري (١٣٦٦) ..

(٣) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر مرفوعاً.

(٤) المنافقون: ٦.

(٥) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن عبد الله بن عمر مرفوعاً.

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ جمع «خالفة»؛ أي: النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطَمِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحيز.

[٨٨] ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَاءِكُمْ لَهُمُ الْخَبَرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٩٠] ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في النال؛ أي: المعتذرون؛ بمعنى: المعتذرين، وقرئ به^(١) ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم؛ فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن الجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩١] ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعنفي والزمني ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرْجٌ﴾ إنهم في التخلف عنه ﴿وَإِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم؛ بعدم الإزجاج والتثبيط والطاعة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿وَمِن سَبِيلٍ﴾ طريق بالمواخاة ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا آتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو؛ وهم: سبعة من الأنصار، وقيل: بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾^(٢) حال ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ أي: انصرفوا ﴿وَأَعْيَبُهُمْ فَوَيْضٌ﴾ تسيل ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ للبيان ﴿الذَّمِجَ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد.

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم مثله.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَاءِكُمْ لَهُمُ الْخَبَرَاتُ ﴿٨٨﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٠﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩١﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٢﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا آتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَبُهُمْ فَوَيْضٌ مِنَ اللَّيْلِ وَمِنَ اللَّيْلِ يَسْأَلُونَكَ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فَيُضُوا مِنْ دِمَائِهِمْ وَإِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ لِيُخَالِفُوا بِأَمْوَالِهِمْ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَاءِكُمْ لَهُمُ الْخَبَرَاتُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٩٣﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الخيلان لهم إذ هم معه في جيش المعصرة - وهي غزوة تبوك. فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أحملكم على شيء». ووافقتة وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزينا من منع النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه علي. فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم أثبت إلا سوية إذ سمعت بلالا ينادي: أي عبدالله بن قيس، فأجبتة. فقال: أجب رسول الله بدعوك. فلما أتته قال: وحذ هذين القرنين - لست أبرة اتباعهن حينئذ من سعد - فانطلق بهن إلى أصحابك... ٥٠٠. البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٨) غزوة تبوك.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدَنْبَانَا اللَّهُ مِنْ أَجْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُؤْتِرُودُونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تَحْمِلُونَ أَسْفَاكُكُمْ وَمَا لَكُمْ لِمَا كَفَرْتُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَىٰ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَعْرَضْنَا عَنْكُمْ وَمَا أَرْحَمُكُمْ وَأَنْتُمْ تَحْمِلُونَ ﴿٩٦﴾ سَيَخْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْكُمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٧﴾ أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُعْتَدُونَ وَأَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْغُورَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَعَذِرُونَ ﴿٩٨﴾ أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُعْتَدُونَ وَأَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْغُورَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَعَذِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُعْتَدُونَ وَأَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْغُورَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَعَذِرُونَ ﴿١٠٠﴾

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نصدقكم ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَجْبَارِكُمْ﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥) فيجازيكم عليه.

[٩٥] ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ رجعتهم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك، أنهم معذورون في التخلف ﴿وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تَحْمِلُونَ﴾ فأعرضوا عنهم ﴿إِنَّمَا أَعْرَضْنَا عَنْكُمْ وَمَا أَرْحَمُكُمْ﴾ وأولهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.

[٩٦] ﴿سَيَخْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْكُمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: عنهم، ولا يرفع رضاكم مع سخط الله.

[٩٧] ﴿أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُعْتَدُونَ﴾ من أهل المدن؛ لجهالتهم وغلظ طباعهم وتغديهم عن سماع القرآن ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ أي: بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله من الأحكام والشرائع ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[٩٨] ﴿أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُعْتَدُونَ﴾ في سبيل الله ﴿مَعْرُومًا﴾ غرامة وخسرانا؛ لأنه لا يرجو ثوابه، بل ينفقه خوفاً؛ وهم: بنو أسد وغطفان ﴿وَيَرْتَضُونَ﴾ ينتظر ﴿يَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم؛ فينخلص، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ بالضم والفتح^(١)؛ أي: يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.

[٩٩] ﴿وَيَرْتَضُونَ﴾ ويرتضون ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كجهنمة ومدينة ﴿وَيَسْتَخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿فَرِيضَةً﴾ تفرقة ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَرِسِيلَةً﴾ إلى ﴿صَلَوَاتِ﴾ دعوات ﴿الرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلَا إِنَّمَا﴾ أي: نفقتهم ﴿فَرِيضَةٌ﴾ بضم الراء وسكونها^(٢) ﴿لَهُمْ﴾ عنده ﴿سَيُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنتيه^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن كعب بن مالك: ... وكنا أيها الثلاثة الذين خلفوا عن الأمر الذي قيل من هؤلاء الذين اعتذروا وحين أنزل الله لنا التوبة، فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المخلفين فاعتذروا بالباطل ذكروا بشئ ما ذكر به أحد؛ قال الله سبحانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَجْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ...﴾ الآية. البخاري. كتاب التفسير (١٥) - سورة براءة (٩) باب (١٨) ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ...﴾.

(١) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة ورش.

(٣) وهذا تفسير باللازم، فرازا من المفسر من إثبات الصفة كما هو منهج الأشعرية، وسبق التبيي على أن منهج أهل السنة إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

[١٠٠] ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ وهم من شهد بدرًا، أو جميع الصحابة ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ إلى يوم القيامة ﴿يُحْسِنُ﴾ في العمل ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته^(١) ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وفي قراءة: بزيادة «من»^(٢) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ﴿وَمَنْ حَزَلَكُمْ﴾ يا أهل المدينة ﴿يَزِكِ الْأَعْرَابَ مُنْفِقُونَ﴾ كأسلم وأشجع وغفار ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضًا ﴿مَرَدُّوا عَلَى أَيْتَاقٍ﴾ لجأ فيه واستمروا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَنْ تَعَلَّمَهُمْ سَعَدَ بِهِمْ مَرَدِّينَ﴾ بالفضيحة، أو القتل في الدنيا، وعذاب القبر ﴿مَنْ يَرُدُّوهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار.

[١٠٢] ﴿وَمَنْ قَوْمٌ﴾ عاخرين ﴿مَبْتَدَأُ﴾ مبتدأ ﴿أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف، نعته، والحبر: ﴿خَاطَبُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك، أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَأَخْرَجْنَا﴾ وهو: تخلفهم ﴿عَنِ اللَّهِ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سوري المسجد - لما بلغهم ما نزل في المتخلفين - وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ؛ فَحَلَّهُمْ﴾ لما نزلت^(٣).

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ من ذنوبهم؛ فَأَخَذَ تِلْكَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصَدَّقَ بِهَا ﴿وَصَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ﴾ ﴿قِيلَ﴾: «طمأنينة بقبول توبتهم» ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٠٤] ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِالصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عبادِهِ بقبول توبتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم!؟، والاستفهام للتقرير، والغصد به هو تهيجهم إلى التوبة والصدقة.

[١٠٥] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أو للناس: ﴿أَعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسِرِّي اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُونَ ﴿بالمعنى﴾ إِلَى عَلِيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهِدَةِ أَي: اللَّهُ ﴿فَيَسِّرْكُمْ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤) فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿وَأَخْرَجُوا﴾ من المتخلفين ﴿مَنْ جَاءَهُمْ﴾ بالهمز وتركه^(٥): مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَنَّ اللَّهَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِمَّا يَعِدُّبُهُمْ﴾ بأن يمتهم بلا

وَالسَّيْفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾ وَمَنْ حَزَلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى الْأَيْتَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ مَنْ تَعْلَمَهُمْ سَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٢﴾ وَعَاخِرُونَ آخِرُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَاخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِالصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾ وَقِيلَ لَهُمْ ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾

توبة ﴿وَأَمَّا يُؤْتِبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلفه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم؛ وهم الثلاثة الآتون بعد: فزارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة لا نفاقاً، ولم يعتدروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرتهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل: ﴿أَعْمَلُوا اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ولا يستخفك أحد. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦)...

قال الخافظ في الفتح (٥١٤/١٣): «قال ابن التين عن الداودي: معناه: لا تفر بمدح أحد وحاسب نفسك. والصواب ما قاله غيره: أن المعنى: لا يفرئك أحد بعمله فظن به الحير إلا إن رأيت وفقاً عند حدود الشريعة».

(١) جرى المصنف على طريقته في تأويل الصفات ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات الصفات لله ﷻ التي أنبتها لنفسه على الوجه اللائق به - سبحانه -، ومنها صفة الرضا، ومن لازمها التوفيق للطاعات وقبولها والإجابة عليها.

(٢) لابن كثير.

(٣) وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٨٧/٣)] وكذا ابن المنذر والبيهقي في الدلائل وليس فيها التصريح بأن ذلك بسبب ما نزل في المتخلفين. وحسنه صاحب الاستيعاب بشواهده. (الاستيعاب ٣٥٠/٢).

(٤) بالهمز قراءة ابن كثير وشعبة وأبي عمرو وابن عامر.

والْحَوْءُ، والتوسعة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَسْهَرُ لَهُمْ لَكَيْدَاتٍ﴾ في ذلك، وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه؛ فنزل: [١٠٨] ﴿لَا تَقْرَأُ فِيهِ﴾ تصلى ﴿فِيهِ﴾ أي: لا تقرأ فيه، فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة ثلثي فيها الخيف ﴿لَتَسْجِدَ أُنْسٌ﴾ بُنِيَتْ قِوَاعُهُ ﴿عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم خلقت يذار الهجرة؛ وهو: مسجد قباء؛ كما في البخاري (١) ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ﴾ فيه رجال ﴿هُمُ الْأَنْصَارُ﴾ ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا﴾ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿أَيُّ شَيْئِهِمْ﴾ أي شيبهم، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في «صحيحه» عن عويمر ابن ساعدة: أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء، فقال: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الشَّاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطْهَرُونَ بِهِ؟»، قالوا: والله يا رسول الله، ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط؛ فغسلنا كما غسلوا (٢). وفي حديث رواه البزار: فقالوا: تتبع الحجارة بالماء (٣). فقال: «هُوَ ذَلِكَ؛ فَعَلَيْكُمْوه» (٤).

[١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى﴾ مخافة ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ و﴿رَجَاءِ﴾ و﴿رُضُونٍ﴾ منه ﴿حَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَقَا﴾ طرف ﴿جُرْبِي﴾ بضم الراء وسكونها (٥)؛ جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَأَهَارَ بِهِ﴾ سقط مع تايبه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ حيز (٦)؛ تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه، والاستفهام للتقرير؛ أي: الأول خير؛ وهو مثال: مسجد قباء، والثاني مثال: مسجد الضرار ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ﴾.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ يُبَيِّنُهَا﴾ الَّذِي بَيَّنَّا رِبِّيَّةً ﴿شَقَا﴾ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلفه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[١١١] ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بأن يبذلوها في طاعته؛ كالجهاد ﴿وَأَنَّ لَهُمُ الْحِجْنَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيقتلون ويقتلون ﴿جَمَلَةً اسْتَنْفَاتٍ بَيَانَ لِلشَّرَاءِ﴾ وفي قراءة: بتقديم النبي للمفعول (٧)؛ أي: فيقتل بعضهم ويقتل الباقي ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى﴾ يعطيه من ﴿اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أوفى منه ﴿فَأَسْتَبَشِرُوا﴾ فيه النفات عن الغيبة ﴿يَبْعَثُكُمْ﴾ الَّذِي بَاعْتُمْ بِهِ ﴿وَذَلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ﴾ النبيل غاية المطلوب.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْوَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٩﴾ لَا تَقْرَأُ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿١١٠﴾ أَفَمَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١١﴾ لَا يَزَالُ يُبَيِّنُهَا الَّذِي بَيَّنَّا رِبِّيَّةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿١١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْحِجَّةُ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ فَأَسْتَبَشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَاعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾

[١٠٧] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ﴿وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ ضِرَارًا ﴿مُضَارَةً لِأَهْلِ مَسْجِدِ قَبَاءَ﴾ وَكُفْرًا ﴿لَأَنَّهُمْ بَوَّؤهُ بِأَمْرِ أَبِي عَامِرِ الرَّاهِبِ؛ لِيَكُونَ مَعْقَلًا لَهُ يَقْدَمُ فِيهِ مَنْ يَأْتِي مِنْ عِنْدِهِ، وَكَانَ ذَهَبَ لِيَأْتِي بِجَنُودٍ مِنْ قِصْرِ لِقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ يَصِلُونَ بِقَبَاءَ؛ بِصَلَاةٍ بَعْضُهُمْ فِي مَسْجِدِهِمْ ﴿وَإِرْصَادًا﴾ تَرْقُبًا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: قَبْلُ بِنَائِهِ؛ وَهُوَ: أَبُو عَامِرِ الْمَذْكَورِ ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ مَا أَرَدْنَا﴾ بَيْنَانَهُ ﴿إِلَّا﴾ الْفِعْلَةُ ﴿الْحُسْنَى﴾ مِنَ الرَّفْقِ بِالْمَسْكِينِ فِي الْمَطْرِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٨): أخرجه أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية. أبو داود - كتاب الطهارة (١) باب (٢٣) في الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٤).
وأخرج ابن ماجه عن أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك: أن هذه الآية نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أتى عليكم في الطهور، فما طهروكم؟» قالوا: نوضاً للصلاة، ونغسل من الحنابة، ونستنجي بالماء.
قال: «هو ذلك فعليكموه». ابن ماجه - كتاب الطهارة (١) باب (٢٨) الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٥).

(١) البخاري (٣٩٦) من حديث عائشة.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة بأحد لوازمها وهو الإثابة، ومذهب السلف إثبات ما أثبتته الله ﷻ لنفسه ورسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف ﴿لَيْسَ كَيْتَابِي﴾ شَيْءٌ ﴿وَهُوَ النَّصِيحُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٣) أخرجه أحمد (١٤٩٣٨) وابن خزيمة والطبراني والحاكم وابن مردويه عن عويمر بن ساعدة [الدر المنثور (٤٩٧/٣)]، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب (٥٣٩/٢).

(٤) مختصر زوائد مسند البزار (١٥٠). والجمع بين الحجارة والماء كما قال النووي: باطل. ولا يصح الحديث بهذا اللفظ. وانظر: الضعيفة حديث رقم (١٠٣١).

(٥) بسكونها حمزة وشعبة وابن عامر.

(٦) قدره: إشارة إلى أن خبر ﴿مَنْ﴾ الثانية محذوف.

(٧) حمزة والكسائي.

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاعِدُونَ
 الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
 وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ
 مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٤﴾
 كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوعِدَةٍ وَعَدَّهَا
 إِتَاءَهُ عَدُوًّا لِّقَوْمِهِ بِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ تَبَرُّكًا مِنْهُ ﴿١١٥﴾ وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ
 لَأَوَدَاهُ حَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ
 هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
 وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٨﴾
 لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ
 فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

[١١٢] ﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ^(١)؛ من الشرك والافتقار^(٢) ﴿الْعَابِدُونَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الْحَامِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿السَّاعِدُونَ﴾ الصائمون ﴿الرَّاكِعُونَ﴾ السَّاجِدُونَ ﴿الْأَمْرُونَ﴾ أي: المصلون ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة.

[١١٣] وَنَزَلَ فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ لَعَمَهُ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ لِأَبُوهِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ ذَوِي قَرَابَةٍ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النَّارِ، بَانَ مَا تَابُوا عَلَى الْكُفْرِ.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ﴾ يَقُولُهُ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَجَاءً﴾ رَجَاءً أَنْ يَسْلَمَ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّقَوْمِهِ﴾ بِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ ﴿تَبَرُّكًا مِنْهُ﴾ وَتَرَكَ اسْتِغْفَارَ لَهُ ﴿وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَدَاهُ﴾ كَثِيرَ التَّضَرُّعِ وَالِدِعَاءِ ﴿حَلِيمٌ﴾ صَبُورٌ عَلَى الْأَذَى.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ لِلإِسْلَامِ ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ مِنَ الْعَمَلِ؛ فَلَا يَتَّقُوهُ؛ فَيَسْتَحِقُّوا الْإِضْلَالَ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَمَنْهُ مَسْتَحَقُّ الْإِضْلَالِ وَالْهُدَايَةِ.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِنْهَا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَحْفَظُكُمْ مِنْهُ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَنْعَمُكُمْ عَنْ ضَرَرِهِ.

[١١٧] ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ أَي: أَدَامَ تَوْبَتَهُ ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أَي: وَقَفَّاهَا؛ وَهِيَ: حَالُهُمْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، كَانَ الرَّجُلَانِ يَقْتَسِمَانِ تَمْرَةً، وَالْعُسْرَةُ يَتَقَبَّوْنَ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ، وَاشْتَدَّ الْحَرُّ حَتَّى شَرِبُوا الْفَرَسَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ^(٤)؛ تَمِيلُ ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ عَنِ اتِّبَاعِهِ إِلَى التَّخَلُّفِ؛ لَمَّا هَمَّ فِيهِ مِنَ الشَّدَةِ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالنَّاءِ ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ آيَةِ (١١٣، ١١٤): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمَيَّةَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَؤُلَاءِ عَمِّي، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَرْتَدُّ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَا عَنْكَ». فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ الْبُخَارِيُّ - التَّفْسِيرُ (٦٥) سُورَةُ بَرَاءَةَ (٩) بَابُ (١٦). وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْتَغْفِرُ لِأَبُوهِ، وَهِيَ مَشْرُوكَانِ، فَقُلْتُ لَهُ: تَسْتَغْفِرُ لِأَبُوَيْكَ وَهِيَ مَشْرُوكَانِ؟ قَالَ: أَوْلَيْسَ اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ؟ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

التِّرْمِذِيُّ - تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (١٠) سُورَةُ بَرَاءَةَ. (حَسَنٌ) صَحِيحٌ سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٧٧).

وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ - كِتَابُ الْجَنَائِزِ (٢١) بَابُ (١٠٢) النَّبِيِّ عَنِ اسْتِغْفَارِ الْمُشْرِكِينَ - وَفِيهِ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوعِدَةٍ﴾ الْآيَةِ. وَرَوَاهُ أَحْمَدُ - الْمُسْنَدُ (٩٩/١)، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَبَرُّكًا مِنْهُ﴾. فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْأَيِّينَ نَزَلَتْ جَمِيعًا، وَأَنَّ الْإِخْتِصَارَ مِنْ تَصْرِفِ الْوَرَاةِ.

(١) أَي: هُمُ النَّاتِبُونَ.

(٢) مُتَعَلِّقٌ بِ﴿التَّائِبِينَ﴾.

(٣) مَرِيحٌ: ٤٧.

(٤) بِالنَّاءِ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا حِمْرَةَ وَحَفْصًا.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ فَتُوبُوا عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْعَبُوا بِأَنفُسِهِم مِّن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْفُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رخصتها؛ أي: سعتها؛ فلا يجدون مكاناً يطمنون إليه ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة؛ بتأخير توبتهم؛ فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَوَطَّئُوا﴾ أيقنوا ﴿أَن﴾ محففة ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴿وَفَقِهَ لِلتَّوْبَةِ﴾ ﴿لِيَتُوبُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

[١١٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ برك معاصيه ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعهود، بأن تلمزوا الصدق.

[١٢٠] ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ إذا غزاه ﴿وَلَا يَرْعَبُوا بِأَنفُسِهِم مِّن نَّفْسِهِ﴾ بأن يصونوها عملاً ورضيته لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النبي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْفُونَ مَوْطِئًا﴾ مصدراً؛ بمعنى: وطأ ﴿يَغِيظُ﴾ يعضب ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ﴾ لله ﴿نَيْلًا﴾ فتلاً أو أسراً أو نهبا ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجرهم بل يشيهم.

[١٢١] ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولا تمره ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ ولا يقطعون وادياً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون؛ أي: جزاءهم.

[١٢٢] ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ إلى الغزو ﴿كَأَنَّهُمْ قَوْلًا﴾ فنزل: ﴿وَمَا كَانَتْ الْأُمِّيَّةُونَ لِيَنفِرُوا﴾ إلى الغزو ﴿كَأَنَّهُمْ قَوْلًا﴾ فهاجرت ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جماعة، ومكث الباقيون ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ أي: الماكنون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو؛ بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله؛ بامثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا^(١) والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ.

[١١٨] ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ عن التوبة عليهم بقرينة

(١) ما جاء في نزول الآيات (١١٧-١١٩): أخرج البخاري عن عبد الله بن كعب بن مالك: وكان قائد كعب بن نبيو حين عتي. قال: سمعت كعب بن مالك يحدث، حين تخلف في غزوة تبوك... (وذكر قصة تخلفه حتى تاب الله عليه وقال في خبر نزول توبته): فلما ضللت صلاة الفجر، طبع خمسين ليلة؛ وأنا على ظهر نبت من يوتينا نبتاً، أنا جالس على الحمال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صائح أوفى على جبل صلح بأعلى ضويرة، يا كعب بن مالك: أتبئو قال فخرت ساجدها، وعرفت أن قد جاء فرج، وأنزل رسول الله ﷺ بؤنة الله علينا، حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس ليشترونا، وذهب قبيل ضاحية يمشون، وركض إلي وجعل فرسا وسعى شاع من أشلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أشد من الفرس، فلما جاعني الذي سمعت صوتي يمشوني، نزعت له نومي فكتسوته إثمنا، بشره والله ما أفعل غيرهما يؤميد واشتغرت توبتين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقتني الناس، فوجأ فوجأ، يهتوني بالتوبة، يقولون ليهتق توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قال: رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من الشور: «أتبئو بخير يوم مؤ عليك منذ ولدتك أمك»، قال قلت أمين عليك يا رسول الله، أم من عبد الله، قال: «لا بل: من عبد الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سوا اشتار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكذا تعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبيي أن أتخلع من مالي، صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «أمنيت عليك بعض مالك، فهو خير لك»، قلت: فإني أمنيت سهبي الذي بخير، قلت: يا رسول الله إن الله إنما جأني بالصدق، وإن من توبيي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بيئت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاء الله في صدقي الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعفدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يخفني الله فيما بيئت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿مَنْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ فقلت: فأني أمنيت كذبوا، فأنزل الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شراً ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيُجَازِيهِمْ﴾ بالله لكم إذا أنفستهم إلى قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال كعب وكذا تخلفنا أيها الثلاثة، عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين خلفوا له، فتابتهم واشتغروا بهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا، حتى قضى الله فيه بذلك قال الله ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ وليس الذي ذكر الله، بما خلفنا من الغزو، إنما هو تخليفتنا إيانا وإرجأه أمرنا، عفن خلفت له، واعتقدت إليه قبيل مئة. البخاري. كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٩) حديث كعب بن مالك.

(١) لم أجده بهذا اللفظ، لكن أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في المدخل عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ الْأُمِّيَّةُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ يعني ما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويركروا النبي ﷺ وحده ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ يعني عصبة؛ يعني السرايا، فلا يسرون إلا يافته، فإذا رجعت السرايا وقد نزل فرس تعلمه القاعدون من النبي ﷺ قالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم قرآناً وقد تعلمناه فصحت السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ﷺ بعدهم ويعت السرايا آخر، فذلك قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ يقول: يتعلمون ما أنزل الله على نبي يعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. [الدر المنثور (٥٢١/٣)].

[١٢٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبِلُوا الَّذِينَ يُؤْتِكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ أَي: الأُتْرُبِ فَالأُتْرُبِ مِنْهُمْ ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَّةً﴾ شدة؛ أَي: أغلظوا عليهم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً﴾ من القرآن ﴿فَجِئْتُمْ﴾ أَي: المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاء: ﴿أَنْتُمْ زَادْتُمْ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ تصديقًا، قال - تعالى -: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بها.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمٌ﴾ ضَعْفُ اعتقاد ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ كَفْرًا إِلَى كَفْرِهِمْ؛ لكَفْرِهِمْ بِهَا ﴿وَمَا تَأْوُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ كَفْرُهُمْ.

[١٢٦] ﴿أَوَّلًا يَرُونَ﴾ بالباء؛ أَي: المنافقون، والتاء؛ أيها المؤمنون (١) ﴿أَنْهُمْ يَفْتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالفحط والأمراض ﴿فَمَنْ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يَتَّعِظُونَ.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً﴾ فِيهَا ذَكَرَهُمْ وَقَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿نَظَرَ بِمَشْهُرٍ إِلَى بَعْضٍ﴾ يَرِيدُونَ الهَرَبَ، يَقُولُونَ: ﴿هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ إِذَا قَمْتُمْ؛ فَإِنْ لَمْ يَرِهِمْ أَحَدٌ قَامُوا، وَإِلَّا تَبَتُوا ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ عَلَى كَفْرِهِمْ ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عَنِ الْهُدَى ﴿يَأْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الْحَقُّ؛ لَعَدَمِ تَدْبِيرِهِمْ.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أَي: مِنْكُمْ؛ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شَدِيدٌ ﴿عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ﴾ أَي: عِنْتَكُمْ؛ أَي: مَشَقَّتِكُمْ وَلِقَاؤُكُمْ الْمَكْرُوهَ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَنْ تَهْتَدُوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ﴾ شَدِيدُ الرَّحْمَةِ ﴿رَجِيمٌ﴾ يَرِيدُ لَهُمُ الْخَيْرَ.

[١٢٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾ كَافِيَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بِهِ وَتَقَنَّتْ لَآ بَغِيرَهُ ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرْسِيِّ﴾ (٢) ﴿الْعَظِيمِ﴾ تَخَصُّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْخُلُوقَاتِ، وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: آخِرُ آيَةِ نَزَلَتْ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ (٣).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبِلُوا الَّذِينَ يُؤْتِكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّكُمْ زَادْتُمْ
هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمٌ فَرَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَا تَأْوُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَّلًا
يَرُونَ أَنْهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا
أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ
مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

(١) بالتاء قراءة حمزة.

(٢) وهذا رأي الحسن البصري والصابغ بن العرش غير الكرسى، فالكرسي موضع القدمين له - شيخانته - أما العرش فهو سرير الملك، وهو الذي عليه استوى الرحمن - جلَّ في علاه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٣٣٨)، وأخرجه أحمد في المسند (٥/١١٧)، وقد ورد أن آخر آية نزلت هي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾، وورد أيضًا أنها: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْتَمُونَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ﴾، وقد جمع الحافظ ابن حجر بين هذه الآثار، ورجح - وغيره من العلماء - آخرة آية البقرة لما فيها من الإشارة إلى معنى الوفاة المستترمة لحاتمة النزول [الفتح (٥٣/٨)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
 أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ
 إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ
 وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ
 مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ عِندِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
 أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
 وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ
 ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ
 وَالنَّجْمِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيٰتِ
 لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
 اللَّهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

سورة يونس

[مكية إلا: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ﴾ الآيتين، أو: الثلاث، أو: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ الآية. مائة وتسع، أو: وعشر آيات، نزلت بعد الإسراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ﴾

الْكِتَابِ ﴿القرآن، والإضافة بمعنى «من»﴾ الْكٰفِرِينَ ﴿الحكم.

[٢] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر «كان»، وبالرفع اسمها (١)، والخبر وهو اسمها على الأولى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾؛ أي: إوحنا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنَّ﴾ مفسرة ﴿أَنْذِرَ﴾ خَوْفٍ ﴿النَّاسِ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَيُبَشِّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ قَدَمٌ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أجرا حسنا بما قدموه من الأعمال ﴿قَالَ الْكٰفِرُونَ﴾ إنك هذا القرآن المشتمل على ذلك ﴿لِسِحْرٍ﴾ (٢) ﴿مُبِينٍ﴾ بَيِّنٍ، وفي قراءة: ﴿لِسِحْرٍ﴾، والمشار إليه النبي ﷺ.

[٣] ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ الله الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ من أيام الدنيا، أي: في قدرها، لأنه لم يكن ثمَّ شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهم في لحة، والعدل عنه لتعليم خلقه الثابت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يليق به ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِنْ شَيْعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنْ عِندِهِ﴾ رداً لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَلِكُمْ﴾ الخالق المدبر ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ وخُدوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يادعاهم التاء في الأصل في الدال (٣).

[٤] ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعليهما المقدر ﴿إِنَّهُ﴾ بالكسر استئنافاً، والفتح (٤) على تقدير اللام ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي: بدأه بالإنياء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يثيب ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم.

[٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء؛ أي: نور ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ ما خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ المذكور ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لا عبثاً، تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء والنون (٥) ﴿بَيْنَ﴾ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يتدبرون.

[٦] ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمٰوٰتِ﴾ من ملائكة، وشمس، وقمر، ونجوم، وغير ذلك ﴿وَفِي﴾ في ﴿الْأَرْضِ﴾ من حيوان، وجمال، وبحار، وأنهار، وأشجار، وغيرها ﴿لَآيٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيؤمنون، خصهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها.

(١) وهي قراءة شاذة، ولم يجر المفسر على عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة بقوله: (وقرئ).

(٢) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر وقالون وأبي جعفر ويعقوب، وقرأ بتخفيف الدال (تَذَكَّرُونَ): حفص وحزمة والكسائي وحلف.

(٤) ظاهره أنها بالفتح قراءة سبعة وليس كذلك، بل هي عشيرة أبي جعفر.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن عامر وحزمة والكسائي وشعبة.

[٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة؛ لإنكارهم لها ﴿وَالْمَأْتُونَ بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا دَلَالٌ وَحَدَانِيَةٌ﴾ غفولون؛ تاركون النظر فيها.

[٨] ﴿أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

[٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَصَلَّوْا الصَّلَاةَ يَهْدِيهِمْ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُمْ بِالْإِيمَانِ﴾ به بأن جعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرُونَ مِنْ حَتِيمِ الْأَنْهَارِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾.

[١٠] ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم ^(١) ﴿وَقِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿وَفِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ﴾ مفسرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١١] ونزل لما استعجل المشركون العذاب: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ^(٢) ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب ^(٣) بأن يهلكهم، ولكن يمهلهم ﴿فَتَذَرُهُمْ﴾ تترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين ^(٤).

[١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿الضَّرُّ﴾ المرض والفقر ﴿وَدَعَانَا لِجَنَّةٍ﴾ أي: مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أي: في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرًّا﴾ على كفره ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرْبٍ مَسَّهُ كَذَلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿رَبِّينَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿وَوَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عطف على ﴿ظَلَمُوا﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿بِحَزْيِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرُونَ مِنْ حَتِيمِ الْأَنْهَارِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضَّرُّ دَعَانَا لِجَنَّةٍ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرًّا كَانَتْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرْبٍ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٍ لِلْمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ بِحَزْيِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلَائِفَ﴾ جمع خليفة ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فنصدقوا رسلنا؟

(١) هذا أحد الأقوال، والقول الآخر أن المعنى أن دعاءهم الذي يدعون به في الجنة هو تسيب الله وتقسيد، وخاتمة دعائهم الذي هو التسيب أن يقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا هو الأرجح.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ قال: هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللهم لا تبارك فيه والعنه. ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته. [الدر المنثور (٢٤٦/٥)]. وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) - سورة يونس (١٠)

باب (١) الترجمة.

يَكُونُ ﴿١٦٦﴾ بِنُحْيِي ﴿١٦٧﴾ لَنْ أَنْزِلَهُ مِنْ تِلْقَايَ ﴿١٦٨﴾ قَبْلِ ﴿١٦٩﴾ نَفْسِي إِنْ ﴿١٧٠﴾ مَا أَتَيْعُ إِلَّا ﴿١٧١﴾ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴿١٧٢﴾ إِنْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٧٣﴾ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

[١٦٦] ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ﴾ أعلمكم ﴿بِهِ﴾، و﴿لَا﴾ نافية عطف على ما قبله، وفي قراءة^(١): ﴿بلام جواب «لو»﴾؛ أي: لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فَقَدَّ لَيْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ﴾ عُمُرًا ﴿سِنِينَ﴾^(٢) أربعين ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ لا أحدثكم بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قبلي.

[١٧٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّمَا﴾ أي: الشأن ﴿لَا يَفِيحُ﴾ يسعد ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون.

[١٨٨] ﴿وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبده، وهو الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ﴾ لهم: ﴿أَنْتُمْ تَشْفَعُونَ﴾ تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار؛ إذ لو كان له شريك لعلمه؛ إذ لا يخفى عليه شيء ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ تنزيها له ﴿وَعَنَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

[١٩٩] ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام، من لدن آدم إلى نوح^(٣)، وقيل: من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحي ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: الناس في الدنيا ﴿فِي مَا فِيهِمْ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين بتعذيب الكافرين.

[٢٠٠] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿نَقْلُ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْعَجَبُ﴾ ما غاب عن العباد؛ أي: أمره ﴿إِلَيْهِ﴾ ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلا هو، وإنما على التبليغ ﴿فَأَنْظِرُوا﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَسْتِغِيثُ آلِ الْذَّبِّ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنَّا نَبْعَثُ مِنْ غَيْرِهِدَا أَوْ بَدَلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَايَ نَفْسِي إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٦﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدَّ لَيْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِمَّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٧﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتُمْ تَشْفَعُونَ لِلَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٦٩﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧٠﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْعَجَبُ لِلَّهِ فَاتَنْظِرُوا وَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٧١﴾

[١٥٥] ﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ الْذَّبُّ﴾ لا يرجون لِقَاءَنَا لا يخافون البعث: ﴿أَنْتَ بَعْثُ إِنْ غَيْرِ هَذَا﴾ ليس فيه عيب ألهمنا ﴿أَوْ بَدَلَهُ﴾ من تلقاء نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا

(١) لابن كثير، بخلف عن البري، وتكون اللام للتأكيد؛ أي: ولأذراكم.

(٢) وجرى المفسر فيه على طريقة من يجعله مثل «حين» ومنه حديث: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِينِ نَوْشَفَ» في إحدى الروايتين.

(٣) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الصحيح؛ فإن قوم نوح الضالين كانوا هم أول من كفر بالرحمن الأوتان من الأمم.

[٢١] وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ أَمْرًا كَفَار مَكَّة ﴿رَحْمَةً﴾ مطراً وخصباً ﴿مِنْ﴾ بَعْدَ صَرْفَةٍ ﴿بُؤْسٍ﴾ وجذب ﴿مَسْتَهْمٌ﴾ إِذَا لَهْمٌ مَكْرٌ فِي مَآبِئِنَا ﴿بِالاستهزاء والتكذيب﴾ وَقَوْلٌ لَهُمْ: ﴿اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة^(١) ﴿إِنْ رُسُلُنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُوبُونَ مَا تَكْذُرُونَ﴾ بالناء والياء^(٢).

[٢٢] هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكَ ﴿وَفِي قِرَاءَةِ﴾: يُنْشِئُكُمْ ﴿^(٣)﴾ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ ﴿السَّفِينِ﴾ وَوَجَّرَ يَوْمَ ﴿فِيهِ﴾ التَّفَاتِ عَنِ الْخَطَابِ ﴿بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ﴾ لِينَةً ﴿وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شَدِيدَةُ الْهَبُوبِ تَكْسِرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴿وَمَا هُمْ أَلَمُوجٌ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أَي: أَهْلَكُوا ﴿دَعَا اللَّهُ مُؤَلِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ الدُّعَاءُ ﴿لِيُنَّ﴾ لَمْ يَنْسَبُوا ﴿أَجْمَعِينَ مِنْ﴾ هَذِهِ. الْأَهْوَالِ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الْمُوَحِّدِينَ.

[٢٣] فَلَمَّا أَجْتَهُمُ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ﴾ ظَلَمْتُمْ ﴿عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ لِأَنَّ إِثْمَهُ عَلَيْهِ هُوَ ﴿مَنْتَعٌ﴾^(٤) الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ﴿تَمْتَعُونَ فِيهَا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ إِنَّمَا تَرْجِعُكُمْ ﴿بَعْدَ الْمَوْتِ﴾ فَتَنْبِتُكُمْ يَمَا كُنْتُمْ تَمْتَلُونَ ﴿فَنَجَارِيكُمْ عَلَيْهِ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ بِنَصْبِ ﴿مَنْتَعٌ﴾^(٥)؛ أَي: تَمْتَعُونَ.

[٢٤] إِنَّمَا مَثَلُ ﴿صَفَةِ﴾ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا هُوَ ﴿مَطَرٌ﴾ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَآخُذْكَ بِهٖ ﴿بَسْبِهِ﴾ نَبَاتِ الْأَرْضِ ﴿وَاشْتَبِكَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ﴾ وَمِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا ﴿وَالْأَفْعُرُ﴾ مِنَ الْكَلْبِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَدَّتْ الرُّبُوبُ رُجُومَهَا﴾ بِهَجْجِهَا مِنَ النَّبَاتِ ﴿وَأَرْتَبَتْ﴾ بِالزُّهْرِ، وَأَصْلُهُ: تَرَبَّتْ أَبْدَلَتْ النَّاءَ زَايَا وَأَدْعَسَتْ فِي الرَّايِ ﴿وَنظَرَ﴾ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِيرُونَ عَلَيْهِا ﴿مَتَمَكُونَ مِنْ تَحْصِيلِ مَارِهَا﴾ أَتْنَهَا أَمْرُنَا ﴿فَضَاؤًا أَوْ عَذَابًا﴾ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا ﴿أَي: زَرْعِهَا﴾ حَصِيدًا ﴿كَالْحَصُودِ بِالْمَنْجَلِ﴾ كَأَنَّهَا مَخْفِقَةٌ؛ أَي: كَأَنَّهَا لَمْ تَنْفَعْ تَكُنْ ﴿بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ﴾ نُبَيِّنُ ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْكَرُونَ﴾.

[٢٥] وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ؛ أَي: السَّلَامَةُ وَهِيَ الْجَنَّةُ بِالْدُّعَاءِ إِلَى الْإِيمَانِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿هُدَايَتِهِ﴾ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿دِينِ السَّلَامِ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن النواس بن سميان الكلبي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَفْيِي - أَي جَانِبِي - الصِّرَاطِ زُورَان - أَي: جِدَارَان - لِهَمَا أَبْوَابٍ مُفْتَحَةٍ عَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ وَدَاعٌ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٌ يَدْعُو فَوْقَهُ» وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. والأبواب التي على كفْيِي الصِّرَاطِ حُدُودُ اللَّهِ، فَلَا يَفُوعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللَّهِ حَتَّى يَكْشِفَ السُّتُورَ، وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعْظُرْ رُكْبَهُ. الترمذي - كتاب الْأَمْثَالِ (٤٥) بَاب (١) مَا جَاءَ فِي مَثَلِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَصَحَّحَهُ الْأَبْهَاتِيُّ فِي صَحِيحِ سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٢٢٩٥).

(١) وحقيقة المكر هو التدبير الحكيم في إزال العاقبة بالجرم من حيث لا يشعر، فهو أخص من مطلق المجازاة؛ فاللكر من الله سبحانه تدبير لرد كيد الكائد في نحره وإزالة العقوبة به من حيث لا يشعر، ومجازاته بنجس عمله وسعيه ونيتيه، وسبق بيان مذهب السلف في هذا النوع من الصفات، وأنها فيما سيق له مدح وكمال، ونسبها لله ﷻ على ما يليق به - شيخانته - من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف.

(٢) ظاهره أنها بالياء قراءة سبعة وليس كذلك، بل هي عشرية لروح.

(٣) لابن عامر.

(٤) قراءة الرفع للسبعة عدا حفص.

(٥) وهي قراءة حفص.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ عَظِفَ عَلَىٰ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾؛ أي: وللذين كسبوا السيئات عملوا الشرك جزاء سيئة بما عملوا وترهفهم ذلة ما لهم من الله من زائدة عاصم. مانع ﴿كأنما أغشيت﴾ البست ﴿وجوههم قطعاً﴾ بفتح الطاء جمع قطعة، وإسكانها أي: جزءاً (١) ﴿ومن آتينا مظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

[٢٨] ﴿وَوَقَدْ نَحْشَرُهُمْ﴾ أي: الخلق جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ﴿نصب به الزموا﴾ مقدراً ﴿أنتم﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر؛ ليعطف عليه ﴿وشركاء وكر﴾ أي: الأصنام ﴿وزمنا﴾ ميمزناً ﴿بينهم﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿والمترزون يومئذ أبا النجرمون﴾ (٢) ﴿وقال لهم﴾ شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴿ما﴾ نافية، وقدم المفعول، للفاصلة (٣).

[٢٩] ﴿فكذبوا بالله شهيداً بيننا وبينكم إن﴾ مخفية؛ أي: إنا ﴿كنا عن عبادتكم لتغفيلت﴾.

[٣٠] ﴿مما لك﴾ أي: ذلك اليوم ﴿تتلوا﴾ من البلوى، وفي قراءة بتأين (٤) من التلاوة ﴿كل نفس ما أسلفت﴾ قدمت من العمل ﴿وروداً إلى الله مولهم الحقي﴾ الثابت الدائم ﴿ووصل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يعفون﴾ عليه من الشركاء.

[٣١] ﴿فلهم﴾ من يرزقكم من السموات والمطر ﴿والأرضين﴾ بالنبات ﴿أمن يملك السمع﴾ بمعنى الأسماع؛ أي: خلقها ﴿والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر﴾ بين الخلائق ﴿فسيقولون﴾ هو ﴿الله فقل لهم﴾: أفلا تذكرون؟ فتؤمنون.

[٣٢] ﴿فذلكم﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿الله رزق الحق﴾ الثابت ﴿فماذا بعد الحي إلا الضلال﴾ استفهام تقرير؛ أي: ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿فأنت﴾ كيف ﴿تضرون﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان!؟

[٣٣] ﴿كذلك﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حقت كلمت ربك على الذين فسقوا﴾ كفروا، وهي ﴿لا تملأ جهنم﴾ الآية (٥)، أو هي ﴿أنهم لا يؤمنون﴾.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١) ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمَثِلُهَا وترهفهم ذلة ما لهم من الله من عاصم﴾ كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من آتيل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿وتومئذ نحشرهم جميعاً نقول للذين أشركوا مكانكم﴾ أسم وشركاء وكر ﴿فزيننا بينهم﴾ وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴿كفكفي بالله شهيداً بيننا وبينكم إن﴾ كنا عن عبادتكم لتغفيلت (٢) ﴿هنا لك تتلوا﴾ كل نفس ما أسلفت وروداً إلى الله مولهم الحقي وصل عنهم ما كانوا يفترون (٣) ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر﴾ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون (٤) ﴿فذلكم الله ربكم الحقي فماذا بعد الحقي إلا الضلال﴾ فأن تضرون (٥) ﴿كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ (٦)

[٢٦] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿وزيادة﴾ هي النظر إليه - تعالى - كما في حديث مسلم (١) ﴿ولا يرهق﴾ يغشى ﴿وجوههم قتر﴾ سواد ﴿ولا ذلة﴾ كآبة ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ هم فيها خالدون.

(١) مسلم (١٨١) عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم نبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

(٢) بالإسكان قراءة الكسائي وابن كثير.

(٣) يس: ٥٩.

(٤) أي لمرعاة رعوس الآيات.

(٥) لجمرة والكسائي.

(٦) السجدة: ١٣.

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنْ تَتَوَكَّلُونَ﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُنْعِمَ أَمْ لَا يَهْدِي﴾ يهدي ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ﴾ أحق أن ينعم؟ استفهام تقرير وتوبيخ؛ أي: الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه؟

[٣٦] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ أي: افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلَكِنْ﴾ أنزل ﴿تَصْدِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَقْوِيلٌ﴾ تأكيد ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَبَّ﴾ شك ﴿فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ متعلق بـ ﴿تَصْدِيقٌ﴾ أو «أنزل» المحذوف، وقرئ^(١) برفع ﴿تَصْدِيقٌ﴾ و«تقصيل» بتقدير هو.

[٣٨] ﴿أَمْ﴾ بل أه يقولون افتراءه ﴿اختلقه محمد﴾ قل فاتوا بسورة نوح في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء؛ فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وَأَدْعُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنْ اسْتَظَمَّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: غيره ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا^(٢) على ذلك.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَكِنَّا﴾ لم ﴿يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء.

[٤٠] ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبدا ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم.

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ﴾ لهم: ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ﴾ أي: لكل جزء عمله ﴿أَنْتُمْ بَرِيضُونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنْ تَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنْعِمَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلا أَنْ يَهْدِيَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقْوِيلٌ الْكِتَابِ لَأَرْبَابِهِمْ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَظَمَّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَا نَهْمُ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيضُونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

[٤٢] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ شههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع الصمم ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ يتدبرون.

(١) أي: شذوذًا.

(٢) وفي نسخة: «تقدروا» بالناء، والمثبت أظهر.

القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا، ثم ينقطع التعارف؛ لشدة الأحوال، والجملة حال مقدره^(١)، أو متعلق الظرف^(٢) ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

[٤٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ الَّذِي تُوَدُّكُمْ﴾ به من العذاب في حياتكم، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ تَتُوبُونَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿فَضَى بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فيعذبون وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك تفعل بهؤلاء.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. [٤٩] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرْكًا﴾ أدفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجله ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتُنْفِثُونَ﴾ يتقدمون عليه.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن آتَاكُمْ عَذَابٌ﴾؛ أي: الله ﴿بَيْنَا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ بِنُفْسِكُمْ﴾ أي: العذاب ﴿الْمُتَجَرِّمُونَ﴾ المشركون، فيه وضع الظاهر موضع المضمرة، وجملة الاستفهام جواب الشرط؛ كقولك: إذا أتيتك ماذا تعطيني؟ المراد به التهويل؛ أي: ما أعظم ما استعجلوه.

[٥١] ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ حلَّ بكم ﴿ءَأَمِنْتُمْ بِهِ﴾ أي: الله، أو العذاب عند نزوله، والهزمة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم، ويقال لكم: ﴿ءَأَلْفَنَ﴾ تؤمنون ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْغُلْغُلَةِ﴾ أي: الذي تخلدون فيه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تَجْرُونَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٥٣] ﴿وَسَنَسُوبُوكُمْ﴾ يستخرونك ﴿أَحْقَقُ هُرُوقًا﴾ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِيَّايَ﴾ نعم ﴿وَرَبِّيَ إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفتاين العذاب.

وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَوْمَ نَخْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّمَا رَبُّكَ بِعَضِّ ذُرِّيَّتِهِمْ أَوْ تَنَفُّسِكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٩﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ ﴿٥٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥١﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرْبًا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن آتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٣﴾ أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ ءَأَلْفَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْرُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَسْتَدْعُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتداء، بل أعظم ﴿فَهِيَ لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١).

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُهُمْ﴾^(٢) كان؛ أي: كأنهم ﴿أَلَّمْ يَلْسُوا﴾ في الدنيا أو

(١) الحج: ٤٦.

(٢) هي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص بالياء: ﴿يخشروهم﴾.

(٣) أي: يوم نخشروهم متعارفين بينهم.

(٤) أي: «يوم»، وتقدير الكلام: يتعارفون بينهم يوم نخشروهم.

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴿كفرت ﴿مَا فِي الْأَرْضِ ﴿جميعاً من الأموال ﴿لَا تَدَّتْ يَدَهُ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلّوهم مخافة التعبير ﴿وَقُصِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلاق ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يظلمون﴾ شيئاً.

[٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴿بالتواتر والجزاء ﴿حَقٌّ ﴿ثابت ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴿أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٥٦] ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴿وَاللَّيْلُ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

[٥٧] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ﴿أي: أهل مكة ﴿فَدَجَّتْكُمْ مَوْعِظَةً ﴿تَبِيبُكُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وما عليكم وهو القرآن ﴿وَشِفَاءً ﴿دواء ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٥٨] ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ ﴿الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ ﴿القرآن ﴿فِي ذَلِكَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ ﴿فَلْيَفْرَحُوا ﴿حَسْبُ مَا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالياء والباء^(١).

[٥٩] ﴿قُلْ أَنزَلْنَاهُ ﴿أخبروني ﴿مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿خلق^(٢) ﴿لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا ﴿كالبحيرة والسائبة^(٣) ﴿وَالْمَيْتَةَ ﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴿في ذلك بالتحليل والتحریم ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتُونَ﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه.

[٦٠] ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْدَ ﴿أي: أي شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أبحسون أنه لا يعاقبهم؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴿بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ ﴿يا محمد ﴿فِي سَأَلِيكُمْ ﴿أمر ﴿وَمَا نُنزلُ مِنْهُ ﴿أي: من الشأن أو الله ﴿مِنْ قُرْآنٍ ﴿أنزله عليكم ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ ﴿خطابه وأمره ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴿رقباء ﴿إِذْ تُفَيْصِلُونَ ﴿تأخذون ﴿فِيهِ ﴿أي: العمل ﴿وَمَا يَعْزُبُ ﴿يغيب ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مَثَاقِلِكُمْ ﴿وزن ﴿ذُرُّوهُ ﴿أصغر نملة

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا تَدَّتْ يَدَهُ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَّتْكُمْ مَوْعِظَةً مِّن رِّزْقِكُمْ وَشِفَاءً لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿قُلْ أَنزَلْنَاهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتُونَ ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفَيْصِلُونَ فِيهِ وَمَا يَعزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مَّثَاقِلِكُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ بَيِّنٌ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

(١) بالباء لابن عامر.

(٢) الأقرب - كما سبق ذكره - أن يحمل الإنزال على معناه الظاهر، ويكون في الآية إثبات علوه - تعالى - بذاته فوق خلقه، كما هو مذهب السلف قاطبة، وهو ما يتحاشى المفسر ذكره موافقة المذهب الأشاعرة.

(٣) سبق بيان معنى البحيرة والسائبة عند تفسير الآية (١٠٣) من سورة المائدة.

[٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فُشِّرَتْ فِي حَدِيثٍ صَحِيحِهِ الْحَاكِمُ بِالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ بِرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ (١) ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الْجَنَّةُ وَالنَّوَابِ ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لَا تُحْلَفُ لِمَوَاعِيدِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿هُوَ النَّوْرُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ لَكَ: لَسْتُ مَرْسَلًا وَغَيْرِهِ ﴿إِنَّ﴾ اسْتِنَافَ ﴿الْعِزَّةَ﴾ الْقُوَّةَ ﴿بِاللَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِلْقَوْلِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالْفِعْلِ فَيَجَازِيهِمْ وَيَنْصُرُكَ.

[٦٦] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ عِبِيدًا وَمَلَكًَا وَخَلْقًا﴾ ﴿وَمَا يَسْجُدُ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ أَصْنَافًا ﴿شُرَكَاءَ﴾ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، تَعَالَى عَنِ ذَلِكَ ﴿إِنَّ﴾ مَا يَدْعُونَ ﴿فِي ذَلِكَ﴾ ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ أَي: ظَنُّهُمْ أَنَّهَا آلِهَةٌ تَشْفَعُ لَهُمْ ﴿وَإِنَّ﴾ مَا هُمْ ﴿إِلَّا يَحْضُونَ﴾ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إِسْنَادُ الْإِبْصَارِ إِلَيْهِ مَجَازٌ؛ لِأَنَّهُ يُبْصِرُ فِيهِ ﴿إِنَّ﴾ فِي ذَلِكَ لَأَيَّاتٍ دَلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعٌ تَدْبِيرٌ وَاتِعَاضٌ.

[٦٨] ﴿قَالُوا﴾ أَي: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿أَتَعْبُدُ اللَّهَ وَلَدًا﴾ قَالَ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ عَنِ الْوَلَدِ ﴿هُوَ الْعَلِيُّ﴾ عَنِ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يُطَلَّبُ الْوَلَدُ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مَلَكًَا وَخَلْقًا وَعِبِيدًا ﴿إِنَّ﴾ مَا عِنْدَكُمْ مِنْ شَاطِنٍ ﴿حِجَّةٌ﴾ بِهَذَا الَّذِي يَقُولُونَهُ ﴿أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ.

[٦٩] ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لَا يَسْعُدُونَ.

[٧٠] لَهُمْ ﴿مَنْعٌ﴾ قَلِيلٌ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِمْ ﴿ثُمَّ﴾ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴿بِالمَوْتِ﴾ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ ﴿بَعْدَ المَوْتِ﴾ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ.

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٤﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ
اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْقُوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٧﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَتَأْتِخَذُ اللَّهُ
وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ الْعَلِيُّ لَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿٧١﴾ مَنْعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

[٦٢] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

[٦٣] هُمْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ اللَّهُ بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

(١) المشترك (٣٤٠/٢)، ورواه الترمذي (٢١٩٩) وأحمد (٢٦٢٥٠) عن أبي الدرداء مرفوعًا، ورواه الترمذي (٢٢٠١) وابن ماجه (٢٨٨٨) وأحمد (٢١٦٣٠) عن عبادة بن الصامت مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٨٥٤).

﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ رَبَّنَا نُوحَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَانِتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْتَهُ وَنَجَّيْتَهُ مَعَهُ فِي الْفُلِّ ﴿٧٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ لِي فِي الْأَرْضِ قُلُوبًا قَدْرًا وَأَنْظُرْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بِالطُّوفَانِ وَجَعَلْنَاهُمْ قُلُوبًا يَكْفُرِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا نَاحِيَةً مِن بَدْوٍ بِأَنْبِيَاءٍ لِّمُوسَىٰ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّفِينَةِ ﴿٧٥﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ قُلُوبًا يَكْفُرِينَ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ قُلُوبًا يَكْفُرِينَ ﴿٧٧﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ قُلُوبًا يَكْفُرِينَ ﴿٧٨﴾

﴿الْكِبْرِيَاءِ﴾ الملك ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقون.

[٧١] ﴿وَأَنذِرْ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿تَبَّأ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقُولُ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ شق ﴿عَلَيْكَ مَقَامِي﴾ لبي فيكم ﴿وَتَذِكْرِي﴾ وعظي إياكم ﴿بَيَانِتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فأجمعوا أمركم ﴿عزموا على أمر تفعلونه بي﴾ ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ الوار بمعنى مع ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مستورا بل أظهره وجاهروني به ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون، فإني لست مباليا بكم.

[٧٢] ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ﴾ ثواب عليه ففعلوا ﴿إِن﴾ ما ﴿أَجْرِي﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلِّ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِي فِي الْأَرْضِ قُلُوبًا قَدْرًا وَأَنْظُرْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بِالطُّوفَانِ﴾ فأنظر كيف كان عقبة المذنبين ﴿من إهلاكهم فكذلك نفع لمن كذب﴾.

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مِنْ بَدْوٍ بِأَنْبِيَاءٍ لِّمُوسَىٰ﴾ نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَلِكَ نَطِّعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَكْبِرِينَ﴾ فلا تقبل الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك.

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مِنْ بَدْوٍ بِأَنْبِيَاءٍ لِّمُوسَىٰ وَخَرَجْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ قَوْمَهُ﴾ ﴿بَيَانِتِنَا﴾ التسع^(١) ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا تُجْرِمِينَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مِّمَّنْ﴾ بين ظاهر.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه لسحر ﴿أَيْسِرُ هَذَا﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة؟ ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّجِرُونَ﴾ والاستفهام في الموضوعين للإينكار.

[٧٨] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَّا﴾ لئلا نلطفنا ﴿لِئَلْقُنَا عَلَيْهِمْ غَمًّا وَمَكِيدًا﴾ لئلا نلطفنا ﴿وَنَكُونَ لَكُمْ

(١) وهي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والشونق، ونقص الثمرات. وهذه الآيات كانت لفرعون وقومه ليؤمنوا، وهي بخلاف الآيات التي أوتيتها موسى عليه السلام لبي إسرائيل ليؤمنوا، وهي: فلق البحر، وإزلال الماء والسم، وتظليل الغمام، وتفسير الماء من الحجر، وتنق الجبل، أي رفعه فوق رؤسهم، ومسح الذين عتوا منهم، وأتبان الختان يوم سبتهم، والرجفة، والصاعقة، وإحياء الميت القليل بضربه ببعض البقرة التي أمروا بذبحها.

وَلَمَّا أَنْ تَكُونَ تَحْتَ الْمَلَكَيْنِ ﴿١﴾: ﴿الْقَوْمَا أَتَشْرُ مُنْقُوتٌ﴾.

[٨١] ﴿فَلَمَّا أَتَقُوا﴾ جبالهم وعصبيهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا﴾ استفهامية مبتدأ خبره ﴿جَحْشٌ بِهٍ الشَّخْرُ﴾ (١) بدل، وفي قراءة بهمزة واحدة (٢) إخبار (٤)، فإمّا (٥) اسم موصول مبتدأ (٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِيطٌ﴾ أي: سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَيُحْيِي﴾ يثبت ويظهر ﴿اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِي﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾ طائفة ﴿مَنْ﴾ أولاد ﴿قَوْمِيهِ﴾ أي: فرعون ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ﴾ بصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَلَمَّا فِرْعَوْنُ لَمَّالٌ﴾ متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَلَمَّا لَمَّالٌ﴾ المفسدين المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية.

[٨٤] ﴿قَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِن كُنتُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تظهرهم علينا فبطنا أنهم على الحق فيفتنونا بنا.

[٨٦] ﴿وَجَعَلْنَا بَرِحْمِيكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ اتخذنا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِثْرًا﴾ ومثرا ﴿يُبَوَّءُونَ﴾ فمضى فصلون فيه لتأمنوا من الخوف، وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها ﴿وَابْتَغُوا الْيُسْرَىٰ﴾ بالنصر والجنة.

[٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ أنتهم ذلك ﴿لِيُحْسِلُوا﴾ في عاقبته ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا أَطْمِئِنَّ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ امسحها ﴿وَأَشَدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم، دعا عليه وأمرن هارون على دعائه.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَدْعُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَمَا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ الْقَوْمَا أَتَشْرُ مُنْقُوتٌ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَتَقُوا قَالَ مُوسَىٰ مَا جَحْشٌ بِهٍ الشَّخْرُ ﴿٨١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٢﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِي وَتَوَكَّرَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٣﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ وَإِن فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَلْقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِن كُنتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَجَعَلْنَا بَرِحْمِيكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا يُبَوَّءُونَ لِأَمْوَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَابْتَغُوا الْيُسْرَىٰ وَأَشَدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَشَدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَدْعُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ فائق في علم السحر.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ﴾ بعد ما قالوا له: ﴿إِنَّمَا أَن لَّغْيٌ

(١) الأعراف: ١١٥.

(٢) قرأ أبو عمرو بالمد والهمز، وقوله: خبره؛ أي: ﴿جَحْشٌ بِهٍ﴾، وبدل؛ أي: ﴿الشَّخْرُ﴾.

(٣) أي همزة الوصل في «السحر».

(٤) أي فهو إخبار.

(٥) على هذه القراءة.

(٦) وخبره: جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِيطٌ﴾.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَغَدَوًا وَعَدَوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَإِلَهٍ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ وَءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَإِلَهٍ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ. وَدَسَّ جَبْرِيْلُ فِيهِ مِنَ حِمَاةِ (٢) الْبَحْرِ مَخَافَةَ أَنْ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ (٤).

[٩١] وَقَالَ لَهُ: **﴿ءَأَلْتَنَ﴾** تَوَمَّن **﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ﴾** بِضَالِكَ وَإِضْلَالِكَ عَنِ الْإِيمَانِ.

[٩٢] **﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾** نَخْرُجُكَ مِنَ الْبَحْرِ **﴿بِدَبْكِكَ﴾** جَسَدِكَ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ **﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾** بِعَدِكَ **﴿ءَأَيَّةً﴾** عِبْرَةً فَيَعْرِفُوا عِبُودِيَّتَكَ وَلَا يَقْدَمُوا عَلَى مِثْلِ فِعْلِكَ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَكُّوا فِي مَوْتِهِ فَأَخْرَجَ لَهُمْ لِيَرَوْهُ (٥) **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾** أَي: أَهْلَ مَكَّةَ **﴿عَنْ ءَأَيِّنَا لَعَنَافِلُ﴾** لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا.

[٩٣] **﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾** أَنْزَلْنَا **﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ﴾** مَنَازِلَ كَرَامَةٍ، وَهُوَ الشَّامُ وَمِصْرُ **﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ مَا أَخْتَلَفُوا﴾** بَانَ أَمِنْ بَعْضٌ وَكَفَرَ بَعْضٌ **﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْيَأْسُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** مِنْ أَمْرِ الدِّينِ لِإِنجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعْدِيبِ الْكَافِرِينَ.

[٩٤] **﴿وَإِنْ كُنْتَ﴾** يَا مُحَمَّدُ **﴿فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾** مِنَ الْقَصَصِ فَرْضًا (٦) **﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يَفْرَهُونَ الْكِتَابَ﴾** التَّوْرَةَ **﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾** فَإِنَّهُ ثَابِتٌ عِنْدَهُمْ يَخْبِرُوكَ بِصِدْقِهِ، قَالَ ﷺ: «لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ» (٧) **﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** الشَّاكِّينَ فِيهِ.

[٩٥] **﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**.

[٩٦] **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾** بِالْعَذَابِ

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٧] **﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾** فَلَا يَنْفَعُهُمْ حَيْثُ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (٩٤): أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ. قَالَ: فَقَالَ لِي: أَشَيْءٌ مِنْ شَكٍّ؟ قَالَ: وَضَحِكُ، قَالَ: مَا بِنَجْمٍ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ، قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: **﴿وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَفْرَهُونَ الْكِتَابَ﴾** قَالَ: فَقَالَ لِي: إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ: **﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْأَدَبِ (٣٥) بَابُ (١١٨) فِي رَدِّ الْوَسْوَسَةِ. (حَسَنُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٤٢٦٢).

(١) أَخْرَجَهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَهُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ، كَمَا ذَكَرَ الْقَاضِي كَعْنَانُ فِي قِرَةِ الْعَيْنِ.

(٢) لِحْمَرَةَ وَالْكَسَائِي.

(٣) أَي طِينَهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٠٣٢) وَأَحْمَدُ (٢٦٨١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٥٢٠٦).

(٥) ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ نَحْوَهُ وَكَذَلِكَ فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَائِيَةِ، وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ الطَّبْرِيُّ (١٧٨٧٤).

(٦) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ قَتَادَةَ [الدَّر المنثور (٥٧١/٣)] وَهُوَ ضَعِيفٌ لِإِسْرَالِهِ.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ
لَمَاءَ أَمْنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٠٠﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ
كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
﴿١٠١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ
عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْأَيْتُ وَاللِّدْرُوعُ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٠٣﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ
قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٤﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَسِجَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ وَأَنْ أَقْرُبَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٨﴾

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿كَانَتْ قَرْيَةً﴾ أريد أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول

العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمٌ يُونُسَ لَمَاءَ أَمْنُوا﴾ عند رؤية
أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء أجالهم.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ
النَّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لا.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَجْعَلُ
الرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون آيات الله.

[١٠١] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿أَنْظِرُوا مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله - تعالى - ﴿وَمَا تُعْنِي الْأَيْتُ
وَاللِّدْرُوعُ﴾ جمع نذير؛ أي: الرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله؛ أي:
ما تنفعهم.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنْتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ أي: مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَانظُرُوا﴾
ذلك ﴿إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ المضارع لحكاية الحال الماضي ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا﴾ من العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نَسِجَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النبي
ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

[١٠٤] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ
دِينِي﴾ أنه حق ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره وهو
الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ
﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَأَنْ أَقْرُبَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ ماثلاً إليه ﴿وَلَا
تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا
يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وَإِن يَمَسُّسَاكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِيدَكَ
 بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ
 مِنْ رَبِّكُمْ فَمَن آهَدْتُمْ فَأَتِمَّا بَهْتَدِي لِنَفْسِيهِ وَمَن ضَلَّ
 فَأَتِمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ
 إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَمُوكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبِ أُنحِتْ رَأْسَهُ وَأَنْتَ فَصَلِّتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
 الْآتِ بِذِكْرِ اللَّهِ الْوَالِدِ الَّذِي أَنْزَلَ لَكَ مِنَ الذِّكْرِ وَبَشِيرٍ ﴿٢﴾ وَإِن أَسْتَعْفِرُوا
 رَبَّكَ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُعْمَقْ لَكُمْ سَعَتَ الْآجِلِ مُسْمًى وَوُوتٍ
 كُلِّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
 كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
 يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيْسَتْ خَفَاؤُهُمْ إِلَّا حِينٌ يَسْتَعْفِفُونَ شَاءَ بَعْضُهُمْ
 يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ وَعَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

ونزل كما رواه البخاري^(١) عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى^(٢) أو
 يجامع فيفضي^(٣) إلى السماء.

[٥] وقيل: في المنافقين: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيْسَتْ خَفَاؤُهُمْ﴾؛ أي:
 الله ﴿أَلَا حِينٌ يَسْتَعْفِفُونَ شَاءَ بَعْضُهُمْ﴾ يتغفون بها ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ تعالى ﴿مَا
 يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يعني استخفاؤهم^(٤) ﴿إِنَّهُ وَعَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

[١٠٧] ﴿وَإِن يَمَسُّسَاكَ﴾ يصبك ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا
 كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِيدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ﴾ دافع
 ﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ
 رَبِّكُمْ فَمَن آهَدْتُمْ فَأَتِمَّا بَهْتَدِي لِنَفْسِيهِ﴾؛ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ
 فَأَتِمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾
 فأجبركم على الهدى.

[١٠٩] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَأَصِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم
 ﴿حَتَّىٰ يَمُوكَ اللَّهُ﴾ فيهم بأمره ﴿رَهُوَ خَيْرٌ الْحَاكِمِينَ﴾ أعذلهم، وقد صبر
 حتى حكم على المشركين بالقتال، وأهل الكتاب بالجزية.

سورة هود

[مكية إلا: ﴿وَأَنْزِرِ الصَّلَاةَ﴾ الآية، أو: إلا: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ﴾
 الآية، و﴿أَوَّلَتِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الآية. مائتان واثنتان، أو: وثلاث
 وعشرون آية، نزلت بعد يونس^(٥)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّكِبِ﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿كُنْتُ أُنحِتُ رَأْسَهُ﴾ معجب
 النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فَصَلِّتَ﴾ يثبت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿وَمِن
 لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: الله.

[٢] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَتَّبِعُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُرْمَةٌ تَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن
 كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم.

[٣] ﴿وَإِن أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكَ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوْبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾
 بالطاعة ﴿يَتَّبِعْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَنْعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰ
 آجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَوُوتٍ﴾ في الآخرة ﴿كُلِّ ذِي فَضْلٍ﴾ في
 العمل ﴿فَضْلُهُ﴾ جزاءه ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه بحذف إحدى التاءين؛ أي:
 تعرضوا ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد شئت؟! قال: «شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يساءلون، وإذا الشمس كورت». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٧) سورة الواقعة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥): عن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قال: سألته عنها؟ فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم. أخرجه البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (١).

(١) البخاري (٤٦٨٢).

(٢) أي: يقضي حاجته من البول والغائط.

(٣) فالآية على هذا القول في تعليم التوحيد والمراقبة، وأن الله مطلع عليهم في جميع أحوالهم، ولا ينافي ذلك نذب التنظية عند التحلي والجماع.

الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعًا﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلُّ﴾ مما ذكر ﴿في﴾
 كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿بَيِّنٍ﴾ هو اللوح المحفوظ.

[٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد
 وآخرها الجمعة ﴿رَكَاتٍ عَرَشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وهو على
 متن الريح ^(١) ﴿يَسْبُلُونَهُ﴾ متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾؛ أي: خلقهما وما فيهما من
 منافع لكم ومصالح؛ ليختبركم ﴿إِن كُنتُمْ عَمَلًا﴾ أي: أطوع لله
 ﴿وَلَيْنَ قُلْتُمْ﴾ يا محمد لهم: ﴿إِن كُنتُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إِلَّا
 سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنٍ، وفي قراءة ^(٢): ﴿سَاحِرٌ﴾ والمشار إليه النبي ﷺ.

[٨] ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَيْكَ﴾ مجيء ﴿أَتَوْهُ﴾ أوقات ﴿مَعْدُودَةٍ
 لَيَقُولَنَّ﴾ استهزاء: ﴿مَا يَحْسِبُهُ﴾ ما يظنعه من النزول، قال تعالى: ﴿إِلَّا
 يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَتْ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا
 يَؤْتُونَ﴾ من العذاب.

[٩] ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ الْكَافِرِ ﴿وَمَا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ
 نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّمَا لَيُؤْتِسُ﴾ فنوط من رحمة الله ﴿كَفُورًا﴾ شديد الكفر
 به.

[١٠] ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرَارَةٍ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ
 ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ الْمَصَابِتِ﴾ عَنِّي ﴿وَلَمْ يَتَوَقَّعْ زوالها ولا شكر عليها﴾ إِنَّهُ
 لَفَرِحٌ ﴿بَطْرٍ﴾ فخرٌ ﴿على الناس بما أوتي.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَسَلُوا
 الصَّلْبَ﴾ في النعماء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ﴾ إِيَّاكَ ﴿فلا تبلغهم
 إياه لتهاونهم به﴾ وَصَائِقُ يَدِ صَدْرِكَ ﴿بتلاوته عليهم لأجل﴾ أَنْ يَقُولُوا
 لَوْلَا ﴿هَلَّا﴾ أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴿يصدقه كما اقترحنا
 ﴾ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴿فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه﴾ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿حفيظ فيجازيهم.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ
 مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وَهُوَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ
 عَرَشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ
 قُلْتُمْ إِنَّا كُنتُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ
 أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَحْسِبُهُ ﴿٨﴾ وَالْيَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
 مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٩﴾
 وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِثْرَ حِمَّةٍ ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّمَا
 لَيُؤْتِسُ كَفُورًا ﴿١٠﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرَارَةٍ
 مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١١﴾
 إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ
 وَصَائِقُ يَدِ صَدْرِكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ
 مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾

[٦] ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَىٰ
 اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو

(١) هذا القول مروى عن ابن عباس، ومعناه أن الريح مخلوقة قبل الماء، والصحيح أن أول مخلوق هو الماء لحديث البخاري عن عمران بن حصين، أنه ﷺ سئل عن أحوال هذا العالم؛ فقال: كان الله، ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء. رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٢).

(٢) حمزة والكسائي.

[١٣] ﴿أَمْ﴾ بل أَمْ يَقُولُونَ اقْتَرَبَهُ أَي: القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ يَنْتَلِيهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة^(١) ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ فإنكم عربيون فصحاء مثلي، تحداهم بها أولاً ثم بسورة^(٢) ﴿وَادْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء.

[١٤] ﴿فَاتَّخَذُوا﴾ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ أَي: مَنْ دَعَوْتَهُمْ للمعاونة ﴿فَاتَّخَذُوا﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾ ملتبسا ﴿بِیْلَمِ اللَّهُ﴾ وليس افتراء عليه ﴿وَأَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة؛ أي: أسلموا.

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك، وقيل: هي في المراتين ﴿تُؤْتِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿لَا يَخْشَوْنَ﴾ ينقصون شيئاً.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ بِمَا صَنَعُوا﴾ أي: الأخرة، فلا ثواب له ﴿وَيَطَّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمَةٍ﴾ يتيماً ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو النبي ﷺ أو المؤمنون، وهي القرآن ﴿وَتَلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقة ﴿وَمِنْهُ﴾ أي: من الله، وهو جبريل ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ القرآن ﴿كُنْتُ مُوسَى﴾ التوراة شاهد له أيضاً ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال، كمن ليس كذلك؛ لا ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: من كان على يتيمة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، فلهم الجنة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ مِنَ الْآخِرَاتِ ﴿جَمِيعَ الْكُفْرَانِ﴾ فالتار موعدهم فلا تك في مريبك شك ﴿وَمِنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطَاعَ مَعَ اقْتَرَبَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣) المشركين.

[١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيُهَيِّبُونَ﴾ يطلبون السبيل ﴿عَوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ تأكيد ﴿كٰفِرُونَ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله بدني المؤمن فيضع عليه كفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى من نفسه أنه هلك؛ قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسنته. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (٤) ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

(١) وغير ذلك من وجوه تحشيو وإعجازها الكثيرة.

(٢) في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في سورة البقرة: [البقرة: ٢٣].

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُهُمْ اللَّهُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٢﴾ لَاجِرًا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٤﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ الْكُفْرَانِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِيكَ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٧﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآسَافِ ﴿٢٨﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِ وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآءِ اتَّخَذْتُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُكُمْ هَا وَاتَّخَذْتُمْ لَهَا كِرْهُونَ ﴿٣٠﴾

[٢٠] ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضْعِفُهُمْ﴾ يهزئهم

الْعَذَابَ ﴿بِاضْلَالِهِمْ﴾ غيرهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي: لفرط كراحتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك. [٢١] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ نأ كَانُوا يُفْقَهُونَ ﴿على الله من دعوى الشريك. [٢٢] ﴿لَاجِرًا﴾ حفا ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾. [٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ سكنوا واطمأنوا أو أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٤] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَالْأَعْيُنِ وَالْأَصْوَةِ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَذِهِ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟﴾ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١) فيه إدغام التاء في الأصل في النال؛ تتعظون.

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [أي] ﴿أَي: بَأْسِي﴾ وفي قراءة بالكسر (٢) على حذف القول (٣) ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار.

[٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبادتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمِ الْآسَافِ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الأشراف: ﴿مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا﴾ أسافنا؛ كالحاخكة والأساكفة ﴿بِرَأْيِ﴾ بالهمز وتركه (٤)؛ أي: ابتداء من غير تفكير فيك، ونصبه على الظرف؛ أي: وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فتستحققون به الاتباع منا ﴿بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب.

[٢٨] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ﴾ بيان ﴿بَيْنِ رَبِّي وَآءِ اتَّخَذْتُمْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّي﴾ نوبة ﴿بَيْنِ عِنْدِي﴾ [فعميت] ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وفي قراءة: بتشديد الميم والبناء للمفعول (٥) ﴿أَنْزَلْتُكُمْ هَا﴾ أنجزكم على قبولها ﴿وَأَتَّخَذْتُمْ لَهَا كِرْهُونَ﴾ لا نقدر على ذلك.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) قراءة ﴿أَي﴾ بالفتح للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) تقديمه: «قال إني».

(٤) بالهمز قراءة أبي عمرو.

(٥) وبدون التشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وهي المفسرة أولاً.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ عَلَى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ ﴿مَالًا﴾ تَعَطُّوبِهِ ﴿إِنْ﴾ مَا أَجْرِي ﴿ثَوَابِي﴾ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كما أمرتوني ﴿إِنَّهُمْ مُلْتَمِعُونَ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم من ظلمهم وطردهم ﴿وَلِكَيْتَ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ عاقبة أمركم.

[٣٠] ﴿وَيَقُولُ مَنْ يَضُرُّنِي﴾ يعني ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِنْ كَرِهْتُمْ﴾ أي: لا ناصر لي ﴿أَفَلَا﴾ فهلاً ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء الثانية في الأصل في الذال^(١)؛ تتعظون.

[٣١] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا إِيَّايَ﴾ أعلم الغيب ولا أقول ﴿إِنِّي مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مملوك ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي﴾ تحقر ﴿أَعْيُنِكُمْ﴾ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ إِيَّايَ إِذَا﴾ إن قلت ذلك ﴿لَوَلِيَّ السَّمْعِ﴾.

[٣٢] ﴿قَالُوا يَنْبُحُ قَدْ جَنَّاتُنَا﴾ خاصتنا ﴿فَأَكْفَرْتَّ جِدَانَا﴾ فأنانا بما جئناكم به من العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ولا ينفعكم ﴿وَمَا أَنشَأَ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين الله.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: إغواءكم، وجواب الشرط دل عليه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾، هو ربيكم وإليه ترجعون.

[٣٥] قال تعالى: ﴿أَمْ﴾ بل أم يقولون ﴿أي: كفار مكة: ﴿أَفْتَرَيْنَاهُ﴾ اختلق محمد القرآن ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ إثمى؛ أي: عقوبته ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إلي.

[٣٦] ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَنْفَعُكُمْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من الشرك. فدعا عليهم بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ﴾^(٢) إلخ، فأجاب الله دعاءه فقال: [٣٧] ﴿وَأَصْحَىٰ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى منا وحفظنا^(٣) ﴿وَوَحَّيْنَا﴾ أمرنا ﴿وَلَا تَحْطَبُنِي فِي

وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَمِعُونَ رَبِّهِمْ وَلِكَيْتَ قَوْمًا يَجْهَلُونَ وَيَقُولُ مَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِيَّايَ إِذَا لَمَنِ الظالمين ﴿قَالُوا يَنْبُحُ قَدْ جَنَّاتُنَا فَأَكْفَرْتَّ جِدَانَا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمُعْجِزِينَ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أصحح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون أم يقولون افتريته قل إن افتريته وفعلت إجرامي وأنا بريء مما تجرمون وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قده آمن فلا تبسبب بما كانوا يفعلون وأصحى الفلك بأعيننا ووحينا ولا تحطبني في الذين ظلموا إنهم مغرورون

الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

(١) قرأ بتخفيف الذال حفص وحزمة والكسائي وشدها بقية السبعة.

(٢) نوح: ٢٦.

(٣) في هذه الآية وغيرها يستدل بنفسه عينا يرى بها جميع المراتب، وهي صفة حقيقة لله سبحانه على ما يليق به - سبحانه -، تؤمن بها وبتبنيها لرينا كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأما تأويل العين بأنها عبارة عن الإدراك والإحاطة فهو مذهب الأشاعرة وغيرهم من أهل التأويل.

[٤٠] ﴿حَقَّ﴾ غاية الصنع ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَقَارَ الْكُفْرُ﴾ للخياض بالماء^(١)، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَلَمَّا أَتَمَّ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿وَمِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿أَنْتَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، وهو مفعول^(٢)، وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطيور وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملها في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: منهم بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

[٤١] ﴿وَقَالَ﴾ نوح: ﴿أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ يُحْرِبُهَا وَنَمُرُ سِدْقًا﴾ بفتح اليمين وضمهما^(٣) مصدران؛ أي: جريها ورسوها؛ أي: منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا.

[٤٢] ﴿وَمَنْ تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَى نُوحٌ أُمَّتَهُ﴾ كنعان^(٤) ﴿وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ﴾ عن السفينة: ﴿يَبْتَئِنُّ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ سَوَّيْتُ إِلَيَّ الْجِبَالَ﴾ بمعنى ﴿مَرَّتِ الْمَاءُ﴾ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِضِينَ ﴿٣٧﴾ وقيل يتأرض أبلغي ماءك ويسماء أقبلي وغيض الماء وقضى الأمر وأستوت على الجودي وقيل بعد للفقير الظالمين ﴿٣٨﴾ ونادى نوح ربه وقال رب إن أبنى من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ﴿٣٩﴾

[٤٤] ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ﴾ الذي نبع منك فشرته دون ما نزل من السماء فصار أنهاراً وبحاراً ﴿وَيَسْمَأُةُ أَقْبَلِي﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَرِغِيضٌ﴾ نقص ﴿الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ وفتت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لَكُمْ﴾ هلاكاً ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

[٤٥] ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا تخلف فيه ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعد لهم.

وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْتُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٧﴾ فَسَوْفَ نَعْمُونَ مِنْ بَأْسِهِ عَذَابٌ مُجْتَرِبُهُ وَيَعْلُ عَلَيْهِ عَدَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ النَّوُورُ فَلَمَّا أَحْمِلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَهِيَ تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ وَقَالَ فِي مَعَزِلٍ يَبْتَئِنُّ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ سَوَّيْتُ إِلَيَّ الْجِبَالَ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِضِينَ ﴿٣٧﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُةُ أَقْبَلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٣٩﴾

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ﴾ جماعة ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ سَخِرُوا مِنْهُ استهزءوا به ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نخونا وغرقتهم.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ نَعْمُونَ مِنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿بَأْسِهِ عَذَابٌ مُجْتَرِبُهُ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

(١) قول جمهور السلف وعلماء الخلف أن المعنى: حتى فار الماء من الشائير التي هي مكان النار، صارت فقور ماء، وقيل: المراد الكناية عن اشتداد الأمر، كما يقال: حمي الوطيس، والوطيس: التنور وهو من فصيح الكلام وبلغه، وقيل غير ذلك.

(٢) والقراءة المفسرة بإضافة «كُلُّ» هي قراءة السبعة عدا حفص الذي نون؛ حيث عدى الفعل وهو «أَحْمِلُ» إلى «زَوْجَيْنِ» فيكون مفعولاً، و «أَنْتَيْنِ» نعتاً لـ «زَوْجَيْنِ» وفيه معنى التأكيد، كقوله: «لَا تَنْتَبِهُوا لِأَهْلَيْهِ أَنْتَيْنِ»، والتقدير: أحمل فيها زوجين اثنين من كل شيء، ثم حذف ما أضيف إليه «كل» فثَبُّوا «كَلَاهُ». أما الجمهور فعُدَى الفعل إلى «أَنْتَيْنِ»، والتقدير: أحمل فيها اثنين.

(٣) أي في قوله: ﴿يَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا﴾، وقوله: «بفتح اليمين» سبق قلم؛ فإن فتحهما قراءة شاذة؛ والصواب أن يقول: بضم اليمين، أو فتح الأولى مع ضم الثانية، والأولى قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) على افتراض صحة تسمية ابن نوح هذا الهالك بـ «كنعان»؛ فإنه غير «كنعان» جد الكنعانيين، فإن جددهم هو: كنعان بن سام بن نوح.

قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ وَعَمَلٌ عَيْرٌ صَالِحٌ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾
 قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْوُحُ أَهَيْظَ بِسَأَلِمْ مَتَا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمْرٌ وَسَمْتَةٌ لَهُمْ تُرِيَسُّهُمْ مَتَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَالَمِ الْأُولَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَمَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾
 وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِن أَنُتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن أَنجَرِي إِلَّا عَلَ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ تعالَى: ﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي: سؤالك إياي بجناته ﴿عَمَلٌ عَيْرٌ صَالِحٌ﴾ فإنه كافر ولا نجاه للكافرين، وفي قراءة^(١) بكسر ميم ﴿عَمِلٌ﴾ فعل، ونصب ﴿عَيْرٌ﴾ فالضمير لابنه ﴿فَلَا [تَسْأَلُنِي]﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢) ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ من إجماع ابنك ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم^(٣).

[٤٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهَيْظَ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَأَلِمْ﴾ سلامة أو بجهة ﴿مَتَا وَبَرَكَاتٍ﴾ خيرات ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ في السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأَمْرٌ﴾ بالرفع من معك^(٤) ﴿سَمْتَةٌ لَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَتَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، وهم الكفار.

[٤٩] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات المنضمة قصة نوح ﴿وَمِنْ أَنْبَاءِ الْعَالَمِ الْأُولَى﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿فُوجِيًّا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾ أنت ولا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴿الْقُرْآنُ﴾ ﴿فَاصْبِرْ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَقِيبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إلى عاد أمثالهم ﴿مِنَ الْقَبِيلَةِ﴾ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَحُدُوهُ ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ زَائِدَةٍ﴾ إِلَيْهِ غَيْرُهُ ﴿إِن﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ كاذبون على الله.

[٥١] ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا﴾ إِن ﴿مَا أَنجَرِي﴾ إِلَّا عَلَ الَّذِي فَطَرَنِي ﴿خَلَقَنِي﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾.

[٥٢] ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد مُنِفُوهُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يَدْرَارًا ﴿كثير الدور﴾ ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً﴾ إِلَى ﴿مَعِ قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ مشركين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: لنقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) للكسائي.

(٢) بالنون المشددة مع فتح اللام وصلًا ووفقًا لقراءة ابن كثير، وقرأ قالون، وابن عامر ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي﴾ وصلًا ووقفًا، وقرأ ورش وأبو جعفر ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي﴾ بإثبات الياء وصلًا، وحذفها ووقفًا.

(٣) أي: أنهاك.

(٤) أي من ذريتهم.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِ فَكَيْدُونِ﴾ احتالوا في هلاكهم ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوتانكم ﴿لَنْ تَنْظُرُون﴾ تمهلون.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنَّ زَائِدَةٍ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِكُمْ﴾ أي: مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، وخص الناصية بالذكر؛ لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الحق والعدل.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ أي: نعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْنَاكُمْ تَأْتِيْلَتٌ بِهِ﴾ أي: الكفر ﴿وَسَنَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

[٥٨] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿بَنِيْنَآ هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ أي: من آمنوا معكم ﴿مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ آيَاتُ﴾ إشارة إلى آياتهم؛ أي: فسبحوا في الأرض وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿جَعَلُوا بَنِيَاتٍ رَبِّهِنَّ وَغَضَبُوا رَسُولَهُ﴾ جمع؛ لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل؛ لا اشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة ﴿أَمَرَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق من رؤسائهم.

[٦٠] ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ جعلوا ﴿رَبِّهِنَّ آلًا بَدَلًا﴾ من رحمة الله ﴿لِعِبَادٍ قَوْمٍ هُودٍ﴾.

[٦١] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ من القبيلة ﴿صَلِحًا قَالِ يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْبُدُونَ﴾ وحذوه ﴿مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾ ابتداء خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بخلق أديكم آدم منها ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عمارة تسكنون بها ﴿فَأَسْتَفْرَرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿يُجِيبُ﴾ لمن سأله.

[٦٢] ﴿قَالُوا يَصْلِحُ فَدَكَّنْتُ﴾ أي: كُنْتُ ﴿فِيْنَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو أن تكون سيدًا ﴿فَبَلَ هَذَا﴾ الذي صدر منك ﴿أَنَّهُمْ سَأَلُوا أَن تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَأَنَا لَنَلِي سَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٌ﴾ موقِع في الريب.

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَبْنَا بِسُوءِ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٦﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِ جَمِيعًا لَنْ تَنْظُرُونِ ﴿٥٧﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِكُمْ إِنِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْنَاكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَبَنَيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٦٠﴾ وَتِلْكَ آيَاتُ رَبِّهِمْ وَغَضَبُوا رَسُولَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦١﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا رَبِّهِنَّ آلًا بَدَلًا لِعِبَادٍ قَوْمٍ هُودٍ ﴿٦٢﴾ وَإِلَىٰ قَوْمِهِمْ صَالِحًا قَالِ يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْبُدُونَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَفِرُّوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦٣﴾ قَالُوا يَصْلِحُ فَدَكَّنْتُ فِيْنَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَنَّهُمْ سَأَلُوا أَن تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَلِي سَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٤﴾

[٥٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا اعْتَرَبْنَا بِسُوءِ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ الْهَيْئَاتِ بِسُوءِ﴾ فخلبك؛ لسببك إياها، فأنت تهدي ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَيَّ﴾ و﴿أَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾ به.

(١) تأويل هذه الرحمة بالهداية أو غيرها، هي طريقة المولة خوف إرادة التشبيه في صفات الله ﷻ، وهذا فهم خاطئ، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات التي أنبتنا ربنا ﷻ لنفسه دون أن يفتضي ذلك تشبيها وهو - شيخناة - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَاسِنِي
 مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَبْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ وَمَا تَرِيدُونِي
 غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٤﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
 فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
 عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٥﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا
 نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن
 خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٧﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي رِجْهِمْ جِثْمِينَ ﴿٦٨﴾
 كَانُوا لَمْ يَعْتَرِفُوا فِيهَا إِلَّا إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
 بُعْدَ التَّمُودِ ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى
 سَلَامًا قَالَ سَلِّمْ قَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَبِيدٍ ﴿٧٠﴾ فَلَمَّا رَأَى
 أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
 قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧١﴾ وَأَمْرَانَهُ وَقَائِمَةً
 فَضَحِكْتُمْ قَبَسْرْتُمْهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٢﴾

[٦٣] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِن رَبِّي وَعَاسِنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة (١) ﴿فَمَنْ يَبْصُرُنِي﴾ بمعنى ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ وَمَا تَرِيدُونِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ تضليل.

[٦٤] ﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ حال، عامله الإشارة (٢) ﴿فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ غفر ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ إن عقرتوها.

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها فذار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح: ﴿تَمَتَّعُوا﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ﴾ فيه.

[٦٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ يهلكهم ﴿بِنَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ نجيناهم ﴿مِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم إعراباً وفتحها بناءً لإضافته إلى مبني (٣) وهو الأكبر (٤) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ الغالب.

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي رِجْهِمْ جِثْمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٦٨] ﴿كَانُوا﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَعْتَرِفُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في دارهم ﴿إِلَّا إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدَ لَتَمُودٍ﴾ بالصرف وتركه (٥) على معنى الحي (٦) والقبيلة (٧).

[٦٩] ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوا سَلِّمْ﴾ مصدر ﴿قَالَ سَلِّمْ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَبِيدٍ﴾ مشوي.

[٧٠] ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ بمعنى: أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿بِهِمْ خِيفَةً﴾ خوفاً ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ لنهلكهم.

[٧١] ﴿وَأَمْرَانَهُ﴾ أي: امرأة إبراهيم سارة ﴿وَقَائِمَةً﴾ تخدمهم ﴿فَضَحِكْتُمْ﴾ استبشازاً بهلاكهم ﴿فَبَسْرْتُمْهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ﴾ بعد ﴿إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ولده تعيش إلى أن تراه.

(١) النبوة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، التي هي من صفاته - شيعاته -، ونشيتها له ﷻ كما هو مذهب السلف على الوجه اللائق به.

(٢) أي اسم الإشارة؛ وهو «هذه» لما فيه من معنى الفعل، وتقديره: «خذوها».

(٣) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٤) أي في اللغة؛ أما قراءة فهما سواء.

(٥) بالصرف قراءة الكسائي.

(٦) قوله: «الحي» راجع للصراف؛ فإن اسم «تمود» يصرّف إذا أطلق مراداً به الأب الأكبر أو الحي؛ أي ديارهم.

(٧) قوله: «القبيلة» راجع لتركه؛ فإن اسم «تمود» يتبع من الصرف للعلمية والتأنيث إذا أُريد به القبيلة.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُرْئَى﴾ بالولد أخذ ﴿مُجِدِّئًا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِي﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾. [٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ رجاع، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطًا، قالوا: نحن أعلم بمن فيها... إلخ^(١).

[٧٦] فلما أطال مجادلتهم قالوا: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الحداد ﴿إِنَّكَ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَوَيْلٌ لَّكَ مِنَ الْعَذَابِ﴾ غير مرؤوب. [٧٧] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا﴾ حزن بسببهم ﴿وَصَافًى﴾ بهم ذرعا ﴿صَدْرًا﴾؛ لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد.

[٧٨] ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لما علموا بهم ﴿يَهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ لُوطُ﴾: ﴿يَقْتُولُونَ هَذُلًا﴾ بناتي ﴿فزوجوهن﴾ فزوجهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزَنُوا﴾ تفضحون ﴿فِي صَبِيحٍ﴾ أضياف ﴿الَّذِينَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

[٧٩] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَأِنَّكَ لَلْعَاذِ مَا تُبَدِّلُ﴾ من إتيان الرجال. [٨٠] ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ طاقة ﴿أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنِي﴾ كثيرة ﴿شَدِيدٌ﴾ عشيرة تنصرتني لبطشت بكم.

[٨١] فلما رأته الملائكة ذلك ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنْ آيَلٍ وَلَا يَنْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ طائفة ﴿يَقْطَعُ﴾ طائفة ﴿مِنَ آيَلٍ وَلَا يَنْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا إِفْرَاتَكَ﴾ بالرفع^(٢) بدل من ﴿أَحَدٌ﴾، وفي قراءة: بالنصب استثناء من الأهل؛ أي: فلا تشر بها ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فقيل: لم يخرج بها، وقيل: خرجت والنفقت فقالت: وا قومها، فجاءها حجر فقتلها، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك. قالوا: ﴿الَّذِينَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

قَالَتْ يَوَيْلَىٰٓ أَيْ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً لِّلَّهِ وَبِرَكَتِهِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ رَحِيمٌ مُّجِيدٌ ﴿٧٥﴾ فَمَا ذَهَبَ عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُرْئَى يُجِدِّئُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٧﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَن هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ مَّرْدُودٌ ﴿٧٨﴾ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَصَافًى بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٩﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزَنُوا فِي صَبِيحِي الَّذِي مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨١﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الْآيَلِ وَلَا يَنْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا إِفْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ الَّذِي الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٢﴾

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَوَيْلَىٰٓ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم، والألف مبذلة من ياء الإضافة ﴿أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ له مائة، أو: وعشرون سنة، ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة ﴿رَأَيْتَ هَذَا كَتَمْتُ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهريمين. [٧٣] ﴿قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قُدْرَةً﴾ قدرته^(١) ﴿؟ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مُجِيدٌ﴾ كريم.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «قال لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ قال: «قد كان يأوي إلى ركن شديد، ولكنه عنى عشيرته؛ فما بعث الله صلى الله عليه وسلم بعده نبيا إلا بعثه في ذروة من قومه، المسند (٥٣٣/٢، ٣٨٤). وحسن الأثرناووظ إسناده في تحريجه على المسند (١٠٩٠٣) (٥٢٥/١٦). قال ابن الأثير: ذروة كل شيء أعلاه. (النهاية ١٥٩/٢).

وأخرجه الترمذي أيضا - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف، وضعفه الألباني بلفظ «ذروة» وحسنه بلفظ «ذروة»، وانظر: الصحيحة (١٦١٧)، قال ابن الأثير: الذروة: العدد الكثير - (النهاية ٢١٠/١).

والحديث في الصحيحين مختصرا بلفظ: «يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد». البخاري (٣٣٨٧)، ومسلم (١٥١).

(١) الأمر غير القدرة، والاستفهام في الآية للإنكار؛ أي كيف تعجبين من قضاء الله وقدره، وتما قدرته وهو لا يستحيل عليه شيء، وإنما أنكروا عليها مع كون ما تعجب من من خوارق العادة لأنها من بيت النبوة، ولا يخفى على مثلها أن هذا من مقدوراته سبحانه؛ فـ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(٢) زوي بعض هذا الحوار عن قتادة السدوسي، وبعضه عن سعيد بن جبير رحمهما الله، ولم يثبت شيء منه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فالأولى: الاقتصار على الصمم الثابت والإعراض عما لم يثبت وليس في ذكره كثير فائدة.

(٣) أي: ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه، والأصل فيه أن البعير إذا حمل عليه ضعف ومد عنقه وضاق ذرعه؛ أي: صدره.

(٤) بالرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَاءَ أَمْرُنَا بِإِهْلَاكِهِمْ جَمَعْنَا عَلَيْهِمَا أَي: قراهم ﴿٨٢﴾ ﴿سَافِلَهَا﴾ أَي: بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ طِين طين طبع بالنار ﴿مَنْشُورٍ﴾ متتابع. ﴿٨٣﴾ ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: أهل مكة ﴿بِيعِيدٍ﴾. ﴿٨٤﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ إلى مَدِينَةٍ أَنهَامُ شُعَيْبًا قَالَ يَقْوَمُ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ عَدُوًّا وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرْبُكُمْ بِغَيْرِكُمْ﴾ نعمة تنعimen عن التطفيف ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ يُحْطِطُ﴾ بكم، يهلككم، ووصف اليوم به مجاز؛ لوقوعه فيه. ﴿٨٥﴾ ﴿وَيَنْقُورُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾ في الأرض مفسدين بالقتل وغيره؛ من (عقبي) بكسر اللام: أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿تَعْتُوا﴾. ﴿٨٦﴾ ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿غَيْرِ لَكُمْ﴾ من البخس ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمِخْفِطٍ رقيب أجازيكم بأعمالكم، إنما بعثت نذيرا. ﴿٨٧﴾ ﴿قَالُوا﴾ له استهزاء: ﴿يَنْشَعِبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾؟ المعنى: هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء. ﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ يَقْوَمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالا، فأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟! ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾^(٥) فارتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لكم بالعدل ﴿وَمَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن مسروق أن امرأة جاءت إلى ابن مسعود فقالت: أنبت أنك تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم ... الحديث، وفيه: قالت المرأة: فعله في بعض سائلك؟! قال: ادخلي. فدخلت ثم خرجت، فقالت: ما رأيت بأشأ. قال: ما حفظك إذن وصية العبد الصالح: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾.

المسند (٤١٤/١ - ٤١٥)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٤٥). وقوى الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٣٩٤٥) (٥٨/٧). وأصله في الصحيحين؛ البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

﴿يَجْرِمُ﴾، والضمير مفعول أول، والثاني (١): ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ﴾ أي: منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿يُنصِبُكُمْ﴾ بـ﴿يَجْرِمُ﴾ فاعتبروا.

[٩٠] ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ نُوحُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ محب لهم.

[٩١] ﴿قَالُوا﴾ إبداناً بقلة المبالاة: ﴿يَشْعَبُ مَا تَقَعُهُ﴾ نفهم ﴿كثيراً﴾ ومما نقول وإنا لرتبك فينا صعباً ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّيرٍ﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعره.

[٩٢] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فتركوا قلتي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَأَخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِي﴾ منبؤداً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيكم.

[٩٣] ﴿وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿بِأَيِّهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْسَلْنَا قُرَيْشًا﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منظر.

[٩٤] ﴿رَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿بِحَبْنَتِنَا شَعْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثُثًا﴾ باركين على الركب ميتين.

[٩٥] ﴿كَانَ﴾ مخففة؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَتَوَّأ﴾ يقيموا ﴿فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لَعْنَيْنِ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودٌ﴾.

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[٩٧] ﴿إِلَّا فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فأتبعوا أمر فرعون ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ برشيد سديد.

وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِعَمِيدٍ ﴿٩٠﴾ وَأَسْتَغْفِرُ وَأَرْبُكُمْ ثُمَّ نُوحُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩١﴾ قَالُوا أَوَيْسُ عِيبٍ مَا نَفَعَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّينِ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَخَذْتُمُوهُ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِي إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٣﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ بَيَاتِهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْسَلْنَا إِيَّاهُ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شَعْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثُثًا ﴿٩٥﴾ كَان لَمْ يَتَوَّأ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودٌ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

[٨٩] ﴿وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمُكُمْ﴾ بـ﴿يُكْسِبُكُمْ﴾ (١) ﴿شِقَاقِي﴾ خلافي فاعل

(١) هذا هو قول الزجاج. وقال الحسن البصري وقادة: «يحملكم».

(٢) أي المفعول الثاني هو: المصدر المؤول من جملة.

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمْ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ وَيَسَّرَ الْوَرْدَ الْمَوْرُودَ﴾ هي.

[٩٩] ﴿وَأْتِيَتْهُ فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة ﴿يَسَّرَ﴾ أزاله العون ﴿الْمَوْرُودَ﴾ رفدهم.

[١٠٠] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره: ﴿مِنَ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي: القرى ﴿فَقَاتِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَرَكَّ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل.

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَا آغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ﴾ إِلَيْهِمْ أَنِّي يَدْعُونَ ﴿يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ رِزْقِهِ﴾ زائدة ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا رَأَوْهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتَّبِعِينَ﴾ تخسيري.

[١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أريد أهلها ﴿وَهِيَ ظَلِيمَةٌ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنِ أَخَذَهُ﴾ أليس شديدٌ ﴿رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية (١).

[١٠٣] ﴿إِنِ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَايَةً﴾ لعلبة ﴿لِمَنْ حَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ﴾ فِيهِ ﴿النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَسْهُودٌ﴾ يشهده جميع الخلائق.

[١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ لوقت معلوم عند الله.

[١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ ذلك اليوم ﴿لَا تَسْكُمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تعالى ﴿فَيُنْفِثُ﴾ أي: الخلق ﴿شَقِيقٌ وَكَمِمْهُمُ﴾ كتب كل في الأزل.

[١٠٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ في علمه تعالى ﴿فَقِي النَّارَ لَمْ يَبْزُقُوا﴾ صوت شديد ﴿وَسَهَقُوا﴾ صوت ضعيف (٢).

[١٠٧] ﴿خَلِيدِينَ﴾ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴿أَي: مَدَّة دَوَامِهِمَا فِي الدُّنْيَا﴾ إِلَّا ﴿غَيْرَ مَا سَاءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدهمتها مما لا ينتهي له (٣)، والمعنى: خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسَّرَ الْوَرْدَ الْمَوْرُودَ (٩٨) وَأْتِيَتْهُ فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسَّرَ الرِّفْدَ الْمَوْرُودَ (٩٩) ذَلِكَ الْمَذْكُورُ مَبْتَدَأُ خَبْرِهِ: ﴿مِنَ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿مِنْهَا﴾ أَي: الْقُرَى ﴿فَقَاتِمٌ﴾ هَلَكَ أَهْلُهُ دُونَهُ ﴿وَرَكَّ﴾ مِنْهَا ﴿حَصِيدٌ﴾ هَلَكَ بِأَهْلِهِ فَلَا أَثَرَ لَهُ كَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ بِالْمَنَاجِلِ. (١٠٠) ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بِإِهْلَاكِهِمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بِالشَّرْكِ ﴿فَمَا آغْنَتْ﴾ دَفَعَتْ ﴿عَنْهُمْ﴾ إِلَيْهِمْ أَنِّي يَدْعُونَ ﴿يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿مِنْ رِزْقِهِ﴾ زَائِدَةٌ ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عَذَابُهُ ﴿وَمَا رَأَوْهُمْ﴾ بِعِبَادَتِهِمْ لَهَا ﴿غَيْرَ تَتَّبِعِينَ﴾ تَخْسِيرِي. (١٠١) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مِثْلَ ذَلِكَ الْإِخْذِ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أُرِيدُ أَهْلَهَا ﴿وَهِيَ ظَلِيمَةٌ﴾ بِالذُّنُوبِ أَيِ فَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مِنْ أَخْذِهِ شَيْءٌ ﴿إِنِ أَخَذَهُ﴾ أَلَيْسَ شَدِيدٌ ﴿رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الْآيَةَ (١). (١٠٢) ﴿إِنِ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ مِنَ الْقِصَصِ ﴿لَايَةً﴾ لَعِبْرَةٌ ﴿لِمَنْ حَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ﴾ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ﴾ فِيهِ ﴿النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَسْهُودٌ﴾ يَشْهَدُهُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ. (١٠٣) ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ لِقَوْلِكَ مَعْلُومٍ عِنْدَ اللَّهِ. (١٠٤) ﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ ﴿لَا تَسْكُمُ﴾ فِيهِ حَذْفُ إِحْدَى التَّائِيْنِ ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تَعَالَى ﴿فَيُنْفِثُ﴾ أَي: الْخَلْقَ ﴿شَقِيقٌ وَكَمِمْهُمُ﴾ كَتَبَ كُلُّ فِي الْأَزْلِ. (١٠٦) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى ﴿فَقِي النَّارَ لَمْ يَبْزُقُوا﴾ صَوْتُ شَدِيدٍ ﴿وَسَهَقُوا﴾ صَوْتُ ضَعِيفٍ (٢). (١٠٧) ﴿خَلِيدِينَ﴾ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴿أَي: مَدَّة دَوَامِهِمَا فِي الدُّنْيَا﴾ إِلَّا ﴿غَيْرَ مَا سَاءَ رَبُّكَ﴾ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى مَدِّهَا مِمَّا لَا يَنْتَهِي لَهُ (٣)، وَالْمَعْنَى: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَعْوَدُوا﴾ بفتح السين (٤) وضمها ﴿فَقِي الْجَنَّةِ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ﴿غَيْرَ مَا سَاءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدم، ودل عليه فيهم قوله: ﴿عَطَاءَ غَيْرِ مُجْدُوزٍ﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف، والله أعلم بمراده.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَيُنْفِثُ شَقِيقٌ وَسَهَقٌ﴾ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا نبي الله، فاعلم بعمل؟ على شيء؟ قد فرغ منه، أو على شيء؟ لم يفرغ منه؟ قال: بئس على شيء؟ قد فرغ منه، وجرى به الأقاليم يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٢) سورة هود. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٨٦).

(١) البخاري (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٣).

(٢) روي هذا التفسير عن ابن عباس، وقيل غير ذلك. وأصل «الزفير» هو: أول صوت الحمار، و«الشهيق»: آخره، وكلاهما يصدران عن الحمار بقوة وشدة. وهما يصدران عن الإنسان أيضًا خاصة حال تعب وإرهاقه.

(٣) وأكثر علماء السلف والخلف أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين ثم برحمته. شيخنا ه. و. م. وأما قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] فجزئياً على عادة العرب في إعادة الدوام بذلك، أو المراد جنس السماوات والأرض؛ لأنه لا بد في عالم الآخرة أيضًا من سماوات وأرض.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾
بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُنِيَ بِبَنِيهِمْ﴾ في الدنيا
فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَنبَأَهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَقِي شَكَّ مِنْهُ مَرْسِبٍ﴾ موقع
في الرية.

[١١١] ﴿وَأَن﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿كَلَامًا﴾ كل الخلائق
﴿لَمَّا﴾ «ما» زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر، أو فارقة^(٢)، وفي قراءة:
بتشديد «لما» بمعنى «إلا» ف«إن»^(٣) نافية ﴿لَقُنِيَ بِبَنِيهِمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي:
جزاءها ﴿إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ عالم بواطنه كظواهره.

[١١٢] ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّغَوْا﴾
ليستقم ﴿مَنْ تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطَّغَوْا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُ يَمَّا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيك به.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾ قبلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بمودة أو مهادنة أو رضا
بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
غیره ﴿مَنْ زَادَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾ تمنعون
من عذابه.

[١١٤] ﴿وَأَقْرِبَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الغداة والعشي؛ أي: الصباح
والظهر والعصر ﴿وَرَزَقْنَاكَ﴾ جمع رزقة؛ أي: طائفة ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب
والعشاء ﴿إِنَّ أَلْسِنَتَكَ﴾ كالصلوات الخمس ﴿بِدُهَيْنِ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب
الصغائر، نزلت^(٤) فيمن قُتِلَ أجنيبة فأخبره النبي ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال:
«لجميع أمي كلهم» رواه الشيخان^(٥) ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكِرِينَ﴾ عظة
للمتعتن.

[١١٥] ﴿وَأَصْرِي﴾ يا محمد على أذى قومك، أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مَنْ قَبْلِكُمْ
أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به
النفي؛ أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿فَلَيْلًا مَمَّنَ أُنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾
نهبوا فنجوا، و«من» الليبان ﴿وَأَتَمَّكَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي
﴿مَا أَتْرَفُوا﴾ نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ منه لها ﴿وَأَهْلَهَا
مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون.

فَلَا تَأْكُ فِي مَرِيَّةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمُ نَصِيحُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُنِيَ بَنِيهِمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيْبٍ
﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفِكُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ
خَيْرًا﴾ ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّغَوْا
إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تَنْصُرُونَ ﴿وَأَقْرِبَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرَزَقْنَاكَ مِنَ
الْأَيْلِ إِنَّ أَلْسِنَتَكَ يَدْهَيْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي
لِلذَّكِرِينَ ﴿وَأَصْرِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَتَّبِعُونَ
عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتْرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿وَمَا
كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلَهَا مُصْلِحُونَ ﴿

[١٠٩] ﴿فَلَا تَأْكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مَرِيَّةٍ﴾ شك ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾
من الأصنام، إننا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا
يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُمْ﴾ أي: كعبادتهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم
﴿وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمُ﴾ مثلهم ﴿نَصِيحُهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾
أي: ناثًا.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٤) : أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً أصاب من امرأة قيلة، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأثرت عليه: ﴿وَأَقْرِبَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرَزَقْنَاكَ مِنَ
الْأَيْلِ إِنَّ أَلْسِنَتَكَ يَدْهَيْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكِرِينَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة هود (١١) باب (٥).

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وشعبة.

(٢) أي بين «إن» المهمله والنافية.

(٣) على قراءة التخفيف، وقراها بالتخفيف نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي.

(٤) البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود.

[١١٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَمَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين.

[١١٩] ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير^(١)، فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٢٠] ﴿وَكَلَّا﴾ نصب بـ ﴿نَفْصُ﴾ وتوحيده عوض المضاف إليه؛ أي: كل ما يحتاج إليه ﴿نَفْصُ عَلِيكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾ ﴿تَنْبِئُكَ﴾ نظم من ﴿يُؤَدِّكَ﴾ ﴿فُوَادَكَ فِي هَذِهِ﴾ الأنبياء أو الآيات ﴿الْحَقِّ وَمَوْعِظَةً وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوصاً بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار.

[١٢١] ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ على حالتنا تهديد لهم.

[١٢٢] ﴿وَأَنْظِرُوا﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٢٣] ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَالْوَالِيُّ يَرْجِعُ﴾ بالبناء للفاعل بعود، وللمفعول يرد^(٢) ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فينتقم من عصى ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وخذ^(٣) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَتَمَتَّلُونَ﴾ وإنما يؤخرهم، وفي قراءة بالفوقانية^(٤).

سُورَةُ يُوسُفَ

[مكية، مائة وإحدى عشرة آية، نزلت بعد هود]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
 إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾ وَكَلَّا نَفْصُ
 عَلِيكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبِّئُكَ بِهِ فُوَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢٠﴾ وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٢١﴾
 وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
 الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

[٤] اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب: ﴿يَا أَبَتِ﴾ بالكسر دلالة على
 بيا الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الباء^(١) ﴿إِنِّي
 رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِي
 سَاجِدِينَ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات
 العقلاء.

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ
 الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للحق من الباطل.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة
 ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفقهون معانيه.

[٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإباحتنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا
 الْقُرْآنَ وَإِنْ﴾ مخففة؛ أي: وإنه ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

(١) تأويل رحمة الله ﷻ بإرادة الخير والواب ونحوه مذهب المؤولة، وهذا فرع التعطيل، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة السبعة عددا نافع وحفص.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالفتح قراءة ابن عامر.

أُمِّ الْقَوْمِ أَبُوكَ ﴿٦﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ظاهر العداوة.

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبِّكَ﴾ ربك ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تبيير الرؤيا ﴿وَرَبُّهُ يَضْمَعُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَا أَنْتَمَهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَى أَبِيكَ﴾ من قبل إيزهيم ﴿وَأَسْحَىٰ﴾ إن ربك عليه ﴿بِخَلْقِهِ﴾ حكيمة ﴿فِي صُنْعِهِ﴾ بهم.

[٧] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ وهم أحد عشر ﴿آيَاتٍ﴾ عبر ﴿لِلنَّاسِ لِيُنذِرَ﴾ عن خبرهم.

[٨] اذكر ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي: بعض إخوة يوسف لبعضهم: ﴿لِيُوسُفَ﴾ مبتدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحْسَبُ﴾ خبر ﴿إِنَّا آيِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّا أَبْنَا لِي﴾ ضللل ﴿خَطَا﴾ ضللت ﴿فِي بَيْنِ بَيْنَاهُمَا عَلَيْنَا﴾

[٩] ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: بأرض بعيدة ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ وِجْهَ أَيْكُمُ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ بأن تتوبوا.

[١٠] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ هو يهوذا: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ مظلم البر، وفي قراءة بالجمع (١) ﴿يَلْقُظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ إن كنتم فعلين ﴿مَا أَرَدْتُمْ مِنَ التَّفْرِيقِ﴾ فافتقروا بذلك.

[١١] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَيُّ يُوسُفَ وَإِنَّا لَمُ لَنُصِحُونَ﴾ لقائمون بمصالحه.

[١٢] ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿فَنُرْتِعِ﴾ نرتع ﴿وَنَلْعَبُ﴾ بالنون والياء (٢) فيهما ننشط وننتع ﴿وَإِنَّا لَمُ لَحَفِظُونَ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا﴾ أي: ذهابكم ﴿بِيَدِهِ﴾ لفراقه ﴿وَأَخَافُ أَنَّ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ المراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون.

[١٤] ﴿قَالُوا لَيْنَ﴾ لام قسم ﴿أَكْأَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّا إِذَا لَحْخِسَرُونَ﴾ عاجزون.

قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنمِّعُ بِعَمَّتِهِ وَعَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَمَهَا عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَأَسْحَىٰ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلنَّاسِ لِيُنذِرَ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْبَانَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَجْعَلْ لَكُمْ وِجْهَ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقُظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَيُّ يُوسُفَ وَإِنَّا لَمُ لَنُصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتِعِ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكْأَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَحْخِسَرُونَ ﴿١٤﴾

[٥] ﴿قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ يحتالون في هلاكك؛ حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس

(١) لنافع.

(٢) بالياء مع كسر العين قراءة نافع، وبالنون مع كسرها قراءة ابن كثير، وبالنون مع إسكانها قراءة أبي عمرو وابن عامر، والياء ساكنة في جميع القراءات.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ فَقَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدٌ مِرْيَكُوبَةٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ حَسِيلٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا عِلْمٌ وَاسْرُوءُ بَضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرْآتِي بِهِ أَتَرَىٰ مُثُوبَهُ عِيسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَانُهُ لِْيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾

[١٥] فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبِ الْجُبِّ﴾ وجواب «لَمَّا» محذوف؛ أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانتته وإرادته قتله، وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه لموت فسقط في الماء، ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهودا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ في الحب وخشي خفيقة، وله سبع عشرة سنة أو دونها؛ تطمينا لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنعهم ﴿هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء.

[١٦] ﴿وَجَاءَهُ آبَاهُمْ عِشَاءَ﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾.

[١٧] ﴿فَقَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرسي ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ عندك لانهمتنا في هذه القصة؛ لخبية يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا^(١).

[١٨] ﴿وَجَاءَهُ وَعَلَى قَمِيصِهِ﴾ محله، نصب على الظرفية؛ أي: فوفاه ﴿يَدٌ مِرْيَكُوبَةٌ﴾؛ أي: ذي كذب بأن ذبحوا سخله ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا: إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ زِينَتُكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ حَسِيلٌ﴾ لا جرع فيه، وهو خير مبتدا محذوف؛ أي: أمرى ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمر يوسف.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَى﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُ﴾ في البئر فعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ﴾^(٢)، وفي قراءة: ﴿بُشْرَى﴾، ونداؤها مجاز؛ أي: احضري فهذا وقتك ﴿هَذَا عِلْمٌ﴾ فعلم به إخوته فأتوه ﴿وَأَسْرُوءُ﴾ أي: أحفوا أمره جاعليه ﴿بِضْعَةٍ﴾ بأن قالوا: هذا عبدنا أبق، وسكت يوسف؛ خوفاً من أن يقتلوه^(٣) ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَّوهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ فيه من الزاهدين؛ فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين.

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو قطفير العزيز ﴿لَا مَرْآتِي بِهِ زُلَيْخَا﴾ أي: أكرهى مثوته ﴿مقامه عندنا﴾ عسى أن ينفعا أو نتخذهم ولداً ﴿وَكَانَ حَصُورًا﴾^(٤) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجينا من القتل والحب وعطفنا عليه قلب

(١) هذا الكلام قدّرهُ المؤلف إشارة إلى أن ﴿لَوْ﴾ شرطية وجوابها محذوف، والأقرب جعل الواو حالية و﴿لَوْ﴾ زائدة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) والقول الآخر: أي أسره الواردون من بقية السيارة، وقالوا: اشترياه من أصحاب الماء وهو الظاهر؛ أي أن الذين أسروه بضاعة وشروه بثمن بخس هم السيارة؛ أي المسافرون من القافلة، واشتراه منهم رجل من أهل مصر؛ فلم يقع بيعة وشراؤه إلا مرة واحدة.

(٤) وهذا على القول الأول، وعلى القول الآخر: يكون الضمير عائداً إلى السيارة، ويكون زهدهم فيه؛ لخوفهم من إيائِهِ كما زعم إخوته.

(٥) أي: لا يأتي النساء أو عقيما، والضمير يعود إلى العزيز.

العزيز ﴿مَكَانُهُ لِْيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا، عطف على مقدر متعلق بـ﴿مَكَانَهُ﴾ أي: لملكه أو الواو زائدة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ تعالى، لا يعجزه شيء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك. [٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة أو: وثلاث ﴿وَأَتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي السُّخِيِّينَ﴾ لأنفسهم.

الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الزناة.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْفُ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ قصد ذلك^(١) ﴿لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهبوته من أنامله^(٢)، وجواب «لولا»: لجامعها ﴿كَذَلِكَ﴾ أريناه البرهان ﴿لِيُصْرِفَ عَنْهُ الشَّرَّ﴾ الخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزنا ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾^(٣) في الطاعة، وفي قراءة بفتح اللام، أي: المختارين.

[٢٥] ﴿وَأَسْتَبَقَا الْآبَابَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبه إليها ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿فَقَيْصُمُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْقَا﴾ وجدا ﴿سَيْدَهَا﴾ زوجها ﴿لِذَا الْآبَابِ﴾ فزهت نفسها ثم ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم بأن يضرب.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد^(٤) فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ قَيْصُمُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ﴾ قدام ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

[٢٧] ﴿وَإِنْ كَانَتْ قَيْصُمُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾ خلف ﴿فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَأَتْ﴾ زوجها ﴿قَيْصُمُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ أي: فولد: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ﴾ إلخ ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿إِنْ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

[٢٩] ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿وَأَسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآثمين. واشتهر الخبر وشاع.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر: ﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ عبداً ﴿عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ تميز؛ أي: دخل حبه شغاف قلبها؛ أي: غلافه ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: في خطأ ﴿بُيُوتٍ﴾ بين بحبها إياه.

رَوَدَّتْهُ أَلَّتِي هَوَى فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴿٢٥﴾ وَأَسْتَبَقَا الْآبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصُمُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفَيْقَا سَيْدَهَا لِذَا الْآبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَيْصُمُ وَقَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَتْ قَيْصُمُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَتْ أَقْمِصَهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَأَسْتَغْفِرِي لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿رَوَدَّتْهُ أَلَّتِي هَوَى فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه أن يواقعها ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتْ﴾ له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هلم، واللام للتبيين، وفي قراءة بكسر الهاء^(١)، وأخرى بضم التاء^(٢) ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ الذي اشتراكي ﴿رَبِّي﴾ سيدي^(٣) ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾ أي:

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أي مع فتح الهاء، وهي لابن كثير، وذكر المصنف ثلاث قراءات وكلها سبعة، وبقي قراءتان لهشام هما: ﴿هَيْتُ﴾ بكسر الهاء والهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها.

(٣) والقول الآخر أنه الرب على ظاهره وهو الله ﷻ.

(٤) معاذ الله أن ينسب مثل هذا الهم لربي كريم مع أن الله ﷻ أثبت براته في أكثر من خمسة مواضع من القصة ذاتها، وجمهور القراء على الوقف عند قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْفُ﴾، ومعناه: إرادة الفاحشة، وأما همُّها بها فمني؛ لوجود برهان ربه، وهذا سائق في اللغة؛ إذ يجوز تقديم جواب (لولا) عليها؛ فيكون المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ونظيره قوله - تعالى -: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِرَبِّهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَّ لَهَا﴾. ورجح طائفة من المفسرين أن المراد بهمة التفتُّة مجرد خاطر طراً عليه بمقتضى الجيلة البشرية، ثم دفعه وصرفه الله عنه بمقتضى العصمة النبوية... وهذا القول أحسن ما قيل في تفسير الآية.

(٥) وهذه الرواية من الإسرائيليات المردودة التي لا تليق بنبي كريم.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، والباقون بفتحها.

(٧) أخرج ذلك أحمد والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس.

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ غَشِيَتْ لَهَا «أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدْتِ أَعْدَتَهُنَّ» وَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ «وَأَعْتَدْتِ لَهُنَّ مُكْتَكًا» وَهُوَ الْأُتْرُجُ ﴿وَآتَتْهُنَّ كُلَّ وَجِدَةٍ فَمِنْهُنَّ سَيِّئَاتُ يُوسُفَ: ﴿أَخْرَجَ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتُهُ» وَأَعْظَمْتُهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالسَّكَاكِينِ، وَلَمْ يَشْعُرَا بِالْأَلَمِ؛ لِشُغْلِ قُلُوبِهِمَا بِيُوسُفَ وَقُلْنَ حَسْبَ لِلَّهِ تَنَزُّيْهَا لَهُ «مَا هَذَا أَيُّ يُوسُفَ بَشَرًا إِنْ» مَا «هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ» لَمَّا حَوَّاهُ مِنَ الْحَسَنِ الَّذِي لَا يَكُونُ عَادَةً فِي النِّسْمَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحَسَنِ» (١).

[٣٢] ﴿قَالَتْ﴾ أَمْرَةٌ الْعَزِيزِ لَمَّا رَأَتْ مَا حَلَّ بِهِنَّ: ﴿فَذَلِكُنَّ﴾ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمُتَقَبَّلِ فِيهِ فِي حُجَّةِ بَيَانِ لَعْنَتِهَا «وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي» فَمَا اسْتَعْصَمَ «وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُهُ» بِهِ «لَيْسَجُنَّ وَكَيْكُونَا مِنَ الْمَسْتَعْرِضِينَ» الذَّلِيلِينَ؛ فَقُلْنَا لَهُ: أَطَعْ مَوْلَانَا.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّي السِّجْنُ أَحْسَبُ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبَبُ﴾ أَيْ «إِلَيْهِمْ وَأَكْبَرُ» أَمِيرٌ «مِنَ الْجَاهِلِينَ» الْمَذْنُوبِينَ، وَالْقَصْدُ بِذَلِكَ الدَّعَاءِ؛ فَلَمَّا قَالَ تَعَالَى: [٣٤] ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دَعَاؤُهُمْ «فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» لِلْقَوْلِ «الْعَلِيمُ» بِالْفِعْلِ.

[٣٥] ﴿ثُمَّ بَدَأَ مِنْهُنَّ فَظَهَرَ لَهْمُ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَتْهُنَّ الْآيَاتُ﴾ الدَّلَالَتُ عَلَى بَرَاءَةِ يُوسُفَ أَنْ يَسْجُنُوهُ، دَلَّ عَلَى هَذَا: «لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى» إِلَى «جِبِينُ» يَنْقَطِعُ فِيهِ كَلَامُ النَّاسِ.

[٣٦] ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَّانٌ﴾ غُلَامَانُ لِلْمَلِكِ؛ أَحَدُهُمَا سَاقِيهِ، وَالْآخَرُ صَاحِبُ طَعَامِهِ، فَرَأَاهُ يَبْعَرُ الرُّؤْيَا، فَقَالَا: لَنْخْتَبِرَهُ «وَقَالَ أَحَدُهُمَا» وَهُوَ السَّاقِي: «إِنِّي أَرْنِي أَصْبُرُ حَمْرًا» أَي: عَيْتًا «وَقَالَ الْآخَرُ» وَهُوَ صَاحِبُ الطَّعَامِ: «إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا» خُبْرًا «بِأَوْلِيَاءِهِ» بِتَعْبِيرِهِ «إِنَّا نَرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ».

[٣٧] ﴿قَالَ﴾ لِهَمَا مَخْبِرًا أَنَّهُ عَالِمٌ بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا: «لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تَرْزُقَا بِهِ» فِي مَنْامِكُمَا «إِلَّا بِنَاتِكُمَا بِأَوْلِيَاءِهِ» فِي الْبِقِظَةِ «فَبَلَّ أَنْ يَأْتِيَكُمَا» تَأْوِيلُهُ «ذَلِكَ لَمَّا وَمَا عَلَّمَنِي رَبِّي» فِيهِ حَثٌ عَلَى إِيمَانِهِمَا، ثُمَّ قَوَاهُ

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدْتَ لَهُنَّ مُكْتَكًا
وَأَتَتْ كُلَّ وَجِدَةٍ فَمِنْهُنَّ سَيِّئَاتُ يُوسُفَ وَقَالَتْ أَخْرَجَ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ
أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسْبَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ
عَنْ نَفْسِي فَاسْتَعْصَمْتُ وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُهُ لَيْسَجُنَّ
وَكَيْكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّي السِّجْنُ أَحْسَبُ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَكَ
إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكْبَرُ مِنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ
حَتَّى جِبِينٌ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَّانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي
أَرْنِي أَعْمُرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي
خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا بِأَوْلِيَاءِهِ إِنَّا نَرِيكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزُقَانِي بِهِ إِلَّا بِنَاتِكُمَا
بِأَوْلِيَاءِهِ قَبَّلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ كَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دِينَ «قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» تَأْكِيدُ «كُفْرِهِمْ».

(١) سمي الطعام بذلك؛ لأنه يترجأ عنه على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الانكاء.

(٢) رواه مسلم (١٦٢) عن أنس بن مالك مرفوعاً.

فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وهم الكفار ﴿لا يشكرون﴾ الله فيشركون.

[٣٩] ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال: ﴿يَصْحَبِي﴾ ساكني ﴿السِّجْنِ﴾ أَرْبَابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿خير؟ استفهام تقرير.

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سميتم بها أصناما ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ الْأَلَمَدُونَ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ذَلِكَ التوحيد ﴿الَّذِينَ الْغَلَبُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٤١] ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ﴾ أَنَا أَحَدُكُمْ أَي: الساقى فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا الْآخِرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الظِّلْمُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ هذا تأويل رؤياكما، فقلا: ما رأينا شيئاً^(١)، فقال: ﴿فُضِي﴾ تم ﴿الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ سألتما عنه صدقتما أم كذبتما.

[٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وهو الساقى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سيدك قل له: إن في السجن غلاماً محبوباً ظلمنا، فخرج ﴿فَأَنْسَنَهُ﴾ أي: الساقى ﴿السَّيِّطَلْنَ ذَكَرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِ فَلْيَبِّئْ﴾ مكث يوسف ﴿فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ﴾ قيل: سبعاً، وقيل: اثنتي عشرة.

[٤٣] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد: ﴿إِنِّي أَرَى﴾ أي: رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يتلعهن ﴿سَبْعَ﴾ من البقر ﴿عِجَافٍ﴾ جمع عجفاء ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ أي: سبع سنبلات ﴿يَأْبِسْنَ﴾ قد التوت على الخضرة وعلت عليها ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُبْعِيِّ﴾ ينوالي تعبيرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَلَمَدُونَ إِلَّا بِإِذْنِهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْغَلَبُوا إِلَّا لَكَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ مَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخِرُ فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الظِّلْمُ مِنْ رَأْسِهِ فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنَهُ السَّيِّطَلْنَ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلْيَبِّئْ فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَأْبِسْنَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُبْعِيِّ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ زائدة ﴿فُضِيَ﴾ لعصمتنا ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾

(١) هذا أحد القولين، والقول الآخر: أنهما رأيا ذلك حقيقة، وهو الصحيح لظاهر القرآن.

[٤٤] ﴿قَالُوا﴾: هذه ﴿أَضَعْتُمْ أَهْلَكُمْ﴾ أخلاق ﴿وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَهْلِيمِ بَعِيدِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الدال؛ أي: تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين، حال يوسف: ﴿أَنَا أُنْتُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ قَارِئُونَ.

[٤٦] فآرسلوه فأنى يوسف فقال: يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنُودَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَلْعَنُونَ﴾ تعبيرها.

[٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ متتابعة، وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُئُلِهِ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع الخصبات ﴿سَبْعُ شِدَادٍ﴾ مجذبات صعب، وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين الخصبات؛ أي: تاكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ تدخرون.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع المجذبات ﴿عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ بِالْمَطَرِ﴾ وفيه يعصرون ﴿الْأَعْنَابِ وَغَيْرِهَا لِحَبِيبِهِ﴾.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿أَنْتَوِي يَوْمَ﴾ أي: بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: يوسف ﴿الرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً لإظهار براءته: ﴿أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ نَفْسَهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿الْأَسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي ﴿يَكِيدُهُنَّ عَيْنٌ﴾ (١).

[٥١] فرجع فأخبر الملك فجمعهن ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ شأنكن ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلاً ليكن؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّحْسُ لِي لَوْلَا إِتْرَافِي أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هِيَ رَاوَدْتِي عَنْ نَفْسِي﴾ (٢).

قَالُوا أَضَعْتُمْ أَهْلَكُمْ وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَهْلِيمِ بَعِيدِينَ ﴿٤٤﴾
 وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتُمْ بِتَأْوِيلِهِ
 قَارِئُونَ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
 يِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنُودَاتٍ خُضْرٍ
 وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
 تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُئُلِهِ إِلَّا
 قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ كُنَّ
 مَأَقَدًا مُمْرُطًا لهنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ فِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَنْتَوِي
 يَوْمَ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ
 الْأَسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾
 قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ فَلَنْ نَحْشَ
 لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّحْسُ لِي
 لَوْلَا إِتْرَافِي أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
 لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَالِسِينَ ﴿٥٢﴾

[٥٢] فَأخبر يوسف بذلك فقال: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله (٣) ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَالِسِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبته» ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ الْأَسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٠٤). وأصله في الصحيحين بمعناه البخاري (٦٩٩٢)، ومسلم (١٥١).

قال النووي: ... وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله نواضحاً وإيضاحاً للبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف. شرح النووي على مسلم (٣٣٩/٢ - ٣٤٠).

(١) قيل: المراد بالرب: الله - تعالى -، ويكون في كلامه الطَّيِّبَةُ الفويض لله ﷻ.

(٢) يوسف: ٢٦.

(٣) اختيار المصنف أن يوسف هو قائل ذلك، وهو قول الطبري وبعض التابعين كعجاده وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم، وظاهر السياق والذي عليه أكثر المحققين من المفسرين. كابن كثير وابن تيمية وابن القيم وغيرهم. أن هذا من كلام امرأة العزيز والمعنى: ليعلم زوجي أنني لم أرتكب الفاحشة، وإنما هي مراودة، وما أبرئ نفسي؛ فإن النفس البشرية يغلغ عليها الشهوة فتأمر بالسوء.

[٥٥] ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿أَجْعَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

[٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كإيماننا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ ينزل ﴿وَهِيَ حَيْثُ نَسَاءُ﴾ بعد الضيق والحسب، وفي القصة أن الملك توجه وختمه^(١) وولاه مكان العزيز، وعزله ومات بعد، فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين^(٢)، وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٥٧] ﴿وَلَا نُجِزُ الْأَخْرَةَ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

[٥٨] ودخلت سيرة القحط، وأصاب أرض كنعان والشام ﴿وَجَاءَ إِخْوَتَهُ يُوْسُفَ﴾ إلا بنيامين، ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بمنته ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُكْرِمُونَ﴾ لا يعرفونه؛ لبعدهم عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسه؛ ليتسلى به عنه، فأمر بإئزاهم وإكرامهم.

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ وفي لهم كيلهم ﴿قَالَ أَتُونِي بِأَجْرِكُمْ مِمَّنْ أَيْبِكُمْ﴾ أي: بنيامين؛ لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُرِي مِنَ الْكِيلِ﴾ أتمه من غير بخس ﴿وَلَمَّا خَبَرَ الْمُرْزَلِينَ﴾.

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ أي: ميرة ﴿وَلَا تَقْرَبُون﴾ نهي أو عطف على محل ﴿فَلَا كَيْلَ﴾ أي: تحرموا ولا تقربوا.

[٦١] ﴿قَالُوا سَرَرْدُ عَنْهُ أَبْنَاءُ﴾ سنجهد في طلبه منه ﴿وَلَمَّا لَبِثُوا لَمَّا لَبِثُوا﴾ ذلك.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفَتْيَاهِ﴾ وفي قراءة: ﴿لِفَتْيَاهِ﴾^(٣) غلامانه: ﴿أَجْعَلُوا بِضَعْتَهُمُ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم ﴿لَعَاهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿لَمَلَهُمْ بِرِجْعَتِهِمْ﴾ إلينا؛ لأنهم لا يستحلون إمساكها.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ﴾ بالنون والياء^(٤) ﴿وَلَمَّا لَمْ لَحْفَظُونُ﴾.

﴿وَمَا أُبْرِي نَفْسِي﴾ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحَرَبِي﴾
 ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿قَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُ بِهِ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَاقِينُ لَتَيَسَّرُ لَكَ مِيزَانُ الْأَمِينِ﴾
 ﴿قَالَ أَجْعَلِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا﴾ ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَوَكَّلْ عَلَيْهَا فَيَشَاءُ لِمَا نَصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَلَا نُجِزُ الْأَخْرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿وَجَاءَ إِخْوَتَهُ يُوْسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَجْرِكُمْ مِمَّنْ أَيْبِكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُرِي مِنَ الْكِيلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾ ﴿قَالُوا سَرَرْدُ عَنْهُ أَبْنَاءُ وَإِنَّا لَنَفْعَلُونَ﴾ ﴿وَقَالَ لِفَتْيَاهِ أَجْعَلُوا بِضَعْتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَاهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَاهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحْفَظُونَ﴾

[٥٣] ثم تواضع لله^(١) فقال: ﴿وَمَا أُبْرِي نَفْسِي﴾ من الزلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ﴾ إلا ما، بمعنى «من» ﴿رَجِدَ رَبِّي﴾ فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٥٤] ﴿قَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُ لِنَفْسِي﴾ أجعله خالصا لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أحب الملك، فقام وودع أهل السجن ودعا لهم، ثم اغتسل وليس ثيابا حسنا ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ﴾ له: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَبْكِينٌ أَمِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين الخصبية وادخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الحلق ليمتاروا منك، فقال: ومن لي بهذا؟.

(١) هذا على اختيار المصنف أن الكلام المتقدم وهذا من كلام يوسف، وأكثر المحققين على خلافه وأنه من كلام امرأة العزيز.

(٢) أي حلاه بخاتمته.

(٣) هذا الكلام ليس عليه دليل، وهو يتنافى مع مقام النبوة؛ إذ كيف يتزوج نبي كريم من امرأة علم منها إرادة الفحشاء؟!.

(٤) أي: لا كيل ولا قوب.

(٥) والقراءة الأولى لتافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فَاللَّهُ خَبِيرٌ﴾ [حفظاً] وفي قراءة: ﴿حَافِظٌ﴾^(١)، تمييز كقولهم: لله دره فارسا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجو أن ين بحفظه.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَنَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِيٌّ﴾ «ما» استفهامية؛ أي: أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟ وقرئ بالفوقانية^(٢)؛ خطاباً ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هَٰذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَانَا﴾ تأتي بالميرة لهم وهي الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ﴾ لأخينا ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ سهل على الملك لسخائه.

[٦٦] ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مِنِّي فِقْهًا﴾ عهداً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَتَأْتُنِّي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطبقوا الإتيان به، فأجابوه على ذلك ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْفِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكَيْلٌ﴾ شهيد، وأرسله معهم.

[٦٧] ﴿وَقَالَ يَبْنَىٰ لَا تَدْخُلُوا﴾ مصر ﴿مِن بَابٍ وَجِبٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لتلا تصبيكم العين ﴿وَمَا أَغْنَىٰ﴾ أذفع ﴿عَنكُمْ﴾ بقولي ذلك ﴿مِنَ اللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ قدره عليكم، وإنما ذلك شفقة ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[٦٨] قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: متفرقين ﴿مَّا كُنَّا بُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: قضائه ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلَيْهِ لَمَّا عَلَّمَنَهُ﴾ لتعلمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ الإهام الله لأصفيائه.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يَوْسُفَ ءَاوَىٰ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقية عنده.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۗ قَالَ اللَّهُ خَبِيرٌ حَافِظٌ ۗ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۗ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِيٌّ ۗ هَٰذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَانَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ ۗ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۗ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مِنِّي فِقْهًا ۗ مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْفِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ۗ وَقَالَ يَبْنَىٰ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَجِبٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۗ وَمَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۗ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۗ وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلَيْهِ لَمَّا عَلَّمَنَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۗ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يَوْسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۗ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ

(١) وهي قراءة حفص وحزمة والكسائي، والقراءة الأولى لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أي: كيبقي، وهي قراءة شاذة.

[٧٢] ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا﴾ صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ﴾ بالحمل ﴿رَظِيمٌ﴾ كفيلاً.

[٧٣] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَادِرِينَ﴾ ما سرقنا قط.

[٧٤] ﴿قَالُوا﴾ أي: المؤذن وأصحابه: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي: السارق ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووجد فيكم؟

[٧٥] ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ يُسْتَرْقَى، ثم أكد بقوله: ﴿فَهُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي: المسروق لا غير، وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿تَجْرَى الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقه، فصرحوا ليوسف بنفيس أوعيتهم.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وَعَاءِ آخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السقاية ﴿مِنْ وَعَاءِ آخِيهِ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾

الكيد ﴿كَذَلِكَ يُوسُفُ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْتِيَهُمْ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر؛ لأن

جزاءه عنده الضرب وتعريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه؛ أي: لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله يالهامة سؤال

إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿زَرَفَعَ [ذَرَجَاتٍ] مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ بالإضافة والتنوين^(١)؛ في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله - تعالى.

[٧٧] ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ﴾ أي: يوسف وكان سرق لأبي أمه صنفاً من ذهب فكرسه؛ لئلا يعبد^(٢).

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ ولم يبدها ﴿يُظْهِرُهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنْتُمْ سَرَرْتُمْ مَكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أحاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ بما

تصفون ﴿تَذَكُرُونَ مِنْ أَمْرِهِ﴾.

[٧٨] ﴿قَالُوا يَا كَذِبًا عَلَيْنَا إِنَّ لَكَ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَوَحَّدْنَا مَا كُنَّا﴾ استعبده ﴿مَعَكُمْ﴾ بدلا منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَادِرِينَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ وَإِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ تَجْرَى الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ آخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ آخِيهِ كَذَلِكَ كَذَّبَ لِيُؤَسِّفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَزِغَ فِي رَجُلٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ إِنَّا تَرَاهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي صاع من الذهب مرصع بالجواهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

[٧١] ﴿قَالُوا﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾.

(١) بالإضافة لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) روى ذلك ابن مردويه مرفوعاً عن ابن عباس مرفوعاً، وقيل غير ذلك، ولم يصح من ذلك شيء مرفوعاً ولا موقوفاً، والصحيح أن قولهم هذا محض كذب وإفراء على يوسف وأخيه، كما نقل القرطبي عن الحسن البصري.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ إِنْ مَا
 إِذَا الظَّالِمُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَسْتَبَسُّوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا
 قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
 مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطُكُمْ فِي يَوْسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
 الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
 ﴿٨١﴾ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَاثِرَاتُ ابْنَتِكَ سَرَقَ
 وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ
 ﴿٨٢﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا
 وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٣﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا
 فَصَبْرٌ حَسِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى
 يُوسُفَ وَأَبِصْرَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ
 ﴿٨٥﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتَوُونَ تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا
 أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٦﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنْتِي
 وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾

[٨٦] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنْتِي﴾ هو عظيم الحزن الذي لا يصبر
 عليه حتى يث إلى الناس ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع
 الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق
 وهو حي.

[٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى
 المفعول؛ أي: نعوذ بالله من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ﴾ لم يقل
 من سرق تحزرا من الكذب ﴿وَإِنَّا إِذَا﴾ إن أخذنا غيره ﴿الظَّالِمُونَ﴾.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا أَسْتَبَسُّوا﴾ بيسوا ﴿وَمِنْهُ خَلَصُوا﴾ اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾
 مصدر يصلح للواحد وغيره؛ أي: ينجي بعضهم بعضا ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾
 شيخا ﴿رويل﴾، أو رأيا ﴿يهودا﴾: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
 مَوْثِقًا﴾ عهدا ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ في أضيكم ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَّطُكُمْ فِي
 يُوسُفَ﴾ وقيل: ﴿ما﴾ مصدرية مبتدأ خبره: ﴿من قبل﴾ ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ أفارق
 ﴿الْأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ بالعود إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾
 بخلاص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعذلتهم.

[٨١] ﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَاثِرَاتُ ابْنَتِكَ سَرَقَ وَمَا
 شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ يقينا من مشاهدة الصباح في رحله ﴿وَمَا
 كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الوثق ﴿حَافِظِينَ﴾ ولو علمنا أنه
 يسرق لم نأخذه.

[٨٢] ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر؛ أي: أرسل إلى أهلها
 فاسألهم ﴿وَالْعِيرَ﴾ أصحاب العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم من كنعان
 ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا، فرجعوا إليه وقالوا له ذلك.

[٨٣] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فعلتموه، اتهمهم
 لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبْرٌ حَسِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ
 يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بيوسف وأخويه ﴿جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي
 ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٨٤] ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ تاركًا خطابهم ﴿وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى﴾ الألف بدل من
 باء الإضافة؛ أي: يا حزني ﴿عَلَى يُوسُفَ وَأَبِصْرَتْ عَيْنَاهُ﴾ أتمحق سوادهما
 وبدل بياضا من بكائه ﴿وَمِنَ الْحُزْنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مغموم
 مكروب لا يظهر كربه.

[٨٥] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ لا ﴿تَقْتَوُونَ﴾ تزال ﴿تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى
 تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفا على الهلاك لطلول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه
 الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ الموتى.

﴿وَجَنَّتَا بِيَضَعَةَ مُرْجَلَيْهِ﴾ مدفوعة^(١) يدفعها كل من رآها لردائها، وكانت دراهم زيوفا^(٢) أو غيرها ﴿فَأَوْفَى﴾ أتم ﴿لَنَا الْكَيْلَ وَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يبيهم، فرق لهم وأدر كته الرحمة، ورفع الحجاب بينه وبينهم.

[٨٩] ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخاً: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَيُّدِي﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ما يقول إليه أمر يوسف.

[٩٠] ﴿قَالُوا﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متبئين: ﴿أَوَلَيْكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٣) ﴿لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ﴾ أنعم ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالاجتماع ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ يتخف الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على ما يناله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمير.

[٩١] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ فضلك ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالملك وغيره ﴿وَأَنْتَ﴾ مخففة، أي: إنا ﴿كُنَّا لَخٰطِئِينَ﴾ آثمين في أمرك فأذللناك. ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ﴾ عب ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ خصه بالذكر؛ لأنه مظنة التثريب غيره أولى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[٩٢] وسألهم عن أبيه فقالوا: ذهب عيناه، فقال: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقى في النار، كان في عنقه في الحب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال: إن فيه ريحاً ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي^(٤) ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾ بصر ﴿بَصِيرًا وَأَتُوفَى بِأَعْيُنِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٣] ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خرجت من عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضر من بنه وأولادهم: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوصلته إليه الضياء^(٥) ياذنه تعالى من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر ﴿أُولَئِكَ نَفَقِدُونَ﴾ تسفهون لصدقتهموني.

[٩٤] ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾ خطلك ﴿الْقَدِيرِ﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد.

يَكْبِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجَلَةٍ فَأَوْفَى لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَوَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ هَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَيْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُوفَى بِأَعْيُنِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ نَفَقِدُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾

[٨٧] ثم قال: ﴿يَكْبِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَأْتِسُوا﴾ تفتطوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ رحمته ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف.

[٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ﴾ الجوع

(١) أي مردودة.

(٢) جمع «زيف»، وهو الذي خلط به نحاس أو غيره مع الفضة، فيكون مرغوباً عنه.

(٣) أي التحقيق والتسهيل؛ فالقراءات أربع سبعة. وقرأ ابن كثير هنا بالخير ﴿إِنَّكَ﴾ وهي قراءة خامسة سبعة أيضاً.

(٤) ليس على ذلك دليل، وإنما هو من الإسرائيليات التي لا يعتمد مثلها في تفسير كلام الله، كما أن ظاهر نسبة القميص لنفسه التخييل خلاف ما ذكر، والله أعلم.

(٥) «الضياء»: ريح مهبط الشمس؛ إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها: «الظلمة»، وأخرج الشيخان من حديث ابن عباس مرفوعاً: «فُصِّرَتْ الضُّبَابُ، وَأَهْلَكَتْ عَادَ بِالْبُورِ».

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ حيث يقولون بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به عبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك»، يعنونها.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ غَنِيَّةٍ﴾ نعمة تغشاهم ﴿بَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله.

[١٠٨] ﴿قُلْ لَهُمْ: هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وفسرها بقوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى دِينِ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ آمن بي، عطف على ﴿أنا﴾ المبتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿وَسُبِّحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضاً.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء^(١) ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿مِنَ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار؛ لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم ﴿أَي: آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿غَيْرَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٢)، يا أهل مكة هذا فتوون.

[١١٠] ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي: فترأى نصرهم حتى ﴿إِذَا اسْتَيْسَسَ﴾ يس ﴿الرُّسُلَ وَظَلَمُوا﴾ أيقن الرسل^(٣) ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده، والتخفيف^(٤)؛ أي: ظن الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّي﴾ بنونين مشدداً ومخففاً، وبنون مشدداً ماض^(٥) ﴿مِن نَّشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَاتَ فِي فَصِّهِمْ﴾ أي: الرسل ﴿عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَعُ﴾ يختلق ﴿وَلَكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصاً بالذكر لا انتفاعهم به دون غيرهم.

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٨﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٩﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبِّحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١١﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلَ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّي مِّنْ نَّشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَاعِنَ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٢﴾ لَقَدْ كَانَ فِي فَصِّهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٣﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنَ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ هُوَ﴾ هو ﴿أَي: القرآن﴾ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِنَ آيَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون بها.

(١) بالياء قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٢) بالياء لحمة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) وهذا راجع لقراءة التشديد في ﴿كُذِّبُوا﴾.

(٤) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) حاصل ما ذكره ثلاث قراءات، وظاهر كلامه أنها كلها سبعة، وليس كذلك؛ فقراءة التشديد مع النونين قراءة شاذة، أما قراءة التخفيف مع النونين فيه للسبعة عدا عاصم وابن عامر.

سُورَةُ الرَّعْدِ

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُذَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجًّا وَأَنْهَارًا وَكُلٌّ مِنَ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِجًّا اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ لِئَلَّا يَلَّ التَّهَارُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ مَّجَارَاتٍ وَحِثَّتْ مِّنْ آعْنَابٍ مِّنْ آعْنَابٍ وَرِزْقٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَعِزٌّ صِنْوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِن تَعَجَبَ فَعَجِبْ قَوْلُهُمْ ۚ ذَاكَ نَاتِرًا ۚ يَا تَالْفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ ۚ فِي آعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

مكية إلا: «وَلَا بَرَأَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا» الآية، «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا» الآية. أو: - مدينة إلا: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا» الآيتين، ثلاث، أو: أربع، أو: خمس، أو: ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «الرَّعْدُ» الله أعلم بمراده بذلك «تِلْكَ» هذه الآيات «آيَاتُ الْكِتَابِ» القرآن، والإضافة بمعنى «من» «وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» أي: القرآن، مبتدأ خبره: «الْحَقُّ» لا شك فيه «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ»: أي: أهل مكة «لَا يُؤْمِنُونَ» بأنه من عنده تعالى.

[٢] «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» أي: العمد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً «ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» استواءه يليق به^(١) «وَسَخَّرَ» ذَلَّلَ «الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَجْرِي» في فلكه «لِأَجَلٍ مُّسَمًّى» يوم القيامة «يُذَبِّرُ الْأَمْرَ» يقضي أمر ملكه «يُفَصِّلُ» بين «الآيَاتِ» دلالات قدرته «لَعَلَّكُمْ» يا أهل مكة «بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ» بالبعث «تُوقِنُونَ».

[٣] «وَهُوَ الَّذِي مَدَّ» بسط «الْأَرْضَ وَجَعَلَ» خلق «فِيهَا رِجًّا» جبالاً نواب «وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِجًّا اثْنَيْنِ» من كل نوع «يُعْشَى» يغطي «الْأَيْلُ» بظلمته «النَّهَارُ» إِنَّ فِي ذَلِكَ المذكور «لَآيَاتٍ» دلالات على وحدانيته تعالى «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» في صنع الله.

[٤] «وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ» بقاع مختلفة «مِّنْ مَّجَارَاتٍ» مئلاصقات، فمنها طيب وسبخ، وقليل الربيع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى «وَجِئْتِ» سائتين «مِّنْ آعْنَابٍ وَرِزْقٌ» بالرفع عطفًا على «وَجِئْتِ»، والجر^(١) على «آعْنَابٍ»، وكذا قوله^(٢): «وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ» جمع صنو، وهي الثخيلات^(٣) يجمعها أصل واحد وتنشعب فروعها «وَعِزٌّ صِنْوَانٌ» منفردة «تُسْقَى» بالناء؛ أي: الجنات وما فيها، والياء^(٤)؛ أي: المذكور «بِمَاءٍ وَسِجْرِ وَنُفُضِلُ» بالنون والياء^(٥) «بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ» بضم الكاف وسكونها^(٦)؛ فمن حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى «إِنَّ فِي ذَلِكَ» المذكور «لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» يتدبرون.

[٥] «وَإِن تَعَجَبَ» يا محمد من تكذيب الكفار لك «فَعَجَبٌ»

حقيق بالعجب «قَوْلُهُمْ» منكرين البعث: «أَوَدَا كَمَا ذُرْبًا أَمَا لِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وترتها^(٨)، وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني^(٩)، وأخرى عكسه^(١٠) «أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي آعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

(١) سبق التعليق على هذا الإطلاق وأنه إذا كان تقويضًا في الكيفية فنع، وأما إن كان المراد نفي معناه من العلو والاستقرار فهذه طريقة أهل التأويل.
(٢) بالجر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.
(٣) وفي نسخة مطبوعة: «الثخيلات».
(٤) بالناء قراءة حمزة والكسائي.
(٥) بالجر قراءة حمزة والكسائي.
(٦) فهذه أربع قراءات.
(٧) حاصل ما ذكره المؤلف من القراءات ما يلي:
(٨) قرأ نافع والكسائي «أَوَدَا» بهمزتين؛ الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.
(٩) وقرأوا «أَوَدَا» بهمزة واحدة مكسورة على الخبر كل على أصله، فقالون يسهل الثانية في «أَوَدَا» ويدخل ألفًا بينها وبين الأولى، وورش يسهلها من غير إدخال، والكسائي يحققها من غير إدخال، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني وكل على أصله كذلك، فهشام يحققها مع الإدخال أولاً واحداً، وابن ذكوان يحققها بلا إدخال، وقرأ بقية السبعة بالاستفهام فيما وكل على قاعدته، فإن كثير بالتسهيل بلا إدخال، وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وعاصم وحزمة بالتحقيق من غير إدخال.

(١٠) قرأ نافع والكسائي «أَوَدَا» بهمزتين؛ الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.
(١١) وقرأوا «أَوَدَا» بهمزة واحدة مكسورة على الخبر كل على أصله، فقالون يسهل الثانية في «أَوَدَا» ويدخل ألفًا بينها وبين الأولى، وورش يسهلها من غير إدخال، والكسائي يحققها من غير إدخال، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني وكل على أصله كذلك، فهشام يحققها مع الإدخال أولاً واحداً، وابن ذكوان يحققها بلا إدخال، وقرأ بقية السبعة بالاستفهام فيما وكل على قاعدته، فإن كثير بالتسهيل بلا إدخال، وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وعاصم وحزمة بالتحقيق من غير إدخال.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفُورٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٨﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٩﴾ عَلَيْهِ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمَتَعَالِ ﴿١٠﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١١﴾ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنْ لَأَيْغُرَ مَا يَقُورُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُورُ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٣﴾ وَيَسْجِعُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُكَ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقوس؟ قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يفترون.

[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ من ذكر وأُنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ تنقص ﴿الْأَرْحَامُ﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزَادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر وحد لا يتجاوز.

[٩] ﴿عَلَيْهِ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم ﴿الْمَتَعَالَى﴾ على خلقه بالقهر^(١)، بياء ودونها^(٢).

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾ في علمه تعالى ﴿مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ مستتر ﴿بِاللَّيْلِ﴾ بظلامه ﴿وَسَارِبٌ﴾ ظاهر بذهابه في سرية^(٣) أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾.

[١١] ﴿لَهُ﴾ للإنسان ﴿مَعْقِبَتٌ﴾ ملائكة تتعقبه ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قدامه ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: بأمره من الجن وغيرهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيُرُ مَا يَقُورُ﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمصيبة ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُورُ سُوءًا﴾ عذابًا ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ أي: غير الله ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ زائدة ﴿وَالٍ﴾ بمنع عنهم.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصواعق^(٤) ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر^(٥) ﴿وَيُنشِئُ﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ بالمطر.

[١٣] ﴿رِيْسِجُ الرِّعْدُ﴾ هو ملك^(٦) موكل بالسحاب يسوقه متلبسًا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَيَسْجِعُ﴾ يسبح ﴿السَّحَابَ﴾ من الخيفته. أي: الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فتحرقه، وتنزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعو فقال: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو أم من فضة أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بيقحف^(٧) رأسه^(٨) ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ﴾ القوة أو الأخذ.

[٦] ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء: ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ الْعِذَابِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ جمع ﴿الْمَثَلَةُ﴾ بوزن ﴿الشُّمْرَةُ﴾؛ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفُورٌ لِلنَّاسِ عَلَيَّ﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ ولا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

(١) وهذا أحد معاني العلو الثابتة لله ﷻ، وله العلو التام؛ علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات، ولا يجوز قصر العلو على نوع واحد فقط.
(٢) في الوصل والوقف، فبالياء قرأ ابن كثير، على الأصل؛ لأن الألف واللام أذهبها التنوين الذي تحذف الياء من أجله، فرجعت الياء، وبالحذف قرأ الباقون اتباعًا للحط، واكتفاء بدلالة الكسرة على الياء.

(٣) قال في القاموس المحيط: السارب: الناهب على وجهه في الأرض.

(٤) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفًا وطمعًا للمسافرين والمقيمين معًا، فهو تارة يكون خيرًا، وأخرى شؤمًا للجمع.

(٥) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفًا وطمعًا للمسافرين والمقيمين معًا، فهو تارة يكون خيرًا، وأخرى شؤمًا للجمع.

(٦) أخرج الترمذي في كتاب التفسير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله... الحديث، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٢)، والمخاريق: جمع مخراق، والمراد به هنا آلة تخرج بها الملائكة السحاب. وقيل: المراد بتسييح المخلوقات من الجمادات وغير العقلاء: تسييح الدلالة؛ فكل محدث يدل على أن الله خالق قادر. وقيل: هذا التسييح حقيقة، ولا مانع من أن ينطق الله أي شيء بذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ وَالْعِثَى وَالْإِبْرَاقِ﴾، وقوله: ﴿الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ولا تعارض بين القولين؛ فالرعد ملك موكل بالسحاب، وهو يسبح بحمد ربه، كما أن المخلوقات كلها تسبح حقيقة بحمد الله، والله أعلم.

(٧) بكسر القاف؛ عظم الرأس الذي فوق الدماغ.

(٨) أخرج نحوه النسائي والبراز وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك (٩٩/٤) في الدر المنثور. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٤/١) رقم (٦٩٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة.

[١٤] ﴿لَهُمْ تَعَالَى دَعْوَةُ الْمُنَى﴾ أي: كلمته، وهي لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء^(١) يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبْسُطٍ﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿كَتَبَهُ إِلَى الْمَاءِ﴾ على شفير البئر يدعوهم ﴿يَبْتَغِ فَادُّ﴾ بارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَلِيغٍ﴾ أي: فاه أبداً فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا تَدْعَاؤُ الْكُفْرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام، أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ضياع.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالمنافقين ومن أكرهه بالسيف^(٢) ﴿وَمَنْ يَسْجُدْ﴾ ظللهم بِالْعُدْوَةِ الْبُكْرِ^(٣) ﴿وَالْأَصَالِ﴾ العشايا.

[١٦] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه فلا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَلْبِغُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتركتم مالكمها؟ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ نَسَوِيَ الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر ﴿وَالنُّورُ﴾ الإيمان؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَمِثْلِهِ فَتَشَبَّهَ الْفُلُوقُ﴾ أي: خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار؛ أي: ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلْ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لعباده. ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: [١٧] ﴿أَنْزَلَ﴾ تعالى ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَسَاءَتِ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ بمقدار ملئها ﴿فَأَخْتَمَلُ السَّيْلُ زَيْدًا رَابِيًا﴾ عالياً عليه، هو ما على وجهه من قدر ونحوه ﴿وَوَمَّا تَوَقَّدُونَ﴾ بالناء والياء^(٤) ﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿أَبْتَسَاءَ﴾ طلب ﴿حَلِيَّةٍ﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَّعَ﴾ يتنفع به كالأواني إذا أذيت ﴿زَيْدٌ مِثْلُهُ﴾ أي: مثل زيد السيل وهو خبيثه الذي يفتيه الكبر ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْخَبْثَ وَالزَّلَّةَ﴾ أي: مثلها ﴿فَأَمَّا الزُّبَيْدُ﴾ من السيل وما أودع عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ باطلاً مرمياً به ﴿وَأَمَّا مَا يَبْتَغِ النَّاسُ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُنُّ﴾ يبقى ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ زماناً، كذلك الباطل يضمحل وينمحى وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باق، ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾ يبيِّن ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسُطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِيغٍ وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ نَسَوِيَ الظُّلُمَاتُ وَالنُّورَ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَمِثْلِهِ فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَاءَتِ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَيْدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَيْدٌ مِثْلَهُ وَكَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْخَبْثَ وَالزَّلَّةَ فَامَّا الزُّبَيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْتَغِ النَّاسُ فَيَمْكُنُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلرَّبِّ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ وَلَوْ أَنَّ لَهُمْ مَتَاعِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَهَادُ

[١٨] ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ من العذاب ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ وهو المؤاخذه بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَا أُوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَهَادُ﴾ الفراش هي.

(١) ظاهره أنهما قراءتان سبعيتان، وليس كذلك، فالياء هي قراءة السبعة، أما التاء فشاذة.

(٢) هذا المعنى غير واضح، ولا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، والأقرب أن يقال: إن المراد بالسجود كرهاً: هو انقياد غير المؤمنين من الكفار والمنافقين لإرادته شيخانته وتديبه وتصرفه، لا يفقدون أن يمتنعوا عليه، وكذا تفاد له تعالى ظلالمهم، كما لا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفعالنا وعقولاً بها تسجد لله، كما خلقها للرجال وغيرها حتى اشتغلت بالنسيب، ويجوز أن يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعاً لأصحابها، وهذه الآية كقولها تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله: ﴿أَنْزَلَ تَبْرًا إِنَّكَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعُكَ ظِلْمُكَ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجْدًا لِلَّهِ وَرُحُوًّا دَرَجُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

(٣) جمع بكرة وهي من أول النهار.

(٤) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

عهد ﴿وَلَا يَنْفُضُونَ أَيْتَانَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض.
 [٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَحْتَسِبُونَ رِزْقَهُمْ﴾ أي: وعيده ﴿وَيَحْفَظُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ تقدم مثله.
 [٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿أَيْتَاءً﴾ طلب ﴿وَرَجَوْا رِزْقَهُمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا فِي الطاعة﴾ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ بَرًا وَعِلَانِيَةً وَيَدْرُوكَ ﴿يَدْفَعُونَ﴾ بِالْحَسَنَةِ الْكَسْبَةَ كالجهد بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَغْفَى اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

[٢٣] هي ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَوَالِدَاتِهِمْ وَأُولَئِيهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم، يكونون في درجاتهم تكريمة لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة، أو القصور أول دخولهم للجنة^(١).

[٢٤] يقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَيَمَنَّ اللَّهُ بِالَّذِينَ﴾ عقبكم.

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ رَحْمَةٍ اللَّهِ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ رِزْقٌ ﴿وَالَّذِينَ يَسْئُرُونَ الرِّزْقَ﴾ يوسعوه ﴿لَمَنْ يَسَاءُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿وَقَرَحُوا﴾ أي: أهل مكة فرح بظن ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بما نالوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب.

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا والبد والناقعة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلاله؛ فلا تغني عنه الآيات شيئا ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أُنَابَ﴾ رجع إليه. ويدل من ﴿مَنْ﴾ [٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: وعده ﴿أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: قلوب المؤمنين.

﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّما أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ إِنَّمَا يَذَكِّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ وَلَا يَنْفُضُونَ أَيْتَانَ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَحْتَسِبُونَ رِزْقَهُمْ وَيَحْفَظُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعِلَانِيَةً وَيَدْرُوكُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَمْ يَغْفَى اللَّهُ عَنْهُمْ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا يَذَكِّرُ الْقُلُوبُ﴾

[١٩] ونزل في حمزة وأبي جهل^(١): ﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّما أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فأمَّن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿إِنَّمَا يَذَكِّرُ﴾ يتعظ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ للمأخوذ عليهم وهم في عالم الذر، أو كل

(١) لم أقف في كتب أسباب النزول أو غيرها من كتب التفسير على ما يشهد لهذا القول، والمشهور أن الآية عامة في التفريق بين المؤمنين والكافرين كما ذكر ذلك قتادة وغيره. كما في الدر المنثور وتفسير الطبري وغيرهما. والله أعلم.

(٢) ولا دليل على هذا الحصر، وظاهر إطلاق الآية - عليه المفسرون - أنه غير مخصوص بهذا الوقت، بل يدخلون عليهم في غيره.

[٢٩] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ خبره: ﴿طَوْبَى﴾ مصدر من الطيب (١)، أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها (٢). ﴿لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَوْا﴾ مرجع.

[٣٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِئُوا﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له: وما الرحمن؟ ﴿فَلِإِنَّ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾.

[٣١] ونزل لما قالوا له: إن كنت نبياً فسئير عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً؛ لغرس ونزرع، وابتعت لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي (٣): ﴿وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا سَيَّرَتْ بِهِ أَلْجِبَالَ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قَطَّعَتْ﴾ شققت ﴿بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَلْ يَلَوُ الْأُمَمُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعاً في إيمانهم: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ بِعِلْمٍ﴾ (٤) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ مخفية؛ أي: أنه ﴿لَوْ يَسْأَلُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ يصنعهم؛ أي: كفرهم ﴿فَارْعَهُ﴾ داهية تفرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿أَوْ تَحُلْ﴾ يا محمد بجيشك (٥) ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعَدَّ اللَّهُ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْوَعْدَ﴾ وقد حل بالحدودية حتى أتى فتح مكة.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ كما استهزئ بك، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمَلَيْتُمْ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ لِحَدِيثِهِمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: هو واقع موقعه، فكذلك أفعل من استهزأ بك.

[٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر، وهو الله، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمَوْهُمْ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي: بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ في الأرض ﴿استفهام إنكار؛ أي: لا شريك له إذ لو كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أَمْ﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ رَيْنٌ لِلَّذِينَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طَوْبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَوْا ﴿٢٩﴾
كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِئُوا
عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا
سَيَّرَتْ بِهِ أَلْجِبَالَ أَوْ قَطَّعَتْ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ
بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَسْأَلُ
اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا تَصِيبُهُمْ
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تُحُلْ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعَدَّ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْوَعْدَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ
قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ لِحَدِيثِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمَوْهُمْ أَمْ تَتَّبِعُونَهُ وَبِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ رَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ
السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾

كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ مانع.

(١) قال الزمخشري: ﴿طَوْبَى﴾: مصدر من «طاب» كبشري وزلفي، ومعنى «طوبى لك»: أصبت خيراً وطيباً.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو يسير الراكب الجواب في ظلها لسار فيه مائة عام قبل أن يقطعها...» الحديث [البرق للثور (١١٣/٤)].

وجاء نحو هذا المعنى في حديث رواه أحمد (١١٢٤٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، ووضحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٩/٤) رقم (١٩٨٥) وحسنه في صحيح الجامع (٣٩١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٥/١٢) رقم (١٢٦١٧) عن ابن عباس، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥٥٦/٩)، رقم (٥٥٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣/٧): «رواه الطبراني، وفيه قابوس بن أبي طيبان، وقد وثق».

(٤) وهي لغة هوازن؛ حيث يطلقون «بئس» على معنى «علم».

(٥) والقول الآخر، وهو الظاهر من السياق؛ أن الضمير يعود إلى الفارعة؛ أي: تصيب من حولهم؛ ليعتظوا ويعتبروا.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبُ﴾ كعب الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين اليهود ﴿مَنْ يُكِبِّرْ بِعَضُدٍ﴾ كذكر الرحمن وما عدا القصص ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنزِلَتْ﴾ فيما أنزل إلي ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ﴾ إِلَيْهِ ادْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿مرجعي﴾.

[٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أُنزِلَتْ﴾ أي: القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلَمَّا اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿بِمَدِّ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَالِدِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ زَائِلَةٍ﴾ ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ مانع من عذابه.

[٣٨] ونزل لما عيروه بكثرة النساء^(١): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ أولاداً وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مدة ﴿كِتَابٍ﴾ مكتوب فيه تحديده.

[٣٩] ﴿يَمْحُوا اللَّهُ﴾ منه ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)، فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا﴾ فيه ادغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿فُرْسُوكَ﴾ بعض الذي تؤدبهم ﴿به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَنْ تَتُوبَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ ما عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم.

[٤١] ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿تَنْفُصًا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لَا مَعْزِبَ﴾ لا راد ﴿لِحُكْمِهِ﴾ وهو سريع الحساب.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بأبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليس مكروهم كمكروه؛ لأنه - تعالى - ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعد لها جزاءه، وهذا هو المكر كله؛ لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ المراد به الجنس، وفي قراءة: ﴿الْكُفَّارُ﴾^(٣) ﴿لَمَنْ عَقِبَ الدَّارِ﴾؛ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم النبي ﷺ وأصحابه.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
﴿أَكُلُوهَا ذَائِمًا وَيَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾
﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ أَكْثَبُ﴾
﴿يَمَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُكِبِّرُ بِعَضُدٍ وَقُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ ادْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾
﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَمَّا اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾
﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾
﴿وَأَمَّا فُرْسُوكَ﴾
﴿بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيْتِكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾
﴿أَوْ لَيَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْزِبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لَمَنْ عَقِبَ الدَّارِ﴾

[٣٥] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فيما تُفصِّلُ عليكم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ما يؤكل فيها ﴿ذَائِمًا﴾ لا يفتى ﴿وَيَظِلُّهَا﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿تِلْكَ﴾ أي: الجنة ﴿عُقْبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

(١) كان تعبيرهم له ﷺ بذلك بقصد الطعن في نبوته ﷺ.

(٢) وهما قراءةتان سبعيتان، وبالتشديد قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٣) والقراءة المفسرة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

وَقَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سورة ابراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَقِيلُ
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فِيضْلَ اللَّهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكَ: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ لَهُمْ: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى. * * *

سورة ابراهيم

[مكية إلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا﴾ الآيتين فمدنيتان . وآياتها :

إحدى، أو : اثنتان، أو : أربع، أو : خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا القرآن ﴿كَتَبْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ وبإذن من ﴿إِلَى النُّورِ﴾: ﴿إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقِ﴾ الْعَزِيزِ الْعَالِمِ الْحَمِيدِ الْحَمُودِ.
[٢] ﴿اللَّهُ﴾ بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة، والرفع (١) مبتدأ خبره: ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً وَوَقِيلُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.
[٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق.
[٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿فِيضْلَ اللَّهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.
[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ التسع، وقلنا له: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ بنعمه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير ﴿لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنعمة.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يعث الله نبيًا إلا بلغة قومه». (المسند ١٨٥/٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٩٧).

(١) بالرفع قراءة نافع وابن عامر.

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيُدْعَوْنَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَدْعُونَ أَوْلَادَكُمْ لِأَنْ يَكُونُوا لَكُمْ آيَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّكُمْ لَفِي ذَلِكُمْ لَعَلَّامُونَ﴾

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ قُلُوبُهُمْ لَمَّا وَدَّعُوا وَاعِدَ بِالَّذِي أُوعِدُوا فَاسْتَكْبَرُوا فَسَجَدَ لَهُمْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعَدَابِ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[٨] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنْتُمْ رَسُولُ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ مِنْهُ وَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْ أَنْبِيَائِ اللَّهِ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحَقِّ الْمُبِينِ﴾

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ﴾

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيُدْعَوْنَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَدْعُونَ أَوْلَادَكُمْ لِأَنْ يَكُونُوا لَكُمْ آيَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّكُمْ لَفِي ذَلِكُمْ لَعَلَّامُونَ ﴿٦﴾

لَيْنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَعْيُنَهُمْ فِي آفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَنَا عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٠﴾

(١) هذا قول ابن مسعود، وقيل: معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت. وقيل: بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكديبا لهم. وقيل: بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وعدم الإيمان بهم. وقيل غير ذلك.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلْيَصْرَبَنَّ
عَلَىٰ مَاءِ آذْيُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُصْرِكُمْ مِنْ أَرْضَاتنا
أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَسُكِّنَكُمْ فِي مَلِكِنَا وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا
بِآيَاتِنَا وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٤﴾
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٥﴾
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٦﴾
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٨﴾
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٩﴾
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ ﴿١١﴾ مَا ﴿١١﴾ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴿١١﴾ كما
قلتم ﴿١١﴾ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿١١﴾ بالنسبة ﴿١١﴾ وَمَا كَانَ ﴿١١﴾ ما
ينبغي ﴿١١﴾ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١١﴾ بأمره؛ لأننا عبيد مربيون
﴿١١﴾ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يتقوا به.
﴿١٢﴾ ﴿١٢﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَحْنُ ﴿١٢﴾ لَأَنْتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ ﴿١٢﴾ أي: لا مانع لنا من ذلك
﴿١٢﴾ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلْيَصْرَبَنَّ ﴿١٢﴾ عَلَىٰ مَا آذَيْنَاكُمْ ﴿١٢﴾ عَلَىٰ آذَانِكُمْ ﴿١٢﴾ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾.
﴿١٣﴾ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُصْرِكُمْ مِنْ أَرْضَاتنا أَوْ
لَنَعُودَنَّ ﴿١٣﴾ لِنَصْرِكُمْ ﴿١٣﴾ فِي مِلَّتِنَا ﴿١٣﴾ دِيننا ﴿١٣﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ الكافرين.
﴿١٤﴾ ﴿١٤﴾ وَلَسُكِّنَكُمْ فِي مَلِكِنَا أَرْضَهُمْ ﴿١٤﴾ أَرْضَهُمْ ﴿١٤﴾ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿١٤﴾ بعد هلاكهم
﴿١٤﴾ ذَلِكَ ﴿١٤﴾ النَّصْرُ وَإِلْرَاقِ الْأَرْضِ ﴿١٤﴾ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴿١٤﴾ أي: مقامه بين يدي
﴿١٤﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٤﴾ بالعذاب.
﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴿١٥﴾ اسْتَنْصَرَ الرُّسُلَ بِاللَّهِ عَلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴿١٥﴾ وَخَابَ ﴿١٥﴾ خَسِرَ
﴿١٥﴾ كُلُّ جَبَّارٍ ﴿١٥﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿١٥﴾ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ معاند للحق.
﴿١٦﴾ ﴿١٦﴾ وَمِنْ وَرَائِهِ ﴿١٦﴾ أي: أمامه ﴿١٦﴾ جَهَنَّمُ ﴿١٦﴾ يدخلها ﴿١٦﴾ وَرُسُلٌ ﴿١٦﴾ فيها ﴿١٦﴾ مِنْ
مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطاً بالقيح والدم.
﴿١٧﴾ ﴿١٧﴾ يَنْجَرِعُهُ ﴿١٧﴾ يتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿١٧﴾ وَلَا يَكَادُ ﴿١٧﴾
يُسْبِغُهُ ﴿١٧﴾ يزدده لقبحه وكرامته ﴿١٧﴾ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ ﴿١٧﴾ أي: أسبابه المقتضية له
من أنواع العذاب ﴿١٧﴾ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِسَيِّئٍ ﴿١٧﴾ وَمِنْ وَرَائِهِ ﴿١٧﴾ بعد
ذلك العذاب ﴿١٧﴾ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ قوي متصل.
﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾ مِثْلُ ﴿١٨﴾ صفة ﴿١٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْبِهَتْ ﴿١٨﴾ مبتدأ، ويبدل منه:
﴿١٨﴾ أَعْمَلُهُمْ ﴿١٨﴾ الصالحة؛ كصلة وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿١٨﴾ كَرَمَادٍ
أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴿١٨﴾ شديد هبوب الريح فجعلته هباءً منثوراً لا
يقدر عليه، والجرور خبر المبتدأ ﴿١٨﴾ لَا يَقْدُرُونَ ﴿١٨﴾ أي: الكفار ﴿١٨﴾ وَمَا كَسَبُوا ﴿١٨﴾
عملوا في الدنيا ﴿١٨﴾ وَعَلَىٰ شَيْءٍ ﴿١٨﴾ أي: لا يجدون له ثواباً^(١)؛ لعدم شرطه^(٢)
﴿١٨﴾ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ ﴿١٨﴾ الهلاك ﴿١٨﴾ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾.

(١) أي في الآخرة. بل يبايون عليه في الدنيا كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة؛ يُعطي بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة. أما الكافر؛ فيقطع بحسنات ما عمل لله في الدنيا، حتى إذا أنفى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بهاء». رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٢) وهو الإيمان.

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئُودَ يُدْبِرُكُمُ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾
الناس ﴿وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلکم.
[٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[٢١] ﴿وَوَرَوْا﴾ أي: الخلائق، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي؛ لتحقق وقوعه ﴿وَلِيَّ جَمِيمًا فَقَالَ الضُّعْفُورُ لِلذَّبَّابِ اسْتَكَرُوا﴾ للذَّبَّابِ اسْتَكَرُوا﴾ المتبوعين:
﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَعَا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ تَتْرُقُ﴾ «من» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا﴾ المتبوعون: ﴿لَوْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ لدعواكم إلى الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنَ نَارٍ زَائِدَةٌ تَحْبِصِينَ﴾ ملجأ.

[٢٢] ﴿وَقَالَ السَّيِّطُونَ﴾ إبليس ﴿لَمَّا فَصَى الْأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدَكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ سلطة ﴿قوة وقدرة أقهركم على متابعتي﴾ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيتكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ بفتح الياء وكسرها^(٥) ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٣] ﴿وَأَدْخَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدره ﴿فِيهَا يَأْذَنُ رَبُّهُمْ لِيُحْيِيَهُمْ﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿كُنْجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا تَائِبٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾^(٦).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئُودَ يُدْبِرُكُمُ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَرَوَوْا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعْفُورُ لِلذَّبَّابِ اسْتَكَرُوا وَإِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَعَا فِهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنَ النَّارِ مِمَّا حَبِصَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ السَّيِّطُونَ لَمَّا فَصَى الْأَمْرَ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يَأْذَنُ رَبُّهُمْ لِيُحْيِيَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: وأخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحتمل. أي تسقط. ورقها؟. فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم وتم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلموا قال النبي ﷺ: وهي النخلة. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة إبراهيم (١٤) باب (١) ﴿كُنْجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وأخرجه مسلم. كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١٥) المؤمن مثل النخلة.

تُؤْتِي أَكْهَامًا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿٢٥﴾
 لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
 كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
 قَرَارٍ ﴿٢٧﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
 مَا يَشَاءُ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
 وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٩﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَنَسَّ
 الْقَرَارَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴿٣١﴾ قُلْ
 تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٢﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴿٣٣﴾ اللَّهُ الَّذِي
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ
 فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٤﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٥﴾

﴿٢٥﴾ ﴿تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿أَكْهَامًا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾
 بإرادته، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء
 ويناله بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾ بين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يعظون فيؤمنون.

﴿٢٦﴾ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي
 الخنظل ﴿اجْتُثَّتْ﴾ استوصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ مستقر
 وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة.

﴿٢٧﴾ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد
 ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: في القبر لما يسألهم الملكان عن
 ربهم ودينهم ونبئهم فيجيئون بالصواب - كما في حديث الشيخين (١)
 ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون:
 لا ندري كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: شكرها
 ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وَأَسْلَوْا﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم
 ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ الهلاك.

﴿٢٩﴾ ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَنَسَّ
 الْقَرَارَ﴾ القرهي.

﴿٣٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بفتح الباء وضمها (٢)
 ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿تَمَتَّعُوا﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فَإِن
 مَصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
 وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِدَاءٍ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾ مُخَالَةً؛ أي:
 صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

﴿٣٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ
 فِي الْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ يادنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾ جارين في فلكهما لا
 يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

(١) أخرج نحوه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١) عن البراء بن عازب مرفوعاً.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

مُهْطِعِينَ مَقْبَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ حُجِّبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُولَٰئِكَ تَكُونُوا آفَئِسْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَالَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ ۗ رُسُلَهُ آيَاتٌ لِلَّذِينَ عَزِيزٌ دُونَهُمْ أَنْ يَدْخُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءَ تَنْزِيلًا ۗ وَرَبُّكَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤٧﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٨﴾ سَرَابِلُهُمْ مِنْ فَطْرَانَ ۖ وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٤٩﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٠﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيُعَاظَمُوا أَنَّهَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَلِيَذَكِّرَ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابَ ﴿٥١﴾

نهار من أيام الدنيا لحديث^(٧) بذلك.

[٥٢] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: أنزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذِرَ وَيُعَاظَمُوا﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّهَا هُوَ﴾ أي: الله ﴿وَلِيَذَكِّرَ﴾ يادغام التاء في الأصل في الذال؛ يتعظ ﴿أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول

[٤٣] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين، حال ﴿مَقْبَعِي﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية من العقل لفرغهم.

[٤٤] ﴿وَأَنْذِرِ﴾ خَوْفٌ يَا مُحَمَّدُ ﴿النَّاسَ﴾ الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا: ﴿رَبَّنَا آخِرْنَا﴾ بأن تردنا إلى الدنيا ﴿إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ حُجِّبْ دَعْوَتَكَ﴾ بالوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ يقال لهم توييحًا: ﴿أُولَٰئِكَ تَكُونُوا آفَئِسْتُمْ﴾ حلفتم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿مَالَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ زائدة ﴿زَوَالٍ﴾ عنها إلى الآخرة.

[٤٥] ﴿وَسَكَتُمْ﴾ فيها ﴿فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ في القرآن، فلم تعتبروا.

[٤٦] ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ بالنبي ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: علمه أو جزاؤه ﴿وَأِنْ مَا كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾ وإن عظم ﴿لِيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ المعنى: لا يعا به ولا يضر إلا أنفسهم، والمراد بالجبال هنا حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات، وفي قراءة^(١) بفتح لام ﴿لِيَتَزُولَ﴾ ورفع الفعل، فإذ «إن» مخففة، والمراد تعظيم مكْرهم، وقيل: المراد بالمكر كفرهم، ويناسبه على الثانية^(٢): ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرُنَّ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾^(٣)، وعلى الأولى: ما قرئ^(٤): ﴿وما كان﴾.

[٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ ۗ رُسُلَهُ﴾ بالنصر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُو أَنْبَاءٍ﴾ ممن عصاه.

[٤٨] اذكر ﴿يَوْمَ يَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءَ﴾ هو يوم القيامة، فيحشر الناس على أرض بيضاء نفية كما في حديث الصحيحين^(٥)، وروى مسلم حديث: سئل النبي ﷺ: أين الناس يومئذ؟ قال: ﴿على الصراط﴾^(٦)، ﴿وَيَسْرُورًا﴾ خرجوا من القبور ﴿لِلَّذِينَ الْفَقَّارِ﴾.

[٤٩] ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد، تبصر ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود أو الأغلال. [٥٠] ﴿سَرَابِلُهُمْ﴾ قمصهم ﴿مِنْ فَطْرَانَ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وَتَعَشَى﴾ تعلق ﴿وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾.

[٥١] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ «يرزوا» ﴿اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف

(١) للكسائي.

(٢) أي: القراءة الثانية.

(٣) مريم: ٩٠.

(٤) أي: الذي قرئ، وهي قراءة شاذة أي قرئ شاذًا: ﴿وما كان مكْرهم...﴾.

(٥) البخاري (٥٥١٠) ومسلم (١٩٤٢) عن سهل بن سعد مرفوعًا.

(٦) مسلم (١٩٤٢) من حديث عائشة.

(٧) أخرج الطبري (٢٥٩/١٩) عن إبراهيم في قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف قنبل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار.

وأخرج نحوه عن ابن جريج وكذلك ذكره ابن كثير عن سعيد بن عبيد (٣٠٤/٣)، وكذلك البغوي عن عطاء عن ابن عباس ومقاتل (٢٢١/٨)، وسبق بيان أن السيوطي رحمه الله قد

سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيَّةَ إِنَّكَ الْكَتَبَ وَقَرَأَ مِنْ مَبِينٍ ① زُبَيْرًا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَكَاؤُا مُسْلِمِينَ ② ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ ④ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ⑤ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ⑥ لَوْ مَا تَأْتِيَنَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ⑦ مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ⑧ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ⑩ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ⑪ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ⑫ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ⑬ وَوَفَّحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ⑭ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أُنصُرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ⑮

سُورَةُ الْحَجَرِ

[مكية، تسع وتسعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] الرُّيَّةُ: اللهُ أعلم بمراده بذلك ﴿وَيْلٌ لَكَ﴾ هذه الآيات ﴿إِنَّكَ﴾ بالكتاب ﴿القرآن﴾، والإضافة بمعنى «من» ﴿وقرأ من مبین﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

[٢] ﴿زُبَيْرًا﴾ بالشديد والتخفيف (١) ﴿يَوْمَ﴾ ينمى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا عابوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ و«رُبَّ» للتكثير فإنه يكثر منهم تمنى ذلك، وقيل: للتقليل فإن الأحوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة.

[٣] ﴿ذَرَهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ﴾ يشغلهم ﴿الْأَمْلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٤] ﴿وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ محدود لإهلاكها.

[٥] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه.

[٦] ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٧] ﴿لَوْ مَا تَأْتِيَنَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولك: إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله.

[٨] قال - تعالى -: ﴿مَا تَنْزَّلُ﴾ (١) فيه حذف إحدى التاءين ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ إلا بِالْحَقِّ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا﴾ حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُنْظَرِينَ﴾ مؤخرين.

[٩] ﴿وَإِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ تأکید لاسم «إن» أو فصل (٢) ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التبديل والتعريف والزيادة والنقص.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ فرق ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[١١] ﴿وَمَا كَانُوا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كان ﴿بِأَنْبِيَاءِ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[١٢] ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كفار مكة.

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

[١٤] ﴿وَوَفَّحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون.

[١٥] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أُنصُرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ يعجل إلينا ذلك.

(١) بالشديد قراءة السبعة عدا نافع وعاصم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وعندهم ﴿الملائكة﴾ بالرفع، وقرأ شعبة كذلك لكن بضم التاء، وقرأ حفص وحزرة والكسائي: ﴿ما نزل الملائكة﴾ بالنون ونصب ﴿الملائكة﴾.

(٣) ضمير فصل، واعتراض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة ولا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك، فالأولى الاختصار على الأول.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل، والثور، والجزءاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: «الريخ» وله الحمل والعقرب، «الزهره» ولها الثور والميزان، و«عطارد» وله الجزءاء والسنبلة، و«القمر» وله السرطان، و«الشمس» ولها الأسد، و«المشتري» وله القوس والحوت، و«زحل» وله الجدي والدلو ﴿وَرَزَقْنَاهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾.

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ بالشهب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ مرجوم.

[١٨] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مِمَّنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ﴾ حطفه ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ كوكب يضيء ويحرقه أو يقبه أو يخيله.

[١٩] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت؛ لئلا تتحرك بأهلها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّزْرُوعٍ﴾ معلوم مقدر.

[٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَاسِكَ﴾ بالياء^(١) من الثمار والحبوب ﴿وَوَجَّعْنَا لَكُمْ﴾ من أنتم ﴿لَمْ يَزِفْتَيْنِ﴾ من العبيد والدواب والأنعام فيما يزرعهم الله.

[٢١] ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ ما ﴿مِنْ زَائِدَةٍ﴾ إلا عندنا ﴿خَزَائِرُهَا﴾ مفاتيح خزائنه ﴿وَمَا نَزَّلْنَاهُ﴾ إلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿عَلَى حَسَبِ الْمَصَالِحِ﴾.

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوْفِحٍ﴾ تلقح السحاب فيمطر ماء^(٢) ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ السَّحَابَ مُمَدَّدًا﴾ مطراً ﴿فَأَنْفَقْنَاكُمْ مَاءً﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم.

[٢٣] ﴿وَأَنَّا لَنَسْفَعُ النَّبِيِّينَ سَعْيًا﴾ ونبيئهم ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون، نرث جميع الخلق.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِلِينَ مِنْكُمْ﴾ أي: من تقدم من الخلق من لدن آدم^(٣) ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِلِينَ﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة.

[٢٥] ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْكُمُهُمْ إِنَّهُمْ جَحِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة إذا نقر ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾ طين أسود ﴿مَسْنُونٍ﴾ متغير.

[٢٧] ﴿وَالْجِبَانَ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل خلق آدم ﴿مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ من المسام.

[٢٨] ﴿وَوَجَّعْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَاسِكَ﴾ أي: قبل خلق إبليس ﴿وَأَنَّا لَنَسْفَعُ النَّبِيِّينَ سَعْيًا﴾ نرث جميع الخلق.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَزَقْنَا بِهَا النَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾
 وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِمَّنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ
 فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
 رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّزْرُوعٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
 فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
 عِنْدَنَا خِزْيَانُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
 الرِّيْحَ لَوْفِحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ
 لَهُ بِمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَأَنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
 وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِرِينَ
 ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْكُمُهُمْ إِنَّهُمْ جَحِيمٌ عَلَيْهِمْ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
 الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجِبَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ
 قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا
 مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
 مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾^(٤) أخرجت ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾
 فصار حيًا، وإضافة الروح إليه تشریف لآدم ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سجدوا تحية
 بالإنحاء.

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه تأكيدان.

[٣١] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع من أن
 يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج السائي عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس. قال: فكان بعض القوم يتقدم في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف الأخير فإذا ركع نظر من تحت إبطه؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِلِينَ مِنْكُمْ﴾. ولقد عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِرِينَ. السائي - كتاب الإمامة (١٠) باب (٦٢) المفرد خلف الصف. (صحيح) صحيح سنن السائي (٨٣٨).

(١) أي: باتفاق السبعة؛ لأنها في المفرد أصلية.

(٢) وأيضًا فالرياح بتصرف الله لها تلقح الزرع والشجر، ولولا ذلك لم تنتج الحب والتمر، وعملية التلقيح هذه للزرع والشجر تشبه تأثير النخل الذي يقوم به الإنسان. والله أعلم.

(٣) الذي اختاره المصنف في تفسير الآية هو ما رجحه ابن جرير بكلامه، قال: دلالة ما قبله من الكلام وهو قوله: ﴿وَأَنَّا لَنَسْفَعُ النَّبِيِّينَ سَعْيًا﴾. وما بعده، وهو قوله: ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْكُمُهُمْ﴾. على أن ذلك كذلك. اهـ. ولا تعارض بين حمل الآية على هذا المعنى أخصًا بالعموم، مع صحة ما ذكره كسب اللزوم، والله أعلم.

(٤) وفيها إثبات صفة النسخ لله - جلَّ في علاه -، على الوجه اللائق به سبحانه.

[٣٤] ﴿قَالَ فَاحْرَجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السموات ﴿فَأَنَّكَ بَجِيمٌ﴾ مطرود.

[٣٥] ﴿وَأَنَّ عَلَيْنَا اللَّعْنَةَ لِيَوْمِ الَّذِينَ﴾ الجزاء.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ يَا آغْرِبْتَنِي﴾ أي: يا غوائلك لي، والباء للقسمة وجوابه:

﴿لَأَرْبِتَنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٤٢] ﴿وهو﴾ وإنَّ عِبَادِي﴾ أي: المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ قوة

﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الكافرين.

[٤٣] ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْجِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من اتبعك معك.

[٤٤] ﴿لَمَّا سَبَعَهُ أَبْوَابُ﴾ أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿بِئْتَهُمْ جَزَاءً﴾

نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُمُورٍ﴾ تجري فيها.

[٤٦] ويقال لهم: ﴿أَدْخَلُوهُمْ سَكِينًا﴾ أي: سألين من كل مخوف، أو مع

سلام؛ أي سلّموا، وادخلوا ﴿عَامِرِينَ﴾ من كل فرع.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ حقد ﴿إِخْوَانًا﴾ حال منهم

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٥) حال أيضا؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض

ل دوران الأسرة بهم.

[٤٨] ﴿لَا يَسْتَهْمُونَ فِيهَا نَجَسًا﴾ تعب ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ﴾ أبدا.

[٤٩] ﴿نَجَاتٍ﴾ نجى يا محمد ﴿عِبَادِي﴾ أي: أنا العفّور ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿الرَّحِيمِ﴾ بهم.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ المؤلم.

[٥١] ﴿وَيُنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِزْرِهِمْ﴾ وهم الملائكة اثنا عشر أو عشرة أو

ثلاثة منهم جبريل^(٦).

قَالَ يَا بَلِيسَ مَا لَكَ الْآتُكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ
لِأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ وَمَنْ صَالَصِلَ مِنْ حِمَامَسُونِ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَاحْرَجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
الَّذِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ يَا
آغْرِبْتَنِي لِأَرْبِتَنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْجِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُمُورٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخَلُوهُمْ سَلَامًا مِنْ أَمِينٍ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَجَسٌ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
* نَبَّيْ عِبَادِي أَيُّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَيُنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِزْرِهِمْ ﴿٥١﴾

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَا بَلِيسَ مَا لَكَ الْآتُكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ لا يبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ وَمَنْ صَالَصِلَ مِنْ حِمَامَسُونِ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدْ﴾ لا يبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ وَمَنْ صَالَصِلَ مِنْ حِمَامَسُونِ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يزيد بن زريع: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ ... أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمن من النار، فيحبسون على قطرة بين الجنة والنار، فيفصل بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا وتُقروا أذن لهم في دخول الجنة، فرأى نفس محمد يده لأحدهم أهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزلة كان في الدنيا». البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٨) القصاص يوم القيامة.

(١) ذكر عددهم ليس عليه دليل صحيح، وليس منه كبير فائدة.

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون.
 [٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ ذي علم كثير، هو إسحاق، كما ذكر في سورة هود.
 [٥٤] ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَنْ أَنْ مَسَّنِي الْكَبِيرُ﴾ حال؛ أي: مع مسه بإيها ﴿فِيمَ﴾ بأي شيء ﴿نُبَشِّرُونَ﴾ استفهام تعجب.
 [٥٥] ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفٰنِطِينَ﴾ الآسین.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿تَقْبِطُ﴾ بكسر النون وفتحها^(١) ﴿وَمَنْ رَحِمَهُ رَبِّي إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الكافرون.
 [٥٧] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿إِنِّي الْمُرْسَلُونَ﴾.
 [٥٨] ﴿قَالُوا إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَى قَوْمِ نَجْرٍ مِنْكُمْ﴾ كافرين؛ أي: قوم لوط لاهلاكهم.
 [٥٩] ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّرُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لإيمانهم.
 [٦٠] ﴿إِلَّا أُمَّرَأَةً مَدْرَأَةً إِنَّا لَمِنَ الْفٰنِطِينَ﴾ الباقي في العذاب لكفرها.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ لوطا ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾.
 [٦٢] ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَشْكُرُونَ﴾ لا أعرفكم.
 [٦٣] ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون، وهو العذاب.

[٦٤] ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَمَصِدُقُونَ﴾ في قولنا.
 [٦٥] ﴿فَأَنزِلْ بِأَهْلِكَ يَقْطِعَ مِنَ الْبَيْتِ وَاتَّبِعْ أَذْيَبَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ فلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنْتَ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٍ مُصْحِحِينَ﴾ حال؛ أي: يتم استئصالهم في الصباح.
 [٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم، وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط فردًا حسنًا وهم الملائكة ﴿بَسْتَبِيرُونَ﴾ حال، طمعًا في فعل

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكَبِيرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ رَحِمَهُ رَبِّي إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَى قَوْمِ نَجْرٍ مِنْكُمْ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَى قَوْمِ نَجْرٍ مِنْكُمْ كَافِرِينَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا إِنَّا لَمُنَجِّرُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا إِنَّا لَمِنَ الْفٰنِطِينَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦١﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَمَصِدُقُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا إِنَّا لَمُنَجِّرُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٧﴾

الفاحشة بهم.

[٦٨] ﴿قَالَ لُوطُ﴾ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ صَبِيحِي فَلَا تَقْضُرُونِي﴾.

[٦٩] ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونَ﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نُنهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن إضافتهم.

طين طين النار.

[٧٥] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ للناظرين المعتبرين.

[٧٦] ﴿وَأَنبَأَهَا﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿لِيَسْبِيلَ مَقِيمٍ﴾ طريق قريش إلى الشام لم تدرس، أفلا يعتبرون بهم؟ [٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَإِن مِّن مَّخْفَافَةٍ أَوْ مِمَّا يَنْظُرُونَ﴾ إنه ﴿كَانَ أَحْسَبُ الْآيَاتِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين، وهم قوم شعيب ﴿لَطَالِيُونَ﴾ بتكذيبهم شعيباً.

[٧٩] ﴿وَأَنبَأْنَا مَنبَأَهُمْ﴾ بأن أهلكتهم بشدة الحر ﴿وَأَنبَأْنَا﴾ أي: قرى قوم لوط والآية^(١) ﴿لِيَأْمُرَ﴾ طريق ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟! [٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحْسَبُ الْحَجَرِ﴾ واد بين المدينة والشام، وهم ثمود ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم صالحاً، لأنه تكذيب لباقى الرسل لا اشتراكهم في الجيء بالوحيد.

[٨١] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَانَا فِي النَّاقَةِ﴾ في الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا ينفكرونها فيها.

[٨٢] ﴿وَكَانُوا يَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي أُوتُوا بِهَا﴾.

[٨٣] ﴿فَأَلْقَيْنَاهُمُ الصَّخِرَةَ مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح.

[٨٤] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ عَذَابَ الْجَهَنَّمَ﴾ العذاب ﴿مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال.

[٨٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لا محالة فيجازى كل أحد بعمله ﴿فَأَصْفَحْ﴾ يا محمد عن قومك ﴿الصَّفْحَ الْجَبِيلِ﴾ أعرض عنهم إعراضاً لا جرح فيه، وهذا منسوخ بآية السيف.

[٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لكل شيء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَنَائِفِ﴾ قال ﷺ: «هي الفاتحة» رواه الشيخان^(٢)؛ لأنها تنشئ في كل ركعة ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

[٨٨] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِّنْهُمُ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أن جانبك ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٨٩] ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿الْعَذَابَ﴾ البين الإندار.

[٩٠] ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾ العذاب ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) اليهود والنصارى.

قَالَ هَلْؤَلَا بَنَاتٍ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٥﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّخِرَةُ مُمْسِكِينَ ﴿٧٧﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٩﴾ وَأَنبَأْنَا مَنبَأَهُمْ مُّقِيمٍ ﴿٨٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ وَإِن كَانَ أَحْسَبُ الْآيَاتِ لَطَالِيِينَ ﴿٨٢﴾ فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمُ وَإِنَّمَا لِيَا مَأْمُورِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحْسَبُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٤﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٥﴾ وَكَانُوا يَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي أُوتُوا بِهَا ﴿٨٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّخِرَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٧﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٨﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَبِيلِ ﴿٩٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٩٢﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٩٤﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٥﴾

[٧١] ﴿قَالَ هَلْؤَلَا بَنَاتٍ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن.

[٧٢] قال - تعالى -: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي: وحياتك^(١) ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يرددون.

[٧٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّخِرَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُمْسِكِينَ﴾ وقت شروق الشمس.

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾: قال: فأنما يبعض وكفروا ببعض: اليهود والنصارى. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجر (١٥) باب (٤) ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾. ويؤخذ من هنا أن ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ من القسمة؛ أي فرقوا وقسموا ما أنزل عليهم فأنما يبعضه وكفروا ببعضه. وقال البخاري: ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: الذين حلفوا. قال الحافظ في الفتح (٢٣٤/٨): وهكذا جعل المقتسمين من القسم بمعنى الحلف، والمعروف أنه من القسمة، وبه جزم الطبري وغيره، وسياق الكلام يدل عليه...
وقال ابن كثير: ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ أي المتحالفين؛ أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم... تفسير ابن كثير (٥٢٨/٢).

(١) ولله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس ذلك للبشر، فلا يجوز لهم الحلف إلا بالخلفهم ﷻ. (٢) أي: وأصحاب الآية.

(٣) سبق ترجمته في أول سورة الفاتحة.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَّيَاكَ لِنِسْتَأْنَهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعَ بِمَا تَوَمَّرُوا وَعَرَضَ
 عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْتَنكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
 يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
 أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾
 يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ
 خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾
 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَىٰ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

[٤] خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ مَتْنِي إِلَىٰ أَنْ صِيَرَهُ قُوًيًا شَدِيدًا ﴿١﴾ فَإِذَا
 هُوَ خَصِيمٌ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ ﴿٢﴾ مَتْنِي ﴿٤﴾ فِي نَفْيِ الْبَعثِ قَائِلًا: ﴿٥﴾ مَنْ
 يُبْحِي الْعَظْمَ وَهِيَ رَمِيمَةٌ ﴿٦﴾.

[٥] وَالْأَنْعَامَ ﴿١﴾ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالغَنَمِ، وَنَصَبَهُ بِفِعْلِ مَقْدَرٍ يَفْسُرُهُ:
 خَلَقَهَا لَكُمْ ﴿٢﴾ مِنْ جَمَلَةِ النَّاسِ ﴿٣﴾ فِيهَا دِفْءٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْتَدْفُونَ بِهِ مِنْ
 الْأَكْسِيَةِ وَالْأَرْدِيَةِ مِنْ أَسْعَارِهَا وَأَصْوَابِهَا ﴿٥﴾ وَمَنْفَعٌ ﴿٦﴾ مِنَ النَّسْلِ وَالذَّرِّ
 وَالرَّكُوبِ ﴿٧﴾ وَبَيْنَهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨﴾ قَدَمُ الظَّرْفِ لِلْفَاصِلَةِ ﴿٩﴾.

[٦] وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴿١﴾ زِينَةٌ ﴿٢﴾ حِينَ تُرْمَىٰ ﴿٣﴾ تَرْدُونَهَا إِلَىٰ مَرَاحِمِهَا
 بِالْعَشِيِّ ﴿٤﴾ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٥﴾ تَخْرِجُونَهَا إِلَىٰ الْمَرْعَىٰ بِالغَدَاةِ.

[٩١] الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ ﴿١﴾ أَي: كَتَبَهُم الْمَنْزِلَةَ عَلَيْهِمْ ﴿عِضِينَ﴾
 أَجْزَاءً، حَيْثُ آمَنُوا بَعْضٌ وَكَفَرُوا بَعْضٌ ^(١)، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا
 طَرُقَ مَكَّةَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْقُرْآنِ: سَحَرُ،
 وَبَعْضُهُمْ: كِهَانَةٌ، وَبَعْضُهُمْ شَعْرٌ.

[٩٢] فَوَرَّيَاكَ لِنِسْتَأْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾ سَوَالُ تَوْبِيخٍ.

[٩٣] عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

[٩٤] فَأَصْدَعَ ﴿١﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِمَا تَوَمَّرُ﴾ بِهِ؛ أَي: أَجْهَرَ بِهِ وَأَمْضَاهُ
 ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ.

[٩٥] إِنَّا كَفَيْتَنكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١﴾ بِكَ يَا هَلَاكُنَا كَلَامُهُمْ بَاقِيَةٌ، وَهِيَ الْوَالِدُ
 ابْنُ الْمُغْبِرَةِ، وَالْعَاصِي بْنُ وَاثِلٍ، وَعَدِي بْنُ قَيْسٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمَطْلَبِ، وَالْأَسْوَدُ
 ابْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ ^(٢).

[٩٦] الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿١﴾ صَفَةٌ، وَقِيلَ: مُبْتَدَأٌ، وَلِتَضْمَنَهُ
 مَعْنَى الشَّرْطِ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ وَهِيَ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ.

[٩٧] وَلَقَدْ نَعْلَمُ ﴿١﴾ لِلتَّحْقِيقِ ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ مِنْ
 الْاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ.

[٩٨] فَسَبِّحْ ﴿١﴾ مُلْتَبِسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أَي: قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ
 ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ الْمُصَلِّينَ.

[٩٩] وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١﴾ الْمَوْتَ.

سورة النحل

[مكية إلا: ﴿وَرَانَ عَاقِبَتَهُ﴾ إِلَىٰ آخِرِهَا.

مائة وثمان وعشرون آية، نزلت بعد الكهف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لما استبطأ المشركون العذاب نزل: ﴿إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ﴾ أَي: السَّاعَةَ،
 وَأَتَىٰ بِصِبْغَةِ الْمَاضِي لِتَحْقِيقِ وَقُوعِهِ؛ أَي: قَرِيبٌ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تَطْلُبُوهُ قَبْلَ
 حِينِهِ فَإِنَّهُ وَقَعَ لَا مَحَالَةَ ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تَنْزِيهِهَا لَهُ ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
 بِهِ غَيْرُهُ.

[٢] يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ ﴿١﴾ أَي: جِبْرِيلَ ﴿بِالرُّوحِ﴾ بِالْوَحْيِ ﴿مِنْ
 أَمْرِهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ ^(٣) ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَهِيَ الْأَنْبِيَاءُ ﴿أَنْ﴾
 مَفْسُورَةٌ ﴿أَنْذِرُوا﴾ خَوْفُوا الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ وَأَعْلَمُوهُمْ ﴿أَنَّكُمْ لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خَافُونَ.

[٣] خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴿١﴾ أَي: مُحَقَّقًا ﴿تَعَالَىٰ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ مِنْ الْأَصْنَامِ.

(١) هنا قول ابن عباس رضي الله عنهما كما أخرجه البخاري وغيره.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٧٣/٥ - ١٧٤ - رقم ٤٩٨٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣١٦/٢ - ٣١٧)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة عن ابن عباس به. وقال الهيثمي في الجمع (٧/ ٤٧): «فيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري، ولم أعرفه، وثيقة رجاله ثقات رجال الصحيح». وحسنه السيوطي في الدر المنثور (١٠/٥)، وصححه الضياء المقدسي.

(٣) والأمر غير الإرادة، والصواب أن يقال: إن المراد من الأمر كلام الله وحكمه، والأشعرية يتحاشون من إثبات حقيقة الكلام لله سبحانه.

(٤) أي: بين الخصومة.

(٥) يس: ٧٨.

(٦) يشير إلى أن الخطاب في ﴿لَكُمْ﴾ لقریش، والصواب حملها على العموم.

(٧) أي: مراعاة لرغوس الآي.

لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾ بكم؛ حيث خلقها لكم.

[٨] ﴿وَمَا خَلَقَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ مفعول له، والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين^(١) ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة.

[٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: السبيل ﴿جِبَابٌ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ سَاءَ مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ لهددناكم إلى قصد السبيل ﴿أَجْمَعِينَ﴾ فنهتدون إليه باختيار منكم.

[١٠] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ تشرّبونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ نبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون دوابكم.

[١١] ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنعه فيؤمنون.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ﴾ بالنصب عطفًا على ما قبله، والرفع: مبتدأ ﴿وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ بالوجهين^(٢) ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ بالنصب حال، والرفع خبر ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته^(٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[١٣] ﴿رَبِّ سَخَّرَ لَكُمْ مَا دَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهُ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ ذلك لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَرَوَى﴾ تبصر ﴿الْفُلُوكَ﴾ السفن ﴿مَوَازِرَ فِيهِ﴾ تمخر الماء؛ أي: تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَسْتَخْرِجُوا﴾ عطف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾؛ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِنْ بَدَلْتُمْ لَكُمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بَشِقِ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوِّفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جِبَابٌ وَمِنْهَا لَهْدَانٌ لَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَسْتَخْرِجُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِنْ بَدَلْتُمْ لَكُمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا بَشِقِ الْأَنْفُسِ﴾ بجهدا ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ

(١) وهو حديث أسماء: نحنا على عهد رسول الله ﷺ فرشا ونحن بالمدينة فأكلناه. البخاري (٥٥١١)، ومسلم (١٩٤٢).

(٢) أي بالنصب والرفع، وقرأ ابن عامر بالرفع في الأربعة كلمات، ووافقه حفص في ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾، وقرأ السبعة عدا حفص وابن عامر بالنصب في الأربعة.

(٣) الأمر غير الإرادة. وراجع التعليق على الآية رقم (٢).

[١٥] ﴿وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَوَّسًا﴾ جبالاً ثوابت لها أن لا ﴿تَمِيدَ﴾ تحرك ﴿بِكُمْ﴾ جعل فيها ﴿أَهْدَرًا﴾ كالنيل ﴿وَسِبْلاً﴾ طرقاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم.

[١٦] ﴿وَعَلَّمَكُمُ اللَّغَةَ﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿وَيَا لَتَجْمَعُنَّ﴾ بمعنى: النجوم ﴿هُم يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطرق والقبلة بالليل.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام حيث تشر كونها معه في العبادة لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون.

[١٨] ﴿وَإِنْ تَسُدُّوا وُجُوهَكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ﴾ تضبطوها فضلاً أن تطبقوا شكرها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْسِرُونَ وَمَا تُمْنُونُ﴾.

[٢٠] ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [بالتاء والياء (١)؛ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يصورون من الحجارة وغيرها.

[٢١] ﴿أَمْ تَأْتُونَ﴾ لا روح فيهم، خبر ثان ﴿عِبْرَ آخِيَاءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الأصنام ﴿آيَاتٍ﴾ وقت ﴿يُبْسِرُونَ﴾ أي: الخلق فكيف يُعبدون؟! إذ لا يكون إلهاً إلا الخالق الحي العالم بالغبيب.

[٢٢] ﴿إِلَهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَهُ وَرَبُّكُمْ﴾ لا نظير له في ذاته ولا صفاته وهو الله تعالى ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوبُهُمْ مُتَكَبِّرَةٌ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ متكبرون عن الإيمان بها.

[٢٣] ﴿لَا جِرْمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تُبْسِرُونَ وَمَا تُمْنُونُ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم (٢).

[٢٤] ونزل في النصر بن الحارث: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا لَهُمْ﴾ استفهامية ﴿ذُكْرًا﴾ موصولة ﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﴿قَالُوا﴾: هو ﴿أَسْطِيزٌ﴾ أكاذيب ﴿الْأُولَئِينَ﴾ إضلالاً للناس.

[٢٥] ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَمَا مَلَأَهُمْ﴾ لم يكفر منها شيء ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَعْضُ﴾ بعض (٤) ﴿أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الإثم ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ يحملونه حملهم هذا.

[٢٦] ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهو عمروذ (٥) بنى صرخاً

وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَوَّسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبِكًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَكُمُ اللَّغَةَ وَعَلَّمْتُمْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ
تَسُدُّوا وُجُوهَكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْسِرُونَ وَمَا تُمْنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ تَأْتُونَ
عِبْرَ آخِيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ آيَاتٍ يَبْسُرُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ
وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوبُهُمْ مُتَكَبِّرَةٌ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَاجِرَةً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تُبْسِرُونَ وَمَا
يُعْمَلُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِيزُ الْأُولَئِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا
أَوْزَارَهُمْ كَمَا مَلَأَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ
بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَاتَى اللَّهُ بُدَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

طويلاً؛ ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها ﴿فَاتَى اللَّهُ﴾ قصد ﴿بُدَيْنَهُمْ﴾
مِنَ الْقَوَاعِدِ الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾
السَّقْفُ من فوقهم؛ أي: وهم تحته ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾
من جهة لا تتخطر ببالهم، وقيل: هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من
المكر بالرسول.

(١) بالتاء قراءة السبعة عدا عاصم.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه وتؤمن بها على الوجه اللائق به - شبيحاًة - ومن أثر انتفاها أن يعاقب من لا يجيبهم.

(٣) لم أجد.

(٤) هذا اختيار المصنف، وهو خلاف ظاهر الآية والذي يشهد له الحديث أن ﴿وبين﴾ بمعنى: مثل؛ أي: إن على الرؤساء مثل أوزار الأسياف، كما قال - عليه الصلاة والسلام - : ... وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ
كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ يُثَلُّ أَمَامَ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُضُ ذَلِكَ مِنْ آثِمِهِمْ شَيْئاً رواه مسلم (٤٨٣١) من حديث أبي هريرة.

(٥) هذا هو الصحيح في ضبط عمروذ أنه بالذال المعجمة، وفي بعض النسخ بالذال المهملة.

تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا آيَاتٍ﴾ من الأنبياء والمؤمنين: ﴿إِنَّ الْآخِرَىٰ أَيْسَرُ وَالْأُولَىٰ أَعْيَبُ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ﴾ بالباء والياء (١) ﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَالْعَوَىٰ السَّعَىٰ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ شرك، فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٢٩] ويقال لهم: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليست مثنوى﴾ مأوى ﴿الْمُنْكَرِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك: ﴿مَاذَا أُنزِلَ رِزْقُكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةَ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها، قال - تعالى - فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي.

[٣١] ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾ إقامة، مبتدأ، خبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا يُقْرَوْنَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لهم فيها ما يشاءون ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٣] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالباء والياء (٢) ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّي﴾ العذاب أو القيامة المشتعلة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَّ الَّذِينَ يَنْفِيهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ ياهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا يؤبسون ﴿يَسْتَهْرِبُونَ﴾ أي: العذاب.

تُرْتَوَى الْقِيَمَةُ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَشْفُقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَيْسَرُ وَالْأُولَىٰ أَعْيَبُ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَالْعَوَىٰ السَّعَىٰ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليست مثنوى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٠﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أُنزِلَ رِزْقُكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَوْنَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّي كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرِبُونَ ﴿٣٥﴾

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ بذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبخاً (١): ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ بزعمكم ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَشْفُقُونَ﴾

(١) وهذا تأويل لظاهر الآية بغير دليل، وقَفَّعَ لذلك مذهبه في نفي صفة القول والكلام عن الله ﷻ، وهو ما بينه السلف الصالح على الوجه اللائق به - سبحانه.

(٢) بالياء قراءة حمزة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كذبوا رسلكم فيما جاءوا به ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ إلا البلاغ البين، وليس عليهم الهداية.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ كما بعثنا في هؤلاء ﴿أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: بأن ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الأوثان أن تعبدوها ﴿فِيهِمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ فأمَّن ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ﴾ وحيث ﴿عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿فَقَبِرُوا﴾ يا كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ رسلكم من الهلاك.

﴿٣٧﴾ ﴿إِنْ تَحْرُصْ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هُدْيَتِهِمْ﴾ وقد أضلهم الله، لا تقدر على ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْبَاطِلِينَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل (١) ﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ من يريد إضلاله ﴿وَمَا لَهُمْ حِسَابٌ﴾ ما يعين من عذاب الله.

﴿٣٨﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ قال - تعالى -: ﴿بَلَى﴾ يعينهم ﴿وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر؛ أي: وعد ذلك وحققه حقًا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿٣٩﴾ ﴿لِيُحْيِيَنَّ﴾ متعلق بـ«يعينهم» المقدر ﴿لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدين بتعديهم وإثابة المؤمنين ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ في إنكار البعث.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ أي: أردنا إيجاده، و«قولنا» مبتدأ خبره: ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة بالنصب (٤) عطفًا على «نقول»، والآية لتقرير القدرة على البعث.

﴿٤١﴾ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بالأذى من أهل مكة، وهم: النبي ﷺ وأصحابه ﴿لَنُبَوِّدَنَّهُمْ﴾ ننزلهم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ دارًا ﴿حَسَنَةً﴾ هي المدينة ﴿وَلَنُجْزِيَ الْأَجْرَ﴾ أي: الجنة ﴿أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: الكفار، أو المتخلفون عن الهجرة ما

للمهاجرين من الكرامة لوافقهم.

﴿٤٢﴾ هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

(١) البحائر والسوابغ هي: جمع «بحيرة» و«ساقية»، وتقدم تفسير معناه في سورة المائدة آية (١٠٣).

(٢) بالبناء للمفعول قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، على معنى من أضله الله لم يهده هاد، وأما على قراءة البناء للفاعل؛ فالعنى: لا يرشد من أضله، أي إن الله لا يهدي من سبق في علمه سبحانه أنه من أهل الضلالة.

(٣) الصواب في هذا ونحوه مما يرد في كلام بعض المفسرين من تخصيص اللفظ للناس أو الإنسان: القول بالعموم وإطلاق ما أطلقه الله.

(٤) للكسائي وابن عامر.

[٤٥] ﴿أَفَأَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المكروبات ﴿الَسَّيِّئَاتِ﴾ بالنسي ﴿فَلَا فِي دَارِ النَّدْوَةِ﴾ من تقييده أو قتله أو إخراجها، كما ذكر في الأنفال ﴿أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كفارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من جهة لا تخطر بالهيم، وقد أهلكوا ببدنهم ولم يكونوا يقدرون ذلك.

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاتحي العذاب.

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ تَقْضَى شَيْئًا فشيئًا، حتى يهلك الجميع (١)، حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يعالجهم بالعقوبة.

[٤٨] ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظل كشجرة وجبل ﴿يَتَفَتَّتُونَ﴾ تسمى ﴿ظِلُّنَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع شمال؛ أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سَجْدًا لِلَّهِ﴾ حال؛ أي: خاضعين لله بما يراد منهم ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: الظلال ﴿ذَائِرُونَ﴾ صاغرون، نُزِّلُوا منزلة العقلاء.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي: نسمة تدب عليها؛ أي: تخضع له بما يراد منها، وغلب في الإنيان بما لا يعقل لكثرة ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ خصمهم بالذكر تفضيلاً ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادته.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ﴾؛ أي: الملائكة، حال من ضمير «يستكبرون» ﴿رَبِّهِمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ حال من «هم»؛ أي: عاليتا عليهم بالقهر (١) ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به.

[٥١] ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا لِلَّهِينِ آئِنِينَ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَجِدٌ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿وَإِنِّي فَازِهِبُونَ﴾ خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة.

[٥٢] ﴿وَأُولَئِكَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ طَاعُوا وَأُصَابُوا﴾ دائماً، حال من «الدين»، والعامل فيه معنى الظرف ﴿أَفَعَبَّرَ اللَّهُ نَفْسُونَ﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

[٥٣] ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ تَعَمَّرَةٍ﴾ لا يأتي بها غيره، و«ما» شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ﴾ أصابكم ﴿الضَّرُّ﴾ الفقر ﴿فَالْيَتِيمَ تَجَنَّبُونَ﴾ تعرفون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كُنْفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَهَاجِمٌ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٤﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَضَيُّوْنَ ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٦﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٧﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا لِلَّهِينِ آئِنِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَجِدٌ فَإِنِّي فَازِهِبُونَ ﴿١٩﴾ وَلَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَأُصَابُوا أَفْعَبَّرَ اللَّهُ تَتَّقُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا يَكُمُ مِنْ تَعَمَّرَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَتِيمَ تَجَنَّبُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا كُنْفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾

[٤٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

[٤٤] ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أرسلناهم بالهجة الواضحة ﴿وَالزُّبُرِ﴾ الكتب ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

(١) والقول الآخر: أي: في حال خوفهم.

(٢) فقدر الملو على علو القهر فقط غير صحيح، ومذهب السلف إثبات جميع خصال العلو له - شجاعة؛ علو الشأن، وعلو القهر، وعلو الذات.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسُنُوعَنَ عَمَّا كُنْتُمْ
تَقْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بَشَّرْنَا أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ مِثْلُ النُّعُوتِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ
وَلَكِن يُوَخَّضُهُمْ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى فَيَأْتِيهِمْ لَآيَسْتَعْجِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ
أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَآ جِزْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ
وَأَنَّهُمْ مُّقْرَّبُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ
فَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ فَهُمْ وَوَلِيُّهُمْ أَلْوَمٌ وَوَلَّهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلَّذِينَ لَهُمْ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

أَعْمَانَهُمْ ﴿٦٣﴾ السبيعة فأروها حسنة، فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ متولي
أموهم ﴿أَلْوَمٌ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة،
وقيل: المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية؛ أي: لا ولي لهم
غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم؟! ﴿٦٤﴾

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِشَيْبِنَ لَهُمْ﴾
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿مِن أَمْرِ الدِّينِ﴾ وَهُدًى ﴿عَطْفٌ عَلَى﴾ لِشَيْبِنَ ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿٥٥﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمْتَعُوا﴾ باجماعكم على
عبادة الأصنام، أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك.

﴿٥٦﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع
وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم: هذا لله
وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَسُنُوعَنَ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا
كُنْتُمْ تَقْتَرُونَ﴾ على الله من أنه أمركم بذلك.

﴿٥٧﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾
تنزيها له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: البنون، والجملة في محل
رفع أو نصب به «يجعل»، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزه
عن الولد، ويجعلون لهم البنات الذين يختارونهم، فيخصون بالأسنى (١)
بقوله: ﴿فَأَسْتَفْتَهُمُ الرَّبُّ أَلَنَاتٌ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (٢).

﴿٥٨﴾ ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهَهُ﴾
مُسْوَدًّا ﴿مُتَغَيِّرًا تَغْيِيرَ مُغْتَمٍ﴾ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿مُتَلَىٰ عَقًا﴾ كيف تنسب البنات إليه
تعالى؟! ﴿٥٩﴾ ﴿يَتَوَارَىٰ﴾ يخفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ﴾
بِئْسَ ﴿خَوْفًا مِنَ التَّعْبِيرِ مَرْتَدًّا﴾ فيما يفعل به ﴿أَيْسِكُّهُمْ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَىٰ﴾
هُونٍ ﴿هُوَ ذَلَّ﴾ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴿بِأَنْ يَدَهُ﴾ أَلَا سَاءَ ﴿بِئْسَ﴾ وَمَا
يَحْكُمُونَ ﴿حَكْمُهُمْ هَذَا﴾ حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا
الحل.

﴿٦٠﴾ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: الكفار ﴿مِثْلُ النُّعُوتِ﴾ أي:
الصفة الشؤى بمعنى القبيحة، وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للزكاح
﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا، وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾
في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

﴿٦١﴾ ﴿وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم بِالْمَعَاصِي﴾ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا ﴿أَي:﴾
الْأَرْضِ ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِن يُوَخَّضُهُمْ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فَإِذَا
جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿عَنْهُ﴾ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿عَلَيْهِ﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْبَنَاتِ وَالشَّرِيكَ فِي
الرياسة، وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الْكُذْبَ﴾
وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ عند الله؛ أي: الجنة؛ لقوله: ﴿وَلَكِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ﴾
رَبِّي ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ (٣) قال - تعالى -: ﴿لَا جِزْمَ﴾ حَقًّا ﴿أَنَّ لَهُمُ﴾
النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّقْرَّبُونَ ﴿مُتْرَكُونَ فِيهَا أَوْ مَقْدَمُونَ إِلَيْهَا﴾، وفي قراءة بكسر
الراء (٤)؛ أي: متجاوزون الحد.

﴿٦٣﴾ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾

(١) أي: الأرفع والأشرف.

(٢) الصفات: ١٤٩.

(٣) فصلت: ٥٠.

(٤) لانع.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُتَّقِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَأٍ حَالِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَمَةٍ أَلَّهِ يَتَحَدَّثُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدةً وَرِزْقَكُمْ مِنْ أَلْيَابٍ أُفَّا بِلِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

أولون، وهو بينهما ﴿سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور في حلقهم لا يعض به. [٦٥] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ ثمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ خمرا يسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريمها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والحلج والحبس (١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وحي الإلهام ﴿أَنْ﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بيوتا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: الناس.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه في طلب المرعى ﴿ذُلُلاً﴾ جمع ذلول، حال من السبل؛ أي: مسخرة لك فلا تفتش عليك وإن توغرت ولا تضلي على العودة منها وإن بعدت، وقيل: من الضمير في «اسلكي»؛ أي: مفقادة لما يراد منك ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع؛ قيل: لبعضها كما دل عليه تنكير «شفاء»، أو لكلها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بنيتها (٢)، وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه [رواه الشيخان] (٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: أخسسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿وَقَدِيرٌ﴾ على ما يريد (٤).

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير، ومالك ومملوك ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ أي: الموالي ﴿بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿فِيهِمْ﴾؛ أي: المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ شركاء، المعنى: ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟! ﴿أَفَبِعَمَةٍ أَلَّهِ يَتَحَدَّثُونَ﴾ يكفرون؛ حيث يجعلون له شركاء.

[٧٢] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدةً﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرِزْقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيون ﴿أَفَّا بِلِطْلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر.

[٦٦] ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ اعتبار ﴿شُتَيْبِكُمْ﴾ بيان للعبرة ﴿بِمَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: الأنعام ﴿وَمِنْ﴾ للابتداء متعلقة بـ ﴿شُتَيْبِكُمْ﴾ ﴿بَيْنَ قَرْنٍ﴾ ثقل الكرش ﴿وَدَمٍ لَبَأٍ حَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرت والدم من طعم أو ريح

(١) هو غسل الرطب، ويطلق على غسل العنب.

(٢) أي: يبيح الشفاء الحازمة أن الله يخلق الشفاء عند استعماله؛ لإخباره - تعالى - بذلك.

(٣) البخاري (٥٢٧٧)، ومسلم (٤١٠٧) عن أبي سعيد الخدري مرفوعا.

(٤) الأولى الإطلاق، فهو سبحانه قدير على كل شيء يريد أو لا يريد.

[٧٣] ﴿وَيَسْتَدْرِكُ مِنْ دُونَ اللَّهِ أَي: غَيْرِهِ ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِمَّنْ السَّمَوَاتِ﴾ بِالْمَطَرِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿شَيْئًا﴾ بَدَلَ مِنْ ﴿رِزْقًا﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ الْأَصْنَامُ.

[٧٤] ﴿فَلَا تَقْرَبُوا يَدَيْهِ الْأَيْدِيَّاتُ﴾ لَا تَجْمَعُوا لِلَّهِ أَشْيَاءَهَا تَشْرِكُونَهُمْ بِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أَنْ لَا مِثْلَ لَهُ ﴿وَأَنْشُرَ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ.

[٧٥] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ وَيَدُلُّ مِنْهُ، ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ صِفَةُ تَجْمِيرِهِ مِنَ الْحُرِّ؛ فَإِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لِعَدَمِ مِلْكِهِ ﴿وَمَنْ نَكَرَهُ﴾ مَوْصُوفًا أَي: حُرًّا ﴿رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أَي: يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَالْأَوَّلُ مِثْلُ الْأَصْنَامِ، وَالثَّانِي مِثْلُهُ تَعَالَى (١) ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أَي: الْعَبِيدُ الْعَجْزَةُ وَالْحُرُّ الْمُنْتَصِفُ؟ لَا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وَحْدَهُ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ فَيَشْرِكُونَ.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ وَيَدُلُّ مِنْهُ: ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ﴾ وَلِدْ أَحْرَسَ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ وَلَا يُفْهَمُ ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثَقِيلٌ ﴿عَلَى مَوْلَانَهُ﴾ وَلِي أَمْرِهِ ﴿أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ﴾ بِصَرْفِهِ ﴿لَا يَأْتِ﴾ مِنْهُ ﴿يَخْتَرُ﴾ بِنُجْحٍ (٢)، وَهَذَا مِثْلُ الْكَافِرِ ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أَي: الْأَبْكَمُ الْمَذْكُورُ ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أَي: وَمَنْ هُوَ نَاطِقٌ نَافِعٌ لِلنَّاسِ حَيْثُ يَأْمُرُ بِهِ وَيَحْتِ عَلَيْهِ ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طَرِيقٌ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وَهُوَ الثَّانِي الْمُؤْمِنُ؟ لَا، وَقِيلَ: هَذَا مِثْلُ اللَّهِ، وَالْأَبْكَمُ لِلْأَصْنَامِ (٣)، وَالَّذِي قَبْلَهُ مِثْلُ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ.

[٧٧] ﴿وَلِلَّهِ عِيبٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: عِلْمُ مَا غَابَ فِيهِمَا ﴿وَمَا أَسْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لِأَنَّهُ بَلْفِظٍ: كُنْ فَيَكُونُ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧٨] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الْجُمْلَةُ حَالٌ ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ﴾ بِمَعْنَى الْأَسْمَاعِ ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ الْقُلُوبَ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هُوَ عَلَى ذَلِكَ فَيُؤْمِنُونَ.

[٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مَذَلَّلَاتٍ لِلطَّيْرَانِ ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ أَي: الْهَوَاءِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿مَا يَمْسِكُهُنَّ﴾ عِنْدَ قَبْضِ

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٤﴾ فَلَا تَقْرَبُوا يَدَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَانَهُ
أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لآيَاتٍ بَخِيرَ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٧﴾ وَلِلَّهِ عِيبٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَسْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ
الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٨﴾
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٩﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾

أَجْنَحْتَهُنَّ أَوْ بَسَطَهَا أَنْ يَقَعْنَ ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بِقُدْرَتِهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هِيَ خَلْقُهَا بِحَيْثُ يُمْكِنُهَا الطَّيْرَانِ، وَخَلَقَ الْجَوَّ بِحَيْثُ يُمْكِنُ الطَّيْرَانُ فِيهِ، وَإِمْسَاكُهَا.

(١) أخرج الطبري في جامع البيان (١٠١/١٤) والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: نزلت في رجل من قريش وعبدته، في هشام بن عمر، وهو الذي ينفق ماله سرًّا وجهراً، وفي عبده أبي الجوزاء الذي كان ينهاه، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٥١/٥). وحسن إسناده في الاستيعاب (٤١٥/٢).

(٢) بنجح: بضم النون؛ أي: لا يأت بشيء نافع.

(٣) وأخرج البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٧ - ٣٠٦/١)، والطبري في جامع البيان (١٠١/١٤)، والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هو عثمان بن عفان، قال: والأبكم الذي أيضا يوجهه لا يأت بخير؛ ذلك مولى عثمان بن عفان. كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف؛ فنزلت فيهما. وحسن إسناده في الاستيعاب (٤١٦/٢).

للحمل (١) ﴿يَوْمَ طَعْنَكُمْ﴾ سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ ومن أصوافها ﴿أي: الغنم وأوسيارها﴾ أي: الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أي: المعر ﴿أَنْتُمْ﴾ متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية ﴿وَمَتَاعًا﴾ تمتعون به ﴿إِلَى حِينٍ﴾ يلي فيه.

[٨١] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلَالًا﴾ جمع كَيْ، وهو ما يستكن فيه كالغار والشرب (٢) ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ جمع كَنْ، كما خلق هذه الأشياء ﴿يُنِيرُ نِعْمَةً﴾ في الدنيا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لِمَلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَسْلُمُونَ﴾ توحدهن.

[٨٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فَوَلَّيْنَاكُمْ عَدَاوَةً﴾ يا محمد ﴿وَالْبَلِغُ الْكَبِيرُ﴾ الإبلاغ البين، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٨٣] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: يقرون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُكْفِرُونَ بِهَا﴾ بإشراكهم ﴿وَأَكْفَرَهُمُ الْكٰفِرُونَ﴾.

[٨٤] ﴿وَيَوْمَ نَبِّئُكَ﴾ يوم نبئها ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيا يشهد لها وعليها، وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُوَدِّتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٨٥] ﴿وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿الْعَذَابَ﴾ النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يهلون عنه إذا رآه.

[٨٦] ﴿وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أشركوا ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ نعبدهم ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ فآلقوا إليهم الآقول؛ أي: قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكٰذِبُونَ﴾ في قولكم: إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤) سيكفرون بعبادتهم.

[٨٧] ﴿وَالْقَوْمَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الْمَسْتَكِرُّونَ﴾ أي: استسلموا لحكمه ﴿وَوَصَلَ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ ما كانوا يفترون؛ من أن آلهتهم تشفع لهم.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلِغُ الْكَبِيرُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْفَرَهُمُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبِّئُكَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّهُمْ لَكٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوْمَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الْمَسْتَكِرُّونَ ﴿٨٧﴾

[٨٠] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعا تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾

(١) أي: يخفف عليكم حملها.

(٢) الشرب: البيت في الأرض.

(٣) هي أيضا نوع من الدروع.

(٤) القصص: ٦٣.

[٨٨] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دِينِهِ ﴿يَذُنُّهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقاب أنبيائها كالنخل الطوال^(١) ﴿يَمَّا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بصددهم الناس عن الإيمان.

[٨٩] ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وهو نبيهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ بَيَانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَنُذْرًا﴾ بِالْجَنَّةِ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الْمُؤْمِنِينَ.

[٩٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ﴾ وَالْإِحْسَانِ ﴿أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه، كما في الحديث^(٢) ﴿وَأَيُّهَا﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة خصه بالذكر اهتمامًا به ﴿وَيَتِيمَ﴾ الْفَتْحَاءِ ﴿الزَّانِيَ وَالْمُكْرِمَ﴾ شرعًا من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبَيْتَ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتمامًا، كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يُظَاهِرُ﴾ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴿لِعَدْلِكُمْ﴾ تَذَكُّرُونَ^(٣) تعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي «المستدرک» عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر^(٤).

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ تَوْكِيدُهَا تَوْكِيدُهَا ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْدًا﴾ بِالْوَفَاءِ حَيْثُ حَلَفْتُمْ بِهِ، وَالْجَمَلَةُ حَالٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿عَزْلَهَا﴾ ما عزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إِحْكَامٍ لَهُ وَبِرْمٍ ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ حَالٌ، جَمْعُ نَكَتٍ وَهُوَ مَا يَنْكُتُ؛ أَي: يَحِلُّ إِحْكَامُهُ، وَهِيَ امْرَأَةٌ حَقَاءُ مِنْ مَكَّةَ كَانَتْ تَغْرُلُ طَوْلَ يَوْمِهَا ثُمَّ تَنْقُضُهُ^(٥) ﴿تَنْقِذُونَ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ «تَكُونُوا»؛ أَي: لَا تَكُونُوا مِثْلَهَا فِي اتِّخَاذِكُمْ ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ هُوَ مَا يَدْخُلُ فِي الشَّيْءِ وَلَيْسَ مِنْهُ؛ أَي: فَسَادًا أَوْ خِدَاعًا ﴿يَنْتَكُمُ﴾ بِأَنْ تَنْقُضُوهَا ﴿أَنْ﴾ أَي: لِأَنَّ «تَكُونُ أُمَّةٌ» جَمَاعَةٌ ﴿هِيَ أَرْبَىٰ مِنْكُمْ﴾ أَكْثَرُ ﴿وَمِنْ أُمَّةٍ﴾ وَكَانُوا يَحْلِفُونَ الْحَلْفَاءَ فَإِذَا وَجِدَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَعْرَضُوا، نَقَضُوا حَلْفَ أَوْلَئِكَ وَحَالْفَوْهُمُ ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ﴾ يَخْتَبِرُكُمْ ﴿اللَّهُ بِبُرْءِكُمْ﴾ أَي: بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ لِيَنْظُرَ الْمَطِيعُ مِنْكُمْ وَالْعَاصِي، أَوْ يَكُونَ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْدًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَقْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْتُمْ كُنْتُمْ كَيْدًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ عَزْلَهَا مَا عَزَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ إِحْكَامٍ لَهُ وَبِرْمٍ أَنْتُمْ كُنْتُمْ حَالٌ، جَمْعُ نَكَتٍ وَهُوَ مَا يَنْكُتُ؛ أَي: يَحِلُّ إِحْكَامُهُ، وَهِيَ امْرَأَةٌ حَقَاءُ مِنْ مَكَّةَ كَانَتْ تَغْرُلُ طَوْلَ يَوْمِهَا ثُمَّ تَنْقُضُهُ^(٥) تَنْقِذُونَ حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ «تَكُونُوا»؛ أَي: لَا تَكُونُوا مِثْلَهَا فِي اتِّخَاذِكُمْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا هُوَ مَا يَدْخُلُ فِي الشَّيْءِ وَلَيْسَ مِنْهُ؛ أَي: فَسَادًا أَوْ خِدَاعًا يَنْتَكُمُ بِأَنْ تَنْقُضُوهَا أَنْ أَي: لِأَنَّ «تَكُونُ أُمَّةٌ» جَمَاعَةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْكُمْ أَكْثَرُ وَمِنْ أُمَّةٍ وَكَانُوا يَحْلِفُونَ الْحَلْفَاءَ فَإِذَا وَجِدَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَعْرَضُوا، نَقَضُوا حَلْفَ أَوْلَئِكَ وَحَالْفَوْهُمُ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ يَخْتَبِرُكُمْ اللَّهُ بِبُرْءِكُمْ أَي: بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ لِيَنْظُرَ الْمَطِيعُ مِنْكُمْ وَالْعَاصِي، أَوْ يَكُونَ

أمة أربى لينظر أنفون أم لا ﴿وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَلْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أَهْلَ دِينٍ وَاحِدٍ ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وَتَسْتَلْنَ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَوْأَلٌ تَكْتُمْنَ﴾ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿لَتَجَازُوا عَلَيْهِ﴾

(١) أخرج نحوه عبد الرزاق والفرابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهناد بن السري وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث والنشور كما في الدر المنثور (٢٣٩/٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٨)، ج (٣).

(٢) البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) للمستدرک (٣٥٩/٢)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وحسن الألباني إسناده، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية» وذكرها. [صحيح الأدب المفرد (٣٧٦)].

(٥) ذكر خبرها أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٧٥/٦)، رقم (٧٧١٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٢/٥).

وقال صاحب الاستيعاب: هذا سند ضعيف جدًا. الاستيعاب (٤٢١/٢).

﴿وَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي: العذاب ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه؛ لأنه يستن بكم ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة.

[٩٥] ﴿وَلَا تَتَّخِزُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما في الدنيا ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

[٩٦] ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَفْتَدُّ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلِيَجْزِيَنَّهُ﴾ بالياء والنون^(١) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ من الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أحسن بمعنى حسن.

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قيل: هي حياة الجنة^(٢)، وقيل: في الدنيا بالقناعة^(٣) أو الرزق الحلال^(٤) ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ﴾ أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

[٩٩] ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ ءٰمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ بطاعته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أي: الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا ءٰيَةً مَّكَاتٍ ءٰيَةً﴾ بنسخها وإتزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بِمَا يَتَزَوَّدُ قَالُوا﴾ أي: الكفار للنبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب تقول من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ.

[١٠٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿نزل﴾ ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ءٰمَنُوا﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدَىٰ وَيُذَرِّفَ لِلْمُتَلَبِّينَ﴾.

وَلَا تَتَّخِذُوا ءٰمَنَتَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنَّ عَذَابَ عَظِيمٍ ﴿٩٥﴾ وَلَا تَتَّخِزُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَفْتَدُّ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ مَن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٩٩﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءٰمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا ءٰيَةً مَّكَانَ ءٰيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُنذِرَ الَّذِينَ ءٰمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٣﴾

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا ءٰمَنَتَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كره تأكيداً ﴿فَتَرِلَ قَدَمٌ﴾ أي: أقدامكم من محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

(٢) هذا قول الحسن البصري كما في الدر المنثور (١٦٥/٥).

(٣) هذا قول محمد بن كعب القرظي كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

(٤) هذا قول ابن عباس كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ﴾ وللتحقيق^(١) ﴿نَعَلَمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قيس^(٢) نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿لِسَانٌ﴾ لغة ﴿الَّذِي يُلْحَدُونَ﴾ يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يعلمه ﴿أَعَجَبِيٌّ وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَكْرَتٌ مُبِينٌ﴾ ذو بيان وفضاحة، فكيف يعلمه أعجمي؟!^(٣)

[١٠٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ﴾ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الكَذِبُونَ﴾ والتأكيد بالتركرر وإن» وغيره ما رد لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

[١٠٦] ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ على التلطف بالكفر فتلطف به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ «ومن» مبتدأ، أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيد شديد، دل على هذا: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ له؛ أي: فتحه ووسعه بمعنى طاب به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٧] ﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿يَأْتِيَهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

[١٠٩] ﴿لَا جِرْمَ﴾ حقًا ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا﴾ عذبا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة بالبناء للفاعل^(٤)؛ أي: كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الفتنه ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم، وخبر «إن» الأولى دل عليه خبر الثانية.

وَلَقَدْ نَعَلَمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحَدُونَ لِإِيهِ أَعَجَبِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ مِنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ يَأْتِيَهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿١١٠﴾

(١) القاعدة أن «قد» تكون للتحقيق إذا جاء بعدها فعل ماضٍ، وتكون للتقليل إذا جاء بعدها فعل مضارع. ذكره ابن هشام في «معنى اللبيب». وأخذ الجلالان بقول بعض اللغويين: إنها للتحقيق لا للتقليل في هذه المواضع.

وعلى القاعدة أنها للتقليل؛ يكون المراد تقليل متعلق الفعل والمعنى هنا: قولهم إنما يعلمه... هو أقل معلوماته سبحانه.

(٢) أي: حداد، كان روميًا، وفي نسخة: قن؛ أي: عبد.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١٩/١٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٧/٥)، وضعف إسناده في باب المنقول ص (١٣٤)، وأخرج الطبري بسند صحيح في جامع البيان (١٤/١٢٠) عن عبيد بن مسلم الحضرمي؛ قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر؛ يسمي أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن كتابًا لهما، فرميا مر رسول الله ﷺ فقام عليهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما؛ فأرسل الله ﷻ هذه الآية. وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٠)، وصححه الحافظ أيضًا في الإصابة (٤٤٧/٢).

(٤) لابن عامر، ويحتمل على هذه القراءة أن يكون الفعل لازمًا، فيكون معنى «فَيَسْرُوا» أي: افتتنوا، وإليه أشار المفسر بقوله: «أي كفروا»، ويحتمل أن يكون متعديًا، وأشار إليه بقوله: «أو فتنوا الناس...».

[١١١] اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

[١١٢] ﴿وَصَرَفَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿قَرِيبَةً﴾ هي مكة (١)، والمراد أهلها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من الغارات لا تهاج ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ فكفرت بأنعم الله ﴿بتكذيب النبي ﷺ﴾ ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ﴾ فحطوا سبع سنين (٢) ﴿وَالْخَوْفِ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

[١١٤] ﴿كُلُّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ وأشكروا نعمت الله إن كنتم إِيَّاهُ تَعْسُدُونَ.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١١٦] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبْنَا لِنَبِيِّكُمْ﴾ أي: لوصف ألسنتكم ﴿الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لِيَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

[١١٧] لهم ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ عَذَابٌ أَلِيمٌ مؤلم.

[١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرْمًا مَا فَضَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ في آية: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرْمًا كَمَا ذِي ظُلْفَرٍ﴾ (٣) إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿وَصَرَفَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كَيْفَ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبْنَا لِنَبِيِّكُمْ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرْمًا مَا فَضَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

(١) وهذا هو المشهور بين المفسرين، وعليه فالآية مدنية، وعلى القول بأنها مكة يكون إخبارًا بالغيب تنزيلاً له منزلة الواقع لتحقيق حصوله.

(٢) كما سيأتي بيانه في سورة «الدخان».

(٣) الأمام: ١٤٦.

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الجهالة أو التوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماماً قنوداً جامعاً لحصال الخير ﴿فَأَنبَأَهُ﴾ مطعياً ﴿اللَّهُ حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢١] ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ اصطفاه ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[١٢٢] ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي النناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَوَدَّ فِي الآخِرَةِ لَيُمَنَّ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ آتِيَ مَلَأَةً﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كرر رداً على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم، وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نزيد، واختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره؛ بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمة.

[١٢٥] ﴿أَدْعُ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَيَحذِرُ لَهُمْ بِأَلْسِنَةٍ﴾ أي: المجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وهو أعلم ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٢٦] ونزل لما قُتل حمزة ومُئْتل به فقال ﷺ: وقد رآه: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك»: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَجْمَلٌ﴾ أي: عاقبتهم ما عوقبتهم به. ولين صبرهم عن الانقياد ﴿لَهُمْ﴾ أي: الصبر ﴿خَيْرٌ لِّالصَّابِرِينَ﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه، رواه البرزاري^(١).

[١٢٧] ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار وإن لم يؤمنوا لحركك على إيمانهم ﴿وَلَا تَأْكُ فِي صَبْرِكَ﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِأَلْسِنَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَجْمَلٌ فَمَا عَوْقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبْرِكَ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ

بِمَكْرُونٍ: أي: لا تهتم بمكرهم فأنا ناصرك عليهم.

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر^(٢).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٦): في المسند عن أبي بن كعب أنه أصيب يوم أحد من الأنصار أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة وحمزة، فماتوا بقتلهم، فقالت الأنصار: لمن أصابنا منهم يوماً من الدهر لئرين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل من القوم لا يعرف: لا قریش بعد اليوم، فأقول الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَجْمَلٌ﴾ ما عوقبتهم به. الآية، فقال نبي الله ﷺ: «كفوا عن القوم». المسند (١٣٥/٥)، وقد أخرج الترمذي نحوه، كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٧) سورة النحل. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٠١).

(١) أخرجه ابن سعد والبرزاري وابن المنذر وابن مردويه والحاكم، والبيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة كما في الدر المنثور (٢٥٥/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٩/٦): «رواه البرزاري والطبراني؛ وفيه صالح بن بشر المري وهو ضعيف». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨/٢) رقم (٥٥٠).

(٢) هذا من لوازم معيته. سبحانه. الخاصة بعبادة المؤمنين، ومعيته. سبحانه. مع خلقه نوعان؛ عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقتها الصحة اللاتفة، وقد أخرج. سبحانه. أنه مع خلقه، مع كونه مستورا على عرشه، وقرن بين الأمرين في آية الحديد، وكلاهما حق.

ثم عرج بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل؛ قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا فإذا أنا بأدم فرحب بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا بنا إلى الحالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثامنة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم، فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى - يستطيع أن يصفها من حسنها، قال: فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، ولاني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي. فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسئية ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سئية واحدة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك. فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت [رواه الشيخان، والملفظ لمسلم].^(٣) وروى الحاكم في «المستدرک» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي ﷻ»^(٤).

[٢] قال - تعالى -: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ اللَّاتِيخَذُوا مِنْ دُونِ وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلِنَا مَع نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرْةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَر نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْأُوا وُجُوهَكُمْ وَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سورة الإسراء

[مكية إلا : ﴿وَرَيْنَ كَادُوا يَتَّبِعُونَكَ﴾ الآيات الثمان. مائة وعشر، أو: إحدى عشرة آية، نزلت بعد القصص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحَانَ﴾ أي: تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف، والإسراء سير الليل، وفائدة ذكره الإشارة بتكبيره إلى تقليل مدته ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأثمار ﴿لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: العالم^(١) بأقوال النبي ﷺ وأفعاله^(٢) فإنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له - تعالى - فإنه ﷻ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، قال جبريل: أصببت الفطرة. قال:

(١) العلم من لوازم السمع والبصر، ولكلها غيره، وفي الآية إثبات هاتين الصفتين له - سبحانه، ومذهب السلف الإيمان بهما على الوجه اللائق به من غير تمثيل، ولا تكيف، ولا تأويل ولا تعطيل؛ كما قال - سبحانه -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. (٢) هذا التخصيص لا يظهر وجهه، فالصواب الإطلاق، فهو - سبحانه - السميع بكل مسموع، والبصير بكل مبصر. (٣) البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢٢) عن أنس بن مالك. (٤) رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعًا كما في جامع السويطي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٦٦).

إِسْرَائِيلَ ﴿لَهُ أَهْلٌ﴾ وَأَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَصِيلاً ﴿يَفُضُّونَ إِلَيْهِ أَمْرَهُمْ،
وفي قراءة: ﴿يَتَّخِذُوا﴾^(١) بالفوقانية الفناكاً، فوأن» زائدة، والقول مضمَر.

[٣] يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا﴾ كثير الشكر لنا حامداً في جميع أحواله.

[٤] ﴿وَفَضَّلْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكُتُبِ﴾ التوراة
﴿لِنُفِّسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرْتِينَ وَلِنَعْلُقَ عَلْوًا كَبِيرًا﴾
تبعون بغيا عظيماً.

[٥] ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَئِهِمَّا﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا
أُولَى بَأْسٍ شَدِيدِينَ﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُوا﴾ ترددوا
لطلبكم ﴿خِذْلَ الَّذِينَ﴾ وسط دياركم ليقتلوكم ويشبوهكم ﴿وَكَاثَ وَعَدَا
مَعْرُولا﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت^(٢) وجنوده
فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس.

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة
بقتل جالوت ﴿وَأَنذَرْنَاكُمْ بِأَمْرٍ وَبَيْنَكُمُ وَالْغَلْبَةُ﴾ أكثر نفيراً عشيرة.

[٧] وقلنا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنُ لَأُنْفِكَنَّ﴾ لأن ثوابه^(٣)
لها ﴿وَأِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ﴾ المرة
﴿الْآخِرَةَ﴾ بعناهم ﴿لِيُنْفِكُوا وَجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزناً
يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَأَنَّ
دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَشِئِرُوا﴾ يهلكوا ﴿مِمَّا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه
﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هلاكاً، وقد أفسدوا ثانياً بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل
منهم أولفاً وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس^(٤).

[٨] وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم
﴿وَأِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب
محمد ﷺ فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم
﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محسناً وسجناً.

[٩] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾
أعدل وأصوب ﴿وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَبِيرًا﴾.

[١٠] ﴿وَكُلٌّ﴾ يخبر ﴿أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْدَانَا﴾ أعدنا ﴿لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمًا﴾ مؤلماً هو النار.

[١١] ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَاةً﴾ أي:
كدهائه له ﴿بِالْحَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿عَجُولًا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم
النظر في عاقبته.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ﴾ الدالين على قدرتنا ﴿فَمَحْوًا آيَةً
أَلَيْلٍ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةً
النَّهَارِ مَبْصُرَةً﴾ أي: مبصراً فيها بالضوء ﴿لِيَتَّبِعُوا﴾ فيه ﴿فَضلاً مِّنْ رَبِّكَ﴾
بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ النَّسِيئِينَ وَالْجَسَابِ﴾ للأوقات ﴿وَكُلٌّ
شَيْءٌ﴾ يحتاج إليه ﴿فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ بيناه تبييناً.

[١٣] ﴿وَكُلٌّ إِنْسَانٌ أَرْزَمَهُ ظَلْمَةُ﴾ عمله يحمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ خص

عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدْتُمْ عَلَيْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُنَبِّئُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٠﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْدَانَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمًا ﴿١١﴾
وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْحَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١٢﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ فَمَحْوًا آيَةً اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مَبْصُرَةً لِّيَتَّبِعُوا فَضلاً مِّنْ رَبِّكَ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
النَّسِيئِينَ وَالْجَسَابِ وَكُلٌّ شَيْءٌ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴿١٣﴾ وَكُلٌّ
إِنْسَانٌ أَرْزَمَهُ ظَلْمُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٤﴾ أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٥﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَلَا زُرَّةً وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَلَا تَرَوْا زُرَّةً حَتَّىٰ تَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا فِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا ﴿١٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ
مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٨﴾

بالذكر؛ لأن الزورم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه
ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد^(٥).

[١٤] ﴿وَنُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ مكتوباً فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾
صفحة لاه كتاباً. ويقال له: ﴿أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾
محاسباً.

[١٥] ﴿مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ
فَأِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمها عليها ﴿وَلَا تَرَوْا زُرَّةً﴾ نفس ﴿وَأَزُرَّةً﴾ أئمة؛ أي: لا
تحمل ﴿وَزُرَّةً﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحداً ﴿حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾
يبين له ما يجب عليه.

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مَتْرُوبَهَا﴾ مُتَّعِيَهَا بمعنى رؤسائها،
بالطاعة على لسان رسلنا ﴿فَفَسَدُوا فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا
الْقَوْلُ﴾ بالعداب ﴿فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا﴾ أهلناها بإهلاك أهلها وتخريبها.

[١٧] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالماً بواطنها وظواهرها، و«به» يتعلق
﴿بِذُنُوبِ﴾.

(١) بآية قراءة أبي عمرو. (٢) اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلمين عليهم؛ من هم، وعن ابن عباس أنه جالوت وجنوده. (٣) أي ثواب الإحسان.

(٤) وفي هذا نظراً؛ حيث إن بختنصر كان بينه وبين يحيى الكلا عدة قرون. وقيل أيضاً: إن الذي حوَّب بيت المقدس الحراب الثاني هو: «طيطوس» الروماني. ولا دليل صحيح على شيء من ذلك،
فالأولى التوقف، والله أعلم.

(٥) ذكره ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه [الدر المنثور (٢٥٠/٥)].

مطرودا عن الرحمة.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ۖ عَمِلَ عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ عند الله؛ أي: مقبولاً منافعاً عليه.

[٢٠] ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿فِيمُدُّ﴾ نعطي ﴿هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ﴾ بدل ﴿مِنْ﴾ متعلق بـ«أعظم» ﴿عَطَاءَ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءَ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً عن أحد.

[٢١] ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا﴾ من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها.

[٢٢] ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُودًا﴾ لا ناصر لك.

[٢٣] ﴿وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبِّكَ أُنْهَىٰ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ﴾ أن تحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بأن تروهما ﴿إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة ﴿يَبْلُغَانَّ﴾ (١) ذ (أحدهما) بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُلْ لهُمَا [أَف]﴾ بفتح الفاء، وكسرهما منوناً وغير منون (٢) مصدر بمعنى تبا وبقبحا ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ ترجمهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً لينا.

[٢٤] ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ ألن لهما جانبك الدليل ﴿مِنْ الرَّحْمَةِ﴾ أي: لرفقتك عليهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَحِمْتَ رَبِّيَّانِي صَغِيرًا﴾.

[٢٥] ﴿رَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طاعين لله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأُولِيَّانِ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿عَفْوًا﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمنون عقوقاً.

[٢٦] ﴿وَوَاتٍ﴾ أعط ﴿ذَا الْقُرْنَيْنِ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بَدْرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله.

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: على طريقتهم ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر لنعمة، فكذلك أخوه المبدر.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٠﴾ كَلَّا نُمَدِّدْهُنَّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢١﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَاللَّآخِرَةُ أَكْبَرُ تَفْصِيلًا ﴿٢٢﴾ لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُودًا ﴿٢٣﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٤﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا ﴿٢٥﴾ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأُولِيَّانِ عَفْوًا ﴿٢٦﴾ وَوَاتٍ عَطَىٰ ذَا الْقُرْنَيْنِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بَدْرًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٨﴾

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التعجيل له، بدل من «له» بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوماً ﴿مَدْحُورًا﴾

(١) مع كسر النون مشددة حمزة والكسائي.

(٢) بالفتح وبدون تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر كذلك قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

﴿وَأَمَّا تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ﴾ أي: المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿أَنْتَعَلَهُ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمْ﴾ أي: لطلب رزق تنتظره تأتيك فتعطيهم منه ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ ليُنْهَ سَهْلًا بَأَنْ تَعُدَّهُمْ بِالْإِعْطَاءِ عِنْدَ مَجِيءِ الرِّزْقِ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول ^(١) ﴿تَحْسُورًا﴾ منقطعًا لا شيء عندك راجع للثاني ^(٢).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعُه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ﴾ يبرأطهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بالوَادِ ﴿حَشِيَّةً﴾ مخافة ﴿وَأُمَّلَتْ﴾ فقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا لَكُرِّمُونَ﴾ كَجِبْرًا عَظِيمًا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ قبيحًا ﴿وَسَاءَ﴾ بس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا هو.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ﴾ لوارثه ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلطًا على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِفْ﴾ يتجاوز الحد ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بَأَنْ يَقْتُلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ بِغَيْرِ مَا قَتَلَ بِهِ ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ عنه.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أَمْوَهُ ﴿إِذَا كَلَّمْتُمْ وَرثُوا بِالْقِسْطِ الِّمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مَالًا.

﴿وَلَا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ صاحبه ماذا فعل به.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح بالكبر والحيلاء ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تتفحها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال؟! [٣٨] ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئًا﴾ ^(٤) عند ربك مكرهاً.

(١) أي: الإسك.

(٢) أي: الإسراف في الإنفاق.

(٣) وفي الآية إثبات صفة البصر له سبحانه؛ على الوجه اللائق به من غير تمثيل، ولا تكليف، ولا تأويل، ولا تعطيل، ومن لوازم ذلك أن يكون علماً بيوطن عباده وظواهرهم.

(٤) وفي قراءة سبعة لنافع وابن كثير وأبي عمرو «سيفة» بالناء؛ أي عملاً سيقاً، وقرأ الباقون «سبه» بالهاء؛ أي السبع مما تقدم.

ذَلِكَ وَمَا أَرْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ
 بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَابًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغُوا إِلَيَّ الْعَرْشَ سَبِيلًا
 ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَوَعَلَىٰ أَعْيُنُنَا وَقَوْلُنَا عَلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ نُسِخَ لَهُ السَّمَوَاتُ
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِخِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
 الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
 مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
 وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَلَغُوا الْقُرْآنَ وَحَدَّهُمْ لَوْلَا عَلَيْنَا أَذْرُوهُمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ حَوِيٌّ
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
 وَقَالُوا إِذْ كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا أَلَمْ نَأْمُرُهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا

الْمَلَائِكَةَ إِنْتَابًا ﴿٣٩﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿٣٩﴾ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ ﴿٣٩﴾ بذلك ﴿٣٩﴾ قَوْلًا
 عَظِيمًا ﴿٣٩﴾.

[٤١] ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴿٤١﴾ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴿٤١﴾ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ
 ﴿٤١﴾ لِيَذَكَّرُوا ﴿٤١﴾ بِتَعْلُوًّا ﴿٤١﴾ وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴿٤١﴾ ذَلِكَ ﴿٤١﴾ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ عَنِ الْحَقِّ.

[٤٢] ﴿٤٢﴾ قُلْ ﴿٤٢﴾ لَهُمْ: ﴿٤٢﴾ لَوْ كَانَ مَعَهُ ﴿٤٢﴾ أَي: اللَّهُ ﴿٤٢﴾ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا
 لَا يَتَّبِعُونَ ﴿٤٢﴾ طَلَبُوا ﴿٤٢﴾ إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ ﴿٤٢﴾ أَي: اللَّهُ ﴿٤٢﴾ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ لِيُقَاتِلُوهُ ﴿٤٢﴾.

[٤٣] ﴿٤٣﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ ﴿٤٣﴾ وَوَعَلَىٰ أَعْيُنُنَا ﴿٤٣﴾ وَوَعَلَىٰ أَعْيُنُنَا ﴿٤٣﴾ يَقُولُونَ ﴿٤٣﴾ مِنَ الشُّرَكَاءِ ﴿٤٣﴾ عَلُوًّا
 كَبِيرًا ﴿٤٣﴾.

[٤٤] ﴿٤٤﴾ نُسِخَ لَهُ ﴿٤٤﴾ تَنْزِيهِهِ ﴿٤٤﴾ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ
 ﴿٤٤﴾ مِنْ شَيْءٍ ﴿٤٤﴾ مِنَ الْخُلُوقَاتِ ﴿٤٤﴾ إِلَّا يُسِخِّحُ ﴿٤٤﴾ مُتَلَبِّسًا ﴿٤٤﴾ بِحَمْدِهِ ﴿٤٤﴾ أَي يَقُولُ:

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ ﴿٤٤﴾ تَفْهَمُونَ ﴿٤٤﴾ تَسْبِيحَهُمْ ﴿٤٤﴾ لِأَنَّهُ لَيْسَ
 بِلَعْنَتِكُمْ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ حَيْثُ لَمْ يُعَاجِلِكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

[٤٥] ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴿٤٥﴾ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ أَي: سَاتَرْنَا لَكَ عَنْهُمْ فَلَ يَرُونَكَ، نَزَلَ فِيمَنْ أَرَادَ الْفِتْلَ بِه
 ﴿٤٥﴾.

[٤٦] ﴿٤٦﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴿٤٦﴾ أَغْطِيَهُ ﴿٤٦﴾ أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴿٤٦﴾ مِنْ أَنْ يَفْهَمُوا
 الْقُرْآنَ: أَي: فَلَا يَفْهَمُونَهُ ﴿٤٦﴾ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٤٦﴾ ثِقَلًا فَلَا يَسْمَعُونَهُ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ
 رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُمْ لَوْلَا عَلَيْنَا أَذْرُوهُمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ عِنْدَهُ.

[٤٧] ﴿٤٧﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴿٤٧﴾ سَبِيهِ مِنَ الْهَرَبِ ﴿٤٧﴾ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴿٤٧﴾
 قِرَاءَتِكَ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ هُمْ حَوِيٌّ ﴿٤٧﴾ يَتَّجِرُونَ فِيهِمْ: أَي: يَتَّجِرُونَ مِنْكُمْ ﴿٤٧﴾ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴿٤٧﴾ مِنْ
 قَبْلِ ﴿٤٧﴾ يَقُولُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ فِي تَنَاجِيهِمْ: ﴿٤٧﴾ إِنْ ﴿٤٧﴾ مَا ﴿٤٧﴾ نَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾
 مَخْدُوعًا مَغْلُوبًا عَلَىٰ عَقْلِهِ.

[٤٨] ﴿٤٨﴾ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴿٤٨﴾ بِالسَّحُورِ
 وَالْكَاهِنِ وَالشَّاعِرِ ﴿٤٨﴾ فَضَلُّوا ﴿٤٨﴾ بِذَلِكَ عَنِ الْهُدَى ﴿٤٨﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
 طَرِيقًا إِلَيْهِ.

[٤٩] ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا ﴿٤٩﴾ مَن كَرِهَ لَلْبَعَثِ: ﴿٤٩﴾ إِذْ كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا أَلَمْ نَأْمُرُهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا
 جَدِيدًا ﴿٤٩﴾.

[٣٩] ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ وَمَا أَرْحَى إِلَيْكَ ﴿٣٩﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿٣٩﴾ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴿٣٩﴾ الْمُرْعَطَةِ
 وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ مَطْرُودًا عَنِ
 رَحْمَةِ اللَّهِ.

[٤٠] ﴿٤٠﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ

(١) والقول الآخر في تفسير الآية أن المعنى: لطلبوا التوصل والتقرب إليه، إفرادًا له - سبحانه - بالعبودية والتوجه، وهذا القول هو الصحيح المنقول عن السلف، كما بينه شارح الطحاوية، واختاره ابن كثير وغيره.

(٢) يشير إلى ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٩٥/٢، ١٩٦) عن أسماء بنت أبي بكر قال: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يُدَىٰ أَبِي لَهَبٍ﴾ (سورة المسد) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر (حجر) وهي تقول: مدمًا أينما، ودنيه قلبنا، وأمره عصينا. والنبي ﷺ في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: يا رسول الله، قد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك. قال النبي ﷺ: إنها لن تراني. وقرأ قرآنًا فاعتصم به كما قال. وقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾، فوفقت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ... الحديث. وأخرجه أيضًا أبو يعلى في مسنده (٣٣/١ رقم ٢٥) عن ابن عباس بنحوه، وفي إسناده عند أبي يعلى عطاء بن السائب، وقد احتلط، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤/٧)، ونسبه إلى أبي يعلى واليزار وضعفه بعباءة. هذا أحد الأقوال، والقول الآخر في تفسير الآية أن المراد بالحجاب المستور؛ أي: من الجهل وعمى القلب، فهم لإعراضهم وتغافلهم عن دعوته ﷺ كتمن بينه وبينهم حجاب يمنعهم من السماع ويحول بينهم وبين الهدى، وهذا القول هو الأقرب، وعليه جمهور المفسرين.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئاً؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجبنا ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء: ﴿مَنْ هُوَ﴾ أي: البعث ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِينًا﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿يَحْمَدُونَ﴾ بأمره، وقيل: وله الحمد ﴿وَتَقُولُونَ﴾ ما ﴿لَيْسَتْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لهول ما ترون.

[٥٣] ﴿وَقُلْ لِيَسْأَلِيَنَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقولوا للكفار (١) الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إنَّ الشَّيْطَانَ يَزْعُجُ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ إنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عِدُوًّا مُّبِينًا﴾ بَيْنَ الْعَدَاوَةِ.

[٥٤] والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ إنَّ بَشَرًا يَرْحَمُكُمْ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٥٥] ﴿رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ الَّذِينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلعة، ومحمد بالإسراء ﴿وَمَا أَتَيْنَا دَاوُدَ رُبُورًا﴾.

[٥٦] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَضْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ كَنَفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له إلى غيركم.

[٥٧] ﴿أَتَلَيْتَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم آلهة ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أَلْوَسِيْلَةَ﴾ القرية الطاعة ﴿أَيْهِمْ﴾ بدل من واو «يتبعون»؛ أي: يتبعها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ ويخافون عذابه ﴿كَيْفَ تَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٢).

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُقْضَىٰ عَلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَنْ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِينًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنَّ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِيَسْأَلِيَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَشَاءُونَ مِنَ الَّذِينَ يَشَاءُ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ رَحْمَةً أَوْ لِيَأْسَ يَعْذِبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٣﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ الَّذِينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ رُبُورًا ﴿٥٤﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَضْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيْلَةَ أَيُّهَمُ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٦﴾ وَإِنْ مِنْ قَرِينَةٍ إِلَّا أَخْنُ مَهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَتْ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٧﴾

[٥٨] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ قَرِينَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا أَخْنُ مَهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوبًا.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفرًا من الجن؛ فأسلم النفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: ﴿أَتَلَيْتَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّبِعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيْلَةَ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٤) (٣٠٣)، وهو في البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥) دون التصريح بسبب النزول.

(١) هذا أحد الأقوال في تفسير هذه الآية، ولعله يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٥)، عن الكلبي قال: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأقرن الله تعالى هذه الآية. والحديث ضعيف كما في الاستيعاب (٤٤٠/٢). والقول الثاني: هو أن الآية تحث المؤمنين على أن يتخاطبوا فيما بينهم بالتي هي أحسن. وهذا هو الأظهر والأنسب، والله أعلم.

فيؤمنوا^(٥).

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ
وَهَاتَيْنَا نُجُومًا مَبْصُورَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا^(٦) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّءْيَا إِلَّا آيَةً لِّلنَّاسِ إِلَّا فِئْتَنَةً لِّلنَّاسِ وَالسَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ قَمَازٍ يُرِيدُهُمْ إِلَّا طَعْنًا كَبِيرًا^(٧)
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ ءَسْجُدُوا لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا^(٨) قَالَ أَرَأَيْتَ تَنَافَسْتُكَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَعَلَىٰ لِيْنَ أَخْرَجْتَنِي إِلَى الْيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنِكَ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا^(٩) قَالَ أَهَبْتَهُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا^(١٠) وَأَسْتَفْرَزَ مَنْ اسْتَطَاعْتَ
مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَالْجَلْبَ عَلَيْهِمْ بِحَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعُدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا
عُرُورًا^(١١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا^(١٢) رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي
الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا^(١٣)

[٦٠] ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ﴾ فهم في قبضته، فبلغهم ولا تخف أحدًا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا إِلَّا آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ عيانا ليلة الإسراء^(١) ﴿إِلَّا فِئْتَنَةً لِّلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَالسَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنه لهم، إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت ﴿وَنُحُوفُهُمْ﴾ بها ﴿قَمَازٍ يُرِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طَعْنًا كَبِيرًا﴾.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا تحية بالإنحاء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَسْجُدُوا لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ نصب بنوع الخافض؛ أي: من طين.

[٦٢] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ تَنَافَسْتُكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَعَلَىٰ لِيْنَ أَخْرَجْتَنِي إِلَى الْيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنِكَ﴾ فضلت عنك ﴿بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لَهُ﴾ وأنا خير منه خلقني من نار ﴿لِيْنٍ﴾ لام قسم ﴿أَخْرَجْتَنِي إِلَى الْيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنِكَ﴾ لاستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم ممن عصمته.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿أَهَبْتَهُ﴾ مُنْظَرًا إِلَى وَقْتِ النِّفْحَةِ الْأُولَى ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ وافرا كاملا.

[٦٤] ﴿وَأَسْتَفْرَزَ مَنْ اسْتَطَاعْتَ مِنْهُمُ اسْتَطَاعْتَ مِنْهُمْ بَصُوتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ﴿وَأَلْبَيْتَ صَيْخَ عَلَيْهِم بِحَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ من الرنى ﴿وَعَدَّهُمْ﴾ بأن لا يبعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعُدُّهُمْ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا عُرُورًا﴾ باطلاً.

[٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ حافظا لهم منك.

[٦٦] ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ من فضليته ﴿- تعالى -﴾ بالنجارة ﴿إِنَّهُ كَاتِبُكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم.

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ﴾ لما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمانا بإمها لهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَهَاتَيْنَا نُجُومًا مَبْصُورَةً﴾ آية ﴿مَبْصُورَةً﴾ بيّنة واضحة ﴿فَظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: سألت أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم فيردعوا [الفعال من الزرع]، فقبل له: إن شئت أن تستائي بهم، وإن شئت أن تؤيبهم الذي سألو، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكك من قبلهم. قال: لا، بل أستائي بهم، فأقول الله ﷻ هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَهَاتَيْنَا نُجُومًا مَبْصُورَةً﴾. أحمد - المسند (٢٥٨/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٣٣٣).

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا إِلَّا آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين ليلة أسري به. ﴿وَالسَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: شجرة الزقوم. البخاري (٣٨٨٨).

(٢) الأعراف: ١٢.

[٦٧] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ الْقُرَىٰ شِدَّةٌ فِي الْبَيْتِ﴾ خوف الفرق ﴿صَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعون ﴿إِلَّا إِلَٰهًا﴾ تعالى ؤ فإنكم تدعون وحده؛ لأنكم لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا جَنَّكُمُ﴾ من الفرق وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ جحوداً للعلم.

[٦٨] ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْفَىٰ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي: الأرض كفارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا﴾ حافظاً منه.

[٦٩] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي: البحر ﴿نَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾ فيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ أي: ريحاً شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتفسر فللكم ﴿فَيَعْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا يَهْدِيكُمْ﴾ ناصراً وتابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم.

[٧٠] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَوَرَدْنَاهُمْ مِّنَ الْبَلَدِ مَنَاطِئَ﴾ وَضَلَّانَهُمْ عَلَا كَثِيرٍ مِّنْ حَلَفَاتٍ﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَقْضِيًّا﴾ ف«من» بمعنى «ما» أو على بابها، وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفرادها؛ إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء^(١).

[٧١] اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ نبيهم، فيقال: يا أمة فلان، أو بكتاب أعمالهم فيقال: يا صاحب الشر، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أُوْفِيَ﴾ منهم ﴿كِتَابُهُ بِسَمِيئِهِ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُولَٰئِكَ يَفْرَهُونَ﴾ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَيَلْبَسُوا﴾ قدر قشرة النواة^(٢).

[٧٢] ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَلْدِيهِ﴾ أي: الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾ أهدى طريقاً عنه.

[٧٣] ونزل في تقييد وقد سأله ﷺ أن يحرم وادبهم وألحوا عليه^(٣): ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿كَادُوا﴾ قاربوا ﴿لَيَقْتُلَنَّكَ﴾ ليستنزلوك ﴿عَنِ الْبَرِّ﴾ أَوْحِيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرَىٰ عَلَيْنَا عَیْرَةً وَإِذَا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَا تَقْدِرُونَ﴾ حِيلًا﴾.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا جَنَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٧٠﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْفَىٰ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا ﴿٧١﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا ﴿٧٢﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ مِّنَ الطِّينِ وَآدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كُلِّ بَشَرٍ مِّن قَبْلِنَا تَقْضِيًّا ﴿٧٤﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَبِسْمِيئِهِ فَأُولَٰئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٥﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَلْدِيهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَصْلُ سَبِيلًا ﴿٧٦﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَقْتُلَنَّكَ عَنِ الْبَرِّ أَوْحِيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرَىٰ عَلَيْنَا عَیْرَةً وَإِذَا لَاتَجِدُوا لَكُمْ حِيلًا ﴿٧٧﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنَّ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٨﴾ إِذَا لَادَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٩﴾

[٧٤] ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾ عن الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدَّتْ﴾ قاربت ﴿تَرَكُنَّ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾ ركناً ﴿قَلِيلًا﴾ لشدة احتيالههم ولالحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب.

[٧٥] ﴿وَإِذَا﴾ لو ركنت ﴿لَادَقْنَاكَ ضَعْفًا﴾ عذاب ﴿الْحَيَوةِ﴾ وَضَعْفًا﴾ عذاب ﴿الْمَمَاتِ﴾ أي: مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعاً منه.

(١) والذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن السلف واختاره: القول بتفضيل الأنبياء وصالح المؤمنين على الملائكة. واختار طائفة التوقف؛ وأن الأولى عدم الخوض في هذه المسألة؛ لأنه لا يترتب على ذلك عمل. وهو قول حسن.

(٢) هذا سهو من السيوطي رحمه الله؛ فما ذكره هو معنى «القطمير»، أما «الفتيل» فهو: الخيط الذي في بطن النواة.
(٣) أي يحرمه كما حرم مكة. ذكره الواحدي في أسباب النزول عن عطاء عن ابن عباس (ص ١٢١) وقيل غير ذلك، وكلها ضعيفة كما في الاستيعاب (٤٤٨/٢ - ٤٥١)، والصحيح أن الآية عامة في تأييد الله ﷻ لرسوله ﷺ وتثبيتهم وعصمتهم وسلامتهم من شر الأشرار وكيد الفجار، والله أعلم.

[٧٨] ﴿أَفِرْ أَصَلَاةَ لِذُلُوكِ أَلْتَمِينَ﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إِنِّي عَسَىٰ أَلِيْلٌ﴾ إقبال ظلمته؛ أي: الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار^(١).

[٧٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فصل ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ يقبمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء.

[٨٠] ونزل لما أمر بالهجرة^(٢): ﴿وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِي الْمَدِينَةَ﴾ مُدْخَلٌ صِدْقٌ إِدْخَالًا مُرْضِيًا لَأَرَىٰ فِيهِ مَا أَكْرَهُ ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجٌ صِدْقٌ﴾ إِخْرَاجًا لَا تَلْتَفْتُ بِلِقَائِي إِلَيْهَا ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِن لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك.

[٨١] ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَالْإِسْلَامُ﴾ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ ﴿بَطْلُ الْكُفْرِ﴾ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زُهُوقًا ﴿مُضْمَحًّا زَائِلًا﴾ وَقَدْ دَخَلَهَا ﴿وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُونَ صِنْمًا﴾ فَجَعَلَ يَطْعُنَهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى سَقَطَتْ، رَوَاهُ الشَّيْخَانُ^(٣).

[٨٢] ﴿وَنَزَّلْنَا مِن لَّدُنَّ الْفَرَّانَ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِهِ ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ إِلَّا حَسَارًا ﴿لِكُفْرِهِمْ بِهِ﴾.

[٨٣] ﴿وَإِذَا نَفَسْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ الْكَافِرِ ﴿أَعْرَضَ﴾ عَنِ الشُّكْرِ ﴿وَنَنَا بِحَبَابِهِ﴾ ثَمِي عَطْفُهُ مَبْتَحِرًا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الْفَقْرُ وَالشَّدَّةُ ﴿كَانَ يَتُوسَّأُ﴾ قَنُوطًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَةٍ﴾ طَرِيقَتُهُ ﴿فَرِيضَتُكُمْ أَعْلَمُ﴾ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿طَرِيقًا فِيهِهِ﴾.

[٨٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أَي: الْيَهُودَ ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الَّذِي يَحْيَا بِهِ الْبَدَنُ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أَي: عِلْمُهُ لَا تَعْلَمُونَهُ ﴿وَمَا أَوْتِيَهُ مِنْ أَلِيمٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِهِ تَعَالَى^(٤).

[٨٦] ﴿وَلَيْنَ﴾ لَام قَسَمٌ ﴿شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِأَيْدِي أَوْحِيَّا إِلَيْكَ﴾ أَي: الْقُرْآنَ بَأَن نَمُوحَهُ مِنَ الصُّدُورِ وَالْمَصَاحِفِ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ بِهِ عَيْنًا وَكَيْلًا﴾.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوا مِنْكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدَّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقْبَرُ الصَّلَاةِ لِلذُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زُهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا نَفَسْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَنَا بِحَبَابِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَتِهِ فَمَنْ كُنَّا أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٣﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٤﴾ وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُكَ بِهِ عَيْنًا وَكَيْلًا ﴿٨٥﴾

[٧٦] ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبيا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء^(١): ﴿وَإِنْ﴾ مَخْفِقَةٌ ﴿كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوا مِنْ الْأَرْضِ﴾ أَرْضِ الْمَدِينَةِ ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا﴾ لَوْ أَخْرَجُوكَ ﴿إِلَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾ فِيهَا ﴿وَلَا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ يَهْلِكُونَ.

[٧٧] ﴿سُنَّةٌ مِنْ قَدَّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أَي: كَسَنَّتْنَا فِيهِمْ مِنْ إِهْلَاكِ مَنْ أَخْرَجَهُمْ ﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تَبْدِيلًا.

(١) ما جاء في نزول الآية (٨٥): أخرج البخاري عن عبد الله قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكى على عسيب إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء ترونه، فقالوا: سلوه! فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقامت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الإسراء (١٧) باب (١٣).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسال عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأئذ الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة بني إسرائيل. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

وهذا الحديث يدل على أن هذه الآية مكية، فيتمشى ذلك مع كون السورة كلها مكية، وحديث ابن مسعود السابق قال ابن كثير: فيقضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية. . . وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدية مرة ثانية كما نزلت عليه بحكمة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سأله بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية.

(١) أخرج نحوه ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وابن عسكار عن عبد الرحمن بن غنم (الدر المنثور (٣٥٣/٤))، وضعفه السيوطي في لياح القول (ص ١٣٩) وقال: «هذا مرسل ضعيف الإسناد». وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قال: هم أهل مكة بإخراج النبي ﷺ من مكة، وقد فعلوا بعد ذلك؛ فأهلهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلا... ذكره الطبري في جامع البيان (٩٠/١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٢٠/٥)، وهو مرسل كما في الاستيعاب (٤٥٢/٢).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا به، وأحمد في المسند (٤٧٤/٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٦٤)، وأحمد (١٨٤٧) عن ابن عباس، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦١٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٩١/٣): «إسناده صحيح».

(٤) البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عبد الله بن مسعود.

[٨٧] ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقينا ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ عظيماً؛ حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

[٨٨] ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ^(١) ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معيَّناً.

[٨٩] نزل ردّاً لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ^(٢): ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لخدوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل؛ ليعظوا ﴿فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً للحق.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على «أبي»: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ عينا ينبع منها الماء.

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن بَسْتَانٍ﴾ بستان ﴿مِن تَحْتِهَا يَنْبُوعٌ﴾ بستان ﴿فَتَفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَافَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾.

[٩٢] ﴿أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كُفُورًا﴾ قطعاً ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ سَبِيلًا﴾ مقابلة وعياناً ففراهم.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرُوفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بسلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿تَقْرَأُهُ﴾ قل ﴿لهم﴾: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكاً.

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا﴾ أي قولهم منكرين: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكاً.

[٩٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مَطْمَئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ إذ لا يُرْسَلُ إلى قوم رسول إلا من جنسهم؛ ليتمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿إِنَّهُ

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا الْكُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن تَحْتِهَا يَنْبُوعٌ ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كُفُورًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرُوفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَأُهُ ﴿٩٣﴾ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مَطْمَئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٦﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٧﴾

كان يعبادوه خبيراً بصيراً ﴿٩٧﴾ عالماً ﴿٩٧﴾ بواطنهم وظواهرهم.

(١) ذكر العلماء أن أوجه الإعجاز في القرآن عديدة؛ ومنها: الإخبار بالغيبيات، والعذوبة في الألفاظ، والبراعة في الأسلوب، والإيجاز في العبارة مع إفادة المعاني الكثيرة، وكونه لا يتخلق مع كثرة التلاوة ولا يتجمل بياضه، وكونه يجمع علوماً ومعارف لم يجمعها كاتب غيره، وغير ذلك.

(٢) الأنفال: ٣١.

(٣) والعلم غير البصر، وإن كان من لوازمه، فنتجت هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه.

يهدونهم ﴿٩٧﴾ من دونهم ويخسرهم يوم القيمة ﴿٩٨﴾ ما بين ﴿٩٧﴾ على وجوههم عمياً
ونكماً وضماً مأوئهم جهنم كلما خبت كلما خبت سكن لها سكيناً ﴿٩٩﴾ زدنهم سعيراً ﴿١٠٠﴾
تلها واشتعالاً.

[٩٨] ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿أَإِنَّا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَعْبُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

[٩٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
مع عظيمهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمَا﴾؛ أي: الأناسي في الصغر
﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَمْثَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَا رَبَّ فِيهِ فَا بَىٰ الظَّالِمُونَ إِلَّا﴾
كفوراً ﴿جحوداً له﴾.

[١٠٠] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ من الرزق
والمطر ﴿إِذَا لَمْ تَسْأَلْنَاهُمْ لَبِخْتُمْ﴾ لبختم ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ خوف نفاذها بالإنفاق
فتفوتوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلاً.

[١٠١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وهي اليد، والعصا،
والطوفان، والحجرات، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، ونقص الثمرات (١)
﴿فَسْتَلِّ﴾ يا محمد ﴿نَجِيَّ إِسْرَائِيلَ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على
صدقك، أو قلنا له: أسأل، وفي قراءة بلفظ الماضي (٢) ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ﴾
فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠٢﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقلك.

[١٠٢] ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلْتَهُنَّ لَآءَ﴾ الآيات ﴿يَا رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾
وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴿عِبْرًا﴾، ولكنك تعاند، وفي قراءة بضم التاء (٣) ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾
يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿هالكا أو مصروفاً عن الخير﴾.

[١٠٣] ﴿فَارَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفْرِزَهُمْ﴾ يخرج موسى وقومه ﴿وَمِنَ﴾
الْأَرْضِ ﴿أَرْضِ مِصْرَ﴾ فأغرقه ومن معه جميعاً.

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ يعني إسرائيل ﴿أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ﴾
الْآخِرَةَ ﴿أَي: الساعة﴾ ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جميعاً أنتم وهم.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ
مِن دُونِهِ وَيَخْسَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا
وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَلِكَ جَزَاءُ هُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَمًا
وَرَفَاتًا ءَأِنَّا لَمَعْبُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَا بَىٰ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوِ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَّا لَمْ تَسْأَلْنَاهُمْ خَشْيَةَ
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلِّ نَجِيَّ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلْ
هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَارَادَ أَنْ يَسْتَفْرِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ وَجَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَبْنِيَ إِسْرَائِيلَ
أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

[٩٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾

(١) وهذه هي الآيات التي أوتها موسى عليه السلام لفرعون وقومه، وهي غير الآيات التي أوتها حمل قومه بني إسرائيل على الاستقامة، كما تقدم في تفسير سورة يونس آية (٧٥).

(٢) أي «فأسأل»، والمناسب أن يقول: «وقرىء» جرياً على طريقته؛ لأنها قراءة شاذة.

(٣) أي: من «غليظاً»، وهي للكسائي.

[١٠٥] ﴿وَيَلْقَىٰ أَنْزَلَهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَيَلْقَى﴾ المشتغل عليه ﴿زَلَّ﴾ كما أنزل لم يعثره بتبديل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من أمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كفر بالدار. [١٠٦] ﴿وَوُضِّعَ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿وَقَفَّتْ﴾ نزلناه مفرقًا في عشرين سنة أو ثلاث ﴿يَلْقَىٰ عَلَىٰ أَثَابِسٍ عَلَىٰ مَكِّيٍّ﴾ مهل وتودة ليفهموه ﴿وَزَلَّزَلَتْهُ تَزْيِيلًا﴾ شيئًا بعد شيء على حسب المصالح. [١٠٧] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿ءَابِئَاؤُا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَاتِم مِّن قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله، وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِنَّا نَسَلُ عَلَيْمُ بَحْرُونَ لِیُلْدَأَقَاَن سَجْدًا﴾. [١٠٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا﴾ تنزيها لها عن خلف الوعد ﴿إِن﴾ مخفية ﴿كَأَنَّا وَعَدْنٰ رَبَّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَقْمَرًا﴾. [١٠٩] ﴿وَيَحْزَنُونَ لِیُلْدَأَقَاَن یَبْكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيَرْزُقُهُم﴾ القرآن ﴿حُسْرًا﴾ تواضعا لله. [١١٠] وكان ﷺ يقول: ﴿يا الله يا رحمن﴾ فقالوا: بينا هنا أن نعبد إلهین وهو يدعو إلها آخر معه، فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ﴾ أي: سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا: يا الله يا رحمن^(١) ﴿أَيُّهَا﴾ شرطية ﴿مَنَّا﴾ زائدة؛ أي: أيُّ هذين ﴿تَدْعُوا﴾ فهو حسن، دل على هذا: ﴿فَلَهُ﴾ أي: لسماعهما ﴿الْاِسْتِزَارَةَ﴾ نُشِئْنَا، وهذا منها، فإنها كما في الحديث: والله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المحيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور﴾ [رواه الترمذي]^(٢)، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلٰتِكَ﴾ بقرآنتك بها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تَخَافُ﴾ تسر ﴿بِهَا﴾ ليتسمع أصحابك ﴿وَيَلْبَسُ﴾ أقصد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والخافتة ﴿سَيِّبًا﴾ طريقًا وسطًا^(٣). [١١١] ﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِثْرٌ﴾ يصيره ﴿مِنْ﴾ أجل ﴿الَّذِلَّ﴾ أي: لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكَبْرَةٌ تَكْبِيرًا﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد الشريك والذل وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع الحمد لكمال ذاته وتفرده في صفاته، وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: ﴿آية العز: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ﴾ إلى

﴿وَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ وَبَلَّغْنَاهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٠٥﴾
 ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكَّةَ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ ﴿١٠٦﴾
 ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّا لِلَّذِينَ ءَاثَرُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ ءِذْ ائْتَلَىٰ عَلَيْهِمُ الْيَحْرُونَ لِلَّذِينَ ءَادَعُوا رَبَّنَا﴾ ﴿١٠٧﴾
 ﴿وَقُلُوا لَنَسُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ ﴿١٠٨﴾
 ﴿وَيَحْزَنُونَ لِلَّذِينَ ءَادَعُوا رَبَّنَا وَيَرْزُقُهُمْ حُسْرًا﴾ ﴿١٠٩﴾
 ﴿قُلْ ائْتُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَاتَ دَعْوَا فَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلٰتِكَ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١١٠﴾
 ﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِثْرٌ مِّنَ الدِّلِّ وَكَبْرَةٌ تَكْبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْاِسْتِزَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِجَابًا ﴿١﴾
 قِيمًا لِّیَنْذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
 الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٣﴾
 مَلَکِیْنَ فِیْهِ اَبَدًا ﴿٤﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٥﴾

آخر السورة^(١). والله - تعالى - أعلم^(٢).

سُورَةُ الْاِسْتِزَارِ

[مكية إلا ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية.]

مائة وعشر آيات أو خمس عشرة آية، نزلت بعد سورة الغاشية^(٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى، وهل المراد

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يرفع صوته بالقرآن، وكان المشركون إذا سمعوا صوته سبوا القرآن ومن جاء به، فكان النبي ﷺ يخفض صوته بالقرآن ما كان يسمعه أصحابه، فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلٰتِكَ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾. النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٨٠)، وأخرجه أيضًا بنحو البخاري في كتاب التفسير (٦٥) باب (١٤)، ومسلم في كتاب الصلاة (٤) باب (٣١).

(٥) قَالَ مُؤَلَّفُهُ: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي أَلَّفَهُ الشيخ الإمام العالم المحقق جلال الدين المحلي الشافعي ﷻ، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نقائس أراها إن شاء الله تعالى تجدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكلم^(٢)، وجعلته وسيلة للفوز بجنتنا النعم، وهو - في الحقيقة - مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المشابهة الاعتماد والمعول، فرحم الله امرأً نظَّرَ بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطأ، فأطعني عليه. وَقَدْ قُلْتُ:

(١) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن ابن عباس [الدر المنثور (٣٧٣/٤)]، وضعف صاحب الاستيعاب إسناده (٤٦٤/٢). (٢) الترمذي (٣٤٢٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٩٦). وأسماء الله ﷻ ليست محصورة بهذه الأسماء، بل لا حصر لها، أو لا سبيل للبشر إلى ذلك، كما قال ﷻ: «شَأْنُكَ بِكُلِّ اِسْمٍ هُوَ لَكَ، سَقِيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ، أَوْ ائْتَشَرْتَهُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...». أخرجه أحمد في المسند (٣٧٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (١٠٢). (٣) أحمد (١٥٠٨١) عن معاذ بن أنس مرفوعًا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩) والسلسلة الضعيفة (٥٣/٤) رقم (١٥٤٧). (٤) من أول سورة الكهف يبدأ القسم الذي فسرهُ الجلال المحلي ﷻ.

(٥) وهو أربعون يومًا؛ حيث فرغ من جمعه وتسويده، أما تحريره ونقله من المسودة فإلى سادس صفر، وهي مدة أربعة أشهر إلا أربعة أيام كما سيأتي.

أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٌ ﴿١﴾ الْكِتَابَ ﴿٢﴾ الْقُرْآنَ ﴿٣﴾ وَتَرَى جَمْعَ لَمْ ﴿٤﴾ أَيْ: فِيهِ عَوِيماً ﴿٥﴾ اخْتِلافاً أَوْ تَنَاقُضاً، وَالْجَمْلَةُ حَالٌ مِنَ «الْكِتَابِ».

[٢] ﴿فِي سَمَاءٍ﴾ مُسْتَقِيمًا، حَالٌ ثَانِيَةٌ مُؤَكَّدَةٌ ﴿إِنْزِيلًا﴾ يَخُوفُ بِالْكِتَابِ الْكَافِرِينَ ﴿بِأَسْفَلِهَا﴾ عَذَابًا ﴿شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهِ﴾ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ ﴿وَيُنَزِّلُ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ بِنُورٍ﴾ أَيْ: يَمْشُونَ فِي نُورٍ ﴿أَنْزِيلًا﴾ هُوَ الْجَنَّةُ [٤] ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ مِنْ جَمَلَةِ الْكَافِرِينَ ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾. [٥] ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ بِهَذَا الْقَوْلِ ﴿مَنْ عَلَيْهِ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ مِنْ قِبَلِهِمُ الْقَائِلِينَ لَهُ ﴿كَرْبًا﴾ عَظَمَتْ ﴿كَلِمَةُ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ «كَلِمَةٌ» تَمَيِّزُ مَفْشَرٍ لِلضَّمِيرِ الْمُبْهَمِ، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: مَقَالَتِهِمُ الْمَذْكُورَةُ ﴿إِنْ﴾ مَا «يَقُولُونَ» فِي ذَلِكَ ﴿إِلَّا﴾ مَقُولًا ﴿كَذِبًا﴾.

[٦] ﴿فَلَمَّا كَذَبْتُمْ﴾ مَهْلِكٌ ﴿فَنَسَخْنَا عَلَى مَا نُرِيدُهُمْ﴾ بَعْدَهُمْ؛ أَيْ: بَعْدَ تَوَلِيهِمْ عَنْكَ ﴿إِنَّ لَكُمْ لَبِئْسَ مَا يَهْدَى إِلَيْهِمُ الْقُرْآنَ﴾ الْفَرَّانَ ﴿أَسْفَلًا﴾ غِيظًا وَحِزْنًا مِنْكُمْ؛ لِحَرْصِكُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ، وَنَصَبِهِ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ. [٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ مِنَ الْخِيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿زِينَةً لِمَنْ يَسْبُغُهُمْ﴾ لِنُخْتِبِ النَّاسِ النَّاطِقِينَ إِلَى ذَلِكَ ﴿أَنْهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فِيهِ؛ أَيْ: أَرْهَدَ لَهُ. [٨] ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فَنَاءً ﴿جَزْرًا﴾ يَابِسًا لَا يَبْتُ. [٩] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أَيْ: ظَنَنْتُمْ ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ الْغَارِ فِي الْجَبَلِ ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ الْوَلُوحِ الْمَكْتُوبِ فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ وَأَسْمَاءُ بَنِيهِمْ، وَقَدْ سئل ﷺ عَنْ قِصَّتِهِمْ ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ فِي قِصَّتِهِمْ ﴿مِنْ﴾ جَمَلَةٍ ﴿ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ خَيْرٌ كَانَ، وَمَا قَبْلَهُ حَالٌ؛ أَيْ: كَانُوا عَجَبًا دُونَ بَاقِي الْآيَاتِ، أَوْ عَجَبًا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

[١٠] اذْكَرُ ﴿إِذْ أَوْىءَ الْيَتِيمَ إِلَى الْكَهْفِ﴾ جَمْعُ فَعَى، وَهُوَ الشَّابُّ الْكَامِلُ، خَائِفِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمُ الْكُفَّارِ ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَدُنْكَ﴾ مِنْ قِبَلِكُمْ ﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾ أَسْلِحْ ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ هِدَايَةً.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ أَيْ: أَعْمَيْنَاهُمْ ﴿فِي الْكَهْفِ﴾ سِنِينَ عَدَدًا ﴿مَعْدُودَةً﴾ [١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أَيْقَظْنَاهُمْ ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عِلْمَ مَشَاهِدَةِ

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١﴾ فَلَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ هَذَا الْحَدِيثَ أَسَفًا ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٣﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٤﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٥﴾ إِذْ أَوْىءَ الْيَتِيمَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٦﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْجَزْبِينَ أَحْسَنُ لِمَا لَبِئْسُوا أَمَدًا ﴿٨﴾ تَحْنُ نَفْصُ عَيْكَ بِنَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّ لَهُمْ هُدًى ﴿٩﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴿١٠﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِلَهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ آفَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١١﴾

الإعلام بذلك للإيمان به أو الشك به أو هما؛ احتمالات، أيدها الثالث ﴿الَّذِي

عَدَدْتُ اللَّهُ زَمِي إِذْ هَدَانِي

فَمَنْ لِي بِالنَّجْمِ قَائِدٌ عَنِّي

لِي أَنْبِئْتُ نِعَ عَجْرِي وَضَعِي

وَمَنْ لِي بِالْقُرْآنِ وَتَوَّ بِحَرْفٍ

هذا، ولم يكن قط في تحلدي أن أتعرض لذلك؛ لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسائل، وعسى الله أن ينفع به نفعا جفيا، ينفع به قلوبنا عُلْمًا، وأعيننا عُيُشًا، وأذناننا صُفًا، وكأني بن اعتاد المطولات، وقد أُضْرِبَتْ عَنْ هَذِهِ التَّكْمَلَةِ وَأَصْلُهَا حَسَنًا، وَعَدِلَ إِلَى صَرِيحِ الْعَادِ، وَلَمْ يُوْجِءْ إِلَى دَقَائِقِهَا فَهِيَ مَا يَهْدِيهِمْ فِي هَذِهِ الْأَخْبَرَةِ آمِنًا. رَفَعْنَا اللَّهُ بِهِ هِدَايَةَ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَتَوْفِيقًا وَأَطْلَاعًا عَلَى دَقَائِقِ كَلِمَاتِهِ وَتَحْقِيقًا، وَجَعَلْنَا بِهِ «مَعَ الْوَيْدِ أَمَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ الْكَيْفِيَّةِ وَالْقِيَّيَّةِ وَالشَّهَادَةِ وَالصَّلَاحِ وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَيْفِقًا». وَفَرَعٌ مِنْ تَأْلِيفِ يَوْمِ الْأَحَدِ عَشْرَ شَوَّالِ سَنَةِ سَبْعِينَ وَثَمَانِيَةَ، وَكَانَ الْإِبْتِدَاءُ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَهْتَلِ مَرْضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَفَرَعٌ مِنْ تَبْيِضِهِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسَ صَفْرِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِيَةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبُ الطُّوسِيُّ: أَخْبَرَنِي صَدِيقِي الْعَلَمَةُ الْمُتَّقِ جَلَالُ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ مَصْنُفَ هَذِهِ التَّكْمَلَةِ، وَقَدْ أَخَذَ الشَّيْخُ هَذِهِ التَّكْمَلَةَ فِي يَدِهِ وَتَصَفَّحَهَا وَقَالَ لِمُصَنِّفِهَا الْمَذْكُورِ: أَيُّهَا جَلَالُ الدِّينِ الْمَذْكُورُ فِي النُّورِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ صَدِيقِي الْعَلَمَةُ الْمُتَّقِ جَلَالُ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ مَصْنُفَ هَذِهِ التَّكْمَلَةِ، وَكَانَ يَشِيرُ إِلَى اعْتِرَاضٍ فِيهَا، وَكَانَ يَشِيرُ إِلَى اعْتِرَاضٍ فِيهَا بِطَلْفٍ، وَمَصْنُفَ هَذِهِ التَّكْمَلَةِ كَمَا أورد عليه شيئًا بغيره والشيخ يتسم ويضحك. قَالَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْعَلَمَةُ جَلَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السِّيُوطِيُّ مَصْنُفَ هَذِهِ التَّكْمَلَةِ: الَّذِي أَعْتَقَدُهُ وَأَجْرَمُ بِهِ أَنَّ الْوَضِعَ الَّذِي وَضَعَهُ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ الْخَلِي - رَجَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي قِطْعَتِهِ أَحْسَنَ مِنْ وَضْعِي أَنَا بِطَبَقَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ كَيْفَ وَغَالِبٌ مَا وَضَعْتُهُ هُنَا مُتَقَبِّسٌ مِنْ وَضْعِهِ وَمُسْتَفَادٌ مِنْهُ لَا مَرِيَةَ عِنْدِي فِي ذَلِكَ، وَأَمَّا الَّذِي رَوَيْتُ فِي الْمَنَامِ الْمَكْتُوبِ أَعْلَاهُ؛ فَعَمَلُ الشَّيْخِ أَشَارَ بِهِ إِلَى الْمَوَاضِعِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي خَالَفتُ وَضَعَهُ فِيهَا؛ لَكِنَّهُ، وَهِيَ سِيرَةٌ جَدًّا، مَا أَطْفَأَتْ تَلْعَ عَشْرَةَ مَوَاضِعٍ: مِنْهَا: أَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي «سُورَةِ ص»: وَالرُّوحَ جَسْمٌ لَطِيفٌ بِحَايَةِ الْإِنْسَانِ بِفَرْدِهِ فِيهِ. وَكَتَبْتُ بَعْدَهُ أَوْلًا؛ فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي «سُورَةِ الْحَجْرِ» ثُمَّ ضَرَبْتُ عَلَيْهِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْرُّوحِ قُلِ الْرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» الْآيَةَ، فَهِيَ صَرِيحَةٌ أَوْ كَالصَّرِيحَةِ فِي أَنَّ الرُّوحَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ. تَعَالَى - لَا تَعْلَمُهُ؛ فَإِلَّا مَسَّاكٌ عَنْ تَعْرِيفِهَا أَوْلَى؛ وَلِذَا قَالَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ بْنِ السَّبْكِ فِي «جَمْعِ الْجَمَاعِ»: وَالرُّوحُ لَمْ يَتَكَلَّمْ عَلَيْهَا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَنَسَخْنَا عَنْهَا. وَمِنْهَا: أَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي «سُورَةِ الْحَجِّ»: الصَّابِغُونَ فِرْقَةٌ مِنَ الْيَهُودِ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي «سُورَةِ الْبَقَرَةِ»، وَزِدْتُ: أَوْ النَّصَارَى؛ بَيَانًا لِقَوْلِ ثَابِتٍ؛ فَإِنَّهُ الْمَعْرُوفُ؛ صَحُوصًا عِنْدَ أَصْحَابِنَا الْفُقَهَاءِ، وَفِي «الْمُهَاجِرِ»: وَإِنْ خَالَفتِ السَّامِرَةَ الْيَهُودَ وَالصَّابِغَةَ النَّصَارَى فِي أَصْلِ دِينِهِمْ، وَفِي «شُرُوحِهِ»: أَنَّ الشَّافِعِيَّ ﷺ نَصَّ عَلَى أَنَّ الصَّابِغِينَ فِرْقَةٌ مِنَ النَّصَارَى، وَلَا تَحْتَضِرُ الْآنَ مَوْضِعًا ثَابِتًا؛ وَكَانَ الشَّيْخُ - رَجَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَشِيرُ إِلَى مِثْلِ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمُنَابَ.

(١) قال في حاشية الصاوي: «المعنى: تميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الرينة؛ فمن زهدها كان من أهل الحسن، ومن رغب فيها كان بضد ذلك» (٤/٣). وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «أي أخلصه وأصوبه». تفسير الكرم الرحمن، ص (٥٠٤).

وَأَيُّ الْحَرْبِينَ ﴿١١٤﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَى﴾ أفعال بمعنى أضبط ﴿لِيَأْتِيَ لِبَيْتِهِمُ﴾ للبيهم، متعلق بما بعده ﴿أَمَدًا﴾ غاية. [١٣] ﴿تَنْقُصُ نَقْصًا﴾ نقرأ ﴿عَلَيْكَ يَا بَيْتُ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿إِنَّمِمْ فَيْتَهُ أَمَاتُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَهُمْ هُدًى﴾ [١٤] ﴿وَرَبِّطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فوبناهم على قول الحق ﴿وَإِذْ قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط؛ أي: إفراط في الكفر إن دعونا إليها غير الله، فرضاً [١٥] ﴿هَذُلَاءِ﴾ مبتدأ ﴿فَوَسَّاتَا﴾ عطف بيان ﴿أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَهُمْ لَوْلَا﴾ هلاً ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿يُسَلِّطِينَ بَيْنَهُمْ بِحُجَّتِ ظَاهِرَةٍ﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه - تعالى - .

[١٦] قال بعض الفتيحة لبعض: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ لِرَفْقًا﴾ بكسر الميم وفتح الفاء، وبالعكس^(١)؛ ما تترفقون به من غداء وعشاء.

[١٧] ﴿وَوَرَى السَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ [مُتَرَاوِئًا]﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢) تميل ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبتة ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ متمسك من الكهف بناهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلالات قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ لِهَادًا﴾

[١٨] ﴿وَتَحَسَّبُ﴾ لو رأيتمهم ﴿أَيْقَظَا﴾ أي: متنبهين؛ لأن أعينهم مفتوحة، جمع (يقظ) بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُفُودٌ﴾ نيام، جمع راقد ﴿وَيُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكُلُّهُمْ فِي سَيْطِرٍ ذِرَاعِيهِ﴾ بديه ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ ببناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوْ أَطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [وَلَمَلَّيْتُمْ] بالتشديد والتخفيف^(٣) ﴿مَتَمَّتْ رُغْبَا﴾ بسكون العين وضمها^(٤)، متعمم الله بالربع من دخول أحد عليهم.

[١٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بِعَنَانِهِمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قَالُوا﴾ متوقفين في

ذلك: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ بسكون الراء وكسرهما^(٥)؛ بفضتكم ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يقال: إنها المسماة الآن (طرشوس) بفتح الراء^(٦) ﴿فَلْيَنْظُرْ فِيهَا أَرْكَى طَعَامًا﴾ أي: أي أطعمة المدينة أهل ﴿فَلْيَأْتِكُمْ رِزْقٌ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [٢٠] ﴿إِنَّمِمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي آلَاتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا﴾ أي: إن عدمتم في ملتهم ﴿أَبَدًا﴾

(١) يفتح الميم وكسر الفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف.

(٣) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة وأبي عمرو.

(٦) وفي معجم ما استمعتم للكبرى: «طرشوس» بضم أوله، وإسكان ثانيه: معروفة، من الثغور الجزرية. قال أبو حاتم: هكذا يقول الأصمعي. وغيره يقول: «طرشوس»... (٨٩٠/٣).

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ: يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي بعضهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقولان لنصاري نجران ﴿رَجْمًا بِالغَيْبِ﴾ أي: ظنًا في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معًا، ونصبه على المفعول له؛ أي: لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون: ﴿سَبْعَةٌ وَقَامُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة «سبعة» بزيادة الواو، وقيل: تأكيد أو دلالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل. وذكرهم سبعة^(١) ﴿فَلَا تَحْزَنْ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ تطلب الفتيا ﴿وَنُتْمَهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَسَدًا﴾.

[٢٣] وسأله أهل مكة عن خير أهل الكهف فقال: «أخبركم به غدا» ولم يقل: إن شاء الله فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان [٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا لما يشاء الله - تعالى - بأن تقول: إن شاء الله ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: لا ملبتيا بمشبهة الله - تعالى - بأن تقول: إن شاء الله ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئته معلقًا بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس^(٢) ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾ من خير أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رُشْدًا﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

[٢٥] ﴿وَلْيَسِّرُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ بالتثنية^(٣) ﴿سِتْرِينَ﴾ عطف بيان لـ «ثلاثمائة» وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكهف شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذكرت في قوله: ﴿وَأَزْدَادُوا سِتْعًا﴾ أي: تسع سنين، فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية.

[٢٦] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ من اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علمه ﴿أَبْصُرَ بِهِ﴾ أي: بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسْمِعُ﴾ به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمع، وهما على جهة المجاز^(٤)، والمراد أنه - تعالى - لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَكُمْ﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿مَنْ دُونِهِ﴾ من ولِّي ﴿ناصر﴾ ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ لأنه غني عن الشريك.

[٢٧] ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ.

وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِإِذْنِ رَبِّنَا مَرْهُمُ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَأَيْتُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا ﴿٢٥﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَقَامُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْزَنْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ﴿٢٧﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٨﴾ وَلْيَسِّرُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِتْرِينَ وَأَزْدَادُوا سِتْعًا ﴿٢٩﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصُرْ بِهِهُ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٣٠﴾ وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٣١﴾

[٢١] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْرَضْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إقامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غداء، قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا إِذْ﴾ معمول له «أعثرنا» ﴿يَتَنَزَّلُ عَنَّا﴾ أي: المؤمنون والكفار ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي الكفار: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: حولهم ﴿بُيُوتًا﴾ يستترهم ﴿رَأَيْتُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴿أمر الفتية وهم المؤمنون^(١)﴾: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مَسْجِدًا﴾ يصلى فيه، وفعل ذلك على باب الكهف.

(١) الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، وقيل: هم أهل الشرك منهم وليسوا المسلمين. وعلى أي حال فقد جاء شرعنا بنحرهم ذلك، قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يحد من ما فعلوا. رواه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١)، وقال ﷺ: «... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك». رواه مسلم (٥٢٢).

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عنه [الدر المنثور (٣٩٣/٤)].

(٣) أخرجه نحوه ابن المنذر عن مجاهد [الدر المنثور (٣٩٤/٤)] وذكره محمد بن إسحاق عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير (٧٧، ٧٠/٣)، وضعف إسناده في الاستيعاب (٤٧١/٢).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١٦٢/٥)، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن دينار عن عطاء أنه قال: من حلف على بين فله النيا حلب ناقة. قال: وكان طاووس يقول: ما دام في مجلسه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٥) وقرأ حمزة والكسائي بغير تنوين.

(٦) بل هما على جهة الحقيقة، نيتها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

[٢٨] ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالنِّيَّةِ يُرِيدُونَ﴾ عبادتهم ﴿وَجَهَةً﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء ﴿وَلَا تَقْدُ﴾ تنصرف ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ عبر بهما عن صاحبهما ﴿رِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن، هو عينة ابن حصن وأصحابه ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في الشرك ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ إسرائافاً^(٥).

[٢٩] ﴿وَقُلْ﴾ له ولأصحابه: هذا القرآن ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهَا نَارُ سُرَادِقُهَا﴾ ما أحاط بها ﴿وَلَن يَسْتَوِيئُوا بَعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ كحكر الزيت ﴿يَسْوَى الْوُجُوهِ﴾ من حره إذا قرب إليها ﴿بَسَسَ الشَّرَابُ﴾ هو ﴿وَسَاءَتْ﴾ أي: النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ تمييز منقول عن الفاعل؛ أي: فتح مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ والا فأي ارتفاق في النار.

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الجملة خبر «إن الذين»، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجروهم؛ أي: نبيهم بما تضمنه.

[٣١] ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِن آسَاوِرَ﴾ قيل: «من» زائدة، وقيل: للتبعض، وهي جمع أسورة كأحمره، جمع سوار ﴿وَمِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ﴾ ما رق من الدياج^(٦) ﴿وَأَسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه، وفي آية الرحمن ﴿بَطَائِنُ مِن لِبَاسٍ يَلْبَسُونَ﴾^(٧) ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعرس ﴿وَيَعْمُ الْتَوَابُ﴾ الجزء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

[٣٢] ﴿وَأَصْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿مَثَلًا لِّظُلَمٍ﴾ بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل ﴿جَعَلْنَا لِأَكْثَرِهِمُ الْكَافِرِ﴾ جَنَّتَيْنِ ﴿بِسْتَانِينَ﴾ مِّنْ أَعْتَبٍ وَحَفَقَتْهُمَا يَنْخَلُ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ يقات به.

[٣٣] ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ﴾ «كلنا» مفرد يدل على التثنية، مبتدأ ﴿ءَأَنْتَ﴾ خبره ﴿أَكْهَأُ﴾ ثمرها ﴿وَلَمْ تَطْلُرْ﴾ تنقص ﴿بِتَنهُ سَيْئًا وَقَجْرَانًا﴾ أي: شققنا ﴿جَلَلَهُمَا نَهْرًا﴾ يجري بينهما.

[٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُمُ﴾ مع الجنتين ﴿قَمَرٌ﴾ بفتح التاء والميم، وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني^(٨)، وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالنِّيَّةِ يُرِيدُونَ وَجَهَةً وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا نَارُ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَسْوَى الْوُجُوهِ بِسُ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِن آسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَأَسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ التَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَكَانَ لَهُمُ الْقَمَرُ وَنُجُومٌ كَمَا تَرَى فِي السَّمَاوَاتِ ﴿٣٢﴾ وَكَانَ لَهُمُ الْوُجُوهُ ثَمَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُمَا نَهْرًا وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهَا نَهْرٌ آخَرٌ كُلًّا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٣٤﴾

وخشب، وبدنة وبدن ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ مُجَاوِزُهُ﴾ يفاخره: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ عشيرة.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٨): أخرج ابن ماجه عن حباب في قوله: ﴿وَلَا تَطْلُرْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأمر بن حابس وعيينة بن حصن الغزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حفرهم، فأثوه، فخلوا به، وقالوا: نريد أن نجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جنك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فأقدمهم إن شئت. قال: نعم. قالوا فاكب لنا عليك كتابًا، قال: فدعا بصحيفة ودعا عليًا ليكتب، ونحن قوم في ناحية فنزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْلُرْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالنِّيَّةِ يُرِيدُونَ وَجَهَةً مَا عَلَيْكَ بَيْنَ حَسْبَائِهِمْ بَيْنَ مَنْ وَ مَا مِن حَسْبَائِكَ عَلَيْهِمْ بَيْنَ مَنْ وَ قَدْ تَقَدَّرُ لَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركتنا، فأثرو الله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالنِّيَّةِ يُرِيدُونَ وَجَهَةً وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تجالس الأشراف. ﴿رِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ يعني عيينة والأقرع ﴿وَكَانَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ قال: هلاكًا. قال: أمر عيينة والأقرع ثم ضرب لهم مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا. قال حباب: فكنا نقدم مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركتنا حتى يقوم. ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفقراء. (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٢٩٩).

(١) أي الحرير.

(٢) الرحمن: ٥٤.

(٣) بضمهما قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو، وبضم التاء وسكون الميم قراءة أبي عمرو، وبفتح التاء والميم قراءة عاصم.

[٤٦] ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الْفَالِقَاتُ﴾ هي: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وسبحان الله أكبر)، زاد بعضهم: (ولا حول ولا قوة إلا بالله) (١) ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾ أي: ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله - تعالى - .

[٤٧] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهِينَ﴾ ذكر ﴿تُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ (٢) يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباءً منبثاً، وفي قراءة بالنون وكسر الباء ونصب «الجبال» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ المؤمن والكافرين ﴿فَلَمْ تَقَادِرْ﴾ تترك ﴿مِنْهُمْ أَمْلًا﴾ .

[٤٨] ﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين كل أمة صف، ويقال لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: فرادى حفاة عراة غرلاً، ويقال لمنكري البعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُنَّ مَخْفِفَةٌ مِّنَ الثَّقِيلَةِ﴾ أي: أنه ﴿أَنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ مَوْجِدٍ﴾ للبعث.

[٤٩] ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ﴾ كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿وَمَا فِيهِمْ يَتَقُونَ﴾ عند معابعتهم ما فيه من السيفات: ﴿يَا﴾ للتبعية ﴿وَيَلْتَمِئُونَ﴾ هلكتنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُونَ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿وَالَّذِينَ أَحْصَانُهَا﴾ عداها وأنتها، تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا﴾ ميثاقاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظُنُّرُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿فَلَمَّا لِلْمَلِكَةِ أَتَتْهَا لَأْدَمَ﴾ سجدوا انحناء لا وضع جبهة (٣) تحية له ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قيل: هو نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل، وقيل: هو منقطع (٤)، وإبليس هو أبو الجن، فله ذرية ذكرت معه بعد، والملائكة لا ذرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَتَجِدُوهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ الخطاب لأدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أُولَئِكَ مِنْ دُونِي﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ وَعْدٌ﴾ أي: أعداء حال ﴿يَتَّبِعُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله.

[٥١] ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ أي: إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنْتُمْ مَتَّخِذِينَ الْمُلَاطِبِينَ﴾ الشياطين ﴿عَضُدًا﴾ أعواناً في الخلق، فكيف تطيعونهم؟! [٥٢] ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون (٥): ﴿تَادُوا شُرَكَّاءِي﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الْفَالِقَاتُ الْفَالِقَاتُ هِيَ: (سَبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسَبْحَانَ اللَّهِ أَكْبَرُ)، زَادَ بَعْضُهُمْ: (وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (١) خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا (٢) أَي: مَا يَأْمَلُهُ الْإِنْسَانُ وَيَرْجُوهُ عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - .

[٤٧] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهِينَ﴾ ذَكَرَ ﴿تُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ (٢) يَذْهَبُ بِهَا عَنِ وَجْهِ الْأَرْضِ فَتَصِيرُ هَبَاءً مِّنْبَثًا، وَفِي قِرَاءَةٍ بِالنُّونِ وَكَسْرِ الْبَاءِ وَنَصْبِ «الْجِبَالِ» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظَاهِرَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِّنْ جِبَلٍ وَلَا غَيْرِهِ ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ﴿فَلَمْ تَقَادِرْ﴾ تَتْرَكُ ﴿مِنْهُمْ أَمْلًا﴾ .

[٤٨] ﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ حَالٌ؛ أَي: مُصْطَفِينَ كُلَّ أُمَّةٍ صَفًّا، وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أَي: فِرَادَى حِفَاةٍ عِرَاةٍ غِرْلًا، وَيُقَالُ لِلْمُنْكَرِيِّ الْبَعْثِ: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُنَّ مَخْفِفَةٌ مِّنَ الثَّقِيلَةِ﴾ أَي: أَنَّهُ ﴿أَنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ مَوْجِدٍ﴾ لِلْبَعْثِ.

[٤٩] ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ﴾ كِتَابُ كُلِّ امْرَأٍ فِي يَمِينِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي شِمَالِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خَائِفِينَ ﴿وَمَا فِيهِمْ يَتَقُونَ﴾ عِنْدَ مَعَابَعَتِهِمْ مَا فِيهِ مِنَ السِّيفَاتِ: ﴿يَا﴾ لِلتَّبَعِيَّةِ ﴿وَيَلْتَمِئُونَ﴾ هَلَكْتَنَا، وَهُوَ مُصَدَّرٌ لَا فِعْلَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُونَ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ مِنْ ذُنُوبِنَا ﴿وَالَّذِينَ أَحْصَانُهَا﴾ عَدَاةَا وَأَنْتَهَا، تَعَجَّبُوا مِنْهُ فِي ذَلِكَ ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا﴾ مِيثَاقًا فِي كِتَابِهِمْ ﴿وَلَا يَظُنُّرُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لَا يَعْاقِبُهُ بِغَيْرِ جَرْمٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابِ مُؤْمِنٍ.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ مُنْصُوبٌ بِـ«اذكر» ﴿فَلَمَّا لِلْمَلِكَةِ أَتَتْهَا لَأْدَمَ﴾ سَجَدُوا انْحِنَاءًا لَا وَضْعَ جَبْهَةٍ (٣) تَحِيَّةً لَهُ ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قِيلَ: هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَالِاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ، وَقِيلَ: هُوَ مُنْقَطِعٌ (٤)، وَإِبْلِيسُ هُوَ أَبُو الْجِنِّ، فَهُوَ ذُرِّيَّةٌ ذَكَرَتْ مَعَهُ بَعْدَ، وَالْمَلَائِكَةُ لَا ذُرِّيَّةَ لَهُمْ ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أَي: خَرَجَ عَنِ طَاعَتِهِ بِتَرْكِ السُّجُودِ ﴿أَفَتَجِدُوهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ الْخَبْرُ لِأَدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَالْهَاءُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِإِبْلِيسَ ﴿أُولَئِكَ مِنْ دُونِي﴾ تَطِيعُونَهُمْ ﴿وَهُمْ لَكُمْ وَعْدٌ﴾ أَي: أَعْدَاءُ حَالٍ ﴿يَتَّبِعُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ فِي إِطَاعَتِهِمْ بَدَلَ إِطَاعَةِ اللَّهِ.

[٥١] ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ أَي: إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنفُسَهُمْ﴾ أَي: لَمْ أَحْضُرْ بَعْضُهُمْ خَلْقَ بَعْضٍ ﴿وَمَا كُنْتُمْ مَتَّخِذِينَ الْمُلَاطِبِينَ﴾ الشَّيَاطِينَ ﴿عَضُدًا﴾ أَعْوَانًا فِي الْخَلْقِ، فَكَيْفَ تَطِيعُونَهُمْ؟! [٥٢] ﴿وَيَوْمَ﴾ مُنْصُوبٌ بِـ«اذكر» ﴿يَقُولُ﴾ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ (٥): ﴿تَادُوا شُرَكَّاءِي﴾ الْاَوْثَانَ ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ لِيشْفَعُوا لَكُمْ بِزَعْمِكُمْ ﴿فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾

يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَمْ يَجِيبُوهُمْ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ الْاَوْثَانِ وَعَابِدَيْهَا ﴿مَوْبِقًا﴾ وادئا من اودية جهنم يهلكون فيه جميعا، وهو من (وَبَقِيَ) بالفتح: هلك.

[٥٣] ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُّوَفَّوهُهَا﴾ أي: واقفون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا﴾ معدلا.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧١/١) موقوفاً على عثمان بن عفان رضي الله عنه ما سئل: فما الباقيات يا عثمان؟ قال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٥١٣): إنساده صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند (٧٥/٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً به، والحاكم في مستدركه (٥١٢/١) وصححه وأقره الذهبي. وصححه ابن حبان (الإحسان ١٠٢/٢)، وقال المناوي: «قال الهيثمي: إنساده أحمد حسن، فيض القدير (٤٩٩/١). وضعفه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٨).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون بالنون، وكسر الباء ونصب «الجبال».

(٣) قال القرطبي: اختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لأدم بعد اتفانهم على أنه لم يكن السجود عبادة؛ فقال الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(٤) وهذا القول هو الصحيح الذي تشهد له النصوص؛ فإبليس ليس من الملائكة، ولا نوعاً منها كما ذكر البعض؛ لأنه خلق من نار، والملائكة خلقت من نور كما في حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم». رواه مسلم (٢٩٩٦). وهل هو أصل الجن أم واحد منهم؟ قولان لأهل العلم؛ ذهب الجلالان إلى أنه أصل الجن، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى (٣٤٦، ٣٣٥/٤).

(٥) بالنون قراءة حرة.

فاعل؛ أي: سنتنا فيهم، وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [قبيلاً] ^(١) مقابلة وعياناً، وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة بضمين جمع (قبيل؛ أي: أنواعاً).

[٥٦] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَمُنذِرِينَ ﴿٥٧﴾ لِمَنْ كَفَرَ﴾ [قبيلاً] ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بقولهم: ﴿بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا رَسُولًا﴾ ^(٢) ونحوه ﴿يُدْحِضُوا بِهِ﴾ ليطولوا بجدهم ﴿الْعَوَى﴾ القرآن ﴿وَأَتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أَنْذَرُوا﴾ به من النار ﴿هَزْوَأً﴾ سخريه.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: من أن يفهموا القرآن؛ أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ نقلاً فلا يسمعون ﴿وَلَنْ نَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أي: بالجميل المذكور ﴿أَبَدًا﴾.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَعَلَّهُمُ الْعَذَابُ﴾ فيها ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَنْ يُجَادُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا﴾ ملجأً.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ أي: أهلها؛ كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَنْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ ^(٣) لإهلاكهم، وفي قراءة بفتح الميم؛ أي: لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾.

[٦٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران ﴿لِقَتْلِهِ﴾ يوشع بن نون، كان يتبعه ويخدمه يأخذ عنه العلم: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق؛ أي: المكان الجامع لذلك ﴿أَوْ أَمْضَىٰ حُفْبًا﴾ دهرًا طويلاً في بلوغه إن بعد.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ بين البحرين ﴿بَيْنَمَا هُوَمَا﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل، ونسي موسى تذكره ^(٤) ﴿فَاتَّخَذَ الْحوتُ سَبِيلَهُ﴾ في البحر؛ أي: جعله يجعل الله ﴿سَرًّا﴾ أي: مثل السر، وهو الشق الطويل لا نفاذ له، وذلك أن الله - تعالى - أمسك عن الحوت جري الماء، فانجاب عنه فيقي كالكرة لم يلتمس وجمد ما تحته منه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شِقْوَةً جَدَلًا ﴿٥٦﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَّوَلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ فُبُلًا ﴿٥٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرُوا هُزْوَأً ﴿٥٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٩﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يُجَادُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٩﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَىٰ حُفْبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيانا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمخدوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل ليعظوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾؛ أي: الكافر ﴿أَكْثَرَ شِقْوَةً جَدَلًا﴾ خصوصية في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم كان، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه.

[٥٥] ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَّوَلِينَ﴾

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ الباقون ﴿جَدَلًا﴾ بضمين.

(٢) الإسراء: ٩٤.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ شعبة بفتح الميم واللام الثانية، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الثانية.

(٤) أكثر المفسرين على أنهما حملتا الحوت معهما، وهو الصحيح لموافقة حديث البخاري الآتي، كما أن ظاهر سياق الآيات يشهد له، وقيل: إنما نسب النسيان إليهما مع أنه من الفتى وحده؛ للصححة، كقوله - تعالى -: ﴿يَجْعَلُ بَيْنَهُمَا أَلْوَابًا وَيُخَالِطُكُمْ﴾، وفي رواية لحديث البخاري: «فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت»، وفيها أن الفتى هو الذي نسي تذكير موسى، خلاف ما ذكره المفسر البخاري (٤٧٦).

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءَ نَا لَفَدَّ لَيْسًا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِينِيهِ إِلَّا الشُّعْطَانَ إِلَّا الشُّعْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِبْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا﴾ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ﴿٧١﴾ قَالَ الرَّاقِلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ﴿٧٣﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَاقِيََا عَالِمًا فَفَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا رَكِيَةً بَعِيرٍ نَقِيسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ﴿٧٤﴾

[٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءَ نَا﴾ هو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَيْسًا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ تعبًا، وحصوله بعد المجاوزة. [٦٣] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾ أي: تنبه ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِينِيهِ إِلَّا الشُّعْطَانَ﴾ يبدل من الهاء ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل اشتغال؛ أي: أنساني ذكره ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾ السبيل في البحر عجبًا ﴿مفعول ثانٍ﴾ أي: يتعجب منه موسى وفاته لما تقدم في بيانه. [٦٤] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: فقدنا الحوت ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿كُنَّا نَبْغُ﴾ نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾ بقصانها ﴿قَصَصًا﴾ أتيا الصخرة. [٦٥] ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو الخضر ^(١) ﴿وَالَّذِي رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ نبوة في قول، وولاية في آخر، وعليه أكر العلماء ^(٢) ﴿وَعَلَّمْتَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من قبيلنا ﴿عِلْمًا﴾ مفعول ثانٍ؛ أي: معلوما من الغيبات، روى البخاري حديث: «إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معلق حوتًا فتجعلها في مكنل، فيحيثما فقدت الحوت فهو ثمٌّ، فأخذ حوتًا فجعله في مكنل، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعوا رأسيهما فاما، واضطرب الحوت في المكنل فخرج منه، فسقط في البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما ولبتتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه: ﴿إِنِّي جَاءَ نَا﴾ إلى قوله: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ قال: وكان للحوت سرابًا ولموسى وفتاه عجبًا.. إلخ» ^(٣). [٦٦] ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا﴾ ^(٤) أي: صوابًا أُرشدُ به، وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك؛ لأن الزيادة في العلم مطلوبة. [٦٧] ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [٦٨] ﴿وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾، في الحديث السابق عقب هذه الآية: «يا موسى إني على علم من الله علمني لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمك الله لا أعلمه» وقوله: ﴿خُبْرًا﴾ مصدر بمعنى: لم تحط؛ أي: لم تخبر حقيقته. [٦٩] ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ وغير عاصٍ ﴿لَكَ أَمْرًا﴾ تأمرني به، وقيد بالمشية؛ لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يتقوا إلى أنفسهم طرفة عين. [٧٠] ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون ^(٥) ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ تنكره مني في علمك واصبر ﴿حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: أذكره لك بعلمه، فقبل موسى شرطه؛ رعاية

لأدب المعلم من العالم. [٧١] ﴿فَأَنْطَلَقَا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ الحضر بأن اقتلع لوحًا أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَخَرَقَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع «أهلها» ^(٦) ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيمًا منكرا، روي أن الماء لم يدخلها.

[٧٢] ﴿قَالَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [٧٣] ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ^(٧) مشقة في صحبتي إياك؛ أي: عاملني فيها بالعفو والبسر.

[٧٤] ﴿فَأَنْطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَاقِيََا

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ قال: كانت الأولى من موسى نسيانها. البخاري. كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٥) إذا حدث ناسيًا في الأيمان.

(١) وهو قول الجمهور. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وَأَمَّا سَمِي الْحَضْرَةُ أَنْ جَلَسَ عَلَى قُرْوَةِ يَضَاءُ فَإِذَا هِيَ تَهْتَرُ مِنْ خَلْفِهِ حَضْرَاءُ». البخاري (٣٤٠٢).
(٢) وذكر غيره أن الجمهور على أنه نبي، واختاره القرطبي وغيره، وهو الأقرب، قال القرطبي: «والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بوطن أفعاله لا تكون إلا بوحي... والأول الصحيح»، ومن اختار أنه ولي احتج بأن الله لم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيًا أو رسولًا لذكر ذلك كما ذكر غيره، وعلى أي من القولين؛ فموسى عليه السلام أفضل من الخضر؛ لأنه من أولي العزم من الرسل، ولا مانع من وجود علم عند الخضر ليس موجودًا عند موسى... عليهما السلام.... وكما قال بعض أهل العلم: لو فرضنا أن الله أطلع بعض أوليائه كما أطلع الخضر عليه من أمور باطنة لا يجوز له التصرف في الظاهر بما يخالف أحكام الشرع المنزل... فليكن معلومًا...

(٣) البخاري (٤٧٢٦)، ومسلم (٢٣٨٠) عن أبي بن كعب مرفوعًا. (٤) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضم الراء وسكون الشين.

(٥) نافع وابن عامر. (٦) حمزة والكسائي.

ما قبله؛ لعدم العذر هنا. [٧٦] ولهذا **﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾** أي: بعد هذه المرة **﴿فَلَا تُصَلِّني﴾** لا تتركني أتبعك **﴿فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي﴾** بالتشديد والتخفيف^(١) من قبلي **﴿بَدَلًا﴾** في مفارقتك لي.

[٧٧] **﴿فَانظُرْنَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾** هي أنطاكية^(٢) **﴿أَسْتَظْعَمَ أَهْلَهَا﴾** طلبا منهم الطعام بضيافة **﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾** ارتفاعه مائة ذراع^(٣) **﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَهُ﴾** أي: يقرب أن يسقط ليلانه **﴿فَأَقَامَهُ﴾** الحضر بيده **﴿قَالَ﴾** له موسى: **﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾**^(٤) وفي قراءة: **﴿لَتَّخَذْتَ﴾** **﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾** مجفلاً، حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام. [٧٨] **﴿قَالَ﴾** له الحضر: **﴿هَذَا فِرَاقُ﴾** أي: وقت فراق **﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾** فيه إضافة (بين) إلى غير متعدد، سوَّغها تكريره بالعطف بالواو **﴿سَأَيْتُكَ﴾** قبل فراقك لك **﴿بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَظِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾**.

[٧٩] **﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾** عشرة **﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾** بها مؤاجرة لها؛ طلباً للكسب **﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَمِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾** إذا رجعوا، أو أمامهم الآن **﴿تِلْكَ﴾** كافر **﴿يَأْتِدُ كُلُّ سَفِينَةٍ﴾** صالحة **﴿عَضْبًا﴾** نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ. [٨٠] **﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آيَةً لِمُؤْمِنِينَ﴾** فحشيتاً أن يرهبهما طغياناً **﴿وَأَقْرَبُ﴾** فإنه كما في حديث مسلم^(٥) طبع كافرًا، ولو عاش لأرهبهما ذلك لمحبتهما له، تبعاعه في ذلك. [٨١] **﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾** بالتشديد والتخفيف^(٦) **﴿رُحْمًا حَبِيرًا﴾** يَنْهَ زَكَاةً أي: صلاحاً وثقى **﴿وَأَقْرَبُ﴾** منه **﴿رُحْمًا﴾** بسكون الحاء وضمها^(٧)؛ رحمة؛ وهي: البر بوالديه، فأبدلها - تعالى - جارية تزوجت نبيًا فولدت نبيًا، فهدى الله - تعالى - به أمة^(٨). [٨٢] **﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾** وكانت تحتَهُ كَثْرٌ مال مدفون من ذهب وفضة **﴿لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾** فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما **﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾** أي: إيناس رشدهما **﴿وَيَسْتَخِرَا كَرَاهِمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** مفعول له عامله، أراد **﴿وَمَا قَعَلْتُمْ﴾** أي: ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار **﴿عَنْ أَمْرِي﴾** أي: اختياري بل بأمر إلهام^(٩) من الله **﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَظِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** يقال: استطاع واستطاع بمعنى أطاق، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين، وتوَّعت العبارة في **﴿فَأَرَدْتُ﴾**، **﴿فَأَرَدْنَا﴾**، **﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾**^(١٠). [٨٣] **﴿وَيَسْتَلُوكَ﴾** أي: اليهود **﴿عَنْ ذِي الْقَرْيَتَيْنِ﴾** اسمه الإسكندر^(١١)، ولم يكن نبيًا **﴿قُلْ سَأَتْلُوا﴾** سأقص **﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾** من حاله **﴿ذِكْرًا﴾** خبرًا.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَظِعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ **﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّني﴾** **﴿فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُدًّا﴾** **﴿فَانظُرْنَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾** **﴿أَسْتَظْعَمَ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَهُ﴾** **﴿فَأَقَامَهُ﴾** **﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾** **﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَظِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** **﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾** **﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آيَةً لِمُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَبَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾** **﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا جِدَارًا مِنْهُمْ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾** **﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخِرَا كَرَاهِمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** **﴿وَمَا قَعَلْتُمْ وَعَنْ أَمْرِي﴾** **﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَظِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** **﴿وَيَسْتَلُوكَ عَنْ ذِي الْقَرْيَتَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾**

عَلَمًا^(١) لم يبلغ الجحش^(٢) يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهًا **﴿فَقَتَلَهُ﴾** الحضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعًا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال^(٣)، وأتى هنا بالفاء العاطفة؛ لأن القتل عقب اللقاء، وجواب «إذا»: **﴿قَالَ﴾** له موسى: **﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا رِزَاكِيَةً﴾**^(٤)؛ أي: طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة **﴿زَكِيَّةً﴾** بتشديد الياء بلا ألف **﴿يَعْتَرِ تَقِيصٌ﴾** أي: لم تقتل نفسًا **﴿فَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾** بسكون الكاف وضمها^(٥)؛ أي: منكرا. [٧٥] **﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَظِعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾** زاد «لك» على

(١) أي لم يبلغ حد التكليف.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة «زَكِيَّة» بتشديد الياء وبلا ألف.

(٣) بالضم قراءة نافع وشعبة وابن ذكوان.

(٤) في صحيح مسلم وصف أهل القرية بكونهم «الفاة»؛ أي بخلاء. وقيل: إن هذه القرية هي «أنطاكية» كما ذكر المصنف، وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو: المضيض الجامع بين البحرين؛ «المنوسط» و«الأسودة». وقال الشهبلي: هي: «بؤفة» في المغرب. وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو المضيض المعروف بمضيض جبل طارق، الجامع بين البحر «المنوسط» والمحيط الأطلسي. أما ما ذكره المصنف من كون «مجمع البحرين» ملتقى بحر الروم وفارس ما يلي المشرق فقد تعقبه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري بقوله: «بحر الروم لا يلتقي ببحر فارس في أي مكان، بل بينهما حاجز شاسع من الأرض لا يبغيان، والظاهر أنه ملتقى خليج السويس بخليج العقبة قرب شرم الشيخ. والله أعلم» ١. هـ. ص (٣١١). وانظر كلام القاضي كنعان في قرة العينين ص (٣٨٩، ٣٩١). (٧) وهذا لا دليل صحيح عليه، ولا فائدة من تحديده. (٨) فتخفيف التاء وكسر الحاء من غير ألف وصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٩) مسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا، ولفظ البخاري: «فكان كافرًا» (٣١٤٩).

(١٠) هذا الذي ذكره المفسر - رحمه الله - يحتاج إلى دليل عليه، ولا دليل. وقال القرطبي: «قال علساؤنا: وهذا بعيد».

(١١) اختار المصنف أن الحضر كان وثليًا ولم يكن نبيًا، وعلى القول الآخر يكون هذا وحيًا لا إلهامًا. والله أعلم.

(١٢) وذلك على سبيل التأديب مع الله، بنسبة ما ظهره لإنساد محض إلى نفسه، وما هو نفع محض إلى الله تعالى.

(١٣) ليس هناك دليل صحيح على ما ذهب إليه المصنف، ثم الظاهر أنه يعني الإسكندر المقدوني، وقد كان من المشركين وليس من المسلمين، فضلًا عن أن يكون من أولياء الله الصالحين.

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ سَبِيلَ الْسِيرِ فِيهَا﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَعَائِنَتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا يوصله إلى مراده.

[٨٥] ﴿فَأَتَى سَبِيلًا﴾ سلك طريقًا نحو الغرب.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الْأَشْمِيسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَبَدَّهَا نُجُوبًا فِي عَرَبٍ حَمِيَّةٍ﴾ ذات حمأة وهي الطين الأسود، وغروبها في العين في رأي العين، وإلا فهي أعظم من الدنيا^(١) ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أي: العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿فَلَمَّا يَدَّا الْفَرْتَيْنِ﴾ بإلهام ﴿إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ الْقَوْمَ بِالْقَتْلِ﴾ وإيًّا أَنْ تَنْجِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالأسر.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ نقلته ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها^(٢) شديدًا في النار.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ﴾^(٣) الْمُحْسِنِ ﴿أَي: الْجَنَّةِ، وَالإِضَافَةُ لِلْبَيَانِ، وَفِي قِرَاءَةِ: نَبْصِ ﴿جَزَاءً﴾ وَتَوْنِيهِ، قَالَ الْفَرَاءُ: وَنَبْصِهِ عَلَى التَّفْسِيرِ؛ أَيْ: لِحُجَّةِ النَّسَبِ﴾^(٤) ﴿وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُبْرَأُ﴾ أَيْ: نَأْمُرُهُ بِمَا يَسْهَلُ عَلَيْهِ.

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَتَى سَبِيلًا﴾ نحو المشرق.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزُّبُجِ ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا﴾ أَيْ: الشَّمْسِ ﴿بَيْتًا﴾ مِنْ لِبَاسٍ وَلَا سَقْفٍ؛ لِأَنَّ أَرْضَهُمْ لَا تَحْمِلُ بِنَاءً^(٥)، وَلَهُمْ سُورُبٌ^(٦) يَغِيبُونَ فِيهَا عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَيُظْهِرُونَ عِنْدَ ارْتِفَاعِهَا.

[٩١] ﴿كَذَلِكَ﴾ أَيْ: الْأَمْرُ كَمَا قُلْنَا ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أَيْ: عِنْدَ ذِي الْقَرْنَيْنِ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْجِنْدِ وَغَيْرِهِمَا ﴿حَبْرًا﴾ عَلَمًا.

[٩٢] ﴿ثُمَّ أَتَى سَبِيلًا﴾.

[٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّيْنِ﴾ بفتح السين وضمها^(٧)، هُنَا وَبَعْدَهُمَا^(٨)؛ جِبَلَانِ مَبْتَلِطِ عِنْدَ بِلَادِ التُّرْكِ^(٩)، سَدِ الْإِسْكَانِدَرِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا سَيَأْتِي.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ أَيْ: أَمَامَهُمَا ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أَيْ: لَا يَفْهَمُونَهُ إِلَّا بَعْدَ بَطْءٍ، وَفِي قِرَاءَةِ بضم الباء وكسر القاف^(١٠).

[٩٤] ﴿قَالُوا يَدَّبَّا الْقَرْنَيْنِ إِنَّهُمَا جُوجٌ وَمَجْجُجٌ﴾ بِالْهَمْزِ وَتَرَكَهُ^(١١) هُمَا اسْمَانِ أَعْجَمِيَانِ لِقَبِيلَتَيْنِ فَلَمْ يَنْصَرَفَا ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بِالنَّهْبِ وَالْبَغْيِ عِنْدَ خُرُوجِهِمَا إِلَيْنَا ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ حَرْجًا﴾ مُجْعَلًا مِنَ الْمَالِ، وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿حَرْجَانِ﴾^(١٢) ﴿عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حَاجِزًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْنَا.

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ وَفِي قِرَاءَةِ: بِنُونٍ مِنْ غَيْرِ إِدْغَامِ^(١٣) ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ مِنْ الْمَالِ وَغَيْرِهِ ﴿حَبْرًا﴾ مِنْ خَرَجِكَ الَّذِي تَجْعَلُونَهُ لِي، فَلَا حَاجَةَ بِي إِلَيْهِ، وَاجْعَلْ لَكُمْ السَّدَّ تَبْرَعًا ﴿فَأَعْيُونِي يَقُومُ﴾ لَمَّا أَطْلَبَهُ مِنْكُمْ ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

رَدْمًا﴾ حَاجِزًا حَصِينًا.

[٩٦] ﴿أَتُونِي زُبَيْرَ الْحَدِيدِ﴾ قَطْعُهُ، عَلَى قَدْرِ الْحِجَارَةِ الَّتِي يَبْنِي بِهَا، فَبْنِي بِهَا، وَجَعَلَ بَيْنَهَا الْخَطْبَ وَالْفَحْمَ ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بِضَمِّ الْحَرَفَيْنِ وَفَتْحَهُمَا وَضَمَّ الْأَوَّلِ وَسُكُونِ الثَّانِي^(١٤)؛ أَيْ: جَانِبِي الْجِبَلَيْنِ بِالْبِنَاءِ، وَوَضَعَ الْمَنَافِعَ وَالنَّارَ حَوْلَ ذَلِكَ ﴿قَالَ أَنفُخُوا﴾ فَنَفَخُوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُمْ﴾ أَيْ: الْحَدِيدَ ﴿نَارًا﴾ أَيْ: كَالنَّارِ ﴿قَالَ أَتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ هُوَ النَّحَاسُ الْمَذَابُ، تَنَازَعُ فِيهِ الْفَعْلَانُ، وَحُذِفَ مِنَ الْأَوَّلِ^(١٥)؛ لِإِعْمَالِ الثَّانِي، فَأَفْرَغَ النَّحَاسُ الْمَذَابَ عَلَى الْحَدِيدِ السُّخْمَى فَدَخَلَ بَيْنَ زُبَيْرِهِ فَصَارَ شَيْئًا وَاحِدًا.

[٩٧] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ أَيْ: يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يَعْلَمُوا ظَهْرَهُ؛ لِارْتِفَاعِهِ وَمَلَاسَتِهِ ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقَابٌ﴾ لِصَلَابَتِهِ وَسَمَكِهِ.

(١) لعله يقصد أعظم من الأرض، أو أرض الدنيا.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ الباقون بنصب «جزاء» والتونين.

(٣) أي نسبة الخير المقدم إلى المبتدأ المؤخر، وتقديره: «فله الحسنَى تجرى بها جزاءه».

(٤) قال القاضي كنعان: «... لا وجه له؛ لأنه لا يوجد مكان في الأرض لا يحمل بناء...» قرأ العينين ص (٣٩٣) هامش (١).

(٥) قال القاضي كنعان: «قوله: «لهم سرور» يناقض نفي الستر في الآية... فيكون المعنى الصحيح: قوم لا يتخذون شيئاً يستترهم من الشمس» السابق ص (٣٩٣) هامش (١).

(٦) بالضم قراءة السبعة عدا ابن كثير وأبي عمرو وحفص. (٨) أي: في هذه الآية، وفي قوله الآتي: ﴿عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، قرأه في بالضم نافع وابن عامر وشعبة.

(٩) هذا الذي قطع به المصنف من أن السد في بلاد الترك لا دليل عليه.

(١٠) حمزة والكسائي.

(١١) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبضم فسكون قراءة شعبة.

(١٢) أي هو وصغيره، والأصل: أتوني قطرًا أفْرَغَ عَلَيْهِ قَطْرًا.

(١٣) بترك الهمزة قراءة السبعة عدا عاصم. (١٤) حمزة والكسائي. (١٥) لابن كثير.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من «الكافرين» ﴿فِي غَطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ أي: القرآن، فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَاوُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يقدرُونَ أن يسمعوا من النبي ما يتلوه عليهم بغضا له فلا يؤمنون به.

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي وعيسى وعزرا ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أربابا مفعول ثانٍ لـ«يتخذوا»، والمفعول الثاني لـ«حسب» محذوف، المعنى: أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبي ولا أعاقبهم عليه؟ كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي معدة لهم كالنزل المعد للضيف.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكَ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز طابق المميز^(١)، ويتبهم بقوله: [١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا يجازون عليه.

[١٠٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَدِّلُ رَبَّهُمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحساب والنواب والعقاب ﴿يُخَيِّطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرثًا﴾ أي: لا يجعل لهم قدرًا.

[١٠٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر الذي ذكرت عن حيوط أعمالهم وغيره، مبتدأ، خبره: ﴿حِرَافَتُهُمْ جَهَنَّمَ﴾ بما كفروا وأخذوا آياتي هزوا؛ أي: مهزوا وبها.

[١٠٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلىها، والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ منزلاً.

[١٠٨] ﴿يُخَلِّدِينَ فِيهَا لَا يَبْعَثُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنَّا جُولًا﴾ تحولا إلى غيرها.

[١٠٩] ﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْآبَتَرُ﴾ أي: ماؤه ﴿وَمِدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لِكَلِمَاتٍ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وعجائبه^(٢) بأن تكتب به ﴿لِنَقْدِ الْبَحْرِ﴾ في كتابتها ﴿قَدِيرٌ أَن نَنْقُدَ﴾ بالناء والياء^(٣): نفرغ ﴿يَكُونُ رِقٌّ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: البحر ﴿مِدَادًا﴾ زيادة فيه لنفد ولم نفرغ هي، ونصبه على التمييز^(٤).

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِثْلَكُمُ يُوحِي إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ أن: المكشوفة بـ«ما» باقية على مصدريتها، والمعنى: يوحى إليّ وحدانية الإله ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ بأمل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يراني ﴿أَمَدًا﴾.

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٠١﴾ وَتَرَكَآ بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ مَّجْمَعًا ﴿١٠٢﴾ وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٤﴾ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ نَزُلًا ﴿١٠٥﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكَ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَدِّلُ رَبَّهُمْ وَلِقَائِهِمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرثًا ﴿١٠٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّا يُشْرِكُونَ أَن تَضَلُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن تَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا فَلْيَحْذَرُوا آلَ الْفِرْدَوْسِ نَزُلًا ﴿١٠٩﴾ خَلِّدِينَ فِيهَا لَّا يَبْعَثُونَ عَنْهَا جُولًا ﴿١١٠﴾ قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَفْذَعَ كَلِمَتِي رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحِي إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٢﴾

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَذَا﴾ أي: السد؛ أي: الإقدار عليه ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّي﴾ نعمة^(١)؛ لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مذكوكا مبسوطا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾ كأنها.

[٩٩] قال - تعالى -: ﴿وَتَرَكَآ بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: القرن للبعث ﴿جَمَعْنَاهُمْ﴾ أي: الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿مَّجْمَعًا﴾.

[١٠٠] ﴿وَعَرَّضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٩): أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسأل عن هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح. فسألوه عن الروح، فأقول الله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية. قالوا: أوتينا علما كثيرا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا، فأقول: ﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْآبَتَرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ﴾ إلى آخر الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة الإسراء. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وتفسيرها بها من قصر العام على بعض أفرادها، فضلا عن كونه من أبواب التأويل ونفي صفة الرحمة عن الله ﷻ كما هي طريقة المصنف - غفر الله لنا وله.

(٢) أي في الجمع، ذ «أعمالا» تمييز جاء جمعا مطابقا للتمييز وهو «الأخسرين».

(٣) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وكلمات الله ﷻ تشمل كلامه - سبحانه. وحكمه وآياته الدالة عليه، وهذا لأن المصنف - غفر الله لنا وله - يقول بالكلام النفسي، ولا يثبت الكلام لله ﷻ على الوجه اللائق به كما هي طريقة السلف.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَمِيعَصَ ﴿١﴾ ذَكَرَ رَحِمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ وَرَكِبَتَا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءَ خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَرَبَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَسْتَعِلُّ الرُّأْسَ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِي يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَذْكُرُ بِنَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّبٌ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿١١﴾ قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٢﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٣﴾

خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿١٠﴾ قبل خلقك؛ ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال؛ ليجاب بما يدل عليها.

[١٠] ولما تأقت نفسه إلى سرعة البشّر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ آيَاتُكَ عَلَيْهِ﴾ أي: ألا تُكَلِّمُ النَّاسَ ﴿أي: تمتع من كلامهم؛ بخلاف ذكر الله ﴿فَلَنْتَ لَيْلًا﴾ أي: بأيامها؛ كما في آل عمران ثلاثة أيام ﴿سَوِيًّا﴾ حال من فاعل ﴿تُكَلِّمُ﴾ أي: بلا علة.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه؛ ليصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة؛ فعَلِمَ بِمَنْعِهِ مِنْ كَلَامِهِمْ خَفَلَهَا بِحَيْثُ.

[مكية، أو: إلا سجدتها فمدنية، أو إلا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْيِهِمْ خَلْفًا﴾ الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسمون آية، نزلت بعد فاطر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿كَمِيعَصَ﴾ الله أعلم بمراة بذلك.

[٢] هذا ﴿ذَكَرَ رَحِمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾ مفعول ﴿رَحِمَتِ﴾ ﴿رَكِبَتَا﴾ بيان له.

[٣] ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ ﴿رَحِمَتِ﴾ ﴿نَادَى رَبَّهُ يَدَاءً﴾ مشتملاً على دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ سراً جوف الليل؛ لأنه أسرع للإجابة.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَرَبَ﴾ ضعف ﴿الْعَظْمُ﴾ جحيفه ﴿مِنِّي وَأَسْتَعِلُّ الرُّأْسَ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾ تمييز محول عن الفاعل ^(١) أي: انتشر الشيب في شعره؛ كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَايِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: خائباً فيما مضى؛ فلا تخيبي فيما يأتي.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أي: الذين يلوني في النسب؛ كني الغم ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ أي: بعد موتي على الدين أن يَضْمَعُوهُ، كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ ابناً.

[٦] ﴿يَرِثُنِي﴾ ^(٢) بالجرم: جواب الأمر، وبالرفع: صفة ﴿وَلِيًّا﴾ ﴿وَيَرِثُ﴾ بالوجهين ^(٣) ﴿مِنْ عَالِي يَعْقُوبَ﴾ جدِّي، العلم والنسب ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك.

[٧] قال - تعالى - في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته: ﴿يَذْكُرُ بِنَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ يرث كما سألت ﴿اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: مسمى يحيى.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ^(٤) ﴿من عتاً﴾ يس؛ أي: نهاية السن مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثمانين وتسعين سنة، وأصل «عتي»: «عُثُو»، وكسرت التاء تخفيفاً، وقلت الواو الأولى ياءً لمناسبة الكسرة، والثانية ياء لتدغم فيها الياء.

[٩] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّبٌ﴾ أي: بأن أزد عليك قوة الجماع، وأفتق رحم امرأتك للعلوق ﴿وقد

(١) تقديره: اشتعل شيب رأسي.

(٢) للكسائي وأبي عمرو وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) أي بالجرم والرفع، والجرم للكسائي، وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالرفع.

(٤) بضم العين، وهي قراءة سبعة لأبي عمرو وشعبة ونافع وابن كثير، وقرأ الباقون ﴿عِتِيًّا﴾ بكسر العين.

[١٥] ﴿وَسَلَّمَ﴾ منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يرى ما لم يرهُ قَلْبُهَا؛ فهو آمن فيها.

[١٦] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ الْقُرْآنَ مَرْيَمَ﴾ أي: خيرها ﴿إِذْ﴾ حين ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا﴾ أي: اعترلت في مكان نحو الشرق من الدار.

[١٧] ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أرسلت سترا تستر به؛ لئلا يُنظَرُ رَأْسُهَا أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشْرًا سَوِيًّا﴾ تام الخلق.

[١٨] ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ قَيِّبًا﴾ فنتهي عن عني بتعويدي.

[١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِیَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ بالنبوة.

[٢٠] ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكْ بِعَاطِيًّا﴾ زانية.

[٢١] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ﴾ أي: بأن ينفخ بأمر جبريل فيك فتحملي به، ولكن ما ذكر في معنى العلة؛ عطف عليه: ﴿وَلَيَجْعَلَنَّ لَكِ لِلنَّاسِ نَاصِبًا﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ به في علمي؛ ينفخ جبريل في جيب درعها؛ فأحست بالحمل في بطنها مُصَوَّرًا.

[٢٢] ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ﴾ تَحْتُ ﴿بِهِ﴾ مكانًا قَاصِيًّا بعيدًا من أهلها.

[٢٣] ﴿فَأَلَّامَهَا﴾ جاء بها ﴿الْمَخَاضَ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَى جَنَّةِ النَّخْلِ﴾ لتحمده عليه؛ فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة^(٤) ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنِّي أُنذِرُكَ أَنَّكَ كُنْتَ تَسْتَكْبِرُ تَلَاكُفًا﴾ متروكًا لا يعرف ولا يذكر.

[٢٤] ﴿فَادْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: جبريل، وكان أشفل منها^(٥) ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهر ماء كان قد انقطع.

[٢٥] ﴿وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ يَجْعَلَ النَّخْلَ﴾ كانت يابسة، والباء: زائدة ﴿تَشَاقُطًا﴾^(٦) أصله بتاءين؛ قلبت الثانية سينًا، وأدغمت في السين، وفي قراءة تركها^(٧) ﴿عَلَيْكَ رَطْبًا﴾ تمييز ﴿حَبِيًّا﴾ صفته.

يَجِيئُ حُذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَنبَأَهُ الْحَكِيمُ صِدْقًا ﴿١٥﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَرَكُودًا ﴿١٦﴾ وَكَانَ قَيِّبًا ﴿١٧﴾ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٨﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ
مِن أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ قَيِّبًا ﴿٢١﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢٢﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعْثًا ﴿٢٣﴾ قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلَيَجْعَلَنَّ لَكِ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢٤﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ
مَكَانًا قَاصِيًّا ﴿٢٥﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنَّةِ النَّخْلِ
قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَادْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٧﴾
وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ يَجْعَلَ النَّخْلَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٨﴾

[١٢] وبعد ولادته بستين قال الله - تعالى - له: ﴿يَجِيئُ حُذِّ الْكِتَابِ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجهد ﴿وَأَنبَأَهُ الْحَكِيمُ﴾ النبوة^(١) ﴿صِدْقًا﴾ ابن ثلاث سنين^(٢).

[١٣] ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة للناس ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَرَكُودًا﴾ صدقة عليهم ﴿وَكَانَ قَيِّبًا﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهجم بها.

[١٤] ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾ أي: محسنًا إليهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبرًا ﴿عَاصِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

(١) وقيل: الحكمة والفقه في الدين. ذكره ابن كثير في تفسيره ولم يذكر غيره (١١١/٣). وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: التفهم. [الدر المنثور (٤٨٤/٥)].

(٢) هذا قول قتادة، كما في الدر المنثور (٤٨٤/٥).

(٣) وهي قراءة قالون بخلف عنه، وورش، وأبي عمرو، وقرأ الباقون «لأهب» وهو الوجه الثاني لقالون.

(٤) هذا قول ابن عباس. ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١١٤/٣) واستغربه، وقال: «فالشهور الظاهر، والله على كل شيء قدير، أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن... اهـ».

(٥) وهذا قول ابن عباس، وقيل: للمنادي عيسى، وكان ذلك معجزة وآية وتسكينًا لقلبها. قال القرطبي: والأول أظهر - يعني: أنه جبريل عليه السلام.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص بفتح الناء والقاف، ومع تشديد السين إلا حمزة.

(٧) أي ترك الناء المقلوقة سينًا.

[٢٦٦] ﴿فَكُلِي﴾ من الرطْبِ ﴿وَأَشْرِي﴾ من السَّرِيِّ ﴿وَوَدَّرِي عَيْنًا﴾ بالولد؛ تمييز محول من الفاعل؛ أي: لتقر عينك به؛ أي: تسكني؛ فلا تطمح إلى غيره ﴿فَإِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تَرِينَ﴾ حذفته منه لام الفعل وعينه، وألقيت حركتها على الراء، وكسرت باء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ اللَّبَسِ أَحَدًا﴾ فيسأل عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: إمساكاً عن الكلام في شأنه، وغيره من الأناسي؛ بدليل: ﴿فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أي: بعد ذلك.

[٢٧٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ حال؛ فأراه ﴿فَقَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيحًا﴾ عظيمًا؛ حيث أتيت بولد من غير أب.

[٢٧٨] ﴿يَتَأَخَذُ هَرُونَ﴾^(١) هو رجل صالح؛ أي: يا شبيته في العفة ﴿وَمَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا﴾ أي: زانية؛ فمن أين لك هذا الولد!.

[٢٧٩] ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أن كلموه ﴿فَقَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أي: وجد ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

[٢٨٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. [٢٨١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: نقاشاً للناس، لإخبار بما كتب له ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أمرني بهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

[٢٨٢] ﴿وَوَدَّرَا بَوْلِي﴾ منصوب بـ«جعلني» مقدرًا^(٢) ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاطفاً ﴿سَقِيًّا﴾ عاصياً لربه.

[٢٨٣] ﴿وَأَلْسَلْتُمْ﴾ من الله ﴿عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى.

[٢٨٤] قال - تعالى :: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [قَوْلُ الْحَقِّ] بالرفع: خير مبتدأ مقدر؛ أي: قول ابن مريم، وبالنصب: بتقدير «قلت»^(٣)؛ والمعنى: القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ من المربة؛ أي: يشكون؛ وهم: النصارى، قالوا:

إن عيسى ابن الله، كذبوا: [٢٨٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: أراد أن يحدثه ﴿قَالَ إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بالرفع: بتقدير «هو»، وبالنصب: بتقدير «أن»^(٤)؛ ومن ذلك خلق عيسى من غير أب.

[٢٨٦] ﴿وَإِنِّي وَرَبِّي وَرَبُّكَ فَاعْبُدُوهُ﴾ بفتح ﴿أَنْ﴾ بتقدير «اذكر»، وبكسرهما^(٥) بتقدير «قل»؛ بدليل: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾^(٦) ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ مُؤَدِّي إلى الجنة.

فَكُلِي وَأَشْرِي وَقَرِي عَيْنًا فَإِنَّمَا تَرِينَ مِنَ اللَّبَسِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ وَقَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيحًا يَتَأَخَذُ هَرُونَ وَمَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ فَقَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَوَدَّرَا بَوْلِي وَوَدَّرَا بَوْلِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَقِيًّا وَأَلْسَلْتُمْ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنِّي وَرَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا فِي الْآخِرَةِ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

[٢٨٧] ﴿فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: النصارى في عيسى، أهو ابن الله، أو إله معه، أو ثالث ثلاثة؟! ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدّة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما دُكِرَ وغيره ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله.

[٢٨٨] ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بهم، صيغتا تعجب؛ بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمرة ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: يتشبه به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره؛ أي: اعجب منهم يا مخاطب في سماعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صمًا عميًا.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، قال: لما قدمت نجران سألتني، فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَتَأَخَذُ هَرُونَ﴾، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك؛ فقال: «إنهم كانوا يسمون بأبنيائهم والصالحين قبلهم». مسلم - كتاب الآداب (٣٨) باب (١) النهي عن التكفي بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء.

(١) أي: التقدير: جعلني بوا.

(٢) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم وابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) المائدة: ١١٧.

[٤١] ﴿وَأَذْكُرُ﴾ لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: خبره ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغا في الصدق ﴿يَتَّبِعُ﴾ ويبدل من خبره: [٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأبيه﴾ أزر: ﴿يَتَّابِتْ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لَمْ يَعْبدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾ لا يكفك ﴿شَيْئًا﴾ من نفع أو ضرر.

[٤٣] ﴿يَتَّابِتْ﴾ إني قد جاءني من الولد ما لم يأتك فاتبعني أهرك صراطًا ﴿طريقًا﴾ سويًا ﴿مستقيما﴾.

[٤٤] ﴿يَتَّابِتْ﴾ لا تعبد الشيطان ﴿بطاعتك إياه في عبادة الأصنام﴾ إن الشيطان كان للرحمن عيبًا ﴿كثير العيبان﴾.

[٤٥] ﴿يَتَّابِتْ﴾ إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴿إن لم تتب فتكون للشيطان وليًا﴾ ناصرا وقرينا في النار.

[٤٦] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلَّمْتُ النَّاسَ سُبُوحَ رَبِّهِمْ﴾ فعبيها ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَوُا عَنِ التَّعْرُضِ لَهَا﴾ لا ترجمنك ﴿بالحجارة، أو بالكلام الفحيح؛ فاحذرني وأهجرني مليًا﴾ دهرًا طويلًا.

[٤٧] ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ مني؛ أي: لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيَّا﴾ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلَّمْتُ النَّاسَ سُبُوحَ رَبِّهِمْ﴾ من حفيي؛ أي: باؤا؛ فيجيب دعائي، وقد أوفى بوعده المذكور في الشعراء: ﴿وَأَغْفِرْ لِي﴾ ^(١) وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله؛ كما ذكره في براءة ^(٢).

[٤٨] ﴿وَأَعْتَرُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿وَمِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا﴾ أعبد ﴿رَبِّي عَسَىٰ أَن يَكُونَ بَدْعَاءَ رَبِّي﴾ ﴿لَا أَكُونَ بَدْعَاءَ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿شَقِيحًا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُمُ﴾ ابنين يأمن بهما ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ﴾ للثلاثة ﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمُ﴾ لسان صديقي عليًا ﴿رفيعًا﴾ هو: الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

[٥١] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام وفتحها ^(٣)؛ من أخلص في عبادته، وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

وَأَذْكُرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأبيه يَتَّابِتْ لِعِبَادَتِكَ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَّابِتْ إِيَّايَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءُ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّابِتْ لَأَتَعْبُدَ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّابِتْ إِيَّايَ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلَّمْتُ النَّاسَ سُبُوحَ رَبِّهِمْ لَئِنْ لَمْ يَنْتَوُا عَنِ التَّعْرُضِ لَهَا لَآتِيَنَّكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَأَعْتَرُكُمْ وَيَعْصُونَكَ أَكُونَ بَدْعَاءَ رَبِّي أَتَدْعُونَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدِّيقٍ عَلِيًّا ﴿٤٨﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٤٩﴾

[٣٩] ﴿وَأَذْكُرُهُمْ﴾ تخوف يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة؛ يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٤) به.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم؛ ياهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه للجزاء.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبِشٍ أَمْلَحٍ، فَيُنَادِي مَنَادٌ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيُشْرَبُونَ. أَي يَدُونَ أَعْتَابَهُمْ - وَيَنْظُرُونَ. فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ. فَيُدْفَنُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خَلِدُوا فَلَاحِ مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خَلِدُوا فَلَاحِ مَوْتٍ». ثم قرأ: ﴿وَأَذْكُرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (١) ﴿وَأَذْكُرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(١) الشعراء: ٨٦.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَبُرَ لَكُمْ إِذْ عَدُّ لَكُمْ لِلَّهِ عُتُورًا يَبُوءُ بِالَّذِي لَهُ نَبِيٌّ فَأَنْجَىٰ﴾ [التوبة: ١١٤].

(٣) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بفتح اللام بقية السبعة.

[٥٢] ﴿وَنَدْبَيْتُهُ﴾ بقول: ﴿يَسْمُوعُ إِذْ أَنَا اللَّهُ﴾ (١) ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أي: الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرَّتْهُ نَجْمًا﴾ مناجيًا؛ بأن أسمعه الله - تعالى - كلامه.

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ نعمتنا (٢) ﴿أَخَاهُ هَرُونَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿يَتِيمًا﴾ حال؛ هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه، وكان أشرف منه.

[٥٤] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ لم يعد شيئًا إلا وفي به، وانتظر من وعده ثلاثة أيام، أو حولا حتى رجع إليه في مكانه ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جرهم ﴿يَتِيمًا﴾.

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ أي: قومه ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ أصله «مرضو»؛ قلبت الواو الواو ياءين، والضممة كسرة.

[٥٦] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ﴾ هو جدُّ أبي نوح ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا صِدْقًا نَبِيًّا﴾.

[٥٧] ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة، أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت، وأحيى ولم يخرج منها (٣).

[٥٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ صفة له ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان له، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة «الليبيين»؛ فقوله: ﴿مِنَ دُرِّيَّةٍ مَادَّةٍ﴾ أي: إدريس ﴿وَمَمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة؛ أي: إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِنَ دُرِّيَّةٍ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ﴾ هو يعقوب؛ أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمَمَّنْ هَدَيْنَا وَابْتَدَيْنَا﴾ أي: من جعلتهم، وخبر ﴿أُولَئِكَ﴾: ﴿إِنَّا نُنزِّلُ الْكِتَابَ مَكِّينًا لِرَحْمَنِ رَحْمَةً وَرُحْمًا مُجَسَّدًا وَيُكَيِّدُ﴾ جمع «ساجد» «وباك»؛ أي: فكونوا مثلهم، وأصل «ويكيي»؛ بكوئي؛ قلبت الواو ياء والضممة كسرة.

[٥٩] ﴿خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ بتركها؛ كاليهود والنصارى (٤) ﴿وَاتَّبَعُوا الشُّهُورَ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ هو وإد في جهنم؛ أي: يقعون فيه.

[٦٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ﴾ ينقصون ﴿شَيْئًا﴾ من ثوابهم.

[٦١] ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة، بدل من ﴿الْجَنَّةِ﴾ ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْقُرْآنِ﴾ حال؛ أي: غائب عنها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُوهُ﴾ أي: موعوده ﴿مَأْتِيًّا﴾ بمعنى: آتيا، وأصله «ماتوي»، أو موعوده هنا الجنة يأتيه أهله.

[٦٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءًا﴾ من الكلام ﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَامًا﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض ﴿وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾

وَنَدْبَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّتْهُ نَجْمًا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدْقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَابْتَدَيْنَا إِذْ اتَّقَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشُّهُورَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْقُرْآنِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءًا وَلَا يَسْمَعُونَ سَلَامًا ﴿٦٢﴾

بُكْرَةً وَعَشِيًّا؛ أي: على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدًا.

[٦٣] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ نعطي وننزل ﴿مِنَ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ بطاعته.

[٦٤] ﴿وَنَزَّلَ مَا تَأخُرُ الْوَحْيِ آيَاتًا﴾ وقال النبي ﷺ لجبريل: «مَا يَمْشِقُكَ أَنْ تُرَوِّرَنَا أَكْثَرَ بِمَا تُرَوِّرُنَا»: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ (٥) أي: أماننا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا يَبْكُ ذَلِكَ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة؛ أي: له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بمعنى ناسيا؛ أي: تاركًا لك بتأخير الوحي عنك (٦).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦٤): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمشقك أن ترورنا أكثر مما ترورنا؟» فنزلت: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا...﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (٦).

(١) القصص: ٣٠.
 (٢) وهذا تأويل لصفة الرحمة بعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أتته الله لنفسه أو أتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.
 (٣) لا يوجد دليل قطعي على صحة هذا التفسير، والأغرب أن المراد بهذه الرفعة ما أعطاه الله إياه من شرف النبوة والثناء الحسن، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة، وأخرج مسلم عن أنس بن مالك في حديث المراج بطوله، وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل ﷺ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير. قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. مسلم (١٦٢).
 (٤) وقيل: المراد بإضاعتها فعلها بعد خروج أوقاتها. وقيل: المراد لم يأثروا بها على الوجه المشروع. والظاهر أن كل ذلك يدخل في إضاعة الصلاة، ولا تعارض بين هذه الأقوال، كما لا وجه ظاهر لخسر المراد بالآية في اليهود والنصارى، بل هي عامة؛ فتشمل كل من لم يقم بحقوق الصلاة، وهذا نص في أن إضاعة الصلاة من الكفار.
 (٥) أخرج نحوه البخاري (٢٦١٨) عن ابن عباس.

الذال وضم الكاف ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة.

[٦٨] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي: المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيْطِينَ﴾ أي: نجع كلاً منهم وشیطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿يَجِيئًا﴾ على الركب، جمع «جاء»، وأصله «جئوا» أو «جئوي» من «جئنا جئوا» أو «يجئني» لغتان.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾ جراءة.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحق بجهنم، الأشد (٧) وغيره منهم ﴿صَلِيًّا﴾ دخولا واحترافا؛ فبدأ بهم، وأصله «صلوي» من «صلي» بكسر اللام وفتحها.

[٧١] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صَالِحًا﴾ ما ﴿يَنْكُرُ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدَهَا﴾ أي: داخل جهنم ﴿كَأَنَّ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ حتمه وقضى به، لا يتركه.

[٧٢] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ مشدداً ومخففاً (٨) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الشرك والكفر منها ﴿وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا جِيئًا﴾ (٩) على الركب.

[٧٣] ﴿وَإِذَا نُنَجِّي الْعِبَادَ مِنَ الْغَمِّ﴾ أي: المؤمن والكافرين ﴿إِنَّا نُنَجِّي﴾ من القرآن ﴿بَيْنَتِي﴾ واضحات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَلْبِثُنَّ إِلَى الْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن وأنتم ﴿حَيْرًا مَقَامًا﴾ منزلاً ومسكناً؛ بالفتح: من قام، وبالضم: من أقام (١٠) ﴿وَأَحْسَنُ نَوَإٍ﴾ بمعنى: النادي؛ وهو: مجتمع القوم يتحدثون فيه؛ يعنون: نحن؛ فنكون خيراً منكم.

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿وَوَكِّرْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِثْلَهُ لَئِن آمَنُوا﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَسْسَنُ نَوَإٍ﴾ ملاً ومتاعاً ﴿وَوَرِيثًا﴾ منظراً من الرؤية؛ فكما أهلكتهم لكفرهم نهلك هؤلاء.

[٧٥] ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ شرط، جوابه: ﴿فَلْيَسُدِّدْ﴾ بمعنى الخير؛ أي: يمد ﴿لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْمَدَابِقُ﴾ كالقتل والأسر ﴿وَإِنَّمَا السَّاعَةُ﴾ المشتعلة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون، وجندهم الشياطين وجند المؤمن عليهم (١١) الملائكة؟

[٧٦] ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَالَّذِينَ ضَلَّوْا﴾ هي الطاعة (١٢) تبقى لصاحبها ﴿حَيْرًا عِنْدَ رَبِّكَ تَوْبًا وَحَيْرًا مَرَّةً﴾ أي: ما يرد إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا في مقابلة قولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٨﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِئْتُ لَسَوْفَ أَخْرُجُ حَيًّا ﴿٦٩﴾ أَوْلَىٰ يَدْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٧٠﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيْطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صَالِحًا ﴿٧٣﴾ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٤﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٥﴾ وَإِذَا نُنَجِّي الْعِبَادَ مِنْ غَمٍّ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَوَإٍ ﴿٧٦﴾ وَكِرْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِثْلَهُ لَئِن آمَنُوا وَرِثًا ﴿٧٧﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَسُدِّدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْعَذَابُ وَمَا الْعَذَابُ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٨﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلِيغَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٩﴾

[٦٥] هو ﴿رَبِّ﴾ مالك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مسمى بذلك؟ لا.

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ المنكر للبعث، أتى نون خلف، أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية: ﴿وَإِذَا﴾ بتحقيق الهزرة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (١١) ﴿مَا مِثْلُ لَسَوْفَ أَخْرُجُ حَيًّا﴾ من القبر؛ كما يقول محمد؟! فلاستفهام بمعنى: النفي؛ أي: لا أحيأ بعد الموت، و«ما» زائدة للتأكيد، وكذا «اللام».

[٦٧] ورد عليه بقوله - تعالى -: ﴿أَوْلَىٰ يَدْكُرُ﴾ (١٢) ﴿الْإِنْسَانُ﴾ أصله «ينذكر»؛ أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال، وفي قراءة: تركها، وسكون

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد من الذين باعوا نجاتها». قالت: بلى يا رسول الله. فافترها. فقالت حفصة: ﴿وَالَّذِينَ يَنْكُرُونَ﴾ أي: لا يقرنهم ولا يقرنهم، وقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾. مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة.

(١) وقرأ ابن ذكوان من طريق الصوري وغيره بالخير «إذاه»، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿يَدْكُرُونَ﴾.

(٣) أي: (الأشد على الرحمن عتياً).

(٤) محققاً قراءة الكسائي، ولازمه إسكان اللون.

(٥) بالضم قراءة ابن كثير.

(٦) متعلق ب«جند»؛ لتضمين معنى معاونين، كما وقع لهم في بدر من انخدال إبليس وجنده عنهم، وقتال الملائكة مع المؤمنين.

(٧) رجاء في الحديث أنها: «الكبير، والتهلل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله» كما تقدم في تفسير سورة الكهف آية (٤٦).

[٧٧] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ العاصي بن مائل ﴿وَقَالَ﴾ لخباب ابن الأرت القائل له: بُعِثَ بعد الموت، والمطالب له جمال: ﴿لَأُؤْتِيَنَّكَ﴾ على تقدير البعث ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ فأفضيك^(١).

[٧٨] قال - تعالى -: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أي: أعلمه، وأنه يؤتى ما قاله، واستغنى بهمة الاستفهام عن همة الوصل؛ فحذفت ﴿أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بأن يؤتى ما قاله؟!.

[٧٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا يؤتى ذلك ﴿سَتَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ زبيده بذلك عنابًا فوق عذاب كفره. [٨٠] ﴿وَتَرْتُهُمَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿كَرْدًا﴾ لا مال له ولا ولد^(٢).

[٨١] ﴿وَأَخَذُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿مِنَ دُوبِ اللَّهِ﴾ الأوثان ﴿مَالِيَةً﴾ وبعدهم ﴿يَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ شععاء عند الله؛ بأن لا يعذبوا.

[٨٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: ينفرونها؛ كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوا إِذَا نَادَيْنَا بِسُبُوتِ﴾^(٣) ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدْقًا﴾ أعوانًا وأعداء.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ سلطناهم ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ تَوْرَهُمْ﴾ تهبهم إلى المعاصي ﴿إِذَا﴾.

[٨٤] ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمُ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَذَابًا﴾ إلى وقت عذابهم.

[٨٥] اذكر ﴿يَوْمَ نَخْسِرُ الْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ﴾ جمع وافد؛ بمعنى: راکب.

[٨٦] ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ جمع وارد؛ بمعنى: ماشٍ عطشان.

[٨٧] ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: الناس ﴿الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٤).

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾.

[٨٩] قال - تعالى - لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ أي: منكرا عظيما.

[٩٠] ﴿تَكَادُ﴾ بالباء والياء^(٥) ﴿السَّمَكُوتُ﴾ [ينظفون] ﴿بِالنُّونِ﴾^(٦) وفي قراءة بالباء وتشديد الطاء^(٧)؛ بالانشقاق، ﴿مِنْهُ وَنَسَقَ الْأَرْضَ وَنَجَّرَ الْجِبَالَ﴾ أي: تنطبق عليهم؛ من أجل: [٩١] ﴿أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾.

[٩٢] قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَسْخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يليق به

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُؤْتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ سَتَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَتَرْتُهُمَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا كَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَأَخَذُوا مِنَ دُوبِ اللَّهِ الْاَوْثَانَ مَالِيَةً ﴿٨١﴾ وَيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨٢﴾ كَذَلِكَ سَيَكْفُرُونَ عَلَى الْاٰلِهَةِ بِعِبَادَتِهِمْ اَيُّ يَنْفِرُوْنَهَا كَمَا فِي آيَةِ اٰخَرَى: مَا كَانُوا اِذَا نَادَيْنَا بِسُبُوْتِ وَيَكُونُوْنَ عَلَيْهِمْ صِدْقًا اَعْوَانًا وَاَعْدَاءً. ﴿٨٣﴾ اَلَمْ تَرَ اَنَّا اَرْسَلْنَا الشَّيْطٰنِيْنَ سَلْطٰنٰهُمْ عَلٰى الْكٰفِرِيْنَ تَوْرَهُمْ تَهْبِيْهُمُ اِلَى الْمَعَاصِي اِذَا ﴿٨٤﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ بِطَلْبِ الْعَذَابِ اِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمُ الْاَيَّامَ وَاللَّيَالِي اَوْ الْاَنْفَاسَ عَذَابًا اِلَى رِقْتِ عَذَابِهِمْ. [٨٥] اذْكَرْ يَوْمَ نَخْسِرُ الْمُتَّقِيْنَ بِاِيْمَانِهِمْ اِلَى الرَّحْمٰنِ وَقَدْ جَمَعَ وَاَفَدًا بِمَعْنَى: رَاكِبًا. ﴿٨٦﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِيْنَ بِكُفْرِهِمْ اِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا جَمْعٌ وَّارِدٌ بِمَعْنَى: مَاشٍ عَطْشَانَ. [٨٧] لَا يَسْأَلُوْنَكَ اَيُّ الشَّهَادَةَ اِلَّا مَنِ اخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا اَيُّ: شَهَادَةَ اَنْ لَا اِلَهَ اِلَّا اللّٰهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللّٰهِ. ﴿٨٨﴾ وَقَالُوْا اَيُّ الْيَهُودِ وَالنَّصٰرَى وَمَن زَعَمَ اَنَّ الْمَلٰٓئِكَةَ بَنَاتُ اللّٰهِ: اَخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا. [٨٩] قَالَ - تَعَالٰى - لَهُمْ: لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا اِدًّا اَيُّ: مُنْكَرًا عَظِيْمًا. [٩٠] تَكَادُ بِالْبَاءِ وَالْيَاءِ ﴿٥﴾ السَّمَكُوْتُ بِالنُّونِ ﴿٦﴾ وَفِي قِرَاةٍ بِالْبَاءِ وَتَشْدِيْدِ الطَّاءِ ﴿٧﴾؛ بِالْاِنْشِقَاقِ، مِنْهُ وَنَسَقَ الْاَرْضَ وَنَجَّرَ الْجِبَالَ اَيُّ: تَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ؛ مِنْ اَجْلِ: [٩١] اَنْ دَعَا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا. [٩٢] قَالَ - تَعَالٰى -: ﴿وَمَا يَبْغِيْ لِلرَّحْمٰنِ اَنْ يَسْخِذَ وَلَدًا﴾ اَيُّ: مَا يَلِيْقُ بِهِ

ذلك [٩٣] ﴿إِنْ﴾ أي: ما ﴿كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً يوم القيامة؛ منهم: عزيز وعيسى. [٩٤] ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم. [٩٥] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٧ - ٨٠): أخرج البخاري عن خباب قال: كنت رجلاً قتيلاً، وكان لي على العاص بن مائل، وكان لي: لا أقاضيك حتى تكفر بمحمد. قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث. قال: واني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أفضيك إذا رجعت إلى مال وولد. فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُؤْتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٧﴾ كَلَّا سَتَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٨﴾ وَتَرْتُهُمَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا كَرْدًا ﴿٨٠﴾. كتاب التفسير (٦٥) سورة مريم (١٩) باب (٦).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩١)، وانظر ما جاء في نزول الآيات.
 (٢) القصص: ٦٣.
 (٣) هذا قول ابن عباس، نقله عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات. [الدر المنثور (٥٤١/٥)].
 (٤) بالياء قراءة نافع والكسائي.
 (٥) لأبي عمر وابن عامر وحزمة وشعبة.
 (٦) مع قراءة «تكاد»؛ ثقرأ: «ينظفون» و«ينظفون» بالنون والباء. ومع قراءة «يكاد» بالياء؛ ثقرأ: «ينظفون» بالباء فقط.

سُورَةُ طه

[مكية مائة وخمس وثلاثون آية، أو: أربعون، أو: اثنتان،

نزلت بعد مريم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ طه ﴾ طه ﴿ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ يا محمد ﴿ لِتَشْفَى ﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل؛ أي: خفف عن نفسك.

[٣] ﴿ إِلَّا ﴾ لكن أنزلناه ﴿ تَذَكُّرًا ﴾ به ﴿ لِيُنذِرَ يَحْيَى ﴾ يخاف الله.

[٤] ﴿ تَزِيلًا ﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ﴾ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿ جمع «عليا»؛ كـ «كبرى» و«كبير».

[٥] هو ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وهو في اللغة: سرير الملك ﴿ أَسْمَوَاتٍ ﴾ استواء يليق به^(١).

[٦] ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من المخلوقات ﴿ وَمَا تَحْتِ الرَّيِّ ﴾ هو التراب الندي؛ والمراد: الأرضون السبع؛ لأنها تحته.

[٧] ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غني عن الجهر به ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ منه؛ أي: ما حدثت به النفس وما خطر، ولم تحدث به؛ فلا تجهد نفسك بالجهر.

[٨] ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث^(٢)؛ والحسنى مؤنث الأحسن.

[٩] ﴿ وَهَلْ ﴾ قد^(٣) ﴿ أَنْتَكَ حَدِيثٌ مُوسَى ﴾.

[١٠] ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ﴾ لامرأته: ﴿ أَمْكُرُوا ﴾ هنا؛ وذلك في مسيره من مدين طالبا مصر ﴿ إِنِّي ءَأَسْتَشْئِرُكُمْ ﴾ أبصرت ﴿ نَارًا لَعَلَّيْ أَهْبَاتُهَا مِثْمَاءُ بَقْبَينَ ﴾ بشعلة في رأس قبيلة أو عود ﴿ أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هَدًى ﴾ أي: هادئا يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال: «لعل»؛ لعدم الجزم بوفاء الوعد.

[١١] ﴿ قَلَمًا أَنْتَاهَا ﴾ وهي شجرة عوسج^(٤) ﴿ نُودًى يَتْمُو سَعًى ﴾.

[١٢] ﴿ إِنِّي ﴾ بكسر الهمزة؛ بتأويل ﴿ نُودًى ﴾ بـ«قبل»، وفتحها؛ بتقدير الباء^(٥) ﴿ أَنَا ﴾ تأكيد لياء المتكلم ﴿ رَبُّكَ فَاسْأَلْ عَنَّا ﴾ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ الْمُطَهَّرِ أَوْ الْمُبَارَكِ ﴿ طُوًى ﴾ بدل، أو عطفت بيان؛ بالتبوين وتركه^(٦)، مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث؛ باعتبار البقعة مع العلمية.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ يَلْسَانُكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ﴿١﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَى ﴿٢﴾ نَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٣﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٤﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٥﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٧﴾ وَهَلْ أَنْتَكَ حَدِيثٌ مُوسَى ﴿٨﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُرُوا إِنِّي ءَأَسْتَشْئِرُكُمْ مِنْهَا يُقْبَسِ أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هَدًى ﴿٩﴾ قَلَمًا أَنْتَاهَا نُودًى يَتْمُو سَعًى ﴿١٠﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاسْأَلْ عَنَّا إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١١﴾

[٩٦] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾^(١) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله - تعالى ..

[٩٧] ﴿ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ يَلْسَانُكَ ﴾ العربي ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿ وَتُنذِرَ ﴾ تخوف ﴿ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ جمع ألد؛ أي: جديل بالباطل؛ وهم: كفار مكة.

[٩٨] ﴿ وَكَمْ ﴾ أي: كثيرا ﴿ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية؛ بتكذيبهم الرسل ﴿ هَلْ يُحِشُّ ﴾ تجد ﴿ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴾ صوتًا خفيًّا؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانًا فلانًا فاجتبه». قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له النجى في أهل الأرض؛ فذلك قول الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾... الحديث. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٠) سورة مريم، وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٢٨).

(٢) سبق التعليق على هذا التفسير، وأنه إذا كان المراد بالتفويض تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يريد أن معنى الاستواء مجهول فهو فرار من إثبات صفة العلو والصعود والارتفاع والاستقرار على العرش التي هي من معاني الاستواء عند السلف.

(٣) سبق التعليق على هذا الحصر، وذكرنا أن الأسماء الحسنى لا يحصي عددها إلا الله ﷻ في تفسير الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

(٤) وهو قول بعض أهل اللغة، واختاره بعض المفسرين، واختار غيرهم أنها على بابها من الاستفهام، وقد يراد به التقرير.

(٥) وهذا أحد الأقوال فيها، وقيل غير ذلك، ولا دليل على الجميع، وذكر ابن كثير أن الضمير يعود إلى النار.

(٦) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٧) بترك التثنية قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

[١٣] ﴿وَأَنَا أَخَذْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَأَسْتَعِمْ لِمَا يُوحَى﴾ إليك مني.

[١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فيها.

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن الناس، ويظهر لهم قريبا بعلاماتها ﴿لِيُخْزِي﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ به من خير أو شر.

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ بصرفك ﴿عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرَدَّى﴾ أي: فهلك إن صدت عنها.

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ كائنة ﴿بِيمِينِكَ يَمُوسَى﴾؟ الاستفهام للتقرير؛ ليرتب عليه المعجزة فيها [١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾ أتمد ﴿عَلَيْهَا﴾ عند الوتوب والمشي ﴿وَأَهْلُهَا﴾ أحبط ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليستقط ﴿عَنْكَ عَنِّي﴾ فناكله ﴿وَوَلِيَّ فِيهَا مَرَاتِبٌ﴾ جمع ماربة؛ مثلث الراء؛ أي: حوائج ﴿أُخْرَى﴾ كحمل الزراد والسقاء وطرد الهوام؛ زاد في الجواب بيان حاجاته بها.

[١٩] ﴿قَالَ أَلَيْهَا يَمُوسَى﴾.

[٢٠] ﴿فَأَلْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسْتَوِي﴾ تمشي على بطنها سريعا؛ كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان؛ المعرب به فيها في آية أخرى^(١).

[٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ﴾ منها ﴿سُعِيدَهَا سِيرَتَهَا﴾ منصوب بنزع الخافض؛ أي: إلى حالتها ﴿الْأُولَى﴾ فأدخل يده في منها؛ فعدت عصا؛ فتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتها، وأرى ذلك السيد موسى؛ فلما يجزع إذا انقلب حية لدى فرعون.

[٢٢] ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بِضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ أي: برص، تضيء كشمع الشمس تغشى البصر ﴿ءَايَةً أُخْرَى﴾ وهي بياض، حالان من ضمير ﴿تَخْرُجُ﴾.

[٢٣] ﴿لِيُزَيِّنَكَ﴾ بها إذا فعلت ذلك؛ لإظهارها ﴿مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ الآية ﴿الْكُبْرَى﴾ أي: العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه؛ كما تقدم وأخرجها.

[٢٤] ﴿أَذْهَبَ﴾ رسولا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وَسَعَةً لِتَحْمِلَ الرِّسَالَه.

[٢٦] ﴿وَيَتِرْ﴾ سهل ﴿لِي أَمْرِي﴾ لأبلغها.

[٢٧] ﴿وَأَحْلَلْ عَقْدَةَ بَيْنَ لِسَانِي﴾ حَدَّثْتُ من احتراقه بجمرة وضعها فيه وهو صغير^(٢).

[٢٨] ﴿يَقْفُوهَا﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي﴾ عند تبليغ الرسالة.

(١) وهو قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا رَوَّاهَا حَبْرٌ كَأَنَّهَا كَدَأٌ﴾ [النمل: ١٠].

(٢) هذا قول كثير من المفسرين في بيان العقدة وسببها، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وإنما هو من كلام سعيد بن جبيرة نقلها عنه عبد ابن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥٦٦/٥، ٥٦٧)، قال: غمجة بجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين هم بقتله، بعد أن أخذ بلحيته وهو لا يعقل، قائلة: إنه لا يعقل، فقدموا له طبقاً فيه جمر وتر، فأخذ الجمرة بوضعها في فيه فاحترق لسانه. وقيل: كان ذلك التعقد في لسانه خلقه. وعلى كلا القولين فهي عقدة كانت في لسانه حلها الله تعالى كما أخبر، وهذا بخفي.

(٣) بصيغتي المضارع المجروم؛ أي: ﴿أَشْدُدْ﴾ بهمة قطع مفتوحة، و﴿أَشْرِكْ﴾ بهمة مضمومة، وهي قراءة ابن عامر.

(٤) العلم غير البصر، وإن كان من لوازمه؛ فثبت صفة البصر لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه.

وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَعِمْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُخْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ﴿١٥﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ وَعَلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَى عَنِّي وَلِيَّ فِيهَا مَرَاتِبٌ أُخْرَى ﴿١٦﴾ قَالَ أَلَيْهَا يَمُوسَى ﴿١٧﴾ فَأَلْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْتَوِي ﴿١٨﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ سَعِيدَهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿١٩﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بِيضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ءَايَةً أُخْرَى ﴿٢٠﴾ لِيُزَيِّنَكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢١﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٣﴾ وَيَتِرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٤﴾ وَأَحْلَلْ عَقْدَةَ بَيْنَ لِسَانِي ﴿٢٥﴾ يَقْفُوهَا أُفْوَلِي ﴿٢٦﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٧﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٢٨﴾ أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٢٩﴾ وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي ﴿٣٠﴾ كَيْ سَسِيْحَكَ كَبِيْرًا ﴿٣١﴾ وَتَذَكَّرْ كَبِيْرًا ﴿٣٢﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا ﴿٣٣﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٥﴾

[٢٩] ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا﴾ معناها عليها ﴿مِنْ أَهْلِي﴾.

[٣٠] ﴿هَرُونَ﴾ مفعول ثاني ﴿أَخِي﴾ عطف بيان.

[٣١] ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ظهري.

[٣٢] ﴿وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي﴾ أي: الرسالة، والفعالان بصيغتي الأمر، والمضارع المجروم^(٣)، وهو جواب الطلب.

[٣٣] ﴿كَيْ سَسِيْحَكَ﴾ تسيبها ﴿كَبِيْرًا﴾.

[٣٤] ﴿وَتَذَكَّرْ﴾ ذكرا ﴿كَبِيْرًا﴾.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا﴾ عالما^(٤)؛ فأنعمت بالرسالة.

[٣٦] ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ مثا عليك.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَقْرِضْهُ فِي التَّائِبَاتِ فَأَقْرِضْهُ
 فِي الْيَمِينِ فَلْيَقْرِضْهُ بِالسَّاحِلِ يَا حُدَّو لِي وَعَدُولُهُ وَالْقَيْتُ
 عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّمِّي وَلِصْنَعِ عَلَىٰ عَيْنِي ۖ إِذْ مَشَىٰ أُخْتُكَ فَتَقُولُ
 هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
 وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَفَلَّتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا
 فَلَمَّ نَتَّ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ فَرُجِّتْ عَلَىٰ قَدْرِ يَمُوسَىٰ ۖ
 وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي ۖ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِأَيْتِي وَلَا
 تَبَيَّنَا فِي ذِكْرِي ۖ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا
 لَّيْسَ لَنَا لَكَهُ رِتْدَا ذِكْرًا أَوْ يَحْشَىٰ ۖ قَالَ لَرَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ
 عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَىٰ ۖ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
 ۖ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ
 الْهُدَىٰ ۖ إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
 وَتَوَلَّىٰ ۖ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
 كُلَّ شَيْءٍ حَافَةً ۖ فَرُجِّدِي ۖ قَالَ فَمَبَالِ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۖ

[٣٨] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمِّكَ﴾ منامًا أو الهامًا لما ولدتك
 وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ في أمرك، ويبدل
 منه: [٣٩] ﴿أَنْ أَقْرِضْهُ﴾ ألقيه ﴿فِي التَّائِبَاتِ فَأَقْرِضْهُ﴾ بالتائبات ﴿فِي الْيَمِينِ﴾
 بحر النيل ﴿فَلْيَقْرِضْهُ أَلِيمٌ بِالسَّاحِلِ﴾ أي: شاطئه، والأمر بمعنى الخير ﴿يَأْخُذُهُ
 عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُمْ﴾ وهو فرعون ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّمِّي﴾
 لنحب في الناس؛ فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿وَلِصْنَعِ عَلَىٰ عَيْنِي﴾
 تُرْجِي على رعايتي وحفظي لك (١).
 [٤٠] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿نَسَّيْنِي أُخْتُكَ﴾ مريم؛ لتعرف من خبيرك، وقد

أحضرها مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن ﴿فَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن
 يَكْفُلُهُ﴾ فأجبت؛ فجاءت بأمة فقيل ثديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَيْكَ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
 عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَفَلَّتْ نَفْسًا﴾ هو القبطي بمصر (٢)؛
 فاعتمت لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ اخترناك
 بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلَمَّ نَتَّ سِينِينَ﴾ عشرا ﴿فِي أَهْلِ
 مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب (٣) النبي وتزوجك بانتهه ﴿ثُمَّ
 جِئْتِ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في علمي بالرسالة؛ وهو: أربعون سنة من عمرك
 ﴿يَمُوسَىٰ﴾.

[٤١] ﴿رَأَصْطَنَعْنَاكَ﴾ اخترتك ﴿لِنَفْسِي﴾ بالرسالة.

[٤٢] ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ﴾ إلى الناس ﴿بِأَيْتِي﴾ التسع (٤) ﴿وَلَا تَبَيَّنَا﴾
 تفترا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بتسييح وغيره.

[٤٣] ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ بأدعائه الرئوبية.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ لَنَا لَكَهُ رِتْدَا ذِكْرًا﴾ يتعظ
 ﴿أَرْ يَحْشَىٰ﴾ الله؛ فيرجع، والترجي بالنسبة إليهما لعلمه - تعالى - بأنه لا
 يرجع.

[٤٥] ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا﴾ أي: يفجّل بالقوبة ﴿أَوْ أَنْ
 يَطَّعَىٰ﴾ علينا؛ أي: يتكر.

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ بعوني (٥) ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول
 ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يفعل.

[٤٧] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى الشام
 ﴿وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾ أي: خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة؛
 كالحفر والبناء وحمل الثقل ﴿فَدَجِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ بحجة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على
 صدقنا بالرسالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ أي: السلامة له من العذاب.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ ما جفتا به
 ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عنه؛ فأتياه وقال جميع ما ذكر.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ اقتصر عليه؛ لأنه الأصل، ولإدلايه عليه
 بالترية [٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الخلق ﴿حَافَةً﴾ الذي هو
 عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومتكحه
 وغير ذلك.

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿الْأُولَىٰ﴾
 كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان.

(١) وفيها إثبات صفة العين لله - سبحانه - على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح.

(٢) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : قل قبطًا كافوا. تفسير البغوي (٥/٢٧٣). وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ». مسلم (٢٩٠٥).

(٣) المشهور عند كثير من العلماء أن صاحب مدين المذكور في سورة القصص هو شعيب الطي، وقيل غير ذلك، وإنما هو رجل مؤمن من أهل «مدين»؛ لأن شعيب الطي كان قبل موسى بزمن، والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخر، ولا خير نجب به الحجة في ذلك. (انظر كلام ابن كثير والسعدي في تفسير سورة القصص، آية رقم ٢٥، ٢٨).

(٤) هذا قول ابن عباس، وسبق بيان هذه الآيات في تفسير الآية (٧٥) من سورة يونس. وقيل: المقصود هنا: آيات التوراة.

(٥) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته - سبحانه - مع خلقه نوعان - كما تقدم في آخر النحل - معية عامة؛ ومعناها: إحاطته بكل الخلق علما وقدره، ومعية خاصة لأوليائه بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق، وقد اشتمل القرآن عليهما.

[٥٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عَلِمَهَا﴾ أي: علم حالهم محفوظ ﴿عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَا يَصِلُ﴾ يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ ربي شيئاً.

[٥٣] هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ في جملة الخلق ﴿الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشاً ﴿وَسَبْطًا﴾ سهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً، قال - تعالى - تسميماً لما وصفه به موسى، وخطاباً لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِوَدِّهِمْ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِنْ بَنَاتِ شَقِيٍّ﴾ صفة ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، و﴿شَقِيٍّ﴾ جمع «شقيت»؛ ك«مريض» و«مرضى»؛ من شئت الأمل: تفرق.

[٥٤] ﴿كُلُوا﴾ منها ﴿وَأَرْعَوْا أَعْمَامَكُمْ﴾ فيها، جمع نعم؛ وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: رعت الأنعام ورعيتها. والأمر للإباحة، وتذكير الثمّة، والجملة حال من ضمير «أخرجنا»؛ أي: مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور هنا ﴿لَايَتٍ﴾ لعبارة ﴿لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأصحاب العقول، جمع «أبصيرة»؛ ك«عُرْف» و«عُرْف»؛ سُمِّيَ به العقل؛ لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح.

[٥٥] ﴿مِنْهَا﴾ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَبَيْنَا نُبِيدَكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نَحْرِمُكُمْ﴾ عند البعث ﴿نَارًا﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَهُ﴾ أي: أبصرنا فرعون ﴿أَيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَنَّى﴾ أن يوحد الله - تعالى - .

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ﴾.

[٥٨] ﴿فَلَنَأْيُتِنَاك بِسِحْرِ مَثَلِهِ﴾ يعارضه ﴿فَأَجْعَل بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك ﴿لَّا تُخْلِفُهُ غَنَمٌ وَلَا أُنْتُكَ مَكَانًا﴾ منصوب بنزع الخافض في ﴿[سِيؤى]﴾ بكسر أوله وضمه^(١)؛ أي: وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين.

[٥٩] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُحْمَرُ النَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضَحَى﴾ وقته للنظر فيما يقع.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي: ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَقْبَلَ﴾ بهم الموعد.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ وهم اثنان وسبعون^(٢) مع كل واحد جبل وعصا: ﴿وَيْتَلَّكُمْ﴾ أي: أترمكم الله الويل ﴿لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يشارك أحد معه ﴿فَيَسْجُدْكُمْ﴾ بضم الياء وكسر الحاء ويفتخهما^(٣)؛ أي: يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ أَفْتَرَى﴾ كذب

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَبْطًا لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ بَنَاتِ شَقِيٍّ كَلِمًا وَأَرْعَوْا أَعْمَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ فَلَنَأْيُتِنَاك بِسِحْرِ مَثَلِهِ فَاجْعَل بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ غَنَمٌ وَلَا أُنْتُكَ مَكَانًا سُوَّى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْمَرُ النَّاسُ ضَحَى فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلِكُمْ لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْجُدْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى فَتَنَزَّلُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى قَالُوا إِن هَذَا لَسِحْرَانِ بَرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمْ الْمُنَى فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى

على الله.

[٦٢] ﴿فَتَنَزَّلُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: الكلام بينهم فيما [٦٣] ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِن هَذَا لَسِحْرَانِ﴾ لأبي عمرو، ولغيره: «هذان»^(٤)، وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث، ﴿لَسِحْرَانِ بَرِيدَانِ﴾ أن يُخْرِجَاكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمْ الْمُنَى مؤنث «أمثل»؛ بمعنى: أشرف؛ أي: بأشرفكم، بميلهم إليهما لغابتهما.

[٦٤] ﴿فَأَجْمَعُوا﴾^(٥) كَيْدَكُمْ من السحرة؛ بهمة وصل وفتح الميم من جمع؛ أي: لهم، وبهمة قطع وكسر الميم من أجمع: أحكم ﴿ثُمَّ أَتُوا صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ غلب.

(١) بالكسر قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) سبق أن الأولى في مثل هذه المواطن التي لم يصرح فيها دليل الاقتصار على موضع العرة والفائدة، فلو كان في العلم بعدهم فائدة لَيُبَيِّنُهُ اللَّهُ الْكَرِيمَ.

(٣) يفتخهما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) فيها ثلاث قراءات سبعة. غير قراءة أبي عمرو وهي سبعة أيضاً. الأولى: «إِن هَذَا» بتخفيف «إِن» وتشديد نون «هَذَا»، وهي قراءة ابن كثير، مع اللد المشع. والثانية: تخفيف «إِن» ونون «هَذَا» وهي قراءة حفص، والثالثة: تشديد نون «إِن» وتخفيف نون «هَذَا» وهي قراءة الباقين.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بهمة قطع وكسر الميم «أجمعوا».

حيات ﴿تَتَّقِي﴾ على بطونها.

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ أي: خاف من جهة

أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس؛ فلا يؤمنوا به.

[٦٨] ﴿فَلَمَّا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ عليهم بالغبلة.

[٦٩] ﴿وَأَلْقَى مَا فِي بَيْمِكَ﴾ وهي عصاه ﴿لَتَقْفَ﴾ تنلع ﴿مَا صَعَوْا إِنَّمَا صَعَوْا كَيْدَ سِحْرٍ﴾ أي: جنسه ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى﴾ بسحره؛ فألقى موسى عصاه؛ فتلقت كل ما صنعوه.

[٧٠] ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَ سِحْرًا﴾ خروا ساجدين لله - تعالى - ﴿فَالرَّأَى أَمَنًا يَرَى هَرُونَ وَمُوسَى﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿[أَمْثَلُمْ]﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية

ألفاً^(١) ﴿لَمْ يَلْ أَبْلَ أَنْ أَدَنَّ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ كَرِيمٌ﴾ معلمكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ

السِّحْرَ فَلَا تَقِطَعُونَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ حال؛ بمعنى: مختلفة؛ أي:

الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَا صَلَبْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَعَامَنَ

﴿وَلَعَلَّكُمْ إِنَّمَا﴾ يعني نفسه ورث موسى ﴿أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أدام على

مخالفته.

[٧٢] ﴿فَالرَّأَى لَنْ نُؤْزِرَكَ﴾ نخنارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَسَنِ﴾ الدالة

على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خلقنا، قسم؛ أو: عطف على ﴿مَا﴾

﴿فَأَقِضْ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا نَقُضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

الصب^(٢) على الاتساع^(٣)؛ أي: فيها، وتجرى عليه في الآخرة.

[٧٣] ﴿إِنَّمَا نَأْمَنُ بِرَبِّنَا لِنَعْفَرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَا

أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ تعلمنا وعملاً؛ لمعارضة موسى ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ﴾ منك

نوابها إذا أطيع ﴿وَأَبْقَى﴾ منك عذاباً إذا غصبي.

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ بَابِ رَبِّهِمْ كَجُرْمَا﴾ كافراً؛ كفرعون ﴿فَإِنْ لَمْ

جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة تنفعه.

[٧٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُولَئِكَ

لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ جمع «علية» مؤنث «أعلى».

[٧٦] ﴿حَبَّتْ عَيْنٌ﴾ أي: إقامة، بيان له^(٤) ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تظهر من الذنوب.

قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مِنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي بَيْمِكَ تَلَقَّفَ مَا صَعَوْا إِنَّمَا صَعَوْا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَ سِحْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَلْوَاءُ امْتَابَ رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴿٧١﴾ قَالَ أَمَّا مَرَّةٌ وَقَبْلَ أَنْ أَدَنَّ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ كَرِيمٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تَقِطَعُونَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلَبْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَعَامَنَ أَيُّنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٢﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْزِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَأَقِضْ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٣﴾ إِنَّمَا امْتَابَ رَبِّنَا لِنَعْفَرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٤﴾ إِنَّهُ مِنْ بَابِ رَبِّهِمْ كَجُرْمَا فَإِنْ لَمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٥﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٦﴾ حَبَّتْ عَيْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

[٦٥] ﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ﴾ اختر ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك أولاً ﴿وَأِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مِنْ أَلْقَى﴾ عصاه.

[٦٦] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فألقوا ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ﴾ أصله: «غضووه»؛ قلبت الواو إناءين، وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾

(١) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٢) أي نصب «هذه» المبدل منها: «الحياة الدنيا».

(٣) أي في اللغة؛ أي: نُصبت بنوع الحافظ؛ بتقدير: «إنما تقضي في هذه الحياة الدنيا»؛ وهذا خلافاً لما كثر وأطرد؛ حيث يكثر ويترد وحذف الجار مع «أنه» و«أن»، ويأتي الحذف في غيرهما قليلاً

على سبيل الاتساع والتشعُّب، كما ذكر ابن هشام في «معنى اللبيب».

(٤) أي لقوله: «الدرجات العلية».

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بهمة قطع من «أسرى»، وبهمة وصل وكسر النون^(١) من «سرى» لغتان؛ أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَأَضْرَبَ لَهم﴾ اجعل لهم بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِي الْيَمِّ يَبَسًا﴾ أي: يابسا؛ فامتثل ما أمر به، وأيس الله الأرض؛ فمروا فيها ﴿لَا تَخَفْ دُرُوكَ﴾ أي: أن يدرك فرعون ﴿وَلَا تَخَفْ غَرَقًا﴾.

[٧٨] ﴿فَأَلْمَمَهمُ فِرْعَوْنُ بِحُودِهِ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيهمُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: البحر ﴿مَا غَشِيهمُ﴾ فأغرقتهم.

[٧٩] ﴿وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَى﴾ بل أوقعهم في الهلاك خلاف قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكُمُ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(٢).

[٨٠] ﴿يَبِيئِ إِسْرَائِيلَ﴾ أي: قَدِ امْتَنَعَكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ فرعون ياغراه ﴿وَوَاعَدْتَكُمُ سَيِّبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ فتوتى موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ هما «الثورجيين» و«الشماني»؛ بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من وجد من اليهود زمن النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقلوه - تعالى - لهم: [٨١] ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: ألتئم به عليكم ﴿وَلَا تَطْمَئِنُّوا فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَجَلَّ عَلَيْكُمُ غَضَبِي﴾ بكسر الحاء؛ أي: يجب، وبضمها^(٣)؛ أي: ينزل ﴿وَمَنْ يَجَلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ بكسر اللام وضمها^(٤) ﴿فَقَدْ هَوَى﴾ سقط في النار.

[٨٢] ﴿وَأَنَّى لَعْنًا لِمَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَمَنْ﴾ وحَّد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يصدق بالفرض والنقل ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ باستمراره على ما ذكر إلى موته.

[٨٣] ﴿وَمَا أَصْحَابَكُ﴾ عن قَوْمِكَ ﴿لِجِيءِ مِعَادِ أَخَذِ التَّوْرَةِ﴾^(٥) ﴿يَعْمُوسَى﴾.

[٨٤] ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ﴾ أي: بالقرب مني يأتون ﴿عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ عني؛ أي: زيادة في رضاك، وقيل الجواب، أتى بالاعتذار^(٦) بحسب ظنه، وتخلف المظنون لما: [٨٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى: - ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ أي: بعد فراقك لهم ﴿وَأَسْلَمُ السَّامِرِيُّ﴾ فعبدوا العجل.

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسْفًا﴾ شديد الحزن.

﴿قَالَ يَقُولُ اللَّمَّ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ أي: صدقا أنه يعطيكم التوراة ﴿أَطْعَمَ عَلَيْكُمُ الْعِهْدَ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَجِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمُ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَقْتُمُ مَّوْعِدِي﴾ وتركتم الجيء بعبدي.

(١) بهمة وصل وكسر النون قراءة نافع وابن كثير.

(٢) غافر: ٢٩.

(٣) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٥) أي شيء جعلك متعجلا عن قومك سابقا لهم؟

(٦) عن سبقه لقومه.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨) بالفتح قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٩) وقيل: إن الحلي كان لبني (إسرائيل)، وراجع ما تقدم في تفسير آية الأعراف رقم (١٤٨).

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دُرُوكَ وَلَا تَخَشَى ﴿٧٧﴾ فَأَتَبَهُمُ فِرْعَوْنُ بِحُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ يَبِيئِ إِسْرَائِيلَ يَل قَدِ امْتَنَعَكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَعَدَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْمَئِنُّوا فِيهِ فَيَجَلَّ عَلَيْكُمُ غَضَبِي وَمَنْ يَجَلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَعْنًا لِمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَصْحَابَكُ عَنِ عَجَلِكَ عَنْ قَوْمِكَ يَكْمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضْلَهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسْفًا قَالَ يَقُولُوا لِمَ يَجْعَلُ الْبَعْدُ لَكُمْ مَوْعِدًا وَنَحْنُ عُصْبَانُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْعَهْدِ إِذْ عَاهَدُوا أَنَّهُمْ لَا كُفْرًا كَرِهُوا لَكُمْ وَإِنَّهُمْ لَخَالِفَةٌ مُّوْعِدِي وَالسَّامِرِيُّ ﴿٨٦﴾

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِكَ﴾ مثلت الميم^(٧)؛ أي: بقدرتنا أو أمرنا ﴿وَلَكِنَّا﴾ [ختمنا] بفتح الحاء مخففاً، وبضمها وكسر الميم مشدداً^(٨) ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي: خلقي قوم فرعون، استعارها منهم بنو إسرائيل بعلية غرس^(٩)؛ فقيت عندهم ﴿فَقَدَفْنَاهَا﴾ طرحناها في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَّبِكُمْ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حليهم، ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي:

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ أَي: قبل أن يرجع موسى: ﴿يَقُولُ إِنَّمَا فَتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ فيها.

[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ عَذَابَيْنِ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه: ﴿يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادته [٩٣] ﴿أَهْنُ﴾ لا تتبعن ﴿لا زائدة﴾ أفعصيت أمرى بإقامتك بين من يعبد غير الله - تعالى ١٢.

[٩٤] ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ بكسر الميم وفتحها (١)؛ أراد أمي، وذئبها أعطف لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِي﴾ وكان أخذ شعره يمينه غضبا ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك، ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وتغضب علي ﴿وَلَمْ تَرْفَعْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِي﴾ فيما رأيته في ذلك.

[٩٥] ﴿قَالَ قَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿بِئْسَ مِثْرِي﴾؟

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء والناء (٢)؛ أي: علمت ما لم يعلموه ﴿فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِي﴾ حافر فرس ﴿الرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَقَبِضْتُهَا﴾ ألقيتها في صورة العجل المصاغ (٣) ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ وألقي فيها أن أخذ قبضة من تراب ما ذكر، وألقها على ما لا روح له يصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهًا؛ فحدثني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم (٤).

[٩٧] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿فَأَذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَأَنَّكَ لَكِ فِي الْحَيَاةِ﴾ أي: مدة حياتك ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن رأيته: ﴿لَا يَسَاسُ﴾ أي: لا تقربني؛ فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحداً أو مسه أحدٌ حقاً جميعاً (٥) ﴿وَأَنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ بكسر اللام، أي: لن تغيب عنه، وفتحها (٦)؛ أي: بل تعث إليه ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ أصله «ظلت»؛ بالهم، أولهما مكسورة حذف تخفيفاً؛ أي: دمت ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مقيماً تبعده ﴿لَتَحْرَقَنَّهُ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَسْفَعُنَّهُ فِي آيَاتِنَا﴾ سَفَعًا تُذَرِّيَّتُهُ في هواء البحر، وفعل موسى بعد ذبحه (٨) ما ذكره.

[٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل؛ أي: وسع علمه كل شيء.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا آلِهَةً حُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقُولُ إِنَّمَا فَتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَذَابَيْنِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعِنَ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْئُوتُهُ لَاتَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْفَعْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ بِئْسَ مِثْرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنُخْلِفَهُ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الخلي ﴿جَسَدًا﴾ لحمًا ودماً (١) ﴿لَهُ حُورًا﴾ أي: صوت يُسمع؛ أي: انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثاره الحياة فيما يوضع فيه، ووضعه بعد صوغه في فيه ﴿فَقَالُوا﴾ أي: السامري واتباعه: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ موسى ربه هنا، وذهب بطلبه.

[٨٩] قال - تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾، ن، مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يرد لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جلبه؛ أي: فكيف يُخْذِلُهُمْ! (٢).

(١) هذا قول الحسن البصري وقادة، واختاره الجلال الخلي هنا. وقال مجاهد: بل كانت الريح إذا دخلت من دُبره، خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة؛ أي لم يصر حيًا. ويشهد له ظاهر قوله: «جسدًا الذي يدل على أنه لا حياة فيه. وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة. وقرأ الباقون بالفتح.

(٣) بالناء قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون بالياء.

(٤) الصواب: «المصوغ»؛ لأنه من «صاغ» الثلاثي.

(٥) ما ذكره المفسر هنا يذكره عامة المفسرين، واختلفوا متى رأى السامري جبريل عليه السلام، وكيف اختص برؤيته ومعرفته من بين الناس، بينما ذهب بعض أهل العلم إلى: أن كل هذا ليس عليه آثاره من علم ولا يدل عليه التنزيل الكريم؛ ولذا فشره بعضهم بوجه آخر، وهو أن يكون المراد بالرسول: موسى عليه السلام، ويذكره: سنته ورسمه الذي أمر به، فكان السامري قال: عرفنا أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول؛ أي: شيئاً من سنتك ودينك، فخذته؛ أي: طرحته، فصار ما صار. وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غائب، كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له: ما يقول الأمير في كذا؟ وماذا بأمر الأمير؟ وأما دعواه موسى عليه السلام رسولاً مع جده وكفره، فعلى مثل مذهب من حكى الله - تعالى - عنهم قولهم: ﴿يَكْفُرُ الَّذِي يُزِيلُ عَلَيْهِ الْأَكْذَرُ﴾، وإن لم يؤمنوا بالإنزال، فإله أعلم.

(٦) هذا أيضاً ما لا دليل صحيح يعتمد عليه، وشره البعض: بأن المراد المنع من أن يخالط أحداً أو يخالطه أحد، عقوبة له، وشره آخرون: بأنه كتابة عن انقطاع نسله، فلا يكون له ولد يؤنسه؛ لأن المس يكنى به عن النكاح، فإله أعلم.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالفتح.

(٨) اختار الجلال الخلي أنه عجل حي من لحم ودم. وسبق ذكر الخلاف في ذلك.

[٩٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَفْسٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من الأمم ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ أعطيناك ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَذَكَرْنَا﴾ قرأنا. [١٠٠] ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُ يَجْمَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَدًّا﴾ حمله نقيلاً من الإثم.

[١٠١] ﴿خَلْدَيْنِ فِيهِ﴾ أي: في عذاب الوزر ﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَاحٌ﴾ تمييزٌ مفسرٌ للضمير في «ساء»، والخصوص بالذم محذوف تقديره: «وزرهم»، واللام للبيان، ويبدل من ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: [١٠٢] ﴿يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الْأَصْوَارِ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عيونهم مع سواد وجوههم [١٠٣] ﴿يَسْخَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتساورون ﴿إِنْ مَا لَيْسَتْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها.

[١٠٤] ﴿تَنْعُنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك؛ أي: ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ آمَنَّا لَهُمْ﴾ أعدلهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه: ﴿إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يستقلون لبهم في الدنيا جدًا لما يعابونه في الآخرة من أهوالها.

[١٠٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿يَسْفَهُا رَبِّي نَسْفًا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل، ثم يطيرها بالرياح.

[١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطة ﴿صَفْصَفًا﴾ مستوية.

[١٠٧] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ارتفاعًا.

[١٠٨] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: الناس بعد القيام من القبور ﴿الدَّاعِيَ﴾ إلى المحشر بصوته؛ وهو: إسرافيل، يقول: هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ أي: لا تبعاعهم؛ أي: لا يقدر أن لا يتبعوا ﴿وَحَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ فلا تسمع إلا همسًا ﴿صَوْتِ وَطءِ الْأَقْدَامِ﴾ في نقلها إلى المحشر؛ كصوت أخفاف الإبل في مشيها^(١).

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ أَحَدًا﴾ إلا من أذن له الرحمن ﴿أَنْ يَشْفَعَ لَهُ﴾ ويرضى له ﴿قَوْلًا﴾ بأن يقول: لا إله إلا الله.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يحِيطُونَ بِهِ﴾ علمًا لا يعلمون ذلك.

[١١١] ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أي: الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شirkًا.

كذالك نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَجْمَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَدًّا ﴿١٠٠﴾ خَلْدَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الْأَصْوَارِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَسْخَفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ مَا لَيْسَتْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ تَنْعُنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ آمَنَّا لَهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَعِوَجَ لَهُمْ وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذْنُ لَهُ الرَّحْمَنِ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١١٣﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١١٤﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١١٥﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١١٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١١٧﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١١٨﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١١٩﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢٠﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢١﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢٣﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢٤﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢٥﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢٧﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢٩﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٣٠﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٣١﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٣٢﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٣٣﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٣٤﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٣٥﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٣٧﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٣٨﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٣٩﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٤٠﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٤١﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٤٣﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٤٤﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٤٥﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٤٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٤٧﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٤٨﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٤٩﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٥٠﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٥١﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٥٢﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٥٣﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٥٤﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٥٥﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٥٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٥٧﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٥٨﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٥٩﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦٠﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦١﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦٢﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦٣﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦٤﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦٥﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦٧﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦٨﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦٩﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٧٠﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٧١﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٧٢﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٧٤﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٧٥﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٧٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٧٧﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٧٨﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٧٩﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٨٠﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٨١﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٨٢﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٨٣﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٨٤﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٨٥﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٨٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٨٧﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٨٨﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٨٩﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٩٠﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٩١﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٩٢﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٩٣﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٩٤﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٩٥﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٩٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٩٧﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٩٨﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٩٩﴾ وَكَذَلِكَ ﴿٢٠٠﴾

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فلا يخاف ظلمًا ﴿بِزِيَادَةِ﴾ في سبقاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته.

[١١٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ معطوف على ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ﴾ أي: مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ لعلمهم بيقون الشرك ﴿أَوْ يُحَدِّثُ﴾ القرآن ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم؛ فيعتبرون.

(١) وقيل: هو همس الشفاه. وعلى كلا القولين: «فالهمس» هو الصوت الخفي.

﴿١١٦﴾ اذكر ﴿١﴾ اذ ﴿٢﴾ اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴿٣﴾ وهو أبو الجن، كان يصحب الملائكة وبعده الله معهم ﴿٤﴾ أي عن السجود لآدم ﴿٥﴾ قال أنا خير بينه ﴿٦﴾.

﴿١١٧﴾ ﴿٧﴾ فقلنا يتأدم إن هذا عدو لك ولزوجك ﴿٨﴾ حواء بالمد ﴿٩﴾ فلا يخرجكما من الجنة فتشقى ﴿١٠﴾ تعقب؛ بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك، واقصر على شقائه؛ لأن الرجل يسعى على زوجته.

﴿١١٨﴾ ﴿١١﴾ إن لك أهلك ﴿١٢﴾ ن ﴿١٣﴾ لا تجوع فيها ولا تغمى ﴿١٤﴾.

﴿١١٩﴾ ﴿١٥﴾ وأنك ﴿١٦﴾ بفتح الهمة وكسرهما ﴿١٧﴾ عطف على اسم ﴿١٨﴾ وإياك وجملتها ﴿١٩﴾ لا تطمئنا فيها ﴿٢٠﴾ تعطش ﴿٢١﴾ ولا تصحى ﴿٢٢﴾ لا يحصل لك حؤ شمس الضحى؛ لانفناء الشمس في الجنة.

﴿١٢٠﴾ ﴿٢٣﴾ فوسوس إليه الشيطان قال يتأدم هل أدلك على شجرة الخلد أي: التي يخلد من يأكل منها ﴿٢٤﴾ وملاك لا يبلى لا يفنى، وهو لازم الخلد.

﴿١٢١﴾ ﴿٢٥﴾ فأكلوا ﴿٢٦﴾ أي: آدم وحواء ﴿٢٧﴾ منها فبدت لهما سوءا لهما ﴿٢٨﴾ أي: ظهر لكل منهما فطنه وقيل الآخر وذريته، وسمي كل منهما سوءا؛ لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿٢٩﴾ وطفقا بمحصان ﴿٣٠﴾ أخذوا يلزقان ﴿٣١﴾ عليهما من ورق الجنة ليستترا به ﴿٣٢﴾ وعصى آدم ربه فغوى ﴿٣٣﴾ بالأكل من الشجرة.

﴿١٢٢﴾ ﴿٣٤﴾ ثم أنبئناه ربه ﴿٣٥﴾ فتاب عليه ﴿٣٦﴾ قبل توبته ﴿٣٧﴾ وهدى ﴿٣٨﴾ أي: هداه إلى المداومة على التوبة.

﴿١٢٣﴾ ﴿٣٩﴾ قال أهبطا ﴿٤٠﴾ أي: آدم وحواء بما اشتملنا عليه من ذريتهما ﴿٤١﴾ منها من الجنة ﴿٤٢﴾ جميعا بعضكم ﴿٤٣﴾ بعض الذرية ﴿٤٤﴾ لبعض عدو ﴿٤٥﴾ من ظلم بعضهم بعضا ﴿٤٦﴾ فإيما ﴿٤٧﴾ فيه إدغام نون ﴿٤٨﴾ الشرطية في ﴿٤٩﴾ المزيدة ﴿٥٠﴾ يألينكم منى هدى فمن اتبع هداى القرآن ﴿٥١﴾ فلا يضل ﴿٥٢﴾ في الدنيا ﴿٥٣﴾ ولا يشقى في الآخرة.

﴿١٢٤﴾ ﴿٥٤﴾ ومن أعرض عن ذكري عن القرآن فلم يؤمن به ﴿٥٥﴾ فإن لكم ميعدة صنكاك ﴿٥٦﴾ بالنون؛ مصدر بمعنى: ضيقة، وفسرت في حديث ﴿٥٧﴾ بعباب الكافر في قبره ﴿٥٨﴾ ونحشروه ﴿٥٩﴾ أي: المرعش عن القرآن ﴿٦٠﴾ يوم أقيم أعمى ﴿٦١﴾ أعمى البصر.

﴿١٢٥﴾ ﴿٦٢﴾ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴿٦٣﴾ في الدنيا، وعند البعث.

﴿١١٦﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٧﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَسَيِّءٌ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٨﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِ ﴿١١٩﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٢٠﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٢١﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٢٢﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَآبَيْسَ ﴿١٢٣﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لُهُمَا سَوْءٌ لُهُمَا وَطَافَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وُرْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢٤﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَقَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٥﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَا تَيْبَتَكُمْ مَنَىٰ هَدَىٰ فَصِنِ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٦﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٧﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٨﴾

﴿١١٤﴾ ﴿١١٤﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿١١٥﴾ عما يقول المشركون ﴿١١٦﴾ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴿١١٧﴾ أي: بقراءته ﴿١١٨﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴿١١٩﴾ أي: يفرغ جبريل من إبلاغه ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٢١﴾ أي: بالقرآن؛ فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه.

﴿١١٥﴾ ﴿١١٥﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ ﴿١١٦﴾ وصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿١١٧﴾ مِنْ قَبْلِ ﴿١١٨﴾ أي: قبل أكله منها ﴿١١٩﴾ فَتَسْبَىٰ ﴿١٢٠﴾ ترك عهدنا ﴿١٢١﴾ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٢٢﴾ حرما وصبرا عما نهيناه عنه.

(١) سورة ص: ٧٦.

(٢) قراءتان سبعيتان، وبالكسر قرأ نافع وشعبة، وبالفتح قرأ الباقون.

(٣) أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن أبي سعيد الخدري مرفوعا، وأخرجه ابن أبي شبة والبخاري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا، وكذلك أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت، والحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا [الدر المنثور (٤/٥٠٦)]. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٢، ج ٣).

[١٢٦] ﴿قَالَ: الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنَمَا فَتَشِينَا﴾ تركتها ولم تؤمن بها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿الْيَوْمَ نُنسِنُ﴾ نترك في النار.

[١٢٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿يَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ﴾ أشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ ولعداب الآخرة أشد من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَيُّقُنْ﴾ أودم.

[١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ بين ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿كَمْ﴾ خبرية مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي: كثيرا إهلاكنا ﴿فَبَلَّغْهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي: الأمم الماضية؛ بتكذيب الرسل ﴿يَمْتَشُونَ﴾ حال من ضمير ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها؛ فيعتبروا، وما ذكر^(١) من أخذ^(٢): «إهلاك» من فعله الخالي عن حرف مصدرى؛ لرعاية المعنى لا مانع منه^(٣) ﴿وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعبارة ﴿لَأُولَىٰ آلِهَةٍ﴾ لذوي العقول.

[١٢٩] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ الْإِهْلَاكُ لِرِأْسِهَا﴾ لازما لهم في الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب لهم، معطوف على الضمير المستتر في «كان»، وقام الفصل بخبرها مكان التأكيدي.

[١٣٠] ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ منسوخ بآية القتال ﴿وَسَبِّحْ﴾ ضل ﴿يَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ حال؛ أي: متلبسا به ﴿فَبَلَّغْ طُلُوعَ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَبَلَّغْ غُرُوبَهَا﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنَ آيَاتِ اللَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ ضل المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ عطف على محل ﴿وَمِنَ آيَاتِ الْمُنْصَوْبِ﴾ أي: ضل الظهر؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس؛ فهو طرف النصف الأول، وطرف النصف الثاني ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بما تغطي من الثواب.

[١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافا ﴿مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهَا﴾ بأن يطغوا ﴿وَوَرِّقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وَأَيُّقُنْ﴾ أودم.

[١٣٢] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾ اصبر ﴿عَلَيْهَا﴾ لا تستكفك نكلك ﴿رِزْقًا﴾ لنفسك ولا لغريك ﴿تَحْنُ نَزْرُقًا وَالْعَاقِبَةُ﴾ الجنة ﴿لِلنَّفُورِ﴾ لأهلها.

[١٣٣] ﴿وَقَالُوا﴾ المشركون ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، مما يقترحونه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمُ﴾ بالباء والياء^(٤) ﴿بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ المشتمل عليه القرآن؛ من آباء الأمم الماضية، وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

[١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل محمد الرسول

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنَمَا فَتَشِينَا﴾ وكذلك أنت أي: أينما تشاء

﴿وَكَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ﴾ وكذلك يجزي من أشرف أي: من أشرك

﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ ولم يؤمن بآيات ربه

﴿وَأَيُّقُنْ﴾ وأييقن أي: أودم

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فأصبر على ما يقولون

﴿وَسَبِّحْ﴾ وسبح أي: سبِّح

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وأجل مسمى أي: أجل محدد

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فأصبر على ما يقولون

﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾ وأمر أهلك بالصلاة واصتبر

﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾ وأمر أهلك بالصلاة واصتبر

﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾ وأمر أهلك بالصلاة واصتبر

(١) في تفسير: «كم أهلكنا».

(٢) أي: أخذ المصدر.

(٣) أي: لا مانع منه لغة.

(٤) أي: على الصلاة؛ بإقامتها بحدودها وأركانها وخشوعها؛ فإن ذلك شاق على النفس، ولكن ينبغي جهادها على ذلك والصبر معها. فالضمير في قوله: «عليها» يرجع إلى الصلاة، وليس إلى «أهلك».

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وابن عامر وشعبة.

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ
 ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ
 تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثَ أَحْلَمٌ بَلِ
 أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَّا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَا أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ
 ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

[مكية، وهي: مائة وإحدى عشرة، أو: واثنان عشرة آية،
 نزلت بعد سورة إبراهيم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث
 ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأهب له
 بالإيمان.
 [٢] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ﴾ شيئا فشيئا؛ أي: لفظ
 قرآن^(١) ﴿إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون.
 [٣] ﴿لَاهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ الكلام
 ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من وار ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ ﴿هَذَا هَذَا﴾ أي:
 محمد ﴿إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سيغز ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾

تبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر.
 [٤] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائنا ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
 السَّمِيعُ﴾ لما أسروه ﴿الْعَلِيمُ﴾ به.
 [٥] ﴿بَلِ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما
 أتى به من القرآن: هو ﴿أَضْغَثَ أَحْلَمٌ﴾ أخلط رآها في النوم ﴿بَلِ
 أَفْتَرَاهُ﴾ اختلقه ﴿بَلِ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به سيغز ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا
 أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ كالناقة والعصا واليد.
 [٦] قال تعالى: ﴿مَا آمَنَّا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهُ﴾
 بتكذيبها ما أتاه من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟ لا.
 [٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي﴾ وفي قراءة: بالياء وفتح
 الحاء^(٢) ﴿النُّوحِي﴾ لا ملائكة ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالنبوة والإنجيل
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب
 من تصديق المؤمنين بمحمد^(٣).
 [٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى: أجسادا ﴿لَا
 يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدنيا.
 [٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ المصدقين
 لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين لهم.
 [١٠] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لأنه
 بلغنكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به.

(١) وهذا على مذهب الأشاعرة الباطل أن القرآن معنى قائم بذات الرب، أما الألفاظ فمخلوقة، وأن كلام الله قديم، وأنه وصف قائم بالذات، وهذا خلاف مذهب السلف في كلام الله سبحانه وأنه تعالى لم يزل متكلمًا بمشيئة وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئة من لوازم ذاته المقدسة.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حمزة والكسائي كذلك لكن مع الإمالة، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّ بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
 لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا إِنَّا لَا نَبْلَغُهَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَلَّ تِلْكَ
 دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِيبِينَ ﴿١٦﴾ لَوِ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
 لَهَا لَآخِذًا ذُنُوبَهُ لَشَدِيدٌ عَلَيْهَا لَوْلَا أَنْ نَخَّذَ
 عَلَى الْبَاطِلِ فِي دَعْوَاهُمْ إِذْ هُمْ رَاهِقُونَ ﴿١٧﴾ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
 ﴿١٨﴾ وَلَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَوْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَاءُ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسَبِّحْ لِلَّهِ عِزِّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢١﴾ لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٢﴾ أَوْ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَ هَذَا ذِكْرًا مِنْ رَبِّي
 وَإِنِّي مُخَوِّفٌ مِمَّا يَكْفُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنِّي لَمِنَ الْمُتَضَلِّينَ ﴿٢٤﴾

[١١] ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ أهلكتنا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرًا ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.
 [١٢] ﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا بَأْسَنَا﴾ شعروا أهل القرية بالإهلاك ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين.
 [١٣] فقالت لهم الملائكة استهزاء: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ﴾
 تغمضتم ﴿فِيهِ وَمَسْكِكُمْ﴾ لعلكم تسألون ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ شيئا من دنياكم على العادة.
 [١٤] ﴿قَالُوا إِنَّا لَا نَبْلَغُهَا﴾ للتنبية ﴿وَلَوْلَا أَنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالكفر.
 [١٥] ﴿فَمَا زَلَّ تِلْكَ﴾ الكلمات ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ يدعون بها ويرددونها
 ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كالزرع المحصود بالمنجل؛ بأن قتلوا بالسيف
 ﴿خِلْمِينَ﴾ ميتين؛ كخمود النار إذا طفقت.
 [١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِيبِينَ﴾ عابثين، بل الدين
 على قدرتنا ونافعين عبادنا.
 [١٧] ﴿لَوِ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَا قَوْلًا﴾ ما يلقي به من زوجة أو ولد ﴿لَنَخَّذَنَّهُ﴾
 من لدننا؛ من عندنا؛ من المحور العين والملائكة ﴿إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك،
 لكننا لم نفعله، فلم نرده.
 [١٨] ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ نرمي ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الكفر
 ﴿فِي دَعْوَاهُمْ﴾ يذهب ﴿فَإِذَا هُمْ رَاهِقُونَ﴾ ذاهب، و﴿دَمَعُهُ﴾ في الأصل: أصاب
 دماغه بالضرب، وهو مقتل ﴿وَلَكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿الْوَيْلُ﴾ العذاب
 الشديد ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله به من الزوجة أو الولد.
 [١٩] ﴿وَلِكُلِّ﴾ - تعالى - ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكًا ﴿وَمَنْ عِنْدُ﴾
 أي: الملائكة، مبتدأ خبره: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يعيرون.
 [٢٠] ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ فهو كالتنفس ميثا لا
 يشغلنا عنه شاغل.

[٢١] ﴿أَوْ اتَّخَذُوا﴾ بمعنى بل؛ للانتقال، والهجرة للإنكار ﴿اتَّخَذُوا إِلَهًا﴾
 كائنة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هُمْ﴾ أي: الآلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾
 أي: يحيون الموتى؟! لا، ولا يكون إلها إلا من يحيى الموتى.
 [٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي:
 غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي: خرجتا عن نظامهما المشاهد؛ لوجود التمانع بينهم على
 وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه^(١)
 ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ عِزِّ الْعَرْشِ﴾ تنزيه ﴿اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الخالق ﴿الْعَرْشِ﴾ الكرسي^(٢) ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾
 الكفار الله به من الشريك له وغيره.

[٢٣] ﴿لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ عن أفعالهم.

[٢٤] ﴿أَوْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ - تعالى -: أي: سواه ﴿إِلَهَةً﴾؟! فيه
 استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه ﴿هَذَا ذِكْرٌ
 مِنْ رَبِّي﴾ أمي؛ وهو: القرآن ﴿وَذِكْرٌ مِنْ قِبَلِي﴾ من الأمم؛ وهو: التوراة
 والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أن مع الله إلها مما قالوا -
 تعالى عن ذلك - ﴿بَلْ أَكْذِبُ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ توحيد الله ﴿فَهُمْ
 مُعْرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إليه.

(١) يشير بذلك إلى ما يذكره المتكلمون من دليل التمانع، وهو استدلال في غير محله، كما بين ذلك شارح الطحاوية، وذلك أنهم يستدلون بالآية على توحيد الربوبية وتفرد الخالق، بينما الآية في إثبات وحدانيته - سبحانه - في الوهية.

(٢) جرى الجلالان - السيوطي والخطي - على القول: بأن «العرش والكرسي» شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكرسي وأكبر منه. كما هو ظاهر الأحاديث، وراجع التعليقات على آية الكرسي رقم (٢٥٥) من سورة البقرة.

يَأْمُرُهُ يَعْملُونَ ﴿٢٥﴾ أي: بعده.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ - تعالى - أن يشفع له ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٩] ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره؛ وهو: إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَلِكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجْرِي الظَّالِمِينَ﴾ المشركين.

[٣٠] ﴿أُولَئِكَ﴾ بواو وتركيها^(١) ﴿يَرَى﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ سدا؛ بمعنى: مسدودة ﴿فَفَتَقْنَهُمَا﴾ جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا، أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ النَّازِلَ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّابِعَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ كل شئ حي ﴿من نبات وغيره؛ أي: فإلما سبب لحياته﴾ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ بتوحيدي؟! ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمْ﴾ وجعلنا فيها ﴿الرَّوَاسِيَ﴾ فيجأجا مسالك ﴿سُبُلًا﴾ بدل، طرفاً نافذة واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا﴾ للأرض؛ كالسقف للبيت ﴿مَحْفُوظًا﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون فيها؛ فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ تنويه عوض عن المضاف إليه من: (الشمس والقمر) وتابعه؛ وهو: (النجوم) ﴿فِي فَلَكَ﴾ مستدير؛ كالطاحونة في السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون بسرعة؛ كالسباح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل.

[٣٤] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال الكفار: إن محمداً سيموت: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ البقاء في الدنيا ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فِهِمُ الْخُلْدُونَ﴾ فيها؟! لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبِّئُكُمْ﴾ نختبركم ﴿بِالنَّارِ وَالْخَيْرِ﴾ كقفر وغنى، وسقم وصحة ﴿وَفِتْنَةً﴾ مفعول له؛ أي: لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ﴾ فنجازيكم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْرِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَأَيْنَ مَتَّ فِهِمُ الْخُلْدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ ﴿٣٥﴾

[٢٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ﴾ وفي قراءة: بالنون وكسر الحاء^(١) ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ أي: ومحمدوني.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ عنده، والعبودية تنافي الولادة.

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُمْ

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي بالنون وكسر الحاء، وقرأ بقية السبعة بالياء وفتح الحاء.

(٢) بركتها قراءة ابن كثير.

(٣) قال صاحب قرعة العينين ص (٤٢٣): «... هذا التفسير... غير مطابق لنص الآية؛ إذ لو كان المعنى كما ذكره الخليلي؛ لكان لفظ الآية: «وجعلنا من الماء، أو بالماء، كل شيء حياء، وليس كذلك؛ فقد جاء لفظ «حي» بالجر صفة ل «شيء»، وقوله تعالى: «وجعلنا» بمعنى: «خلقنا»؛ أي خلقنا كل شيء حي من الماء...» يؤيد قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ» [النور: ٤٥]... انتهى

كلامه بتصرف يسير.

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا يَأْتِيهِمْ مَوْتٌ مُّهِينٌ﴾ أي: مهزوماً به، يقولون: «أهذا الذي يذكركم الهتكم؟» أي: يعيها «وهم يذكرون» لهم «هم» تأكيد «كفرون» به؛ إذ قالوا: ما نعرفه.

[٣٧] ﴿وَنَزَّلْنَا فِي سِتْرٍ مِّنَ الْعَبَابِ﴾ أي: استعجالهم العذاب: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: أنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه «سأوريكم آياتي» مواعيدي بالعذاب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ فيه؛ فأراهم القتل بيد.

[٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالقيامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ﴾ يدفعون «عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم يبصرون» يمتعون منها في القيامة، وجواب «لَوْ»: ما قالوا ذلك.

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِمُ الْقِيَامَةُ﴾ بَغْتَةً ﴿فَسَبَّهْتُمْ﴾ تحيرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يهلون لتوبة أو معذرة.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُمْ بُرْسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ بِهِمُ النَّارُ﴾ نزل «بِالَّذِينَ سَخَرُوا مِنْهُمَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ به.

[٤٢] ﴿فَلَنْ يَكْفُرُوا لَكُمْ﴾ يحفظكم ﴿بِالْبَلِّ وَالنَّهَارِ مِنَ الْرَحْمَنِ﴾ من عذابه إن نزل بكم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله؛ لأنكارهم له (٢) ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن «مُفْرِضُونَ» لا يفكرون فيه.

[٤٣] ﴿أَمْ﴾ فيها معنى الهزيمة للإنكار؛ أي: أ «هَمْ» آلهة تمنعهم مما يسوؤهم «مِن دُونِنَا» أي: ألهم من يمنعهم منه غيرنا؟ لا «لا يَسْتَطِيعُونَ» أي: آلهة «نَضَّرَ أَنفُسَهُمْ» فلا ينصرونهم «وَلَا هُمْ» أي: الكفار «يَتَّقُونَ» من عذابنا «يُضْحِكُونَ» يجارون، يقال: ضحك الله؛ أي: حفظك وأجارك.

[٤٤] ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ﴾ بما أُنعمنا عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغثروا بذلك «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ» نقصد أرضهم

﴿نَقُصُّهَا مِنْ أَمْزَانِهِمْ﴾ بالفتح على النبي «أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ؟» لا، بل النبي (٣) وأصحابه.

[٤٤] ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ﴾ بما أُنعمنا عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغثروا بذلك «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ» نقصد أرضهم

(١) بضم الزاي وبالهيم، وهي قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقرأ حمزة (هَزَأَ) بالهيم مع سكنون الزاي، وقرأ حفص (هَزَأَ) بضم الزاي وإبدال الهيمزة واواً.
 (٢) ويحتمل أن يكون المعنى: أي من يحرسكم ويحفظكم (بالليل) حال نومكم (والنهار) وقت انتشاركم وغفلتكم (من الرحمن) أي بدل الرحمن؛ أي هل يحفظكم أحد غيره؟ لا حافظ إلا هو. تيسير الكرمي الرحمن ص (٥٦٥) بتصرف يسير.
 (٣) صلى الله عليه وسلم.

الباء^(١) ﴿مَا يُبْذَرُونَ﴾ هم؛ لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار؛ كالصم [٤٦] ﴿وَلَكِنْ مَسْتَهْزِئَةٌ فَخَفِيفَةٌ﴾ وقمة خفيفة ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا لَلنَّبِيِّ﴾ وثقلنا ﴿هَلَاكُنَا﴾ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿بالإشراك وتكذيب محمد.

[٤٧] ﴿وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾^(٢) ذوات العدل ﴿لِيُوزِيَ الْقَيْمَةَ﴾ أي: فيه ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَلَنْ كَاتِبُ الْعَمَلِ﴾ ومثقال ﴿زِنَةَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَيْسَاءُ بِهَا﴾ بموزونها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ محصين كل شيء.

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءً﴾ بها ﴿وَوَدَّكَرًا﴾ عظة بها ﴿لِلْمُنْفِقِينَ﴾.

[٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْهُمْ بِالْعَتِيبِ﴾ عن الناس؛ أي: في الخلاء عنهم ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾ أي: أحوالها ﴿مُسْتَفِئُونَ﴾ خائفون. [٥٠] ﴿وَهَذَا كَرُّ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ فَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا؟﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هداه قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ بأنه أهل لذلك.

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ أي: على عبادتها مقيمون.

[٥٣] ﴿قَالُوا وَجِدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فاقنديناهم.

[٥٤] ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ لهم: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ تبين.

[٥٥] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ﴾ في قولك هذا ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ فيه؟ [٥٦] ﴿قَالَ بَلْ زَيْكُكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبِّكُمْ﴾ مالك ﴿الْتَّبَتُّونَ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ الذي قلته ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ به.

[٥٧] ﴿وَنَالَهُ الْأَكْبَدَانُ﴾ أي: أصنمكم بعد أن تولوا مديريين.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْذَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَكِنْ مَسْتَهْزِئَةٌ فَخَفِيفَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا لَلنَّبِيِّ يَا لَلنَّبِيِّ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيُوزِيَ الْقَيْمَةَ فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْهُمْ بِالْعَتِيبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُسْتَفِئُونَ ﴿٥٠﴾ وَهَذَا كَرُّ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ فَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا مُنْكَرُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا وَجِدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٤﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٥﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ بَلْ زَيْكُكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٧﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٨﴾

[٤٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبوني ويخونوني ويصونوني، وأشتنهم وأضرهم، فكيف أنا منهم؟ قال: «بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم؛ فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». قال: فتحنى الرجل فجعل يبكي وبهتف. أي: يصيح. فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله؟» ﴿وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيُوزِيَ الْقَيْمَةَ فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنَ الْخَرْدَلِ﴾ الآية. فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد لي ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم؛ أشهدكم أنهم أحرار كلهم. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٢) سورة الأنبياء. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣١).

(١) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عمر، وأما تسهيل الثانية فهو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلهِنَا إِنَّهُ وَلِمَنِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَإِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا
 بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ
 فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهِنَا يَا بَرهَيْمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكَيْدُهُمْ
 هَذَا فَاتَّبَعُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا
 عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
 يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَحْقُقُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا
 الْهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 قَالِعِينَ ﴿٦٨﴾ فُلْنَا بِنَارِ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ
 ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَجَبَّتْ
 لَهُ وِلْوَاتٌ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عبد لهم ﴿جُذًا﴾ بضم الجيم وكسرها^(١)؛ فثابتا بيقاس ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ علق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيرون ما فعل بغيره.

[٥٩] ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلهِنَا﴾ إِنَّهُ لِمَنِ الظَّالِمِينَ﴾ فيه.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ﴾ أي: يعيهم ﴿يُقَالُ لَهُ﴾ إِبْرَاهِيمُ﴾.

[٦١] ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ﴾ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: ظاهرا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل.

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾ له بعد إتيانه: ﴿أَنْتَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركة^(٢) ﴿فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهِنَا يَا بَرهَيْمُ﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ ساكتا عن فعله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهُمْ هَذَا فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(٣) فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله^(٤) تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إليها.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بالتفكير ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادتهم من لا ينطق [٦٥] ﴿ثُمَّ نَكَسُوا﴾ من الله ﴿عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي: ردوا إلى كفرهم، وقالوا: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم!؟

[٦٦] ﴿كَالَ أَفْعَبُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بدله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شيئا إذا لم تعدوه.

[٦٧] ﴿أَفَلَا تَحْقُقُونَ﴾ بكسر الفاء وفتحها^(٥)؛ بمعنى مصدر؛ أي: نتنا وقبحا ﴿لَكُمْ﴾ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله - تعالى ٩.

[٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيم ﴿وَانصُرُوا الْهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَالِعِينَ﴾ نصرتها؛ فجمعوا له الخطب الكثير وأضرموا النار في جميعه، وأوتقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار.

[٦٩] قال - تعالى -: ﴿فُلْنَا بِنَارِ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها، وبقوله: ﴿وَسَلَّمْنَا﴾ سلم من الموت بيردها.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مرادهم.

[٧١] ﴿وَجَبَّتْ لَهُ وِلْوَاتٌ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه «هاران» من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار؛ وهي: الشام^(٦)، نَزَلَ إِبْرَاهِيمَ بِفِلَسطِينَ، وِلُوطَ بِالْمَوْثِقَةِ^(٧)، وبينهما يوم.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: لإبراهيم - وكان سأل ولذا كما ذكر في الصفات - ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة عن المسئول، أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو وولده ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أنبياء.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات؛ شتين في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾، وواحدة في شأن سارة؛ فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك؛ فإن سألتني فأخبره أنك أختي؛ فإنك أختي في الإسلام... الحديث. مسلم - كتاب الفضائل (٤٣) باب (٤١) من فضائل إبراهيم الخليل.

(١) بالكسر قراءة الكسائي.

(٢) حاصل ما ذكر المفسر خمس قراءات وكلها سبعة.

(٣) أي في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر بدون تنوين قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعة.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي مالك، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب، وأخرجه ابن المنذر عن مجاهد، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساکر عن قتادة [الدر المنثور (٥٨١/٤، ٥٨٢)].

(٦) هي قرى قوم لوط؛ سميت بذلك لأن الله تعالى جعل عاليها سافلها.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأن أخرجناه من قومه ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٧٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا على قومه بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾ الخ ﴿مِن قَبْلِ﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فَأَسَجَبْنَا لَهُ فَجَازَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ الذين في سفينة ﴿مِن الصَّكْرِبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق، وتكذيب قومه له.

[٧٧] ﴿وَ﴾ معناه ﴿مِن الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته، أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: قصتهما، ويبدل منهما: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: زعته ليلًا بلا راع؛ بأن اغفلت ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاتنين، قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم. وقال سليمان: ينتفع بهؤلاء ونسلها ووصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان؛ بإصلاح صاحبها فيردها إليه.

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحكمة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ وحكمهما باجتهد، ورجع داود إلى سليمان، وقيل: بوحى، والثاني ناسخ للأول ﴿وَكَلَّمَا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَاهُ﴾ ﴿حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعَلَّمَا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كذلك سخرًا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد قفرة^(٤) لينشط له ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ تشخيّر تسبيحهما معه، وإن كان عجبًا عندكم؛ أي: مجاوبته^(٥) للسيد داود.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبِّسٍ﴾ وهي الدرع؛ لأنها تلبس، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح ﴿لَبِّسٍ﴾ في جملة الناس ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ بالنون^(٦): لله، وبالفتحانية^(٧): لداود، وبالوقافية: للبوس^(٨) ﴿مِن بَأْسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَاكِرُونَ﴾ نعمتي بتصدق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

[٨١] ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿بِلِسَانِ الرِّيحِ عَاصِفَةٍ﴾ وفي آية أخرى: ﴿رِيحًا﴾^(٩) أي: شديدة الهبوب وخفيفته حسب إرادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ من ذلك: علمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه؛ ففعله - تعالى - على مقتضى علميه.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّجْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَضَّرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَا عِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبِّسٍ لَّكُم لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(١)، يُفَعِّلِي بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ أي: أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم، وحذف هاء «إقامة» تخفيفًا ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾.

[٧٤] ﴿وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَهُ حُكْمًا﴾ فصلًا بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ أي: أهلها الأعمال ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ من اللواط، والرمي بالبنديق، واللعب بالطيور وغير ذلك^(٢) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر «سَاءَهُ»، نقيض «مَرَّه» ﴿فَاسْقِينَ﴾.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتسهيل بين يين، وذهب بعض أهل الأداء إلى إبدال الهمزة الثانية ياء^(١)، يُفَعِّلِي بهم في الخير (٢) أخرج ابن عساکر عن الحسن رضي الله عنه مرسلاً: «عشر خصال عملتها قوم لوط بها أهلکوا وتریدها أمي بخلة؛ إتيان الرجال بعضهم بعضًا، وريمهم بالجلحاء، والحذف ولعيبهم بالحامم وضرب الدوف وشرب الخمر وقص اللحية وطول الشارب والصر والصفيق ولباس الحرير، وتریدها أمي بخلة؛ إتيان النساء بعضهم بعضًا». وقال الأبياني في ضعيف الجامع (٣٧١): موضوع.

(٣) نوح: ٢٦.

(٤) أي فورا

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: (مجاوبة).

(٦) وهي قراءة شعبة.

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وقرأ حفص وابن عامر بالياء.

(٨) وذلك رداً على المعنى، لأن اللبس: الدرع، والدرع مؤنث، وقيل: رداً على الصيغة.

(٩) سورة ص: ٣٦.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتُ لَهُمْ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأُوبَىٰ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَأَبَىٰ مَسْنَىٰ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَّشْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآيَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّوْبِ إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا فَظْنَ أَن لَّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلْمَتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَيْرِ وَكَذَلِكَ نُصَيِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيْحَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَرَجَعَهُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ كَانُوا مُسْتَعِزِينَ ﴿٩٠﴾ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩١﴾

[٩٠] ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُمْ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمَّ﴾ ولدا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُمْ رَجَعَهُمْ﴾ فأنت بالولد بعد غفيتها ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: من ذكر من الأنبياء ﴿كَانُوا مُسْتَعِزِينَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾ من عذابنا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ متواضعين في عبادتهم.

[٨٢] ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتُ لَهُمْ﴾ يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: سوى الغوص؛ من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ من أن يفسدوا ما عملوا؛ لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره^(١).

[٨٣] ﴿وَأُوبَىٰ﴾ ذكر ﴿أُوبَىٰ﴾ ويبدل منه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده، وتزريق جسده، وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثًا أو سبعا أو ثمانيا عشرة وضيق عيشه^(٢) ﴿أَنْتَ﴾ بفتح الهمزة؛ بتقدير الباء ﴿مَسْنَىٰ الضُّرِّ﴾ أي: الشدة ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[٨٤] ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُمْ﴾ نداءه ﴿فَكَّشْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ وآيَيْنَاهُ أَهْلَهُ ﴿أُولَادَهُ الذِّكْرَ وَالْإِنَاثَ﴾ بأن أحيوا له^(٣) وكل من الصنفين ثلاث أو سبع^(٤) ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ من زوجته وزيد في شياها^(٥)، وكان له أنذر للقمح وأنذر للشعير؛ فبعث الله سبحانه فرغوا فغرت إحداهما على أنذر القمح اللذيق، وأغرقت الأخرى على أنذر الشعير الزرق حتى فاض^(٦) ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول به ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ صفة ﴿وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ ليصبروا؛ فيتابوا.

[٨٥] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ على طاعة الله وعن معاصيه.

[٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ من النبوة^(٧) ﴿إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ لها، وشمي ذاك الكفر؛ لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يفض؛ فوفى بذلك، وقيل: لم يكن نبيا^(٨).

[٨٧] ﴿وَذَا النُّوْبِ﴾ صاحب الحوت؛ وهو: يونس بن متى، ويبدل منه: ﴿إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا﴾ لقومه؛ أي: غضبان عليهم مما قاسى منهم، ولم يؤذن له في ذلك ﴿فَقَالَ أَن لَّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نقضي عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت، أو نضيق عليه بذلك ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلْمَتِ﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في ذهاني من بين قومي بلا إذن [٨٨] ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَيْرِ﴾ بتلك الكلمات ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نبيناه ﴿نُصَيِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين^(٩).

[٨٩] ﴿وَذَكَرْنَا﴾ ذكر ﴿ذَكَرْنَا﴾ ويبدل منه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد يرثني ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الباقي بعد فناء خلقك.

(١) وذلك باعتبار أن الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يعود على الشياطين، وهو قول الجمهور، باعتبارهم أقرب مذكور، وقيل: المعنى حافظين لهم من أن يهروا أو يمتنعوا أو يخرجوا عن أمره. واختار بعض المفسرين عود الضمير على داود وسليمان - عليهما السلام -؛ والمعنى: كنا لهم مؤيدين ومعينين، قال ابن كثير: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ أي: بحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحته قهره. اهـ. وأما ما ذكره المفسر هنا من إفسادهم للعمل، فلا دليل عليه.

(٢) صحح الألباني حديث أنس مرفوعا في قصة أيوب الكليل: وفيه أن البلاء لبث به ثمان عشرة سنة، وأنه رفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، وكذلك زوجته. وعزاه لأبي يعلى وأبي نعيم. «الصحيفة»: ٤١٧. (٣) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن جريج وعن الحسن وقادة. تفسير الطبري (١٧/٧٢، ٧٣).

(٤) ذكر البغوي في تفسيره عن وهب: كان له سبع بنات وثلاثة بنين، وذكر عن ابن يسار: كان له سبع بنين وسبع بنات. [تفسير البغوي (٥/٣٤٧)].

(٥) أخرج نحوه ابن مردويه وابن عساکر من طريق جوير عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعا كما في الدر المنثور (٥/٦٦٠).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وابن مردويه عن أنس مرفوعا [الدر المنثور (٤/٥٩٢)], وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٥٣١)، رقم (١٧). والأندلس: البيهقي، وهو الموضع الذي يندس فيه الطعام، وهالوق، الفضة.

(٧) النبوة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي الرحمة، وصنع المفسر هذا جرأ على طريقته في تأويل صفة الرحمة وغيرها من الصفات التي أتبها ربنا ﷻ لنفسه وتشبها له على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف.

(٨) قال ابن كثير: فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي، وهذا هو المشهور. وأما سبب تسميته التي ذكرها المفسر فلا دليل عليها. وقد رجح بعض المحققين أنه حزقيل الكليل، فإله أعلم.

(٩) كما عند الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعا: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها =

فَأَعْبُدُونَهُ وَحُدُونَهُ.

[٩٣] ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ أي: بعض المخاطبين ﴿أَمَرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه؛ وهم: طوائف اليهود والنصارى، قال - تعالى - : ﴿كُلُّ إِلَهِنَا رَجُومٌ﴾ أي: فنجازيه بعمله.

[٩٤] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي: لا جحود ﴿لِيسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ﴾ بأن نأمر الحفظة بكتيبه؛ فنجازيه عليه. [٩٥] ﴿وَحَرَمٌ عَلَى قَرْبَى أَهْلَكَنَهَا﴾ أريد أهلها ﴿أَنَّهُمْ لَا﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: مُفْتَنٌ رجوعهم إلى الدنيا.

[٩٦] ﴿حَتَّى﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُجِئَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز وتركة^(٢)؛ اسمان أعجميان لقبيلتين، ويُفْتَدَّرُ قبله مضاف؛ أي: سُدَّهُمَا، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنسَلُونَ﴾ يسرعون.

[٩٧] ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القصة^(٣) ﴿شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليوم لشدته، يقولون: ﴿يَا﴾ للتنبية ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي عَقْلٍ مِّنْ هَذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بتكدينا للرب.

[٩٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حَصْبٌ جَهَنَّمَ﴾ وقودها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ داخلون فيها.

[٩٩] ﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ دخلوها ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿لَهُمْ﴾ للعابدين ﴿فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئاً؛ لشدة غلبانها.

[١٠١] ﴿وَنَزَّلَ -﴾ لما قال ابن الزبير: غيِّب عزير والمسيح والملائكة؛ فهم في النار^(٤) على مقتضى ما تقدم .. ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْمُنْتَهَى﴾ منهم من ذكر ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٣﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٤﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَجُومٌ ﴿٩٥﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٩٦﴾ وَحَرَمٌ عَلَى قَرْبَى أَهْلَكَنَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٧﴾ حَتَّى إِذَا فُجِئَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسَلُونَ ﴿٩٨﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيُونَهَا قَدْ كُنَّا فِي عَقْلٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٩﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٠٠﴾ لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠١﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

[٩١] ﴿و﴾ اذكر مريم ﴿أَلَّتْ أَحْصَنَتْ رُجْحَهَا﴾ حفظته من أن ينال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: جبريل؛ حيث نفخ في جيب درعها؛ فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة؛ حيث ولدته من غير فحْلِ.

[٩٢] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون؛ أي: يجب أن تكون عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فرغاً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق ياصبعه الإبهام والتي تليها - ... الحديث. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج، وأخرجه مسلم - كتاب الفتن (٥٢) باب (١) اقتراب ظهور الفتن.

= رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٢).

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) بتركة قراءة السبعة عند عاصم.

(٣) وهي تسميته عند بعض النحويين، ويسمى عند جمهور البصريين: ضمير الشأن، وهو: ضمير يكون في صدر جملة بعده، تفسر دلالاته وتوضح المراد منه، ومعناها معناه. وسموه بذلك؛ لأنه يرمز للشأن؛ أي: الحال التي يراد الكلام عنها.

(٤) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١٥٥/٣)، رقم ١٦ (٩٨٦)، وأحمد في المسند (٣١٧/٣)، والطيبراني في الكبير (١١٨/١٢)، وحسنه الحافظ ابن حجر في «مواقفة الحبر الحبر» (١٧٣/٢، ١٧٤)، وأخرج الحاكم نحوه في المستدرک (٢/٣٨٤، ٣٨٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وصححه مجموع طرقه في الاستيعاب (٤٤٩/٢).

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من النعم ﴿خَالِدُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالبعد إلى النار ﴿وَنَلْقَاهُمْ﴾ تستقبلهم ﴿الْمَلَكُ﴾ عند خروجهم من القبور، يقولون لهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

[١٠٤] ﴿يَوْمٌ﴾ منصوب بـ«الذكر» مقدراً قبله ﴿نَطْوَى السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ﴾ اسم ملك^(١) ﴿الْمَلَكُ﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو: «السجل»: الصحيفة، والكتاب بمعنى: المكتوب، واللام بمعنى: على^(٢)، وفي قراءة^(٣): ﴿لِلْكَتُبِ﴾ جمعاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من عدم ﴿بُعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ«بعيده»، وضميره عائد إلى ﴿أَوَّلٍ﴾ و«ما» مصدرية ﴿وَعَدَا عَيْنًا﴾ منصوب بـ«وعدنا» مقدراً قبله، وهو مؤكّد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما وعدناه.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ﴾ بمعنى: الكتاب؛ أي: كتب الله المنزل ﴿وَبِالنَّبِيِّ الْأَكْبَرِ﴾ بمعنى: أم الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة^(٤) ﴿يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْمُتَّقُونَ﴾ عامٌّ في كل صالح.

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَلْبَلَاغَةَ كُفَايَةً﴾ في دخول الجنة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ عاملين به.

[١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: للرحمة ﴿بِالْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن بك.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: ما يوحى إليّ في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مفادون لما يوحى إليّ من وحدانية الإله؟ والاستفهام بمعنى الأمر.

[١٠٩] ﴿فَإِنْ قَوْلَاكُمْ﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ أَذُنُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حالٌ من الفاعل والمفعول؛ أي: مستويين في علمه لا أستبد به دونكم؛ لنتأهبوا ﴿وَإِنْ﴾ ما أذرت أقرب أم بعيداً ما تُوعَدُونَ ﴿من العذاب، أو القيامة المشتملة عليه؛ ولما يعلمه الله﴾.

[١١٠] ﴿إِنَّكُمُ﴾ - تعالى - ﴿بِعِلْمِ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿وَبِعِلْمِ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أنتم وغيركم من الشر.

[١١١] ﴿وَإِنْ﴾ ما أذرت لعلمك ﴿أي: ما أغلقتكم به، ولم يعلم وقتئذ﴾ ﴿فِتْنَةً﴾ اختصاراً ﴿لَكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَمَتَّعَ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: انقضاء أجالكم، وهذا مقابل للأول المترجي بـ«لعل»، وليس الثاني محلاً للترجي^(٥).

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمْ الْمَلَكُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمٌ نَطْوَى السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ بُعِيدُهُ وَوَعَدْنَا عَيْنًا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَلْبَلَاغَةَ كُفَايَةً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ قَوْلَاكُمْ فَقُلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أذرت أقرب أم بعيداً ما تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أذرت لعلمك ﴿١١١﴾ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سورة الحج

[١١٢] ﴿قُلْ﴾ وفي قراءة^(٦): ﴿قُلْ﴾: ﴿رَبِّ أَحْمَكُ﴾ بيني وبين مكذبي ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم، أو النصر عليهم؛ فعذبوا بيدى، وأخذ، وحنين، والأحزاب، والخذق، ونصّر عليهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: «اتخذ ولدًا»، وعلّي في قولكم: «ساحر» وعلى القرآن في قولكم: «شعر».

(١) والصحيح أن السجل هي الصحيفة، كما ذكره ابن كثير عن ابن عباس ونقله عن غير واحد، واختاره ابن جرير؛ لأنه المعروف في اللغة.

(٢) المعنى: أي كطي السجل على الكتاب.

(٣) قرأ «الكتب» حفص وحزمة والكسائي، وبقية السبعة (الكتاب).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين في تفسير «الأرض» في هذه الآية، وفي آية الزمر ﴿وَأَوْزَيْنَا الْأَرْضَ نَبْتًا﴾ من ﴿الزمر: ٧٤﴾ وهو قول ابن عباس ومجاهد وأبي العالية وسعيد بن جبير والشبي وقادة وغيرهم. وتعقب ذلك القاضي كنعان في قرة العين واختار أن تكون «الأرض» في هذين الموضعين هي هذه الأرض المهوداة. بقوله: «... تفسير «الأرض» بالجنة بعيد، ولا دليل عليه، ولم يأت ذكر «الأرض» بمعنى «الجنة» لا في القرآن ولا في السنة. قرة العينين ص (٦١٦)، (٦١٧) بتصرف يسير.

(٥) أي: المترجي بـ«لعل» هو: كون تأخير العذاب فتنة. أما قوله: «ومتاع إلى حين» فليس كذلك؛ لأنه واقع بالفعل.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص: ﴿قُلْ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًاؤا رِيكُمُ إِن زَلزَلَةُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تَذَهُلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَنَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَاهٍ
بِسُكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن
يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ
إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ
مِّنَ الْبَعْثِ فإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّظْفَرٍ
ثُمَّ مِّن عَاقِبَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّئِبَيِّنَ
لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّى
وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
بَعْدِ عِلْمٍ سَيِّئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَائِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ أَهْرَتَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾

سورة الحج

[مكية إلا ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعَدُّ اللَّهُ ﴿١﴾ الْآيَتِينَ، أَوْ إِلَّا ﴿٥﴾ هَذَانِ حَصَمَانِ
الست آيات فمدينيات، وهي: أربع، أُو: خمس، أُو: ست، أُو:
سبع، أُو: ثمان وسبعون آية، نزلت بعد النور]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿١﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ﴿١﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ ﴿١﴾ آتِفًاؤا رِيكُمُ ﴿١﴾ أَي:
عَقَابِهِمُ بِأَن تَطْعَمُوهُ ﴿١﴾ إِنَّ زَلزَلَةَ السَّاعَةِ ﴿١﴾ أَي: الْحَرَكَةُ الشَّدِيدَةُ لِلْأَرْضِ الَّتِي
يَكُونُ بَعْدَهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا الَّذِي هُوَ قُرْبُ السَّاعَةِ ﴿١﴾ شَيْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ فِي إِزْعَاجِ النَّاسِ الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْعِقَابِ.
[٢] ﴿٢﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تَذَهُلُ ﴿٢﴾ بِسَبَبِهَا ﴿٢﴾ كُلُّ مُرْضِعَةٍ ﴿٢﴾ بِالْفِعْلِ

﴿١﴾ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴿١﴾ أَي: تَشَاءُ ﴿١﴾ وَنَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ ﴿١﴾ أَي: مِخْلَبِي
﴿١﴾ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى ﴿١﴾ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ ﴿١﴾ وَمَا هُمْ بِسُكَرَى ﴿١﴾
مِنَ الشَّرَابِ ﴿١﴾ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١﴾ فَهَمْ يَخَافُونَهُ.

[٣] ﴿٣﴾ وَنَزَّلَ فِي النَّصْرِ بْنِ الْحَارِثِ (١) وَجَمَاعَتِيهِ: ﴿١﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي
اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١﴾ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَالْقُرْآنُ أَسَاطِيرُ الْأُولَى. وَأَنكُرُوا
الْبَعثَ وَإِحْيَاءَ مَن صَارَ تَرَابًا ﴿١﴾ وَيَضِيعُ ﴿١﴾ فِي جَدَالِهِ ﴿١﴾ كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿١﴾
أَي: مُتَمَرِّدٍ.

[٤] ﴿٤﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ ﴿٤﴾ قُضِيَ عَلَى الشَّيْطَانِ ﴿٤﴾ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ ﴿٤﴾ أَي: اتَّبَعَهُ
﴿٤﴾ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ ﴿٤﴾ يَدْعُوهُ ﴿٤﴾ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ أَي: النَّارِ.

[٥] ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ﴿٥﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿٥﴾ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴿٥﴾ شَكٌّ ﴿٥﴾ وَمِنَ
الْبَعْثِ ﴿٥﴾ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ﴿٥﴾ أَي: أَصْلَكُمْ آدَمَ ﴿٥﴾ وَمِن نُّرَابٍ ثُمَّ ﴿٥﴾ خَلَقْنَا ذَرِيَّتَهُ ﴿٥﴾ مِن
نُّظْفَرٍ ﴿٥﴾ مِّنِّي ﴿٥﴾ ثُمَّ مِن عَاقِبَةٍ ﴿٥﴾ وَهِيَ الدَّمُ الْجَامِدُ ﴿٥﴾ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴿٥﴾ وَهِيَ
لِحْمَةٌ قَلدَرٌ مَا يَمْضِغُ ﴿٥﴾ مُخَلَّقَةٍ ﴿٥﴾ مَصْصُورَةٌ تَامَةُ الْخَلْقِ ﴿٥﴾ وَعَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴿٥﴾ أَي: غَيْرِ
تَامَةِ الْخَلْقِ ﴿٥﴾ لِّئِبَيِّنَ لَكُمْ ﴿٥﴾ كَمَا لَقَدْنَا؛ لِتَسْتَدِلُّوا بِهَا فِي ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ عَلَى
إِعَادَتِهِ ﴿٥﴾ وَنُقَرُّ ﴿٥﴾ مُسْتَأْنَفٌ (٢) ﴿٥﴾ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴿٥﴾ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٥﴾
وَقْتُ خُرُوجِهِ ﴿٥﴾ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ ﴿٥﴾ مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴿٥﴾ وَطِفْلًا ﴿٥﴾ بِمَعْنَى: أَطْفَالًا
﴿٥﴾ ثُمَّ ﴿٥﴾ نَعْمُرُكُمْ ﴿٥﴾ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴿٥﴾ أَي: الْكَمَالَ وَالْقُوَّةَ؛ وَهُوَ: مَا بَيْنَ
الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ سَنَةً ﴿٥﴾ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّى ﴿٥﴾ يَمُوتُ قَبْلَ بُلُوغِ الْأَشُدِّ
﴿٥﴾ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمرِ ﴿٥﴾ أَحْسَنُ مِنَ الْهَرَمِ وَالْخُرْفِ ﴿٥﴾ لِكَيْلَا يَعْلَمَ
مِن بَعْدِ عِلْمٍ سَيِّئًا ﴿٥﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَصِرْ بِهَذِهِ الْحَالَةِ» ﴿٥﴾ وَتَرَى
الْأَرْضَ هَائِدَةً ﴿٥﴾ بَابِ سَةِ ﴿٥﴾ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَتَتْ ﴿٥﴾ تَحْرَكَتْ
﴿٥﴾ وَرَبَّتْ ﴿٥﴾ ارْتَفَعَتْ وَزَادَتْ ﴿٥﴾ وَأَنْبَتَتْ ﴿٥﴾ مِنْ زَائِدَةٍ ﴿٥﴾ كُلِّ رَوْحٍ ﴿٥﴾ صَنْفٍ
﴿٥﴾ بِهِيجٍ ﴿٥﴾ حَسَنٍ.

(١) هذا قول علقمة والشعبي وجماعة من المفسرين. واختار ابن جرير أن الآية تشير إلى هول وفزع وزلزال كائن يوم القيامة. واحتجوا بحديث عمران بن حصين عند أحمد والترمذي وأبي داود وغيرهم، أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًاؤا رِيكُمُ إِنَّ زَلزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فقال: «أتدرون أي يوم هذا؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم القيامة، يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار... الحديث. أخرجه الترمذي في تفسير القرآن (٤٨)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٦١٨). وأخرجه أحمد مختصراً في المسند (٤٣٢/٤). كما استدلل أصحاب هذا القول بأحاديث نلا النبي ﷺ فيها هذه الآيات، منها ما جاء في الصحيحين وغيرهما. انظر: البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢)، ومسلم كتاب الإيمان (١) باب (٩٦).

(٢) هذا قول مجاهد، وأبي مالك، ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢/٦) ولباب النقول ص (١٤٨)، ونسبها لابن أبي حاتم. وهما مرسلان. وذكره البغوي في تفسيره (٣٦٥/٥).

(٣) يعني أن الوار في قوله: ﴿ونقرو﴾ استنافية وليست عطفًا على ﴿لئيبين﴾.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿يَأْتِي﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ هُوَ الْمُخْتَصُّ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

[٨] ونزل في أبي جهل^(١): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِعَتَرٍ عُلْوٍ وَلَا هُدًى مَعَهُ وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ له نور معه.

[٩] ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ حال؛ أي: لا وبي عنقه تكبراً عن الإيمان؛ والعطف: الجانب عن يمين أو شمال [ليُضِلُّ] بفتح الياء^(٢) وضمها ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾ عذاب؛ ففعل يوم بدر^(٣) ﴿وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: الإحراق بالنار.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾ أي: قدمته، عتير عنه بهما دون غيرهما؛ لأن أكثر الأفعال تراول بهما ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

[١١] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبَدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أي: شك في عبادته، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنِ أَصَابَهُ حَيْرٌ﴾ صحّة وسلامة في نفسه وماله ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾ وإن أصابته فتنه محنة وسقم في نفسه وماله ﴿أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: رجع إلى الكفر ﴿حَسِرَ الدُّنْيَا﴾ بفوات ما أملة منها ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ بالكفر ﴿ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ البين^(٤).

[١٢] ﴿يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ إن عبثه ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْعَبِيدُ﴾ عن الحق.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَن﴾ اللام زائدة ﴿ضُرُّهُ﴾ عبادته ﴿أَقْرَبُ مَن نَّفَعِيهِ﴾ إن نفع بتخليه ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ هو؛ أي: الناصر ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ صاحب هو.

[١٤] وَعَقَّبَ ذِكْرَ الشَّاكِّ بِالْحُسْرَانِ بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ فِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ إن الله يفعل ما يريد^(٥) من إكرام من يطعمه، وإهانة من يعصيه.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِعَتَرٍ عُلْوٍ وَلَا هُدًى مَعَهُ وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ هُوَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبَدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنِ أَصَابَهُ وَحَيْرٌ أَطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنِ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مَن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْعَبِيدُ ﴿١٢﴾ صُرُّهُ أَقْرَبُ مَن نَّفَعِيهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ وَمَا يَعِظُ ﴿١٥﴾

[١٥] ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ أي: محمداً نبيه ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ أي: ليختنق به؛ بأن يقطع نفسه من الأرض؛ كما في «الضحاح»^(٦) ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ﴾ في عدم نصره النبي ﴿مَا يَعِظُ﴾ منها؛ المعنى: فليختنق غيظاً منها؛ فلا بد منها.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبَدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة؛ فإن ولدت امرأته غلاماً وتوحيث خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء. البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبَدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾.

(٦) روي ذلك عن ابن عباس، كما ذكره النيسابوري والألوسي وغيرهما، وقيل: نزل في النضر بن الحارث أيضاً وهو قول ابن عباس أيضاً، والتكرير للمبالغة في الذم. قاله القرطبي. وقيل: هي عامة لكل من يتصدى لإضلال الناس واغوائهم. وقيل: الآية الأولى واردة في الأتباع المقلدين. وهذه الآية واردة في المتبوعين المقلدين.

(٢) بالفتح لابن كثير وأبي عمرو، والباقون بالضم.

(٣) أي أبو جهل؛ لاختيار المصنف أنها نزلت فيه.

(٤) كتاب «مختار الضحاح» في اللغة للجوهري.

معطوف على هاء ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَالضَّالِّينَ وَالْمُجْرِبِينَ وَالَّذِينَ اشْرَكُوا﴾ إنَّ الله يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَادْخُلُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ، وَيَدْخُلُ غَيْرَهُمُ النَّارَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من عملهم ﴿سَيُجَذَّبُ﴾ غَالِمٌ بِهِ عِلْمٌ مُشَاهِدَةٌ.

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾ أي: يخضع له بما يُرَادُ مِنْهُ ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ وهم المؤمنون؛ بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿وَكَبِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وهم الكافرون؛ لأنهم أتوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ﴾ يُشْفِقْهُ ﴿فَمَا لَمْ يَنْزِلْ مِنْ مَكْرَمٍ﴾ مُشْعَبٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ من الإهانة والإكرام.

[١٩] ﴿هَذَانِ حَصْمَانِ﴾ أي: المؤمنون خصم، والكفار الخمسة (١) خصم، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿أَخْضَمُوا فِي رَيْبٍ﴾ أي: في دينة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لُهُمْ نَارٌ﴾ يلبسونها؛ يعني: أحيطت بهم النار ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة.

[٢٠] ﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب ﴿بِهِ، مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من سُحُومٍ وَغَيْرِهَا ﴿وَوَيْلٌ لِلنَّفْسِ النَّاصِيَةِ﴾ تشوى به ﴿الْجَالِدُ﴾ (٢).

[٢١] ﴿وَهُمْ مَقْتَعٌ مِنَ حَبِيدٍ﴾ لضرب رءوسهم.

[٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: النار ﴿وَمِنْ غَيْرٍ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ رُدُّوا إليها بالمقامع ﴿وَوَيْلٌ لِمَنْ قَبِلَ لَهَا﴾ ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: البالغ نهاية الإحراق.

[٢٣] وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ بالجر؛ أي: منهن؛ بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصب (٣): عطفًا على محل ﴿وَمِنْ أَسَاوِرَ﴾ ﴿وَلِيَسَاهُنَّ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هو الخمرُ لِشِدَّةِ عَلَى الرِّجَالِ فِي الدُّنْيَا.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ فِيهَا مَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالضَّالِّينَ وَالضَّالِّينَ وَالْمُجْرِبِينَ وَالَّذِينَ اشْرَكُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿الَّذِينَ اشْرَكُوا﴾ الَّذِينَ اشْرَكُوا بِاللَّهِ يَسْجُدُ لَهُ، وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَبِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِنْ مَكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧﴾ هَذَانِ حَصْمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبٍ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لُهُمْ نَارٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٨﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجَالِدُ ﴿١٩﴾ وَلَهُمْ مَقْتَعٌ مِنْ حَبِيدٍ ﴿٢٠﴾ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤُا وَلِيَسَاهُنَّ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن الباقي ﴿آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ﴾ ظاهرات، حالٌ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ﴾ هداية،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١٩، ٢٠): أخرج البخاري عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول من يلحون بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ حَصْمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبٍ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمره وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب (٣).

(١) يشير المصنف إلى أهل الملل الكافرين الخمسة المذكورين في الآية المقدمة، وانظر ما جاء في سبب نزول الآية.
(٢) بالجر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

[٢٤] ﴿وَهُدُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَى الصَّيْبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو: لا إله إلا الله^(١) ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: طريق الله الحمودة ودينه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مِنسَكًا وَمَعْبَدًا﴾ للناس سواء العنكبُ المقيم فيه والبادِ الطائر ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَاءِ﴾ الباء زائدة ﴿يُظَلَمْ﴾ أي: بسببه؛ بأن ارتكب منهياً، ولو شتم الخادم ﴿نُدْفَهُ مِن عَذَابِ آيِرٍ﴾ مؤلم؛ أي: بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر ﴿إِنَّ﴾؛ أي: نذيقهم من عذاب ألم.

[٢٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾ بيئنا ﴿لِلْإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾ لبيئته، وكان قد رُفِعَ زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَن لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جمع راكم وساجد؛ المصلين.

[٢٧] ﴿وَأَذِّنْ﴾ ناد ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ فنادى على جبل^(٢) أبي قبيس: يأيتها الناس إن ربكم بيئنا وأوجب عليكم الحج إليه؛ فأجيبوا ربكم. والنفت بوجهه بيئنا وشمالاً وشرقاً وغرباً؛ فأجابه كل من كتبت له أن يشخ من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، وحواب الأمر: ﴿يَأْتُونَكَ رِجَالًا﴾ مشاة، جمع راجل؛ كقائم وقيام ﴿وَرِجَالًا﴾ علقن كل صَامِرٍ أي: بعير مهزول، وهو يطلق على الذكر والأُنثى ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: الضوامر حملاً على المعنى ﴿مِن كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ﴾ طريق بعيد.

[٢٨] ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ أي: يحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ في الدنيا والتجارة، أو في الآخرة^(٣)، أو فيهما، أقوالٌ ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آثَارِهِ مَعْلُومَاتٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوال العبد وما بعده من الهدايا والضحايا^(٤) ﴿فَصَلُّوا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَأَطِيعُوا أَلْسَانَ الْفُقَرَاءِ﴾ أي: الشديد الفقر.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَطَهُرَهُمْ﴾ أي: يزيلوا أوساخهم وشعثهم؛ كطول الظفر ﴿وَلْيُقِضُوا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿نُدُورَهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القدم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر، أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَن يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثِمَاتُ﴾ أكلًا

وَهُدُوا إِلَى الصَّيْبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعنكبُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَاءِ يُظَلَمْ فِيهِ بِالْحَسَاءِ وَالْحَسَاءُ الْبَاءُ زَائِدَةٌ يُظَلَمُ أَي: بسببه؛ بآن ارتكب منهياً، ولو شتم الخادم نُدْفَهُ مِن عَذَابِ آيِرٍ مؤلم؛ أي: بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر إِنَّ؛ أي: نذيقهم من عذاب ألم.
 ﴿٢٦﴾ وَ اذكر إِذْ بَوَّأْنَا لِلْإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ لبيئته، وكان قد رُفِعَ زمن الطوفان، وأمرناه أَن لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي مِنَ الْأَوْثَانِ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ المقيمين به وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ جمع راكم وساجد؛ المصلين.
 كَلِّ صَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آثَارِهِ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَيْمَاتٍ الْآثِمَاتُ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْسَانَ الْفُقَرَاءِ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَطَهُرَهُمْ وَلْيُقِضُوا نُدُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ذَلِكَ وَمَن يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثِمَاتُ إِلَّا مَا تَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ

بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يَتَلَّ عَلَيْكُم﴾ تحريمه في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمُ الْآثِمَاتِ﴾^(١) الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحرّم لما عرّض من الموت ونحوه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ من لبيان؛ أي: الذي هو الأوثان ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: الشرك بالله في تلبيتكم، أو شهادة الزور.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن ابن مسعود قال في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَاءِ يُظَلَمْ﴾ قال: لو أن رجلاً همّ فيه بالحاد وهو يعذبني لأذافه الله لي عذاباً أليماً. المسند (٢٨/١)، (٤٥١) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤٠٧١). ﴿وَعَدَنَ آيِرًا﴾ مدينة معروفة باليمن؛ أضيفت إلى آيير، وهو رجل من جنس عدن بها؛ أي أقام. (النهاية لابن الأثير ١٩٢٣).

(١) هذا على أحد الأقوال، أن المراد: هُدُوا في الدنيا إلى كلمة التوحيد، وقيل: قراءة القرآن، والقول الآخر أن المراد: هُدُوا في الآخرة إلى الصراط المستقيم، وهو: الحمد والتسبيح والسلام، ويشهد له قوله - تعالى -: ﴿وَدَعَوْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ سَمْعَكَ أَلْفَهُمْ وَجَنَّتْ بَيْنَهُمْ نَبَا سَلَمٌ وَمَا كَثُرَ دَعْوَانَهُمْ أَن لَقْنَهُمْ رَبَّ الْمَلَكِيَّاتِ﴾ [يونس: ١٠] وغيرها من الآيات. وعلى القول الأول: فيحتمل أن في الكلام تقدماً وتأخيراً، فيكون المعنى: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهدوا إلى الصراط المستقيم جنات... والله أعلم.

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن ابن عباس (الدر المنثور ٤/٦٣٧)، وقال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وغير واحد من السلف.

(٣) لعله يريد بذلك ما قيل: إن المراد بالمنافع: المناسك؛ كمرفات والمعتمر الحرام، وما يترتب على ذلك من الأجر والمغفرة.

(٤) فالمراد بذكر اسم الله حبيط التسمية عند الذبح والنحر. وهو قول الأكثرين، وكان الكفار يذبحون على أسماء أصنامهم، فيهن الله أن الواجب الذبح على اسم الله. وقيل: إن ﴿عَلَى﴾ تعلقية؛ والمعنى: لأجل ما رزقهم من تلك الأنعام؛ فلو شاء لحظرها عليهم وجعلها أوامد متوحشة.

(٥) بالتشديد قراءة شعبة.

أي: فإن تعظيمها - وهي البدن التي تُهدى للحرم بأن تُستحسن وتُستمن - **﴿وَمِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** منهم، سُمِّيتْ شَعَائِرًا؛ لإشعارها بما تعرف به أنها هدي؛ كطعن حديدية بسنامها.

[٣٣] **﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾** كزكوتها، والحمل عليها ما لا يضرها **﴿إِنَّ أَجَلَ يُسْعَى﴾** وقت نحرها **﴿نَسْرَ بِجَاهِهَا﴾** أي: مكان حل نحرها **﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾** أي: عنده؛ والمراد: الحرم جميعه.

[٣٤] **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾** أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم **﴿جَعَلْنَا مَسْكَاةً﴾** يفتح السين: مصدر، وبكرها^(١): اسم مكان؛ أي: ذبحا قربانًا، أو مكانه **﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْهِيمَةٍ﴾** الأنتير **﴿عند ذبحها﴾** **﴿فَالْيَهُكُمُ إِلَهُ وَوَجِدَ فَلَهُ أَسْلَمُوا﴾** انقادوا **﴿وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** الطيعين المتواضعين.

[٣٥] **﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ﴾** خافت **﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾** على ما أصابهم **﴿من البلايا﴾** **﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾** الصَّالِحِينَ **﴿فِي أَوْقَاتِهِمْ﴾** وَمَعَ رِزْقِهِمْ يُفْقَرُونَ **﴿يتصدقون﴾**.

[٣٦] **﴿وَالْبُدْنَ﴾** جمع بدنة؛ وهي: الإبل **﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾** أعلام دينه **﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾** نفع في الدنيا - كما تقدم - وأجر في العقبى **﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾** عند نحرها **﴿صَوَافٍ﴾** قائمة على ثلاث، معقولة^(٢) اليد اليسرى **﴿فَإِذَا وَجِيتَ جُنُوبَهَا﴾** سقطت إلى الأرض بعد النحر؛ وهو: وقت الأكل منها **﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾** إن شئتم **﴿وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ﴾** الذين يقنع بما يُعطى، ولا يسأل، ولا يتعزض **﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾** السائل أو المتعرض **﴿كَذَلِكَ﴾** أي: مثل ذلك التسخير **﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾** بأن تُنحر وتركب وإلا فلم تُطن **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** إنعامي عليكم.

[٣٧] **﴿لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا﴾** أي: يرفعان إليه **﴿وَلَكِنْ يَبَالُهُ النَّفْسَ مِنْكُمْ﴾** أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان **﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ﴾** إِنْ هَدَيْتُمْ **﴿أُرْسِدْكُمْ لِمَعَالِمِ دِينِهِ وَمَنَاسِكَ حِجَّةِ﴾** وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ **﴿أي: الموحدين﴾**.

[٣٨] **﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** غوائل المشركين **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِيبُ كُلَّ حَرْوَانٍ﴾** في أمته **﴿كَفُورٍ﴾** لنعمته؛ وهم: المشركون؛ المعنى: أنه يعاقبهم^(٣).

حَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ السَّمَاءَ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَمِنْهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْهِيمَةٍ ۖ الْأَنْعَامُ فَالْيَهُكُمُ إِلَهُ وَوَجِدَ فَلَهُ ۖ أَسْلَمُوا ۖ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يْفِيقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۖ فَإِذَا وَجِيتَ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ ۖ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا ۖ وَلَكِنْ يَبَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ۖ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۖ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِيبُ كُلَّ حَرْوَانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

[٣١] **﴿حَفَاءَ لِلَّهِ﴾** مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه **﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾** تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو **﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾** سقط **﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾** أي: تأخذه بسرعة **﴿أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ﴾** أي: تسقطه **﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾** بعيد، فهو لا يرجى خلاصه.

[٣٢] **﴿ذَلِكَ﴾** يقدر قبله: الأمر، مبتدأ **﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا﴾**

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) أي مربوطة.

(٣) وهذا تأويل لانتفاء الصفة بلازمها، والحب والبغض صفتان لله ﷻ، ومذهب السلف إبتائهما لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

[٣٩] ﴿أَوَلَمْ يَلِدْزِينَ بِقَتْلَوْلَت﴾ أي: المؤمنین أن یقاتلوا، وهذه أول آية نزلت فی الجهاد ﴿يَأْتَهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظَلِمُوا﴾ لظلم الكافرين إياهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] هم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فی الإخراج، وما أُخْرِجُوا ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم: ﴿رَبَّنَا اللَّهُ﴾ وحده، وهذا القول حق؛ فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل؛ بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَهْمُمْ﴾ بالتشديد؛ للتكثير، وبالتخفيف (١) ﴿صَوْبِغٌ﴾ للرهبان ﴿وَبِغٍ﴾ كئاس للضارى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ كئاس لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسْجِدٌ﴾ للمسلمين ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا﴾ أي: المواضع المذكورة (٢) ﴿أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ وتقطع العبادات بخرابها ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿غَيْرُ غَيْرٍ﴾ منيع فی سلطانه وقدرته (٣).

[٤١] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ جواب الشرط، وهو جوابه صلة الموصول، ويقدر قبله: «هم» مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: مرجعها إليه فی الآخرة.

[٤٢] ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى آخره فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيب ﴿قَوْمٌ﴾ باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَتَمُودٌ﴾ قوم صالح.

[٤٣] ﴿وَقَوْمٌ إِيَّاهُمْ وَقَوْمٌ لَوْطٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكَذَّبَ مُوسَىٰ﴾ كَذَّبَهُ الْقَبِيظُ لَا قومه بنو إسرائيل؛ أي: كذب هؤلاء رسلهم؛ فلك أسوة بهم ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟ أي: إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم، والاستفهام للتقرير؛ أي: هو واقع موقعه.

[٤٥] ﴿فَكَانَ﴾ أي: كم ﴿مِنَ قَرْيَةٍ﴾ [أَهْلَكْنَاهَا] (٤) وفي قراءة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ ﴿وَهِيَ ظَلَمَةٌ﴾ أي: أهلها؛ بكفرهم ﴿فَبُهِتَ سَاقِطَةٌ﴾ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴿سُقُوفِهَا﴾ ﴿وَمِنْ﴾ كم من ﴿بِئْسَ مَعْطَلَةٌ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ رفيع، خال بموت أهله.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ﴾

أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْمُمْ أَنْصَابٌ مِنَ صَوْمِيعٍ وَبِغٍ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمٌ لَوْطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٣﴾ فَكَانَ مِنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٤﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٥﴾

يَقُولُونَ بِهَا﴾ ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارهم بالإهلاك وحراب الديار؛ فيعتبروا ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: القصة ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ﴾ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تأكيداً.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبينهم! إنا لله وإنا إليه راجعون. ليهلكن؛ فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَلِدْزِينَ بِقَتْلَوْلَت﴾ يَأْتَهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. فعرفت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال.

النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد، والترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٣). (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٥). وأخرج الترمذي عن سعيد بن جبير قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال رجل: أخرجوا نبينهم! فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَلِدْزِينَ بِقَتْلَوْلَت﴾ يَأْتَهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ الترمذي - الموضوع السابق.

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

(٢) هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود على المواضع المذكورة كلها، وبناء عليه يجب أن يحمل المعنى على ما قبل تعريف الأمم السابقة دينهم... وصوب هذا التأويل ابن عطية. واختار ابن جرير أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود إلى «المساجد» فقط؛ لأنها أقرب المذكورات، كما في لغة العرب. وعلى كلا القولين فلا تشمل الآية «الكنائس» و«الكُتُب» التي يتخذها اليهود والنصارى بعد بعثة محمد ﷺ؛ لأنها لا يذكر فيها اسم الله تعالى بالتوحيد والتزويه، كما يجب أن يذكر. قرأ العيني ص ٤٣٩ بتصرف.

(٣) هي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾.

يَسْتَعِجَلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا

عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيُّنَ مِنْ قَوْمٍ أَمَلِيَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ قَالِ الَّذِينَ

﴿٥٠﴾ ﴿قَالِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة.

﴿٥١﴾ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن؛ بإبطالها ﴿مُعْجِزِينَ﴾^(١) من اتبع النبي؛ أي: يسبونها إلى العجز ويضطرونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم، وفي قراءة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مسابقين لنا؛ أي: يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ﴾ النار.

﴿٥٢﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ هُوَ نَبِيٌّ أُمِرَ بِالْبَلِيغِ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي: لم يؤمر بالبليغ^(٢) ﴿إِلَّا إِذَا تَمَتَّى﴾ قرأ ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿أَفَرَأَيْتُمْ الْكُفْرَانَ وَالْعَرَجِ الْأَشَاطِيرَ﴾ ﴿وَأَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ يشتمها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ﴾ في تمكينه منه بفعل ما يشاء.

﴿٥٣﴾ ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتَنَةً﴾ محنة ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شقاق ونفاق ﴿وَالْقَائِسَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركين؛ عن قبول الحق ﴿وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لِيُشَاقِقَ بَعِيدٌ﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين؛ حيث جرى على لسانه ذكر ألهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك.

﴿٥٤﴾ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿فِيَوْمَئِذٍ﴾ تطمئن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

﴿٥٥﴾ ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي زُرْقٍ﴾ شك ﴿مِنْهُ﴾ أي: القرآن؛ بما ألقاه الشيطان على لسان النبي، ثم أبطل^(٣) ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار؛ كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

﴿٤٧﴾ ﴿وَيَسْتَعِجَلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالباء والياء^(١)؛ في الدنيا. ﴿٤٨﴾ ﴿وَكَأَيُّنَ مِنْ قَوْمٍ أَمَلِيَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ المرجع. ﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

﴿٤٧﴾ ﴿وَيَسْتَعِجَلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزال العذاب؛ فأنزله يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالباء والياء^(١)؛ في الدنيا. ﴿٤٨﴾ ﴿وَكَأَيُّنَ مِنْ قَوْمٍ أَمَلِيَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ المرجع. ﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿مُعْجِزِينَ﴾.

(٣) هذا القول هو المشهور الشائع، والصحيح المختار هو أن الرسول من أوحى إليه بشرع جديد، والتي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. وانظر: الرسل والرسالات للأشقر، ص (١٤، ١٥)، والنبوات لابن تيمية ص (٢٥٥).

(٤) وهذا كلام باطل، وقد اتفق جمهور العلماء على أن قصة الغرائق هذه باطلة متناه ولا أصل لها متناهاً. قال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة. وقال البيهقي: غير ثابتة نقلًا ورواها مطعونون، وردها ابن كثير، وأبو بكر بن العربي، والقاضي عياض، وغيرهم.

ومن أفضل ما قيل في تفسيرها ما ذكره الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان: هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي ﷺ الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها؛ كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده... فمعنى نسخ ما يلقى الشيطان: إزالته وإبطاله وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم. ومعنى ﴿يحكم آياته﴾: يتقنها بالإحكام؛ فيظهر أنها وحى منزل منه بحق، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صد الناس عنها بإلقائه المنذور.

(٥) تقدم بطلان هذا التأويل، انظر الهامش السابق.

[٥٦] ﴿الْمَلَكُ يُؤْتِيهِمْ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، وما تضمنه من الاستقرار^(١)، ناصب للظرف ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما يتبين بعده ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّبِيِّ﴾ فضلاً من الله.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ شديدٌ بسبب كفرهم.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِرَّةً فَهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ أفضل المعطين.

[٥٩] ﴿لَبَدَّلْنَاهُمْ مُّذَخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها^(٢)؛ أي: إدخالاً أو موضعاً ﴿بِرِضْوَانِهِ﴾ وهو الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بياتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن عقابهم.

[٦٠] الأمر ﴿ذَلِكَ﴾ قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمن ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ظلماً من المشركين؛ أي: قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ بَعِيَ عَلَيْهِ﴾ منهم؛ أي: ظلم بإخراجه من منزله ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ ﴿عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عَفُورٌ ﴿لَهُمْ﴾، عن قتالهم في الشهر الحرام.

[٦١] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: يدخل كلاً منهما في الآخر؛ بأن يزيد به، وذلك من أثر قدرته - تعالى - التي بها النصر ﴿وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بِصَبْرٍ﴾ بهم؛ حيث جعل فيهم الإيمان؛ فأجاب دعاءهم.

[٦٢] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر أيضاً ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَإِنَّ مَا يَسْتَعْرَبُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣)، يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: العالِي على كل شيء بقدرته^(٤) ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر كل شيء سواه.

[٦٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَنُصِصَ بِهِ الْأَرْضُ مُخْتَضِرَةً﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته^(٥) ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿حَيِّرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير

الْمَلَكُ يُؤْمِرُ لِلَّهِ بِحُكْمِ رَبِّكَ هُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِرَّةً فَهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾ لَبَدَّلْنَاهُمْ مُّذَخَلًا يَرِضُونَ وَوَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بَعِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَنُصِصَ بِهِ الْأَرْضُ مُخْتَضِرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَيِّرٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَفِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

المطر.

[٦٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ على جهة الملك ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَفِيُّ﴾ عن عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأوليائه.

(١) أي معنى الاستقرار المقدر.

(٢) بالفتح قراءة نافع.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا قصر لمعنى «العلي» على أحد مدلولاته وإغفال الباقي؛ فالله - سبحانه - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

(٥) وروحته أيضاً.

﴿وَمِمَّا كَفَرْنَا﴾ من ﴿أَنْ﴾ أو لئلا ﴿نَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾
فنهلكوا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالتَّائِبِينَ لَرُؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ في التسخير والإمساك.

[٦٦] ﴿وَمَوْءَاظِكُمْ بِإِنبَاءِكُمْ﴾ بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُخَبِّرُكُم﴾ عند انتهاء
أجالكم ﴿ثُمَّ يُخَبِّرُكُم﴾ عند البعث ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أي: المشرك
﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله؛ بتركه توحيده.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ بفتح السين وكسرهما^(١)؛ شريعة
﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنْبِرُ عَنْكَ﴾ يراد به: لا تنازعهم ﴿فِي
الْأَمْرِ﴾ أي: أمر الذبيحة؛ إذ قالوا: «ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم»^(٢)
﴿وَأَنْذِرْ إِلَىٰ رِيكٍ﴾ إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَمَلِكٌ مُّهِدِيٌّ﴾ دين ﴿مُتَّبِعِيٌّ﴾.

[٦٨] ﴿وَلَنْ جَدُّوكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
فيجازيكم عليه، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٦٩] ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بأن يقول كل من الفريقين بخلاف قول الآخر.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ تَقَلَّبُوا﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ
ذَلِكَ﴾ أي: علم ما ذكر ﴿عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل؟.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ هو
الأصنام ﴿سُلْطَنًا﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة^(٣) ﴿وَمَا
لِلظَّالِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

[٧٢] ﴿وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿يَنْتَبِهُوا﴾ ظاهرات،
حال ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ أي: الإنكار لها؛ أي:
أثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ بِسَطْوَتِ الْبَلَدِ﴾ يتلوت عليهم
آياتنا؛ أي: يقعون فيهم بالبطش ﴿فَلْ أَهَاتِيكُمْ بَشْرًا مِّنْ ذَلِكُمْ﴾ بأكرة
إلحاح من القرآن المثلث عليكم؛ هو: ﴿الْبَأْسُ وَوَعْدَا اللَّهِ الَّذِي كَفَرُوا﴾ بأن
مصيرهم إليها ﴿وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ هي.

الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ سَحَابًا مِّنَ السَّمَاءِ وَالتَّلَافُوتِ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالتَّائِبِينَ لَرُؤُفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَخْبَاكُمْ ثُمَّ يُخَبِّرُكُمْ ثُمَّ يُخَبِّرُكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْبِرُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَأَنْذِرْ إِلَىٰ رِيكٍ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدُّوكَ فَضَّلَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
الَّذِينَ تَقَلَّبُوا أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَنًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
يَنْتَبِهَتْ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ
بِسَطْوَتِ الْبَلَدِ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ
ذَلِكُمْ أَلَمْ تَرَ وَوَعْدَ اللَّهِ الَّذِي كَفَرُوا وَبَشُورِ الْمَصِيرِ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ سَحَابًا مِّنَ السَّمَاءِ وَالتَّلَافُوتِ تَجْرِي﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم
﴿وَالفَلَاحِ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ ياذنه

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) راجع ما تقدم في سبب نزول الآيات (١١٩ - ١٢١) من سورة الأمام.

(٣) أي: عبدوها تقليدًا لأبائهم، من غير دليل ولا حجة.

[٧٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ مِنْكُمْ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ وهو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ اسم جنس، واجده ذبابة، يقع على الذكر والمؤنث ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ خلقه ﴿وَلَنْ يَسْلُتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ مما عليهم؛ من الطيب والزعفران الملتصخين^(١) به ﴿لَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ لا يسترده ﴿وَمَنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء الله - تعالى ١٩: هذا أمر مستغرب، عجز عنه يضرب مثل ﴿صَعَفَ الظَّالِمُ﴾ العابد ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ المعبود.

[٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ عَظْمَهُ﴾ عظمه ﴿حَقَّ قَدْرَهُ﴾ به إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا يتصرف منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ غالب.

[٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَكَةِ رُسُلًا وَيَرَى النَّاسَ﴾ رسلًا، نزل لما قال المشركون: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقاتلهم ﴿بَصِيرٌ﴾ من يتخذة رسولًا؛ كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم - صلى الله عليهم وسلم..

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما قدموا وما خلفوا، وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَالِ اللَّهِ رُجُوعُ الْأُمُورِ﴾.

[٧٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحدوه ﴿وَأَقْسَلُوا الْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة.

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب ﴿حَقَّ﴾ على المصدر ﴿هُوَ اجْتِنَابُكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق؛ بأن سهله عند الضرورات؛ كالفقر والتميم وأكل الميتة والقطر للمرض والسفر ﴿وَيَا أَيُّكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض «الكاف»^(٣) ﴿إِزْهَجَ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿سَمَّنَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن رسلم بلغوهم ﴿فَأَقِمْوهُمُ الصَّلَاةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ ثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَتَعِمَّ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿وَتَعَمَّ النَّصِيرُ﴾ الناصر لكم.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ صُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الظَّالِمِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٤﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٥﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٧٨﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لِيُزْهِقَ هَيْهَاتُ هُوَ سَمَّنَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِمْوهُمُ الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سورة المؤمنون

(١) في نسخة الصاوي وبعض النسخ المطبوعة: «الملتصخين». وقال الصاوي مستشكلًا ذلك: المناسب أن يقول: «الملتصخين»؛ لأنه نعت سببي للطيب والزعفران. اهـ. والمثبت من نسخة القاضي كنعان؛ قال: هو هكذا في المخطوطة الثانية، وهو الصواب.

(٢) سورة ص: ٨.

(٣) أي: كجيلة أيكم.

- [٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾.
- [٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكْوَةِ قَاعِلُونَ﴾ مؤذون.
- [٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام.
- [٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ﴾ أي: من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: السراي ﴿فَلِأَنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهم.
- [٧] ﴿فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ من الزوجات والسراي؛ كالاتمناء باليد في إتيانهم ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم.
- [٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً^(١) ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون.
- [٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً^(٢) ﴿يَحَافِظُونَ﴾ يقيمونها في أوقاتها.
- [١٠] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾^(٣) لا غيرهم.
- [١١] ﴿الَّذِينَ يَرْتَدُّونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد، ويناسبه ذكر المبدأ بعده.
- [١٢] ﴿وَاللَّهُ﴾ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْتَةٍ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء؛ أي: استخرجه منه، وهو خلاصته ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلق بـ ﴿سَلْتَةٍ﴾.
- [١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ ﴿مِثْيًا﴾ في قرار مكيين هو الرجم.
- [١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحمية قذراً ما مضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة: ﴿عِظْمًا﴾ في الموضعين^(٤)، و«خَلَقْنَا» في المواضع الثلاث؛ بمعنى: صبرنا ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المقدرين، ومميز ﴿أَحْسَنُ﴾ محذوف للعلم به؛ أي: خلقاً.
- [١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ﴾.
- [١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَتُونَ﴾ للحساب والجزاء.
- [١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سماوات، جمع طريقة^(٥)؛ لأنها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ التي تحتها ﴿غَفْلِينَ﴾ أن تسقط عليهم؛ فهلكتهم، بل نسكها؛ كآية ﴿وَتَسْمِعُ الْكَلِمَةَ أَلَّن تَقَعَّ عَلَى الْأَرْضِ﴾^(٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكْوَةِ قَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتَدُّونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْتَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَتُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفْلِينَ ﴿١٧﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

[مكية، مائة وثمانين، أو: تسع عشرة آية، نزلت بعد الأنبياء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.
- [٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متواضعون^(١).

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار؛ فإذا مات فدخل الثار، ورث أهل الجنة منزله؛ فذلك قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾». ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٩) صفة الجنة. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٠٣).

(١) الخشوع في الصلاة غير التواضع؛ ومعناه: الخشوع والحروف والسكون؛ أي: باطناً وظاهراً.

(٢) بالإفراد قراءة ابن كثير.

(٣) بالإفراد قراءة حمزة والكسائي.

(٤) أي: «عظماً»، و«العظم»، وهي قراءة ابن عامر وشعبة.

(٥) أي لأن بعضها فوق بعض، وقيل: لأنها طرق الملائكة. فهذان تفسيران لسبب التسمية، وضع المؤلف يوهم أنه تفسير واحد.

(٦) الحج: ٦٥.

[١٨] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم ﴿فَأَنْسَكْتَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ وَاَنَا عَلَى وَثَائِلَ عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ ﴿فِيْمُوتُونَ مَع دُوبَاهِم عَطْشًا﴾.
 [١٩] ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوْكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ صيفا وشتاء.
 [٢٠] ﴿وَ﴾ أَنْشَأْنَا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ [سَيْنَاءَ]﴾ جبل؛ بكسر السين وفتحها^(١)، ومع الصرف للعلمية، والثاني للبقعة ﴿تَثْبِثُ﴾ من الرباعي والثلاثي^(٢) ﴿بِالدَّهْنِ﴾ الباء زائدة على الأول ومعديّة على الثاني؛ وهي: شجرة الزيتون ﴿وَصَبَّغَ لِلَّذِينَ﴾ عطف على «الدهن»؛ أي: إذام يصبغ اللقمة بغمسها فيه؛ وهو: الزيت.
 [٢١] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة تعتبرون بها ﴿تُنْقِضِكُمْ﴾ بفتح النون وضمها^(٣) ﴿وَمِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا﴾ الإبل ﴿وَعَلَى الْفَالِكِ﴾ السفن ﴿تُحْمَلُونَ﴾.
 [٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَاحِدَهُ وَمَا لَكُمْ مِنَّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وهو اسم «مما» وما قبله الخبر، و﴿مِنَ﴾ زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره؟
 [٢٤] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ لأتباعهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون مثبوعًا وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يَبْعَدَ غَيْرُهُ﴾ لأزّل ملكيكة ﴿بذلك، لا بشرا﴾ ﴿مِمَّا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي آيَاتِنَا الْأُولَىٰ﴾ الأمم الماضية.

[٢٥] ﴿إِنَّ هُوَ﴾ ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌ بِرٌّ جَنَّةٌ﴾ حالة جنون ﴿فَتَرَىٰ صُورًا﴾ ينتظروه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى زمن موته.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ انصُرني﴾ عليهم ﴿وَمَا كَذَّبُون﴾ بسبب تكذيبهم إياي؛ بأن تهلكهم.

[٢٧] قال - تعالى - مجيبا دعاءه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفَالِكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا^(٤) ﴿وَوَحَّيْنَا﴾ أمرنا ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ الْفُلُورُ﴾ للخباز بالماء^(٥)، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا﴾ أي: أذخّل في السفينة ﴿مِنَ كُلِّ﴾ زوجين ﴿ذكر وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما﴾ اثنين ﴿ذكرًا وأنثى، وهو مفعول، و﴿مِنَ﴾ متعلقة بـ«اشلكت»، وفي القصة: أن الله - تعالى - حشر نوح السباع والطيور وغيرها؛ فجعل يضرب بيديه في كل نوع؛ فقع يده اليمنى على الذكر

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَأَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَكُمْ فِيهَا فَوْكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَثْبِثُ بِالذَّهْنِ وَصَبَّغَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آيَاتِنَا الْأُولَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ انصُرني بما كذبون ﴿٢٥﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفَالِكَ يَا عَيْنِنَا وَوَحَّيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٦﴾

واليسرى على الأثني؛ فيحملها في السفينة، وفي قراءة: ﴿كُلِّ﴾ بالتثنية، ف﴿زَوْجَيْنِ﴾ مفعول، و﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيد له ﴿وَأَهْلَكَ﴾ زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك؛ وهو: زوجته وولده كنعان^(٦)، بخلاف سام وحام ويافث؛ فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة هود: ﴿وَمِن مَّأْمُونٍ وَمَا مَأْمُونٌ مَّعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٧) قيل: «كانوا ستة رجال ونساؤهم»، وقيل: «جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون؛ نصفهم رجال ونصفهم نساء» ﴿وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: من أنبت وثبت، يشير بذلك إلى القراءتين، وبضم الثاء وكسر الباء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفيها إثبات صفة العين لله سبحانه على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح، وأما الجمع فالتعظيم لا للكبر؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَمَّتْ الْقُدُورُ﴾، ﴿وَمِمَّا كَذَّبُوا﴾، ﴿وَأَنَا لَكُونُ﴾.

(٥) راجع التعليل في سورة هود آية ٤٠.

(٦) هي قراءة السبعة عند حفص، وقرأ حفص بالتثنية.

(٧) راجع التعليل في سورة هود آية ٤٠.

(٨) هود: ٤٠.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرة الله - تعالى - ﴿وَأَنَّ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه.

[٣١] ﴿فَرَأَيْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ قوما ﴿ءآخِرِينَ﴾ هم عاد^(١).

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هودًا^(٢) ﴿أَنَّ﴾ بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أفلا تتقون ﴿عقابه فتؤمنون﴾.

[٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ﴾ بالمصير إليها ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ نعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكْلِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكْلِ مَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَلِلَّهِ﴾ الله ﴿لَيْقِنَ أَطْعَمَهُمْ نَبْرًا مِثْلِكُمْ﴾ فيه قسم وشرط، والجواب لأولهما - وهو مغني عن جواب الثاني -: ﴿إِذْ كُنَّا إِذَا﴾ أي: إذا أطعموه ﴿لَمُخْسِرُونَ﴾ أي: مغبونون.

[٣٥] ﴿أَيُّدِكُمْ أُنْكُرُ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أُنْكُرُ تَخْرُجُونَ﴾ هو خبر ﴿أَنْتُمْ﴾ الأولى، و﴿أَنْتُمْ﴾ الثانية تأكيد لها لما طال الفصل.

[٣٦] ﴿هَيَّاتِ هَيَّاتِ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر؛ أي: بُعد بُعد ﴿لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان.

[٣٧] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إِلَّا حِكْمَانَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الرسول ﴿إِلَّا رِجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالبعث بعد الموت.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَدَدْتُ﴾.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و﴿مَا﴾ زائدة ﴿بَلِّصِيحُنَّ﴾ ليصيرن ﴿نَدِيمِينَ﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بِالْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً﴾ وهو نبت ييس؛ أي: صيرناهم مثله في اليبس ﴿فَمُعَدِّاتٍ﴾ من الرحمة ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المكذبين.

[٤٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ أقوامًا ﴿ءآخِرِينَ﴾.

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلِ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَدَدْتُ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخِرِينَ ﴿٤١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكْلِ مَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن أَطْعَمْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِذِ الْخَسِرُونَ ﴿٤٤﴾ أَيُّدِكُمْ أُنْكُرُ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أُنْكُرُ مَخْرُجُونَ ﴿٤٥﴾ هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٤٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَدَدْتُ ﴿٤٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيحُنَّ نَدِيمِينَ ﴿٥٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً فَمُعَدِّاتٍ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخِرِينَ ﴿٥٢﴾

[٢٨] ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين وإهلاكهم.

[٢٩] ﴿وَقُلِ﴾ عند نزولك في الفلك: ﴿رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَدَدْتُ﴾ بضم الميم وفتح الزاي: مصدر، أو: اسم مكان، وفتح الميم وكسر الزاي^(١): مكان النزول ﴿مُبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ ما ذكر.

(١) يفتح الميم وكسر الزاي لشعبة، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح الزاي.

(٢) وقيل: هم ثمود قوم صالح؛ لأنهم هم الذين أهلكوا بالصيحة. واعتمده البضاوي في تفسيره. واختاره السعدي في تيسر الكريم الرحمن ص (٥٩٧) وقال: الظاهر أنهم «ثمود» قوم صالح عليه السلام؛ لأن القصة هذه تشبه قصتهم. اهـ.

(٣) وعلى القول الآخر: يكون الرسول صالحًا.

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ﴾ عنه، ذكّر الضمير بعد تانيه رعاية للمعنى.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [تثراً] ﴿بالتنوين وعدمه﴾^(١)؛ متتابعين بين كل اثنين زمان طويل^(٢) ﴿كُلِّ مَآ جَاءَ أُمَّةٌ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو^(٣) ﴿رُسُلَنَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة بيّنة؛ وهي: اليد والعصا وغيرهما من الآيات^(٤).

[٤٦] ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فَاسْتَكْبَرُوا ﴿عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا﴾ وباللّه ﴿وَكَاذِبُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ قاهرين بني إسرائيل بالظلم.

[٤٧] ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ بِإِسْرَائِيلَ وَيُنَالِنَا قَوْمُهُمَا لَنَا عِبَادُونَ﴾ مطبوعون خاضعون.

[٤٨] ﴿كَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾.

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به من الضلالة، وأوتيتها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة.

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا مِنْ مَرْمَرٍ﴾ عيسى ﴿وَأَنزَلْنَاهُ آيَةً﴾ لم يقل آيتين؛ لأن الآية فيهما واحدة؛ ولادته من غير فعل ﴿وَمَا وَفَّقْنَاهُمْ إِلَّا رَيْبَ﴾ مكان مرتفع؛ وهو: بيت المقدس، أو دمشق، أو فلسطين، أو فال ﴿ذَاتِ قُرْبَى﴾ أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ وماء جار ظاهر تراه العيون.

[٥١] ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ من فرض ونقل ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم عليه.

[٥٢] ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن هذاه؛ أي: ملة الإسلام ﴿أُنْتُمْ كُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون؛ أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة، وفي قراءة: بتخفيف النون^(٥)، وفي أخرى: بكسرها مشددة^(٦)؛ استئنافاً ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَالْقُرْآنَ﴾ فأحذرون.

[٥٣] ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ أي: الأبناع ﴿أَنفُرَهُمْ﴾ دينهم ﴿بَيْنَهُمْ رُبْرًا﴾ حال من فاعل ﴿تقطعوا﴾؛ أي: أحراباً متخالفين؛ كاليهود والنصارى وغيرهم ﴿كُلُّ حُزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: عندهم من الدين ﴿كُفْرًا﴾ مسرورون.

[٥٤] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ اترك كفار مكة ﴿فِي عَمْرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ جِئَ﴾ إلى حين موتهم.

[٥٥] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُثَدِّرُهُمْ يَدُهُمْ﴾ نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ رَبَّيْنِ﴾ في الدنيا.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلِّ مَآ جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ بِإِسْرَائِيلَ وَيُنَالِنَا قَوْمُهُمَا لَنَا عِبَادُونَ ﴿٤٧﴾ وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا مِنْ مَرْمَرٍ وَأَنزَلْنَاهُ آيَةً وَأَوْتَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قُرْبَىٰ وَمَعِينٍ ﴿٤٨﴾ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِن هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ ﴿٥٠﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ رُبْرًا كُلُّ حُزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ ﴿٥١﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ جِئَ مِنْ مَّالٍ رَبَّيْنِ ﴿٥٢﴾ أَيْنَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُثَدِّرُهُمْ يَدُهُمْ مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ تَسْمُرَ الْأَعْيُنُ وَمَكَّنَ لِكُلِّ فَجُورٍ مَكَنًا ﴿٥٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ جِئَ مِنْ مَّالٍ رَبَّيْنِ ﴿٥٥﴾ وَإِن الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ يُحْسِنُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِن الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِن الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٩﴾

[٥٦] ﴿سَارِعٌ﴾ تعجل ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ لا ﴿بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ أن ذلك استدرأج لهم.

[٥٧] ﴿إِن الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ خوفهم منه ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون من عذابه.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ﴾ القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون.

[٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ معه غيره.

(١) بالتنوين قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وأصل «تثراً»: «وثرى» من «الوثرة»، وهو: الفرد.
 (٢) وقيل: متتابعين بلا مهلة.
 (٣) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وتسهيل الثانية هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.
 (٤) تقدم بيانها في تفسير آية الأعراف ١٣٣، ويونس ٧٥.
 (٥) لابن عامر.
 (٦) بكسر الهمزة وتشديد النون لعاصم وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة وتشديد النون.

[٦٣] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ جهالة ﴿مِنْ هَذَا﴾ القرآن ﴿وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ فيعذبون عليها.

[٦٤] ﴿حَقٌّ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا أُنذِرْنَا مُرْفِهِمْ﴾ أغنياءهم وروساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ أي: السيف يوم بدر^(٦٣) ﴿إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾ يضحجون.

[٦٥] يقال لهم: ﴿لَا تَجْتَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ يَتَنَا لَا تُصْرُونَ﴾ لا تمنعون.

[٦٦] ﴿فَدَكَانَتْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُنْتَلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَغْفَانِكُمْ نَسِكُونَ﴾ ترجعون القهقري.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِ﴾ أي: بالبيت أو الحرم؛ بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَمِيرًا﴾ حال؛ أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الثلاثي؛ تتركون القرآن، ومن الرباعي^(٦٤)؛ أي: تقولون غير الحق في النبي والقرآن.

[٦٨] قال - تعالى -: ﴿أَفَلَمْ يَذَّبُوا﴾ أصله يتدبروا؛ فأدغمت التاء في الدال ﴿الْقَوْلِ﴾ أي: القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ؟﴾

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يُنْكِرُونَ؟﴾

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ؟﴾ الاستفهام للترديد بالحق؛ من صدق النبي، ومجيبه الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْذَرْتُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوىه من الشريك والولد لله - تعالى الله عن ذلك - ﴿فَلَسَدَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد؛ لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَلْبَسْنَاهُمْ لِيُذَكِّرَهُمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرهم وشرافهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمْ قَسَمْنَا لَهُمْ كَرَجًا﴾ أجزأ على ما جنتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَجَ رَبِّيكَ﴾ أجره وثوابه وورقه ﴿حَتَّىٰ﴾ وفي قراءة: ﴿حَرَجًا﴾ في الموضوعين^(٦٥)، وفي قراءة أخرى: ﴿خَرَجًا﴾ فيهما^(٦٦) ﴿وَهُوَ حَيْزُ الرَّزَقِينَ﴾ أفضل من أعطى وأجر.

[٧٣] ﴿وَأَنْكَرْنَا لَعْنَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٧٤] ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي: الطريق ﴿لَنُنَكِّبَنَّ﴾ عادلون.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَ آتٍ وَأُولُوهُمُ وِجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٣﴾
أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَبَيِّنُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٥﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَجْتَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ يَتَنَا لَا تُصْرُونَ ﴿٦٨﴾ فَكَانَتْ آيَاتِي تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَغْفَانِكُمْ تَنَكُّصُونَ ﴿٦٩﴾
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِيرًا تَهْجُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ وَمُنْكَرُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٤﴾ أَمْ لَسْنَا لَهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رَبِّيكَ حَيْرٌ وَهُوَ حَيْزُ الرَّزَقِينَ ﴿٧٥﴾ وَأَنْكَرْنَا لَعْنَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُنَكِّبَنَّ ﴿٧٧﴾

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿مَاءَ آتٍ﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة^(٦١) ﴿وَقُلُوبُهُمْ وِجَلَةٌ﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿أَنْتُمْ﴾ يقدر قبله: لام الجر^(٦٢) ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

[٦١] ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾ في علم الله.

[٦٢] ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها؛ فمن لم يستطع أن يصلي قائمًا فيلصق جالسًا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَبَيِّنُ بِالْحَقِّ﴾ بما عملته؛ وهو: اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا منها؛ فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزداد في السيئات.

(١) أخرج أحمد في مسنده (١٥٩/٦)، والترمذي في سننه (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَ آتٍ وَأُولُوهُمُ وِجَلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الحمر ويسرقون؟ قال: «لا، يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم الذين يفتنون أن لا يتقبل منهم»، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٨٤).

(٢) أي: «لأنهم؟» فيكون تعليلاً لقوله: ﴿وِجَلَةٌ﴾.

(٣) هذا قول ابن عباس وجماعة. وقيل: المراد بالعذاب: عذاب الآخرة.

(٤) يشير إلى القراءتين، فبضم التاء وكسر الجيم قراءة نافع. جعله من الهجر، وهو الهديان وما لا خير فيه من الكلام.

(٥) أي: «خَرَجًا فَخَرَجَ» وهي قراءة ابن عامر.

(٦) أي: «خَرَجًا فَخَرَجَ» وهي حمزة والكسائي.

[٧٥] ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَأَيَّ جُوعٍ أَصَابَهُمْ بَمَكَّةَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ ﴿لَلْجَوَّابُ﴾ تَمَادَا ﴿فِي طَعْنِيهِمْ﴾ ضَلَالَتِهِمْ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ الجوع^(١) ﴿فَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ تَوَاعَوْا ﴿لِرَيْبِهِمْ وَمَا يَنْظُرُونَ﴾ يرغبون إلى الله بالدعاء.

[٧٧] ﴿حَتَّى﴾ ابتدائية ﴿إِنَّمَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا﴾ صاحب ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو يوم بدر بالقتل^(٢) ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أيسون من كل خير.

[٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خَلَقَ ﴿لَكُمْ السَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿فَلَيْلًا مَّا﴾ تأكيد لليلة ﴿نَشْكُرُونَ﴾.

[٧٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خَلَقَكُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تبعثون.

[٨٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي﴾ يَنْفَخُ الرُّوحَ فِي المِصْفَةِ ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالسواد والبياض والزيادة والنقصان ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ضَعْفُهُ - تَعَالَى ؛ فتعتبرون؟.

[٨١] ﴿بَلْ قَالُوا وَمِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾.

[٨٢] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأولون: ﴿أَوَدَّآ وَنَتْنَا وَكُنَّا نَرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَنَجُوثُونَ﴾؟ لا، وفي الهمزتين في الموضوعين التحقيق، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٣).

[٨٣] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَمَا كُنَّا هَذَا﴾ أي: البعث بعد الموت ﴿وَمِنْ قَبْلِ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة؛ بالضم.

[٨٤] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ من الخلق ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خالقها ومالكها.

[٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال^(٤)؛ تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادرٌ على الإحياء بعد الموت؟

[٨٦] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الكرسي^(٥).

[٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِقُ﴾ تحذرون عبادة غيره؟

[٨٨] ﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتٍ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ والتاء: للمبالغة ﴿وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُحْيِي عَلَيْهِ﴾ يَحْيِي وَلَا يُحْيِي عَلَيْهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ

﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَّابُ فِي طَعْنِيهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَيْبِهِمْ وَمَا يَنْظُرُونَ﴾ ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ فَلَيْلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿بَلْ قَالُوا وَمِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا نَسْيَانٌ كَمَا نَسِيَ آبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ لَمُبْعُوثُونَ﴾ ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتٍ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُحْيِي عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾

تَعْلَمُونَ؟

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ وفي قراءة: ﴿لِلَّهِ﴾ بلام الجر في الموضوعين^(٦)؛ نظرًا إلى أن المعنى: من له ما ذكر؟ ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده؛ أي: كيف تخيل لكم أنه باطل؟.

(١) أخرج السائي في تفسيره (٩٨/٢، ٩٩ رقم ٣٧٢)، والطبراني في الكبير (١١/١١ رقم ١٢٠٣٨)، وابن حبان في صحيحه (رقم ١٧٥٣-١٧٥٤)، والحاكم في مستدركه (٣٩٤/٢) وصحح إسناده ووافقه الذهبي. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم؛ فقد أكلنا العلهي - يعني: الوبير بالدم - فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَيْبِهِمْ وَمَا يَنْظُرُونَ﴾. وحسنه الحافظ في التلح (٥١/٦)، وصححه في الاستيعاب (٥٣٨/٢، ٥٣٩).

(٢) هذا قول ابن عباس، وقال عكرمة: هو باب من أبواب جهنم.

(٣) أي: وترك الإدخال؛ وقرأ عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

(٥) سبق بيان أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه.

(٦) هذه قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: (لله) بلام الجر.

(٧) أي: الأخيرين، وأما جواب السؤال الأول فهو بلام الجر يوافق السبعة، ولم يقرأ بدونها أحد.

بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ
وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ
وَأَعْلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ
إِمَّا تَرَىٰٓ فِي مَبُودٍ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيدَكَ مَا نُعِدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَذْفَعُ بِأَلْتِي
هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيحَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
أَرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ
﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَفَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٠] ﴿بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في نفيه، وهو:
[٩١] ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا﴾ أي: لو كان
معه إله ﴿وَأَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ انفراد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه
﴿وَأَعْلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مغالاة؛ كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾
تنزيها له ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ به مما ذكر.
[٩٢] ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شُهِد؛ بالجر: صفة،

والرفع: خبر «هو» مقدرا^(١) ﴿فَعَتَلَىٰ﴾ تَعَطَّمَ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به معه.
[٩٣] ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تُرِيدُنِي﴾
مَا يُوعَدُونَ ﴿بِهِ مِنْ الْعَذَابِ﴾ هو صادق بالقتل بيد.
[٩٤] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فأهلك بإهلاكهم.
[٩٥] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيدَكَ مَا نُعِدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾.
[٩٦] ﴿أَذْفَعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: الخصلة من الصفح والإعراض عنهم
﴿السَّبِيحَةِ﴾ أذاهم إليك، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾
يكذبون ويقولون؛ فنجازيهم عليه.
[٩٧] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ﴾ اعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ نزغاتهم
بما يوسوسون به.

[٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ في أموري؛ لأنهم إنما يحضرون
بسوء.
[٩٩] ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار،
ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ أَرْجِعُونِ﴾ الجمع للتعظيم.
[١٠٠] ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله، يكون ﴿فِيمَا
تَرَكْتُ﴾ ضيعت من عمري؛ أي: في مقابلته، قال - تعالى -: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا
رجوع ﴿وَرِآئِهِمْ﴾ أي: رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ ولا فائدة له فيها
﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز يصددهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ﴾ ولا رجوع بعده.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿فَلَا
أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يفاخرون بها ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عنها، خلاف حالهم
في الدنيا. لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي
بعضها يبقون، وفي آية: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٢).
[١٠٢] ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسننات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الفائزون.

[١٠٣] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسينات ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ﴾ فهم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.
[١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارَ﴾ تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ شمرت
شفاهم العليا والسفلى عن أسنانهم.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وناجع وشعبة.

(٢) الصافات: ٥٠.

[١٠٥] ويقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُنشَلُ عَلَيْكُمْ﴾ تُخْرَفُونَ بِهَا ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا كَذِبُونَ﴾؟

[١٠٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة: ﴿شَقَاؤُنَا﴾ (١) بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الهداية.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَأَنَّا ظَالِمُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ﴾ لهم بلسان مالك (٢) - بعد قَدْر الدُّنْيَا مَزِيدٌ (٣) -

﴿أَخْسَرُوا فِيهَا﴾ ابعثوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ في رفع العذاب عنكم؛ لينقطع رجاؤهم.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ هم: المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمُ﴾ [شُخْرِيًّا] بضم السين وكسرها (٤)؛ مصدر بمعنى:

الهمزة؛ منهم: بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰ أَسْأَلْتُمْ دِكْرِي﴾ فتركموه؛ لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سب الإنساء؛ فنُسِبَ إليهم ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَاعِفُونَ﴾.

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم بإههم ﴿[إِنَّهُمْ]﴾ (٥) بكسر الهمزة ﴿هُرُّ الْفَارِيزُونَ﴾ بطلوبهم؛ استئناف، وبتفتحها: مفعول ثانٍ لـ ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾.

[١١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم بلسان مالك، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾ (٦) ﴿كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدُ سِينِينَ﴾ تمييز؟

[١١٣] ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه؛ لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَتَسَلَّى الْعَمَّالِينَ﴾ أي: الملائكة المحصنين أعمال الخلق.

[١١٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - بلسان مالك (٧) ، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾ (٨) : ﴿إِن أَمَى: ما ﴿لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مقدار ليشكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى ليشكم في النار.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِنَّا لَا نَرْجِعُكُمْ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول (٩) لا، بل لِنَتَّبِعِدْكُمْ بالأمر والنهي وترجعوا إلينا وبجاري على ذلك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١٠).

[١١٦] ﴿فَعَلَى اللَّهِ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿الْمَلِكِ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيِّ﴾ الكرسي (١١)؛ هو: السرير الحسن.

أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنشَلُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا كَذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمُ شُخْرِيًّا ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١١﴾ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيِّ ﴿١١٢﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْصِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿١١٣﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٤﴾

سورة التوبة

[١١٧] ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة لا مفهوم لها ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ﴾ جزاؤه ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ إِنَّهُ لَا يُفْصِحُ الْكٰفِرُونَ لا يسعدون.

[١١٨] ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمْ﴾ المؤمنين، في الرحمة زيادة عن المغفرة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ أَفْضَلُ رَاحِمٍ.

(١) حمزة والكسائي.
 (٢) قال ابن كثير: هذا جواب من الله - تعالى - للكفار إذا سألو الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار. ونقل عن ابن عباس: هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه. فَنَحَلُ الْقَوْلَ عَلَى أَنَّهُ بِلِسَانِ مَالِكٍ تَأْوِيلٌ خِلَافَ الظَّاهِرِ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.
 (٣) رواه ابن أبي حاتم (١٤٠٤٧) عن عبد الله بن عمرو، وإلحاقه وصححه، وأخرجه ابن أبي شيبة عنه في مصنفه أيضاً رقم (٣٤١٢٢)، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ممن اشتهر بالنقل عن أهل الكتاب.
 (٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.
 (٥) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالفتح.
 (٦) لحمزة والكسائي وابن كثير.
 (٧) وهذا التفسير بخلاف ظاهر القرآن، ولا حامل عليه إلا نفي القول عن الله تعالى.
 (٨) لحمزة والكسائي.
 (٩) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول.
 (١٠) الفاريات: ٥٦.
 (١١) سبق بيان أن العرش غير الكرسي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ هَدَىٰ عَذَابُهُمَا طَافُهُ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَالزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكَةٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُدْحَضَاتِ فُرْقَانًا أَوْ يَأْتُونَ بَارِعَةً شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَنْزُوجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا حُدُودَهُمْ أَنْزُوعًا شَهَدَتْ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخِمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَذَرُهَا عَنْهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْزُوعًا شَهَدَتْ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْخِمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾ وَأُولَٰئِكَ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

سُورَةُ النُّورِ

[مدنية، وهي: اثنتان، أو: أربع وستون آية، نزلت بعد الحشر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] هذه ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ مخففة ومشددة (١)؛ لكنرة المفروض فيها ﴿وأنزلنا فيها آيات بيِّنات﴾ واضحات الدلالات ﴿لعلكم﴾

﴿تذكرون﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال؛ تعظون.

[٢] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي: غير المحصنين؛ لرجعهما بالشئ، «وأل» فيما ذكِرَ موصولة، وهو مبتدأ، و«شبهه» بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ ضربة، يقال: جلدته: ضربت جلده، ويزاد على ذلك بالشئ تعريب عام (٢)، «والريق على الصف» مما ذكِرَ (٣) ﴿ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله﴾ أي: حكمه بأن تركوا شيئاً من حدهما «إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي: يوم البعث، في هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وليس هدى عذابهما﴾ الجلد ﴿طافه من المؤمنين﴾ قيل: «ثلاثة»، وقيل: «أربعة»، عدد شهود الزنا.

[٣] ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكَةٌ﴾ أي: المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وحرّم ذلك﴾ أي: نكاح الزواني ﴿على المؤمنين﴾ الأخيار، نزل ذلك لما همّ فراقه المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم (٤)؛ فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام ونسخ بقوله تعالى: ﴿وأنكحوا اليتيم﴾ (٥).

[٤] ﴿والذين يزومون المدحضات فرقاناً أو يأتون بارعة شهداء﴾ على زانها نبروتهم ﴿فاجلدوهم﴾ أي: كل واحد منهم ﴿ثمانين جلدة﴾ ولا تقبلوا لهم شهادة في شيء ﴿أبدًا وأولئك هم الفاسقون﴾ لإبائهم كبيرة. [٥] ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ عملهم ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ لهم قذفهم ﴿حريم﴾ بهم بإلهام التوبة، فيها ينتهي فشققتهم وتقبل شهادتهم، وقيل: «لا تقبل»؛ رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة (٦).

[٦] ﴿والذين يزومون أزواجهم﴾ بالزنا ﴿وكل من كان لهم شهادة﴾ عليه ﴿إلا أنفسهم﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فشهدوا أحدهم﴾ مبتدأ ﴿أزبع شهادته﴾ نصب على المصدر (٧) ﴿بالله إنهم الصادقون﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا. [٧] ﴿والخيمسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ في ذلك، وخبر المبتدأ: تدفع عنه حد القذف (٨).

[٨] ﴿ويذروها﴾ أي: يدفع ﴿عنها العذاب﴾ حد الزنا الذي ثبت بشهادته ﴿أن تشهد أزبع شهادته بالله إنهم ليمن الكاذبين﴾ فيما رماها به من الزنا.

[٩] ﴿والخيمسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ في ذلك (٩). [١٠] ﴿وولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بالستر في ذلك ﴿وإن الله﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج أبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن مزند بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة يعني يقال لها عناق، وكانت صديقتها، قال: فنجت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أتكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿والزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ هَدَىٰ عَذَابُهُمَا طَافُهُ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢) تزويج الزانية. (حسن صحيح صحيح سنن أبي داود (١٨٠٦)).
(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٦-٩): أخرج البخاري عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهورك» قال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً انطلق بتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حد في ظهورك». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنني لصادق، فليزئ الله ما يرى ظهري من الحد. فنزل =

(١) بتشديد الراء قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٢) روى البخاري (٢٦٦١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٠) عن زيد بن خالد عن رسول الله ﷺ أنه أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتعريب عام. (٣) لقوله تعالى: ﴿فَعَلَّيْنِ يَضْحَكُ عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمَكْدَابِ﴾ [النساء: ٢٥].
وأخرج مالك عن يحيى بن سعيد ابن سليمان بن يسار أخبره أن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة الخزومي قال: أمرني عمر بن الخطاب في فية من قريش فجلدنا ولاند من ولاند الإمارة حسين بن علي بن الزنا الموطأ (١٣٠٣). وفي مسند أحمد عن علي قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى أمه له سوداء زنت لأجلها. قال: فوجدتها في دمه فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال لي: «إذا تعالت من نفاسها فاجلدها خمسين». (المسند ١٠٨٦)، وصححه مجموع طرقه الأرنؤوط في تخريجه على المسند (٣٥٥/٢). وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناده في تخريجه على المسند (١١٤٢).
(٤) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن مقاتل. [الر النور (٣٨/٥)].
(٥) النور: ٣٢. والصحيح أنها عامّة، وأنها محكمة، وتفسيرها كما رجحه بعض المفسرين: أن غالب الزناة منهم لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله، وغالب الزواني لا ترغب الواحدة منهم إلا في الزواج بزان مثلهما، وللقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا، وعن ابن عباس قال: النكاح في هذه الآية يعني الوطء لا الزواج، وأن الآية في تحريم الزنى. واختاره الطبري.
(٦) وهو مذهب أبي حنيفة، والقول الأول - وهو أن الاستثناء إذا تعقب جملاً معطوفة عاد إلى جميعها - مذهب الجمهور؛ وهو الراجح.
(٧) أي: المفعول المطلق، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالرفع؛ خبر المبتدأ. (٨) أي: محذوف تقديره ما ذكر.

تَوَّابٌ ﴿١٦﴾ بِقَبُولِهِ التَّوْبَةَ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ فِيمَا حَكَمَ بِهِ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ لَيَّبَنِ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ وَعَاجَلَ بِالْعُقُوبَةِ مِنْ يَسْتَحِقُّهَا.

[١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أَسْوَأُ الْكُذْبِ عَلَى عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَمِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَدْحِهَا ﴿عَصَبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ (١): «حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُبَيٍّ، وَمَسْطُوحٌ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ» (٢) ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ غَيْرِ الْعَصْبَةِ ﴿شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ بِأَجْرِكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَيُظْهِرُ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ وَمَنْ جَاءَ مَعَهَا مِنْهُ؛ وَهُوَ: صَفْوَانٌ، فَإِنَّمَا قَالَتْ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غُرُوفٍ بَعْدَمَا أَنْزَلَ الْحِجَابَ، فَفَرَّغَ مِنْهَا وَرَجَعَ، وَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَذَانَ بِالرَّحِيلِ لَيْلَةَ فَمَشَيْتُ وَقَضَيْتُ شَأْنِي وَأَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحِيلِ إِذَا عَقِدِي انْقَطَعَ - هُوَ بِكسرِ الْمَهْمَلَةِ: الْفَلَادَةُ - فَرَجَعْتَ أَلْتَمِسُهُ، وَحَمَلُوا هُودَجِي - هُوَ مَا يَرْكَبُ فِيهِ - عَلَى بَعِيرِي يَحْسِبُونَنِي فِيهِ، وَكَانَتِ النِّسَاءُ خُفَّافًا يَمَّا يَأْكُلْنَ الْغُلْفَةَ - هُوَ بَضْمُ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونُ اللَّامِ - مِنَ الطَّعَامِ - أَيُّ: الْقَلِيلِ، وَوَجِدْتُ عَقْدِي وَجِئْتُ بَعْدَمَا سَارُوا؛ فَجَلَسْتُ فِي الْمَنْزِلِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونَنِي فِيرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَغَلَبْتَنِي عَيْنَايَ فَنَمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانٌ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّخَلَ - هُمَا بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالذَّالِ؛ أَيُّ: نَزَلَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لِلْإِسْتِرَاحَةِ - فَسَارَ مِنْهُ فَأَصْبَحَ فِي مَنْزِلِهِ فَرَأَى سُودًا إِنْسَانٍ نَائِمًا - أَيُّ: شَخْصًا؛ فَعَرَفْتَنِي حِينَ رَأَيْتِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ؛ فَاسْتَيْقِظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفْتَنِي - أَيُّ قَوْلِهِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ فَفَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي؛ أَيُّ غَطَيْتُهُ بِالْمَلَاعَةِ، وَاللَّهُ مَا كَلَّمْتَنِي بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، وَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكَبْتَهَا، فَانْطَلَقَ بِقُدُومِ الرَّاحِلَةِ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مَوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظُّهْرَةِ - أَيُّ مِنْ أَوْغَرَ؛ وَاقْعِينَ (٣) فِي مَكَانٍ وَغَرَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ - فَهَلَكَ مِنْ هَلِكٍ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كَيْزَرُهُ مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سُلُوفٍ أَهْدَى قَوْلُهُا [رَوَاهُ الشَّيْخَانُ] (٤). قَالَ - تَعَالَى -: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنِّمَهُمْ﴾ أَيُّ: عَلَيْهِ ﴿مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْتِرَاءِ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كَيْزَرُهُ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ: تَحْمَلُ مُظْمَنَةً قَبْدًا بِالْخَوْضِ فِيهِ وَأَشَاعَهُ؛ وَهُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ﴿لَمْ عَدَّابٌ عَظِيمٌ﴾ هُوَ النَّارُ فِي الْآخِرَةِ. [١٢] ﴿وَلَوْلَا﴾ هَلَاءُ ﴿إِذْ﴾ حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنفُسَهُمْ﴾ أَيُّ: ظَنَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿حَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كَذِبٌ بَيِّنٌ، فِيهِ نَفَاتٌ عَنِ الْخَطَابِ؛ أَيُّ: ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ، وَقَلْتُمْ: [١٣] ﴿وَلَوْلَا﴾ هَلَاءُ ﴿جَاءَهُ﴾ أَيُّ: الْعَصْبَةُ ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ﴾ شَاهَدُوهُ ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأَوْلَيْكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: فِي حَكْمِهِ ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فِيهِ. [١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَكَّرَ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ؛ أَيُّ خَضَمْتُمْ ﴿فِيهِ عَدَابٌ عَظِيمٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ. [١٥] ﴿إِذْ نَلَقَوْهُ بِالْأَيْتِ﴾ أَيُّ: يَرُوهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَحَذَفَ مِنَ الْفِعْلِ إِحْدَى النَّاعِينَ، وَ﴿إِذْ﴾ مَنْصُوبٌ بِ﴿مَسَكُمُ﴾ أَوْ بِ﴿أَفَضْتُمْ﴾ وَ﴿تَقُولُونَ يَا أُوْاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا﴾ لَا إِثْمَ فِيهِ ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ فِي الْإِثْمِ. [١٦] ﴿وَلَوْلَا﴾ هَلَاءُ ﴿إِذْ﴾

حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ﴾ مَا يَبْنِي ﴿لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ هُوَ لِلتَّعَجُّبِ هُنَا ﴿هَذَا بُهْتَنٌ﴾ كَذِبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾.

[١٧] ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ﴾ بِنَهَاكُم ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تَعْتَظُونَ بِذَلِكَ.

[١٨] ﴿وَيَبِّئُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيهِ.

[١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ بِاللِّسَانِ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ أَمْتًا ﴿بِنِسْبَتِهَا إِلَيْهِمْ؛ وَهُمْ: الْعَصْبَةُ﴾ هُمْ عَدَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا ﴿بِحَدِّ الْقَذْفِ﴾ وَالْآخِرَةِ ﴿بِالنَّارِ لِحِقِّ اللَّهِ﴾ وَاللَّهُ يَتْلَمُّهَا انْتِفَاعًا عَنْهُمْ ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ بِمَا قَلْتُمْ مِنَ الْإِفْكِ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَجُودَهَا فِيهِمْ.

[٢٠] ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ ﴿وَرَحْمَتَهُ﴾ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿بِكُمْ؛ لَعَاجِلِكُمْ بِالْعُقُوبَةِ﴾.

جيريل، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُرْوُونَ كُذُوبَهُمْ﴾ فَعَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ السَّادِقِينَ﴾، فَانصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَنَجَّاهُ هَلَالَ فَشْهَدَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا نَائِبٌ؟» ثُمَّ قَامَتْ فَشْهَدَتْ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفَهَا وَقَالُوا: «إِنَّهَا مُوجِبَةٌ.» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّاتُ وَنَكَصَتْ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهَا تَرَجَعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَضْغَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ فَضَمْتُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْصِرُوا؛ فَإِنْ جَاءَتْ بِهَ أَكْمَلُ الْعَيْنِينَ سَابِغِ الْأَيْتِينَ، خَدَّجُ السَّافِينِ فَهَرُ لَشْرِيكُ بِنِ سَمْعَاءَ، فَجَاءَتْ بِهَ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَوْ مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلِهَا شَأْنٌ.» الْبَخَارِيُّ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥) سُورَةُ النُّورِ (٢٤) بَابُ (٣).

(١) أي: عائشة رضي الله عنها.
 (٢) أخرجه نحوه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).
 (٣) وفي نسخة: واقفين.
 (٤) لم يروه الشيخان بهذا اللفظ، لكن القصة موجودة في البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّيهِ﴾ يطهر ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الذنب، بقبول توبته منه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قصدتم.

[٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلُ﴾ يحلف ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾ أصحاب الغنى ﴿وَيُنكَرُ وَالسَّعَةِ﴾ أن لا ﴿يُقُولُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر؛ خليف أن لا ينفق على مسطح. وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدرى. لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أفسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عنهم في ذلك ﴿أَلَا تَحْسِبُونَ أَنَّ يُعْفَى اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين، قال أبو بكر: بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه^(٤).

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾ بالزنا ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفاف ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ عن الفواحش؛ بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لِيُنْفِقُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٢٤] ﴿يَوْمٌ﴾ ناصبه الاستقرار، الذي تعلق به: (لهم) ﴿تَنَهَّدَ﴾ بالفوقانية والتحنانية^(٥) ﴿عَلَيْهِمْ أَلْبَسَهُمْ﴾ وألبسهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَسْمُرُونَ﴾ من قول وفعل؛ وهو: يوم القيامة. [٢٥] ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُ اللَّهُ بِيَعَابِهِمْ﴾ يجازيهم جزاءه الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشككون فيه؛ ومنهم: عبدالله بن أبي، والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة، ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن.

[٢٦] ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ من النساء، ومن الكلمات ﴿الطَّيِّبِينَ﴾ من الناس ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ من الناس ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ مما ذكر ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ مما ذكر؛ أي: اللاتي بالحيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيبون والطيبات من النساء؛ ومنهم: عائشة، وصفوان ﴿مُزَيَّرَاتٍ﴾ مما يقولون ﴿أَيُّ الْحَبِيبَاتِ وَالْحَبِيبَاتِ﴾ من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُمْ﴾ للطيبين والطيبات ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشباهها؛ منها: أنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقا كريما^(٦).

[٢٧] ﴿تَنَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: تستأذنون ﴿وَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد: «السلام عليكم، أَدْخُلْ؟» كما ورد^(٧) في حديث^(٨) ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان

﴿يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَمَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يقولوا أولى القربى والمسكين والمهجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا إلا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنَوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ رِيبَهُمْ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الْحَبِيبَاتُ لِلْحَبِيبَاتِ وَالْحَبِيبُونَ لِلْحَبِيبَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبَاتِ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[٢١] ﴿تَنَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طرق تزيينه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ أي: المتبع ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: القبيح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعا بتابعها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ﴾ أي: العصبية بما قلتم من الإفك ﴿وَمَنْ أَحَدٌ أَبَدًا﴾ أي: ما صلح وطهر

وأخرج أيضا عن سهل بن سعد أن عويمرا أتى عاصم بن عدي. وكان سيد بني عجلان. فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا؟ أيقظت فتقولون؟ أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك. فأني عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ المسائل، فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أتبع حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك. فجاء عويمر فقال يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلا أيقظت فتقولون أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أزل الله القرآن فيك وفي صاحبك». فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعة بما سمي الله في كتابه، فلا عنانا. البخاري - التفسير (السايق) باب (١).

قال المحافظ ابن حجر: وقد اختلف الأئمة في هذا الموضوع؛ فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد، وقد جرح النووي إلى هذا... ولا مانع أن تعدد القصص ويحد النزول... ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر - ولم يكن علم بما وقع لهلال. أعلمه النبي ﷺ بالحكم... وجرح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين. (الفتح ٨ / ٣٠٤، ٣٠٥).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢): أخرج البخاري عن عائشة قالت: ... فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه وقهره؛ والله لا أنفق على مسطح شيئا أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال؛ فأقول: ﴿وَلَا يَأْتَلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ لا يقولون أولى القربى والمسكين والمهجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا إلا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم. قال أبو بكر: بلى - والله. إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النور (٢٥) باب (٦).

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٢٣ - ٢٦): أخرج أحمد عن عائشة قالت: رमित بما رमित به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك رضخ من ذلك، فبينما رسول الله ﷺ عندي، إذ أوحى إلي، وكان إذا أوحى إلي يأخذني شبه السبات، فبينما هو جالس عندي إذ أنزل علي الوحي، فرفع رأسه وهو مسح جبينه، فقال: أبشري يا عائشة. قلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرا: ﴿الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ حتى بلغ ﴿مُزَيَّرَاتٍ مِمَّا يَقُولُونَ﴾. أحمد - المسند (١٠٣/٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨).

(١) بالتحنانية حمزة والكسائي. (٢) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان، وهو قول الأكر. ومنهم من فُصل؛ فإن وقع بصره على أحد في البيت قَدَّمَ السلام وإلا قَدَّمَ الاستئذان ثم يسلم. (٣) أخرج أبو داود عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أَلج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان قل له: قل: السلام عليكم أدخل، فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل. أبو داود (٤٥٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١٩).

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيَابِكُمْ أَنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
 وَلَيْسَتَّعَفِيفٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْزِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ
 وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكُلُوا مِنْهُمُ إِنْ
 عَالَمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۗ أَوْ هَرَمَ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا
 فَتَيَّبِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ عُفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾
 وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَقُوا
 مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۗ إِنَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ
 الرَّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ
 لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
 نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
 لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي يَوْمٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ
 وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾

أَذْيَبَهَا فَأُتِ حَتَّى يَقُولَ: «قَبِلْتُ» ﴿وَأَيُّهُمْ﴾ أمر للسادة ﴿مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم، وفي معنى الإتياء حط شيء مما التزموه ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِيَابَتَكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعفوا عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه؛ فلا مفهوم للشرط ﴿لِيَبْتِغُوا﴾ بالإكراه ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نزلت في عبد الله بن أبي كان يكره جواريه على الكسب بالزنا ﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ عُفُوٌّ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم^(١).

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾ بفتح الباء وكسرها^(٢) في هذه السورة، بين فيها ما ذكر، أو بينة^(٣) ﴿وَمَثَلًا﴾ خبراً عجبياً؛ وهو: خبر عائشة ﴿مِنْ الَّذِينَ خَلَقُوا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: من جنس أمثالهم؛ أي: أعيابهم العجبية؛ كخبر يوسف ومرمى ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِمَا رَأَيْتُمْ فِي بَيْنِ يَدَيْهِ﴾^(٤).
 ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٥) الخ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾^(٦) الخ ﴿يُعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا﴾^(٧) الخ، وتخصيصها بالمتقين؛ لأنهم المتفنون بها.

[٣٥] ﴿إِنَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منورها بالشمس والقمر ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ أي: صفته في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ﴾ هي القنديل، والمصباح: السراج؛ أي: الفتيلة الموقودة، والمشكاة: الطاقة غير النافذة؛ أي: الأنيوبة في القنديل ﴿الرَّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ﴾ أي: مضيء، بكسر الدال وضمها^(٨)؛ من الدرء؛ بمعنى: الدفع؛ لدفعها الظلام، وضمها وتشديد الباء^(٩)؛ منسوب إلى الدرؤ: اللؤلؤ ﴿يُوقَدُ﴾ المصباح، بالماضي^(١٠)، وفي قراءة^(١١)؛ بمضارع أو قد منياً للمفعول بالتحانية، وفي أخرى^(١٢)؛ ﴿تُوقَدُ﴾ بالفوقانية؛ أي: الرجاجة ﴿مِنْ زَيْتٍ﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بينهما؛ فلا يتمكن منها حرٌّ ولا برد مضران ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفائه ﴿نُورٌ﴾ به^(١٣) ﴿عَلَى نُورٍ﴾ بالنار، ونور الله: أي: هداية للمؤمن نور على نور الإيمان ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي: دين الإسلام ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ﴾ بين ﴿اللَّهُ الْأَنْثَلُ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لأفهامهم ليعتبروا؛ فيؤمنوا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه ضرب الأمثال.

[٣٦] ﴿فِي يَوْمٍ﴾ متعلق بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتي ﴿أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾ تعظم ﴿وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَهُ﴾ بتوحيده ﴿يُسَبِّحُ﴾ بفتح الواو وكسرها^(١٤)؛ أي: يصلي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ﴾ مصدر؛ بمعنى: الغدوات؛ أي: البكر ﴿وَالْآصَالِ﴾ العشايا من بعد الزوال.

[٣٢] ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ جمع «أيم»؛ وهي: من ليس لها زوج يكرها كانت أو ثيباً، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيَابِكُمْ﴾ وعباد من جموع «عبد» ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُعْزِمُهُمُ اللَّهُ﴾ بالتزوج ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ بهم.
 [٣٣] ﴿وَلَيْسَتَّعَفِيفٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ ما ينكحون به، من مهر ونفقة، عن الزنا ﴿حَتَّىٰ يُعْزِمَهُمُ اللَّهُ﴾ يوسع عليهم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ فينكحون ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: المكتابة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكُلُوا مِنْهُمُ إِنْ عَالَمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة، وصيغتها - مثلاً -: كاتبك على ألفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا

(١) ما جاء في نزول الآية (٣٣): أخرج مسلم عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرهما على الزنا، فشكاه ذلك إلى النبي ﷺ فأُتِيَ: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِيَابَتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿عُفُوٌّ رَحِيمٌ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٣).

(٢) أي: ليس إرادتهن التحضن شرطاً للتهيء؛ فأكرههن حرام على كل حال. (٣) أي: هي بينة، يعني الآيات، وذلك توضيح من المفسر لمعنى القراءة الثانية. (٤) أي: بالفتح قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وشعبة، وبالكسر قراءة ابن عامر وحفص والحكمي. (٥) النور: ١٢. (٦) النور: ١٦. (٧) النور: ١٧. (٨) أي: مع الهمزة، والكسر قراءة الحكمي وأبي عمرو، والضم قراءة حمزة وشعبة. (٩) لباقي السبعة. (١٠) نافع وابن عامر وحفص. (١١) نافع وابن عامر وحفص. (١٢) حمزة والحكمي وشعبة. (١٣) أي: بالزيت. (١٤) بالفتح قراءة شعبة وابن عامر.

[٣٧] ﴿رَجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباء، وعلى فتحها نائب الفاعل؛ له، و﴿رَجَالٌ﴾ فاعل فاعلي مقدر جواب سؤال مقدر؛ كأنه قيل: من يسبحه؟ ﴿لَا تُلْهِمُهُمْ بُعْدَ﴾ شراء ﴿وَلَا بَيْعَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴿حَدَفَ هَاءُ﴾ «إقامة» تخفيف ﴿وَرَأَىكَ الزُّكُوفَ﴾ يخافون يوماً تَنَقَّلَبُ ﴿تضطرب﴾ وفيه أَلْقُوبٌ وَأَلْبَصُرٌ ﴿من الخوف؛ القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال. هو يوم القيامة.

[٣٨] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: نوابه و﴿أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَاللَّهُ يَزُودُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿يقال: فلان ينفق بغير حساب؛ أي: يوسع؛ كأنه لا يحسب ما ينفقه.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كِرْبَابٍ يَقْبَعُونَ﴾ جمع قاع؛ أي: في فلاة، وهو شعاع يرمى فيها نصف النهار، في شدة الحر، يُشْبِهُ الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿الظَّمْثَانِ﴾ أي: العطشان مَاءً حَرًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴿مما حسبه؛ كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفقه، حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله؛ أي: لم ينفقه ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أي: عند عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ أي: جزاه عليه في الدنيا ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازة.

[٤٠] ﴿أَوَّلَ﴾ الذين كفروا أعمالهم السيئة ﴿كَطَلْمَتٍ فِي بَحْرِ لُجِيِّ﴾ عميق ﴿وَيَشْتَدُّ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ﴾ أي: الموج ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ﴾ أي: الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ أي: غيم، هذه ﴿ظَلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة الثاني، وظلمة السحاب ﴿إِذَا أُنْفِجَ﴾ الناظر ﴿يَدُهُ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكُنْ يَرَاهُمْ﴾ أي: لم يقرب من رؤيتها ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد.

[٤١] ﴿الَّذِينَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن التسييح صلاة ﴿وَالطَّيْرِ﴾ جمع طائر، بين السماء والأرض ﴿صَلِّدَتِ﴾ حال؛ باسقاط أجنحتهن ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ﴾ اللَّهُ ﴿صَلَاتَهُمْ وَتَسْبِيحَهُمْ﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿فيه تغليب العاقل.

[٤٢] ﴿وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ﴾ المرجع.

[٤٣] ﴿الَّذِينَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُرْسِطُ سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ يضم

رَجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ بُعْدَ وَلَا بَيْعَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَأَيَّاتِ الزُّكُوفِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصُرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ
يَزُودُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسَرَابٍ
يَقْبَعُونَ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانِ مَاءً حَرًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَطَلْمَتٍ فِي بَحْرِ لُجِيِّ يَعْشُدُّهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ ظَلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا جَاءَهُمْ يَدُهُمْ لَمْ يَكُنْ
يَرَاهُمْ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ تَرَى
أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ
قَدْعَةٍ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مَلِكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ الَّذِينَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُرْسِطُ
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكُومًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُ فَوْقَهُ يَدْهَبُ بِالْأَبْصُرِ ﴿٤٣﴾

بعضه إلى بعض؛ فيجعل القُطْعَ المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكُومًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ مخارجه ﴿وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء، بدل إعادة الجار ﴿مِنْ بَرٍّ﴾ أي: بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِ، مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَابِرُ فَوْقَهُ﴾ لمعانه ﴿يَدْهَبُ بِالْأَبْصُرِ﴾ الناظرة له؛ أي: يخطفها.

البصائر على قدرة الله . تعالى .

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ۖ أَى: حيوان ﴿وَمِن مَّاءٍ﴾ نطفة (١) ﴿فِيهِمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ كالحيات والهوماء ﴿وَمِنَهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطيور ﴿وَمِنَهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

[٤٦] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ ۖ أَى: بينات، هي القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أَى: دين الإسلام .

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المنافقون: ﴿ءَأَمَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِاللَّهِ﴾ بتوحيده ﴿وَبِالرَّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأَطَعْنَا﴾ هُما فيما حَكَمنا به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يُغْرِض ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عنه ﴿وَمَا أَوْلَيْتُكَ﴾ المعرضون ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لأستسهم .

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن الجحىء إليه [٤٩] ﴿وَإِن يَكُنْ لَهُمُ الْغُلُقُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ﴾ مسرعين طائعين .

[٥٠] ﴿أَوَىٰ قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أَى: شكوا في نبوته ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ في الحكم؛ أَى: فيظلموا فيه؛ لا ﴿بَلْ أَوْلَيْتُكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بالإعراض عنه .

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فالقول اللائق بهم ﴿أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بالإجابة ﴿وَأَوْلَيْتُكَ﴾ حينئذ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون .

[٥٢] ﴿وَمَن يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ بخافه ﴿[وَبِتَّقِيهِ]﴾ بسكون الهاء وكسرهما (٢)؛ بأن يطيعه ﴿فَأَوْلَيْتُكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالجنة .

[٥٣] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غايتها ﴿لَئِن أَمَرْتُمُ﴾ بالجهاد ﴿لَيَخْرُجْنَ قُلُوبُهُمْ﴾ لهم: ﴿لَا نَقْسِمُوكُمْ طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ﴾ للشيء خير من فسيدكم الذي لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل .

يُقَالُ لِلَّهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۚ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ۚ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ۚ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٦﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ ۖ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ۚ وَمَا أَوْلَيْتُكَ يَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِن يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٥٠﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ أَرَأَيْتُمْ أَن يَخَافُوا أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۚ بَلْ أَوْلَيْتُكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأَوْلَيْتُكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَن يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأَوْلَيْتُكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتُهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلُوبُهُمْ لَئِن لَّمْ يَأْتُواكَ بِبَيِّنَاتٍ لَّا تَقْضِي لَكَ بِهِمُ الْحِكْمَةَ ۚ لِيَأْتِيَكَ بِرُءُوسِ الَّذِينَ ظَلَمُوا لَكَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٥٤﴾

[٤٤] ﴿يُقَالُ لِلَّهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ أَى: يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقليل ﴿لَعِبْرَةً﴾ دلالة ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأصحاب

(١) هذا قول الجمهور، كما قال الشوكاني في فتح القدير. وعلى هذا القول في الآية تنزيل الغالب منزلة الكل؛ لأن في الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة.

وقال جماعة: إن المراد الماء المعروف؛ لأن آدم خلق من الماء والطين.

(٢) بالسكون قراءة شعبة وأبي عمرو وهشام في أحد وجهيه، وخلا من أحد الوجهين، وبالكسر مع اختلاس الحركة قراءة قالون وهشام في أحد وجهيه، وابن ذكوان في أحد وجهيه، والباقون بالكسر مع الإشباع، وكذا هشام في وجهه الثالث، وخلا في الوجه الثاني.

[٥٤] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ قُلْتُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ مُنْجَلِ مَنْ أُولَىٰ مِنْكُمْ وَأَنْتَ مُنْجَلٌ مِّنَّا ۗ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ من طاعته، بحذف
أولى: أي: التبليغ بين.

[٥٥] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ۗ يُعْطِيهِمْ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُونَ ۗ إِنَّهُمْ عَلَىٰ آلَاتٍ مَّخْفِيَةٌ﴾ بدلًا عن الكفار ﴿كَمَا اسْتَخْلَفْنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من بني إسرائيل بدلًا عن الجبارية ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام؛ بأن يظهره على جميع الأديان، ويوسع لهم في البلاد فيملكوها ﴿وَلَيُيَسِّرَنَّ لَهُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿وَيُيسِّرَنَّ لَهُمْ﴾ من الكفار ﴿أَمَّا﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر، وأنتى عليهم بقوله: ﴿يَسِّرُ دِينَهُمْ لَكُمْ سَهِيلًا﴾ هو مستأنف في حكم التعليل ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْإِنْعَامِ مِنْهُمْ﴾ فأولئك هم المُتَقَسِّمُونَ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وأول من كفر به قلة عثمان رضي الله عنه فصاروا يقتلون بعد أن كانوا إخوانًا.

[٥٦] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: رجاء الرحمة.

[٥٧] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ بِالْفُرْقَانِ﴾ بالفوقانية والتحتانية^(٢)، والفاعل: الرسول ﴿الرَّسُولَ الَّذِي كَفَرُوا بِمُجْرِبَاتِهِ﴾ لنا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بأن يُفَوِّتُونَا ﴿وَمَا أُولَاهُمْ﴾ مرجعهم ﴿النَّارَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

[٥٨] ﴿يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّمَا كَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ وَأَسْفَاهَا ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَئِنَّ أَعْيُنَهُمْ لَتَتَلَوَّنَ الْأَرْضَ لَمَّا هُمْ فِيهَا مُوقِنُونَ﴾ من العبيد والإماء ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَئِنَّ أَعْيُنَهُمْ لَتَتَلَوَّنَ الْأَرْضَ لَمَّا هُمْ فِيهَا مُوقِنُونَ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿بَيْنَ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَبَيْنَ قَبْلِ صَلَاةِ الْإِشَاءِ﴾ ثلاث مراتٍ ﴿بَيْنَ الظُّهْرِ﴾ أي: وقت الظهر ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ ثلاث عوراتٍ لكم ﴿كُلَّمَا رَفَعُوا إِلَهُهُمْ﴾ خير مبتدأ مقدر بعده مضاف، وقام المضاف إليه مقامه؛ أي: هي أوقات، وبالانصب^(٤)، بتقدير «أوقات» منصوبًا بدلًا من محل ما قبله، قام المضاف إليه مقامه^(٥)؛ وهي: لإلقاء الثياب تبدوا فيها العورات ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المماليك والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة، هم ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ طائف ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿بَيِّنَاتٍ لِّكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: الأحكام ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمْ مَاجْمَلُ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْأَمِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أُولَاهُمْ إِلَّا النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا كَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ وَأَسْفَاهَا ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَئِنَّ أَعْيُنَهُمْ لَتَتَلَوَّنَ الْأَرْضَ لَمَّا هُمْ فِيهَا مُوقِنُونَ ﴿٥٨﴾ تِلْكَ مَرْثَاتٌ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَبَيْنَ قَبْلِ صَلَاةِ الْإِشَاءِ ثَلَاثُ مَرْثَاتٍ مِّنَ الظُّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

بأمر خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾^(٦) بما دَرَّهَ لهم، وآية الاستئذان قيل: «منسوخة»، وقيل: «لا»، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان^(٧).

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن عكرمة أن نفرًا من أهل العراق قالوا: يا ابن عباس، كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا، ولا يعمل بها أحد؛ قول الله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّمَا كَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ وَأَسْفَاهَا ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَئِنَّ أَعْيُنَهُمْ لَتَتَلَوَّنَ الْأَرْضَ لَمَّا هُمْ فِيهَا مُوقِنُونَ﴾ الآية؟ قال ابن عباس: إن الله حلیم رحيم بالمؤمنين، يحب السر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا ججال [جمع حجلة، وهي: يت كالفقة يستر بالثياب، وتكون له أزرار كبار]، فرما دخل الخادم أو الولد أو نائمة الرجل، والرجل على أهله، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير، فلم أر أحدًا يعمل بذلك بعد.

أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (١٤١) الاستئذان في العورات الثلاث. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٣٢٤).

- (١) البناء للمفعول قراءة شعبة.
- (٢) بالتخفيف قراءة شعبة وابن كثير.
- (٣) بالتحانية قراءة حمزة وابن عامر.
- (٤) أي: بنصب (ثلاث)، وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة.
- (٥) أي المعنى: «ليستأنذنكم أوقات ثلاث عورات»؛ فحذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه.
- (٦) وهذا الأخير هو الصحيح؛ أنها محكمة واجبة ثابتة في حق الرجال والنساء، يجب عليهم أن يأمرُوا صبيانهم ومماليكهم بالاستئذان في تلك الأوقات إذا دخلوا عليهم، وليس لهم أن يدخلوا دون إذن. قال القرطبي: وهو قول أكثر أهل العلم.
- (٧) قال ابن كثير: «ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلًا جدًا أنكر ابن عباس ذلك على الناس...». ثم ساق الآثار في ذلك. (تفسير ابن كثير ٢٩٣/٣).

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦٠] ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكرهن ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ نِيَابَهُنَّ﴾ من الجلباب والرداء والقناع فوق الحمار ﴿وَخَيْرٌ مُنْتَهِيَاتٍ﴾ مظهرات ﴿بِرِزْقَةٍ﴾ خفية؛ كفلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما في قلوبكم.

[٦١] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابلهم ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت أولادكم ^(١) ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُ﴾ خزنتموه لغيركم ^(٢) ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وهو من صدقكم في مودته؛ المعنى: يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا إذا علم رضاهم به ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ ^(٣) متفرقين، جمع «شَتَّ»، نَزَلَ فِيمَنْ تَرَجَّحَ أَنْ يَأْكُلَ وَحْدَهُ، وَإِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ يُوَاكِلُهُ يَتْرَكَ الْأَكْلَ ^(٤) ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بها ^(٥) ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَرُدُّ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ كَانَ بِهَا أَهْلٌ فَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ ﴿حَيْثُ﴾ مصدر «حَيَّاهُ» ﴿وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ يناب عليها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ أي: يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا ذلك.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا أَسْتَعِذُ الَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ نِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِرِزْقَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ حَيْثُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ﴾ أيها الأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا أَسْتَعِذُ الَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ﴾ أي: الأحرار الكبار

(٥٠) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا تَأْكُلُوا مِنْ أَوْلَادِكُمْ بَيْنَكُمْ وَالْبَتِيلَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِحَسْرَةٍ عَنْ رَأْيِ بَيْنِكُمْ﴾ فكان الرجل يخرج أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية؛ فنسخ ذلك الآية التي في النور؛ قال: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا﴾ إلى قوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾. أبو داود - كتاب الأطعمة (٢١) باب (٦) نسخ الضيف يأكل من مال غيره، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٣١٩٢).

(١) وهو قول غير واحد من المفسرين؛ قالوا: نسب - سبحانه - بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الولد كسب والده، وماله كماله، والدليل أنه - تعالى - عدد الأقارب ولم يذكر الأولاد، وإذا كان سبب الرخصة هو القرابة، كان الذي هو أقرب منهم أولى. وقال بعضهم: أي بيوت أزواجكم وعيالكم، وأضافه إليهم؛ لأن بيت المرأة كبيت الزوج. وقال بعضهم: هي على ظاهرها، كأنه يقول: مساكنكم التي فيها أهلهم وأولادكم؛ فقد يكون للأهل والولد شيء من ملكهم، فليس عليه حرج أن يأكل معهم من ذلك القوت. وهو قول حسن ظاهر.

(٢) أي: حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه؛ فلا بأس أن تأكلوا من ثمرته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخرها. قاله ابن عباس. وقالت عائشة: كان المسلمون يرغبون في النفي مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى أمتهام، ويقولون لهم: قد أحللتناكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أدنوا لنا من غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ﴾. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٤٦/٨) رقم (١٤٨٧٥)، والبرازي في مسنده (٦١/٣)، رقم (٢٢٤١)، وقال الهيثمي في المجمع (٨٤/٧): «رواه البرازي ورجاله رجال الصحيح». وضححه في الاستيعاب (٥٩٢/٢)، (٥٩٣).

(٣) روي نحو هذا عن عكرمة وابن جريج. ذكره الطبري والسيوطي في الدر المنثور. وضعفه في الاستيعاب (٥٩٧/٢).

(٤) الأظهر أن البيوت هنا عامة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط، فشمعل بيت الإنسان وبيت غيره، وقال بعض العلماء: وسواء كان في البيت ساكن أم لا. وزاد بعضهم: للمسجد، فجعل له الحكم نفسه، واعتمدوا في ذلك على ما ورد عن ابن عمر وابن عباس في السلام باللفظ الذي ذكره المفسر إذا كان البيت أو المسجد فارغاً... وعلى الأظهر فيكون معنى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فليسلم بعضهم على بعض؛ لأن المسلمين كأنهم شخص واحد.

[٦٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة ﴿كَلِمَةً يَدْعُونَ﴾ ليعرض عُذْرَ لَهُمْ ﴿حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴿أَمْرَهُمْ﴾ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴿وَأَسْتَأْذِنُوكَ﴾ بِالْأَنْصِرَافِ ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾.

[٦٣] ﴿لَا تَجْعَلُوا ذَمًّا لِرَسُولٍ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ بَأَن تَقُولُوا: «يا محمد»، بل قولوا: «يا نبي الله، يا رسول الله» في لين وتواضع وخفض صوت ﴿فَدَعَاءُ يَدْعُوهُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ مِنْكُمْ لِيُؤْذِنُوا﴾ أي: يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء، ﴿وَقَدْ﴾ لِلتَّحْقِيقِ (١) ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: الله ورسوله ﴿أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء (٢) ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. [٦٤] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وحلقًا وعبيدًا ﴿وَقَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ﴾ أيها المكلفون ﴿عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق. ﴿وَمَا يَعْلَمُ﴾ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴿فِيهِ الْغَيْبَاتُ﴾ أي: متى يكون ﴿فَيُنشِئُهُمْ﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ من الخير والشر ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمٌ﴾.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٣﴾ لَا تَجْعَلُوا ذَمًّا لِعَلَّ الرَّسُولَ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ مِنْكُمْ لِيُؤْذِنُوا مِنْكُمْ لَوْ أَذِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَوَمَا يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ رُؤْيُ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَاتِ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعِصْمَةَ عَلَىٰ غُلَابٍ مُّتَمَلِّئِينَ مِنَ غُدُوقِ السَّمَاءِ وَالَّذِي خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ دُونِ الْمَلَائِكَةِ وَمَا يَسْتَأْذِنُ مِنْهُنَّ لِتَكُونَ لِلنَّاسِ مُحِيزًا ﴿٢﴾ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَخَتْ بِهِ سَبْطًا مِمَّا خَلَقَتْ هِيَ وَحْدَهَا وَلَهُ عَرْشٌ فِي السَّمَاءِ الْعُلْيَا ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ نَارًا فَتِلْكَ الْأَشْجَارُ إِذَا هَوَّتْ عَلَيْهَا النَّارُ فَكَانَتْ كَشِعْرِ الشَّجَرِ لَوَّاحٍ مَحْمُومٍ ﴿٤﴾ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ حَبًّا مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ وَجَعَلَ فِيهَا رِجَالًا لَاطِفِينَ ﴿٥﴾ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ نَارًا فَتِلْكَ الْأَشْجَارُ إِذَا هَوَّتْ عَلَيْهَا النَّارُ فَكَانَتْ كَشِعْرِ الشَّجَرِ لَوَّاحٍ مَحْمُومٍ ﴿٦﴾ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ حَبًّا مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ وَجَعَلَ فِيهَا رِجَالًا لَاطِفِينَ ﴿٧﴾ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ نَارًا فَتِلْكَ الْأَشْجَارُ إِذَا هَوَّتْ عَلَيْهَا النَّارُ فَكَانَتْ كَشِعْرِ الشَّجَرِ لَوَّاحٍ مَحْمُومٍ ﴿٨﴾ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ حَبًّا مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ وَجَعَلَ فِيهَا رِجَالًا لَاطِفِينَ ﴿٩﴾ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ نَارًا فَتِلْكَ الْأَشْجَارُ إِذَا هَوَّتْ عَلَيْهَا النَّارُ فَكَانَتْ كَشِعْرِ الشَّجَرِ لَوَّاحٍ مَحْمُومٍ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

[مكية إلا ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿رَجِيمًا﴾ فمدني، وهي: سبع وسبعون آية، نزلت بعد يس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَارَكَ تَعَالَى﴾ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴿الْقُرْآنَ﴾؛ لِأَنَّهُ فُوقَ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ﴾ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ دُونَ الْمَلَائِكَةِ ﴿نَذِيرًا﴾ مَخُوفًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

[٢] ﴿الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ رُؤْيُ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَاتِ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعِصْمَةَ عَلَىٰ غُلَابٍ مُّتَمَلِّئِينَ مِنَ غُدُوقِ السَّمَاءِ وَالَّذِي خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ دُونِ الْمَلَائِكَةِ وَمَا يَسْتَأْذِنُ مِنْهُنَّ لِتَكُونَ لِلنَّاسِ مُحِيزًا﴾ سَوَاءً تَشْوِيَةً.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٧١) في الإذن في القول بعد النهي. وحسنه الألباني. في صحيح سنن أبي داود (٢٧٧١).

(١) راجع التعليق على آية (١٠٣) من سورة النحل؛ في دخول «قد» على الفعل المضارع. (٢) قال ابن كثير: ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم؛ من كفر أو نفاق أو بدعة.

لأنفسهم ضراً أي: دفعه ﴿وَلَا تَنْفَسْ﴾ أي: جره ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾ أي: إمامة لأحد وإحياء لأحد ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾ أي: بحق للأموال.
 [٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا الَّذِي كَفَرُوا بِهِ قَوْمٌ مَحْرُوبُونَ﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿أَفْتَرْتَهُ﴾ محمد ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَّشْرُوبُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال - تعالى -: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ كفرا وكذبا أي: بهما.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ أيضاً: هو ﴿أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ أكاذيبهم؛ جمع أسطورة، بالضم ﴿أَسْتَبْهَأَ﴾ انتسخها من ذلك (١) القوم بغيره (٢) ﴿فَهِيَ تُمَلِّكُ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غدوة وعشيًا.

[٦] قال - تعالى - ردًا عليهم: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَجِيمًا﴾ بهم.

[٧] ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ يصدقه.

[٨] ﴿أَوْ يُنْفِقْ إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة: ﴿تَأْكُلُ﴾ بالنون (٣)؛ أي: نحن، فيكون له مزية علينا بها ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَنْبِئُونَنَا إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

[٩] قال - تعالى -: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور، والمحتاج إلى ما ينفقه، وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إليه.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير ﴿الَّذِي﴾ إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك الذي قالوه من الكنز والبستان ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: في الدنيا؛ لأنه شاء أن يعطيها إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَلُ﴾ بالجزم ﴿لَكَ قُصُورًا﴾ أيضًا، وفي قراءة: بالرفع (٤) استئنافًا.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾ سعيًا ﴿نَارًا مَسْعُورَةً﴾ أي: مشتدة.

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا ﴿١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٢﴾ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولَى أَكْتَبَهَا فَهِيَ تُمَلِّكُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٥﴾ أَوْ يُنْفِقْ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٦﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٧﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٩﴾

[٣] ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿لَهُ الْهَيْئَةُ﴾ هي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ

(١) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا، والمناسب أن يقول: «من أولئك القوم».

(٢) أي أمر غيره بنسخها له؛ فإنه ﴿يَكْتُبُ﴾ أي لا يقرأ ولا يكتب.

(٣) لحزمة والكسائي.

(٤) لشعبة وابن عامر وابن كثير.

[١٢] ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا﴾ غليانًا، كالغضب ان إذا غلَى صَدْرُهُ مِنَ الْغَضَبِ ﴿وَرِيفًا﴾ صوتًا شديدًا، أو سماع التغيط رؤيته وعلمه^(١).

[١٣] ﴿وَإِذَا أَلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢)؛ بأن يضيق عليهم، و﴿مِنْهَا﴾ حالٌ من ﴿مَكَانًا﴾ لأنه في الأصل صفة له ﴿مُتَّقِرِينَ﴾ مصفدين قد قرنت - أي: جمعت - أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا.

[١٤] فيقال لهم: ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعذابكم.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ الْمَذْكُورُ مِنَ الْوَعِيدِ وَصِفَةُ النَّارِ﴾ ﴿خَيْرٌ أَرْجَتْهُ الْخُلْدُ الَّتِي وَعِدَ﴾ هَا ﴿الْمُنْفُوتُ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه - تعالى - ﴿جَزَاءً﴾ نوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعًا.

[١٦] ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَلِيلِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ و﴿غَدَهُمْ مَا ذَكَرَ﴾ ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعَدَا مَسْئُولًا﴾ يسأله من وعده به: ﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رَسُولِكَ﴾^(٣) أو تسأله لهم الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَذْهَبْهُمْ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾^(٤).

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ بالنون والتحتانية^(٥) ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ - تعالى - بالتحنانية والنون^(٦) - للمعبودين إثباتًا للحجة على العابدين: ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(٧) ﴿أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ أو قمتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ طريق الحق بأنفسهم؟.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَلْتَمِسُ﴾ يستقيم ﴿لَنَا أَنْ نَنْتَجِدَ مِنْ دُونِكَ﴾ أي: غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول أول، و﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني^(٨) فكيف تأمرو بعبادتنا؟ ﴿وَلَكِنْ تَتَّبِعْتَهُمْ وَوَسَّوْا لَهُمْ﴾ من قبلهم؛ بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْمًا ثُبُورًا﴾ هلكى.

[١٩] قال - تعالى -: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: كذب المعبودون العابدين ﴿وَمَا تَقُولُونَ﴾ بالفوقانية^(٩)، أنهم آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحنانية والفوقانية^(١٠)، أي: لا هم ولا أنتم ﴿صَرَفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم ﴿وَلَا تَصْرَأُ﴾ منعا لكم منه ﴿وَمَنْ يَطْلِمُ﴾ يشرك ﴿وَنَصَّكُمْ نِدْفُهُ عَذَابًا كَثِيرًا﴾ شديدًا في الآخرة.

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَرِيفًا ﴿١٢﴾
وَإِذَا أَلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُتَّقِرِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾
قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَلِيلِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعَدَا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَشَاءُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَلْتَمِسُ لَنَا أَنْ نَنْتَجِدَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رَسُولِكَ ﴿١٨﴾ أَوْ تَسْأَلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا وَأَذْهَبْهُمْ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴿١٩﴾
فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرَفًا وَلَا تَصْرَأُ وَمَنْ يَطْلِمُ مِنْكُمْ نِدْفُهُ عَذَابًا كَثِيرًا ﴿٢٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾

[٢٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ تليئة؛ أئجلي الغني بالفقير، والصحيح بالمرضى والشريف بالوضيع، يقول الثاني في كل: ما لي لا أكون كالأول في كل؟ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يبصر ومن يجزع.

(١) أشار بذلك إلى جواب آخر وهو أن السماع ليس على حقيقته؛ بل المراد منه: الرؤية والعلم. وعلى القول الأول يكون المراد سماع ما يدل على التغيط وهو الغليان.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٣) آل عمران: ١٩٤.

(٤) غافر: ٨.

(٥) بالنون قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير. وقوله: والتحنانية؛ يعني: الباء، وهي القراءة الأخرى.

(٦) بالنون قراءة ابن عامر.

(٧) قرأ فالون وأبو عمرو بالتسهيل والإدخال، وورش وابن كثير بالتسهيل من غير إدخال، ولورش الإبدال حرف مد مع الإشباع، وهشام بالتسهيل والتحقيق وكل منهما مع الإدخال وبقيّة السبعة بالتحقيق بلا إدخال.

(٨) أي: قوله: ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ المفعول الثاني.

(٩) أي: بتأقاف العشرة.

(١٠) بالنون قراءة السبعة عدا حفص.

الحيرة؛ كصدقة وصلة رحم، وقرى ضيف، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ هو ما يُرى في الكوى التي عليها الشمس، كالغبار المفرق؛ أي: مثله في عدم النفع به؛ إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويجازون عليه في الدنيا.

[٢٤] ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا^(١) ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ منهم؛ أي: موضع قائلة فيها؛ وهي: الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار؛ كما ورد في حديث^(٢).

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى الْأَسْهُةُ﴾ أي: كل سماء ﴿بِالْعَلَمِ﴾ أي: معه؛ وهو: غيم أبيض ﴿وَيُنزَّلُ الْمَلَكُ﴾ من كل سماء ﴿تَزِيلًا﴾ هو يوم القيامة، ونصبه به [اذكره] مقدرًا، وفي قراءة: بتشديد شين ﴿تَشْقَى﴾^(٣) بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى: ﴿تُنزِلُ﴾^(٤) بنون الثانية ساكنة وضم اللام، ونصب ﴿الملائكة﴾.

[٢٦] ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ بخلاف المؤمنين.

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ﴾ المشرك: عقبة بن أبي معيط، كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لإبي بن خلف^(٥) ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتبعية ﴿لَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى.

[٢٨] ﴿يَتَوَلَّى﴾ ألقه عوض عن ياء الإضافة؛ أي: ويلتي؛ ومعناه: هلكني ﴿لَيْتَنِي لَوْ أَتَّخَذْتُ فَلَانًا﴾ أي: أبقاً^(٦) ﴿خَلِيلًا﴾.

[٢٩] ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بأن ردّني عن الإيمان به، قال - تعالى: ﴿وَكَانَ السَّيِّطُنُ لِلْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿خَدًّا وَلَا﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد: ﴿يَدْرِبَ إِنْ قَوْمِي﴾ قريباً ﴿أَتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً.

[٣١] قال - تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ لَيْتِي﴾ قلبك ﴿عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ناصرًا لك على أعدائك.

[٣٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلاًلاً ﴿نُزِّلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَحِدَةً﴾ كالنوراة والإنجيل والربور، قال - تعالى: ﴿نزلناه﴾ كذلك متفرقاً ﴿لَيْتَنِي﴾ يدك ﴿فُؤَادُكَ﴾ تقوى قلبك ﴿وَرَبَّنَا تَزِيلًا﴾ أي: أتينا به شيئاً بعد شيء يتمهل وتؤدّه؛ لتيسير فهمه وحفظه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ﴾ * ﴿أَوْ نرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ﴾ ﴿حَجَرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ﴾ ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْعُغَمِ وَنُزِلُ الْمَلَائِكَةِ﴾ ﴿تَزِيلًا﴾ ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ﴾ ﴿يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَوْ أَتَّخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ ﴿وَكَانَ السَّيِّطُنُ لِلْإِنْسَانِ خَدًّا وَلَا﴾ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَدْرِبَ إِنْ قَوْمِي أَتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ لَيْتِي عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ هلاًلاً ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نرَى رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمدًا رسوله، قال - تعالى: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿فِي﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بظلمهم رؤية الله - تعالى - في الدنيا، و﴿عتوا﴾ بالواو على أصله، بخلاف ﴿عتباً﴾ بالإبدال في مريم^(١).

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ في جملة الخلائق؛ هو: يوم القيامة، ونصبه به [اذكره] مقدرًا ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين فلهم البشري بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حَجَرًا مَّحْجُورًا على عاداتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة؛ أي: عودًا معاذًا؛ يستعيدون من الملائكة^(٢).

[٢٣] قال - تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ عمدنا ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ من

(١) يشير إلى قوله - تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، وقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾.

(٢) هذا قول ابن جرير كما حكاه عنه ابن جرير. قال ابن كثير: وهذا القول - وإن كان له مأخذ ووجه - ولكنه بالنسبة إلى السياق في الآية بعيد، لا سيما قد نص الجمهور على خلافه واختار ابن كثير وابن جرير أن الضمير في قوله: ﴿ويقولون﴾ عائد على الملائكة؛ أي تقول الملائكة للكافرين: حرام محرم عليكم الفلاح اليوم. تفسير ابن كثير (٣/٣٠٤).

(٣) الظاهر أن المراد المفاضلة بينهما في الآخرة، وهو الأبلغ في المعنى والأشرف في الفرق بين حال الفريقين؛ فالأمة مستقرون في الجنة، والكافرون مستقرون في النار. فإله من وعد وبإله من وعده. وأما قوله: ﴿خَيْرٌ﴾، فهو من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف المقابل شيء منه.

(٤) راجع التعليق على الآية رقم (٢٠٢) من سورة البقرة، والآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٥) لنافع وابن كثير وابن عامر.

(٦) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون. وقد روى آخرون القصة معكوسة وأن أبي بن خلف رجع إرضاء لعقبة، وروى آخرون أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط وأميه بن خلف. [الدر المنثور (٥/١٢٥-١٢٧)]. وضمعتها كلها في الاستيعاب (٩/٣-١٥).

(٨) يعني أبي بن خلف، كما روي في سبب نزول الآية، وسبق بيان ضعف هذا القول وغيره.

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾^(٥) والدفع له ﴿وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ بيانًا.

[٣٤] هم ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾^(٦) أي: يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سَكَّرْنَا مَكَانَهُ﴾ هو جهنم ﴿وَأَصْلُ سَيِّلًا﴾ أخطأ طريقًا من غيرهم؛ وهو: كفرهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ آخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾^(٧) مُعِينًا.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا أَهْبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: القبط فرعون وقومه، فهذا إليهم بالرسالة؛ فكذبوهما ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكتناهم إهلاكًا.

[٣٧] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٨) وقوم نوح لما كذبوا الرُّسُلَ بتكذيبهم نوحًا لطول لبثه فيهم؛ فكانه رُسلٌ، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرُّسُلِ لاشتراكهم في الجحيم بالتوحيد ﴿أَعْرَقْنَاهُمْ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ بَعْدِهِمْ ءِآيَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا سوى ما يحل بهم في الدنيا.

[٣٨] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٩) عَادًا، قوم هود ﴿وَتَمُودًا﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَابِ الرَّيِّ﴾ اسم بحر^(١٠)، ونيهم قبل: شعب، وقيل: غيره، كانوا قعودًا حولها؛ فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وَقُرُونًا﴾ أقوامًا ﴿بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرُّسُلِ.

[٣٩] ﴿وَكَلَّا صَبَرْنَا لَهُ الْأَمْتَلُ﴾ في إقامة الحجة عليهم؛ فلا نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا﴾ أهلكتنا إهلاكًا بتكذيبهم أنبياءهم.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا﴾ أي: مَرُّ كُفَّارٍ مكة ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنطَرْتِ مَطَرَ السَّوَةِ﴾ مصدر ساء؛ أي: بالحجارة؛ وهي: غططى قرى قوم لوط؛ فأهلك الله أهلها لفعالهم الفاحشة ﴿أَنكَمْ يَكْفُرُوا يَكْفُرًا﴾ في سفرهم إلى الشام؛ فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَجْرُونَ﴾ يخافون ﴿شُورًا﴾ بغيًا؛ فلا يؤمنون.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ﴾ ما ﴿يَبْتَخِدُونَكَ إِلَّا﴾ [هزؤًا]^(١١) مهزؤًا به، يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ في دعواه، محققرين له عن الرسالة.

[٤٢] ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿كَادَ

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا
 ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ
 سَكَّرْنَا مَكَانَهُ وَأَصْلُ سَيِّلًا﴾^(١٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ آخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿فَقُلْنَا أَهْبَا
 إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿١٣﴾
 وَقَوْمَهُ نُوحًا لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَعْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
 ءِآيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤﴾ وَعَادًا وَتَمُودًا
 وَأَصْحَابِ الرَّيِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿١٥﴾ وَكَلَّا
 صَبَرْنَا لَهُ الْأَمْتَلُ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
 عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنطَرْتِ مَطَرَ السَّوَةِ أَفَلَا يَكُونُوا يَرَوْنَهَا
 بَلْ كَانُوا لَا يَجْرُونَ شُورًا ﴿١٧﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَبْتَخِدُونَكَ
 إِلَّا أَهْزَوْا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١٨﴾ إِنْ كَادَ
 لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلُ سَيِّلًا ﴿١٩﴾ أَرَأَيْتَ
 مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَفَأنت تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٢٠﴾

لَيُضِلَّنَا﴾ يصرنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرنا عنها، قال - تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ عيانًا في الآخرة

﴿مَنْ أَصْلُ سَيِّلًا﴾ أخطأ طريقًا، أهم أم المؤمنون؟

[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: مهويه، قدم المفعول الثاني؛ لأنه أهم، وجملة ﴿مَنْ اتَّخَذَ﴾ مفعول أول ﴿لَرَأَيْتَ﴾، والثاني: ﴿أَفَأنت تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ حافظًا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟». قال قتادة: بلى وعرة ربنا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (١) ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾. وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١١).

(١) جمهور أهل اللغة على أن «الرس» لغة هو: البئر. أما «أصحاب الرس» فقيل: هم أصحاب الأخدود الذين جاء ذكرهم في سورة البروج. واختار ذلك ابن جرير. وقيل: هم أهل أنطاكية؛ أصحاب القرية المذكورة في سورة «يس». وقيل غير ذلك، والله أعلم.

(٢) بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وحمة، وقرأ حمزة: ﴿هَزُؤًا﴾، وقرأ حفص: ﴿هَزُؤًا﴾.

أَفَرِحْتَسِبَ أَنْ أَكْفَرْتَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
 كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
 الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَائِكًا تَتَرَجَعْنَ السَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا
 ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 اللَّيْلَ لِيَأْسَوا وَالنُّورَ سُبْحَانَ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ
 الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
 مِمَّا خَلَقْنَا الْأَعْمَاءَ وَأَنْزَلْنَا مِنْهُ لِقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
 لِيَذْكُرُوا فَآبِئَا أَكْفَرْنَا النَّاسَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٤٩﴾ وَلَوْ شِئْنَا
 لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٠﴾ فَلَا تَطِعِ الْكُفْرِينَ وَجَهْدُهُمْ
 بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥١﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا
 عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
 وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ
 نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٣﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٤﴾

﴿٤٤﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْفَرْتَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴿٤٤﴾ سماع تفهم ﴿٤٤﴾ أَوْ
 يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ما تقول لهم ﴿٤٤﴾ إِنْ ﴿٤٤﴾ مَا ﴿٤٤﴾ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾
 أخطأ طريقًا منها؛ لأنها تنقاد لمن يتبعها، وهم لا يطعون مولاها المنعم
 عليهم.

﴿٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ ﴿٤٥﴾ تنظر ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ ﴿٤٥﴾ فعل ﴿٤٥﴾ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴿٤٥﴾ من وقت
 الإسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿٤٥﴾ وَلَوْ شَاءَ ﴿٤٥﴾ ربك ﴿٤٥﴾ لَجَعَلَهُ سَائِكًا ﴿٤٥﴾ مقيما
 لا يزول بطلوع الشمس ﴿٤٥﴾ ثُمَّ جَعَلْنَا السَّمْسَ عَلَيْهِ ﴿٤٥﴾ أي: الظل ﴿٤٥﴾ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
 فلولا الشمس ما عرف الظل.

﴿٤٦﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ ﴿٤٦﴾ أي: الظل الممدود ﴿٤٦﴾ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ خفيًا
 بطلوع الشمس.

﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَأْسَوا ﴿٤٧﴾ ساترا كاللباس ﴿٤٧﴾ وَالنُّورَ
 سُبْحَانَ ﴿٤٧﴾ راحة للبدان؛ بقطع الأعمال ﴿٤٧﴾ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ منشورا فيه
 لا ابتغاء الرزق وغيره.

﴿٤٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ ﴿٤٨﴾ وفي قراءة: ﴿الرِّيحَ﴾ ﴿٤٨﴾ [نُشْرًا] ﴿٤٨﴾
 بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴿٤٨﴾ متفرقة قدام المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفا ﴿٤٨﴾،
 وفي أخرى: بسكونها ونون مفتوحة مصدر ﴿٤٨﴾، وفي أخرى: بسكونها وضم
 الموحدة بدل النون ﴿٤٨﴾؛ أي: مبشرات، ومفرد الأولى: نشور؛ كرسول،
 والأخيرة: بشير ﴿٤٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ مطهرا.

﴿٤٩﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ﴿٤٩﴾ بالتخفيف يستوي فيه الذكر والمؤنث،
 ذكره باعتبار المكان ﴿٤٩﴾ وَنُسْقِيَهُ ﴿٤٩﴾ أي: الماء ﴿٤٩﴾ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا ﴿٤٩﴾ إبلا وبقرا
 وغنما ﴿٤٩﴾ وَأَنْزَلْنَا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ جمع إنسان، وأصله: أناسين؛ فأبدلت النون ياء،
 وأدغمت فيها الياء، أو جمع إنسي.

﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ ﴿٥٠﴾ أي: الماء ﴿٥٠﴾ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا ﴿٥٠﴾ أصله: يذكروا؛
 أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ ﴿٥٠﴾ بسكون الذال وضم
 الكاف؛ أي: نعمة الله به ﴿٥٠﴾ فَآبِئَا أَكْفَرْنَا النَّاسَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ جحودا للنعمة؛
 حيث قالوا: مطرنا يتوؤ كذا.

﴿٥١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ يخوف أهلها، ولكن
 بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرا؛ ليعظم أجرك.

﴿٥٢﴾ فَلَا تَطِعِ الْكُفْرِينَ ﴿٥٢﴾ في هواهم ﴿٥٢﴾ وَجَهْدُهُمْ بِهِ ﴿٥٢﴾ أي: القرآن
 ﴿٥٢﴾ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾.

﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴿٥٣﴾ أرسلهما متجاورين ﴿٥٣﴾ هَذَا عَذْبٌ
 فُرَاتٌ ﴿٥٣﴾ شديد العذوبة ﴿٥٣﴾ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴿٥٣﴾ شديد الملوحة ﴿٥٣﴾ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا
 بَرْزَخًا ﴿٥٣﴾ حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿٥٣﴾ وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ سترا ممنوعا به
 اختلاطهما.

﴿٥٤﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴿٥٤﴾ من المني إنسانا ﴿٥٤﴾ فَجَعَلَهُ نَسَبًا ﴿٥٤﴾
 ذا نسب ﴿٥٤﴾ وَصِهْرًا ﴿٥٤﴾ ذا صهر؛ بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبا للتناسل
 ﴿٥٤﴾ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ قادرا على ما يشاء ﴿٥٤﴾.

﴿٥٥﴾ وَيَسْتَبِدُّونَ ﴿٥٥﴾ أي: الكفار ﴿٥٥﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ ﴿٥٥﴾ بعبادته
 ﴿٥٥﴾ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴿٥٥﴾ بتركها؛ وهو الأصنام ﴿٥٥﴾ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾
 للشيطان بطاعته.

(١) لابن كثير.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: ﴿نُشْرًا﴾، وهي: لابن عامر.

(٤) أي: ﴿نُشْرًا﴾، وهي لحمزة والكسائي.

(٥) أي: ﴿نُشْرًا﴾، وهي قراءة عاصم.

(٦) لحمزة والكسائي.

(٧) الأولى أن يقول: قادر على كل شيء، كما هو ظاهر آيات القرآن في إثبات القدرة، كما أنه الأكمل في حقه - سبحانه -، ولله الأسماء الحسنى والصفات العلى.

[٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مخوفًا من النار.

[٥٧] ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاكَ عَلَيْكَ﴾ أي: على تبليغ ما أرسلت به ﴿وَمِنْ آخِرِ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَخَذَ إِلَيْكَ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا يوافق ماله في مرضاته - تعالى: فلا آمنه من ذلك.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِّحٌ﴾ متلبسًا ﴿بِحَمِيدِهِ﴾ أي: قل: ﴿سبحان الله والحمد لله﴾ ﴿وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ عالمًا، تعلق ﴿بِهِ﴾ بـ ﴿ذُنُوبٍ﴾.

[٥٩] هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن في لحظة، والعدول عنه لتعليم خلقه الثابت ﴿ثُمَّ أَسْرَوْنَا عَلَى الْغُرَيْنِ﴾ هو في اللغة: سرى الملك ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بدل من ضمير ﴿أَسْرَوْنَا﴾ أي: استواء يليق به (١) ﴿فَسَخَّلْنَا﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِ﴾ بالرحمن ﴿خَيْرًا﴾ بخيرك بصفاته.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لكفار مكة: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالفوقانية والحنانية (٢)، والأمر محمد ولا نعرفه؛ لا ﴿وَرَادَهُمْ﴾ هذا القول لهم ﴿فَقُولُوا﴾ عن الإيمان.

[٦١] قال - تعالى: - ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت؛ وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمير وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضًا ﴿بُيُوتًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾، وفي قراءة: ﴿شُرْجًا﴾ (٣) بالجمع؛ أي: نيرات، ونحس القمر منها بالذكر نوع فضيلة.

[٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل منها الآخر ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذُكَّرَ﴾ بالشدديد والتخفيف (٤) - كما تقدم: - ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكْرًا﴾ أي: شكرًا لنعمة ربه عليه فيها.

[٦٣] ﴿وَيَعْبُدُ الرَّحْمَنَ﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له إلى: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ (٥) غير المعترض فيه (٦) ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ﴾ أي: بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ أي: قولًا يسلمون فيه من الإثم.

[٦٤] ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَئُونَ رَبَّهُمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَمًا﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِّحٌ بِحَمِيدِهِ﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْرَوْنَا عَلَىٰ الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَخَّلْنَا بِهِ خَيْرًا﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذُكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكْرًا﴾ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ هُونَ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَئُونَ رَبَّهُمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

بمعنى: قائمين يصلون بالليل.

[٦٥] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازمًا.

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾ بئس ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي؛ أي: موضع استقرار وإقامة.

[٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ على عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ بفتح أوله وضمه (٧)؛ أي: يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ وسطًا.

(١) سبق التعليق على هذا التفويض، وأنه إذا كان يراد به تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يراد به تفويض معنى الاستواء الذي هو الاستقرار والعلو فهو خلاف فهم السلف وتذهبهم.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) لحمزة والكسائي.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة.

(٥) وهو - أعني قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ - خير المبتدأ، على اختيار المفسر، ويحتمل أن يكون الخبر قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ ويكون قوله: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ جملة مستأنفة مبتدأ وخبر.

(٦) أي باستثناء الجملة الاعتراضية؛ وهو قوله - تعالى: - ﴿وَمَنْ يَقْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الآية [الفرقان: ٦٨]، إلى قوله: ﴿مَسَاءً﴾.

(٧) بضم أوله مع كسر التاء قراءة نافع وابن عامر، وأما القراءة بفتح الباء فمع كسر التاء لابن كثير وأبي عمرو، ومع ضمها لباقي السبعة.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ منهم ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَاتٍ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل منصفًا بذلك^(١).

[٧١] ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يرجع إليه رجوعًا؛ فيجازيه خيرا.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل ﴿وَأَذًا مَرُوءًا بِاللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُوءًا كَرَامًا﴾ معرضين عنه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾ يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعَعْيَانًا﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ بالجمع والفراد^(٢) ﴿فَرَّةً أَعْيُنَ﴾ لنا؛ بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الخير.

[٧٥] ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلْقَوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الباء^(٣) ﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿حَيْثُ وَسَلَّمًا﴾ من الملائكة.

[٧٦] ﴿وَالَّذِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ موضع إقامة لهم، و﴿أُولَئِكَ﴾ وما بعده خير: «عباد الرحمن» المبتدأ.

[٧٧] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَّا﴾ نافية ﴿يَعْتَبُونَ﴾ يكرهون ﴿بِكُرِّ رَبِّي تَوَلَّى دَعَاؤَكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي: فكيف يعاب بكم وقد ﴿كُذِّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِرِزَامًا﴾^(٤) ملازمًا لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا؛ فقتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب ﴿تَوَلَّى﴾ دل عليه ما قبلها.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعَعْيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أَعْيُنَ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَيْثُ وَسَلَّمًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبَأُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

[٦٨] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: واحداً من الثلاثة ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾ أي: عقوبة.

[٦٩] ﴿يُضَاعَفْ﴾ وفي قراءة: ﴿يُضَاعَفُ﴾ بالتشديد^(١) ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ بجزم الفعلين: بدلاً، ويرفعهما^(٢): استثنافاً ﴿مُهَانًا﴾ حال.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٨ - ٧٠): أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن ناشا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعوا إليه حسن لو تخبرنا أن ما عملنا كفرارة؛ فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ لَا يَقْتُلُوا مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الزمر (٣٩) باب (١).

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله نداً وهو خلقك». قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك». فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦).

(٥٥) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين: الدخان، والقمر، والروم، والبطشة، واللام؛ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾... وقال البخاري: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾: هلكت. البخاري - كتاب تفسير القرآن (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (٥) ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

(١) لابن كثير وابن عامر.

(٢) بالرغف فيها لشعبة وابن عامر، مع تشديد العين وحذف الألف لابن عامر - كما سبق بيانه.

(٣) بالفراد في قوله: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مكية إلا: ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ إلى آخرها فمدني، وهي مائتان وسبع وعشرون آية. نزلت بعد الواقعة (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَمَ﴾ طَسَمَ اللهُ أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿بِأَيِّ الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: من ﴿الْقُرْآنِ﴾ يا محمد ﴿بِأَيِّ الْكِتَابِ﴾ قاتلها غشا من أجل ﴿الْأَلْفِ﴾

[٣] ﴿لَمَّا كَانَتْ﴾ يا محمد ﴿بِأَيِّ الْكِتَابِ﴾ قاتلها غشا من أجل ﴿الْأَلْفِ﴾ يَكُونُوا﴾ أي: أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ و﴿لَعَلَّ﴾ هنا للإشفاق؛ أي: أشفق عليها بتخفيف هذا الغم.

[٤] ﴿إِنْ لَشَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع؛ أي: تظل؛ أي: تدوم ﴿أَعْيُنُهُمْ لَمَّا خَصَّيْنَهُمْ﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها؛ جمعت الصفة منه جمع العقلاء.

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ﴾ قرآن ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ مُنْذِرٌ﴾ صفة كاشفة (١) ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَارٌ﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا﴾ أي: كثيرا ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نوع حسن.

[٨] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ دلالة على كمال قدرته - تعالى - ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في علم الله، و﴿كَانَ﴾ قال سيبويه: زائدة.

[٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿الرَّجِيمِ﴾ يرحم المؤمنين.

[١٠] ﴿رَبِّكَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ رسولاً.

[١١] ﴿قَوْمٌ فَرَعَوْنَ﴾ معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿الْأَلْفِ﴾ الهمة للاستفهام الإنكاري ﴿يَقُولُونَ﴾ الله بطاعته فيوجدونه؟

[١٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

[١٣] ﴿وَصَبِّحُ صَدْرِي﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ﴾ أحيي ﴿هَكَرُونَ﴾ معي.

[١٤] ﴿وَقَتْمٌ عَلَى ذَنْبٍ﴾ يقتل القبطي منهم ﴿فَأَمَّا أَنْ يَقْتُلُونَ﴾ به.

[١٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿كَلَّا﴾ لا يقتلونك ﴿فَأَذْهِبَا﴾ أي: أنت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿تِلْكَ﴾ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿لَمَّا كَانَتْ﴾ بَعَثْنَا نَبِيًّا فَقَالَ ﴿يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ إِنْ لَشَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَمَّا خَصَّيْنَهُمْ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُنْذِرٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَارٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وَأَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قَوْمَ فَرَعُونَ الْآيَتُونَ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ وَيَصْبِحُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَدًى وَوَلِّهِمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهِبَا بِمَا يَتَّبِعُنَا أَنَا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ﴾ فَأْتِيَا فَرَعُونَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْبُغْيَاءَ وَانْتِ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

وأحورك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿يَتَّبِعُنَا﴾ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ ﴿مَا تَقُولُونَ وَمَا يُقَالُ لَكُمْ، أجزا مجرى الجماعة.

[١٦] ﴿فَأْتِيَا فَرَعُونَ قَوْلًا﴾ إِنَّا ﴿كَلَّا﴾ منا ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك.

[١٧] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فَأْتِيَا فَعَلْنَا لَهُ مَا ذَكَرَ.

[١٨] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُزِّبْكَ فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾

صغيرًا قريبًا من الولادة بعد فطامه ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثلاثين سنة

يلبس من ملابس فرعون، ويركب من مراكبه، وكان يسمى ابنه.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْبُغْيَاءَ﴾ هي قتله القبطي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالترية وعدم الاستعداد.

[٢٠] فائدة: أخرج أحد عن معديركب قال: أتينا عبد الله، فسألناه أن يقرأ علينا: ﴿طَسَمَ﴾ المائتين. فقال: ما هي معي، ولكن عليكم من رسول الله ﷺ: خباب بن الأرت. قال: أتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا. المسند (٤١٩/١)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٨٠).

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في أول سورة القصص؛ ولكن قوله في الحديث: ﴿طَسَمَ﴾ المائتين؛ بين أن المراد الشعراء لا القصص؛ لأن سورة القصص آياتها ثمان وثمانون آية فحسب. راجع تفسير ابن كثير (٣٦٦/٣).

(١) وهذا جريا على مذهب المفسر أن القرآن معنى قائم بذات الرب، وأن كلام الله ﷻ قديم، وسبق الرد عليه وبيان مذهب السلف في كلام الله - تعالى -، وأنه - سبحانه - لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

(٥) فائدة: أخرج أحد عن معديركب قال: أتينا عبد الله، فسألناه أن يقرأ علينا: ﴿طَسَمَ﴾ المائتين. فقال: ما هي معي، ولكن عليكم من رسول الله ﷺ: خباب بن الأرت. قال: أتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا. المسند (٤١٩/١)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٨٠). وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في أول سورة القصص؛ ولكن قوله في الحديث: ﴿طَسَمَ﴾ المائتين؛ بين أن المراد الشعراء لا القصص؛ لأن سورة القصص آياتها ثمان وثمانون آية فحسب. راجع تفسير ابن كثير (٣٦٦/٣).

(١) وهذا جريا على مذهب المفسر أن القرآن معنى قائم بذات الرب، وأن كلام الله ﷻ قديم، وسبق الرد عليه وبيان مذهب السلف في كلام الله - تعالى -، وأنه - سبحانه - لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ﴿٢٣﴾ لِمُوسَى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله، أي: أي شيء هو؟

[٢٤] ﴿وَمَا لَهُ﴾ وما له يكن سبيل الخلق إلى معرفة حقيقته - تعالى - وإنما يعرفونه بصفاته، أجابه موسى - عليه الصلاة والسلام - ببعضها: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بأنه - تعالى - خالقه؛ فأمنوا به وخذته.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهذا - وإن كان داخلًا فيما قبله - يفيظ فرعون؛ ولذلك: [٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن كنتم تقولون؛ أنه كذلك فأمنوا به وخذته.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ السَّجُودِينَ﴾ كان سجته شديدًا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وخذله لا يبصر ولا يسمع فيه أحدًا.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أفعل ذلك ولو ﴿جِئْتِكَ بِثَبْتٍ﴾ يؤهان بين على رسالتي؟

[٣١] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

[٣٢] ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة.

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيضَةٌ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(١).

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ إن هذا لسيرٌ عليه؛ فائق في علم السحر.

[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾

[٣٦] ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخو أمرهما ﴿وَاتَّبِعْ فِي الدُّنْيَا حَتِيرِينَ﴾ جامعين.

[٣٧] ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر.

[٣٨] ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِيُقَيِّدَنَّ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَبِعُونَ﴾.

قَالَ فَعَلَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٣﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٤﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾ قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ أَوْلَوْجِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٥﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَةٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِيُقَيِّدَنَّ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَبِعُونَ ﴿٣٩﴾

[٢٠] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا﴾ أي: حينئذ ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ عما أتاني الله بعدها من العلم والرسالة.

[٢١] ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علمًا ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ أصله: تمن بها علي ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بيان لـ«تلك»؛ أي: اتخذتهم عبيدًا ولم تستعبدني؛ لا نعمة لك بذلك؛ لظلمك باستعبادهم، وقدّر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار^(١).

(١) أي: «أوتلك».

(٢) أي: الشعرة.

[٤٠] ﴿لَمَّا نَبَّحَ النَّجْمُ كَانُوا هُمْ الْقَائِلِينَ﴾ الاستفهام للبحث على الاجتماع، والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم؛ فلا يتبعوا موسى.

[٤١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمُنْقَلِبِينَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(١) ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْقَائِلِينَ﴾.

[٤٢] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا﴾ أي: حينئذ ﴿لَيَنَّ الْمُنْقَلِبِينَ﴾.
[٤٣] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ - بعد ما قالوا له: ﴿إِنَّمَا أَن تُلْفَى وَإِنَّمَا أَن تَكُونَ نَحْنُ الْمُنْقَلِبِينَ﴾^(٢): ﴿الْقَوْمَا مَا أَنْتُمْ مُقْتُلُونَ﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم القائلهم توسلا إلى إظهار الحق.

[٤٤] ﴿فَالْقَوْمَا جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتَهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَائِلُونَ﴾.
[٤٥] ﴿فَالْقَوْمَا مُوسَى عَصَاهُ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ تتلعق ﴿مَا يَأْتِيكُونَ﴾ يقبلونه بتحويلهم فيخلون بحالهم وعصيتهم أنها حيات تسعى.

[٤٦] ﴿فَالْقَوْمَا السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾.
[٤٧] ﴿فَالْقَوْمَا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
[٤٨] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهده من العصا لا يتأني بالسحر.

[٤٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿أَلَمْ تَشْهَدْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا^(٣) ﴿لَهُ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَن آدَنَّا﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّمَا لِكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فعلمكم شيئا منه وعلمكم بآخِر ﴿فَلَسَوْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْسُلَكُمْ مِّنْ خِلْفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿وَأَلْصِقَنَّاكُمْ جُمُوعًا﴾.

[٥٠] ﴿قَالُوا لَا صَبْرَ لَنَا بِأَنْتَ يَا رَبَّنَا﴾ لا صبرَ علينا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة.

[٥١] ﴿وَأِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبَّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا.

[٥٢] ﴿وَأَرْحَمَنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا عُتُوًّا ﴿أَن أَسْرَ بَعْبَادِي﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة^(٤): بكسر النون ووصل همزة ﴿أَسْرَ﴾ من سرى لغة في أسرى؛ أي: سر بهم ليلا إلى البحر ﴿إِنَّكُمْ مُنْجَبُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلجئون وراءكم البحر؛ فأنجيكم وأغرقهم.

[٥٣] ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ قبل: ﴿كَانَ لَهُ أَلْفٌ مَدِينَةً وَإِنَّا عَشَرَ أَلْفٍ قَرِيَةً﴾ ﴿خَبِيرِينَ﴾ جامعين الجيش قائلا:

[٥٤] ﴿إِن هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ قبل: ﴿كَانُوا سِتْمَاةَ أَلْفٍ وَسَبْعِينَ أَلْفًا، وَمَقْدَمَةُ جَيْشِهِ سَبْعُمَاةَ أَلْفٍ﴾، فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه.

لَمَّا نَبَّحَ النَّجْمُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمْ الْقَائِلِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمُنْقَلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالُوا نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُنْقَلِبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا مَا أَنْتُمْ مُقْتُلُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتَهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْقَائِلُونَ ﴿٤٤﴾ قَالَتْ مُوسَى عَصَاهُ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَتْ السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَهُمْ مُوسَى قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمُ السِّحْرَ فَلَئِمَّا أَن تَطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْسُلَكُمْ مِّنْ خِلْفٍ وَلَا صَبْرَ لَنَا بِأَنْتَ يَا رَبَّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبَّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَأَرْحَمَنَا إِلَى مُوسَى أَن أَسْرَ بَعْبَادِي إِنَّكُمْ مُنْجَبُونَ ﴿٥١﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ خَبِيرِينَ ﴿٥٢﴾ إِن هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتِ وَعَيْوُونَ ﴿٥٦﴾ وَكُنُوزَ وَمَقَابِرَ كَرِيمٍ ﴿٥٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٨﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٥٩﴾

[٥٥] ﴿وَأَرْحَمَنَا إِلَى مُوسَى﴾ مستعدون، وفي قراءة: ﴿حَادِرُونَ﴾ متيقظون.

[٥٦] ﴿وَأَرْحَمَنَا إِلَى مُوسَى﴾ مستعدون، وفي قراءة: ﴿حَادِرُونَ﴾ متيقظون.

[٥٧] ﴿وَأَرْحَمَنَا إِلَى مُوسَى﴾ مستعدون، وفي قراءة: ﴿حَادِرُونَ﴾ متيقظون.

[٥٨] ﴿وَأَرْحَمَنَا إِلَى مُوسَى﴾ مستعدون، وفي قراءة: ﴿حَادِرُونَ﴾ متيقظون.

[٥٩] ﴿وَأَرْحَمَنَا إِلَى مُوسَى﴾ مستعدون، وفي قراءة: ﴿حَادِرُونَ﴾ متيقظون.

(١) راجع التعليق على الآية (١١٣) من سورة الأعراف.

(٢) الأعراف: ١١٥.

(٣) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٤) لنافع وابن كثير.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام.

ولا لبده.

[٦٤] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ قربنا ﴿نَمَّ﴾ هناك ﴿الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلخوا مسالكهم.

[٦٥] ﴿وَأَقْبَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَتْمِيئِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه؛ بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إغراق فرعون وقومه ﴿لآيَةً﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير «أسية» امرأة فرعون، و«حزقيل» مؤمن آل فرعون، و«مريم بنت ناموصى» التي دلت على عظام يوسف عليه السلام (١).

[٦٨] ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَهْدَى الْعَزِيزِ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿الرَّجِيمِ﴾ بالمؤمنين؛ فأنجأهم من الغرق.

[٦٩] ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأًا﴾ خبر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ويبدل منه: [٧٠] ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿لَأبيئتي وقومي، ما تعبدون﴾.

[٧١] ﴿قَالُوا تَعْبُدُونَ آسِنًا مَا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنظَلْنَا مَا عَنكَيَّ﴾ نقيم نهازا على عبادتها، زاده في الجواب افتخارا به.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يُسْمِعُونَكَ إِذْ﴾ حين ﴿تَدْعُونَ؟﴾

[٧٣] ﴿أَوْ يَسْمَعُونَكَ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَصْرُخُونَ﴾ كم إن لم تعبدوهم؟

[٧٤] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آسِنًا مَا كَذَلِكَ يَقُولُونَ﴾ أي: مثل فعلنا.

[٧٥] ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

[٧٦] ﴿أَنْتُمْ وَإِبَادُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَنزَلْنَا عَذْرَ لِي﴾ لا أعبدكم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فإني أعبد.

[٧٨] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى الدين.

[٧٩] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

[٨٠] ﴿وَالَّذِي مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِي﴾.

[٨١] ﴿وَالَّذِي يُسَيِّئُ لِي ثُمَّ يُغْفِرِي﴾.

[٨٢] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الزَّيْنِ﴾ الجزاء.

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علما ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِ﴾ النبيين.

فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُوكُونَ ﴿٦٦﴾
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ
﴿٦٨﴾ وَأَرْسَلْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٩﴾ وَأَجْبَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْمَعِينَ
﴿٧٠﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٣﴾
وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٤﴾ إِذْ قَالَ لِأبيه وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٥﴾ قَالُوا نَعْبُدُ آبَاءَنَا فَانظُرْ لَهُمْ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ يَسْمَعُونَكَ أَوْ يَصْرُخُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آسِنًا مَا كَذَلِكَ يَقُولُونَ ﴿٧٨﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٧٩﴾ أَنْتُمْ وَإِبَادُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٨٠﴾ فَأَنزَلْنَا عَذْرَ لِي
إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨٣﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٤﴾ وَالَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي
يَوْمَ الزَّيْنِ ﴿٨٦﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِ ﴿٨٧﴾

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانَ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُوكُونَ﴾ يدر كنا نجفع فرعون، ولا طاقة لنا به.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره (١) ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة.

[٦٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَانفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشر فرقا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الجبل الضخم بينهما مسالك سلكوها لم يتبل منها سرج الراكب

(١) هذا من لوازم معيته. شجاعته. الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته. شجاعته. مع خلقه نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين وحقيقتها الصالحة اللاتفة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستويا على عرشه، وكلاهما حق.

(٢) يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وصبوحه، وغيرهما عن أبي موسى الأشعري مرفوعا، وفيه أن موسى عليه السلام في قصة خروجه من مصر وسؤاله عن قبر يوسف لينقله معه فلدته عجوز بشرط أن تكون معه في الجنة... وأخرجه أيضا أبو يعلى، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١٠): «رجال أبي يعلى رجال الصحيح».

قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْن لَّمْ تَنْتَهَ بِسُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبِحِجْبِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأُنجِيَنَّهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَسْحُورِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالُوا لَهُمْ آخُوهُمْ هُوَ إِلَّا تَنْقُورٌ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْتَكْذِرُ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةَ تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَخْذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾
وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِ وَبَنِينَ
﴿١٣٣﴾ وَحَسَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَّعَطْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي﴾ أي علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١١٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾

تعلمون ذلك ما عيذتموهم.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ بين الإنذار.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَيْن لَّمْ تَنْتَهَ بِسُوحٍ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ

الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشمع.

[١١٧] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾.

[١١٨] ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا﴾ أي: احكم ﴿وَبِحِجْبِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٩] قال - تعالى -: ﴿فَأُنجِيَنَّهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَائِكِ الْمَسْحُورِينَ﴾ المملوء من

الناس والحيوان والطير.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إغنائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه.

[١٢١] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالُوا لَهُمْ آخُوهُمْ هُوَ إِلَّا تَنْقُورٌ؟﴾

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٢٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[١٢٧] ﴿وَمَا أَسْتَكْذِرُ عَلَيْهٖ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾.

[١٢٨] ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةَ﴾ بناء علما للمارة

﴿تَبْتَثُونَ﴾ بمن يمر بكم وتسخرون منهم، والجملة حال من ضمير «تبنون».

[١٢٩] ﴿وَتَخْذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ تَكْنُدُونَ﴾ كأنكم

﴿تَكْنُدُونَ﴾ فيها لا تموتون.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ﴾ بضرب أو قتل ﴿بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ من غير

رافة.

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به.

[١٣٢] ﴿وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٣٣] ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَحَسَنَاتٍ وَبَنِينَ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار.

[١٣٥] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة إن

عصيتموني.

[١٣٦] ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَّعَطْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾

الواعظين﴾ أصلاً؛ أي: لا نرعو لوعظك.

[١٣٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي حَوَقْنَا بِهِ ﴿إِلَّا خَلْقُ﴾ (١) ﴿الَّذِينَ﴾
 أي: اختلافهم وكذبهم، وفي قراءة: بضم الحاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن
 عليه من إنكار البعث إلا خلق الأولين؛ أي: طبيعتهم وعادتهم.
 [١٣٨] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾
 [١٣٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنْ فِي﴾
 ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
 [١٤٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
 [١٤١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾
 [١٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾
 [١٤٣] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾
 [١٤٤] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾
 [١٤٥] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾
 الْعَالَمِينَ﴾
 [١٤٦] ﴿أَنْتَرَكُونِ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ من الخيرات ﴿ءَامِنِينَ﴾
 [١٤٧] ﴿فِي جَنَّتٍ وَشُورَى﴾
 [١٤٨] ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ لطيف لين.
 [١٤٩] ﴿وَتَنْجُوتٍ مِنْ الْجِبَالِ يَبُوتَا فَرِهِينَ﴾ (٢) ﴿بَطْرِينَ﴾ وفي قراءة:
 ﴿فَرِهِينَ﴾ حادقين.
 [١٥٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به.
 [١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَسْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾
 [١٥٢] ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بطاعة
 الله.
 [١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب
 على عقولهم.
 [١٥٤] ﴿مَا أَنْتَ﴾ أيضا ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَبِ يَكْفِ إِنْ كُنْتَ مِنَ﴾
 الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.
 [١٥٥] ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ﴾
 مَعْلُومٍ﴾
 [١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا﴾ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿بِعَظْمِ الْعَذَابِ﴾

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها بغضهم يرضاهم ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ على
 عقرها.
 [١٥٨] ﴿فَلَاخُذْهُمْ الْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ﴾
 أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
 [١٥٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

(١) قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن كثير، وقرأ بقية السبعة: ﴿خَلْقُ﴾ بضم الحاء واللام.

(٢) نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿فَارِهِينَ﴾.

وَأَنْقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ ﴿١٨٤﴾ وَالْحَلِيقَةَ ﴿الْأُولَى﴾. [١٨٤]
 [١٨٥] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ﴾.
 [١٨٦] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا
 محذوف؛ أي: إنه ﴿تَطُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾.
 [١٨٧] ﴿فَأَنْقِطْ عَلَيْنَا [كشفاً]﴾ بسكون السين وفتحها^(١)؛ قطعاً ﴿مِنَ
 السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.
 [١٨٨] ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.
 [١٨٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة أظلمتهم بعد حُرِّ
 شديد أصابهم؛ فامطرت عليهم نازلاً؛ فاحترقوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمِ
 عَظِيمٍ﴾.
 [١٩٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
 [١٩١] ﴿وَرَبِّكَ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.
 [١٩٢] ﴿وَرَبُّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لِنُزِّلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
 [١٩٣] ﴿نُزِّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ جبريل.
 [١٩٤] ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.
 [١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ بيبين، وفي قراءة^(٢): بتشديد ﴿نُزِّلَ﴾
 وَتَنْصِبُ الرُّوحَ وَالْفَاعِلُ: اللَّهُ.
 [١٩٦] ﴿وَإِنَّهُ﴾ ذكر القرآن المنزل على محمد ﴿لَنُنزِّلَ رُبُّهُ﴾ كتب
 ﴿الْأُولَى﴾ كالتوراة والإنجيل.
 [١٩٧] ﴿أَوْ لَرَبِّكَ يَكْفُرُ مَكَّةَ﴾ أي: ذلك ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا
 بَيْتِ إِسْرَائِيلَ﴾ كعبدالله بن سلام، وأصحابه من الذين آمنوا، فإنهم يخبرون
 بذلك ﴿وَيَكْفُرُ﴾ بالتحانية وَتَنْصِبُ ﴿مَائِدَةً﴾ وبالرفوقانية وَرَفَعَ ﴿آيَةً﴾^(٣).
 [١٩٨] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعمجم.
 [١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ كفار مكة ﴿مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أَنفَقَ مِنْ
 اتباعه.

[٢٠٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعمجي
 ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ كفار مكة بقراءة
 النبي.
 [٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.
 [٢٠٢] ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٢٠٣] ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ لنؤمن؟ فيقال لهم: «لا»، فقالوا: متى

هذا العذاب؟

[٢٠٤] قال: تعالى: ﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

[٢٠٥] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾.

[٢٠٦] ﴿فَرُجَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب.

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) لحمزة والكسائي وشعبة وابن عامر.

(٣) بالناء مع رفع ﴿آيَةً﴾ لابن عامر.

الذي دعوك إليه. [٢١٤] ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهازاً. [رواه البخاري ومسلم] (١).
 [٢١٥] ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَلْنِ جَانِبَكَ ﴿لِمَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 [٢١٦] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ عَشِيرَتَكَ ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾
 من عبادة غير الله.

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ بالواو والفاء (٢) ﴿عَلَى الْعَرْشِ الرَّحِيمِ﴾ الله؛ أي: فوض إليه جميع أمورك.

[٢١٨] ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ﴾ حِينَ تَقُومُ ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾.

[٢١٩] ﴿وَتَقَلِّبْكَ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿فِي السُّجُودِ﴾ المصلين.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

[٢٢١] ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ - بحذف إحدى التاءين من الأصل؟

[٢٢٢] ﴿نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر، مثل «مُتَيْمِئَةٌ» وغيره من الكهنة.

[٢٢٣] ﴿يَلْفُوفٌ﴾ الشياطين ﴿السَّمْعُ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ يضمنون إلى المسموع كذباً كثيراً، وكان هذا قبل أن حجب الشياطين عن السماء.

[٢٢٤] ﴿وَالشَّعْرَاءُ﴾ بَعْضُهُمُ الْفَآؤُونَ ﴿فِي شَعْرِهِمْ﴾ يقولون به ويروونه عنهم؛ فهم مذمومون.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كَيْلٍ وَآرٍ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهيمُونَ﴾ يمضون؛ فيجازون الحد مدحاً وهجاءً.

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يكذبون.

[٢٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كُبْرًا﴾ (٣) لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وَأَنْصَرُوا﴾ بهججوا الكفار ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ - تَعَالَىٰ :: لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَىٰ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ (٤) وقال - تَعَالَىٰ :: ﴿فَمَنْ آتَمَدْتَنِي عَلَيْهِمْ فَاتَمَدُّوا عَلَيْهِ بِعِثْلِ مَا آتَمَدْتَنِي عَلَيْهِمْ﴾ (٥) ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَقْبَلُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

مَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَأَوْيَمْتَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ذِكْرِي وَمَا كُنَّا نَاخِلِيْمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا نَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٣٨﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُؤُونَ ﴿٤٠﴾ فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ الْهَاءُ آخِرَةٌ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٤١﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحِيمِ ﴿٤٥﴾ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٦﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السُّجُودِ ﴿٤٧﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٨﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٤٩﴾ تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٥٠﴾ يَلْفُوفٌ أَسْمَعُ وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٥١﴾ وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٥٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كُبْرًا وَاتَّصَرَوْا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٥٥﴾

سورة التين

[٢٠٧] ﴿مَا﴾ استفهامية بمعنى أي: شيء ﴿أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَأَوْيَمْتَعُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يغن.

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا مَا مِيزَرُونَهُ﴾ رسل تنذر أهلها.

[٢٠٩] ﴿ذِكْرِي﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا نَاخِلِيْمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.

[٢١٠] ﴿وَنَزَّلَ رَدًّا لِقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَمَا نَنْزَلَتْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الشَّيْطَانُ﴾.

[٢١١] ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعْرُؤُونَ﴾ بالشُّبُه.

[٢١٣] ﴿فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ الْهَاءُ آخِرَةٌ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَآؤُونَ﴾ فنسخ من ذلك واستثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كُبْرًا﴾. أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (٩٥) ما جاء في الشعر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٤١٩٥).

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ سعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون من قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر، ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: «ثألك سائر اليوم، ألهذا جمعتم؟» فنزلت: ﴿تَنَبَّأَ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾. البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٤) عن ابن عباس.

(٢) بالفاء قراءة نافع وابن عمر.

(٣) النساء: ١٤٨.

(٤) البقرة: ١٩٤.

سُورَةُ النَّارِ

[مكية وهي: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس وتسعون آية، نزلت بعد سورة الشعراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ﴾ الْفُرْقَانِ ﴿آيَاتُ﴾ منه ﴿وَكِتَابٍ تُنذِرُ﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

[٢] هو ﴿هُدًى﴾ هاد من الضلالة ﴿وَيُنذِرُ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾ به بالخبر.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ الْعَطَاةَ ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمونها بالاستدلال، وأعيد: ﴿هُمْ﴾، لما فصل بينه وبين الخبر.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّاتًا لَهُمْ أَفْسَاهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَمَهِّوْنَ﴾ يتحيرون فيها لقبحها عندنا.

[٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لَلَّذِي الْفُرْقَانَ﴾ يلقي عليك بشدة ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك.

[٧] أذكرو: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ﴾ زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر: ﴿إِنِّي أَنَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿نَارًا سَتِيكًا مِّنْهَا يَخْرُجُ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلها ﴿أَوْ آتِيكًا﴾ [بشهاب] قَبَسٍ. بالإضافة للبيان، وتركها^(١)؛ أي: شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿لَمَّا كَرِهَ تَصَلُّوْنَ﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها؛ تستدفون من البرد.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي: بارك الله ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: الملائكة أو العكس، و«بارك» يتعدى بنفسه وبالخرف، ويقدر بعد: في مكان^(٢) ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من جملة ما نودي^(٣)؛ ومعناه: تنزيه الله من السوء.

[٩] ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. [١٠] ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ﴾ فآلقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَرُوَيْقَبٌ﴾ يرجع؛ قال - تعالى -: ﴿يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّاتًا لَهُمْ أَفْسَاهُمْ فَهُمْ يَمَهِّوْنَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَلَّذِي الْفُرْقَانَ مِنْ لَّدُنِّي حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا سَتِيكًا مِّنْهَا يَخْرُجُ أَوْ آتِيكًا بِشَبَابٍ قَبَسٍ لَمَّا كَرِهَ تَصَلُّوْنَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمُوسَىٰ إِنَّهُ وَأَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهُ جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَرُوَيْقَبٌ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسْبًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْجُجُ بَيْضَاءَ مِنْ عَيْرٍ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ﴾ عندي ﴿الْمَرْسَلُونَ﴾ من حبة وغيرها.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَلْ حَسْبًا﴾ أنه ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي: تاب ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أقبل التوبة وأغفر له.

[١٢] ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طوق قميصك ﴿تَخْجُجُ﴾ بخلاف لونها من الأدمة^(٤) ﴿بَيْضَاءَ مِنْ عَيْرٍ سُوءٍ﴾ برص، لها شعاع بُعْثِي^(٥) البصر، آية ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾^(٦) مرسلًا بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٣﴾

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ مضئية واضحة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يُبْرِتُ ﴿بَيْنَ ظَاهِرٍ﴾

(١) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون: «بشهاب».

(٢) على تفسيره الأول أن من في النار هو موسى، ويكون التقدير: أن بورك من في مكان النار.

(٣) قال ابن كثير: أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئًا في مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من صنعاته، وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات، ولا تكتنفه الأرض والسموات؛ بل هو الأحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات.

(٤) أي الشمرة، وفي هذا رد على أهل الكتاب وما جاء في كتبهم أنها خرجت برصاء مثل الطلح.

(٥) إن شعاعها يجعل البصر «أعشى»، وفي بعض النسخ: «بُعْثِي» بالعين المعجمة، وهو تصحيف.

(٦) تقدم بيانها في تفسير آية رقم (٧٥) من سورة يونس.

بالبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .
 [١٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾ أي: فهم أصواته ﴿وَأَوْيَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تؤناه الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الموتى ﴿هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي﴾ البئس الظاهر.
 [١٧] ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ في مسير له ﴿فَهُمْ يُورِثُونَ﴾ يجمعون ثم يساقون.

[١٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَارَىٰ عَلَىٰ وَادِ النَّعْلِ﴾ هو بالطائف أو بالشام، غله صغار أو كبار ﴿قَالَتْ نَمَلَةٌ﴾ ملكة النمل وقد رأت جند سليمان: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّعْلُ أَذْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ﴾ بكسر نكم ﴿سُلَيْمَانُ جُنُودُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ﴾ نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم.

[١٩] ﴿فَتَبَسَّرَ﴾ سليمان ابتداء ﴿صَاحِكًا﴾ انتهاء ﴿مِن قَوْلِهَا﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح؛ فحس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير (١) ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَىٰ وَعَلَىٰ ذَلِكِ﴾ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلَّةٍ بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْفَصْلِيحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء.

[٢٠] ﴿وَتَقَدَّ الطَّيْرُ﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل عليه بقره فيها؛ فستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يره ﴿فَقَالَ مَا لَكَ لَا أَرَىٰ الْهُدْهُدَ﴾ أي: أعرض لي ما منعي من رؤيته ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ فلم أره لغيبته؟ فلما تحققها.

[٢١] قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّ عَذَابًا﴾ تعذيبا ﴿سَكِيدًا﴾ ينتف ريشه وذئبه ورميه في الشمس؛ فلا يتنع من الهوام (٢) ﴿أَوْ لَأَذِجَنَّهٗ﴾ بقطع حلقومه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي﴾ بنون مشددة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة (٣) ﴿يَسْأَلُنِي تُبِينُ﴾ بيهان بين ظاهر على عُذْرِهِ.

[٢٢] ﴿فَتَمَكَّنْتُ﴾ بضم الكاف وفتحها (٤) ﴿فَبَرَّ بَيْدًا﴾ يسيرا من الزمن، وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذئبه وجناحيه؛ فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَحِشْتَلْتُ مِنْ سَيِّئٍ﴾ بالصرف وتركه (٥): قبيلة باليمن، سميت باسم جد لهم باعتبارها صُرِفَ ﴿بِنَبِيٍّ﴾ خير ﴿بِقَيْنٍ﴾.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْيَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُورِثُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا تَوَارَىٰ عَلَىٰ وَادِ النَّعْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّعْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ جُنُودُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ فَتَبَسَّرَ صَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلَّةٍ بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٢١﴾ وَتَقَدَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَىٰ الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٢﴾ لَأُعَذِّبَنَّهٗ وَعَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذِجَنَّهٗ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ فَمَكَتْ عَنِّي رَاعِدٌ فَقَالَ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِشْتَلْتُكَ مِنْ سَيِّئٍ بِنَبِيٍّ بِقَيْنٍ ﴿٢٤﴾

[١٤] ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ لم يقرؤا ﴿وَوَ﴾ قد ﴿اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ أي: تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى، راجع إلى الجحد ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ التي علمتها من إهلاكهم.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًا﴾ بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَ﴾ شكرا لله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾

(١) مثل هذه التفاصيل لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها، وغالبا ما تكون من الإسرائيليات. وقوله: «حملته إليه الريح» يعارض نص الآية؛ فقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَارَىٰ عَلَىٰ وَادِ النَّعْلِ﴾ يعني: وصولهم إليه.

(٢) لا دليل على أن العذاب الذي توعد به سليمان العذاب هو هذا الذي ذكره المصنف الجلال المحلي، والآية أطلقت العذاب ووصفته بالشدّة.

(٣) وهذه الأخيرة قراءة ابن كثير.

(٤) بالضم قراءة السبعة عدا عاصم.

(٥) قرأ أبو عمرو والبرقي بفتح الهمزة من غير تنوين، وقرأ قبيل ياسكانها.

إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكَ نَبِيٌّ هَذَا فَاَلْقَهُ إِلَيْهِمْ فَأَنْظَرُوا لَهُمُ الْمَلَائِكَةَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَالِي وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُوتَنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسِنَّةِ شَيْدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَرَجِّ الْمَرْسُولِ ﴿٣٥﴾

﴿٣٤﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ: أي: مرسلو الكتاب^(٨).
 ﴿٣٥﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَرَجِّ الْمَرْسُولِ: من قبول الهدية أو ردّها؛ إن كان ملكاً قبلها، أو نبيّاً لم يقبلها؛ فأرسلت خدماً ذكوراً وإناتاً ألفاً بالسوية وخمسائة لينة من الذهب، وناجياً مَكَلَّلًا بالجواهر ومسكاً وغيرنا وغير ذلك مع رسول بكتاب؛ فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر؛ فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ مبدأ، وأن يبنوا حوله حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن من يمين الميدان وشماله^(٩).

﴿٢٣﴾ ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ﴾: أي: هي ملكة لهم اسمها «بلقيس» وأوتيت من كل شيء، يحتاج إليه الملك من الآلة والعدة ﴿وَمَا عَرْشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٌ﴾ طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً، مضروب من الذهب والفضة، مَكَلَّلٌ بِالذَّوِّ وَالْباقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، وقوامه من الباقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلقة^(١).

﴿٢٤﴾ ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: أي: أن يسجدوا له، فريدت «لا» وأدغم فيها نون «أن»؛ كما في قوله - تعالى -: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾^(٢) والجملة في محل مفعول ﴿يَهْتَدُونَ﴾، بإسقاط «إلى» ﴿الَّذِي يَخْرِجُ الْحَبَّ﴾: مصدر بمعنى: الخبوء من المطر والنبات ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ﴾^(٣) في قلوبهم ﴿وَمَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) بالستهم.

﴿٢٦﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: استئناف، جملة شاء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم.

﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ﴾: سليمان للهدد: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ﴾: فيما أخبرتنا به ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: أم كذبت فيه، ثم دلّهم على الماء فاستخرج ارتووا وتوضفوا وصلوا، ثم كسب سليمان كتاباً صورته: «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تلعوا عليّ وأتوني مسلمين»، ثم طبعه بالمسك وخطمه بخاتمه^(٥) ثم قال للهدد:

﴿٢٨﴾ ﴿أَذْهَبَ بِكَ نَبِيٌّ هَذَا فَاَلْقَهُ إِلَيْهِمْ﴾: أي: بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾: انصرف ﴿عَنَّهُمْ﴾ وقف قريباً منهم ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: يردون من الجواب؛ فأخذها وأتاها وحولها جندها وألقاها في حجرها، فلما رآته ارتعدت وخضعت خوفاً، ثم وقفت على ما فيه.

﴿٢٩﴾ ﴿ثُمَّ قَالَتْ﴾: لأشرف قومها: ﴿يَأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبيها واوا مكسورة^(٦) ﴿الَّتِي إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾: مختوم.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾: أي: مضمونه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَالِي وَاتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُوتَنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: قاضيته ﴿حَتَّى تَشْهَدُونَ﴾: تحضرون.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسِنَّةِ شَيْدٍ﴾: أي: أصحاب شدة في الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: منا نطغلك.

(١) لا دليل على مثل هذه التفاصيل ولا فائدة في ذكرها، وسبق التعليق على مثل هذه الإسرائيليات، وأن الأولى في تفسير كلام الله ﷻ أن لا يعتمد إلا ما هو قطعي وأن يترك المفسر تفصيل ما أجمله الله ﷻ.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) قرأ حفص والكسائي: «تخفون» بالياء، والباقون بالياء: «بخفون».

(٤) قرأ حفص والكسائي: «تعلنون» بالياء، والباقون بالياء: «يعلمون».

(٥) هذه التفاصيل والدقائق لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها.

(٦) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٨) اختار المصنف أن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من تمام كلام المرأة. وقد ذهب غيره إلى أنه من كلام الله تعالى تصديقاً لقولها، وأن الوقف على ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً﴾ وقف تام.

(٩) لا دليل صحيح على ذلك أيضاً، والأولى ترك حشو التفسير بذكره.

[٣٩] ﴿قَالَ عَفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ﴾ هو القوى الشديد: ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ الذي تجلس فيه للقصاء؛ وهو: من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَأِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

[٤٠] ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المنزل؛ وهو: «أصف بن برخيا»، كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أُجيب ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء، فقال له: «انظر إلى السماء»؛ فنظر إليها، ثم ردَّ بظرفه فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا «أصف» بالاسم الأعظم أن يأتي الله به؛ فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان^(٥) ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ ساكناً ﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا﴾ أي: الإتيان لي به ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُغَنِي﴾ لخبيرني ﴿أَشْكُرُ﴾ بتحقيق المهززين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المهسلة الأخرى وتركه^(٦) ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ النعمة ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها؛ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَأَن رَّبِّي عَنِّي﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ بالأفضال على من يكفرها.

[٤١] ﴿قَالَ نَكُرُوهُمَا عَرِشَهَا﴾ أي: غيرهه إلى حال تنكره إذا رأته ﴿تَنْظُرُ أَهْتَدِي﴾ إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختيار عقلها لما قيل: إن فيه شيئاً. فغيروه بزيادة أو نقص وغير ذلك.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾ لها: ﴿أَكْمَدَا عَرِشًا﴾ أي: أمثل هذا عرشك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها؛ إذ لم يقل: أهدا عرشك. ولو قيل: هذا. قالت: نعم. قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلماً: ﴿وَأَوَيْنَا الْوَالِدَ مِنْ قَبْلِهَا وَنَا سُلَيْمِينَ﴾.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عبادة الله ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضاً: ﴿أَدْخُلِي الصَّرْحَ﴾ هو سطح من زجاج أيضاً شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك، اصطنعه سليمان لما قيل له: «إن ساقياها وقدميها ققدمي الحمار»^(٧) ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِئَتْ لِحْجَةً﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ لتخوضه، وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقياها وقدميها حسناً ﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿وَمِنْ قَوَارِيرٍ﴾ من زجاج، ودعاهها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ عبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأراد تزوجها ففكرة شغز ساقياها؛ فعملت له الشياطين الثورة فأزالته بها؛ فزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان^(٨) - روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة - فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه.

فَأَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَاءَ آتِنَا لِلَّهِ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُودٍ لَا قِيلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُو الْبُكْرَ يَأْتِينِي بِعَرِشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُغَنِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ إِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَجِي عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكُرُوهُمَا وَعَرِشَهَا تَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَذَا عَرِشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوَيْنَا الْوَالِدَ مِنَ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا أَدْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرسول بالهدية معه أتباعه ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَاءَ آتِنَا﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنْتُمْ يَهْتَدُونَ لَفَرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

[٣٧] ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُودٍ لَا قِيلَ﴾ لا طاقة ﴿لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ من بلد سبأ، سميت باسم أبي قبيتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إن لم يأتوني مسلمين؛ فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وغلقت الأبواب وجعلت عليها حرساً، وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قتل، مع كل قتل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها^(١).

[٣٨] ﴿قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُو الْبُكْرَ﴾ في المهززين ما تقدم^(٢) ﴿وَأَيُّنِي بِعَرِشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ متقادين طائعين^(٣)، ﴿فَلْيُأْخِذْهُ قَبْلَ ذَلِكَ لَعَبْدَهُ﴾^(٤).

(١) سبق التعليق على هذه الأخبار ونحوها من الإسرائيليات.

(٢) جمهور المفسرين أن هذه المقالة من سليمان محيي هديتها وردها إياها. (٤) قاله قتادة وعطاء وزهير بن محمد وغير واحد، وألغى أنهم حتى أسلموا حرمت أموالهم.

(٥) سبق التعليق على نحو هذه الأخبار، وأنه لا دليل عليها، ولا فائدة في ذكرها.

(٦) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٧) أحسن ما قيل في بناء الصرح هو أنه أراد أن يربها ملكاً أعظم من ملكها ليكون حاملاً لها على أن تسلم. وما قيل غير ذلك إسرائيلييات لا تثبت ولا تليق بمقام النبوة.

(٨) مثل هذه السياقات والدقائق التي ذكرها المفسر الأقرب فيها أنها منقلبة عن أصل الكتاب مما يوجد في صحفهم؛ كروايات كعب ووهب، فيما نقلنا إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما خوف وتبدل ونُسِخ، وقد أغنانا الله - سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأوضح وأبلغ.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ آيَاتِنَا مِنْ الْقَبِيلَةِ ﴿صَلِّحًا أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ومُحَذِّوهُ ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدين، فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم، وفريق كافرون.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ للمكذابين: ﴿يَنْقُورُ لِمَ سَتَمَجِلُونَ بِالنَّيْتَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: بالعباد قبل الرحمة؛ حيث قلتم: «إن كان ما أتينا به حقاً فاتنا بالعباد» ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿سَتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فلا تعدبون؟

[٤٧] ﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكُفْرِنَا﴾ أصله تطييراً؛ أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل؛ أي: تشاء منا ﴿بِكُفْرِنَا﴾ وبِمَن مَعَكَ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ حيث فُحِطُوا بالمطر^(١) وجاعوا ﴿قَالَ طَطَّيَّرْنَاكُمْ﴾ شوكمكم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أتاكم به ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون بالخير والشّر.

[٤٨] ﴿وَكُنَّا فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة ثمود ﴿بِتَمَعَةٍ رَهْطٍ﴾ أي: رجال يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿بِالْمَعَاصِي﴾؛ منها: قرضهم الدنانير والدرهم ﴿وَلَا يُصَلِّحُونَ﴾ بالطاعة.

[٤٩] ﴿قَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿تَنَاسَّوْا﴾ أي: اخلفوا ﴿بِاللَّهِ لِنَبِيِّتِهِ﴾ بالنون والتاء وضم التاء الثانية^(٢) ﴿وَأَهْلِهِ﴾ أي: من آمن به؛ أي: نقلهم ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنون والتاء وضم اللام الثانية^(٣) ﴿لَوْلِيَّتِهِ﴾ لولي دمه ﴿مَا سَهَدْنَا﴾ حضراً ﴿مُنْهَلِكٍ﴾ أهليه. بضم الميم وفتحها^(٤)؛ أي: إهلاكهم أو هلاكهم؛ فلا ندري من قتلهم ﴿وَأِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿وَمَكْرُوا﴾ في ذلك ﴿مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا﴾ أي: جازيناهم بتعجيل عقوبتهم^(٥) ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ أهلكتناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَتَمِّعِينَ﴾ بصيحة جبريل، أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم.

[٥٢] ﴿فَقِيلَ﴾ بِوَيْتِهِمْ ﴿حَاوِيَةً﴾ أي: خالية، ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بظلمهم؛ أي: كفرهم ﴿وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قدرتنا؛ فيعتظون.

[٥٣] ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بصلاح، وهم أربعة آلاف ﴿وَصَكَرُوا﴾ يَشْتَرُونَ ﴿الشَّرْكَ﴾.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالنَّيْتَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَعْفِرُونَ اللَّهَ لَعَدَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكُفْرِنَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَكْرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٨﴾ فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَوْلَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ حَشَاةً وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٥١﴾ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي كُنَّا لَآتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النَّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ ﴿٥٢﴾

[٥٤] ﴿وَلَوْلَا﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدراً قبله، ويبدل منه: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ حَشَاةً﴾ أي: اللواط ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ أي: يبصر بعضكم بعضاً انهماكاً في المعصية؟

[٥٥] ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(١) ﴿لَآتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النَّسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ ﴿عاقبة فعلكم.

(١) أي: احتبس عنهم المطر.

(٢) بالتاء وضم التاء الثانية قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالتاء وضم اللام الثانية قراءة حمزة والكسائي.

(٤) بضم الميم وفتح اللام قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ شعبة بفتحها وحذف بكسر اللام.

(٥) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أُنشئها ربنا ﷻ لنفسه، ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به. شُجَّانَةٌ، هي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها، وكذا لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع.

(٦) سهل الثانية مع إدخال الألف قالون وأبو عمرو، ومن غير إدخال ورش وابن كثير وحققها هشام مع الإدخال وعدمه، وبقيّة السبعة كذلك من غير إدخال.

الْعَذَابِ ﴿٥٨﴾ الْغَيْرِينَ ﴿٥٩﴾ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكهم

﴿فَسَاءَ﴾ بئس ﴿مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ بالعذاب مطرهم.

[٥٩] ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿لَتَلْمِذٌ لِّهِ﴾ على هلاك الكفار من الأمم الخالية

﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ عِبَادِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ﴾ هم ﴿عَالَمٌ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال

الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركة^(١) ﴿حَبْرٌ﴾

من يعبده ﴿أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالباء والياء^(٢)؛ أي: أهل مكة به؛ أي: الآلهة

خير لعبديها.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَنْبَتْنَا فِيهِ النَّفَاتِ مِنَ الْغَيْبِ إِلَى التَّكْلِمْ ﴿بِهِ حَدَائِقٌ﴾ جمع حديقة؛

وهو: البستان المحوط ﴿ذَاتِ بَهْجَةٍ﴾ حُشِنَ ﴿مَا كُنَّا لَكُنَّ أَنْ تُشْبِتُوا

شَجَرَهَا﴾ لعدم قدرتك عليه ﴿أَوَّلُهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية

وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضع السبعة^(٣) ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ أعانه

على ذلك؛ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله غيره.

[٦١] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تمد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَافَهَا﴾ فيما

بينها ﴿أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا﴾ جبالاً أُنْبِتَ بِهَا الْأَرْضَ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَوَّلُهُ﴾ مع

اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيده.

[٦٢] ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَا

وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْمَعُ خَلْقَ الْأَرْضِ﴾ الإضافة

بمعنى: في؛ أي: يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَوَّلُهُ﴾ مع اللَّهِ قَلِيلًا مَا

تَذَكَّرُونَ﴾ تعظون؛ بالفوقانية والتحتانية^(٤)، وفيه إدغام التاء في الذال،

و﴿مَا﴾ زائدة لتقليل القليل.

[٦٣] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ﴾

وَالْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا﴾

بِتَبَيُّنٍ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿أَوَّلُهُ﴾ مع اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

به غيره.

* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَقَدَّرْنَا مِنْهَا مِنَ الْعَاقِبِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٦٠﴾ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْمَعُ خَلْقَ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

[٥٦] ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾

أهله ﴿وَمِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ إنهم أناسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ من أذبار الرجال.

[٥٧] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَقَدَّرْنَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿وَمِنْ

(١) هذا سبق قلم من الشارح؛ لأن هذه الوجوه لم يقرأ بها أحد من القراء، وغاية ما أجازوه: وجهان فقط؛ تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مثلاً لازماً.

(٢) بالياء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

(٣) أي وتركة، وقوله: «في مواضع السبعة أي: مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة، وهي لفظ (أله) خمس مرات (وألفاً) و(أثلاً). وانظر التعليق على الآية رقم (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) بالتحتمانية مع تشديد الذال قراءة أبي عمرو وهشام، وقراءة الباقيين بالياء لكن مع التشديد لنا مع التثنية، ومن غير تشديد لخص وحمة والكسائي.

[٦٤] ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ بِالْمَطَرِ﴾ وَالْأَرْضِ ﴿وَالنَّبَاتِ﴾ أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ أَي: لا يفعل شيئاً ما ذكر إلا الله، ولا إله معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن معي إليها فعل شيئاً ما ذكر، وسألوهُ عن وقت قيام الساعة؛ فنزل: [٦٥] ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿الْيَوْمَ﴾ أَي: ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿اللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أَي: كفار مكة كثيرهم ﴿إِنَّا﴾ وقت ﴿يَبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلْ﴾ بمعنى: هل ﴿أَذْرَكَ﴾^(١) وزن أكرم، وفي قراءة أخرى: ﴿أَذْرَكَ﴾ بتشديد الدال، وأصله تدارك؛ أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، واحتجبت همزة الوصل؛ أَي: بلغ ولحق، أو تتابع وتلاحق ﴿عَلِمْتُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أَي: بها حتى سألوها عن وقت مجيئها، ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهَا﴾ من عمى القلب، وهو أبلغ مما قبله، والأصل «عميون»؛ استنقلت الضمة على الباء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

[٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيضاً في إنكار البعث: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَعِجَابًا﴾ أَياً لَمُخْرَجُونَ ﴿من القبور.

[٦٨] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ ﴿جمع أسطورة بالضم؛ أَي: ما سطر من الكذب.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بإنكارهم^(٢)؛ وهي: هلاكهم بالعذاب.

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تسليبة للسبي ﴿قُلْ﴾ أَي: لا تهتم بمكرهم عليك؛ فإننا ناصرهم عليهم.

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ﴾ قرب ﴿لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فحصل لهم القتل بيدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم.

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ تُرْعِدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي
شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهَا عَمُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا
كُنَّا تُرَابًا وَعِجَابًا أَياً لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا
نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى
أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

[٧٥] ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الهاء للمبالغة؛ أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يبين؛ هو: اللوح المحفوظ، ومكنون^(٣) علمه - تعالى، ومنه تعذيب الكفار.

[٧٦] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبيِّنا ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَي: بيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا.

(١) وهي فراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿أَذْرَكَ﴾.

(٢) في نسخة: «إنكارهم».

(٣) وهذا تفسير ثانٍ، فالواو هنا بمعنى (أن).

بتوحيد الله.

وَأَنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وُلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمَعُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ تَحْشُرُنَّ كُلَّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّنْ يُكْذِبُ بِآيَاتِنَا فِئْتَانًا ۚ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَمَمًا ۚ لَا يَسْمَعُونَ ۚ وَأَنبِيَاؤُهُمْ يَتَّبِعُونَ ۚ وَتُحِيطُونَ بِمَا لَمْ يَحِيطُوا بِهَا ۚ وَتَلْقَوْنَ فِيهَا دَابَّةً تَكَلِّمُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ مُّسْمِعُونَ ۚ فَذُكِّرُوا ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَفَعُوا أَصْوَارَهُمْ ۚ وَكَلَّمُوا رَبَّهُمْ ۚ لَأَسْمَعُوا ۚ وَلَٰكِن كَانُوا تُفْسَدُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَمَمًا ۚ لَا يَسْمَعُونَ ۚ وَأَنبِيَاؤُهُمْ يَتَّبِعُونَ ۚ وَتُحِيطُونَ بِمَا لَمْ يَحِيطُوا بِهَا ۚ وَتَلْقَوْنَ فِيهَا دَابَّةً تَكَلِّمُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَمَمًا ۚ لَا يَسْمَعُونَ ۚ وَأَنبِيَاؤُهُمْ يَتَّبِعُونَ ۚ وَتُحِيطُونَ بِمَا لَمْ يَحِيطُوا بِهَا ۚ وَتَلْقَوْنَ فِيهَا دَابَّةً تَكَلِّمُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَمَمًا ۚ لَا يَسْمَعُونَ ۚ وَأَنبِيَاؤُهُمْ يَتَّبِعُونَ ۚ وَتُحِيطُونَ بِمَا لَمْ يَحِيطُوا بِهَا ۚ وَتَلْقَوْنَ فِيهَا دَابَّةً تَكَلِّمُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨٨﴾

[٨٢] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعبودية، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿[إِنَّ] النَّاسَ كَفَرُوا﴾ مكية^(٢)، وعلى قراءة: فتح همزة ﴿[إِنَّ]﴾^(٣) تقدر الباء بعد ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر^(٤)، كما أوحى الله إلى نوح: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ﴾^(٥).

[٨٣] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ وهم رؤساؤهم المتبعون ﴿فَهُمْ يُؤْرَثُونَ﴾ أي: يجمعون يرد أحرمهم إلى أولهم، ثم يساقون.

[٨٤] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم: ﴿أَكْذَبْتُمْ﴾ أنبيائي ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ من جهة تكذيبكم ﴿يَا عِلْمًا أُمَّةً﴾ فيه إدغام «ما» الاستفهامية^(٦) ﴿ذَكَرَ﴾ موصول؛ أي: ما الذي ﴿كُتِّمْتُمْ تَمَلُّونَ﴾ مما أمرتم به؟

[٨٥] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ إذ لا حجة لهم.

[٨٦] ﴿وَأَنبِيَاؤُهُمْ يَتَّبِعُونَ﴾ خلقنا ﴿الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ﴾ كغيرهم ﴿وَالنَّهَارُ مُبْصِرٌ﴾ بمعنى: يصير فيه ليصرفوا فيه ﴿وَأَنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصا بالذكر لانقاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّمُورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرائيل ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى: ﴿فَصَعِقَ﴾ والتعبير فيه بالماضي؛ لتحقق وقوعه. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: جبريل وميكائيل وإسرائيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء؛ إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون. ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه؛ أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَنزُوهُ﴾ بصيغة الفعل، واسم الفاعل^(٧) ﴿ذَخِيرِينَ﴾ صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه.

[٨٨] ﴿وَنَزَىٰ الْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسَبُهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها لعظمها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ المطر^(٨) إذا ضربته الريح؛ أي: تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبنوثة، ثم تصير كالعجين، ثم تصير حياة منثورا^(٩) ﴿سَمِعَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله؛ أي: صنع الله ذلك صنعا ﴿الَّذِي أَنْفَرَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ﴾ بالباء والتاء^(١٠)؛ أي:

[٧٧] ﴿وَأَنَّهُ لَهْدَىٰ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب.
[٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي: عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ الغالب ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.
[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ نفي به ﴿أَنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الدين البين، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعمى، فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الباء^(١١) ﴿وُلُّوا مُدْبِرِينَ﴾.
[٨١] ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفعالهم وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُسْمَعُونَ﴾ مخلصون

(١) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.
(٢) كما عند مسلم في الإيمان (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» رواه مسلم (١٥٨).
(٣) هود: ٣٦.
(٤) فقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو؛ أي: «تأوه»، وهي قراءة السبعة عدا حفص وحزمة.
(٥) هذا الذي ذهب إليه المفسر من أن المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين، ورجح البعض أن المراد بذلك في الدنيا، ويكون إشارة إلى دوران الأرض، بحسبها أهلها ساكنة وهي متحركة، لأن قوله: ﴿وَنَزَىٰ الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ لا يناسب مقام التهليل والتخريف، وكذلك قوله: ﴿الَّذِي أَنْفَرَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا يناسب مقام الإبادة والإهلاك. ولأن سير الجبال للقاء يوم القيامة يحصل عند إهلاك جميع الخلاق وهذا لا يراه أحد من البشر، كما أنه إذا رآه أحد شعر به، فيحس بحركتها، وهذا يناهني قوله: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فنكون هذه الآية وما قبلها من قوله: ﴿وَأَنبِيَاؤُهُمْ يَتَّبِعُونَ﴾ اعتراضا في سياق الآيات الدالة على أحوال الحشر وأحوال يوم القيامة. فالله أعلم بمراده.
(٦) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ وَحَيْرٌ مِمَّا وَهَرِمْنَ فَرَجٌ يَوْمَئِذٍ أَمُونٌ ﴿٨٨﴾
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهٌ هُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا
 مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ
 الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 ﴿٩٠﴾ وَأَنْ أَتَلُوا الْقُرْآنَ أَنْ قَمِنَ أَهْدَىٰ وَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
 وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩١﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَسُوا عَلَيْكَ
 مِنْ بَنِي مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
 فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
 طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَ هَمْرٍ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
 مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
 فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ

مكية إلا: ﴿١﴾ الذي فرض عليك القرآن ﴿٢﴾ الآية، نزلت بالجحفة،
 وإلا: ﴿٣﴾ الذين آتيتهم الكتاب ﴿٤﴾ إلى: ﴿٥﴾ لا ينبغي الجاهلین، وهي:
 سبع، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد النمل]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿طَسَمَ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.
 [٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿الْكِتَابِ﴾ الإضافة بمعنى: من
 ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر الحق من الباطل.
 [٣] ﴿نَسُوا﴾ نقص ﴿عَلَيْكَ مِنْ بَنِي مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾

الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأجلهم؛ لأنهم المنفعون به.

[٤] ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تعظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ
 أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ هم: بنو إسرائيل
 ﴿يَتَّبِعُ أَبْنَاءَ هَمْرٍ وَنِسَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ﴾ يستبقيهن أحياء؛ لقول
 بعض الكهنة له: ﴿إِنْ مَوْلُودًا يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ زَوَالِ مَلِكِكَ﴾
 ﴿إِنَّهُ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

[٥] ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾
 بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية بياء^(١)؛ يُقْتَدَىٰ بِهِمْ فِي الْحَيْرِ ﴿وَنَجْعَلَهُمُ
 الْوَارِثِينَ﴾ مُلْكُ فِرْعَوْنَ.

(١) هذا قول كثير من المفسرين، وقيل بل هي للفضل، والمراد ثواب الله ورضوانه خير من عمل العبد وقوله وذكره. ذلك أن بعض المفسرين رجح أن المراد بالحسنة هنا يعم جميع الحسنات قولية أو فعلية أو قلبية، وهو هنا لأقل التفضيل، فقد بين - سبحانه - في سورة الأنعام أن له عشر أمثاله.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) بالإضافة مع كسر الهمزة قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. ومع فتحها قراءة نافع، وقرأ الباقون منوناً وفتح الهمزة ﴿فَرَجٌ يَوْمَئِذٍ﴾.

(٤) أي لا يقطع حشيشها الرطب.

(٥) بآباء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٦) راجع التعليق على الآية (٧٢) من سورة الأنبياء.

وألقته في بحر النيل ليلاً.

[٨] ﴿فَالْقَلْبَ لَهَا﴾ بالنابوت صبيحة الليل ﴿ءَال﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعه بين يديه، وفتح وأخرج موسى منه وهو يصر من إبهامه لبناً^(١) ﴿لَيْكُونَ لَهُمْ﴾ في عقبه الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة^(٢): بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كـ «أحزنه» ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهِنَّ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾ من الخطيئة؛ أي: عاصين؛ فعوقبا على يديه.

[٩] ﴿وَقَالَتْ أُمَّرَأْتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد همَّ مع أعوانه بقتله هو: ﴿فَرَأَتْ عَيْنِي لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُونِي عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنِي أَوْ يَشْخِذَنِي وَلَكِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينِي﴾ ﴿وَقَالَتْ أُمَّرَأْتُ فِرْعَوْنَ فَرَأَتْ عَيْنِي لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُونِي﴾ بعاقبة أمرهم معه.

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالنقطة ﴿فَرِيحًا﴾ مما سواه ﴿إِنَّ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي: بأنه ابنها ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِكِ بِالصَّبْرِ﴾ أي: سكتناه ﴿لَتَكُونِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

[١١] ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ مريم: ﴿فَقُصِّيتُ﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصَّرْتِ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَن جُنُبٍ﴾ من مكان بعيد اختلافاً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته وأنها ترقبه.

[١٢] ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلٍ﴾ أي: قبل رده إلى أمه؛ أي: منقنأه من قبول ثدي مرضعة غير أمه؛ فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته: ﴿هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿بِكُفُلِهِمْ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُمْ لَصِيحُونَ﴾ وفسرت ضمير: ﴿لَهُمْ﴾ بالملك، جواباً لهم^(٤)، فأجبت فجاءت بأمه؛ فقبل ثديها، وأجابته عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن؛ فأذن لها في إرضاعه في بيتها؛ فرجعت به؛ كما قال - تعالى -: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بِرُؤْيَاهُ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذٍ ﴿وَلَتَسْلَمَنَّ﴾ وَعَدَّ اللَّهُ بِرُؤْيَاهُ ﴿حَقُّ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴿أَي: النَّاسِ﴾ لَا يَعْلَمُونَ ﴿بِهَذَا الْوَعْدِ﴾ وَلَا بَأْنَ هَذِهِ أُخْتُهُ وَهَذِهِ أُمُّهُ، فمكث عندها إلى أن قطعت، وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربي، فأنت به فرعون فترى عنده كما قال - تعالى - حكاية عنه في سورة الشعراء: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ مِنزِينًا﴾^(٥).

وَمِمَّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَلَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِيفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيَةَ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾ فَالْقَلْبَ لَهَا وَأَلْ فِرْعَوْنَ لَيْكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَلَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿١٢﴾ وَقَالَتْ أُمَّرَأْتُ فِرْعَوْنَ فَرَأَتْ عَيْنِي لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُونِي عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنِي أَوْ يَشْخِذَنِي وَوَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيحًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ هُ فُصِّيتُ بِبَصَّرْتِ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١٦﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَعِنَّا أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾

[٦] ﴿وَمِمَّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَلَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة^(١): ﴿وَنُرِي﴾ بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿يَنْهَمُ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام، أو: منام ﴿إِنَّ أُمَّرَأَتِ مُوسَىٰ﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولاده غير أخته ﴿أَنَّ أَرْضِيهِ فَإِذَا خِيفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيَةَ فِي الْيَمِّ﴾ البحر؛ أي: النيل ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لغرافه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، لا يبكي، وخافت عليه؛ فوضعت في تابوت مطلي بالقار من داخل مهد له فيه، وأغلقت،

(١) حمزة والكسائي.

(٢) هذه التفصيلات لا فائدة من ذكرها، ولا دليل عليها؛ فالأولى أن يسان التفسير عنها.

(٣) حمزة والكسائي.

(٤) لا ينبغي أن يكون قولها: ﴿وَهُمْ لَهُمْ لَصِيحُونَ﴾ أي للطفل؛ فلا يقصرون في خدمته وتربيته. وصنيع المصنف يشير إلى ما جاء عن ابن عباس: أنها لما قالت ذلك أخذوها وشكروا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصيحهم له وشفتهم عليه؟ فقالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون؛ فخلصت بذلك من الشر.

(٥) الشعراء: ١٨.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو: ثلاثون سنة، أو: ثلاث ﴿وَأَسْتَوَى﴾ أي: بلغ أربعين سنة^(١) ﴿وَأَيَّدْتَهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعَلَّمَهَا﴾ فقها في الدين قبل أن يعث نبياً^(٢) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿بِحُجْرَةِ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

[١٥] ﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون؛ وهي: «منف» بعد أن غاب عنها مدة ﴿وَعَلَى بَيْنِ عَقْلَيْنِ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القبلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ﴾ أي: إسرائيلي ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: قبطي يُسَخِّرُ الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿فَأَسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعِيهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقال له موسى: حُلْ سَبِيلَهُ. فقبل: إنه قال لموسى: «لقد هممت أن أحمله^(٣) عليك» ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾ أي: ضربه بجمع كفه، وكان شديداً القوة والبطش ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ قتله، ولم يكن قصد قتله^(٤)، ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَذَا الَّذِي قَتَلْتَهُ مِنَ الْعَبْدِ الشَّيْطَانِ الْمُهَيَّجِ غَضَبِي﴾ إنَّهُ عَدُوٌّ لابن آدم ﴿مُتَّبِعٌ﴾ له ﴿مُتَّبِعٌ﴾ بَيْنَ الْإِضْطِلَالِ.

[١٦] ﴿قَالَ﴾ نادماً: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاعْفِرْ لِي فَعَفَّرَ لَهُ﴾ أَيْسَرُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. أي: المتصف بهما أولاً وأبداً.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْتَمَّتْ﴾ بحق إنعامك^(٥) ﴿عَلَيَّ﴾ بالمغفرة، اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا﴾ عوناً ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بعد هذه، إن عصمتي.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتل ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِعُهُ﴾ يستغيث به على قبلي آخر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُبِينٌ﴾ بَيْنَ الْغَوَايَةِ لِمَا فَعَلْتَهُ الْأَمْسَ وَالْيَوْمَ.

[١٩] ﴿كَلَّمَآ أَن﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ موسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظاناً أنه يبشش به لما قال له: ﴿يَتَمُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ إن ما ﴿تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فسمع القبلي ذلك؛ فعلم أن القاتل موسى؛ فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك؛ فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى؛ فأخذوا في الطريق إليه.

[٢٠] ﴿رَجَاءَ رُجُلٍ﴾ هو: مؤمن آل فرعون ﴿مَنْ أَقْصَا الْمَدِينَةَ﴾ آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَتَمُوسَى إِنَّكَ

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى، أَيَّدْتَهُ حُكْمًا وَعَلَّمَهَا وَكَذَلِكَ بَحْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى بَيْنِ عَقْلَيْنِ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَعَفَّرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْتَمَّتْ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِعُهُ وَقَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَتَمُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَتَمُوسَى إِنَّ الْمَلَآئِئِمَّةَ يَأْتَمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴿٢٢﴾ لِحُوقِ طَالِبٍ، أَوْ غَوْتِ اللَّهِ إِيَّاهُ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوم فرعون.

الْمَلَآئِئِمَّةَ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمُرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ فَاخْرُجْ من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

[٢١] ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لِحُوقِ طَالِبٍ، أَوْ غَوْتِ اللَّهِ إِيَّاهُ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوم فرعون.

(١) الأظهر أن بلوغ الأشد مع الاستواء إشارة إلى عمر واحد، لا عمرين كما ذهب إليه المفسر، وأما تحديده بعمر معين فالغالب أن يكون ذلك في نحو الأربعين، حيث كمال القوة واعتدال المراج، وهما بلوغ الأشد والاستواء.

(٢) وقيل: المراد بالعلم أو بالحكم والعلم النبوة، وهو الأظهر، وهو الذي يتناسب مع قوله: ﴿رَبِّ إِنَّمَا أَنْتَمَّتْ عَلَيَّ﴾ فقد فسرها - أي النعمة - هنا بالمغفرة، ولا علم لموسى بالقتل بذلك إلا بالوحي. وأما القتل فوقع منه على سبيل الخطأ، وأما استغفاره فوجهه والله أعلم أن سبب خطئه الظلم هو شدة الغضب والتعجل في الانتقام، ولا يليق هذا بمكانته كسبي، وقيل: وجه استغفاره أنه لم يكن لسي أن يقتل حتى يؤمر.

(٣) أي الحطب.

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (٢٩٠٥) من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فإن الفتنة نجي، من هائنا - وأوماً بيده نحو المشرق - من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله ﷻ له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

(٥) قالها عنده للقسمة، واختار غيره أن المراد بسبب ما أنعمت به علي؛ فإياه حينئذ سببية.

وفي قراءة^(١): ﴿يُضْذِرُ﴾ من الرباعي؛ أي: يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي.

[٢٤] ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربهما، رَفَع حجرا عنها لا يعرفه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ لسفرة^(٢) من شدة حر الشمس، وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَوَيْرٌ﴾ محتاج؛ فرجعنا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانت ترجعان فيه، فسألها عن ذلك فأخبرتهما عن سقى لهما، فقال لإحداهما: «ادعيه لي»، قال - تعالى -: [٢٥] ﴿لِنَجَّاتِهِ إِحْدَهُمَا تَمَشَى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ أي: وضعة كُمٌ دزيعها على وجهها حياءً منه ﴿فَالْتِ إِتَى يَدْعُوكَ لِجِزْرِكَ﴾ سَقَيْتَ لَنَا ﴿فَأَجَابَهَا مُنْكَرًا فِي نَفْسِهِ أَخَذَ الْأَجْرَةَ﴾ كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريداه، فمشت بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها؛ فقال لها: امشي خلفي واديني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباهما؛ وهو: شعيب - عليه السلام^(٣) - وعنده عشاء، فقال: اجلس فتعش. قال: أخاف أن يكون عوضًا مما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضًا. قال: لا، عادتني وعادة آبائي نُفْرِي الضيفَ وَنُطْعِمُ الطعامَ. فأكل وأخبره بحاله^(٤)، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى: المقتصوص؛ من قُتِلَ القبطي، وقصدته قتلته، وخوفه من فرعون ﴿وَقَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

[٢٦] ﴿فَالْتِ إِحْدَهُمَا﴾ وهي الرسالة الكبرى أو الصغرى: ﴿بِتَأْتِي أَسْتَجِرَّةً﴾ اتخذها أجيروا برعى غنما بدلنا ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجِرَّتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ أي: استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنه، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»^(٥) وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعها؛ فرغب في إنكاحه.

[٢٧] ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ﴾ تكون أجيروا لي في رعي غنمي ﴿تَمَشَى جِجْجٌ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَمْتَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فَبَيْنَ عِنْدِكَ التَّمَامُ﴾ وما أريدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴿بِأَشْرَاطِ الْعَشْرِ سَسْجِدِي﴾ إِنْ شَاءَ اللَّهُ للتركيب^(٦) ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الوافين بالعهد.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قلته ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ﴾ الثمان أو العشر، و«ما» زائدة؛ أي: رعيه ﴿فَصَبَّيْتُ﴾ به؛ أي: فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكَيْلٌ﴾ حفيظ أو شهيد؛ فتم العقد بذلك، وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصي الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى يعلم شعيب^(٧).

وَلَمَّا تَوَجَّهَ يَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٤﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٥﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٦﴾ فَبَاءَهُ إِحْدَهُمَا تَمَشَى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِتَى يَدْعُوكَ لِجِزْرِكَ أَجْرًا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَاتَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَتْ إِحْدَهُمَا بَاتِيَّ اسْتَجِرَّةً إِنَّ خَيْرَ مِّنْ اسْتَجِرَّتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٨﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرِنِي تَمَشَى جِجْجٌ فَإِنْ أَمْتَمْتَ عَشْرًا فَبَيْنَ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَسْجِدِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿٣٠﴾

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿يَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ جهتها؛ وهي قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بـ«مدين» بن إبراهيم، ولم يكن يعرف طريقها ﴿فَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قصد الطريق؛ أي: الطريق الوسط إليها؛ فأرسل الله ملكا بيده عترة فانطلق به إليها^(١).

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي: وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿وَمِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ سواهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ جمع راع؛ أي: يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقي،

(١) وهذه التفاصيل لا دليل عليها ولا حاجة إليها، والغالب أنها من الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب، وخبر إرسال الملك إلى موسى عليه السلام ليده على الطريق، رواه ابن جرير عن السدي الصغير وهو كذاب. (٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُضْذِرُ﴾. (٣) وهي شجرة مرتفعة ليستظل بها.

(٤) في الجزم بأنه شعيب - عليه السلام - نظر؛ وقد اختلف أهل التفسير في ذلك على أقوال، والأرجح ومال إليه ابن كثير كونه غيره، لأن شعيب النبي كان قبل موسى بمدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة. ثم يبعد أن يترك قوم المؤمنين به بناته يعملن ويسقين ولا يقوما عنهن بذلك، والله أعلم.

(٥) هذه التفاصيل ونحوها مما ذكره المفسر من كيفية سقى موسى - عليه السلام - لهما لا دليل عليها، وإنما يتساهل رحمه الله في الاعتماد على الإسرائيليات، وقد سبق التعليق على ذلك. (٦) زوي هذا عن ابن عباس كما في مجمع الزوائد (٢٠٤/٨) وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبراز، وفي إسناد الطبراني عديد من أبي عمران الجوني؛ ضغفه ابن معين وغيره، ووقفه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات». وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه (٤٤١/٢) عن عمر بن الخطاب وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٧) قال المصنف ذلك بناء على اختياره أن الرجل الصالح هو شعيب النبي عليه السلام؛ فيكون صلاحه محققاً. وسبق بيان الراجح في ذلك وأنه غيره.

(٨) لا دليل على هذه التفاصيل، فالأدنى الاقتصار على ما أخبرنا الله - سبحانه - به. وسبق بيان أن أبا المرأتين ليس شعيب النبي على الراجح.

[٢٩] ﴿فَلَمَّا فَصَّي مُوسَىٰ الْأَجَلَ﴾ أي: رعيه؛ وهو: ثمان أو عشر سنين، وهو المظنون ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ زوجته ياذن أبيها نحو مصر ﴿وَأَنزَلَ﴾ أبصر من بعيد ﴿وَمِن جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿كَأَنَّهَا قَالَتْ لِأَهْلِهَا أَمْكُوثًا﴾ هنا ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي مَأْتِيكُمْ مِنْهَا﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بتلث الجيم^(١)؛ قطعة وشعلة ﴿مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفون، والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار؛ بكسر اللام وفتحها.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَنذَمَهَا تُورِيكَ مِنْ شَطِطِي﴾ جانب ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ موسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل من: ﴿شَطِطِي﴾ بإعادة الجار لباتها فيه؛ وهي: شجرة عثاب أو علق أو عوسج^(٢) ﴿أَنْ﴾ مفسرة، لا مخففة ﴿يَمُوسَىٰ﴾ إمّا ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٣١] ﴿وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَيَّرُ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّمَا جَاءَتْ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَنْ تُدْرِكَ﴾ هارتا منها ﴿وَلَنْ يُعْقِبَ﴾ أي: يرجع؛ فنودي: ﴿يَمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾.

[٣٢] ﴿أَسْأَلُكَ﴾ أدخل ﴿يَدُوكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص، وأخرجها ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(٣) ﴿بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: برص، فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس ثغثي^(٤) البصر ﴿وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ بفتح الحرفين، وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه^(٥)؛ أي: الخوف الحاصل من إضاءة اليد؛ بأن تدخلها في جيبك؛ فتعود إلى حالتها الأولى، وتغتر عنها بالجنح؛ لأنها للإنسان كالجنح للطائر ﴿فَدَانَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٦)؛ أي: العضا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذكر المثنى به إليهما «المثناة» لتذكير خبره ﴿بُرْهَانَانِ﴾ مرسلان ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ إِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو: القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به.

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أَيْسُنُ ﴿فَارْسَلَهُ مَعِي رِدْءًا﴾ معينا، وفي قراءة^(٧): بفتح الدال بلا همزة ﴿بِضِدْقِي﴾ بالجرم:

﴿فَلَمَّا فَصَّي مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ النَّسُّ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهَا أَمْكُوثًا إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي مَأْتِيكُمْ مِنْهَا يَخْبِرُ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا أَنذَمَهَا تُورِيكَ مِنْ شَطِطِي﴾ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَيَّرَتْ كَأَنَّمَا جَاءَتْ وَلَنْ تُدْرِكَهَا وَلَا تَمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴿٣١﴾ ﴿أَسْأَلُكَ يَا دُورِيكَ مِنْ شَطِطِي﴾ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴿وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ﴾ فَأَلْقَاهَا ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَيَّرَتْ﴾ تَتَحَرَّكُ ﴿كَأَنَّمَا جَاءَتْ﴾ هِيَ الْحِيَّةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ سُرْعَةِ حَرَكَتِهَا ﴿وَلَنْ تُدْرِكَهَا﴾ هَارِطًا مِنْهَا ﴿وَلَنْ يُعْقِبَهَا﴾ أَي: يَرْجِعُ؛ فَنُودِيَ: ﴿يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾.

جواب الدعاء، وفي قراءة^(٨): بالرفع، وجملة صفة: ﴿رِدْءًا﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ تقويك ﴿بِأَخِيكَ وَجَعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء، اذهبها ﴿بِإِذْنِنَا أَننَا وَمِنْ أَمْرِنَا﴾ أَلْفَلِيلُونَ﴾ لهم.

(١) أي: بفتحها وضمها وكسرها، فقرأ بالضم حمزة، وقرأ عاصم بالفتح، وقرأ الباقون بالكسر.

(٢) وهذا لا دليل عليه، ولا فائدة في تعيينه.

(٣) الشمرة.

(٤) أي تجعل بصر ناظرها ضعيفا لشدة ضوئها. وفي بعض النسخ: «ثغثي» بالمعجمة وهو تصحيف.

(٥) قرأ بفتح الراء والهاء نافع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء.

(٦) بتشديد النون مع المد المشيع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) أي: «رداء» نافع.

(٨) والقراءة المذكورة أولا بسكون القاف للسبعة عدا عاصم وحمزة.

﴿عَابِتَا الْآوَلِينَ﴾

[٣٧] ﴿وَقَالَ﴾ براو وبدونها^(١) ﴿مُوسَى رَيْتَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَنْ﴾ عطف على ﴿مَنْ﴾ قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالفوقانية والتحتانية^(٢) ﴿لَمْ عَقِبَهُ الدَّارُ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة؛ أي: هو أنا في الشقين؛ فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَدُونَ عَلَى الطِّينِ﴾ فاطبع لي الأجر ﴿فَأَجْمَلْ لِي صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿أَعَلَيْ أَطْلِعُ إِلَهَ إِلَهِي مُوسَى﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَأِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في ادعائه إليها آخر وأنه رسوله.

[٣٩] ﴿وَأَسْتَكَرُّهُ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِعَبْرِ النَّحْيِ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنِّي لَأَبْرَجُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول^(٣).

[٤٠] ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَسَدَّتْهُمْ﴾ طرحاهم ﴿فِي الْبَيْتِ﴾ البحر المالح؛ فغرقوا ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَيِّمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(٤)؛ رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم.

[٤٢] ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ جزيًا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بِصَّابِرٍ لِلنَّاسِ﴾ حال من ﴿الْكِتَابِ﴾ جمع بصيرة؛ وهي: نور القلب؛ أي: أنواعًا للقلوب ﴿وَهَدَى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٣٧﴾
 وَقَالَ مُوسَى رَيْتَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٨﴾
 وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَدُونَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْمَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَهَ إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾
 وَأَسْتَكَرُّهُ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِعَبْرِ النَّحْيِ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنِّي لَأَبْرَجُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَسَدَّتْهُمْ فِي الْبَيْتِ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيِّمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بِصَّابِرٍ لِلنَّاسِ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات، حال ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى﴾ مخلوق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ كائنًا ﴿فِي﴾ أيام

(١) بدونها قراءة ابن كثير.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالياء للفاعل قراءة نافع وحمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُزَجِّفُونَ﴾ بالبناء للمفعول.

(٤) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ الْجَبَلِ، أَوِ الْوَادِي، أَوِ الْمَكَانِ الْفَرِيقِ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْتَنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَى مُوسَى الْأَمْرِ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك فتعلمه فتخبر به.

[٤٥] ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أما من بعد موسى ﴿فَنَطَّارِلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ طالت أعمارهم؛ فنسوا اليهود، واندردت العلوم، وانقطع الوحي؛ فجعنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خير موسى وغيره ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ خبر ثان، فتعرف قصتهم فتخبر بها.

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك^(١) بأخبار المتقدمين.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ الجبل ﴿إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَكِن﴾ أرسلناك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِشِذْرَ قَوْمًا مَا أَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يعظون. [٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً﴾ عقوبة ﴿يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا هَذَا﴾ هلاً ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَبِّحَ ءَايَاتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف وما بعده مبتدأ؛ والمعنى: لولا الإصابة المسبب عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها، لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ محمد ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا هَذَا﴾ هلاً ﴿أَوْفَى مِثْلَ مَا أَوْفَى مُوسَى﴾ من الآيات؛ كاليد البيضاء والعصا وغيرهما، أو الكتاب جملة واحدة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَى مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُوا﴾ فيه وفي محمد: ﴿ساجران^(٢)﴾، وفي قراءة: ﴿سِحْرَانِ﴾ أي: القرآن والتوراة ﴿تَظَاهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْكِتَابَيْنِ﴾ كُفِرُونَ.

[٤٩] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿فَأَنزَلْنَا يُكْتَبُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ من الكتابين ﴿أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم.

[٥٠] ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعائك بالإتيان بكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَا كُنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَّارُولَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِشِذْرَ قَوْمًا مَا أَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَبِّحَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَى مِثْلَ مَا أَوْفَى مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَى مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كِفْرٍ مِنَ اللَّهِ قَالُوا يُكْتَبُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أضل منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

(١) أي: أرسلناك رسولاً، وأرسلنا إليك بأخبارهم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿سِحْرَانِ﴾.

أيضاً، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره^(١)، ومن النصارى قدموا من الحبشة^(٢) ومن الشام.

[٥٣] ﴿وَإِذَا بَلَغَ لَيْلَىٰ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنتَهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ موحدين.

[٥٤] ﴿أَوَلَيْكَ يٰمُؤْمِنُونَ أَجْرُهُم مَّرْتَيْنِ ۖ يَأْتِيَانِهِم بِالنَّكَايَةِ^(٣) ﴿يَمَّا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿وَيَذَرُون﴾ يدفعون ﴿بِالنَّكَايَةِ السَّيِّئَةِ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يصدقون.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْمَسُوا﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ وقالوا لئلا نعذبنا ولكم اعذبنا سلم عليكم ﴿سَلَامٌ مِّنَّا﴾ سلام مباركة؛ أي: سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لَا يَنْبَغِي الْجَهْلِينَ﴾ لا نصحبهم.

[٥٦] ﴿وَنَزَلَ فِي حِرْصِهِ﴾ على إيمان عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أحببت ﴿بِالنَّهْيِينَ﴾^(٤).

[٥٧] ﴿وَقَالُوا﴾ قومه: ﴿إِن نَّبِيعَ الْهَدْيِ مَعَكَ نُنْخَطِفُ مِنَ الْأَرْضِ نُنْتَرِعُ﴾ منها بسرعة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿نَجْجِي﴾ بالفوقانية والنحنانية^(٥) ﴿إِلَيْهِ نَمُرُّ كُلُّ مَنٍّ﴾ من كل أوب ﴿رِزْقًا﴾ لهم ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ عندنا ﴿وَلَكِنَّا كَفَرْنَا﴾ لا نؤمنون ﴿أَن مَّا نَقُولُهُ حَقٌّ﴾.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرْتِ مَعِشَتَهَا﴾ عيشها، وأريد بالقرية: أهلها ﴿فَبِأَنَّكَ سَكَنْتَهُمْ لَوْ تَشَاءُ مِنْ بَدْرِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارة يوماً أو بعضه ﴿وَكُنَّا عَنِ الْوَرِثَةِ﴾ منهم.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْتَسَّ فِي رُءُوسِهِمْ﴾ أي: أعظمها ﴿رُسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل.

﴿وَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿وَإِذَا بَلَغَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أُولَٰئِكَ يَوْمَئِذٍ أَجْرُهُمْ مَّرْتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَّعُونَهُنَّ سَوَاءً لِّلنَّسَاءِ الَّتِي نَزَّلْنَا بِهِنَّ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمُ أَعْمَالُكُمْ سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ لَأَن تَبْغِيَ الْجَاهِلِينَ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهَدْيِ مَعَكَ نُنْخَطِفُ مِنَ الْأَرْضِ نُنْتَرِعُ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئِي إِلَيْهِ تَمَرَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّا أَكْفَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرْتِ مَعِشَتَهَا فَمَلَكَتْهُمْ مَّسْجِدُهُمْ لَوْ تَشَاءُ مِنْ بَدْرِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا عَنِ الْوَرِثَةِ ﴿وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهِمْ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾

[٥١] ﴿وَقَدْ وَصَلْنَا﴾ بَيْنَا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

يعتظون فيؤمنون.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمري: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعبرني قريش، يقولون: إنما حمل على ذلك الجرح، لأقرت بها عبيك، فأقول الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٩). وأخرج البخاري نحوه عن المسيب بن حزن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة القصص (٢٨) باب (١).

(١) أخرج ذلك الطبري في جامعه (٥٦/٢٠، ٥٧) عن قتادة، وهو مرسل ضعيف. وأخرج الطبري أيضاً في جامعه (٥٦/٢٠)، والطبراني في الكبير (٥٣/٥) رقم (٤٥٦٤، ٤٥٦٥)، وغيرهما عن رفاعة القرظي رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في عشرة... أنا أحدهم... قال الهيثمي في الجمع (٨٨/٧): «رواه الطبراني بإسنادين؛ أحدهما متصل، ورجاله ثقات... وعزاه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (٤٢٢/٦) لابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما وقال: «يسند جيد». وصححه في الاستيعاب (٢٨/٣).

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٩٢/٩) عن سعيد بن جبيرة، وهو ضعيف مرسل، كما في الاستيعاب (٣٥/٣).

(٣) أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب؛ آمن بنبيه، وأدرك النبي فأمن به، واتبعه، وصدقه؛ فله أجران... الحديث. البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) واللفظ له.

(٤) بالبناء قرامة نافع.

[٦٠] ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَنَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَرَبَّيْنَهَا﴾ تمتعون وتزبنون به أيام حياتكم، ثم يفتى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: نوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء والياء^(١)؛ أن الباقي خير من الفاني؟

[٦١] ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيبِهِ﴾ وهو مُصِيبُهُ؛ وهو: الجنة ﴿كَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ النار؟ الأول: المؤمن، والثاني: الكافر؛ أي: لا تساوي بينهما.

[٦٢] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يَدْعُوهُمْ﴾ الله ﴿فَقُولُوا أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ لهم شركائي؟

[٦٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بدخول النار؛ وهم رؤساء الضلالة: ﴿رَبَّنَا هَذَا الَّذِي كُنَّا نَعْتَدُ﴾ هم، مبتدأ، وصفه^(٢)، ﴿أَعْوَدْتَهُمْ﴾ خبيره، فغفوا ﴿كَمَا عَوَدْتُنَا﴾ لم نكرهم على العتيء ﴿تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَجِسٌ بَاطِلِينَ﴾ نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

[٦٤] ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوْا﴾ هم ﴿السَّادِبَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٥] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوْا﴾ هم ﴿السَّادِبَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٦] ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَ يَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوْا﴾ هم ﴿السَّادِبَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَوَآمَنَ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الناجين بوعده الله.

[٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمْ﴾ للمشركين ﴿الْحَيْرَةُ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشاراتهم.

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُخْلِفُونَ﴾ بالسننهم من ذلك.

[٧٠] ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْإِسْمُ الْأَوَّلُ﴾ الدنيا

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَنَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَرَبَّيْنَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيبِهِ كَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يَدْعُوهُمْ فَيَقُولُوا أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَذَا الَّذِي كُنَّا نَعْتَدُ كَمَا عَوَدْتُنَا تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَجِسٌ بَاطِلِينَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يَدْعُوهُمْ فَيَقُولُوا مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ الْوَالِئَاتُ فَهِيَ كَأَسْفَادٍ سَمَكَةٍ مِنَ النَّارِ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٦﴾ وَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُخْلِفُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْإِسْمُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرَةُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٠﴾

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ﴾ بالنشور.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) أي: ﴿مَنْعًا﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُوهُمْ﴾: صفة. وجملة ﴿أَعْوَدْتَهُمْ﴾: خبره.

سماع تفهم فرجعون عن الإشراك!؟

[٧٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَبْعًا وَإِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ تستريحون ﴿فِيهِ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فرجعون عنه!؟

[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار للكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة فيها.

[٧٤] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذكر ثانياً لئلا يظن عليه:

[٧٥] ﴿وَوَرَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿فَقُلُوا أِنْ الْحَقُّ فِي الْإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَصَلِّ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك.

[٧٦] ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ابن عمه، وابن خالته (١) وأمن به ﴿فَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُمْ﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ يَصْعَدُ الْمَاجِدُ﴾ تنقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُولَى﴾ أصحاب ﴿الْقُوَّةِ﴾ أي: تنقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل: سبعون. وقيل: أربعون. وقيل: عشرة. وقيل: غير ذلك.

اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ الْمَوْمِنُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فرح بطير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بذلك.

[٧٧] ﴿وَأَتَّبَعْ﴾ اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الذَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَتَّكِبْ﴾ تترك ﴿تَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِنْ﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَّا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم (٢).

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَبْعًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْكُرُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٥﴾ وَرَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُمْ وَأَتَّبَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا وَلَتَسْمَعُوا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَتَّبَعْنَا فِي مَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَتَّكِبْ فِيهَا مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾

[٧١] ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ﴾ بزعمتكم ﴿يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ذلك

(١) حكى ابن جرير الإجماع على أنه كان من بني إسرائيل، واختلف في جهة قرابته من موسى عليه السلام فقال ابن عباس وجماعة: كان ابن عمه، وقال ابن جرير: وأكبر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم. وروي عن ابن عباس أيضاً أنه ابن خالته، والمشهور عنه الأول.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة وانتقالها لبعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُمْ أَيْ: المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أَيْ: في مقابلته، وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ الْأُمِّمِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْبَرُ جَمْعًا﴾ للمال؛ أَيْ: هو عالم بذلك، ويهلكهم الله ﴿وَلَا يُسْتَلْعَنَ عَنْ دُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ﴾ ليعلموه - تعالى - بها؛ فيدخلون النار بلا حساب.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ بأثباعه الكثيرين ركباناً مُتَخَلِّينَ بملابس الذهب والحريز على خيول وبغال متحلية ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا﴾ للنبية ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّمَا لَدُوْهُ حِطٌّ﴾ نصيب ﴿عَظِيمٌ﴾ واف فيها.

[٨٠] ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا أَلِيمَةً ﴿بِمَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ: ﴿وَيَذَلُّكُمْ﴾ كلمة زجر ﴿تَوَابُ اللَّهِ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُقَلِّبُهَا﴾ أَيْ: الجنة المثاب بها ﴿إِلَّا الصَّابِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

[٨١] ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ﴾ بقارون ﴿وَيَدَارِيهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْ: غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ منه.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْنِ﴾ أَيْ: من قريب ﴿يَقُولُونَ وَيَكْفُرُوا بِاللَّهِ بِسُلْطَانِ يَسْطُرُ﴾ يوسع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق على ما يشاء، و«وي» اسم فعل؛ بمعنى: أعجب؛ أَيْ: أنا، و«الكاف» بمعنى اللام (١) ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (٢) ﴿وَيَكْفُرُوا لَا يَفْلِحُ الْكٰفِرُونَ﴾ لنعمة الله؛ كقارون.

[٨٣] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أَيْ: الجنة ﴿بِمَعْمَلِهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بالبغي ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بعمل المعاصي ﴿وَالْعَاقِبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عقاب الله بعمل الطاعات.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُمْ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ثواب بسببها؛ وهو: عشر أمثالها ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: مثله.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَوْ يَعْلَمَنَّ اللَّهُ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْبَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْتَلْعَنَ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حِطِّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُقَلِّبُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْنِ يَقُولُونَ وَيَكْفُرُوا بِاللَّهِ بِسُلْطَانِ يَسْطُرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكْفُرُوا وَلَا يَفْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

(١) وهذا أحد مذاهب خمسة في معنى كلمة «ويكأن» والوقف فيها.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عند عاصم.

ألقى إليك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً ﴿مُعِيناً﴾ لِلْكَافِرِينَ ﴿عَلَىٰ﴾ دينهم الذي دعوك إليه.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾ أصله: يصدونك؛ حذف نون الرفع للجازم، والواو الفاعل؛ لالتقاءها مع النون الساكنة ﴿عَنْ مَائِدَةِ اللَّهِ﴾ بعد إذ أنزلت إليك ﴿أَي:﴾ لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وَأُدْعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بتوجيهه وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بإعانتهم، ولم يؤثروا الجازم في الفعل لبنائه.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تغيب ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلا إياه (١) ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ بالمشور من قبوركم.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

[مكية وهي: تسع وستون آية، نزلت بعد الروم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراد بذلك.
[٢] ﴿وَأَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا﴾ أي: بقولهم: ﴿بِأَمْنًا وَهُمْ لَا يُمَنُّونَ﴾ يخبرون بما يبين به حقيقة إيمانهم؟ نزل في جماعة آمنوا فأذاهم المشركون (٤).

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴿فِي﴾ إيمانهم علم مشاهدة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ﴾ فيه.

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الشرك والمعاصي ﴿أَنْ يَسْتَفْتِنُونَا﴾ يفوتونا فلا نتقم منهم؟ ﴿سَاءَ﴾ بس ﴿مَا﴾ الذي ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ع حكمهم هذا.

[٥] ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ يخاف ﴿لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ به ﴿لَا تَأْتِي﴾ فليستعد له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

[٦] ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ جهاد حرب أو نفس ﴿فَأِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ فإن منفعة جهاده لا لله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَأُدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّ ﴿٨٥﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا بِأَمْنًا وَهُمْ لَا يُمَنُّونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْتَفْتِنُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

[٨٥] ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أنزله ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى مكة (١)، وكان قد اشتاقها (٢) ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة له: إنك في ضلال. أي: فهو الجائي بالهدى، وهم في ضلال، و﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى: عالم.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿إِلَّا﴾ لكن

(١) وهو قول كثير من المفسرين، واختار ابن كثير وغيره أن المراد بالمراد يوم القيامة، قال: فسأله عما استرعا من أعباء النبوة، كما قال - تعالى -: ﴿فَلْيَسِّرْ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنْكُمْ الْيُسْرَىٰ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وهذا أقرب، والله أعلم.
(٢) يشير إلى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٦) عن الضحاك، وعزاه لابن أبي حاتم. وضعفه جداً في الاستيعاب (٤٠/٣).
(٣) وهذا تأويل لصفة الوجه التي أثنىها ربنا ﷻ لنفسه، وهي من الصفات الحقيقية التي نثبها له. شجاعة - على الوجه اللاتق به، ولا شك أن الوجه يستنم الذات، ولكن لا يجوز إرادة اللام ونفي المزموم؛ بل يجب إثباتها معاً.
(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٣/٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي، وهو مرسل ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٤٢٠/٣).

[٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴿٧﴾ بعمل الصالحات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ بمعنى: حسن، ونصبه بنزع الحافظ: الباء ﴿الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالحات.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاء ذا حسن؛ بأن يروهما، ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع، فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الإشراك^(١) ﴿إِلَّا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء؛ بأن نحشرهم معهم.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنْفِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَلْبِسْنا كِبْرًا﴾ أي: اباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخبر^(١)، قال - تعالى -: ﴿وَمَا هُمْ بِمُحْسِنِينَ﴾ من خطيئتهم من شيء إنهم لكاذبون في ذلك.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزارهم ﴿وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ بقولهم للمؤمنين: ﴿أَتَبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين^(١) لام قسم، وحذف فاعلها: الواو ونون الرفع.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلْيَبْتَ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴿٧﴾
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا حَسَنًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَّا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾
وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنْفِقِينَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَّعَ
أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٤﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا الْخَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٥﴾

فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله؛ فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم؛ فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مشركون.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرجه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: نزلت في أربع آيات... فذكر قصة - وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أظعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر. فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا [أي فنحوا] فها، فنزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٠).

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٤٨) لكن لفظ الآية عنده أقرب إلى آية لقمان (١٥٠١٤)، وهو الأقرب في قصة أم سعد؛ حيث إن نزول سورة لقمان كان قبل نزول سورة العنكبوت بكثير، ولو كانت آية العنكبوت قد نزلت ساعة وقعة سعد مع أمه لقرأ عليها آية لقمان، ولم يكن له كبير مزية في نزول آية العنكبوت فيه؛ إلا أن يقال: إن كلتا الآيتين نزلت في قصته مع أمه، وهو بعيد، والله أعلم.

(١) أي: منكم الاتباع، وعلينا حمل خطاياكم.

(٢) أي: في ﴿وليحملنَّ﴾، و﴿يسألنَّ﴾.

[١٦] ﴿وَإِذْ كَرِهَ اللَّهُ لِقَوْمِهِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه ﴿ذَلِكَ حَبْرٌ لَكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ الخير من غيره.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ: غيره ﴿أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ يقولون كذبا: إن الأوثان شركاء لله^(١) ﴿إِنَّا الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَأَبْتِغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ اطلبوه منه ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ إليه ترجعون.

[١٨] ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا﴾ أي: تكذبوني يا أهل مكة^(٢) ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ إلا البلاغ البين، في هاتين الفصتين تسليمة للنبي ﷺ.

[١٩] وقال - تعالى - في قومه: ﴿أُولَئِكَ يَرْوَأُ﴾ بالياء والتاء^(٣)، ينظروا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ هو بضم أوله، وقرئ بفتح^(٤)؛ من بدأ وأبدأ؛ بمعنى: أي يخلقهم ابتداءً ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُبِيدُهُ﴾ أي: الخلق كما بدأهم ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فكيف ينكرون الثاني؟!

[٢٠] ﴿فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ لمن كان قبلكم وأماهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ مَدًا، وقصرا مع سكن الشين^(٥) ﴿إِنَّا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه البدء والإعادة.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَالِلَّهِ تُقَلِّبُونَ﴾ تردون.

[٢٢] ﴿وَمَا أَنشَأَ يُمْسِرِينَ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها؛ أي: لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من عذابه.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أي: القرآن والبعث ﴿أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي: جنتي^(٦) ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

فَأَجْبَتُهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُرُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ وَالَّذِينَ يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ يَرْوَأُ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقَابُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿فَأَجْبَتُهُ﴾ أي: نوحا ﴿وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ﴾ الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَهَا آيَةً﴾ عبرة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلكم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر^(١) حتى كثر الناس.

(١) إثبات هذا يحتاج إلى دليل صحيح.

(٢) وقال عكرمة وقتادة والحسن: تحوتها أصناما. واختاره ابن جرير.

(٣) وقيل: هذا من قول إبراهيم عليه السلام.

(٤) بالناء قراءة حمزة والكاظمي.

(٥) أي: شذوذا.

(٦) بالناء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) وهذا تأويل لصفة الرحمة بأحد لوازمها. ومذهب السلف إثباتها له - شيخنا - على الوجه اللائق به كما سبق مرارا.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰ كُفْرٍ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن تَصْرِيحٍ ﴿٢﴾ فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاتَيْنَاهُ أَخْرَجَهُ فِي الدُّنْيَا وَلِيَّتَهُ
فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٤﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ قَالَ رَبِّ انصُرني عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧﴾

الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه.

[٣٠] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرني﴾ بتحقيق قولي في إنزال العذاب ﴿عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ﴾ العاصين بإتيان الرجال؛ فاستجاب الله دعاءه.

[٢٤] قال - تعالى - في قصة إبراهيم الخليل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ
إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ التي قذفوه فيها؛ بأن
جعلها عليه بزدا وسلاما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ مِّنَ اللَّهِ لِقَوْمٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ هي
عدم تأثيرها فيه مع عظمتها، وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير
﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته؛ لأنهم المنتفعون بها.

[٢٥] ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها،
و«ما» مصدرية ﴿مَّوَدَّةً﴾ بَيْنِكُمْ ﴿خبر «إن»، وعلى قراءة النصب (١):
مفعول له، و«ما» كافة؛ المعنى: توادتم على عبادتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ
بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ﴾ مصيركم جميعا
﴿أَنَّ النَّارَ وَمَا لَكُم مِّن تَصْرِيحٍ﴾ مانعين منها.

[٢٦] ﴿فَتَأْمَنَ لَهُ﴾ صدق إبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو: ابن أخيه هاران
﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني
ربي، وهَجَرَ قَوْمَهُ وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في
ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق
﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته
﴿وَالْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب؛ أي: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَوَعَاتَيْنَاهُ
أَخْرَجَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَأَيَّتَهُ فِي الْآخِرَةِ
لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [أَيْنَكُم] (٢) ﴿بتحقيق الهزتين
وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (٣)﴾ لَتَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ ﴿أي: أديار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾
الإنس والجن.

[٢٩] ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم
الفاحشة بمن ير بكم؛ فترك الناس المرء بكم (٤) ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُم﴾
أي: مُتَّخِذِكُمُ الْمُنكَرَ ﴿فعل الفاحشة بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ

(١) والقراءة المذكورة أولا بالرفع بالإضافة للكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ حفص وحزمة: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو. وأجمع القراء على الاستفهام في الموضع الثاني، وهو ﴿أَيْنَكُم تَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

(٣) أي: وتركه، وراجع التعليل على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) الأظهر أن قطعهم السبيل أعم من ذلك، فيشمل مع ما ذكر إخافة المارة ورهابهم بأخذ أموالهم وسفك دماهم ونحو ذلك.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَ إِنِّي فِيهَا لَوْطًا قَالُوا لَنْجِيَنَّكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
 وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُونَ ﴿٣٣﴾ وَأَهْلَكَ إِلَّا
 أُمَّرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّا مُنْجِيُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرَاءٍ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٥﴾
 وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾
 وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ
 وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٧﴾
 فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جِثْمِينَ ﴿٣٨﴾ وَعَادَ آوْتَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ
 مِنْ مِّنْكَ لَهُمْ وَرَبِّكَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٩﴾

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بإسحاق ويعقوب بعده

﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين.

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي فِيهَا لَوْطًا قَالُوا﴾ أي: الرسل: ﴿لَنْجِيَنَّكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ﴾ بالتخفيف والتشديد (١) ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ﴾ كانت من الغابرين ﴿الغابرين﴾ الباقين في العذاب.

[٣٣] ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرا؛ لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف؛ فخاف عليهم قومه؛ فأعلموه أنهم رسل ربهم ﴿وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف (٢) ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ وتضبت ﴿أهلك﴾ عطف على محل الكاف.

[٣٤] ﴿إِنَّا مُنْجِيُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد (٣) ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرَاءً﴾ عذابا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ به؛ أي: بسبب فسقهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة؛ هي: آثار خرابها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٣٦] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أرسلنا ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ اخشوه؛ هو: يوم القيامة ﴿وَلا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها، من «عنتي» بكسر المثلثة؛ أفسد.

[٣٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٣٨] ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ أهلنا ﴿عَادًا وَثَمُودًا﴾ بالصرف وتركه (٤)؛ بمعنى: الحي والقبيلة (٥) ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ إهلاكهم ﴿وَمِنْ مِّنْكَ لَهُمْ﴾ بالخيف والحيف واليمن ﴿وَرَبِّكَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ذوي بصائر.

(١) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٤) بالصرف قراءة السبعة عمدا حمزة وحفص.

(٥) أي: على كل من القراءتين بالترتيب؛ أي ينصرف (ثموده) إذا كان بمعنى: الحي، ويعني من الصرف إذا كان اسما للقبيلة؛ أي للعلمية والتأنيث.

﴿٣٩﴾ وَقُلْ أَهْلَكُنَا وَقُلُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَارُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ ﴿٣٩﴾ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ الْحُجُجِ الظَّاهِرَاتِ ﴿٤٠﴾ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ ﴿٤١﴾ فَكَلَّمْنَا مِنْ الْمَذْكُورِينَ ﴿٤٢﴾ أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا رِيحًا عَاصِفَةً فِيهَا حَصَاةٌ كَقَوْمِ لُوطَ ﴿٤٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ كَقَوْمِ كَعْبُودَ ﴿٤٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا ﴿٤٥﴾ كَقَوْمِ نُوحٍ وَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿٤٦﴾ وَمَا كَانُوا يُظِلُّهُمْ فَيَعَذِبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ بَارْتِكَابِ الذَّنْبِ.

﴿٤٨﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴿٤٩﴾ أَي: أَصْنَامًا يَرْجُونَ نَفْعَهَا ﴿٥٠﴾ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا لِنَفْسِهَا تَأْوِي إِلَيْهِ ﴿٥١﴾ وَإِنْ أَوْهَنَ ﴿٥٢﴾ أضعف ﴿٥٣﴾ الْبُيُوتِ لَبِثُ الْعَنْكَبُوتِ ﴿٥٤﴾ لَا يَدْفَعُ عَنْهَا خُزًّا وَلَا يَرُدُّهَا كَذَلِكَ الْأَصْنَامُ لَا تَنْفَعُ عَابِدِيهَا ﴿٥٥﴾ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ مَا عِبَدُوهَا.

﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا كُمْبَعِي: الَّذِي ﴿٥٨﴾ يَدْعُونَ ﴿٥٩﴾ يَعْبُدُونَ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ ﴿٦٠﴾ مِنْ دُونِهِ ﴿٦١﴾ غَيْرِهِ ﴿٦٢﴾ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴿٦٣﴾ فِي مَلَكَةِ الْحَكِيمِ ﴿٦٤﴾ فِي صَنْعِهِ.

﴿٦٥﴾ وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا فِي الْقُرْآنِ نَضْرِبُهَا ﴿٦٦﴾ نَجْمَهَا ﴿٦٧﴾ لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا أَي: يَفْهَمُهَا ﴿٦٨﴾ إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٦٩﴾ الْمَتَدَبِّرُونَ.

﴿٧٠﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ﴿٧١﴾ أَي: مُحَقَّقًا ﴿٧٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿٧٣﴾ دَالَّةً عَلَى قُدْرَتِهِ - تَعَالَى - ﴿٧٤﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ حُصُوهَا بِالذِّكْرِ: لِأَنَّهُمْ الْمُنْتَفِعُونَ بِهَا فِي الْإِيمَانِ بِخِلَافِ الْكَافِرِينَ.

﴿٧٦﴾ أَنْتَلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴿٧٧﴾ الْقُرْآنِ ﴿٧٨﴾ وَأَقْرِءِ الصَّلَاةَ ﴿٧٩﴾ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٨٠﴾ شَرَعًا أَي: مِنْ شَأْنِهَا ذَلِكَ مَا دَامَ الْمَرْءُ فِيهَا ﴿٨١﴾ وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴿٨٢﴾ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ ﴿٨٣﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٨٤﴾ فَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿٣٩﴾ وَقُلْ أَهْلَكُنَا وَقُلُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَارُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ ﴿٣٩﴾ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ الْحُجُجِ الظَّاهِرَاتِ ﴿٤٠﴾ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ ﴿٤١﴾ فَكَلَّمْنَا مِنْ الْمَذْكُورِينَ ﴿٤٢﴾ أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا رِيحًا عَاصِفَةً فِيهَا حَصَاةٌ كَقَوْمِ لُوطَ ﴿٤٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ كَقَوْمِ كَعْبُودَ ﴿٤٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا ﴿٤٥﴾ كَقَوْمِ نُوحٍ وَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿٤٦﴾ وَمَا كَانُوا يُظِلُّهُمْ فَيَعَذِبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ بَارْتِكَابِ الذَّنْبِ.

﴿٤٨﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴿٤٩﴾ أَي: أَصْنَامًا يَرْجُونَ نَفْعَهَا ﴿٥٠﴾ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا لِنَفْسِهَا تَأْوِي إِلَيْهِ ﴿٥١﴾ وَإِنْ أَوْهَنَ ﴿٥٢﴾ أضعف ﴿٥٣﴾ الْبُيُوتِ لَبِثُ الْعَنْكَبُوتِ ﴿٥٤﴾ لَا يَدْفَعُ عَنْهَا خُزًّا وَلَا يَرُدُّهَا كَذَلِكَ الْأَصْنَامُ لَا تَنْفَعُ عَابِدِيهَا ﴿٥٥﴾ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ مَا عِبَدُوهَا.

﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا كُمْبَعِي: الَّذِي ﴿٥٨﴾ يَدْعُونَ ﴿٥٩﴾ يَعْبُدُونَ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ ﴿٦٠﴾ مِنْ دُونِهِ ﴿٦١﴾ غَيْرِهِ ﴿٦٢﴾ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴿٦٣﴾ فِي مَلَكَةِ الْحَكِيمِ ﴿٦٤﴾ فِي صَنْعِهِ.

﴿٦٥﴾ وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا فِي الْقُرْآنِ نَضْرِبُهَا ﴿٦٦﴾ نَجْمَهَا ﴿٦٧﴾ لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا أَي: يَفْهَمُهَا ﴿٦٨﴾ إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٦٩﴾ الْمَتَدَبِّرُونَ.

﴿٧٠﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ﴿٧١﴾ أَي: مُحَقَّقًا ﴿٧٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿٧٣﴾ دَالَّةً عَلَى قُدْرَتِهِ - تَعَالَى - ﴿٧٤﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ حُصُوهَا بِالذِّكْرِ: لِأَنَّهُمْ الْمُنْتَفِعُونَ بِهَا فِي الْإِيمَانِ بِخِلَافِ الْكَافِرِينَ.

﴿٧٦﴾ أَنْتَلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴿٧٧﴾ الْقُرْآنِ ﴿٧٨﴾ وَأَقْرِءِ الصَّلَاةَ ﴿٧٩﴾ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٨٠﴾ شَرَعًا أَي: مِنْ شَأْنِهَا ذَلِكَ مَا دَامَ الْمَرْءُ فِيهَا ﴿٨١﴾ وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴿٨٢﴾ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ ﴿٨٣﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٨٤﴾ فَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أجبوكم بشيء مما في كتبهم: ﴿ءَأَمَّا يَا الَّذِي نُزِّلَ إِلَيْنَا أَنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَجِدْ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون. [٤٧] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن؛ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمَنْ هُنَّكَ﴾ أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وما يجحد بآياتنا ﴿بعد ظهورها﴾ إلا الكافرين ﴿أي: اليهود^(١)﴾، وظهر لهم أن القرآن حق والجانبي به محق، وجمدوا ذلك.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُبُهُ يَسْبِيحًا﴾ إذا: أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَآرْتَابَ﴾ شك ﴿الْمُضِلُّونَ﴾ اليهود فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أُمي لا يقرأ ولا يكتب.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿ءَأَيْتٌ يَتَّبِعُ فِي صُورِ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ﴾ أي: المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْفٰلِغُونَ﴾ أي: اليهود، وجمدوها بعد ظهورها لهم.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أَنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي: محمد ﴿ءَأَيَّةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٢) وفي قراءة: ﴿ءَأَيْتٌ﴾ كفاقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿فَلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ مظهر إنذارى بالنار أهل المعصية.

[٥١] ﴿أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ القرآن ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ عظة ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

[٥٢] ﴿فَلْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بصديقي ﴿يَسْمَعُوا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالطَّبَاطِئِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أَوْلَيْتَ لَهُمُ الْخَيْرَاتِ﴾ في صفتهم؛ حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَأَمَّا بِالَّذِي نُزِّلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين ءاتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكفرون^(٤) وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المضطوبون^(٥) بل هو ءآيت يتت في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون^(٦) وقالوا لولا أنزل عليه ءآيت من ربه قل إنما الآيت عند الله وإنما أنا نذير مبين^(٧) أولم يكفهم أن أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون^(٨) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والأرض والذين ءامنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون^(٩)

[٤٦] ﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والتشبيه على حججه ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يؤفروا بالجزية؛ فجادلوهم بالسيف حتى

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرعون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا ءأمّا بالذّي نُزّل إلینا﴾ وما أنزل إليكم الآية البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (١١) قولوا ءأمّا بالله وما أنزل إلینا... قال الحافظ: «وصحیح البخاری هذا يقتضي أن تجعل هذه الآية تحت قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَأَمَّا بِالَّذِي نُزِّلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزِلَ إِلَيْنَا﴾... وهي الآية (١٣٦) من سورة البقرة... والذي يظهر لي أن النبي ﷺ يشير في هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَأَمَّا بِالَّذِي نُزِّلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَجِدْ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾ من سورة العنكبوت، وذلك أن صدر الآية: ﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ وهذا يتناسب مع معنى الحديث المقصود منه... الفتح (٢٠/٨) بتصريف يسير.

(١١) المناسب أن يقول: إلا الكافرون؛ كاليهود وغيرهم. فالآية تشتم. هؤلاء جميعاً، ولا فائدة فر. حصها فر. اليهود.

[٥٣] ﴿وَسْتَجْلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّهُ ﴿٥٣﴾ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا ﴿٥٤﴾ وَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ بوقت إتيانه.

[٥٤] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴿٥٤﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿٥٤﴾ وَرَأَتْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةً بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَنْسُفُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿٥٥﴾ وَنَقُولُ ﴿٥٥﴾ فِيهِ: بِالنُّونِ: أَي: نَأْمُرُ بِالْقَوْلِ، وَبِالْيَاءِ: ﴿٥٥﴾ يَقُولُ: أَي: الْمَوْلَى بِالْعَذَابِ: ذُو قُوَّةٍ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾: أَي: جَزَاءَهُ فَلَا تَقْوَتُونَا.

[٥٦] ﴿يُعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَرِيعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ فِي أَي أَرْضٍ تَبَشَّرْتُ فِيهَا الْعِبَادَةَ؛ بَأَنَّ تَهَاجَرُوا إِلَيْهَا مِنْ أَرْضٍ لَمْ تَبَشِّرْ فِيهَا، نَزَلَ فِي ضِعْفَاءِ مُسْلِمِي مَكَّةَ كَانُوا فِي ضَيْقٍ مِنْ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ بِهَا.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا نَرْجِعُهُمْ ﴿٥٧﴾ بِنَاءِ وَالْيَاءِ: ﴿٥٧﴾ بَعْدَ الْمَعْتِ.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴿٥٨﴾ نَزَلْنَاهُمْ، وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿٥٨﴾ بِالْمَثَلَةِ بَعْدَ النَّونِ؛ مِنَ الْفَوَاءِ، وَتَعَدِيته إِلَى ﴿عُرْفًا﴾ بِحَذْفِ «فِي» ﴿مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ ﴿٥٨﴾ مُقَدَّرِينَ الْخُلُودِ ﴿٥٨﴾ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ هَذَا الْأَجْرُ.

[٥٩] ﴿هُمُ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴿٥٩﴾ أَي: عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْهَجْرَةِ لِإِظْهَارِ الدِّينِ ﴿٥٩﴾ وَعَلَى رِزْقِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ فَبِرِزْقِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ.

[٦٠] ﴿وَكَايُنَ ﴿٦٠﴾ كَمْ ﴿٦٠﴾ مِمَّنْ دَابَّتْ لَمْ تَحْمِلْ رِزْقَهَا ﴿٦٠﴾ لضعفها ﴿اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴿٦٠﴾ أَيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ زَادٌ وَلَا نَفَقَةٌ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴿٦٠﴾ لِأَقْوَالِكُمْ ﴿٦٠﴾ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ بِضَمَائِكُمْ.

[٦١] ﴿رَلِينَ ﴿٦١﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿٦١﴾ سَأَلْتَهُمْ ﴿٦١﴾ أَي: الْكُفَّارَ ﴿٦١﴾ مِمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللهُ فَاِنَّ يُوقَفُونَ ﴿٦١﴾ بِصُرْفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ بَعْدَ إِقْرَارِهِمْ بِذَلِكَ.

[٦٢] ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴿٦٢﴾ يَوْسَعُهُ ﴿٦٢﴾ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿٦٢﴾ امْتِحَانًا ﴿٦٢﴾ وَيَقْدِرُ ﴿٦٢﴾ يَضِيقُ ﴿٦٢﴾ بَعْدَ التَّبْسِطِ؛ أَي: لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً ﴿٦٢﴾ إِنَّ اللهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ ﴿٦٢﴾ وَمِنْهُ مَحَلُّ الْبَسْطِ وَالتَّضْيِيقِ.

[٦٣] ﴿وَلِينَ ﴿٦٣﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿٦٣﴾ سَأَلْتَهُمْ مِمَّنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُو قُوَّةٍ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يُعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَرِيعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾
﴿٥٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا نَرْجِعُهُمْ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَى رِزْقِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيُنَ ﴿٦٠﴾ مِمَّنْ دَابَّتْ لَمْ تَحْمِلْ
رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَلِينَ ﴿٦٢﴾
سَأَلْتَهُمْ مِمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لِيَقُولَنَّ اللهُ فَاِنَّ يُوقَفُونَ ﴿٦١﴾ اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ ﴿٦٢﴾ وَلِينَ ﴿٦٣﴾
مِمَّنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لِيَقُولَنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللهُ ﴿٦٣﴾ فَكَيْفَ يَشْرِكُونَ بِهِ! ﴿٦٣﴾ قُلِ ﴿٦٣﴾ لَهُمْ: ﴿٦٣﴾
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى ثبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ ﴿٦٣﴾ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾
تَنَاقُضَهُمْ فِي ذَلِكَ.

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهي قراءة نافع وحزمة والكسائي وعاصم، وفي الآية إثبات صفة القول والكلام، وأنه يتعلق بمشيئة - شيبخانة - واختياره.

(٣) قرأ شعبة بالياء وبقيّة السبعة بالناء.

(٤) أي: وبالياء بدل الهمزة فتكون ﴿لشئوبهم﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي.

[٦٧] ﴿وَأَلَمْ يَرَوْا يَعْلَمُوا أَنَّا جَعَلْنَا بِلَدِّهِمْ مَكَّةَ حَرَمًا مَأْمُونًا وَيَخَظَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلًا وسيئا دونهم ﴿أَفَأَبْأُظِلُّ﴾ الصنم ﴿يَوْمُئِذٍ وَيُنْعِمُهُ اللَّهُ بِكَفَرُونَ﴾ بإشراكهم.
 [٦٨] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم من أقرن على الله كذبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ النبي أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: فيها ذلك، وهو منهم.
 [٦٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ في حقتنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طريق السير إلينا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالنصر والعون^(١).

سورة الروم

[مكية، وهي: ستون، أو: تسع وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْعَرَّةِ﴾ الله أعلم بمراهه في ذلك.
 [٢] ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ﴾ وهم أهل الكتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان؛ ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.
 [٣] ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِينَ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالفزو الفرس ﴿وَهُمْ﴾ أي: الروم ﴿يَرْبُؤُنَ بُعْدَ عِلْمِهِمْ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول؛ أي: غلبة فارس إياهم ﴿سَيَذُبُونُ﴾ فارس.
 [٤] ﴿فِي بَيْضِ سِينِينَ﴾^(٢) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم فارس ﴿وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُمُؤِنُونَ﴾ أي: غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً بأمر الله؛ أي: إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم تغلب الروم ﴿يَفِرُّ الْمُمُؤِنُونَ﴾.
 [٥] ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ إِيَّاهُمْ عَلَى فَارِسَ﴾ إياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه؛ أي: يوم بدر بنزل جبريل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه^(٣) ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب.
 ﴿الرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنين.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْتِعُوا فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ ﴿٦٩﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَأَبْأُظِلُّ يَوْمُئِذٍ وَيُنْعِمُهُ اللَّهُ بِكَفَرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَقْرَبَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْعَرَّةِ عَلَيْتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَيْضِ سِينِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُمُؤِنُونَ ﴿٣﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾

[٦٤] ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وأما القرث فمن أمور الآخرة؛ لظهور ثمرتها فيها ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ بمعنى: الحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما أتوا الدنيا عليها.
 [٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاء؛ أي: لا يدعون معه غيره؛ لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ به.
 [٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَسْتَمْتِعُوا﴾ باجماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة^(١): يسكون اللام؛ أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ﴾ عاقبة ذلك.

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت: ﴿الْعَرَّةِ عَلَيْتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِينَ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ في بَيْضِ سِينِينَ... خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه في نواحي مكة: ﴿الْعَرَّةِ عَلَيْتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِينَ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بينا وبينكم؛ زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين؛ أفلا ترأفك على ذلك؟ قال: بلى - وذلك قبل تحريم الرهان - فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا للرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجمل؟ البضع: ثلاث سنين إلى تسع سنين؛ فسمي بينا وبينك وسطاً تنتهي إليه. قال: فمشوا بينهم ست سنين. قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر. فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فغاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فِي بَيْضِ سِينِينَ﴾ وأسلم عند ذلك ناس كثير. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) ومن سورة الروم، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٢).
 (٥٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٥). أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿الْعَرَّةِ عَلَيْتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿يَفِرُّ الْمُمُؤِنُونَ﴾ ينصر الله؛ قال: ففرح المسلمون بظهور الروم على الفرس. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) سورة الروم، (صحيح بما بعده) صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٠).

(١) لخمزة والكسائي وابن كثير وقالوا: وهذا من لوازم معيته - شيخنا - الخاصة بعبادة المؤمنين، وحققتها الصعبة اللافقة كما سبق، ولا تنافي بينها وبين كونه مستوياً على عرشه باناً من خلقه.

وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
 يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
 غَفْلُونَ ﴿٧﴾ أَوْلَيْتُمْ تَفَكُّرًا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا
 مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا
 أَشَدَّ مَنَهَةً قُوَّةً وَأَنَارُوا الْآرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا
 عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَتْ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا السُّوَاعِيَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
 بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
 ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبٰسِ الْمَجْرُمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ مِّن
 شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا وَكَانُوا يُشْرِكُوهُمْ كَفِرِينَ ﴿١٣﴾
 وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ يُتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

والكافرون.

[١٥] فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ﴿١٥﴾ جنة
 يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ يسرون.

[٦] ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ مصدر، بدلٌ من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَدَّهُمُ اللَّهُ
 النصر ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ﴾ به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار
 مكة^(١) ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده - تعالى - بنصرهم.

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: معاشها من التجارة والزراعة
 والبناء والغرس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ إعادة ﴿هُمْ﴾
 تأكيد.

[٨] ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك نفى عند انتهائه،
 ويعدّه البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِلِقَائِي رَبِّهِمْ
 لَكٰفِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

[٩] ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾
 من الأمم؛ وهي: إهلاكهم بتكذيبهم رسلكم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مَنَهَةً قُوَّةً﴾
 كعاد وشمود ﴿وَأَنَارُوا الْآرْضَ﴾ حرنوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَا﴾
 أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴿أَي: كفار مكة ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾
 بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير جرم
 ﴿وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتكذيبهم رسلكم.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا السُّوَاعِيَ﴾ تأنيث الأسوا: الأقيح، خير
 ﴿كَانَ﴾ على رفع ﴿عَاقِبَةُ﴾^(٢) واسم ﴿كَانَ﴾ على نصب ﴿عَاقِبَةُ﴾
 والمراد بها جهنم وإساءتهم ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن
 ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[١١] ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي: ينشئ خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي:
 خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣).

[١٢] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبٰسِ الْمَجْرُمُونَ﴾ يسكت المشركون؛ لانقطاع
 حججهم.

[١٣] ﴿وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ﴾ أي: لا يكون ﴿لَّهُمْ مِّن شُرَكَائِهِمْ﴾ ممن أشركوهم
 بالله؛ وهم: الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَاؤُا وَكَانُوا﴾ أي: يكونون
 ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كَفِرِينَ﴾ أي: متبرئين منهم.

[١٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ المؤمنون

(١) الأولى تفسيرها بالعموم، ويدخل الكفار فيها دخولاً أولياً.

(٢) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالياء قراءة أبي عمرو وشعبة.

تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

[١٨] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض؛ ومعناه: يحمدُه أهلها ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على ﴿حِينَ﴾، وفيه صلاة العصر ﴿وَبِحِينَ تَطْهَرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

[١٩] ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿تَخْرُجُونَ﴾ من القبور؛ بالبناء للفاعل والمفعول^(١).

[٢٠] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ﴾ - تعالى - الدالة على قدرته ﴿أَن خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ في الأرض.

[٢١] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلقت حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطفة الرجال والنساء ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ وتأنفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ جميعاً ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ المذكور ﴿لَايِنْتَ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ في صنع الله - تعالى ..

[٢٢] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَالْوَيْكُرَ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها^(٢)؛ أي: ذوي العقول وأولي العلم.

[٢٣] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بإرادته راحة لكم ﴿وَأَنْعَامُكُمْ﴾ بالنهار ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

[٢٤] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ﴾ أي: إراءتكم ﴿الْبَرْقَ حَوَافًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فيحى - به الأرض ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَيْكُرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِعَاؤَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ حَوَافًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[١٧] ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهُ﴾ أي: سبحوا الله؛ بمعنى: صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء؛ وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾

(١) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه.

(٢) بالفتح قراءة السبعة إلا حفصاً.

[٢٥] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ نَقُومَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِأَمْرٍ﴾ بإرادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها أحياء، فخرجكم منها بدعوة؛ من آياته - تعالى ..

[٢٦] ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿كُلُّ لَهٌ قَدِيرٌ﴾ مطيعون.

[٢٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَالَمٌ﴾ من البدء، بالنظر إلى ما عند الخطابين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فحما عند الله - تعالى - سواء في السهولة ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الصفة العليا؛ وهي: أنه لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

[٢٨] ﴿صَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُمْ﴾ أيها الشركون ﴿مَثَلًا﴾ كأننا ﴿بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ﴾ وهو: ﴿هَلْ لَكُمْ مَن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: من ممالئكم ﴿بَيْنَ شُرَكَاءَ﴾ لكم ﴿فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: أمثالكم من الأحرار؟ والاستشفاع بمعنى النفي؛ المعنى: ليس ممالئكم شركاء لكم - إلى آخره - عندهم؛ فكيف يجعلون بعض ممالئكم شركاء له؟ ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نُبَيِّئُهَا مِثْلَ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٢٩] ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قَسَّ يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ ﴿أَي: لَا هَادِيَ لَهُ﴾ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿مَنْعِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

[٣٠] ﴿فَأَقْرَهُ﴾ يا محمد ﴿وَجَهَكَ لِلَّذِينَ حَبِطَ﴾ مائلاً إليه؛ أي: أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ﴾ خلقته ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي دينه؛ أي: الزموها ﴿لَا يَبْدِيلُ لِحَاقِ اللَّهِ﴾ لدينه؛ أي: لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَنْتَمُ﴾ المستقيم توحيد الله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله.

[٣١] ﴿مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ - تعالى - فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل ﴿أَقِيمُوا﴾ وما أريد به؛ أي: أقيموا ﴿وَأَتَّقُوا﴾ خافوا ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِأَمْرٍ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٌ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَالَمٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنَ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مَن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَقْرَهُ وَجَهَكَ لِلَّذِينَ حَبِطَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِحَاقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ أَنْتَمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٣١﴾ مَنِيبِينَ رَاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ مِمَّا أَسَاءُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

[٣٢] ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل بإعادة الجار ﴿فَرَقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا شِعَابًا﴾ فرقا في ذلك ﴿كُلُّ حَزْبٍ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُوا﴾ مسرورون، وفي قراءة: ﴿فَارَقُوا﴾ أي: تركوا دينهم الذي أيزوا به.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعا، هل تحسون فيها من جدعاء؟»، يقول أبو هريرة: «فَطَرَتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِحَاقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ أَنْتَمُ الْكَاذِبُونَ». البخاري - كتاب الجنائز (٢٣) باب (٧٩) إذا أسلم الصبي فمات؛ هل يُصلى عليه. وكتاب التفسير (٦٥) سورة الروم (٣٠) باب لا تبدل لحاق الله. وأخرجه مسلم - كتاب القدر (٤٦) باب (٦) كل مولود يولد على الفطرة. وعنده زيادة قول أبي هريرة: «أقرعوا إن شئتم...».

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ
 مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
 آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا آذَنَّا
 النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
 إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيَقْدِرُ لَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَتَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ
 حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ وَالَّذِينَ لِلذِّمَىٰ يُرِيدُونَ
 وَجَهَ اللَّهُ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ رِيًّا
 لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ
 زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيمُكُمْ هَلْ مِنْ
 شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
 أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ أي: كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ
 مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمطر (١)
 ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾
 [٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا﴾ أي: كفار مكة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ فاستمتعوا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾
 [٣٥] ﴿وَأَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ أي: كفار مكة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾
 [٣٦] ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: كفار مكة
 [٣٧] ﴿لَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة
 [٣٨] ﴿وَجَهَ اللَّهُ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: كفار مكة
 [٣٩] ﴿وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ رِيًّا لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة
 [٤٠] ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة
 [٤١] ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: كفار مكة

تَعْلَمُونَ ﴿عاقبة تمتعكم، فيه النفاة عن الغيبة.

[٣٥] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وكتاباً
 ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلم دلالة ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي: بأمرهم بالإشراك!
 لا.

[٣٦] ﴿وَإِذَا آذَنَّا النَّاسَ﴾ كفار مكة وغيرها ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿فَرِحُوا
 بِهَا﴾ فرح بظفر ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ إذا هم
 يقنطون ﴿يَأْسُونَ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو
 ربه عند الشدة.

[٣٧] ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾
 امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيق لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

[٣٨] ﴿فَتَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البرِّ والصلة ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾
 وأين السبيل، المسافر من الصدقة، وأمة النبي تقع له في ذلك ﴿وَالَّذِينَ لِلذِّمَىٰ﴾
 للذمير يريدون ﴿وَجَهَ اللَّهُ﴾ أي: ثوابه بما يعملون (١) ﴿وَأَوْلِيَّكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٣٩] ﴿وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ رِيًّا﴾ بأن يعطي شيئاً هبة أو هدية ليطلب أكثر
 منه؛ فسمي (٢) باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ
 النَّاسِ﴾ المعطين؛ أي: يزيد ﴿فَلَا يَرْبُوا﴾ يركو ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا ثواب فيه
 للمعطين ﴿وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾ صدقة ﴿يُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجَهَ اللَّهُ﴾
 فأولئك هم المضعفون ﴿ثوابهم بما أرادوه، فيه النفاة عن الخطاب.

[٤٠] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيمُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ
 مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٤١] ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ أي: الفجار؛ بقحط المطر وقلة النبات
 ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أي: البلاد التي عليها الأنهار بقلة مائها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي
 النَّاسِ﴾ من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ بالباء والنون (٤) ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾
 أي: عقوبته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون.

(١) الصواب أن الرحمة عامة وتشمل هنا الخلاص من كل شدة تنزل بهم، وهو المناسب لتفسيره الضر بالشدة. وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى.

(٢) وفي إثبات لصفة الوجه التي أتيها الله ﷻ لنفسه، وتبينها له على الوجه اللاتني به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف. وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي النظر إليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى.

(٣) أي: هذا العطاء، سماه الله ﷻ رباً لذلك. وهذا تفسير ابن عباس ومجاهد وقادة وغيرهم لهذه الآية.

(٤) بالنون قراءة قبل بخلاف عنه.

﴿٤٢﴾ ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ من قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿فَأَهْلَكُوا بِإِسْرَافِهِمْ وَمَسَاكِمِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ خَاوِيَةً﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَنِيمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد؛ يتفرون بَعْدَ الحساب إلى الجنة والنار.

﴿٤٤﴾ ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره؛ وهو: النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ يوطئون منازلهم في الجنة.

﴿٤٥﴾ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ ﴿يَصْدَعُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ يشبههم ﴿إِنَّهُ لَا يَجُزِيَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يعاقبهم^(١).

﴿٤٦﴾ ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ﴾ - تعالى - ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بمعنى: لتبشركم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ بها ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ المطر والخصب ﴿وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَسْتَسْمُوا﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه التعميم يا أهل مكة؛ فتوحده.

﴿٤٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهَؤُلَاءِ يَلْبَسُونَ﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم؛ فكذبوهم ﴿فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ﴾ أهلكتنا الذين كذبوهم ﴿وَكُنَّا حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافرين ياهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

﴿٤٨﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَسْطُرُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُ السَّحَابَ﴾ بفتح السين وسكونها^(٢)؛ قطعاً متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ جَلْدٍ﴾ أي: وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ بالوَدْقِ ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿بِفِرْحَانِ الْمَطَرِ﴾.

﴿٤٩﴾ ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ آيسين من إنزاله.

﴿٥٠﴾ ﴿فَانظُرْ إِلَى [أَنْزَارٍ]﴾^(٣) وفي قراءة: ﴿ءَانزَارٍ﴾ ﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أي:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَنِيمِ
مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾
مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يَجُزِيَ
الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ
مِن رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ بِأَمْرِهِ وَلِيَسْتَسْمُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهَؤُلَاءِ
يَلْبَسُونَ فَانقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ وَأَنَّا صَالِحُونَ ﴿٤٧﴾
اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا فَيَسْطُرُ فِي السَّمَاءِ
كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُ السَّحَابَ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ جَلْدٍ
فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾
فَانظُرْ إِلَى [أَنْزَارٍ] ﴿٥٠﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمَعَجَى الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾

نعمته^(٤) بالمطر ﴿كَيْفَ يَجِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسبها بأن تنبت ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمَعَجَى الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) وهذا تأويل لصفة الحجة بلازمها، وسبق بيان مذهب السلف في هذه الصفة وغيرها وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به.

(٢) بسكون السين قراءة ابن عامر، بخلاف عن هشام.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿أنار﴾.

(٤) نعمته - شينخائه - بالمطر أثر من آثار رحمته، وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنَّ ﴿ مَا ﴿ تُشْعِبُ ﴾ ﴿ سماع إفهام وقبول ﴿ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾ القرآن ﴿ فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿ مخلصون بتوحيد الله.

[٥٤] ﴿ إِنَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴿ ماء مهين ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ ﴿ آخر؛ وهو: ضعف الطفولية ﴿ قُوَّةٌ ﴿ أي: قوة الشاب ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً ﴿ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحها ^(١) ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴿ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ ﴿ بتدبير خلقه ﴿ الْقَدِيرُ ﴿ على ما يشاء.

[٥٥] ﴿ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفْسِدُ ﴿ يحلف ﴿ الْمَجْرُمُونَ ﴿ الكافرون ﴿ مَا لَيْسُوا ﴿ في القبور ﴿ عَبْرَ سَاعَةٍ ﴿ قال - تعالى -: ﴿ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿ يصرفون عن الحق: «البعث»، كما صرفوا عن الحق: «الصدق في مدة اللبث».

[٥٦] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ﴿ من الملائكة وغيرهم: ﴿ لَقَدْ لَيْسَتْ ﴿ في كِتَابِ اللَّهِ ﴿ فيما كتبه في سابق علمه ﴿ إِنْ يَوْمَ أَلْبَعَثَ ﴿ فَهَذَا يَوْمُ أَلْبَعَثَ ﴿ الذي أنكرتموه ﴿ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ وقوعه.

[٥٧] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ ﴿ بالياء والتاء ^(٢) ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ ﴿ في إنكارهم له ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿ لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٥٨] ﴿ وَلَقَدْ صَرَبْنَا ﴿ جعلنا ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴿ تنبيهًا لهم ﴿ وَلَئِنْ ﴿ لام قسم ﴿ جِئْتَهُمْ ﴿ يا محمد ﴿ بِآيَاتٍ ﴿ مثل العصا واليد لموسى ﴿ لَيَقُولُنَّ ﴿ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع للقاء الساكنين ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿ منهم: ﴿ إِنْ ﴿ ما ﴿ أَنْتُمْ ﴿ أي: محمد وأصحابه ﴿ إِلَّا مَبْطُلُونَ ﴿ أصحاب أباطيل.

[٥٩] ﴿ كَذَلِكَ يَطَّبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ التوحيد؛ كما طبع على قلوب هؤلاء.

[٦٠] ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴿ بنصرك عليهم ﴿ حَقٌّ ﴿ وَلَا يَسْتَحْفَنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿ بالبعث؛ أي: لا يحملتك على الخفة والطيش بترك الصبر؛ أي: لا تتركه.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِجَالًا مَحْفَرًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ إِذَا وُلِّئَا مُدِيرِينَ ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفْسِدُ الْمَجْرُمُونَ مَا لَيْسُوا عِبْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَالْكَافِرُونَ ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَاتٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿ كَذَلِكَ يَطَّبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَحْفَنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿

[٥١] ﴿ وَلَئِنْ ﴿ لام قسم ﴿ أَرْسَلْنَا رِجَالًا ﴿ مضرة على نبات ﴿ فَرَأَوْهُ مُصَفَّرًا لَظَلُّوا ﴿ صاروا، جواب القسم ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴿ أي: بعد اصفراؤه ﴿ يَكْفُرُونَ ﴿ يجحدون النعمة بالمطر.

[٥٢] ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ إِذَا ﴿ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ^(١) ﴿ وَوُلِّئَا مُدِيرِينَ ﴿

(١) التسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وشعبة، وحفص في أحد الوجهين، والوجه الآخر لحفص بخلف عنه، وحمزة، وشعبة: ﴿ ضَعْفٌ ﴾ بالفتح.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

سُورَةُ لُقْمَانَ

[مكية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ﴾ الآيتين؛ فمدنيتان، وهي: أربع وثلاثون آية، نزلت بعد الصفات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْقَمْرُ ﴿١﴾ ذَلِكُمْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
 لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
 بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَبَيْنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
 لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ
 عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا
 كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَ آيِ الْإِيمَانِ ﴿٧﴾
 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
 خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَالْقُلُوبِ فِي الْأَرْضِ رَوَى أَنْ يَمِيدَ
 بِكُلِّ وَتٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
 فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
 خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ لَيْلَ الظُّلُمَاتِ فِي صَلَاتٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

[١] ﴿الْقَمْرُ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: هذه الآيات
 ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى: من.
 [٣] هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالرفع ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي قراءة العامة:
 بالنصب^(١)، حالاً من الآيات العامل فيها ما في ﴿ذَلِكُمْ﴾ من معنى الإشارة.
 [٤] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
 بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثاني تأكيد.
 [٥] ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٦] ﴿وَبَيْنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي: ما يلهي منه عما يعني
 ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها^(٢) ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ
 وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب: عطفًا على «يضل»، وبالرفع^(٣): عطفًا على «يشتري»،
 ﴿هُزُوًا﴾^(٤) مهزوءًا بها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٥) ذواهانة.

[٧] ﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا
 ﴿كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ صمًا، وجعلنا التشبه حالان من
 ضمير: ﴿وَلَّى﴾، أو: الثانية بيان للأولى ﴿فَبَسَّرَهُ﴾ أغلقه ﴿بَعْدَ آيِ الْإِيمَانِ﴾
 مؤلم، ذكر البشارة تهكم به؛ وهو: النضر بن الحارث، كان يأتي الحيرة ينجر
 فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة^(٦)، ويقول: إن محمدًا
 يحدثكم أحاديث عاد ونمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم.
 فيستملحون حديثه ويترون استماع القرآن.

[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.
 [٩] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدرا خلودهم فيها إذا دخلوها
 ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك، وَحَقُّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيدته ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يضع
 شيئًا إلا في محله.

[١٠] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾ أي: العمدة، جمع عماد؛
 وهو: الأسطوانات، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿وَالْقُلُوبِ فِي الْأَرْضِ رَوَى﴾

جبالاً مرتفعة لـ ﴿أَنَّ﴾ لا ﴿يَمِيدُ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ وَتٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
 وَأَنْزَلْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
 كَرِيمٍ﴾ صنف حسن.

[١١] ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي: مخلوقه ﴿فَأَرُونِي﴾ أخبروني يا أهل مكة
 ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره؛ أي: ألهمكم حتى أشركتموها به. تعالى؟
 و«ما» استفهام إنكار مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي يصلية خبيثة، و«أروني» معلق
 عن العمل، وما يعقده سُدَّ مَسَدُ المفعولين ﴿بَلِّ﴾ للانتقال ﴿الظُّلُمَاتِ فِي
 صَلَاتٍ مُبِينٍ﴾ يبين بإشراكهم وأنتم منهم.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبعوا القينات، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خيرا في تجارة فيهن، وثمنهن حرام»، في مثل ذلك أنزلت عليه هذه الآية: ﴿وَبَيْنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٢) ومن سورة لقمان. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٥٣). قال ابن الأثير: «القيظة: الأمة؛ عُتْ أَوْ لَمْ تُعْنَ... وجمعها: قينات...»، (النهاية ٤ / ١٣٥). وروى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: قال: «الغناء وأشباهه». صحيح الأدب المفرد (٩٥٥).

(١) الرفع قراءة حمزة. وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) قرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمة واوا، وقرأ حمزة وصلًا: ﴿هُزَاءً﴾ بسكون الزاي مهموزًا، ووفقًا: ﴿هُزَاءُ هُزُوًا﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي مهموزًا.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٢٣٢) عن الكلبي ومقاتل. وهما منهما بالكذب، وأخرج نحوه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٥/٤) عن ابن عباس من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، وثلاثتهم مهمون بالكذب. وانظر: الاستيعاب (٥٩٣/٦٠).

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِيَّ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَيَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَمَلِنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَبْنِي إِلَيْهَا أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِهَا إِذْ كَانَ فِيهَا مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾ يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَلَا تُصْعِقْ ذَكَرَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٩﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ منها: العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمته كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كتفتي^(١). وقيل له: أي الناس شر؟ قال: «الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً» ﴿وَأَنْ﴾ أي: وقتلنا له: أن

﴿أَشْكُرْ لِيَّ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ بالله ﴿أَطْلُقُ عَظِيمٌ﴾ فرج إليه وأسلم.

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أمرناه أن يبرهنا ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ هونت ﴿وَهَيَا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿وَصَلَّهُ﴾ أي: فطامه ﴿فِي عَمَلِنِ﴾ وقتلنا له: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ أي: المرجع.

[١٥] ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: بالمعروف؛ البر والصلة^(٢) ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَى﴾ بالطاعة ﴿تَمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بما كنتم تعملون ﴿فَأُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ﴾ وجملة الوصية وما بعدها اعتراض.

[١٦] ﴿يَبْنِي إِلَيْهَا﴾ أي: الخصلة السيئة ﴿إِنْ تَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِهَا إِذْ كَانَ فِيهَا مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِي بِهَا اللَّهُ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها.

[١٧] ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يُؤْتِي حَرْدَلٍ الْأُمُورِ﴾ أي: معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها.

[١٨] ﴿وَلَا تُصْعِقْ﴾ وفي قراءة^(٣): ﴿تُضَاعِرْ﴾ ﴿حَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمل وجهك عنهم تكبراً ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خيلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس.

[١٩] ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الדיب والإسراع، وعلبك السكنية والوقار ﴿وَأَغْضُضْ﴾ اخفض ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ إن أنكر الأصوات ﴿أَقْبَحُهَا لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أوله زفير وأجزؤه شهيق.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٥): أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت في أربع آيات - فذكر قصة - ... قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب؛ قالت: زعمت أن الله أوصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا، قال: فكنت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسماها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله تعالى في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَيَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَمَلِنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ ﴿وَأَنْ﴾ أي: وقتلنا له: أن ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه.

(١) هذه الأخبار عن لقمان عليه السلام وابنه ما لم تثبت بدليل صحيح، فالأولى أن لا تعتمد في تفسير كلام الله تعالى وأن يقتصر على موضع العبرة والفائدة من القصة.

(٢) الحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو.

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم؛ لتنتفعوا بها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَنْسَجَ﴾ أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً﴾ وهي: حسن الصورة وتسوية الأعضاء، وغير ذلك ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي: المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْجِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا جَعَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَبْعُوهُ﴾ ولو كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: موجهاته؟ لا.

[٢٢] ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يُقْبِلُ عَلَى طَاعَتِهِ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَالَى اللَّهِ عِقْبَةُ الْأُمُورِ﴾ مرجعها.

[٢٣] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ﴾ يا محمد ﴿كُفْرُهُ﴾ لا تهتم بكفره ﴿إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها كغيره^(١) فمجاز عليه.

[٢٤] ﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو: عذاب النار لا يجدون عنه محيصًا.

[٢٥] ﴿وَلَيْنٌ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال، و«واو» الضمير لانقضاء الساكنين ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْتَرْتُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وجوب عليهم.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبادًا؛ فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحمود في صنعته.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ﴾ [وَالْبَحْرِ] ﴿عُطْفٌ عَلَىٰ اسْمِ «أَنْ»﴾ يُنَادُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَدَادًا ﴿مَا نَفَذَتْ كَيْدَتُ اللَّهِ﴾ المعبر بها عن معلوماته بِكَيْفِهَا بتلك الأقسام، بذلك الماد، ولا بأكثر من ذلك؛ لأن معلوماته^(٢) - تعالى - غير متناهية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْجِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا جَعَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِقْبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْتَرْتُمْ لَا يَعْزُبُونَ عَنِ اللَّهِ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُودُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفَذَتْ كَيْدَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ إِلَّا كَفَافٌ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

[٢٨] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ إِلَّا كَفَافٌ﴾ خلقًا وبعثًا؛ لأنه بكلمة «كن» فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصر كل مُبْصَر، لا يشغله شيء عن شيء.

(١) أي: كغير ما في الصدور، فلا تخفى عليه - شيخانته - خافية.

(٢) بالنصب، وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَالْبَحْرِ﴾ بالضم.

(٣) تفسير كلمات الله بمعلوماته عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف منها، وكلماته - شيخانته - هي كلامه وقرنه الذي لا نفاذ له؛ فهو - شيخانته - لم يزل ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء، وما ذهب إليه المفسر راجع إلى مذهب الأشاعرة وغيرهم أن كلام الله معنى واحد قائم بالنفس قديم لا يوصف بالتعدد، وهذا خلاف مذهب السلف وطريقتهم.

أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿٣٠﴾ هو: يوم القيامة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.
 ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا
 يَنْشُؤُونَ﴾ بالياء والناء^(١)؛ يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ
 اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ على خلقه بالقهر^(٢) ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم.
 ﴿٣١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَبْعَثُ اللَّهُ
 لِيُرِيَكُمْ﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾ إن في ذلك لآياتٍ ﴿عِبْرًا﴾ لِكُلِّ
 صَبَّارٍ ﴿عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ﴾ شكور ﴿لِنِعْمَتِهِ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: علا الكفار ﴿مَوْجٌ كَأَنَّ الْبُلْدَانَ
 تَهْتَأُ مِنْ تَحْتِهَا﴾ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ ﴿أَي: الدعاء بأن ينجيهم؛ أي: لا
 يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا يَخَذُّهُمُ إِلَى الْبَرِّ فَيُنقِذُ مَن يَشَاءُ﴾ متوسط بين الكفر
 والإيمان، ومنهم باقى على كفره ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ ومنه الإنجاء من الموج
 ﴿إِلَّا كَلَّ خَسَارٌ﴾ غدار ﴿كُفُورٌ﴾ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿٣٣﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة^(٣) ﴿أَنْقَرُوا رَبَّكُمْ وَأَنْشَأُوا يَوْمًا لَا
 يَجْزِي﴾ يعني ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ فيه شيقا ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ
 وَالِدِهِ﴾ فيه شيقا ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث ﴿فَلَا تَعْرَبْكُمْ الْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جلبيه وإمهاله ﴿الْعُرُورُ﴾
 الشيطان.

﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنزِلُ﴾ بالتخفيف
 والتشديد^(٤) ﴿الْقَيْثَ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أذكو أم أنثى،
 ولا يعلم واحدا من الثلاثة غير الله . تعالى . ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ
 عَدَا﴾ من خير أو شر، ويعلمه الله . تعالى . ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ
 تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله . تعالى . ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ بابطه
 كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث: ﴿مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ﴾: ﴿إِنَّ
 اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة^(٥).

الزُّرَّانَ اللَّهُ يُوَلِّعُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّعُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
 مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٦﴾ الزُّرَّانَ
 الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَبْعَثُ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ
 كَأَنَّ الْبُلْدَانَ تَهْتَأُ مِنْ تَحْتِهَا يَدْعُوا الَّذِينَ فَلَئِمَّا يَخَذُّهُمُ إِلَى الْبَرِّ
 فَيُنقِذُ مَن يَشَاءُ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كَلُّ خَسَارٍ كُفُورٍ
 ﴿٣٨﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُورًا رَكْعًا وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ
 عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْعًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
 حَقٌّ فَلَا تَعْرَبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ
 الْعُرُورُ ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ
 وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدَا
 وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الْبَحَارِ

﴿٢٩﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّعُ﴾ يدخل ﴿الْبَلَدَ فِي
 النَّهَارِ وَيُوَلِّعُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص
 من الآخر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿إِنَّ

(١) بالبناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٢) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، والله سبحانه له العلو المطلق ذاتا وشتاتا وقهرا.

(٣) الخطاب لأهل مكة ولغيرهم.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) البخاري (٤٦٢٧) بلفظ «مفتاح» وأخرجه أيضا في (٤٧٧٨) بنحو هذا اللفظ.

سُورَةُ التَّحْوِةِ

[مكية، ثلاثون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿الْم﴾ الله أعلم بمراده به.
- [٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر ثان.
- [٣] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ﴾ محمدا؟ لا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ لتُذِرَكَ به ﴿فَوَمَا مَأْ﴾ نافية ﴿أَنْتَهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بإنذارك.
- [٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وأخرها الجمعة^(١) ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواء يليق به^(٢) ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِن رَّبِّكَ﴾ اسم ﴿وَمَا﴾ بزيادة من؛ أي: ناصر ﴿وَلَا تَسْفِخْ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ؟﴾ هذا فتؤمنون؟
- [٥] ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يُعْرِجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير^(٣) ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل»: ﴿حَسْبِيَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٤) وهو يوم القيامة؛ لشدة أهواله بالنسبة إلى الكفار، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلحها في الدنيا، كما جاء في الحديث^(٥).
- [٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿عَلِيمُ الْعَبِيدِ وَالشَّهِيدُ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الَّذِي يَرَى﴾ المنع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته.
- [٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ بفتح اللام: فعلا ماضيا صفة، ويسكونها^(٦) بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٍ﴾.
- [٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ سَلْطَنَهُ﴾ ذريته ﴿مِن سُلْطَنَةٍ﴾ علقه ﴿مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ضعيف؛ هو: النطفة.
- [٩] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ أي: جعله حيا حساسا بعد أن كان جمادا ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ أي: لذريته ﴿السَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ والأبصار ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿وَلِيَلَّا مَا تَشْكُرُونَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا سَفِيحٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤﴾

﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْعَبِيدِ وَالشَّهِيدُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلْطَنَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٧﴾

﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٨﴾

﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿٩﴾

﴿ قُلْ يَتُوقَنكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٠﴾

﴿مَأ﴾ زائدة مؤكدة للقلّة.

- [١٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ غيبنا فيها بأن صيرنا ترابا مختلطا بترابها ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضوعين^(٧)، قال- تعالى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَافِرُونَ﴾.
- [١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتُوقَنكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياء؛ فيجازيكم بأعمالكم.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿الْم﴾ ﴿تَنْزِيلَ﴾ السجدة، و﴿قُلْ عَلَّ الْإِنسَانِ﴾. البخاري - كتاب الجمعة (١١) باب (١٠) ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة.

وأخرج الترمذي عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الْم﴾ ﴿تَنْزِيلَ﴾ و﴿تَنْزِيلَ الَّذِي يَبْدُو أَمْلُكُ﴾. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٧٣).

(١) الأولى أن يقول هنا كما قال في تفسير الآية (٥٩) من سورة الفرقان: «أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس».

(٢) سبق التعليق مرارا على هذا التفويض، وذكرنا الفارق بين تفويض الكيفية والذي هو حق، وبين تفويض الممي وأنه خلاف فهم السلف الذين كانوا يعلمون أن الاستواء يفيد الاستقرار والعلو.

(٣) قال ابن جرير في تفسير الآية: «وَأولى الأفعال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرحل إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل». وفي هذه الآية إثبات لعلو الله- تعالى- على خلقه.

(٤) المعارج: ٤.

(٥) رواه أحمد (١١٢٩٢) وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري مرفوعا [الدر المنثور (٤١٧/٦)]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٩٢ ج ٢).

(٦) بسكونها قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٧) أي: وتركه، وقرأ ابن عامر بالإحراق في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَأَرْجَعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَلِيحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُقْتَدِرُونَ﴾ الآن؛ فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب ﴿تَوَكَّلْ﴾: رأيت أمراً فظيماً، قال - تعالى: [١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ فهندي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٤] وتقول لهم الخزنة^(١) إذا دخلوها: ﴿فَذُوقُوا﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَالِدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

[١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعطوا ﴿بِمَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قالوا: «سبحان الله وبحمده» ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة.

[١٦] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم والليل تهجدًا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته^(٢) ﴿وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يتصدقون.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ﴾ خفي ﴿لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٣) ما تقر به أعينهم؛ وفي قراءة^(٤): بسكون الباء؛ مضارع ﴿جَزَاءً﴾ بما كانوا يعملون.

[١٨] ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَتْ فَاسِقًا﴾ أي: المؤمنون والفاسقون.

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ تَزْلًا﴾ هو ما بعد للضيف ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَا وَهُمْ نَارًا كَمَا أَرَادُوا﴾ أن يخرجوا منها أعيدها فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُرْمُوتِ نَاكِسَوُا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَذُوقُوا﴾ ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَالِدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ تَزْلًا كَمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُتَجَرِّبِينَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطؤها حياة يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكرنا من البعث

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تُدعى العتمة الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٣) ومن سورة السجدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٤).

(٥٥) فائدة: أخرج مسلم عن سهل بن سعد قال: شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال صلى الله عليه وسلم: فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ ثم اقرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٥١) حديث رقم (٢٨٢٥).

(١) لا ملجئ لحمل اللفظ على خلاف ظاهره وجعل القول للخزنة، وكلام الله - سبحانه - المنفي عنهم في الآخرة هو كلام الرحمة والإكرام لا الزجر والتوبيخ.

(٢) أي: ﴿أخفى﴾، وهي حمزة.

﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَتَخِفَتُونَ ﴿١٥﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ. ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا هَلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١٧﴾ أَي: يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا ﴿١٨﴾ مِنَ الْقُرُونِ ﴿١٩﴾ الْأُمِّ بِكُفْرِهِمْ ﴿٢٠﴾ يَمْشُونَ ﴿٢١﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿٢٢﴾ فِي مَسْكِنِهِمْ ﴿٢٣﴾ فِي أَسْفَارِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا؛ فَيَعْتَبِرُوا ﴿٢٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴿٢٥﴾ دَلَالَاتٌ عَلَى قَدْرَتِنَا ﴿٢٦﴾ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٧﴾ سَمَاعٌ تَدْبِيرٌ وَاتِعَاطٍ؟ ﴿٢٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ الْجُرُزَ فَفُتِحَتْ فِيهَا نَبَاتٌ ﴿٢٩﴾ فَفُتِحَتْ فِيهَا زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٠﴾ هَذَا، فَيَعْلَمُونَ أَنَّا نَقْدِرُ عَلَى إِعَادَتِهِمْ. ﴿٣١﴾ وَيَقُولُونَ ﴿٣٢﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿٣٣﴾ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ ﴿٣٤﴾ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴿٣٨﴾ يَنْزَالُ الْعَذَابُ بِهِمْ ﴿٣٩﴾ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِسْنَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ يَمْهَلُونَ لِنُوبَةٍ أَوْ مَعْدَةٍ. ﴿٤١﴾ فَاعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْظَرْنَا ﴿٤٢﴾ إِنْزَالَ الْعَذَابِ بِهِمْ ﴿٤٣﴾ إِذْ هُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٤٤﴾ بَلْ حَادَتْ مَوْتٌ أَوْ قَتِلَ فَيَسْتَرْجِعُونَ مِنْكَ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[٢١] ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ﴾ عذاب الدنيا؛ بالقتل، والأسر، والجذب، سنين، والأمراض ﴿دُونَ﴾ قبل ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإيمان. [٢٢] ﴿زَمَنٌ أَظْلَمُ مِنْ ذِكْرِ آيَاتِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿فَرُّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: موسى أو الكتاب ﴿هُدًى﴾ هاديا ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. [٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(١)؛ قادة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا﴾ على دينهم، وعلى البلاء من عدوهم، وفي قراءة^(٢): بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يُوقِنُونَ﴾. [٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَتَخِفَتُونَ﴾ من أمر الدين. [٢٦] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا هَلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها؛ فاعتبروا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبير واتعاط؟. [٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ الْجُرُزَ﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فَفُتِحَتْ فِيهَا زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا، ف يعلمون أننا نقدر على إعادتهم. [٢٨] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ بيننا وبينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟﴾ [٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يَنْزَالُ الْعَذَابُ بِهِمْ ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِسْنَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون لنوبة أو معذرة. [٣٠] ﴿فَاعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْظَرْنَا﴾ إِنْزَالَ الْعَذَابِ بِهِمْ ﴿إِذْ هُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ بَلْ حَادَتْ مَوْتٌ أَوْ قَتِلَ فَيَسْتَرْجِعُونَ مِنْكَ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ.

(١) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

(٢) لحمزة والكسائي.

وَالْمُنْفِقِينَ ﴿١﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴿٣﴾ بما يكون قبل كونه ﴿٤﴾ حَكِيمًا ﴿٥﴾ فيما يخلقه.

[٢] ﴿وَأَنْبِئْ مَا يُوْحِي إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وفي قراءة^(١): بالتحانية.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا لك، وأمته تبع له في ذلك كله.

[٤] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ﴾ ردًا على من قال من الكفار: ﴿إِنْ لَهُ قَلْبَيْنِ يَعْقِلُ بِكُلِّ مَنَهْمَا، أَفْضَلُ مِنْ عَقْلِ مُحَمَّدٍ﴾ ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ لِلنَّاسِ﴾ بهمة وبلاء وبلاء^(٢) ﴿تَنْظُرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها^(٣)، والهاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُمْ﴾ يقول الواحد مثلاً لزوجته: ﴿أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي﴾ ﴿أَمْهَتِكُمْ﴾ أي: كالأمهات في تحميمها بذلك، المد في الجاهلية طلاقًا، وإنما تجب به الكفارة بشرطه، كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ﴾ جمع دعوي؛ وهو: من يدعي لغير أبيه ابنًا له ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة ﴿ذَلِكَمُ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي: اليهود والمنافقين، قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي ﷺ، قالوا: تزوج محمدًا امرأة ابنه. فأكذبهم الله - تعالى - في ذلك^(٤) ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق.

[٥] لكن ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ عدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْمَلُوا لِأَبَائِهِمْ فَاتَّخِذُوا فِي الْبَيْنِ وَمَوْلِيَكُمْ﴾ بنو عمكم^(٥) ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَا كُنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ إلى خلافه ﴿وَأَرْوَاجُهُمْ أَمْهَتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْوَاجَ﴾ ذوو القربايات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[٦] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[٧] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[٨] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[٩] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[١٠] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[١١] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[١٢] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[١٣] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[١٤] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[١٥] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[١٦] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[١٧] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[١٨] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[١٩] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[٢٠] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[٢١] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

[٢٢] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَعَدَّتْهُمُ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فحائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّيِبُوا النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنْفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَنْبِئْ مَا يُوْحِي إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ لِلنَّاسِ تَنْظُرُونَ مِنْهُمْ أَمْهَتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْمَلُوا لِأَبَائِهِمْ فَاتَّخِذُوا فِي الْبَيْنِ وَمَوْلِيَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَا كُنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنَ أَنفُسِهِمْ وَأَرْوَاجُهُمْ أَمْهَتُهُمْ وَأَوْلُوا الْأَرْوَاجَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

سُورَةُ الْأَحْرَابِ

[مدنية، ثلاث وسبعون آية، نزلت بعد آل عمران]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَتَّيِبُوا النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ذم على تقواه ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحراب (٣٢) باب (٢).

وأخرج أيضًا عن عائشة - رضي الله عنها -: ... كان من قُبِي رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَوْلِيَكُمْ﴾. فردوا إلى آبائهم، فمن لم يعلم له أب كان مولى وأخاً في الدين... هـ. البخاري - كتاب النكاح (٦٧) باب (١٥) الألفاء في الدين.

(١) لأبي عمرو.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٤/٢١) عن مجاهد، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦١/٦) وزاد نسبه لابن أبي شبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٧٨/٣).

(٣) قرأ أبو عمرو والبرزي بياء ساكنة مع المد المشبع، وقرأ ورش بياء مكسورة، وقرأ قالون وقبيل بهمة مكسورة من غير ياء بعدها، وقرأ الياقون بهمة مكسورة بياء بعدها. (٤) قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وكذلك ابن عامر لكن مع تشديد الظاء، ومثله نافع وابن كثير وأبي عمرو لكن بدون ألف بعد الظاء. وقرأ عاصم: ﴿نظَاهِرُونَ﴾ بضم التاء وفتح الهاء مع تخفيف الظاء.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩٤)، والبخاري في تفسيره (٣١٧/٦).

(٦) المولى له في اللغة استعمالات عديدة، منها ابن العم، والمراد بالآية أي ادعهم بالأخوة الإيمانية والموالاته على ذلك، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، ويا أخي ويا مولاي، ولا تنظروا أن عدم علمكم بأبائهم عثر في دعوتهم إلى من تباهم.

[٧] ﴿وَمَا أَذْكُرُ﴾ وإذ أخذنا من النبيين ميثقهم ﴿حين أخرجوا من صلب آدم كالدُّرِّ: جمع ذرة؛ وهي: أصغر النمل﴾ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا عَلِيمًا﴾ شديدًا بالوفاء بما حملوه؛ وهو: اليمين بالله - تعالى - ثم أخذ الميثاق.

[٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنَّةٌ﴾ الَّذِينَ عَدَدْنَا لِكَافِرِينَ فِي تَلْبِيغِ الرِّسَالَةِ تَبْكِيَةً لِّلْكَافِرِينَ بِهِمْ ﴿وَأَعَدَّ﴾ - تعالى - ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ بِهِمْ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، هو عطف على ﴿أَخَذْنَا﴾.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء: من حفر الخندق، وبالإياء^(١): من تحزيب المشركين ﴿بَصِيرًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَنْصُرَ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة؛ وهي: منتهى الحلقوم، من شدة الخوف ﴿وَتَطَوَّنُ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ المختلفة بالنصر واليبأس.

[١١] ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبين الخُلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ حركوا ﴿وَزُلْزِلُوا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَكْفُرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ضَعُفٌ اعْتِقَادٍ: ﴿مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالنصر ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: المنافقون: ﴿يَتَأْهَلُ يَرْبُ﴾ هي: أرض المدينة، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها^(٢)؛ أي: لا إقامة ولا مكانة ﴿فَأَرْجِعُوا﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع - جبل خارج المدينة - للقتال ﴿وَيَسْتَعِذْنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّا بَيُّوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يُحْشَى عليها، قال - تعالى -: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّا﴾ ما ﴿رَبِيدُونَ﴾ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي: المدينة ﴿عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها ﴿ثُمَّ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا عَلِيمًا ﴿٧﴾
لَيْسَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنَّةٌ عَلَيْهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾
يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾
إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَنْصُرَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَطَوَّنُ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١١﴾
وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأْهَلُ يَرْبُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّا بَيُّوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّا رَبِيدُونَ ﴿١٢﴾
وَإِذْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ مَسْئُولًا ﴿١٣﴾
وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآدَبَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٤﴾

سُئِلُوا؛ أي: سألهم الداخلون ﴿الْفِتْنَةَ﴾ الشَّرْكَ ﴿لَا تَوْمَنَا﴾ بالمد والقصر^(٣)؛ أي: أعطوها وفعلوها^(٤) ﴿وَمَا نَلْبَسْنَا بِهَا إِلَّا بَيْسًا﴾.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآدَبَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) بالفتح قراءة السبعة عدا حفص.

(٣) بالقصر قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالترتيب على القراءتين.

فرتم ﴿لَا تَنْتَعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بقية آجالكم.
 [١٧] ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ بجيركم ﴿مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾ خيراً؟ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم.

[١٨] ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّجِينَ﴾ المشطين ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ﴾ تعالوا ﴿إِنِّي لَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء وسمعة.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة، جمع شحيح، وهو حال من ضمير ﴿يَأْتُونَ﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي كَنَظَرُ أَوْ كدوران الذي يُعَيِّنُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وجزيت الغنائم ﴿سَلَفَوْكُمْ﴾ آذوكم أو ضربوكم ﴿يَأْسِيَتُهُ جِدَادٌ أَيْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي: الغنمة يطلبونها ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُبَيِّنُوا﴾ حقيقة ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ كَانَ ذَلِكَ ﴿الْإِحْبَاطُ﴾ عَلَى اللَّهِ بَيِّنًا ﴿يَارَادَهُ﴾.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ الْأَخْرَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة؛ لخوفهم منهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَخْرَابُ﴾ كزوة أخرى ﴿يُودُّوْا﴾ يمتنوا ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادَرُوتَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: كائنون في البادية ﴿يَسْتَلُوتَ عَنْ آبَائِكُمْ﴾ أخباركم مع الكفار ﴿لَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكزوة ﴿مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء وخوفاً من التعبير.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ [إِسْوَةٌ] ﴿بِكسر الهمزة وضمها﴾ ﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والنبات في موطنه ﴿لَمَنْ﴾ بدل من ﴿لَكُمْ﴾ ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وذكر الله كبيراً ﴿بخلاف من ليس كذلك﴾.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾ في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ تصديقاً بوعده الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٨﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّجِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِنِّي وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٩﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفَوْكُمْ يَأْسِيَتُهُ جِدَادٌ أَيْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُبَيِّنُوا قَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ يَحْسَبُونَ الْأَخْرَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَخْرَابُ يُودُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَرُوتَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُوتُ عَنْ آبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا إِنْ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن
 قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ
 اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ
 يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾
 وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا ﴿٢٥﴾ أَي: الأحزاب ﴿يُعَذِّبُهُمْ لَمْ يَبَالُوا خَيْرًا﴾
 مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة
 ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريد ﴿عَزِيزًا﴾ غالبًا على أمره.
 ﴿٢٦﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَي: قريظة ﴿مِنْ
 صِيَابِهِمْ﴾ حصونهم، جمع صيصه؛ وهو: ما يتحصن به ﴿وَوَقَدَّ فِي
 قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقَاتَلُوا﴾ منهم؛ وهم: المقاتلة
 ﴿وَتَأْسَرُوا قَبِيحًا﴾ منهم؛ أي: الدراري.
 ﴿٢٧﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَدِيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوْهُا﴾ بغد؛
 وهي: خيبر أخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.
 ﴿٢٨﴾ وَيَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لَّا رُؤْيَا لَهَا ﴿وهن تسع، وطلبن منه من زينة الدنيا ما
 ليس عنده؛ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا فَمَا لَكُم مِّنْ أَمْثَلِكُمْ﴾
 أي: متعة الطلاق ﴿وَأَسْرَعَكُمُ سَرَاكُمَا جِيلًا﴾ أطلقن من غير ضرار.
 ﴿٢٩﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ﴾ أي: الجنة
 ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْآخِرَةِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنة؛
 فاخترن الآخرة على الدنيا^(٢٠).
 ﴿٣٠﴾ وَيُنَسِّئُ النَّبِيَّ مَن يَأْتِي مِنْكُمْ بِفَحْشَاةٍ مُّبِينَةٍ﴾ بفتح الباء
 وكسرها^(٢١)؛ أي: يبيئ، أو هي بيئة ﴿يُضَعِّفُ﴾ وفي قراءة^(٢٢): ﴿يُضَعِّفُ﴾
 بالتشديد، وفي أخرى^(٢٣): ﴿يُضَعِّفُ﴾ بالنون معه وَنَضَبَ ﴿العذاب﴾
 ﴿لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن، أي: مثليه ﴿وَكَانَ
 ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع
 النبي ﷺ ﴿فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ﴾ مات أو قتل في سبيل الله ﴿وَمِنْهُمْ مَن
 يَنْتَظِرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ في العهد، وهم بخلاف حال المنافقين^(٢٤).
 [٢٤] ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾
 بأن يمتهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب
 ﴿رَّحِيمًا﴾ به.

[٢٥] ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الأحزاب ﴿يُعَذِّبُهُمْ لَمْ يَبَالُوا خَيْرًا﴾
 مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة
 ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريد ﴿عَزِيزًا﴾ غالبًا على أمره.

[٢٦] ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: قريظة ﴿مِنْ
 صِيَابِهِمْ﴾ حصونهم، جمع صيصه؛ وهو: ما يتحصن به ﴿وَوَقَدَّ فِي
 قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقَاتَلُوا﴾ منهم؛ وهم: المقاتلة
 ﴿وَتَأْسَرُوا قَبِيحًا﴾ منهم؛ أي: الدراري.

[٢٧] ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَدِيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوْهُا﴾ بغد؛
 وهي: خيبر أخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

[٢٨] ﴿وَيَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لَّا رُؤْيَا لَهَا﴾ وهن تسع، وطلبن منه من زينة الدنيا ما
 ليس عنده؛ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا فَمَا لَكُم مِّنْ أَمْثَلِكُمْ﴾
 أي: متعة الطلاق ﴿وَأَسْرَعَكُمُ سَرَاكُمَا جِيلًا﴾ أطلقن من غير ضرار.

[٢٩] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ﴾ أي: الجنة
 ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْآخِرَةِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنة؛
 فاخترن الآخرة على الدنيا^(٢٠).

[٣٠] ﴿وَيُنَسِّئُ النَّبِيَّ مَن يَأْتِي مِنْكُمْ بِفَحْشَاةٍ مُّبِينَةٍ﴾ بفتح الباء
 وكسرها^(٢١)؛ أي: يبيئ، أو هي بيئة ﴿يُضَعِّفُ﴾ وفي قراءة^(٢٢): ﴿يُضَعِّفُ﴾
 بالتشديد، وفي أخرى^(٢٣): ﴿يُضَعِّفُ﴾ بالنون معه وَنَضَبَ ﴿العذاب﴾
 ﴿لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن، أي: مثليه ﴿وَكَانَ
 ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٣): أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني اعتذرت إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني لأجد ريحها من دون أحد.

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مقل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بينانه، قال أنس: كما نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية. البخاري - كتاب الجهاد والسير (٥٦) باب (١٢).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٨، ٢٩): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا يباه لهم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا. قال: فقال: لأقولن شيئا أحضحك النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقممت إليها فوجأت عفتها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى يسألني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عفتها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عفتها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، قلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئا أبدا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين. ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لَّا رُؤْيَا لَهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أوبوك». قالت: وما هو يا رسول الله؟

فتلا عليها الآية قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أوبوك؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: «ولا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها؛ إن الله لم يعطني متنا ولا متعنا، ولكن بعثني معلما ميسرا». مسلم - كتاب الطلاق (١٨) باب (٤) بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بنية.

(١) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة.

(٢) لأبي عمرو.

(٣) لابن كثير وابن عامر.

﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٣١﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسُنَّتْ كَأَحْرَمٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ تَقَيَّنَتْ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا بُنِيَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرِينَ وَالصَّادِرَاتِ وَالْحَنُوفِينَ وَالْحَنُوفَاتِ وَالْمُتَّصِفِينَ وَالْمُتَّصِفَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

﴿٣٢﴾ ﴿يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسُنَّتْ كَأَحْرَمٍ﴾ كجماعة ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ إِنْ تَقَيَّنَتْ ﴿اللَّهُ فَإِنَّكَ أَعْظَمُ﴾ ﴿فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ﴾ لِلرَّجَالِ ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ﴾ نفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ مِنْ غَيْرِ خُضُوعٍ.

﴿٣٣﴾ ﴿وَقَرْنَ﴾ بِكسر القاف وفتحها ﴿١﴾ ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ مِنَ الْقِرَاءِ وَأَصْلُهُ: «أَقْرَن» بِكسر الراء وفتحها؛ مِنْ قَرَرْتُ، بفتح الراء وكسرهما، نُقِلَتْ حُرُوكَةُ الرَّاءِ إِلَى الْقَافِ، وَحَدَّثَتْ مَعَ هَمْزَةِ الْوَصْلِ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ بترك إحدى التاءين مِنْ أَصْلِهِ ﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أَي: مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنْ إِظْهَارِ النِّسَاءِ مُحَاسِنَهُنَّ لِلرَّجَالِ، وَالْإِظْهَارُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ مَذْكُورٌ فِي آيَةٍ: ﴿وَلَا يُدِيرُكَ زِينَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الْإِسْمَ بِأَهْلِ الْبَيْتِ أَي: نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُنِيَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَةَ الشَّيْءُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بِأَوْلِيَاءِهِ ﴿خَبِيرًا﴾ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرِينَ وَالصَّادِرَاتِ وَالْحَنُوفِينَ وَالْحَنُوفَاتِ وَالْمُتَّصِفِينَ وَالْمُتَّصِفَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً ﴿لِلْمَعَاصِي﴾ وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿عَلَى الطَّاعَاتِ﴾ ﴿٤﴾.

﴿٣١﴾ ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ﴾ يَطِيع ﴿مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أَي: مِثْلِي ثَوَابٍ غَيْرُهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿١﴾ بِالْحَتَائِيَةِ فِي ﴿تَعْمَلْ﴾ وَ﴿نُؤْتِهَا﴾ ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ فِي الْجَنَّةِ زِيَادَةً.

﴿٥﴾ مَا جَاءَ فِي نَزُولِ آيَةِ (٣٣): أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَذَكُّرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهَا، فَأَتَتْهُ فَاطِمَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِبِرْمَةٍ فِي خَزِيرَةٍ، فَدَخَلَتْ بِهَا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهَا: «دَاعِي زَوْجِكَ وَابْنِكَ»، قَالَتْ: فَجَاءَ عَلِيُّ وَالْحُسَيْنُ وَالْحَسَنُ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَجَلَسُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ، وَهُوَ عَلَى نَامَةِ لَهُ عَلَى دُكَّانٍ تَحْتَهُ كِسَاءٌ لَهُ خَيْرِي، قَالَتْ: وَأَنَا أَصْلِي فِي الْحِجْرَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ آيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قَالَتْ: فَأَخَذَ فَضْلُ الْكِسَاءِ فَغَشَاهُمْ بِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ فَأَوْلَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هُوَ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَتِي؛ فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»، قَالَتْ: فَادْخَلْتُ رَأْسِي الْبَيْتَ فَقُلْتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ». أَحْمَدُ - الْمُسْنَدُ (٢٩٢/٦)، وَصَحِيحَةُ الْأَرْنَؤُوطِ بِمَجْمُوعِ طَرَفِهِ عَلَى تَخْرِجِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ (١١٧/٤٤، ١١٨)، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلْمَةَ بِنَحْوِهِ مُخْتَصِرًا. (صَحِيحٌ)، صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٥٦٢). وَالْخَزِيرَةُ: لَحْمٌ يَقَطَعُ صَخْرًا وَيَصُبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ، فَإِذَا نَضَجَ دُرُّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَحْمٌ فَهِيَ عَصِيْدَةٌ. وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. وَالرِّمَّةُ: الْقَدْرُ مَطْلَقًا، وَجَمْعُهَا: بِرَامٌ، وَالنَّامَةُ هُنَا: الْقَطِيفَةُ. وَالذُّكَّانُ: الدُّكَّةُ الْبَنِيَّةُ لِلْجُلُوسِ عَلَيْهَا. النِّهَايَةُ (١٢١/١، ١٣١/٥، ١٢٨/٢).

﴿٥﴾ مَا جَاءَ فِي نَزُولِ آيَةِ (٣٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ عِمْرَةَ الْأَصْبَارِيَّةِ أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرَّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يَذْكُرْنَ بِشَيْءٍ. فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٣٤) وَمِنْ سُورَةِ الْأَحْرَابِ. (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٥٦٥). وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَبْزُؤُ الرَّجَالُ وَلَا يَبْزُؤُ النِّسَاءَ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْبِرِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٢]. قَالَ مُجَاهِدٌ: فَأَنْزَلَ فِيهَا: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾. سَبَقَ تَخْرِجُهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ آيَةَ (٣٢).

(١) حِمْزَةُ وَالْكَسْبَانِي.

(٢) بِالْكَسْرِ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا عَاصِمَ وَنَافِعَ.

(٣) النُّور: ٣١.

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَنْكَرُوا﴾^(١) ﴿لَهُمْ الْحَيْرَةُ﴾ أي: الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ خلاف أمر الله ورسوله، نزلت في عبد الله ابن جحش وأخته زينب خطبتها النبي زيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما؛ لظنها قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا^(٢) للآية: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ يتنأ؛ فزوجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين؛ فوقع في نفسه حينها^(٣)، وفي نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها. فقال: «أمسك عليك زوجك»؛ كما قال - تعالى -: [٣٧] ﴿وَإِذْ نُنصَبُ بِهِ الذِّكْرُ﴾ ﴿تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالاعتاق؛ وهو: زيد بن حارثة، كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَتَحْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره؛ من محبتها^(٤)، وأن لو فارقها زيد تزوجها ﴿وَتَحْفَىٰ النَّاسُ﴾ أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه. ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ في كل شيء، وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا﴾ حاجة ﴿زَوْجَتِهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبرًا ولحما ﴿لِيَكُنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزِلِ أَحَدِيهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا﴾ وكانت أمر الله ﷻ مقضية ﴿مَفْعُولًا﴾^(٥).

[٣٨] ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾ أحل ﴿اللَّهُ لَكُمْ سِتَةَ اللَّهِ﴾ أي: كسنة الله، فنصب بنزع المخاض ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فعله^(٦) ﴿قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ مقضيًا. [٣٩] ﴿الَّذِينَ نَعْتُ لَهُ الَّذِينَ﴾ قبله ﴿يَبْغُونَ رِسَالَتَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿وَكُنِّي بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبتها.

[٤٠] ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ فليس أبا زيد؛ أي: والده؛ فلا يحرم عليه التزوج بزوجه زينب ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ﴾^(٧) الْبَشَرِ، فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيًا، وفي قراءة: بفتح التاء؛ كآلة الختم؛ أي: به ختموا ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَظِيمًا﴾ منه؛ بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشرعته^(٨).

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِينَ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا زَوَّجْنَاكَ بِهَا لِأَنَّكَ بَلَغْتَ مِنْهَا حَرَجًا وَنَكَحْتَ أَخَاهُ فَلَئِمَّا تَلَقَّيْتَهُ لِيُظَاهِيَ السُّبُوَّةَ وَأَلَّا يَكُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزِلِ أَحَدِيهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ وَسُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْغُونَ رِسَالَتَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنِّي بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَيَحْمِلُهُمْ بِاللَّهِ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَنِ الْظَلَمْتُمْ أَي: يستغفرون لكم ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ ليدم إخراجهم إياكم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي: الإيمان ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

[٤١] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

[٤٢] ﴿وَسَيَحْمِلُهُمْ بِاللَّهِ وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره.

[٤٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ أي: يرحمكم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ يستغفرون لكم ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ ليدم إخراجهم إياكم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي: الإيمان ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٧): أخرجه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن هذه الآية: ﴿وتحفي في نفسك ما الله مبديها﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد ابن حارثة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٤) باب (٦).

وأخرجه الترمذي عن أنس قال: نزلت هذه الآية: ﴿وتحفي في نفسك ما الله مبديها وتحفي للناس﴾ في شأن زينب بنت جحش؛ جاء زيد يشكو، فهم بطلاقها، فاستأمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب (صحيح) صحيح من الترمذي (٢٥٦٧).

(١) بالثناء: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٢) جمهور المفسرين وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقادة أنها نزلت في زينب بنت جحش عندما كرهت نكاح زيد لكونه مولى، وذكر بعض المفسرين - كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير وغيره - أن عبد الله بن جحش أخا زينب كره ذلك ما كرهته زينب، فلما نزلت الآية رضيا وسلمًا. ورواية المصنف هي المنقولة عن قادة دون ذكر عبد الله بن جحش، أخرجه الطبري في جامعه (٩/٢٢)، والطبراني في الكبير (٣٧/٢٤)، رقم ٣٧٧، (١٢٤، ١٢٣) من طرق عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٧): رواه الطبراني بأسانيد رجال بعضها رجال الصحيح. وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (١١٥/٣).

(٣) هكذا أورد غير واحد من المفسرين هذا الكلام في تفسير الآية الكريمة، ولا أساس له من الصحة كما بين ذلك المحققون من أهل العلم كابن كثير وابن حجر وغيرهما، وإنما هو من الباطل الذي يريد أعداء الإسلام به أن يسبوا إلى النبي ﷺ، والصراب في ذلك أن الله - تعالى - أعلم نبيه ﷺ ذلك مخافة أن يقول الناس: كيف تزوج محمد زوجة ابنه؟ وكان يقول لزيد: «أمسك عليك زوجك».

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) قال ابن كثير في تفسير الآية: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله - تعالى - ورحمته، وهو كائن لا محالة.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا عاصم. وقرأ عاصم بفتح التاء.

(٧) أي بشريعة محمد ﷺ.

[٤٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على من أُرْسِلْتَ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا من كذبك بالنار [٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿يَاذِيئِهِ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

[٤٧] ﴿وَيُنِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَأْنُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿هُوَ الْجَنَّةُ﴾ [٤٨] ﴿وَلَا تَطْعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَخَّ﴾ أترك ﴿أَذْنَهُمْ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مفوضًا إليه.

[٤٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١): ﴿شَمَاشُوهُنَّ﴾ أي: تجماعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَمْتَدُّونَهَا﴾ تحصونها بالإقرار وغيرها ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به؛ أي: إن لم يُسَمَّ لَهُنَّ أَضِدْفَةٌ، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار.

[٥٠] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَأَنْتِ أَجْرُهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسي؛ كصفيه وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾ التي هاجرن معك ﴿بِخلاف من لم يهاجرن﴾ ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً﴾ إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها ﴿يطلب نكاحها بغير صدق﴾ خالصة لك من دون المؤمنين ﴿النكاح بلفظ الهبة من غير صدق﴾ ﴿فَدَّ عَلَيْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من الأحكام؛ بأن لا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَفِي﴾ من مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الإماء بشراء وغيره؛ بأن تكون الأمة ممن تحمل المالكة كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرى قبل الوطاء ﴿لِيَكْتَلَّ﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ فيما يعسر التحرز عنه ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

يَحْتَمُّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٥﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٦﴾ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذَانِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٧﴾ وَيُنِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٨﴾ وَلَا تَطْعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَخَّ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥٠﴾ إِنَّا أَلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَأَنْتِ أَجْرُهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيَكْتَلَّ بِكُونِ عَلَيْكَ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾

[٤٤] ﴿يَحْتَمُّهُمْ﴾ منه - تعالى - ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ﴾ بلسان الملائكة (١) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة.

(١) إذا قلنا: إن التحية منه - شيخانته - بمعنى أنه يسلم عليهم كما قال - شيخانته -: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِنْ رَبِّي رَحِيمًا﴾، ففسية هذا إلى الملائكة من التأويل السقيم، وهو مذهب المؤولة القائلين بالكلام النفسي أو الذين ينفون عن الله هذه الصفة، وعلى القول الآخر أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضًا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة، وهو اختيار ابن جرير - فلا معنى لهذا التأويل ولا وجه له.

والتفسير الأول أظهر وهو اختيار ابن كثير.

(٢) لحمزة والكسائي، وهي بضم التاء ولاشباع المد بعد السين.

[٥١] ﴿تَرْجِي﴾ [تَرْجِي] بالهمزة والياء بدله^(١)؛ تَوَحَّرَ ﴿مَنْ نَشَأَ مِنْهُمْ﴾ أي: أزوأك عن نوبتها^(٢) ﴿وَتَوَصَّى﴾ تضم ﴿إِلَيْكَ مَنِ نَشَأَ﴾ منهم فتأثها ﴿وَمَنْ أَيْبَغَيْتَ﴾ طلبت ﴿وَمَنْ عَزَلْتَ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طلبها وضماها إليك، شئير في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه^(٣) ﴿ذَلِكَ﴾ التخيير ﴿أَذْفَ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يَعْزُرَكَ وَيَرْضَيْكَ يَمَّا آيَّتُهُمْ﴾ ما دُكِرَ الخيبر فيه ﴿كَلِمَتُهُمْ﴾ تأكيد للفاعل في ﴿وَيَرْضَيْكَ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيرا عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا﴾ بخلقهن ﴿عَلِيمًا﴾ عن عقابهم.

[٥٢] ﴿لَا تَجِلْ﴾ بالناء والياء^(٤) ﴿لَكَ الْيَسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ بعد التسع اللاتي اخترتك ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ﴾ برك إحدى التاءين في الأصل ﴿بَيْنَ مِنْ أَرْوَجٍ﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن وتتكبح بتدل من طَلَّقَتْ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء؛ فتحل لك، وقد ملك ﷺ بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ حفيظًا.

[٥٣] ﴿يَتَأْتِيَنَّكَ الْأَيُّمُ لَا يَدْخُلُوا بُيُوتَ أَنْتِي إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في الدخول بالدعاء ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ فدخلوا ﴿غَيْرَ نَظْرِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَّهُ﴾ نضحها، مصدر أتى يأتي ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِرُوا وَلَا تَكْثُرُوا مُسْتَسْتَجِبِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ﴾ أن يخرجكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنْ الْحَقِّ﴾ أن يخرجكم، أي: لا يترك بيانه^(٥) ﴿وَقَرَأَ﴾ ﴿يَسْتَجِيبُ﴾ بياء واحدة ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَمًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ستر ﴿ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المرية ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بشيء ﴿وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَرْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ إِذْ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبًا عَظِيمًا^(٦).

* تَرْجِي مَنْ نَشَأَ مِنْهُمْ وَتَوَصَّى إِلَيْكَ مِنْ نَشَأَهُ وَمَنْ أَيْبَغَيْتَ وَمَنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذْفَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يَعْزُرَكَ وَيَرْضَيْكَ يَمَّا آيَّتُهُمْ كُلُّهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا عَلِيمًا لَا يَجِلُّ لَكَ الْيَسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَرْوَجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا يَتَأْتِيَنَّكَ الْأَيُّمُ لَا يَدْخُلُوا بُيُوتَ أَنْتِي إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِرُوا وَلَا تَكْثُرُوا مُسْتَسْتَجِبِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَمًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَرْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خِفْتُمُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا

[٥٤] ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خِفْتُمُوهُ﴾ من نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا﴾ فيجازيكم عليه.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥١): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟! فلما نزلت: ﴿تَرْجِي مَنْ نَشَأَ مِنْهُمْ﴾ قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. البخاري كتاب النكاح (٦٧) باب (٢٩) هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد.

(٦) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو يتأهب للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقت فجمت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فأتى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يَتَأْتِيَنَّكَ الْأَيُّمُ لَا يَدْخُلُوا بُيُوتَ أَنْتِي﴾ الآية. البخاري - التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٥٩).

وأخرج أيضًا عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع - وهو صعيد أفيح - فكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نسائك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة - زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة؛ حرصًا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب. البخاري - كتاب الوضوء (٤) باب (١٣) خروج النساء إلى البراز.

وأخرج أيضًا عن أنس قال: قال عمر ﷺ قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؛ فأنزل الله الحجاب. البخاري - التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٨).

(١) بالهمزة المضمومة قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج البخاري عن معاذ عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿تَرْجِي مَنْ نَشَأَ﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذلك إليّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحدًا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٧). وهذا الحديث يؤيد تخصيص المصنف تخييره ﷺ بين الإرجاء والإبداء بزوجاته ﷺ، أي في القسم بينهما كيف يشاء. وهذا أحد القولين في تفسير الآية. والقول الثاني: أن الآية عامة في الواهبات أنفسهن له ﷺ؛ في قول من شاء منهن ورد من شاء، وكذا في زوجاته اللاتي عنده؛ في القسم بينهما. واختار هذا القول ابن جرير واستحسنه ابن كثير، وفيه جمع بين الأحاديث.

(٣) ولكنه ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل كما في حديث عائشة عند أبي داود (٢١٣٥) قالت: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم... الحديث، وحسنه الألباني في الإرواء (٨٥/٧).

(٤) بالناء قراءة أبي عمرو.

(٥) والصواب إثبات صفة الحياء لله ﷻ على الوجه الذي يليق به، ومن لوازم الإثبات الترك، وتفسير الصفة بلازمها ليس مذهب السلف.

(٦) أي: شذوذًا.

اللَّهُ ﴿٥٦﴾ فيما أمرتن به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء.

[٥٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَبْتَئِمُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ﴾ أي: قولوا: اللهم صل على محمد وسلم.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم: الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: النار.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا﴾ ما اكتسبوا ﴿بِرمونهم بغير ما عملوا﴾ فقد أحتملوا بهتنا ﴿تَحْمِلُوا كَذِبًا﴾ وإثماً شديداً ﴿بِيتًا﴾.

[٥٩] ﴿يَبْتَئِمُهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِهِ﴾ وبنايك ونساء المؤمنين يدين عليهن من جلبيبهن ﴿٥٩﴾ جمع جلباب؛ وهي: الملاعة التي تشتمل بها المرأة؛ أي: برحين بعضها على الوجه إذا خرجن لحاجتهن، إلا عينا واحدة ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يُعْرِفَنَّ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ بالعرض لهن بخلاف الإمام فلا يظنن وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَجِيمًا﴾ بهن إذ سترهن.

[٦٠] ﴿لَنْ﴾ لام قسم ﴿لَنْ يَنْفَكَنَّ الْمُتَّقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ بالزنا ﴿١﴾ ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم ﴿٢﴾: قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا ﴿لَنْغَرِيْبَتِكَ﴾ بهم ﴿لنسلطنك عليهم﴾ ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِزُونَكَ﴾ يساكونك ﴿وَبِهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يخرجون.

[٦١] ﴿مَلْعُونِينَ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أَيْنَ مَا تُقْفَوُا﴾ وجدلوا ﴿أَجْدُوا وَفُتِلُوا تَفْسِيلًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به.

[٦٢] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سن الله ذلك ﴿فِي الَّذِينَ خَلَدُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في مناقبيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَنْ يَحْدِلَّ سُنَّةَ اللَّهِ﴾ بتديلا منه.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَقْبِيَتِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا كَسَبُوا فَتَدَابَعُوا أَلْمُؤْمِنَاتِ وَإِنَّمَا مَثَبُهَا يَتَّبِعُهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيْبِهِنَّ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَجِيمًا ﴿٦٠﴾ لَنْ لَنْ يَنْفَكَنَّ الْمُتَّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنْغَرِيْبَتِكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِزُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦١﴾ مَلْعُونِينَ إِنَّمَا تُقْفَوُا أَخْدُوا وَفُتِلُوا تَفْسِيلًا ﴿٦٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَدُوا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَحْدِلَّ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٣﴾

[٥٥] ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يزوهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَأَقْبِيَتِ﴾

(٥٦) فائدة: أخرج أحمد عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قالوا: كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. المسند (٢٤٤/٤)، وصححه الأرنؤوط (١٨١٣٣). والحديث في الصحيحين والسنن دون ذكر الآية؛ البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٥٧) فائدة: أخرج أبو داود عن أم سلمة قالت: لما نزلت: ﴿يُدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيْبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية. أبو داود - كتاب (الباس) (٢٦) باب (٣٢) في قوله تعالى: ﴿يُدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيْبِهِنَّ﴾. وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة ص ٣٨.

(١) أي: بحب ذلك، وكذا حب الفواحش.

(٢) أي: الذين يرفضون المؤمنين بقولهم.

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ السَّاعَةِ﴾ أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى تكون ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك بها؛ أي: أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ نارا شديدة يدخلونها.

[٦٥] ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدرًا خلودهم ﴿وَمَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعها عنهم.

[٦٦] ﴿يَوْمَ نُفَلِّحُ وَجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِن لَّبِيتْنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾

[٦٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الأتباع منهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة^(١): ﴿سَادَاتِنَا﴾ جمع الجمع ﴿وَكُذِّبْنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ طريق الهدى.

[٦٨] ﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ مِنْ الْعَذَابِ مِنْكَ﴾ أي: مثلي عذابنا ﴿وَالْعَذَابُ﴾ عذبهم ﴿وَلَعْنَا كَثِيرًا﴾^(٢) عدده، وفي قراءة: بالوحدة؛ أي: عظيمًا.

[٦٩] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا﴾ مع نبيكم ﴿كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ﴾ بقولهم - مثلا: - ما يمنعنا أن يغتسل معنا إلا أنه أدر ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليتغسل؛ ففَرَّ الحِجْرُ به حتى وقف بين مَلِكٍ من بني إسرائيل؛ فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به، فأراه ولا أدركه به^(٣)؛ وهي نفخة في الحصية ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاءٌ﴾ ذا جاه، ومما أودى به نَبِيْنَا ﷺ أنه قَسَمَ قَسَمًا، فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله - تعالى - فغضب النبي ﷺ من ذلك، وقال: ﴿يُوحِىَ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا؛ فَصَبِّرْ﴾^(٤) [رواه البخاري].

[٧٠] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صوابًا.

[٧١] ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ نال غاية مطلوبه.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهما ونطقًا ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿وَمِمَّا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا كَثِيرًا﴾ نفسه بما حمله ﴿جَهْلًا﴾ به.

[٧٣] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ «اللام» متعلقة بـ﴿عَرَضْنَا﴾ المترتب عليه حمل

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ نُفَلِّحُ وَجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِن لَّبِيتْنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُذِّبْنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿سَادَاتِنَا﴾ جمع الجمع ﴿وَكُذِّبْنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ طريق الهدى. ﴿٦٨﴾ رَبَّنَا آتِنَاهُمْ مِنْ الْعَذَابِ مِنْكَ أَي: مثلي عذابنا ﴿وَالْعَذَابُ﴾ عذبهم ﴿وَلَعْنَا كَثِيرًا﴾^(١) عدده، وفي قراءة: بالوحدة؛ أي: عظيمًا. ﴿٦٩﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ بِقَوْلِهِمْ - مثلا: - ما يمنعنا أن يغتسل معنا إلا أنه أدر ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليتغسل؛ ففَرَّ الحِجْرُ به حتى وقف بين مَلِكٍ من بني إسرائيل؛ فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به، فأراه ولا أدركه به^(٢)؛ وهي نفخة في الحصية ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاءٌ﴾ ذا جاه، ومما أودى به نَبِيْنَا ﷺ أنه قَسَمَ قَسَمًا، فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله - تعالى - فغضب النبي ﷺ من ذلك، وقال: ﴿يُوحِىَ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا؛ فَصَبِّرْ﴾^(٣) [رواه البخاري]. ﴿٧٠﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا صوابًا. ﴿٧١﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ يقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ نال غاية مطلوبه. ﴿٧٢﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهما ونطقًا ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿وَمِمَّا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا كَثِيرًا﴾ نفسه بما حمله ﴿جَهْلًا﴾ به. ﴿٧٣﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ «اللام» متعلقة بـ﴿عَرَضْنَا﴾ المترتب عليه حمل

آدم^(٤) ﴿الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المؤمنين ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

(١) لابن عامر.

(٢) للبيعة عدا عاصم. وقرأ عاصم: ﴿كثيرًا﴾ بالوحدة.

(٣) كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩).

(٤) البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٥) قال ابن كثير: أي إنما حَمَلَ ابن آدم الأمانة وهي التكاليف؛ ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات... إلخ.

سُبُورٌ لِّأَنْبِيَاءٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ الْعَيْبُ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ يَتَجَرَّوْا أَلْيَافَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ الْعَيْبُ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ وَرَبِّي أَعْلَمُ الْغَيْبُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا نَسْوَةٌ لِّلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا لَيْسَ لَهُمْ مَقِيلٌ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا نَسْوَةٌ لِّلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا لَيْسَ لَهُمْ مَقِيلٌ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا نَسْوَةٌ لِّلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا لَيْسَ لَهُمْ مَقِيلٌ ﴿١٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا نَسْوَةٌ لِّلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا لَيْسَ لَهُمْ مَقِيلٌ ﴿١٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا نَسْوَةٌ لِّلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا لَيْسَ لَهُمْ مَقِيلٌ ﴿١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا نَسْوَةٌ لِّلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا لَيْسَ لَهُمْ مَقِيلٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا نَسْوَةٌ لِّلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا لَيْسَ لَهُمْ مَقِيلٌ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا نَسْوَةٌ لِّلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا لَيْسَ لَهُمْ مَقِيلٌ ﴿١٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا نَسْوَةٌ لِّلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا لَيْسَ لَهُمْ مَقِيلٌ ﴿٢٠﴾

سُبُورٌ لِّأَنْبِيَاءٍ

[مكية إلا: ﴿وَرَبِّي أَعْلَمُ الْغَيْبُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾، وهي: أربع، أو: خمس وخمسون آية، نزلت بعد لقمان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حميد - تعالى - نفسه بذلك؛ والمراد به: الثناء بضمونه من ثبوت الحمد؛ وهو: الوصف بالجميل لله - تعالى - ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ الْخَبِيرُ﴾ في فعله ﴿الْخَبِيرُ﴾ في خلقه. [٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾ بأولياؤه لهم.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وكذلك في الآية الآتية رقم (٣٨)، وقرأ بقية السبعة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾.

(٤) بالجر قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير، وهي بالجر: صفة لـ ﴿رَجْزٍ﴾، وبالرفع: صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾.

(٥) أي ضمير فضل، وهو لا محل له من الإعراب.

[٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ﴾ بالجر: صفة، والرفع^(١): خبر مبتدأ، و﴿عَلِيمٌ﴾^(٢) بالجر ﴿لَا يَعْرُبُ﴾ يغيث ﴿عَنْهُ مِثْقَالَ وَزْنٍ﴾ دَرَّةٍ ﴿أَصْغَرَ نَمْلَةً﴾ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ يَتَجَرَّوْا أَلْيَافَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ الْعَيْبُ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٨﴾ حَسَنٌ فِي الْجَنَّةِ.

[٥] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ القرآن ﴿مُعْجِزِينَ﴾^(٣) ﴿وَفِي قِرَاءَةِ هَذَا، وَفِيمَا يَأْتِي: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: مقدرين عجزنا، أو مسابقين لنا في فتوننا؛ لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ سُنِّي الْعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم بالجر والرفع^(٤)، صفة لـ ﴿رَجْزٍ﴾ أو ﴿عَذَابٍ﴾.

[٦] ﴿وَرَبِّي أَعْلَمُ الْغَيْبُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾ بأولياؤه لهم.

[٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم على جهة التعجب لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مَرَّفْتُمْ﴾ قطعتم ﴿كُلَّ مَرْجٍ﴾ بمعنى: تمرير ﴿إِنَّكُمْ لَبِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا
 يَجِبَالٌ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ
 سَبِغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَسَلِّمَنَّا الرِّيحَ عُدُّوهَا سَهْرًا وَرَوَّاحَهَا سَهْرًا
 وَاسْلَتْنَا لَهُ عَيْنَ الْقُطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ
 رَبُّهُ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا نُدِقُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
 يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ وَتَمَثِيلٍ وَّحِفَانٍ كَالْجَوَابِ
 وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ اعْمَلُوا أَل دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
 الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ
 إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ
 أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

فأثما على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، على عاداتها، لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضة عضاه فخر ميتاً ﴿مَا دَلَّكُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ مصدر أرطت الخشية البناء للمفعول؛ أكلتها الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَاتَهُ﴾ بالهمز وتركه بألف (٤)؛ عصاه؛ لأنها تُنْشَأُ؛ يُطْرَدُ (٥) ويُزجر بها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ انكشفت لهم ﴿أَن﴾ مخففة؛ أي: أنهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ العمل الشاق لهم؛ لظنهم حياته، خلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنةً بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته، يوماً وليلة مثلاً.

[٨] ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون تخيل به ذلك؟ قال - تعالى -: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إِن نَّشَاءُ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ [كشفاً] بسكون السين وفتحها (١)؛ قطعاً ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة: بالياء (٢) ﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾ المرئي ﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء.

[١٠] ﴿لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نوره وكتابه، وقلنا: ﴿يَجِبَالٌ أَوْبَىٰ﴾ رجمي ﴿مَعَهُ﴾ بالتسبيح ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفًا على محل الجبال؛ أي: ودعوها تسبح معه ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين. وقلنا: [١١] ﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ منه ﴿سَبِغَتٍ﴾ دروعًا كوامل، يجرها لابسها على الأرض ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ أي: تشج الدروع، قبل لصانها: سَرَادٌ؛ أي: اجعله بحيث تناسب جلفه ﴿وَاعْمَلُوا﴾ أي: آل داود معه ﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم به.

[١٢] ﴿وَوُكِّرْنَا لِسَانَهُنَّ الرِّيحَ﴾ وقراءة الرفع (٣) بتقدير: تسخير ﴿عُدُّوهَا﴾ مسيرها من الغدرة؛ بمعنى: الصباح إلى الزوال ﴿مَثَرًا وَرَوَّاحَهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿مَثَرًا﴾ أي: مسيرته ﴿وَأَسْلَتْنَا أذُنًا لَهُ عَيْنَ الْقُطْرِ﴾ أي: النحاس؛ فأجريت ثلاثة أيام لبلابيهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ بَأْمُرِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نُدِقُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا؛ بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَثِيلٍ﴾ جمع تمثال؛ وهو: كل شيء مثله بشيء؛ أي: صور من نحاس وزجاج ورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حرامًا في شريعته ﴿وَحِفَانٍ﴾ جمع حِفْنَةٌ كالجواب، هي: جمع جابية؛ وهو: حوض كبير، يجتمع على الحفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلام، وقلنا: ﴿اعْمَلُوا﴾ يا ﴿أَل دَاوُدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ العامل بطاعتي شكرًا نعمتي.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾ أي: مات ومكث

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) أي: ﴿ويشأ﴾، و﴿يسقط﴾، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة شعبة.

(٤) قراءتان سبعيتان، قرأ نافع وأبو عمرو بألف من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة إلا ابن ذكوان فإنه أسكن الهمزة.

(٥) في نسخة من المطبوع: ﴿لأنها تُنْشَأُ﴾ نظرده، وفي نسخة أخرى: ﴿لأنها تُنْشَأُ ويُطْرده﴾.

واديهم الممسوك بما ذكره؛ فأغرق جنتيهم وأمواهم ﴿وَلَدَانَهُمْ يَخْتَفُونَ خَتَّيْنِ ذَوَاتِ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أَكُلِ حَمِطٍ﴾^(١) مُرٌ تبسّع، بإضافة ﴿أَكُلِ﴾ بمعنى: مأكول، وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَنْتَلِ وَشَىءٌ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

[١٧] ﴿ذَلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وهَلْ يُجَازِي﴾ [إِلَّا] [الْكُفُورِ] بالباء^(٢)، والنون مع كسر الزاي ونصب ﴿الْكُفُورِ﴾ أي: ما يناقش إلا هو.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَنَيْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر؛ وهي: قرى الشام التي يسبرون إليها للتجارة ﴿فَرَى ظَهْرَهُ﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقولون في واحدة ويتبينون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء؛ أي: قلنا: ﴿سَيَرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدُ﴾^(٣) وفي قراءة: ﴿بَعْدُ﴾ ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام؛ اجعلها مغاير ليطاؤوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء؛ فبطروا النعمة ﴿وَطَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقٍ﴾ فرقاتهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ على النعم.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٤) ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار؛ منهم سبأ ﴿إِبْلِيسَ ظَنَّهُ﴾ أنهم ياغواثه يتبعونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ ف﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف: في ظنه، أو ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد: ظنه؛ أي: وجده صادقًا ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن ﴿فَرَبًّا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للبيان؛ أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسليط ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾ فنجازي كلاً منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ رقيب.

[٢٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم آلهة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم، قال - تعالى - فيهم: ﴿لَا يَدْعُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزن ﴿ذَرَرٌ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِهِمْ﴾ من الآلهة ﴿مِن ظَهْرٍ﴾ معين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٍ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلِ حَمِطٍ وَأَنْتَلِ وَشَىءٌ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَنَيْنَا فِيهَا ظَهْرًا وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَطَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَقِيلٌ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه^(١)؛ قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿فِي مَسْكِهُمْ﴾^(٢) باليمن ﴿آيَةٌ﴾ دالة على قدرة الله - تعالى - ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلَدَهُ طَيِّبَةً﴾ ليس فيها سباح^(٣)، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها^(٤) ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبُّ غَفُورٌ﴾.

[١٦] ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع عرمة؛ وهو: ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته؛ أي: سيل

(١) قرأ أبو عمرو واليزي بفتح الهمة من غير تنوين، وقرأ قبله بإسكان الهمة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحزرة: ﴿مَسْكِهِمْ﴾ بالإفراد وفتح الكاف، وقرأ الكسائي: ﴿مَسْكِهِمْ﴾ بالإفراد وكسر الكاف.

(٣) وفي نسخة مطبوعة «سباح».

(٤) لا حاجة إلى ذكر هذه الأمور التي لا دليل عليها، وإنما يكفي أكثر المفسرين بتفسير البلدة الطيبة بأنها المباركة الكثيرة الثمرات اللطيفة الهواء.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو.

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام، وقرأ بقية السبعة: ﴿بِإِعْدِ﴾.

(٨) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ بقية السبعة: ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد.

[٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾ - تعالى - رداً لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أُوذِيَ﴾ بفتح الهمزة وضمها^(١) ﴿لَكُمْ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُرِعَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(٢) ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفرع بالإذن فيها ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض استبشاراً: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا﴾: القول ﴿الْحَقُّ﴾ أي: قد أذن فيها^(٣) ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر^(٤) ﴿الْكَبِيرُ﴾^(٥) العظيم.

[٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النبات؟ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقوله، لا جواب غيره ﴿وَلِيًّا أَوْ إِنَّا كُمْ﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في الإيهام تطفب بهم داع إلى الإيمان إذا وفقوا له.

[٢٥] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا﴾ أذنبنا ﴿وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لأنكم ترونون منكم.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا﴾ يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ فيدخل المحقن الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِي﴾ أعلموني ﴿الَّذِينَ أَحَقُّهُ بِهِ شُرَكَاءُ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ رذخ لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه؛ فلا يكون له شريك في ملكه.

[٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً﴾ حال من «الناس»، قدم للاهتمام ﴿لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشراً للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذراً للكافرين بالعذاب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟. [٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ مِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعْرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَفِيدُونَ﴾ عليه؛ وهو: يوم القيامة.

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه؛ كالنوراة والإنجيل، الدالين على البعث لإنكارهم له. قال - تعالى - فيهم: ﴿وَلَوْ رزقناهم﴾ يا محمد ﴿إذ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أُوذِيَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ

وَأَنَا أُوِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّهُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعْرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَفِيدُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا

بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

الظَّالِمُونَ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ﴾ عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا الأتباع الذين استكبروا الرؤساء: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ صدقتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالنبي.

﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ صدقتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالنبي.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله أمرًا في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعماناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير... الحديث. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة سبأ (٣٤) باب (١) ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ...﴾.

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٣) أي في الشفاعة.

(٤) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وهو - شيعانته - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِل كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ وَآندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَلَّ فِي أَغْثَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا لَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٣٤﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلِي تَقْوَىٰكُمْ
عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ
الضَّرِيفَ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٧﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٨﴾

بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ؟ لا ﴿٣١﴾ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ فِي أَنْفُسِكُمْ.
﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
أَي: مكر فيهما منكم بنا ﴿٣٢﴾ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ
شُرَكَاءَ ﴿٣٢﴾ وَأَسْرُوا ﴿٣٢﴾ أَي: الفريقان ﴿النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوْا
الْعَذَابَ﴾ أَي: أخفاها كل عن رفيقه مخافة التعبير ﴿وَجَعَلْنَا الْأَعْتَلَّ فِي
أَغْثَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي النَّارِ ﴿هَلْ﴾ مَا ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جَزَاءٌ ﴿مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا.
﴿٣٢﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رُؤسَاوَهَا
المتنعون: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.
﴿٣٣﴾ ﴿وَقَالُوا لَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ مِنْ آمِنٍ ﴿وَمَا نَحْنُ
بِمُعَدِّيْنَ﴾.
﴿٣٤﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ امتحانًا
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أَي: كفار
مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.
﴿٣٥﴾ ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلِي تَقْوَىٰكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ قُرْبَى؛ أَي:
تقريبًا ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ الضَّرِيفَ بِمَا
عَمِلُوا﴾ أَي: جزاء العمل: الحسنه - مثلاً - بعشر فأكثر ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ﴾
من الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة: ﴿الْعُرْفَاتِ﴾ ^(١) بمعنى
الجمع.
﴿٣٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالإبطال ﴿[مُعْجِزِينَ]﴾ ^(٢) لَنَا
مُقَدِّرِينَ عَجْزَنَا، وَأَنَّهُمْ يَفُوتُونَنَا ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.
﴿٣٧﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانًا
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿لَهُمْ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ
شَيْءٍ﴾ فِي الْخَيْرِ ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿يُقَالُ﴾ كُلُّ إِنْسَانٍ
يُرِزَقُ عَائِلَتَهُ؛ أَي: من رزق ^(٣) الله.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾.

(٣) في نسخة مطبوعة: «يرزق الله».

[٤٠] ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمَلَائِكَةِ أَهْوَاءٍ إِن يَأْتِكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى بياء وإسقاطها^(١) ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ؟﴾

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن الشريك ﴿أَنْتَ وَإِنَّا مِن دُونِهِمْ﴾ أي: لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ لَلانْتِقَالِ﴾ كأنوا يعبدون الآجنَّ الشياطين؛ أي: يطعنونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون فيما يقولون لهم.

[٤٢] قال - تعالى -: ﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمَلِكُ بَعْضُكُم لِّبَعْضٍ﴾ أي: بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿شَفَاعَةً﴾ ولا ضراً ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تعدياً ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْفُرُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿سَيِّئَاتٍ﴾ واضحاب بلسان نبيئنا محمد ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاكُ﴾ كذب ﴿مُفْتَرِي﴾ على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تين.

[٤٤] قال - تعالى -: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ فمن أين كذبوك؟!.

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا﴾ أي: هولاء ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿كَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكارى عليهم العقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِرُوحِي﴾ هي ﴿أَن تَقْرُمُوا لِلَّهِ﴾ أي: لأجله ﴿مَثَنِي﴾ أي: اثنين اثنين ﴿وَفَرْدِي﴾ واحداً واحداً ﴿ثُمَّ تَنفَكُّرُوا﴾ فتعلموا ﴿مَا يَصْحَابِكُمْ﴾ محمد ﴿مِن جَنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِن﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾ أي: قبل ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة إن عصيتموه.

[٤٧] ﴿قُلْ لَّهُمْ﴾ ما سألتكم ﴿على الإنذار والتبليغ﴾ ﴿مِنَ اجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لا أسألكم عليه اجراً ﴿إِن اجْرِي﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع يعلم صديقي.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْوَاءُ إِيَّائِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَإِنَّا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا

يَعْبُدُونَ الْغَنَىٰ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ قَالِيَوْمَ لَا يَمَلِكُ لَكُمْ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَّفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ

النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْفُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّا لَكُرْ

وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاكُ مُفْتَرِي وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ

بِنَبِيٍّ مِّن مَّبَشَرَ لَآ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿١٤﴾ وَكَذَّبَ

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِرُوحِي أَن تَقْرُمُوا لِلَّهِ

مَثَنِي وَفَرْدِي ثُمَّ تَنفَكُّرُوا مِمَّا يَصْحَابِكُمْ مِّن جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنَ اجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِن اجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْعُيُوبِ ﴿١٨﴾

[٤٨] ﴿قُلْ إِن رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه ﴿عَلَمَ الْعُيُوبِ﴾ ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض.

(١) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَقُولُ﴾.

(٣) قوله: «إبدال الأولى بياء»، هذا سبق قلم من المفسر - رجمة الله - إذ لم يقرأ بذلك أحد من القراء، وأما إسقاط الأولى مع تحقيق الثانية فقرأه أي عمرو، وأما تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فقرأه ورش، وعكسه قالون واليزي، ولورش أيضاً إبدال الثانية بياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأولى.

[٥٢] ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ بحمد أو القرآن ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ﴾ بواو وبالهمزة بدلها^(١)؛ أي: تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محله؛ إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ من قَبْلُ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ وَيَقْدِرُونَ ﴿يُرْمُونَ﴾ بِالْعَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ. أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة؛ حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: ساحر، شاعر، كهانة.

[٥٤] ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان؛ أي: قوله ﴿كَمَا قُوِّلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ أَشْبَاهَهُمْ فِي الكُفْرِ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلهم ﴿لِيُنَبِّئَهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيْبٍ﴾ مُوَجِّعٍ فِي الرِّبِيَّةِ لَهُمْ، فِيمَا آمَنُوا بِهِ الآنَ، وَلَمْ يَعْتَدُوا بِدَلَالَتِهِ فِي الدُّنْيَا.

سورة فاطر

[مكية، وهي: خمس، أو: ست وأربعون آية، نزلت بعد الفرقان]^(*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حميد - تعالى - نفسه بذلك كما بُيِّنَ في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُولَئِكَ أَنْجَحْنَاهُ مَتْنًا وَوَقَّلْنَا بِرَيْدٍ فِي الْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا تُمَسِّكُ لَهُمْهَا وَمَا يُمَسِّكُ﴾ من ذلك ﴿فَلَا تُرْسِلُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله.

[٣] ﴿يُنَادِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة^(١) ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِاشْتِكَايَكُمُ الْحَرَمَ وَمَنْعِ الْعَارِزَاتِ عَنْكُمْ ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة، ﴿وَخَلْقٍ﴾ مبتدأ ﴿عِزِّ اللَّهِ﴾ بالرفع والجر^(٢): نعت لـ ﴿خَلْقٍ﴾ لفظاً ومحللاً، وخبر المبتدأ: ﴿يُرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطْرَ﴾ ﴿وَمِنْ﴾ من ﴿الْأَرْضِ﴾ النبات؟ والاستفهام للتقرير؛ أي: لا خالق رازق غيره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ من أين تصرفون عن توحيدِه مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟! ^(*)

فَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ صَلَّيْتَ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوَجِّئُ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ إِذْ قُوتُ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا لَأَمْتًا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْعَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيْبٍ ﴿٥٤﴾

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَنْجَحْنَاهُ مَتْنًا وَوَقَّلْنَا بِرَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٩﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمَسِّكُ فَلَا يُرْسِلُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٠﴾ يَنَادِيهَا النَّاسُ أذكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزَّ اللَّهُ يَزُرُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَوْفُكُونَ ﴿٥١﴾

[٤٩] ﴿فَلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لم يبق له أثر.

[٥٠] ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتَ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوَجِّئُ إِلَى رَبِّي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿لَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ فِرْعَوْنُ﴾ عند البعث؛ لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ لهم مني؛ أي: لا بقوتونا ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القبور.

(٥٠) فائدة: قال البخاري: سورة الملائكة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة (٣٥). وكذلك سماها الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦).

(١) بالهمزة بدل الواو؛ ﴿التَّنَاطُشُ﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو.

(٢) سبق التعليق على نحو هذا مراراً بأن الأولى التعميم وعدم التخصص.

(٣) بالجر قراءة حمزة والكسائي.

﴿٤﴾ وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ فِي مَجِيئِكَ بِالتَّوْحِيدِ وَالبَيْعِ وَالحِسَابِ وَالعِقَابِ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فِي ذَلِكَ؛ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فِي الآخِرَةِ؛ فَيَجْزَى المَكذِبِينَ وَينصِرُ المَسْلُومِينَ.

﴿٥﴾ ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الْآخِرَةُ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ رُزِيَ لَهُ سُوءٌ عَلَيْهِمْ فَرَءَاهُمْ حَسِبًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا مُسْقِنَةً إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

﴿٦﴾ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا تَطِيعُوهُ ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ أَتْبَاعَهُ فِي الكُفْرِ ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ النَّارِ الشَّدِيدَةِ.

﴿٧﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هَذَا بَيَانٌ مَا يُؤَلِّقِي الشَّيْطَانَ وَمَا يُخَالِفِيهِ.

﴿٨﴾ وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ وَغَيْرِهِ: ﴿أَقَمْنِ زَيْنَ لَمْ سُوءٌ عَلَيْهِ﴾ بِالتَّمْوِيهِ ﴿فَرَءَاهُمْ حَسِبًا﴾ «مَنْ» مُبْتَدَأٌ، خَبْرُهُ: كَمَنْ هَذَا اللَّهُ؟ لَا، دَلَّ عَلَيْهِ: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ عَلَى الْمُرْتَبِ لَهُمْ حَسْرَتٍ بِإِعْتِمَادِكَ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فَيَجْزَاهُمْ عَلَيْهِ^(١).

﴿٩﴾ ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ^(٢): ﴿الرِّيحِ﴾ ﴿فَتُبْرِئُ سَحَابًا﴾ المَضَارِعَ لِحِكَايَةِ الحَالِ المَاضِيَةِ؛ أَيْ: تَرْجِعُهُ ﴿فَتُسْقِنُهُ﴾ فِيهِ النِّفَاتِ عَنِ الغَيْبَةِ ﴿إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ^(٣)؛ لَا نَبَاتَ بِهَا ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ بِهِنَّ الْأَرْضَ﴾ مِنَ البَلَدِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بِسَهَابِهَا؛ أَيْ: أَنْبَتْنَا بِهِ الزَّرْعَ وَالكَلْبَ ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أَيْ: البَعْثُ وَالإِحْيَاءُ.

﴿١٠﴾ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَلَا تُنَالُ مِنْهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ فَلْيَطِيعْهُ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يُغْلَقُهُ^(٤)؛ وَهُوَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَنَحْوَهَا ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يُغْبِطُهُ ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ المَكْرَاتِ﴾ السَّيِّئَاتِ ﴿بِالنَّبِيِّ فِي دَارِ النَّدْوَةِ؛ مِنْ تَقْبِيدِهِ، أَوْ قَتْلِهِ، أَوْ إِخْرَاجِهِ﴾ - كَمَا ذَكَرَ فِي الأَنْفَالِ^(٥) - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يَهْلِكُ.

﴿١١﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بِخَلْقِ أَيْكُمُ آدَمَ مِنْهُ ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أَيْ: مَتْنِيَّ بِخَلْقِي ذُرِّيَّتِي مِنْهَا ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذَكَرُوا وَإِنَّا ﴿وَمَا تَحْمِلُ﴾

بَيْنَ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ: حَالٌ؛ أَيْ: مَعْلُومَةٌ لَهُ ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ أَيْ: مَا يَزِيدُ فِي عُمُرِ طَوِيلِ العُمُرِ ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ أَيْ: ذَلِكَ المَعْمَرُ، أَوْ مَعْمَرٌ آخَرٌ^(١) ﴿وَإِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هُوَ: اللُّوحُ المَحْفُوظُ ﴿وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هَيْئًا.

(١) روي هذا عن ابن عباس، كما ذكر السيوطي في باب النقول ص (١٨١) عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وجوير متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس، وهو ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٨/٣).

(٢) لحمة والكسائي وابن كثير.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا من تأويل الكلم وتحريفه عن مواضعه؛ ومراد المفسر غفر الله لنا وله نفي ما يدل عليه من إثبات علو الذات لله ﷻ جرياً على طريقته في ذلك.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يُنَادِي بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنشِرُكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

(٦) أي إن الضمير عائذ على الجنس، لا على العين؛ أي لا على عين المعر بل على غيره؛ لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره. قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه، أي ونصف آخر. ويكون معنى الآية هنا على القول: أي ما يعطى بعض النطف - عند نطق الروح وكتب الأجل - من العمر الطويل يعلمه الله تعالى، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير.

﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو: السمك ﴿وَتَسْتَحْرِجُونَ﴾ من الملح، وقيل: منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَازِيرَ﴾ تمخر الماء؛ أي: تَشَقُّ بِحِزْبِهَا فِيهِ مَقْبَلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ ﴿لِيُنْبِتُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ - تعالى - بالتجارة ﴿وَلَمَّا كُمُتُمْ شَكَرْتُمْ﴾ الله على ذلك.

[١٣] ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿الْأَيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد^(١) ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي الْإَيْلِ﴾ فيزيد^(٢) ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ مِنْهُمَا بِجَنَّتَيْهِ﴾ في فلكه ﴿لِأَجْلِ مَسْئَلٍ﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ لفاقة النواة.

[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَلَا يُرَوِّعُواكُمْ﴾ فرضا ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ ما أجابوكم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله؛ أي: يتبرعون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ غالم؛ هو: الله تعالى.

[١٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ الحمود في صنعه بهم.

[١٦] ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهِنَكُمْ وَآبَاتٍ بِحَلْقِ جَدِيدٍ﴾ بدلکم.

[١٧] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَأَزْرَهُ﴾ أتمة؛ أي: لا تحمل ﴿وَتَزِرُ﴾ نفس ﴿آخَرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ﴾ نفس ﴿ثِقَلَةً﴾ بالوزر ﴿إِنْ حَمَلَهَا﴾ منه أحداً ليحمل بعضه ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ كان المدعو ﴿ذَا قَرَّبْتَ﴾ قرابته؛ كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين^(٣) حكم من الله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يُخَشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه وما رأوه؛ لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَمَنْ تَرَكَ﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ﴾ فضلاً عنه مختص به ﴿وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ المرجع؛ فيجزى بالعمل في الآخرة.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَاتٌ سَابِعٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَحْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِيُنْبِتُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُولِجُ الْإَيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْإَيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجْلِ مَسْئَلٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَلَا يُرَوِّعُواكُمْ لَكُمْ وَمَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿١٥﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُدْهِنَكُمْ وَآبَاتٍ بِحَلْقِ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يُخَشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَ فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿سَابِعٌ شَرَابُهُ﴾ شربه ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِنْ كُلِّ مِنْهُمَا﴾

(١) أي: الليل ويطول.

(٢) أي: النهار ويطول.

(٣) أي في الحمل الفهري في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أو الاختياري؛ تلبية لدعوة المثقلة غيرها ليحمل بعضه.

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن.

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾ الإيمان.

[٢١] ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّورُ﴾ الجنة والنار.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾ ولا الأموات ﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ المؤمنون ولا الكفار، وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هدايته؛ فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي: الكفار - شبههم بالموتى - فيجيبون.

[٢٣] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ منذر لهم.

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أوجب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مَنْ أُمَّةٌ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نبي يُنذِرُهَا.

[٢٥] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[٢٦] ﴿فَمَنْ أَخَذْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتكديهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة؛ طريق في الجبل وغيره (١) ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ وَصَفْرٌ﴾ و﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ بالشدّة والضعف ﴿وَعَرَابِيبٌ سُودٌ﴾ عطف على ﴿جُدَدٌ﴾ أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيرا: أسود غريب، وقليلًا: غريب أسود.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ﴾ كاختلاف النمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿عَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرعون ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَرْجُونَ يَوْمًا﴾

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَأَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَتْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيبٌ سُودٌ ﴿٢٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجْرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٧﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٨﴾

لَنْ تَكُونُوا تَهلك.

[٣٠] ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ إِنَّهُ غَفُورٌ ﴿لذنوبهم﴾ شَكُورٌ ﴿لطاعتهم﴾.

(١) قال القاضي كعنان في قرة العينين ص (٥٧٥): «يشير إلى اختلاف ألوان الصخور، ومعنى «الجُدَّة» في أصل اللغة: الحُطَّة في ظهر الحمار تخالف لونه؛ أي إن صخور الجبال تخطط وطرائق مختلفة الألوان...».

بالوالبان والظواهر^(١).

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم امتك ﴿فِيْمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يضم إلى العلم التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿يَاذُنَ اللَّهِ﴾ يرادته ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٢).

[٣٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول^(٣)؛ خبر ﴿جَنَّتٍ﴾ المبتدأ ﴿يَدْخُلُونَ﴾ خبر ثانٍ ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مَرَضَعٌ بالذهب ﴿وَلِيَّاسُوهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(٤).
[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للطاعة.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ لا يمسنا فيها نصيبٌ ﴿ثُمَّ﴾ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ﴾ إغناء من التعب؛ لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فِيْمَوْثُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ طرفه عين ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناها ﴿[يُجْزَىٰ]﴾^(٥) ﴿كُلُّ كَافِرٍ﴾ كافر، بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب ﴿كُلِّ﴾.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَلِيحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ يقال لهم: ﴿أَوْلَدُ نُمْرِكُمْ مَا﴾ وقتا ﴿يَبْدَأُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَحَاكُمُ النَّذِيرُ﴾ الرسول فيما أجبتم ﴿فَدُؤُفُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب؛ فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس^(٦).

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمِنْهُمْ لِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنْ عَمَلٍ خَيْرٍ يَنظُرُ ذَلِكَ اللَّهُ وَهُوَ الْقَبُولُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجِئُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِيَّاسُوهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٧﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَلِيحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْلَدُ نُمْرِكُمْ مَا تَدَعَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَحَاكُمُ النَّذِيرُ فَدُؤُفُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى قَالَ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦) سورة قاطر، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٧).

(١) إذا كان مراد المفسر بذلك تفسير قوله: ﴿لَخَبِيرٌ﴾ فنعلم؛ وإن كان مراده تفسير ﴿بَصِيرٌ﴾ بذلك أيضًا فإن هذا من تأويل صفة البصر الثابتة لله ﷻ على الوجه اللائق به، وهو مردود.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة أبي عمرو.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو.

(٤) أي: أما بالنسبة إليه سبحانه؛ فالسر والعلانية سواء.

[٣٩] هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا كَفَرْتُمْ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا لِلْآخِرَةِ.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله - تعالى - ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شراكة مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة ﴿بَيِّنَةٌ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِنْ﴾ ما ﴿يَعْبُدُونَ إِلَّا الظَّالِمِينَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ﴾ باطلا، بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

[٤١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: ينعهما من الزوال ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿زَالَتَا إِنْ﴾ ما ﴿أَسْكَمْتُمَا﴾ يمسكهما ﴿بَيْنَ أَيْدِي مَنْ يَعْبُدُهُ﴾ أي: سواه ﴿إِنَّمَا كَانَ حِجَابًا غُفُورًا﴾ في تأخير عقاب الكفار.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم؛ أي: أي واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً؛ إذ قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ النَّصْرَانِيَّةُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾^(١) وقالت النصارى: ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾^(٢) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعداً عن الهدى.

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكْرَ الْعَمَلِ﴾ ﴿السَّيِّئِ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر، ووضف المكر بالسئ أصل^(٣)، وإضافته إليه قبل^(٤)؛ استعمال آخر، فُدِّر فيه مضاف^(٥)؛ حذرا من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم؛ من تعذيبهم بتكذيبهم رسلاًهم ﴿فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ولن يجد لِسُنَّتِ اللَّهِ تحويلاً ﴿أَي: لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقة.

[٤٤] ﴿أَوَّلًا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا كَفَرْتُمْ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَبِغِدَ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّهُ لَرَكَانٌ حَلِيمٌ عَافُونَ ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَّلًا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مُنْهَرِينَ وَقَدْ كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ عَالِمًا ﴿٤٤﴾

وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴿٤٤﴾ فأهلهم الله بتكذيبهم رسلاًهم ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بالأمور كلها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

(١)، (٢) البقرة: ١١٣.

(٣) أي: جاء على الأصل؛ من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، جاء على خلاف الأصل؛ حيث أضيفت فيه الصفة إلى الموصوف.

(٥) قدره الجلال المحلي هنا: «العمل»؛ أي: مكر العمل السيئ.

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ المحكم بعجيب التظلم وبديع المعاني.

[٣] ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٤] ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك؛ التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: ﴿كُنْتَ مُرْسَلًا﴾.

[٥] ﴿تَنْزِيلٌ﴾^(١) التزييل في ملكه ﴿الرَّحِيمِ﴾ بخلفه، خير مبتدأ مقدر؛ أي: القرآن.

[٦] ﴿لِنُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بـ ﴿تَنْزِيلٍ﴾ ﴿مَا أَنذَرْنَا آبَاءَهُمْ﴾ أي: لم يندروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿عَظِيمُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الأكثر.

[٨] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْتَقِهِمْ أَفْعَالًا﴾ بأن نضّم إليها الأيدي؛ لأن الغلّ يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهُمْ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن؛ وهي: مجتمع اللحيين ﴿فَهُمْ مُّقَمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل؛ المراد: أنهم لا يدعون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين^(٢) ﴿فَاعْشَيْتَهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركة^(٤) ﴿أَمْ لَمْ نُؤْمَرْ بِتَنْزِيلِهِمْ﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنْ أُنذِرَ الْكَافِرَ﴾ القرآن ﴿وَحَسْبُ الْزَمَنِ بِالْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ في حياتهم من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ما استن به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصّبهُ بفعل يفسره: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبّطناه ﴿فِي إِمَارٍ مُّبِينٍ﴾ كتاب بين؛ هو: اللوح المحفوظ^(٥).

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا
مِن دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا
جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٥﴾

سُورَةُ يَسٍ

يس ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا
مَا أَنذَرْنَا آبَاءَهُمْ فَهُمْ عَظِيمُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْتَقِهِمْ أَفْعَالًا فَبِهِمْ إِلَىٰ
الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقَمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنْ أُنذِرَ الْكَافِرَ وَالزَّكِيَّ وَالرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا
وَأَنذَرْتَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا﴾ أي: الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم؛ بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

سُورَةُ يَسٍ

[مكية إلا: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ انْفِقُوا﴾ الآية، أو: مدنية^(١)، نثان

وثمانون آية، نزلت بعد سورة الجن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢): أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرْتَهُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن آثاركم تكتب» فلم ينتقلوا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٧). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٨).

(١) لم يذكر هذا الخلاف أحد غيره من المفسرين، والسورة مكية لإجماع كما قال القرطبي.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح: ﴿تَنْزِيلٍ﴾؛ إما مفعولاً مطلقاً، أو لفعل محذوف مقدر.

(٣) بالضم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) بالتسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام، وقُضِلَ بين الهمزتين بالألف: أبو عمرو وقالوا وهشام، والأكثر عن ورش على إبدال الهمزة الثانية ألفاً خالصة.

والاستفهام للتقرير؛ أي: علموا ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى: كثيراً معمولة لما بعدها، معقّلة ما قبلها عن العمل^(٢)؛ والمعنى: إنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ كثيراً ﴿بِئْسَ الْقُرُونُ﴾ الأمم ﴿أَتَتْهُمْ﴾ أي: المهلكين ﴿يَلِيَهُمْ﴾ أي: المكذبين ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ ﴿وَأَتَتْهُمْ﴾ إلخ، بدل مسأ قبله، يرعاية المعنى المذكور.

[٣٢] ﴿وَإِنْ﴾ نافية أو مخففة ﴿كُلُّ﴾ أي: كل الخلائق، مبتدأ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد؛ بمعنى: إلا، أو بالتخفيف^(٤)، ف«اللام» فارقة و«لما» مزيدة ﴿جَمِيعٍ﴾ خبر المبتدأ؛ أي: مجموعون ﴿لَدَيْنَا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾ للحساب، خبر ثان.

[٣٣] ﴿وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ﴾ على البعث، خبر مقدم ﴿الْأَرْضُ الَّتِي تَبَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالماء، مبتدأ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالخطة ﴿فَيَتَنَا بِأَكْلُونُ﴾.

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ من تحصيل وأغلب وفجرنا فيها من العيون ﴿أَي: بعضها﴾.

[٣٥] ﴿يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ بفتحين وضمين^(٦)؛ أي: ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لم تعمل الثمر^(٧) ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أنعمه تعالى - عليهم؟.

[٣٦] ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ الأضناف ﴿كَلَّمَهَا﴾ بما تئمت الأرض من الحبوب وغيرها ﴿وَمَنْ أَنفَسَهُمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من مخلوقات العجبية الغربية.

[٣٧] ﴿وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ﴾ على القدرة العظيمة: ﴿الَّتِي لَسَخَ﴾ فصل ﴿وَمِنَهُ النَّهَارُ﴾ فإذا هم مُظْلِمُونَ داخلون في الظلام.

[٣٨] ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾ إلى آخره من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِيُسْقَرَّ لَهَا﴾ أي: إليه لا تتجاوزه ﴿ذَلِكَ﴾ أي: جريها ﴿تَقْدِيرَ الْقَدِيرِ﴾ في ملكه ﴿الْقَلْبِيُّ﴾^(٨) بخلقه.

[٣٩] ﴿وَالْقَمَرُ﴾ بالرفع والنصب^(٩)، وهو منصوب بفعل يُفَسِّرُهُ ما بعده ﴿فَدَرَزَتْهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً، في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازلها في رأي العين ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ أي: كعود الشماريح إذا عثق فإنه يرقق ويتفوس ويتفوس.

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي﴾ يسهل ويصح ﴿لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فنجتمع معه في الليل ﴿وَلَا الْبَلَدُ سَابِقَ النَّهَارِ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾ - تنوينه عوض عن المضاف إليه - من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَاكٍ﴾ مستدير ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسرون، نُزِّلُوا مَثَلَةَ الْعُقَلَاءِ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ من بعده من جند من السماء وما كنا مُزِيلِينَ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ فإذا هم خمدون ﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ التبرؤا كما أهلكنا قتلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ و«آية» لهم الأرض الميتة أحييتها وأخرجنا منها حَبًّا فَمِنَهُ يَأْكُلُونَ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا يَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَأَعْنَبَ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ كَلَّمَهَا بِمَا تئمت الأرض ومن أنفَسَهُمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ أَيْلٌ نَسَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ فإذا هم مُظْلِمُونَ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرَتْهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْبَلَدُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَاكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

[٢٨] ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أي: حبيب^(١) ﴿بِئْسَ بَعْدَهُ﴾ بعد موته ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُزِيلِينَ﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

[٢٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ ساكون ميتون.

[٣٠] ﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ هؤلاء ونحوهم من كذبوا الرسل فأهلكوا، وهي شدة التألم، وندأوها مجازاً؛ أي: هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ مسوق لبيان سببها^(٢)؛ لاشتماله على استهزائهم، المؤدي إلى إهلاكهم، المسبب عنه الحسرة.

[٣١] ﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ﴾ أي: أهل مكة القائلون للنبي: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾،

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أي تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتسأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتسأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْقَدِيرِ الْقَلْبِيُّ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة يس (٣٦) باب (١) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

(١) راجع ما تقدم في التعليل من أنه لا دليل على صحة تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسمى حبيبا.
(٢) لأن «كم» الخبرية يكون لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها. وهو «يوه» - فيها.
(٣) بالتشديد قراءة نافع.
(٤) هذا باعتبار أن (ما) نافية، وهو أحد الأفعال، والقول الثاني - وهو الأظهر - أنها موصولة، في موضع خفض على العطف، وهو اختيار ابن جرير، ولم يذكر غيره. والمعنى: وما عملته أيديهم، وهو ما يتخذ من الثمر الكالعصر والدبس ونحوهما، أو المراد الذي عملته بالفرس، والسقي، والآبار.

[٤١] ﴿وَأَيُّ لَهْمٌ لَّهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(١) أي: آباءهم الأصول^(٢) ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ أي: سفينة نوح ﴿الْمَشْحُونِ﴾ المملوء.

[٤٢] ﴿وَوَلَقْنَا لَهْمَ مِّن مِّثْلِهِ﴾ أي: مثل فلك نوح؛ وهو: ما عملوه على سُكُلِهِ من السفن الصغار والكبار بتعليم الله - تعالى - ﴿مَا يَكُونُ﴾ فيه.

[٤٣] ﴿وَوَلَقْنَا نَشَأَ تَعْرِفَهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيحٌ﴾ مُعِيثٌ ﴿لَهُمْ﴾ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ﴾ ينجون.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا بإياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كثيرهم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ أعرضوا.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: قال فقراء الصحابة^(٣) ﴿لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾ عَلَيْنَا وَمِنَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم: ﴿أَنْطِقُمْ مَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ في معتقدكم هذا ﴿إِنْ﴾ ما أنتم في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يبين، وللنصريح بكفرهم^(٤) موقع عظيم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] قال - تعالى -: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ وهي: نفخة إسرئيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بالتشديد، أصله: يخصمون؛ نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد؛ أي: وهم في غفلة عنها يتخاضم وتبائع وأكل وشرب وغير ذلك، وفي قراءة: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾^(٥) كـ«يضربون»؛ أي: يخصم بعضهم بعضاً.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: أن يوصوا ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

[٥١] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ - هو قرن - النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة^(٦) ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي: المقبورون ﴿مِنَ الْأَكْدَانِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ﴾ يخرجون بسرعة.

[٥٢] ﴿قَالُوا﴾ أي: الكفار منهم: ﴿يَا﴾ للتنبية ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا، وهو مصدّر لا يفعل له من لفظه ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَذَا﴾ أي: البعث ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَّ﴾ به

﴿وَأَيُّ لَهْمٌ لَّهُمْ﴾ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿وَوَلَقْنَا لَهْمَ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَكُونُ﴾ وَإِن نَّشَأُ نَعْرِفَهُمْ فَلَا صَرِيحٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِقُمْ مَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَكْدَانِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ ﴿قَالُوا يَا بُولَاقَنا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَّ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿فَالْيَوْمَ لَا نُنظِّمُهُمْ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا نُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أفروا حين لا ينفعهم الإفراؤ، وقيل: يقال لهم ذلك.

[٥٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا عِندَنَا مُحْضَرُونَ﴾.

[٥٤] ﴿فَالْيَوْمَ لَا نُنظِّمُهُمْ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا نُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جِزَاءً ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول.

(٣) الأولى في تفسيرها ما ذكره ابن كثير بقوله: أي وإذا أمروا بالإلتحاق بما رزقهم الله على الفقراء والمهاجرين من المسلمين... الخ.

(٤) أي في قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، والموقع العظيم الذي يشير إليه المصنف هو: الشنيع عليهم.

(٥) لحزمة، والقراءة المفردة أولاً، لورش وهشام وابن كثير، وقرأ قالون بإخفاء حركة الخاء مع التشديد كذلك. ومثله أبو عمرو، وقيل عن أبي عمرو إنه اختلس حركة الخاء، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

(٦) الأولى عدم التعيين؛ فيقال: «أربعون» فقط، كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) أن النبي ﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْيَاقِ مَتَّكُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكَ جَبَلًا عُرْسًا وَتَعْبُودُونَ ﴿٦٢﴾ كَثِيرًا أَقَلَّمْ تَكُونُوا تَقُولُونَ ﴿٦٣﴾ عَادَاتِهِ وَإِضْلَالَهُ، أَوْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فَيُؤْمِنُونَ؟ ﴿٦٤﴾ وَيَقَالُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بِهَا. ﴿٦٥﴾ ﴿الْيَوْمَ نَجْزِي عَلَى أَقْوَامِهِمْ﴾ أَي: الكفار لقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ نَسْتَدْرَأْ بِهَا﴾ وَغَيْرَهَا ﴿يَمَا كَانُوا يُكْسَبُونَ﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه. ﴿٦٦﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ لِأَعْمَانِهَا طَمَسًا ﴿فَأَسْتَبْقُوا﴾ ابْتَدَرُوا ﴿الصِّرَاطَ﴾ الطَّرِيقَ، ذَاهِبِينَ كَعَادَتِهِمْ ﴿فَأَسْتَبْقُوا﴾ ابْتَدَرُوا ﴿يَصِيرُونَ﴾ حَيْثُ؟ أَي: لَا يَصِيرُونَ. ﴿٦٧﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ أَوْ حِجَارَةً ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾ ﴿مَجْمَعُ مَكَانَةٍ﴾ بِمَعْنَى: مَكَانٍ؛ أَي: فِي مَنَازِلِهِمْ ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أَي: لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَهَابٍ وَلَا مَجِيءٍ. ﴿٦٨﴾ ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ بِإِطَالَةِ أَجَلِهِ ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ: بِالتَّشْدِيدِ ﴿مَنْ نُنَكِّسْهُ﴾ فِي الْخَلْقِ فَيَكُونُ بَعْدَ قُوَّتِهِ وَشِبَاهِهِ ضَعِيفًا وَهَرْمًا ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنْ الْقَادِرَ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْلُومِ عِنْدَهُمْ قَادِرٌ عَلَى الْبَعْثِ فَيُؤْمِنُونَ؟ وَفِي قِرَاءَةِ: بِالتَّاءِ ﴿٦٩﴾ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أَي: النَّبِيَّ ﴿الشِّعْرَ﴾ رَدَّ لِقَوْلِهِمْ: إِنْ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شِعْرٌ ﴿وَمَا يَدَّبَعِي﴾ يَسْهَلُ ﴿لَهُ﴾ الشِّعْرُ ﴿إِنَّ هُوَ﴾ لَيْسَ الَّذِي أَتَى بِهِ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عِظَةٌ ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ مَظْهَرٌ لِلْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا. ﴿٧٠﴾ ﴿يُنزِّلُ﴾ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ ﴿أَنْ﴾ بِهَ ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يَعْقِلُ مَا يَخَاطَبُ بِهِ؛ وَهَمَّ: الْمُؤْمِنُونَ ﴿وَيُحْيِي الْقَوْلَ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وَهَمَّ كَالْمَيِّتِينَ لَا يَعْقِلُونَ مَا يَخَاطَبُونَ بِهِ.

بهم؛ أَي: يَقُولُ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. ﴿٥٩﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أَي: انْفَرَدُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، عِنْدَ اخْتِلَافِهِمْ بِهِمْ.

﴿٦٠﴾ ﴿الْيَوْمَ نَجْزِي عَلَى أَقْوَامِهِمْ﴾ أَي: الكفار لقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ نَسْتَدْرَأْ بِهَا﴾ وَغَيْرَهَا ﴿يَمَا كَانُوا يُكْسَبُونَ﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه.

﴿٦١﴾ ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ وَحَدُونِي وَأَطِيعُونِي ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكَ جَبَلًا عُرْسًا﴾ جَمْعُ جَبِيلٍ؛ كَقَدِيمٍ، وَفِي قِرَاءَةِ: بِضَمِّ الْبَاءِ ﴿كَثِيرًا أَقَلَّمْ تَكُونُوا تَقُولُونَ﴾ عَادَاتِهِ وَإِضْلَالَهُ، أَوْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فَيُؤْمِنُونَ؟

﴿٦٣﴾ وَيَقَالُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بِهَا. ﴿٦٤﴾ ﴿وَأَصْلُهَا الْيَوْمَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿٦٥﴾ ﴿الْيَوْمَ نَجْزِي عَلَى أَقْوَامِهِمْ﴾ أَي: الكفار لقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ نَسْتَدْرَأْ بِهَا﴾ وَغَيْرَهَا ﴿يَمَا كَانُوا يُكْسَبُونَ﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه.

﴿٦٦﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ لِأَعْمَانِهَا طَمَسًا ﴿فَأَسْتَبْقُوا﴾ ابْتَدَرُوا ﴿الصِّرَاطَ﴾ الطَّرِيقَ، ذَاهِبِينَ كَعَادَتِهِمْ ﴿فَأَسْتَبْقُوا﴾ ابْتَدَرُوا ﴿يَصِيرُونَ﴾ حَيْثُ؟ أَي: لَا يَصِيرُونَ.

﴿٦٧﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ أَوْ حِجَارَةً ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾ ﴿مَجْمَعُ مَكَانَةٍ﴾ بِمَعْنَى: مَكَانٍ؛ أَي: فِي مَنَازِلِهِمْ ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أَي: لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَهَابٍ وَلَا مَجِيءٍ.

﴿٦٨﴾ ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ بِإِطَالَةِ أَجَلِهِ ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ: بِالتَّشْدِيدِ ﴿مَنْ نُنَكِّسْهُ﴾ فِي الْخَلْقِ فَيَكُونُ بَعْدَ قُوَّتِهِ وَشِبَاهِهِ ضَعِيفًا وَهَرْمًا ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنْ الْقَادِرَ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْلُومِ عِنْدَهُمْ قَادِرٌ عَلَى الْبَعْثِ فَيُؤْمِنُونَ؟ وَفِي قِرَاءَةِ: بِالتَّاءِ ﴿٦٩﴾

﴿٦٩﴾ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أَي: النَّبِيَّ ﴿الشِّعْرَ﴾ رَدَّ لِقَوْلِهِمْ: إِنْ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شِعْرٌ ﴿وَمَا يَدَّبَعِي﴾ يَسْهَلُ ﴿لَهُ﴾ الشِّعْرُ ﴿إِنَّ هُوَ﴾ لَيْسَ الَّذِي أَتَى بِهِ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عِظَةٌ ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ مَظْهَرٌ لِلْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا.

﴿٧٠﴾ ﴿يُنزِّلُ﴾ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ ﴿أَنْ﴾ بِهَ ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يَعْقِلُ مَا يَخَاطَبُ بِهِ؛ وَهَمَّ: الْمُؤْمِنُونَ ﴿وَيُحْيِي الْقَوْلَ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وَهَمَّ كَالْمَيِّتِينَ لَا يَعْقِلُونَ مَا يَخَاطَبُونَ بِهِ.

﴿٥٥﴾ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ بِسُكُونِ الْغَيْنِ وَضَمِّهَا (١)، نَحْوًا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ مَا يَتَلَذَّذُونَ بِهِ، كَأَفْيِضَاضِ الْأَبْكَارِ، لَا شُغْلَ يَتَّبِعُونَ فِيهِ؛ لِأَنَّ لَجْنَةَ لَا تَنْصَبُ فِيهَا ﴿فَاكِهُونَ﴾ نَاعِمُونَ، خَيْرٌ ثَانٍ لِمَا فِي الْأَوَّلِ وَفِي شُغْلٍ.

﴿٥٦﴾ ﴿هُمْ﴾ مَبْتَدَأٌ ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ﴾ جَمْعُ ظِلَّةٍ أَوْ ظِلٍّ؛ خَيْرٌ؛ أَي: تَصْبِيهِمُ الشَّمْسِ ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ﴾ جَمْعُ أَرِيكَةٍ؛ وَهُوَ: السَّرِيرُ فِي الْحِجْلَةِ (٢)، أَوْ الْفُرُشُ فِيهَا ﴿مَتَّكُونَ﴾ خَيْرٌ ثَانٍ مَتَلِقٌ ﴿عَلَى﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ﴾ فِيهَا ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾ يَتَمَنُونَ. ﴿٥٨﴾ ﴿سَلَامٌ﴾ مَبْتَدَأٌ ﴿قَوْلًا﴾ أَي: بِالْقَوْلِ، نَحْوُهُ: ﴿وَمِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾

(١) بالسكون لتافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بفتحين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرهما، وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس.

(٣) أي: مع ضم الجيم وهي لحمة والكسائي وابن كثير.

(٤) الأنعام: ٢٣.

(٥) لشعبة.

(٦) وهي قراءة عاصم وحذرة، وقرأ الباقون ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ بالتخفيف.

(٧) لتافع، اد: ذكوان.

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
مَلَائِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ
﴿٧٢﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٧٣﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٧٤﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٧٥﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٧٦﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٧٧﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٧٨﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٧٩﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٨٠﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٨١﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٨٢﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٨٣﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٨٤﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٨٦﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٨٧﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٨٨﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٨٩﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٩١﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٩٢﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٩٣﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٩٤﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٩٥﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٩٦﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٩٧﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٩٨﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿٩٩﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ
﴿١٠٠﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ مِنَ النَّارِ بِشَرِّهَا فَلَئِمَّ بِهِنَّ مِنَ النَّارِ أَنْ يَبْعُثُوا
فِيهَا نُفُسَهُمْ فَمَا أَصْبَأَهُمْ بِإِنْفِئِهِمْ ذَلِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهَا سَرَصَافًا لَّا يَسْمَعُونَ

سورة الصافات

[٧١] ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للتعجب، والواو الداخلة عليها للتعطف ﴿أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ في جملة الناس ﴿وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا﴾ عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَمًا﴾ هي: الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ﴾ ضابطون^(١).

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؟.

[٧٣] ﴿وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَسَارِيئَ﴾ من لبنها، جمع مشرب؛ بمعنى: شرب، أو موضعه ﴿أَنْعَمًا يَشْكُرُونَ﴾ المتعجب عليهم بها فيؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

[٧٤] ﴿وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّىٰ﴾ أي: غيره ﴿وَاللَّهُ﴾ أصنامًا يعبدونها ﴿لَهُمْ يُبْصِرُونَ﴾ ينعون من عذاب الله - تعالى - بشفاعة الهتهم، برعهم.

[٧٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: الهتهم، نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: الهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُنْدٌ﴾ برعهم نصرهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾ في النار مهمم.

[٧٦] ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾^(٢) وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْصِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من ذلك وغيره؛ فنجازهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوْلَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ﴾ يعلم؛ وهو: العاصي بن وائل ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني، إلى أن ضيقتنا شديدًا قوليًا ﴿وَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿شُيْبٌ﴾ شيئا، في نفي البعث.

[٧٨] ﴿وَصَرَبٌ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَوَيْسَىٰ خَلَقْتُهُ﴾ من المنجى، وهو أغرب من مثلي ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية؟ ولم يقل: رميمة - بالناء؛ لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظمًا رميمًا فحسنته، وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا بعد ما تبلى وزم؟ فقال ﷺ: نعم، ويُدْخِلُكَ النَّارَ^(٣).

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ مجملًا ومفصلًا، قبل خلقه وتعدّد خلقه.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكَ﴾ في جملة الناس ﴿مِنَ النَّجْرِ الْأَخْضَرَ﴾ المدخ والعقار^(٤)، أو كل شجر إلا الغناب^(٥) ﴿تَارًا فَإِذَا أَنشَأْنَاهُ ثَمَرًا﴾ تفقدون، وهذا دال على القدرة على البعث؛ فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب؛ فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب.

[٨١] ﴿أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مع عظمهما ﴿يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسي في الصغر؟ ﴿سَلْبًا﴾ أي: هو قادر على ذلك، أحباب نفسهم ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

[٨٢] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ شأنه^(٦) ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خلق شيء ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة^(٧): بالنصب عطفًا على ﴿يَقُولُ﴾.

[٨٣] ﴿فَسَيَحْنُ الَّذِي يَبْدُو مَكُونُ﴾ ملك، زيدت الواو والناء للمبالغة؛ أي: القدرة على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون في الآخرة.

(١) أي قاهرون مذلولون، والأظهر والأولى تفسير الملك في الآية بالملك الشرعي، وإباحة التصرف فيها بسائر الوجوه الشرعية، وليكون قوله تعالى بعدها: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ تأسيسًا لنعمة أخرى لا تسمى لنا قلبه.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) لم أجد هذا اللفظ، لكن أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء في المختارة عن ابن عباس [الندر المشور (٥٠٧/٥)]، وروي ذلك في أبي بن خلف، أيضًا كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥) عن ابن عباس وغيره.

(٤) نوعان من الشجر سريعًا القتح.

(٥) لم يذكر الجلال الخليلي سبب هذا الاستثناء لـ «الغناب» من جملة شجر النار، وقال في حاشية الجمل على الجلالين: «هذا قول الحكماء، يقولون: في كل شجر نار إلا الغناب». وهذا متعقب وهو محل نظر كما ذكر القاضي كتمان في تعليقه على الجلالين.

(٦) قال ابن كثير: أي إنما يأمر بالشيء أمرًا واحدًا لا يحتاج إلى تكرار.

(٧) لابن عامر والكسائي.

يفعل مقدر؛ أي: حفظناها بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾** متعلق بالمقدر **﴿شَيْطَانٍ مَّارٍ﴾** غاب خارج عن الطاعة. [٨] **﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾** (١) أي: الشياطين، مستأنف (٢)، وسماهم هو في المعنى المحفوظ عنه (٣) **﴿إِلَى الذَّلِيلِ الْأَعْمَى﴾** الملائكة في السماء، وُعِدِّي السماع **﴿بِإِلَى﴾** لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة: بتشديد الميم والسين، أصله: يتسمعون؛ أدغمت التاء في السين **﴿وَيُقَدِّفُونَ﴾** أي: الشياطين بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾** من أفاق السماء.

[٩] **﴿دُحُورًا﴾** مصدر دَحَرَه؛ أي: طَرَدَه وَأَفْعَدَه، وهو مفعول له **﴿وَلَهُمْ﴾** في الآخرة **﴿عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾** دائم. [١٠] **﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ لَطْفَةً﴾** مصدر؛ أي: المرة، والاستثناء من ضمير **﴿يَسْمَعُونَ﴾** أي: لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة **﴿فَأَتَبَعَهُ شَهَابٌ﴾** كوكب مضيء (١) **﴿ثَاقِبٌ﴾** يثقبه، أو يحرقه، أو يُحْبِلُهُ (٢). [١١] **﴿فَأَسْتَفِينُهُمْ﴾** استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً: **﴿أَمْ أَسْأَلُكُمْ مَنْ خَلَقَنَا﴾** من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما؛ وفي الإتيان **﴿بِمَنْ﴾** تغليب العقلاء **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾** أي: أصلهم آدم **﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾** لازم، يلصق باليد؛ المعنى: أن خلقهم ضعيف؛ فلا يتكبروا (٣) **﴿يُنكَرُ النَّبِيَّ وَالْقُرْآنَ﴾** المؤدي إلى هلاكهم اليسير. [١٢] **﴿بِئْسَ﴾** للانتقال من غرض إلى آخر؛ وهو: الإخبار بحاله وحالهم **﴿وَعَجِبْتَ﴾** بفتح التاء (٤)؛ خطاباً للنبي ﷺ؛ أي: من تكذيبهم إياك **﴿وَوَيْ﴾** هم **﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾** من تعجبك. [١٣] **﴿وَإِنَّا ذُكِّرْنَا﴾** وُعِظُوا بالقرآن **﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾** لا يتعظون. [١٤] **﴿وَإِنَّا رَأَوْا آيَةً﴾** كانشقاق القمر **﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾** يستهزئون بها. [١٥] **﴿وَقَالُوا﴾** فيها: **﴿إِن﴾** ما **﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾** تبين. وقالوا منكبين للبعث: [١٦] **﴿لَوْدَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظَلًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾** في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين (١). [١٧] **﴿أَوِ ابْنِ أَبِي إِسْحَابٍ﴾** بسكون الواو عطفاً **﴿بِأَوْ﴾** وفتحها (٢)، والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه محل «إن» واسمها، أو: الضمير في **﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾**، والفواصل: همزة الاستفهام. [١٨] **﴿قُلْ نَعَمْ﴾** تعنون **﴿وَأَنْتُمْ ذُرِّيٌّ﴾** أي: صاغرون.

[١٩] **﴿وَإِنَّا هِيَ﴾** ضمير مبهم يفسره **﴿ذَحْرَةٌ﴾** أي: صبيحة **﴿وَجِدَّةٌ﴾** فإذا **﴿هِيَ﴾** أي: الخلائق أجمع **﴿يَنْظُرُونَ﴾** ما يفعل بهم. [٢٠] **﴿وَقَالُوا﴾** أي: الكفار: **﴿يَا﴾** للتنبيه **﴿وَبَيْنَا﴾** هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: [٢١] **﴿هَذَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾** يوم الحساب والجزاء. **﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾** بين الخلائق **﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْتَبُونَ﴾**. ويقال للملائكة: [٢٢] **﴿أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أنفسهم بالشرك **﴿وَأَزْوَجَهُمْ﴾** قرناءهم من الشياطين **﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾**. [٢٣] **﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** أي: غيره من الأوثان **﴿فَأَهْدُوهُمْ﴾** دلوهم وسوقوهم **﴿إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾** طريق النار. [٢٤] **﴿وَقَفُوهُمْ﴾** اجسومهم عند الصراط **﴿إِنَّمَا مَسْئُولُونَ﴾** عن جميع أفعالهم وأفعالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَاتِ صَفَاً ۝ فَأَلْزَجْتَ زَجْرًا ۝ فَاتَّيَلَيْتَ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝ إِنَّا رَتَبْنَا السَّمَاءَ الذُّنُوبِيزِينَةَ الْكُوكَبِ ۝ وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْمَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخِطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ، وَشَهَابٌ ثَاقِبٌ ۝ فَاسْتَفِينَهُمْ أَهْرَاشُدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۝ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ إِي دَامِنَا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظَلًا ۝ أَمْ نَأْتِيهِمْ لَيْلًا وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ أَوْ أَبَاؤُنَا أَوْ آبَاؤُنَا ۝ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَقَالُوا إِنَّا لَنَرَاهُمْ هَذَا يَوْمَ الْبَدِينِ ۝ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكْتَبُونَ ۝ ۞ أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا ۝ وَأَرْوَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝ وَقَفُوهُمْ ۝ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۝

سُورَةُ الصَّافَاتِ

[مكية، مائة واثنان وثمانون آية، نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] **﴿وَالصَّفَاتِ صَفَاً﴾** الملائكة، تُصَفُّ نفوسها في العبادة، أو أجنحتها في الهواء تنظر ما تومر به. [٢] **﴿فَأَلْزَجْتَ زَجْرًا﴾** الملائكة تزرع السحاب؛ أي: تسوقه. [٣] **﴿فَاتَّيَلَيْتَ﴾** أي: قرأ القرآن يتلونه (١) **﴿ذِكْرًا﴾** مصدر من معنى التاليات. [٤] **﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾** يا أهل مكة **﴿لَوْحِدٌ﴾**. [٥] **﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾** أي: والمغرب للشمس، ولها كل يوم مشرق ومغرب. [٦] **﴿إِنَّا رَتَبْنَا السَّمَاءَ الذُّنُوبِيزِينَةَ الْكُوكَبِ﴾** أي: بضوئها أو بها، والإضافة للبيان؛ كقراءة تنوين «زينة» المنيئة بالكواكب (٢). [٧] **﴿وَحَفِظْنَا﴾** منصوب

- (١) في نسخة مطبوعة: «تلوه».
- (٢) قرأ بالإضافة السبعة عدا عاصم وحمره، وقرأ شعبة بنصب الكواكب مع ترك الإضافة، على أنها مفعول لحذف تقديره: (أعني).
- (٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحمره والكسائي: **﴿يَسْمَعُونَ﴾** بتشديد السين والميم من التسمع، وهو: تَطَلَّبُ السماع.
- (٤) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم.
- (٥) بشر بهذا إلى أن قوله: **﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾** على حذف مضاف؛ أي: من سماع كل شيطان.
- (٦) المقصود بشهب تنفصل منها، كما بين ذلك في تفسير سورة الملك: «بأن ينفصل شهاب عن الكواكب كالقسي».
- (٧) أي يفسد عقله أو أعضائه.
- (٨) في نسخة الصاوي: «فلا يتكبرون».
- (٩) وفي قراءة حمزة والكسائي بضمها، ويكون التصجب هو الله. شيخنا - إثباتاً للصفة على الوجه اللائق به.
- (١٠) راجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وقرأ نافع والكسائي عكسه.
- (١١) قرأه ابن عامر وقالون بواو ساكنة قبلها همزة مفتوحة، وقرأ الباقون بواو مفتوحة قبلها همزة مفتوحة.

[٢٥] ويقال لهم توبيخاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً، كحالكم في الدنيا؟ ويقال لهم: [٢٦] ﴿بَلْ هُمْ آيِمٌ مُّسْتَقِيمُونَ﴾ مفادون أذلاء.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلِ بُعْثُكُمْ عَلَىٰ بَعْضِ يَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون.

[٢٨] ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنصِرُكُمْ وَاللَّهِ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ عن الجهة التي كنا نأمركم منها: لجليفكم أنكم على الحق؛ فصدقناكم واتبعناكم؛ المعنى: أنكم أضللتونا.

[٢٩] ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنصِرُكُمْ وَاللَّهِ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ بل لئن تكفروا مؤمنين؛ وإنما يصدق الإضلال وإن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إيتنا.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة تفهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ ضالين مثلنا.

[٣١] ﴿ذَنبٌ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلٌ رَّبِّيًّا﴾ بالعذاب؛ أي: قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١) ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَنَدَافِقُونَ﴾ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم: [٣٢] ﴿فَأَقْرِبَتَكُمْ﴾ الملعل بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

[٣٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَنبَتْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لاشترآكم في العوابة.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكُ﴾ كما نعمل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء؛ أي: نعذبهم، التابع منهم والمتبوع.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء، بقربته ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا﴾ في همزته ما تقدم (١) ﴿لَنَارِكُوا إِلَهَيْنَا لِشَاعِرِ تَجْمُونٍ﴾ أي: لأجل محمد.

[٣٧] قال - تعالى -: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به؛ وهو: أن لا إله إلا الله.

[٣٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَدَافِعُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا نَجْرُونَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي: ذكر جزأهم في قوله: [٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ رِيْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بكرة وعشيتاً.

[٤٢] ﴿فَوَكِهَ﴾ بدل، أو: بيان للرزق؛ وهو: ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُمْ تَكْرُمُونَ﴾ بثواب الله . شبحائه وتعالى.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

[٤٤] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفاً بعض.

[٤٥] ﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ على كل منهم ﴿يَكَّابِينَ﴾ هو: الإناء بشرابه ﴿يَمِينٍ نَّعِينَ﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء.

مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ آيِمٌ مُّسْتَقِيمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلِ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنصِرُكُمْ وَاللَّهِ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿٢٨﴾ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٢٩﴾ فَاحْقِّ عَلَيْنَا قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٣٠﴾ فَأَعْوَبْنَا كُرْبَانَا كَآغِوِينَ ﴿٣١﴾ إِنَّا كَذَلِكُ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَيْنَا لِشَاعِرِ مَجْمُونٍ ﴿٣٤﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّا كَذَٰبِقُونَ ﴿٣٦﴾ فَأَقْرِبَتَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّا كَذَلِكُ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَا نَجْرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ رِيْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكِهَ عَلَيْهِمْ فِي الْجَنَّاتِ يَكَّابِينَ ﴿٤٢﴾ يَطَافُ عَلَيْهِمْ فِي ظِلِّ الْأَشْجَارِ ﴿٤٣﴾ وَعَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّتَقَابِلِينَ ﴿٤٥﴾

[٤٦] ﴿بَيْضَاءَ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٌ﴾ لذيدة ﴿لِلشَّرِيِّينَ﴾

بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا عَوَلٌ﴾ ما يغال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُذْفَرُونَ﴾ يفتح الزاي وكسرها (٢)؛ من ذرف الشارب، وأذرف؛ أي: يسكرون بخلاف خمر الدنيا.

[٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حاسبات الأعين على أزواجهن، لا يُنظرون إلى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عِينٌ﴾ ضحاح الأعين حسانها.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ للنعام ﴿مَكْنُونٌ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه . وهو البياض في صفرة . أحسن ألوان النساء.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلِ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضِ يَسَاءَلُونَ﴾ عما مر بهم في الدنيا.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ صاحب يئيكو البعث.

(١) هود: ١١٩.

(٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها.

(٣) بالكسر قرأة حمزة والكسائي.

المُحْضَرِينَ ﴿٥٤﴾ معك في النار.

[٥٨] ويقول أهل الجنة: ﴿أَفَأَنْتَ نَحْنُ بِمَيْتِينَ﴾. [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تلذذ وتحذير بنعمة الله - تعالى ٤- من تأييد الحياة وعدم التعذيب (٦).

[٦٠] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذُكِرَ لأهل الجنة ﴿لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦١] ﴿لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَاقِلُونَ﴾ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

[٦٢] ﴿أَذَلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿حَيْرٌ نَزُلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للنازل، من ضيف وغيره ﴿أَمْ سَجَرَةُ الزُّرُومِ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أحببت الشجر المرِبَهامة، يُبَيِّئُهَا اللهُ في الجحيم؛ كما سيأتي.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكة؛ إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت؟

[٦٤] ﴿إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى ذرّاتها.

[٦٥] ﴿طَلَعَهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الحيات (٧) القبيحة المنظر.

[٦٦] ﴿فَأَنبَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ مع قبحها؛ لشدة جوعهم ﴿فَمَا لَوْ أَنَّ الظُّلُمَةَ﴾.

[٦٧] ﴿كُنَّ إِنَّمَا لَهْمٌ عَلَيَّاءَ لَسَوْنَا بَيْنَ حَمِيمٍ﴾ أي: ماء حار يشربونه، فيختلط بالأكول منها؛ فيصير شوتاً (٨) له.

[٦٨] ﴿كُنَّ إِنَّمَا مَرَجَمُهُمْ لِأَلِ الْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم، وأنه خارجها (٩).

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ الْفَرَاخُ﴾ وجدوا ﴿عَابَاءَهُمْ صَالِينَ﴾.

[٧٠] ﴿فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يَهْرَعُونَ﴾ يُزْعَجُونَ إلى اتباعهم فيسرعون إليه.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرَ الْأُولِينَ﴾ من الأمم الماضية.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّذَرِّبِينَ﴾ من الرسل مخوفين.

[٧٣] ﴿فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذَرِّبِينَ﴾ الكافرين؛ أي: عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ [المُخْلِصِينَ] (١٠) أي: المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب؛ لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أخلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ بقوله: «رب أني مملؤث فأنصبر» (١١) ﴿فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ﴾ له نحن؛ أي: دعانا على قوم، فأهلكناهم بالعرف.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: العرق.

يَقُولُ أَيْ نَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٤﴾ أَيْ ذَامِنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلِعُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَطْلَعُ قِرَاءَةٌ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٧﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرِيدِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٩﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيْتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِيُثِلَ هَذَا فَيَعْمَلِ الْعَاقِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ حَيْرٌ نَزُلًا أَمْ سَجَرَةُ الزُّرُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَأَنبَهُمْ لِأَكُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ الظُّلُمَةَ ﴿٦٦﴾ كُنَّ لَهْمٌ عَلَيْهَا لَشَرِبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنْ مَرَجَعُهُمْ لِأَلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ الْفَرَاخُ عَابَاءَهُمْ صَالِينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يَهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرَ الْأُولِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّذَرِّبِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُذَرِّبِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

[٥٢] ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيًا: ﴿أَيْ نَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ﴾ بالبعث.

[٥٣] ﴿لَوْدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيَّنَا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم (١) ﴿لَمَدِينُونَ﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضًا.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلِعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

[٥٥] ﴿فَأَطْلَعُ﴾ ذلك القائل من بعض كُوسَى الجنة ﴿قِرَاءَةٌ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ في وسط النار.

[٥٦] ﴿قَالَ﴾ له تشميتًا: ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدْتَ﴾ قاربت ﴿لَتُرِيدِينَ﴾ لنهلكني يا غواثك.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علي في الدنيا بالإيمان ﴿لَكُنْتُ مِنَ

(١) أي: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركة، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) أي: فهو من كلام بعض أهل الجنة لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من أهل الجنة لأهل النار، على سبيل التبكيت لهم، والتذكير بقولهم هذا في الدنيا؛ حيث كانوا ينكرون البعث والعذاب.

(٣) قيل: المراد بذلك ضرب من الحيات؛ رعوسها بشعة، واحتار ابن كثير أن الآية على ظاهرها، وأنها رعوس الشياطين حقيقة، وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

(٤) أي: فيصير الحميم شوتًا؛ أي خليطًا للزقوم.

(٥) مقصود المصنف أن الكفار يؤخذ بهم من الجحيم إلى الجحيم ثم يرجعون إلى الجحيم، وهما في النار؛ وليس المقصود خروجهم من النار لقوله تعالى فيهم: ﴿وَمَا لَهُمْ بِحُجُوبٍ مِنْ نَّارٍ﴾ [البقرة: ١٦٧].

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿المُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام.

(٧) القمر: ١٠.

[٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُرًّا بَاقِينَ﴾ فالناس كلهم من نسله - عليه السلام - ، وكان له ثلاثة أولاد: «سام» وهو أبو العرب والفرس والروم، و«حام» وهو أبو السودان، و«ياث» وهو أبو الترك والمخر (١) وياجوج وماجوج، وما هنالك.

[٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا قُتَيْبًا عَلَيْهِ نَاءَ حَسَا﴾ في الآخرين من الأنبياء والأمم، إلى يوم القيامة.

[٧٩] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

[٨٠] ﴿إِنَّا كَذَلِكُ﴾ كما جزيناهم ﴿بِحَجْرِي الْمُنْحَبِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٨٢] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه.

[٨٣] ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِي﴾ أي: ممن تابعه في أصل الدين ﴿لِبَرْهَيْسَ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة (٢)، وكان بينهما هود وصالح.

[٨٤] ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: تابعه وقت مجيئه ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشك وغيره.

[٨٥] ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ مُؤَبِّحًا: ﴿مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ؟﴾

[٨٦] ﴿أَفِيكَأ﴾ في همزتيه ما تقدم (٣) ﴿إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ و«إفكأ» مفعول له، و«إلهة» مفعول به لـ ﴿تُرِيدُونَ﴾ والإفك: أسوأ الكذب؛ أي: أتعبدون غير الله؟

[٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ عدتم غيره، أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نمامين، فخرجوا إلى عيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم - زعموا التبرك عليه؛ فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم: اخرج معنا.

[٨٨] ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي الْأَتْجَامِ﴾ إيهامًا لهم أنه يعتمد عليها؛ ليعتمده.

[٨٩] ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ غليل؛ أي: ساسقم.

[٩٠] ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ إِلَىٰ عِيْدِهِمْ مَدْيُونٍ﴾.

[٩١] ﴿وَرِجَ﴾ مال في خفية ﴿إِلَىٰ آلِهِمْ﴾ وهي: الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ فلم ينطقوا.

[٩٢] فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطُقُونَ؟﴾ فلم يجب (٤).

[٩٣] ﴿فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ صُرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ بالقوة (٥)؛ فكسرها؛ فبلغ قومه من رآه.

[٩٤] ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ﴾ أي: يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها؟!.

[٩٥] ﴿قَالَ﴾ لهم مُؤَبِّحًا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْنَتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها أصنامًا؟!.

[٩٦] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم؛ فاعبده وخذده، و﴿مَا﴾ مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة.

[٩٧] ﴿فَالرُّؤُوسُ﴾ بينهم: ﴿أَبْنَاءُ لَكُمْ بَيْنَنَا﴾ فاملفوه حطبا وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَالرُّؤُوسُ فِي الْحَجِيرِ﴾ النار الشديدة.

وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُرًّا بَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا قُتَيْبًا عَلَيْهِ فِي الْآخَرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكُ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِنْ شَيْعِي ﴿٨٣﴾ لِبَرْهَيْسَ ﴿٨٤﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّكَ عَلَيْهِ نَاءَ حَسَا ﴿٨٥﴾ قُلُوبًا سَلِيمًا ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنظَرَ نَظْرَةً فِي الْأَتْجَامِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ صُرْبًا ﴿٩١﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ فَمَا لَكُمْ لَا تَنْطُقُونَ ﴿٩٣﴾ فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ صُرْبًا ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ ﴿٩٥﴾ قَالَ تَعْبُدُونَ مَا تَحْنَتُونَ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يُرْفُونَ ﴿٩٨﴾ قَالُوا أَتَبْنُوهُ، بُدْبِنَا فَا لْقُوهُ ﴿٩٩﴾ فِي الْحَجِيرِ ﴿١٠٠﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٠١﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَهِيدٌ ﴿١٠٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٣﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٤﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْأَنْبَاءِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٥﴾ قَالَ يَبْنَئُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٦﴾

[٩٨] ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾

المقهورين؛ فخرج من النار سالما.

[٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ مهاجرا إليه من دار الكفر ﴿سَهِيدِينَ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه؛ وهو: الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: [١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولذا ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذي حلم كثير.

[١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي: أن يسعى معه ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين. وقيل: ثلاث عشرة سنة.

﴿فَقَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ﴾ أي: رأيت ﴿فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حق، وأفعالهم بأمر الله - تعالى - . ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي؟ شاوره ليأسن بالذبح، وينقاد للأمر به ﴿قَالَ يَبْنَئُ﴾ التاء عوض عن باء الإضافة (٦) ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على ذلك.

(١) وهم التار.

(٢) أي: من تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها.

(٣) تفسير اليمين بالقوة خلاف ظاهر اللفظ، ولو قال: إنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى لكان أظهر. وقيل المراد باليمين قسمه الوارد في آية الأنبياء: ﴿وَاللَّهُ لَاصْبِرُونَ إِلَّا عَلَىٰ صَبْرٍ عَظِيمٍ﴾ وتكون الباء سببية.

(٤) أي في: فأي.

(٥) وقيل: غير ذلك، ولا دليل صحيح معتبر على التحديد، والصواب عدمه، والله أعلم.

(٦) في نسخة من المطبوع: «نَجِب»؛ أي الأصنام.

جواب «لما» بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَّبْنَا﴾ كما جزيناك ﴿تَجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بامتنال الأمر، بإفراج الشدة عنهم. [١٠٦] ﴿إِنَّا هَذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ الْبَيْتُ الْأَيْبِيُّ﴾ أي: الاختيار الظاهر. [١٠٧] ﴿وَقَدَّيْتَهُ﴾ أي: المأمور بذبحة؛ وهو: إسماعيل أو إسحاق، قولان^(١) ﴿يَذْبَحُ﴾ بكيش ﴿عَظِيمٍ﴾ من الجنة، وهو الذي قُوبِلَهُ هَابِيلُ^(٢)، جاء به جبريل الطيّب، فذبحه السيد إبراهيم مكبّراً. [١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ نناء حسناً. [١٠٩] ﴿سَلَّمْنَا﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾. [١١٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناها ﴿تَجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم. [١١١] ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١١٢] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ بِإِسْحَاقَ استدل بذلك على أن الذبح غيره ﴿يَبْنِي﴾ حال مقدرة، أي: يوجد مقدراً نبوته ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. [١١٣] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ بتكثير ذريته ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ ولديه؛ بجمعنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمَا مُنشَرَفٌ﴾ مؤمن ﴿وَقَالُوا لَيْسَ بِهِ كَافِرٌ﴾ مبيِّن ﴿بَيْنَ الْكُفْرِ﴾.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ بالنبوة. [١١٥] ﴿وَوَجَّعْنَاهُمَا وَفَوَّعْنَاهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: استبعاد فرعون لإياهم. [١١٦] ﴿وَوَضَعْنَاهُمْ﴾ على القبط ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾. [١١٧] ﴿وَعَائِنَهُمَا لِكِتَابِ الْمُسْتَبِينَ﴾ البالغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها، وهو: التوراة. [١١٨] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا صِرَاطَ﴾ الطريق ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾. [١١٩] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ نناء حسناً.

[١٢٠] ﴿سَلَّمْنَا﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾. [١٢١] ﴿إِنَّا كَذَّبْنَا﴾ كما جزيناها ﴿تَجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٢٢] ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٣] ﴿وَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ بالهمزة أوله وتركه^(٣) ﴿لَكَيْنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قيل: هو ابن أخي^(٤) هارون أخي موسى. وقيل: غيره. أرسل إلى قوم يعيلك ونواحيها. [١٢٤] ﴿إِذْ﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدراً ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أَلَا تَتَّقُونَ الله؟ [١٢٥] ﴿أَلَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً مضافاً إلى «بك»؛ أي: أتعبدونه ﴿وَتَدْرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ فلا تعبدونه؟ [١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ﴾ برفع الثلاثة على إضمار «هو»، وبصحبها^(٥) على البدل من «أحسن».

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٦﴾ وَتَدَيَّنَّهُ أَنْ يَتَابِرَهُمْ ﴿١٠٧﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّا هَذَا هُوَ الْبَيْتُ الْمُبِينِ ﴿١٠٩﴾ وَقَدَّيْنَهُ يَذْبَحُ عَظِيمٍ ﴿١١٠﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١١﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٢﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٣﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ يَبْنِي مِنَّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَوَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٦﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٧﴾ وَجَّعْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٨﴾ وَوَضَعْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٩﴾ وَوَجَّعْنَاهُمَا الْكِتَابِ الْمُسْتَبِينَ ﴿١٢٠﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٢١﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٢﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنَّا لِيَاسٍ لِّمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَالَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٧﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٢٨﴾

[١٠٦] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خضعاً وانقاداً لأمر الله - تعالى - ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك يمتي، وأمر السكين على خلقه فلم تعمل شيئاً يمنع من القدرة الإلهية.

[١٠٤] ﴿وَتَدَيَّنَّهُ أَنْ يَتَابِرَهُمْ﴾. [١٠٥] ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح أي: يكفيك ذلك، فجملة ﴿وَتَدَيَّنَّهُ﴾

(١) والراجع الأول: أنه إسماعيل، وهو الذي تشهد له النصوص، وكذا سياق الآيات بعدها حيث قال: ﴿وَتَرَكْنَا بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، بعد أن ذكر قصة الذبح فدل على أنه غيره.

(٢) ذكر هذا الطبري (٨٦/٢٣) عن ابن عباس، وأخرج عنه أيضاً (٨٧/٢٣) أنه كيش من الجنة وعليه أكثر المفسرين، وعزه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٧) لآين أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقيل: بل هو كيش من الكباش المعروفة. والأولى الاقتصار على وصف القرآن، وأنه ذبح عظيم.

(٣) قرأ ابن ذكوان بترك الهمزة - وموصولاً - فإذا ابتدأ فتح الهمزة.

(٤) هكذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون»؛ أي من ذريته، قال: وهو الصحيح، والآخر سهو؛ لأن إلباس من ذرية هارون، وتقدم مثل ذلك في تفسير الأنعام: (٨٦).

(٥) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

[١٢٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار. [١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها.

[١٢٩] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسنا.

[١٣٠] ﴿سَلَّمَ﴾ ميثا ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ قيل: هو إيلياس المتقدم ذكره. وقيل: هو ومن آمن معه؛ فجمعوا معه تغليبا؛ كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وعلى قراءة: ﴿إِلَّا يَأْسِرِينَ﴾ بالمد^(١)؛ أي: أهله، المراد به إيلياس أيضا.

[١٣١] ﴿إِنَّا كَذَّبْنَاكَ﴾ كما جزيناه ﴿بِحَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٣٢] ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١٣٣] ﴿وَلَيْنَ لَوْلَا لَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. اذكر [١٣٤] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾. [١٣٥] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب. [١٣٦] ﴿فَنُمِّدْنَاهَا﴾ أهلكتنا ﴿الْآخِرِينَ﴾ كفار قومه. [١٣٧] ﴿وَلْيَاذْكُرْ لَنَكُونَنَّ لَهُمْ﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُضْجِجِينَ﴾ أي: وقت الصباح؛ يعني: بالنهار. [١٣٨] ﴿وَيَأْتِيهِمْ أَفْلا تَقْلُبُونَ﴾ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون؟! [١٣٩] ﴿وَلَيْنَ لَوْلَا لَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٤٠] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا﴾ هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ السفينة المملوءة حين غاصت قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به؛ فركب السفينة، فوفقت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبى من سيده تظهره القرعة^(٢).

[١٤١] ﴿فَسَأَلَهُمْ﴾ فآزرع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَجِينَ﴾ المدغولين بالقرعة؛ فألقوه في البحر. [١٤٢] ﴿فَالْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ اتبغعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: أتى بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه.

[١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ﴾ الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤٤] ﴿لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ﴾ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿لِصَارَ بطن الحوت قفزا له إلى يوم القيامة. [١٤٥] ﴿فَبَدَّدْنَاهُ﴾ أي: ألقيناه من بطن الحوت ﴿وَالْعُرْجُ وَبِجَاهِ الْأَرْضِ﴾ أي: بالساحل من يومه، أو بعد ثلاثة، أو سبعة أيام، أو عشرين، أو أربعين يوما^(٣) ﴿وَوَفَوْا سَوِيْرًا﴾ غليل كالفرخ المغط^(٤).

[١٤٦] ﴿وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ سِجْرَةً يَتَّبِعُونَ﴾ وهي: القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له، وكانت تأتيه وعلة^(٥) صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوي. [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ بعد ذلك كَقَبِيلِهِ إِلَى قوم يَدِينُوا ﴿مِنْ أَرْضِ الْمُؤَصِّلِ﴾ إِنَّ مِائَةَ أَلْفٍ أَوْ ﴿بَلْ يَرِيدُونَ﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفا. [١٤٨] ﴿فَأَمَّا نُونُ﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أبغيناهم متمعين بما لهم ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي آجالهم فيه.

[١٤٩] ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ استخبر كفار مكة توبيخا لهم: ﴿أَلَمْ يَكُنْ الْأَنْبَاءُ﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [١٢٧] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [١٢٨] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [١٢٩] ﴿سَلَّمَ﴾ [١٣٠] ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [١٣١] ﴿إِنَّا كَذَّبْنَاكَ﴾ [١٣٢] ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٣٣] ﴿وَلَيْنَ لَوْلَا لَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٣٤] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [١٣٥] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾ [١٣٦] ﴿فَنُمِّدْنَاهَا﴾ [١٣٧] ﴿وَلْيَاذْكُرْ لَنَكُونَنَّ لَهُمْ﴾ [١٣٨] ﴿وَيَأْتِيهِمْ أَفْلا تَقْلُبُونَ﴾ [١٣٩] ﴿وَلَيْنَ لَوْلَا لَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٤٠] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا﴾ [١٤١] ﴿فَسَأَلَهُمْ﴾ [١٤٢] ﴿فَالْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ﴾ [١٤٤] ﴿لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ﴾ [١٤٥] ﴿وَالْعُرْجُ وَبِجَاهِ الْأَرْضِ﴾ [١٤٦] ﴿وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ سِجْرَةً يَتَّبِعُونَ﴾ [١٤٧] ﴿فَأَمَّا نُونُ﴾ [١٤٨] ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ [١٤٩] ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾

برعهم أن الملائكة بناث الله ﴿وَلَهُمُ الْبُيُوتُ﴾ فيختصون بالأسنى؟

[١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ تخلفنا؛ فيقولون ذلك؟.

[١٥١] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ آفِكِهِمْ﴾ كذبيهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾: [١٥٢] ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ يقولهم: الملائكة بنات الله. ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيه.

[١٥٣] ﴿أَسْطَفَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل حذف؛ أي: أختار ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾؟

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٢) ذكر ابن كثير وأكثر المفسرين أن السفينة لما أشرفت على الفرق ساهموا على من تقع عليه القرعة ليلقى به في البحر لتخف السفينة، فوفقت القرعة على نبي الله يونس ثلاث مرات، وهم يظنون به أن يلقي من بينهم.

(٣) ولا دليل على شيء من تلك الأقوال.

(٤) المغط: أي: المنفوش الشعر.

(٥) وهي أنثى الوُزَل؛ ذكر الأروى، وهو الشاة الجبلية.

فإنهم يزهدون الله - تعالى - عما يصفه هؤلاء. [١٦١] ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ وَمَا تَبُدُونَ﴾ من الأصنام. [١٦٢] ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على معبودكم، و﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿يَقْتَنِينَ﴾ أي: أحذروا^(١). [١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنَّةِ﴾ في علم الله - تعالى. قال جبريل للنبي ﷺ: [١٦٤] ﴿وَمَا يَنَّا﴾ معشر الملائكة أحذروا^(٢) ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ في السماوات يقبض الله فيه لا يتجاوز.

[١٦٥] ﴿وَمَا لَنَا لَتَعْنُ الصَّافُونَ﴾ أقدامنا في الصلاة.

[١٦٦] ﴿وَمَا لَنَا لَتَعْنُ الْمُسْبِحُونَ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به.

[١٦٧] ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَاثُرًا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾: [١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ كتابًا ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من كتب الأمم الماضية.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ العبادة له.

[١٧٠] قال - تعالى -: ﴿فَكَفَرُوا بِوَيْهِ﴾ بالكتاب الذي جاءهم؛ وهو: القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَانًا﴾ بالنصر ﴿لِإِيَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي: ﴿لَاخِلَاجِكِ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(٣). أو هي قوله: [١٧٢] ﴿إِنَّمِ لَهُمْ الْمُصَوِّرُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿وَلَقَدْ جَدَدْنَا لَهُمُ الْمُنِيرِينَ﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ النَّارُ الْكَافِرُ﴾ بالحنة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة.

[١٧٤] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تؤمر فيه بقتالهم.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبة كفرهم. ﴿فَقَالُوا﴾ استهزاء: متى نزل هذا العذاب؟!.

[١٧٦] قال - تعالى - تهديدًا لهم: ﴿أَفَعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ؟﴾.

[١٧٧] ﴿فَإِنَّا نَزَّلْنَا سَاحِطَاتٍ﴾ بفنائهم، قال الفراء: «العرب تكلفي بذكر الساحة عن القوم» ﴿فَسَاءَ﴾ بئس صباحًا ﴿صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمير.

[١٧٨] ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

[١٧٩] ﴿وَأَبْصِرْ سَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كرر تأكيدًا لتهديدهم وتسليته له ﷺ.

[١٨٠] ﴿سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بأن له ولدًا.

[١٨١] ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلغيين عن الله التوحيد والشرائع.

[١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٩﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٨﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٧﴾ فَأَنؤُا بِكَيْفِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَٰسَبًا وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ الْأَعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِن كُفِرُوا فَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صٰلِي الْجَنَّةِ وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٣﴾ وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَعْنُ الْمُسْبِحِينَ ﴿١٦٥﴾ وَإِن كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٦٦﴾ لَوَٰنْ عِنْدَنَا ذِكْرٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٧﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٨﴾ فَكُفِرُوا بِهِ هَسَّوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَهَمَّتْنَا لِإِعَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٠﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِن جَدَدْنَا لَهُمُ الْعٰلِينَ ﴿١٧٢﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٣﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٤﴾ أَفَعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٥﴾ فَإِنَّا نَزَّلْنَا سَاحِطَاتٍ مِّنْ سَآءِ صَبَاحٍ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٦﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٧﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٨﴾ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٧٩﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٠﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨١﴾

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ [١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء في الذال^(١)، أنه - سبحانه - تعالى - منزه عن الولد؟ [١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾ حجة واضحة أن لله ولدا؟ [١٥٧] ﴿فَأَنؤُا بِكَيْفِكُمْ﴾ التوراة، فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ﴾ في قولكم ذلك. [١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: المشركون ﴿بَيْنَهُ﴾ - تعالى - ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ أي: الملائكة؛ لِاجْتِنَابِهِمْ^(٢) عن الأبصار ﴿نَٰسَبًا﴾ بقولهم: إنها نبات الله. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قاطلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ للنار، يعذبون فيها. [١٥٩] ﴿سُبْحٰنَ اللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بأن لله ولدا. [١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي:

(١) نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

(٢) أي: استجارهم.

(٣) أي: بمضلين أحذا.

(٤) المجادلة: ٢١.

سُورَةُ صَّ

[مكية، ست، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد القمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿صَّ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف؛ أي: ما الأمر كما قال كفار مكة، من تعدد الآلهة.

[٢] ﴿بِلِ اللّٰئِيْنَ كَفَرُوْا﴾ من أهل مكة ﴿فِي عَزْوٍ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ.

[٣] ﴿كَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿وَأَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فَتَادُوا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَوَلَّات حِيْنَ مَنَاصِي﴾ أي: ليس الحين حين فرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل «تادوا»؛ أي: استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة.

[٤] ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم، ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكٰفِرُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمرة: ﴿هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾. [٥] ﴿أَجْعَلُ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّجِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله؛ أي: كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟! ﴿إِن هٰذَا لَكُنٰى عَجَابٌ﴾ أي: عجيب. [٦] ﴿وَأَنطَلِقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»^(١) ﴿أَن أَمْشُوا﴾ يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَأَصْبِرُوا عَلٰى اَلْهَيْكَلِ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِن هٰذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَكُنٰى يُّرَادُ﴾ منا. [٧] ﴿مَا تَعْبَتَا يٰهٰذَا فِي اَلْاٰلِهَةِ الْاٰخِرَةِ﴾ أي: ملة عيسى ﴿إِن﴾ ما ﴿هٰذَا اِلَّا اٰخِلٰتُ﴾ كذب.

[٨] ﴿أَنزِلُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركة^(٢) ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿مِن بَيْنِنَا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؛ أي: لم ينزل عليه، قال - تعالى -: ﴿بَلْ فِي سَكِّ مِّن ذِكْرِي﴾ وحي؛ أي: القرآن حيث كذبوا الجائي به ﴿بَل لَّمَّا﴾ لم ﴿يَدْعُوا عَنَابٍ﴾ ولو ذاقوه لصدفوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ. [٩] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِن رَّحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاءوا! [١٠] ﴿أَمْ لَهُمْ شُكَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن زعموا ذلك ﴿فَلْيَرْهَقُوا فِي الْاَسْبَابِ﴾ الموصلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصوا به من شاءوا؟! «وأم» في الموضوعين بمعنى همزة الإنكار. [١١] ﴿جُنْدٌ مَّا﴾ أي: هم جند حتمير ﴿هٰنَالِكَ﴾ في تكذيبهم لك ﴿مَهْرُومٌ﴾ صفة «جند» ﴿بَيْنَ الْأَحْزَابِ﴾ صفة «جند» أيضا؛ أي: كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأولئك قد قهروا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بِلِ اللّٰئِيْنَ كَفَرُوْا فِي عَزْوٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرَّ اَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَ وَاوَلَات حِيْنَ مَنَاصِي وَعَجِبُوا ﴿٣﴾ اَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ اَجْعَلُ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّجِدًا اِن هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَاَنطَلِقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ اَن اَمْشُوا وَاَصْبِرُوا عَلٰى اَلْهَيْكَلِ اِن هٰذَا لَشَيْءٌ يُّرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي اَلْاٰلِهَةِ الْاٰخِرَةِ اِن هٰذَا اِلَّا اٰخِلٰتُ ﴿٧﴾ اَهُ نَزِل عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَدُورُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ اَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِن رَّحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ اَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا الْاَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَّا هٰنَالِكَ مَهْرُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ اِن كُلُّ الْاَكْذَابِ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هُوَ اِلَّا الصَّيْحَةَ وَجِدَةً مَّا لَهَا مِن قَوَاعٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا فَاغْتَابْنَا بِغِيْبَتِنَا اَن نُّرٰى اَعْيُنُنَا وَمَا نَحْمِلُ مِنْ اَوْثَانٍ وَاَنظُرُ اِلَّا سَحَابًا مُمْتَازًا ﴿١٦﴾

وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء. [١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ كان يتدل لكل من بغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه. [١٣] ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ أي: الغيضة^(٣)، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. [١٤] ﴿إِن﴾ ما ﴿كُلُّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ أَرْسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابِ﴾. [١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ ينتظر ﴿هُوَ اِلَّا الصَّيْحَةَ وَجِدَةً﴾ هي نفخة القيامة، تحمل بهم العذاب ﴿مَّا لَهَا مِن قَوَاعٍ﴾ بفتح الفاء وضمة^(٤)؛ رجوع. ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا﴾ لما نزل: ﴿فَأَنَّا مَنَ اَوْفٰى كِتٰبِنَا بِيَسْبُوَةٍ﴾^(٥) الخ: [١٦] ﴿رَبَّنَا عَجَلْنَا فَاغْتَابْنَا﴾ أي: كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٢٣٢٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشا شكروا النبي ﷺ إلى أبي طالب؛ فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدن لهم العرب، وتودي إليهم العجم الجزية». قال: كلمة واحدة؟! قال: «كلمة واحدة». قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله»؛ فقالوا: «إلها واحدا؟! ما سمعنا بهذا في اللغة الآخرة، إن هذا لا اختلاق. قال: فنزل فيه القرآن: ﴿صَّ﴾ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا تَعْبَتَا يٰهٰذَا فِي اَلْاٰلِهَةِ الْاٰخِرَةِ اِن هٰذَا اِلَّا اٰخِلٰتُ﴾. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم القصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(٢) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفضل بينهما بألف أبو عمرو وقالون وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿اٰتٰىنَا﴾، وفي موضع آل عمران ﴿اٰتٰىنَا﴾.

(٣) وهي الأندجار الملققة بالمجمعة.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥) الحاقة: ١٩.

[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ﴾ قوبناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَعَايَنْتُهُ الْحِكْمَةَ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وَقَصَلَّ الْخِطَابَ﴾ البيان الشافي في كل قصد.

[٢١] ﴿وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَتُنَكِّحُ﴾ يا محمد ﴿بِنَوْأَى الْحَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْبِحْرَابَ﴾ محراب داود؛ أي: مسجده؛ حيث منعوا الدخول عليه من الباب؛ لشغله بالعبادة؛ أي: خبرهم وقصتهم.

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَّعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ﴾ نحن ﴿حَصَمَانَ﴾ قيل: فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما ملكان جاءا في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر هنا على سبيل الفرض؛ لتبنيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها^(١) ﴿بَنَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ تبر ﴿وَأَهْدِنَا﴾ أرسدنا ﴿إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ وسط الطريق الصواب.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أي: على ديني ﴿لَهُ نِسْعٌ وَسَعُونَ نِعْمَةً﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَاقْلَبْ أَكْهَلِيهَا﴾ أي: اجعلني كإهلها ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبنني ﴿فِي الْخِطَابِ﴾ أي: الجدل، وأقره الآخر على ذلك.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسَوَالِ سُؤَالِكَ﴾ ليضمها ﴿إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِ﴾ الشركاء ﴿لِيُنَبِّئَهُمْ عَلَى بَعْضِ آلَاءِ اللَّهِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وقيل: ما هم ﴿ما﴾ لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتبته داود، قال - تعالى -: ﴿وَتَلَوَّ﴾ أي: أيقن ﴿دَاوُدَ أَمَّا فَتَنَّتُهُ﴾ أوقعناه في فتنة؛ أي: بلية مجتمعة تلك المرأة^(٢) ﴿فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجدا ﴿وَأَنَابَ﴾.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ أي: زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَّوَابٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٢٦] ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَلَحَّكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الدلائل الدالة على توحيدِهِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَوَّوْا﴾ بنسيانهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا يوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عِبَادَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٢١﴾ وَالطَّيْرَ مَحْسُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿٢٢﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ وَوَعَايَنَّا الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَرَّعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ حَصَمَانَ بَعَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٥﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْهَلْنَاهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٦﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسَوَالِ سُؤَالِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِ لِيُنَبِّئَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ آلَاءِ اللَّهِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَقِيلَ مَا هُمْ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٧﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّوَابٍ ﴿٢٨﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٩﴾

[١٧] قال - تعالى -: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عِبَادَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: القوة في العبادة؛ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف الليل وينام تلك ويقوم سدسه^(١) ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى مرضاة الله.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالْعُشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ وقت صلاة الصبح، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها. [١٩] ﴿وَالطَّيْرَ مَحْسُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ مِّنَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ﴾ لله ﴿أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى طاعته بالتسبيح.

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) حاشا لله أن ينسب لني كرم من أنبياء الله عليهم السلام الذين اصطفاهم مثل هذا الإفك البين، وغفر الله للمفسر إذ نقل هذا، وهو من الإسرائيليات المتفرقة على صفوة خلق الله عليهم السلام. وهذا الخصمان هما من بني آدم حقيقة على القول الصحيح لا من الملائكة، كما أن النعجة ليس المراد بها المرأة على الصحيح، بل المراد هنا أنثى الضأن، والآيات على ظاهرها لوجوه عديدة لا يتسع المقام لبيسطها، والمراد منها تبنيه داود عليه السلام ومث بعده من الملوك على عظيم فتنة الملك والغنى ووسط الدنيا.

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ عينا ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿ذَوِيلٌ﴾ واد للذين كفروا من النار. [٢٨] ﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا وَصَحَلُوا الصَّلِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة مثل ما تعطون، و﴿أم﴾ بمعنى همزة الإنكار.

[٢٩] ﴿كُتِبَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبِينًا لِيَذَّبُوا﴾ أصله: يتدبروا؛ إذ غمت التاء في الدال ﴿عَائِيَتِهِ﴾ ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وَلِيَذْكُرُوا﴾ يعظ ﴿أَوْلُوا الْأَيْتِ﴾ أصحاب العقول.

[٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿يَعْقُبُ الْعَبْدَ﴾ أي: سليمان ﴿إِنَّهُ أَوْابٌ﴾ وجماع في التسيح والذكر، في جميع الأوقات. [٣١] ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَيسَى﴾ هو ما بعد الزوال ﴿الصَّفِيفَتِ﴾ الخيل، جمع صافئة؛ وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من صَفَرٍ يُصْفِرُ صُفُونًا ﴿يَلِيَادُ﴾ جمع جواد، وهو السابق؛ المعنى: أنها إذا استوقفت سكتت، وإن ركضت سبقت، وكانت ألف فرس، عرضت عليه بعد أن صلى الظهر؛ لإرادته الجهاد عليها العدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس، ولم يكن صلى العصر فاغتم [٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾ أي: أردت ﴿حَبَّ الْخَيْرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي: صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَّتْ﴾ أي: الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾ أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار.

[٣٣] ﴿رُدُّهَا عَنْكَ﴾ أي: الخيل المعروضة، فردوها ﴿فَنَظَفْنَ مَسَلًا﴾ بالسيف ﴿بِالسُّوقِ﴾ جمع ساق ﴿وَالْأَعْنَاقِ﴾ أي: ذبحها وقطع أرجلها تقربا إلى الله - تعالى؛ حيث اشتغل بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها، فغوضه الله خيرا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها^(١)، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه

فزرعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءه جن في صورة سليمان فأخذها منها ﴿وَأَقْبَنَّا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ هو ذلك الجنى وهو صخر أو غيره، جلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته فرأه على كرسيه، وقال للناس: أنا سليمان فأنكروه ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه^(٢). [٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي﴾ لا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾^(٣) أي: سواي نحو ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾^(٤)؛ أي: سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. [٣٦] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجْمًا﴾ لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أَرَادَ. [٣٧] ﴿وَالشَّيْطَانَ كُلَّ يَلُوكَ﴾ يعني الأبنية العجيبة ﴿وَعَوَاصِرَ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبِينًا لِيَذَّبُوا عَنْ آيَاتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أَوْلُوا الْأَيْتِ﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ يَعْمُ الْعَبْدَ إِنَّهُ أَوْابٌ﴾ ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَيسَى الصَّفِيفَتِ الْيَلِيَادُ﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حَبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ ﴿رُدُّهَا عَلَى فُطَيْقٍ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَقْبَنَّا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجْمًا حَيْثُ أَصَابَ﴾ ﴿وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرَ﴾ ﴿وَالْآخِرِينَ مَقْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿وَإِنْ لَمْ نَعِدْنَا الرِّبِّيَّ وَحُسْنَ مَتَابٍ﴾ ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا الْأَوْبَابَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِي مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبِ وَعَذَابٍ﴾ ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غَمْسًا بَارِدًا وَسَرَابًا﴾

[٣٨] ﴿وَالْآخِرِينَ﴾ منهم ﴿مَقْرِنِينَ﴾ مشدودين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم. وقلنا له: [٣٩] ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا حساب عليك في ذلك. [٤٠] ﴿وَإِنْ لَمْ نَعِدْنَا الرِّبِّيَّ وَحُسْنَ مَتَابٍ﴾ تقدم مثله.

[٤١] ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا الْأَوْبَابَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِي﴾؛ أي: بأني ﴿مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبِ﴾ ضربه ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تادبا معه - تعالى.. وقيل له: [٤٢] ﴿أَرْكُضْ﴾ اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾ الأرض، فضرب فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿هَذَا غَمْسًا بَارِدًا تَغْتَسَلُ بِهِ﴾ ﴿بَارِدًا وَسَرَابًا﴾ تشرب منه، فاعتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان يباطنه وظاهره.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن عفرينا من الجن نفلت على البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم؛ فذكرت دعوة أخي سليمان: «رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي...». فهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي...».

(١) هذا كلام باطل لا أساس له من الصحة، وهو من الإسرائيليات التي ثبت كذبها بمخالفتها ما يليق بمقام النبوة، والصحيح الذي عليه المحققون، وتشهد له النصوص الصحيحة أن الفتنة هي ولده الميت، وأنه الجسد الذي ألقى على كرسيه، كما عند البخاري وغيره أن سليمان حلف ليطوفن على نساته لتحمل كل امرأة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله؛ فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق ولد.

(٢) كل هذا من الإسرائيليات التي ثبت كذبها ومخالفتها للنصوص الصحيحة، وتعارض مع مقام النبوة. وإنما معنى «أناب» في الآية: أي رجع إلى الله تعالى واستغفره، بفسره قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي...﴾.

[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾ الآخرة، أي: ذكرها والعمل لها، وفي قراءة^(١) بالإضافة، وهي ﴿للبيان.

[٤٧] ﴿وَلَيْتُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ﴾ المختارين ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالشديد.

[٤٨] ﴿وَأَذَكَّرَ إِسْمَاعِيلَ﴾ وهو نبي، واللام زائدة ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فزوا إليه من القتل^(٢) ﴿وَكُلِّ﴾ أي: كلهم ﴿بَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتثقل.

[٤٩] ﴿هَذَا ذَكَرْنَا﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحْسَنَ مَقَابٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٥٠] ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ بدل، أو عطف بيان لـ ﴿حَسَنَ مَقَابٍ﴾ ﴿مُفْتَحَةً لَهُمْ﴾ الأيوب^(٣) منها.

[٥١] ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَتَّبِعُونَ فِيهَا بُيُوتَهُمْ﴾ كثير و﴿شَرَابٍ﴾.

[٥٢] ﴿وَعِنْدَهُمْ قُصُورٌ﴾ حاسبات العين على أزواجهن ﴿الْأَرْبَابِ﴾ أسنانهن واحدة؛ وهن: بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع تَرَب.

[٥٣] ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿مَا بُرِّئُوا﴾ بالغبية^(٤)، وبالخطاب؛ الثغافا ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: لأجله.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَمْ يَنْفَدِ﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من ﴿رِزْقَاهُ﴾، أو خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾؛ أي: دائماً أو دائماً.

[٥٥] ﴿هَذَا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَأَنَّ لِلظَّالِمِينَ﴾ مستأنف ﴿لَشَرِّ مَقَابٍ﴾.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَيَسَّسَ إِلَيْهَا﴾ الفراش.

[٥٧] ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حار محرق ﴿وَعَسَاءٌ﴾ بالتخفيف^(٥)، والتشديد؛ ما يسيل من صديد أهل النار.

[٥٨] ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ بالجمع^(٦) والإفراد ﴿بِوَسْطِهِ﴾ أي: مثل المذكور من الحميم والفساق ﴿أَزْوَاجٍ﴾ أصناف؛ أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

[٥٩] ويقال لهم عند دخولهم النار بأثاعهم: ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُتَّكِنٌ﴾ داخل ﴿مَعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المتيقنون^(٧): ﴿لَا مَرَجًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا سعة عليهم ﴿بَيْنَهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأثباع: ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرَجًا بَيْنَكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي: الكفر ﴿لَنَا قِيَمَسَ الْفَكَرِ﴾ لنا ولكم، النار.

[٦١] ﴿قَالُوا﴾ أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا يُعَذِّبُكَ﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿فِي النَّارِ﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُ وَأَهْلَهُ وَوَسَّطْنَاهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٦﴾ وَوَحَّدَ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَضَرْبٌ بِهِ وَلَا تَحْتُ إِذَا وَجَدْتَهُ صَابِرًا يَتَعَبَّدُ لِأَنَّهُ وَأَوَّابٌ ﴿٤٧﴾ وَأَذَكَّرَ عَبْدَنَا بِتَرْهِيمِهِ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصُرِ ﴿٤٨﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٥٠﴾ وَأَذَكَّرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥١﴾ هَذَا ذَكَرْنَا وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَقَابٍ ﴿٥٢﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةً لَهُمُ الْأَيْبُورِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَتَّبِعُونَ فِيهَا بُيُوتَهُمْ كَثِيرَةً وَشَرَابٍ ﴿٥٤﴾ وَعِنْدَهُمْ قُصُورٌ الْظَّرْفِ أَرْبَابٌ ﴿٥٥﴾ هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَمْ يَنْفَدِ مِنْ قَبْلِهِ ﴿٥٧﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ ﴿٥٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَسَّسُ إِلَيْهَا ﴿٥٩﴾ هَذَا فليذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاءٌ ﴿٥٧﴾ وَآخِرُ مَنْ شَكَّلَهُ أَرْوَجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحَةٌ مَعَكُمْ لَا مَرَجَ بَيْنَهُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسَّسُ الْقَرَارُ ﴿٥٩﴾ بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرَجَ بَيْنَكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسَّسُ الْقَرَارُ ﴿٥٩﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضَعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده، ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة^(١) ﴿مِنَّا وَذَكَرَى﴾ عظة ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول.

[٤٤] ﴿وَوَحَّدَ بِيَدِكَ ضَعْفًا﴾ هو جزمة من حشيش، أو قضبان ﴿فَأَضْرِبَ بِهِنَّ﴾ زوجته، وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لباطئها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْتُ﴾ تترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة ﴿وَإِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا يَتَعَبَّدُ لِأَنَّهُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجوعاً إلى الله - تعالى ..

[٤٥] ﴿وَأَذَكَّرَ عَبْدَنَا بِتَرْهِيمِهِ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَالْأَبْصُرِ﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة^(٢): ﴿عَبْدَنَا﴾، و﴿إبراهيم﴾ بيان له، وما بعده عطف على ﴿عَبْدَنَا﴾.

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي ذاتها، وهذه الصفة نبتها لله ﷻ على الوجه اللائق به، كما سبق بيان ذلك مراتاً.

(٢) لابن كثير.

(٣) نافع وهشام.

(٤) والصحيح أنه نبي، وأما سبب التسمية التي ذكرها المصنف فلا دليل عليها، وقيل غير ذلك. وانظر التعليق على الآية رقم (٨٥) من سورة الأنبياء.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقراً بقية السبعة بالياء.

(٦) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٧) وهـ. قراءة أبي عمرو. وقراً بقية السبعة بالإفراد.

﴿٦٢﴾ وَقَالُوا أَيُّ كَفَارٍ هَؤُلَاءِ أَيُّ كَفَارٍ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ لَا تَرَى بِمَا لَا كُنَّا نَعُدُّهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿٦٢﴾ بَيْنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾
 ﴿٦٣﴾ أَلَمْ نَعُدِّهِمْ سُحْرِيًّا ﴿٦٣﴾ بِضَمِّ السِّينِ وَكسْرِهَا (١)؛ كُنَّا نَسْخَرُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْيَاءُ لِلنَّسَبِ؛ أَيُّ أَمْفُقُونَ هَمْ؟ ﴿أَمْ رَأَيْتُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَلَمْ نَعُدِّهِمْ؟﴾ فَلَمْ تَرَهُمْ؟! هُمْ قُرَاءُ الْمُسْلِمِينَ؛ كَعَمَّارٍ وَبِلَالٍ وَصَهْبٍ وَمُسْلِمَانَ. ﴿٦٤﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ وَاجِبٌ وَقَوْعُهُ، وَهُوَ: ﴿تَخَاصُّمْ أَهْلَ النَّارِ﴾ كَمَا تَقْدَمُ. ﴿٦٥﴾ ﴿فَلَمْ يَأْتِ مُحَمَّدٌ لِكْفَارِ مَكَّةَ: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ مَخُوفٌ بِالنَّارِ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ لِخَلْقِهِ. ﴿٦٦﴾ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ﴾ الْعَالِمُ عَلَى أَمْرِهِ الْفَعْلُ لِأَوْلِيَائِهِ. ﴿٦٧﴾ ﴿فَلَمْ يَلْمِ لَهُمْ: ﴿هُوَ نَبِيًّا عَظِيمٌ﴾. ﴿٦٨﴾ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أَيُّ: الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْبَأْتُمْ بِهِ، وَجَنَّتُمْ فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِوَحْيِي، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿٦٩﴾ ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَدْوَلِ﴾ أَيُّ: الْمَلَائِكَةِ ﴿إِذْ يَخْفُونَ﴾ فِي شَأْنِ آدَمَ حِينَ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢) الْخ. ﴿٧٠﴾ ﴿إِنْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا آتِيكَ بِهِ نَبَأٌ مُّبِينٌ﴾ بَيْنَ الْإِنذَارِ. ﴿٧١﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ هُوَ آدَمُ. ﴿٧٢﴾ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أَمَّمْتَهُ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فَصَارَ حَيًّا، وَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَيْهِ تَشْرِيفٌ لِآدَمَ، وَالرُّوحُ جِسْمٌ لَطِيفٌ يَحْيَا بِهِ الْإِنْسَانُ بِنَفْوَذِهِ فِيهِ ﴿فَفَعَّلُوا لَهُمْ سَجِدِينَ﴾ سَجُودٌ تَحِيَّةٌ بِالْإِنْحَاءِ (٣). ﴿٧٣﴾ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فِيهِ تَأْكِيدَانِ. ﴿٧٤﴾ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هُوَ أَبُو الْجَنِّ، كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿أَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ فِي عِلْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - . ﴿٧٥﴾ ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ أَيُّ: تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ (٤)، وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِآدَمَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ تَوَلَّى اللَّهُ خَلْقَهُ ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الْآنَ عَنِ السُّجُودِ، اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ الْمُتَكَبِّرِينَ فَكَبَّرْتَ عَنِ السُّجُودِ لِكُنُوكَ مِنْهُمْ؟ ﴿٧٦﴾ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. ﴿٧٧﴾ ﴿قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا﴾ أَيُّ: مِنَ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: مِنَ السَّمَاوَاتِ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مَطْرُودٌ.

[٧٨] ﴿وَإِن عَلَيكَ لَعْنَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الْجَزَاءُ.

[٧٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أَيُّ: النَّاسِ.

[٨٠] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وَقْتُ النِّفْخَةِ الْأُولَى.

[٨٢] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوْبَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ أَيُّ: الْمُؤْمِنِينَ.

(١) بِالضَّمِّ قِرَاءَةُ حَمْرَةَ وَالْكَسَائِي وَنَافِعٍ.

(٢) الْبِقْرَةُ: ٣٠.

(٣) رَاجِعُ التَّعْلِيلِ عَلَى الْآيَةِ رَقْمَ (٣٤) مِنَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ.

(٤) وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَفْسَرُ، هُوَ تَعْطِيلُ لَصْفَةِ الْبَدِينِ الَّتِي أَنْبَأَهَا اللَّهُ ﷻ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ عَدُولٌ عَنِ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَخِلَافٌ لِمَا فَهَمَهُ السَّلَفُ، وَالْمَفْسَرُ يَرِدُ عَلَى نَفْسِهِ حَيْثُ قَالَ بَعْدَهَا: وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِآدَمَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ تَوَلَّى اللَّهُ خَلْقَهُ. فَمَا وَجَّهَ إِخْتِصَاصَهُ بِذَلِكَ إِذْنَ؟!

[٨٨] ﴿وَلَقَدْ كَفَرَ مَكَّةَ نَبَأَهُ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ أي: يوم القيامة، و«علم» بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر؛ أي: والله.

سُورَةُ الزُّمَرِ

[مكية إلا: ﴿قُلْ بِيَعَادَى الَّذِينَ اتَّخَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، فمدنية، وهي: خمس وسبعون آية، نزلت بعد سبأ*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق به «انزل» ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك أي: موحدًا له.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ الْأَصْنَامَ﴾ وهم كفار مكة قالوا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ قربي، مصدر بمعنى تقريبًا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ والمسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمن الخنة والكافرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله.

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْذَلَ لَدَاكَ﴾ كما قالوا: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ لَدَاكَ﴾ ﴿لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ واتخذته ولدًا، غير من قالوا من^(١): الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ تنزيها له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ خلقه.

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق به «خلق» ﴿يُكْوِّرُ﴾ يدخل^(٢) ﴿الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ﴾ بدخله ﴿عَلَى النَّيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِ﴾ في فلكه ﴿لِأَجْلِ نَسْئِكَ﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الْمُنْقِرُ﴾ لأوليائه.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٨﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٩﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٩٢﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٨٨﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٨٩﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٩١﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْذَلَ لَدَاكَ الْأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٩٢﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِ لِأَجْلِ مَسْئَلٍ آلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقِيدُ ﴿٩٣﴾

[٨٤] ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني^(١)؛ فصبه بالفعل بعده، ونصب الأول؛ قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر؛ أي: أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم: [٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٦] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿وَمِنْ أَجْرٍ﴾ جعل ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المنقولين القرآن من تلقاء نفسي.

[٨٧] ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ ما القرآن ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عظة ﴿لِلنَّاسِ وَالْجِنِّ وَالْعُقَلَاءِ دُونَ الْمَلَائِكَةِ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الرمزي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمزم. الرمزي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٢١) الترجمة، وكتاب الدعوات (٤٩) باب (٢٢) ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، ووصحه الألباني في صحيح سنن الرمزي (٢٧١١).

(١) بالرفع ثم نصب قراءة السبعة عدا عاصم وحجرة.

(٢) الأنبياء: ٢٦.

(٣) في نسخة القاضي كعما: «إن بدلاً من «من»، وفي نسخة بدون «من».

(٤) ما ذكره المصنف في معنى التكوير هو اختيار ابن جرير، وهو عنده كعمى الإبلاج كما في قوله تعالى: ﴿يُؤَلِّجُ النَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾. وروي عن قتادة: يعنى أحدهما الآخر؛ أي يذهب أحدهما فيقعه الآخر. والتكوير في الأصل: هو اللف واللي؛ من كار العمامة على رأسه وكورها.

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَرَجَعَكُمْ إِلَى ذَاتِهَا﴾ أي: آدم ﴿ذُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْثَمِيِّ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالغَنَمَ وَالضَّأْنَ وَالْمِعْزَ﴾ تَمَنِّيَّةٌ زَوْجٌ ﴿من كل زوجان﴾ (١): ذكر وأنثى، كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِمَّا يَشَاءُ ثُمَّ يَخْلُقُكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَثِمَةٍ﴾ هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره؟! [٧] ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَى عُنُقَكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وإن أراد من بعضهم (٢) ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ الله، فنؤمنوا ﴿بِرِضَا﴾ بسكون الهاء، وبضمها مع إشباع ودونه (٣): أي: الشكر ﴿لَكُمْ﴾ وَلَا تَزُرُكُمْ نَفْسٌ ﴿وَالزَّرَّةُ وَذُرَّةٌ﴾ نفس ﴿أُخْرَى﴾ أي: لا تحمله ﴿تُمْ﴾ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٨] ﴿وَإِنَّمَا سَأَلَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿ضُرًّا دَمًا رَبَّهُ﴾ تصرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعًا ﴿إِلَيْهِ تُمْ﴾ إِذَا حَوَّلَهُ رِيعَةً﴾ أعطاه إنعامًا ﴿مِنْتُهُ لَيْسَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُو﴾ يتضرع ﴿إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ﴾ وهو الله، ف«ما» في موضع «من» ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها (٤) ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿فَلْيَمْسَعْ بِكَفْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أهلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

[٩] ﴿آمَنَ﴾ (٥) بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَتِيلٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿عَائَةَ الْآبِلِ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿بِحَدَّرُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿وَرِيحًا رَحِمَةً﴾ حنة (٦) ﴿رَبِّهِ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة: ﴿أَمَّنْ﴾، ف«أم» بمعنى «بل» و«الهمزة» ﴿فَلْيَمْسَعْ بِكَفْرِكَ﴾ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَذُكَّرُ﴾ ينطق ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[١٠] ﴿فَلْيَعْبَادُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْرَأُونَ﴾ أي: عذابه، بأن تطعبه ﴿لِيَذُكَّرَ أَحْسَنًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضَى اللَّهُ وَرِيعَةً﴾ فهاجروا إليها، من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى

(١) في نسخة القاضي: «زوجين»، و«ذكوا» بالنصب.

(٢) أي: كونًا لا شرعًا.

(٣) «برضه» قرأ ابن كثير والكسائي وابن ذكوان بضم الهاء مع الإشباع، وقرأ السوسي بالإسكان، وقرأ الدوري بالإسكان والإشباع، وهشام بالاختلاس والإسكان، وقرأ الباقون بالضم دون صلة وهم نافع وعاصم وحمنة.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وحمنة، وقرأ بقية السبعة: «أمن» بتشديد الميم.

(٦) الجنة أثر من آثار رحمة الله ﷻ لعباده المؤمنين، وهي غيرها؛ فالتفسير الرحمة بها خلاف الظاهر، وهو تأويل لصفة الرحمة التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونشبهها له على الوجه اللائق به.

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْثَمِيِّ زَوْجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِمَّا يَشَاءُ ثُمَّ يَخْلُقُكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَثِمَةٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ تَكْفُرًا وَإِنَّا اللَّهُ عَنَى عُنُقَكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ اللَّهُ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنَّمَا سَأَلَ الْإِنْسَانَ ضُرًّا دَمًا رَبَّهُ ﴿٩﴾ وَمِنْتُهُ لَيْسَ تَرَكَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ مِنَ مَنْ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿١٠﴾ فَلَْيَمْسَعْ بِكَفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿١١﴾ آمَنَ ﴿١٢﴾ وَرِجَالًا مِمَّنْ هُمْ أَتَمُّ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَهْلَ الْيَقِينِ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَذُكَّرُونَ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٤﴾ فَلَْيَعْبَادُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْرَأُونَ ﴿١٥﴾ أَحْسَنًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴿١٦﴾ وَأَرْضٌ لِلَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِقِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٧﴾

الصَّادِقُونَ﴾ على الطاعة، وما يتلون به ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير مكيال ولا ميزان.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
 أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدْ وَأَمَّا شِئْنُكُمْ مِنْ دُونِهِ
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدِّينَ حَيْثُ وَرَأْتُمْ نَفْسَكُمْ وَآهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
 وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَرْجِعُونَ ﴿١٦﴾
 وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوا مَا يُنَابِئُهُمْ اللَّهُ لَهُمُ الْبُشْرَى
 فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
 وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
 أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَلَّا يَأْتِيَ تَقْطُوفًا مِنَ النَّارِ ﴿١٩﴾
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَّبِينَةٌ تَخْرِجُ
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿٢٠﴾ الرَّتَرُ
 أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
 يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
 يَجْعَلُهُ حُطَّلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٤] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ من الشرك.

[١٥] ﴿فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ غيره، فيه تهديد لهم، وإبدان بأنهم لا
 يعبدون الله - تعالى - ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدِّينَ حَيْثُ وَرَأْتُمْ نَفْسَكُمْ وَآهْلِيكُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في
 الجنة، لو آمنوا ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ البين.

[١٦] ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ طباق ﴿وَمِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ من
 النار ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: المؤمنون، ليتقوه، يدل عليه: ﴿يَرْجِعُونَ
 فَأَقْتُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ﴾ الأوثان ﴿أَنْ يَعْبُدُوا مَا يُنَابِئُهُمْ اللَّهُ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾
 ﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾.

[١٨] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه صلاحهم
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية
 ﴿أَفَأَنْتَ تُنقِذُ﴾ تُخرج ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام
 المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته، فننقذه من النار.

[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرفٌ
 مَّبِينَةٌ تَخْرِجُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف، الفوقانية والتحتانية
 ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ وعده.

[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ﴾
 أدخله أمكنة نبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾
 يبس ﴿فَتَرَاهُ﴾ بعد الخضرة مثلا ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَّلًا﴾ فثاقا
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّكُلِّ نَذِيرًا﴾ ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ بتذكرون به؛ لدلالته (١)
 على وحدانية الله - تعالى - وقدرته.

(١) هود: ١١٩.

(٢) في نسخة مطبوعة: «دلالته».

[٢٢] ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ كمن طبع على قلبه، دل على هذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنِ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ أي: عن قبول القرآن ﴿أَوَّلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٍ﴾ بين.

[٢٣] ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ بدل من «أحسن»؛ أي: قرأنا ﴿مُنشِدًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضاً، في النظم وغيره ﴿مَثَانِي﴾ نُتِي في الوعد والوعيد، وغيرهما ﴿نَقَشَعُرٌ وَمَهْ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تظمن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عند ذكر وعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنِ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٢٤] ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِي﴾ يلقي ﴿بِوَجْهِهِ سُوَّةَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: أشده، بأن يلقي في النار مغلولة يدها إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: كفار مكة: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءه. [٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم، في إبان العذاب ﴿فَأَلْتَمَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم.

[٢٦] ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَزْيَ﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[٢٨] ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿عَبْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: ألبس واختلاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.

[٢٩] ﴿صَرَبَ اللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَجُلًا﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّبُونَ﴾ متنازعون، سببة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَابِلًا﴾^(١) خالصاً ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز؛ أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للموحد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوَّلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٍ﴾^(٢)
 ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُنشِدًا مَثَانِي نَقَشَعُرٌ وَمَهْ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنِ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٣)
 ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِي يَلْقَى بِوَجْهِهِ سُوَّةَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٤) أي: أشده، بأن يلقي في النار مغلولة يدها إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة؟
 ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: كفار مكة: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءه.
 [٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم، في إبان العذاب ﴿فَأَلْتَمَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم.
 [٢٦] ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَزْيَ﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا.
 [٢٧] ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.
 [٢٨] ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿عَبْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: ألبس واختلاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.
 [٢٩] ﴿صَرَبَ اللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَجُلًا﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّبُونَ﴾ متنازعون، سببة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَابِلًا﴾^(١) خالصاً ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز؛ أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للموحد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٣٠] ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ستموت ويموتون، فلا شمامة بالموت، نزلت لما استنبطوا موته ﷺ.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^(٢).

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: «نعم»، فقال: إن الأمر إذن لشديده. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمير. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٣). وأخرجه أيضاً أحمد (١٦٧/١) مطولاً بلفظ: «قال الزبير: أي رسول الله، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: نعم، ليكرر عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه». فقال الزبير: والله، إن الأمر لشديده». وحسن الأرنؤوط إسناده (١٤٣٤). وكذا قال أحمد شاكر: إسناده حسن. (١٤٣٨).

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿سَابِلًا﴾ بدون ألف.

الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴿مَاوًى﴾ لِلْكَافِرِينَ ﴿بَلَى﴾.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَهُ بِالْصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هُمَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الَّذِي «الذين» ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الشريك.

[٣٤] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم

بإيمانهم [٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «أسوأ» و«أحسن» بمعنى السيئ والحسن.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي: النبي (١) ﴿بَلَى﴾ ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾

الخطاب له ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِي أَنْتِقَامٍ﴾ من أعدائه؟ بلى.

[٣٨] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

لِقَوْلِهِمْ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام

﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي﴾ لا، وفي قراءة (١) بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ

عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ينق الوائقون.

[٣٩] ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على

حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿مَنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل

﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخزاهم الله بيد.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾
 ﴿إِذْ جَاءَهُ هُوَ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَالَّذِي جَاءَهُ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَعِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقَامٍ﴾ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِقَوْلِهِمْ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي﴾ ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

[٣٢] ﴿فَنَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن كذب على الله﴾ بنسبة

(١) وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله ﷻ، ويؤيده قراءة: (عباده) بالجمع، وهي لجزء والكسائي.

(٢) والقراءة المذكورة أولاً لأني عمرو بالتثنية في الكلمتين: «كاشفات» و«ممسكات»، مع النصب في «ضربه» و«رحمته»، وقرأ بقية السبعة بالإضافة فيهما؛ أي «كشفت ضربه» و«ممسكت رحمته».

[٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ متعلق به «أنزل» ﴿فَمَنْ أَهْتَدَفَ فَلِنَفْسِهِ﴾. اهتداه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على الهدى.

[٤٢] ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يتوفى ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يتوفاهما وقت النوم ﴿فِيْمَسِكُ﴾ التي ﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ﴾ إلى أجل مُّسَمًّى ﴿أَي: وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس^(١)﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك.

[٤٣] ﴿أَمْ بَلْ﴾ ﴿أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام أهلة ﴿شُفَعَاءَ﴾ عند الله بزعمهم ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿أَلَّهُ﴾ يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا.

[٤٤] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دون الهتهم ﴿أَشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شُهِد ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق.

[٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ من سوء العذاب يوم القيامة وبادا ﴿ظَهَرَ﴾ لهم ﴿بِتِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ يظنون.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ بَلْ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ اللَّهُ مَا تَرَىٰ كُونًا يَحْسَبُونَ ﴿٤٧﴾

(١) أي: فمضى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والإحساس، والتحقق أنها روح واحدة، والتعدد باعتبار أوصافها.

يَسْتَهْرُونَ ﴿٤٨﴾ أي: العذاب.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا شِمًا إِذَا حَوْلَتْهُ﴾ أعطيناه ﴿يَعْمَةً﴾ إنعاماً ﴿وَمِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله يأتي له أهل (١) ﴿بَلْ هِيَ﴾ أي: القولة ﴿وَفِتْنَةٌ﴾ بلية، يتلى بها العبد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن التحويل استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كفارون وقومه الراضين بها ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾؛ أي: جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ﴾؛ أي: قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاتنين عذابنا، ففحطوا سبع سنين، ثم وُسع عليهم.

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه، لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٥٣] ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾ بكسر النون وفتحها (٢)، وقرئ بضمها (٣)؛ تياسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُ﴾ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تُشعروا ﴿بِمَنعِهِ﴾ بمنع الله لمن تتوبوا.

[٥٥] ﴿وَأَنبِئُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هو القرآن ﴿وَمِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقتته.

[٥٦] ﴿فَادْرُوا قُلْ﴾ أن تقول نفسك بَحْسَرَتِي أصله يا حسرتي؛ أي: ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته (٥) ﴿وَأَن﴾ مخففة من التقلية؛ أي: واني ﴿كُنْتُ لِمَنِ اسْتَحْرَيْتُ﴾ بدينه وكتابه.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوْلَتْهُ نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرُنِي عَلَىٰ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لِمَنِ اسْتَحْرَيْتُ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرُونَ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن ابن عباس أن ناشأ من أهل الشرك كانوا قد فعلوا وأكثروا وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِلَيْهَا مَاتَرٌ وَلَا يَقْنُتُونَ الْفَسَّ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الزمزم (٣٩) باب (١) يا عبادي الذين استفهموا. ورواه أيضاً مسلم - كتاب الإيمان (١)، باب (٥٤) ... وسبق تخريجه في سورة الفرقان عند الآية (٦٨).

(١) أو المعنى: على علم عندي بوجوه المكاسب والتجارة.
(٢) بالكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو.
(٣) أي: شذوفاً.
(٤) وقال الفراء: في قرب الله وجواره.

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ (٥) بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِذِينَ﴾ عذابه.

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولُ لِيِن تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُنْجِينَ﴾ المؤمنين. فيقال له من قبل الله: [٥٩] ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلى.

[٦١] ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ﴾ من جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿بِمَقَادِيرِهِ﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنة، بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَسْتَهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ متصرف فيه كيف يشاء.

[٦٣] ﴿لَهُم مَّقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرها ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُصَابِتْ اللَّهُ﴾ القرآن ﴿أَوْلِيَّتِكَ﴾ مُمَّ الْخَيْرُونَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الخ، وما بينهما اعتراض.

[٦٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ «غير» منصوب بـ«أعبد» المعمول لـ«تأمروني» بتقدير «أن» بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك^(١).

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ واللَّهُ ﴿لَيْنَ أَسْرَكْتَ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لِيَحْطَبَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ مِنَ الْفٰكِرِينَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلِ اللَّهُ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ إنعامه عليك.

[٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي: السبع ﴿قَبَضْتُمْ﴾ أي: مقبوضة له أي: في ملكه وتصرفه^(٢) ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾ مجموعات ﴿بِيسْرَةٍ﴾^(٣) بقدرته^(٤) ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِذِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَادِيرِهِمْ السُّوءِ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُم مَّقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُصَابِتْ اللَّهُ أَوْلِيَّتِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيسْرَةٍ وَسُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة؛ فيقول: لو أن الله هداني، فيكون عليه حسرة. قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار؛ فيقول: لو أن الله هداني، فيكون له شكر». المسند (٥١٢/٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٤).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيسْرَةٍ﴾ قالت: قلن: فأي الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على جسر جهنم». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. ووضح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٩).

(١) قوله: (إدغام) أي مع فتح الباء وسكونها، وقوله: (وفك) أي مع سكون الباء لا غير؛ فقرأ ابن عامر بنونين، وقرأ نافع بنون مخففة مع فتح الباء، وكذلك فتحها ابن كثير. (٢) وهذا عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ، مما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به، وثبت عند البخاري (٧٤١٣). من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السماوات يمينه ثم يقول: أنا الملك». فالواجب الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِئُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى الله لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَجَاءَتْ بِالْبَيْتَيْنِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: بمحمد ﷺ وأمه يشهدون للرسول بالبلاغ ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمْ لَا يظنون﴾ شيئاً. [٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعنف ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهُمَا﴾ جواب «إذا» ﴿وَقَالَ لَهُمْ خِرَنَفًا﴾ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم؟ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: «لأننا لأن جهنم» ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيئْسَ مَثْوًى﴾ ماوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم.

[٧٣] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ﴾ وفتحت أبوابها ﴿الواو فيه للحال بتقدير: قد﴾ ﴿وَقَالَ لَهُمْ خِرَنَفًا﴾ سلم عليكم طيبته ﴿حَالًا﴾ ﴿فَادْخُلُوهَا خٰلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب «إذا» مقدر أي: دخلوها، وسؤفتهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكريمة لهم، وسؤق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليقى حرها إليهم إهانة لهم.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على دخولها المقدر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَنُودُوا بِالْحِنَةِ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْزِنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة (٤) ﴿نَسْتَوِي﴾ نزل ﴿بِوَسْطِ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَأُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَيَعْمَ إِجْرُ الْعٰمِلِينَ﴾ الجنة.

وَيُفِيحُ فِي الصُّورِ فَصَيَّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُفِيحُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٩﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِئُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالْبَيْتَيْنِ وَالشَّهَادَةِ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿٧٠﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ فَتَحَتْ أَبْوَابُهُمْ وَقَالَ لَهُمْ خِرَنَفًا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٧٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خِرَنَفًا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِيبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خٰلِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْزِنَا الْأَرْضَ نَسْتَوِي مَن الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَأُ فَيَعْمَ إِجْرُ الْعٰمِلِينَ ﴿٧٥﴾

[٦٨] ﴿وَيُفِيحُ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَيَّقَ﴾ مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما (١) ﴿ثُمَّ يُفِيحُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٢) ينظرون ما يفعل بهم.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال يهودي يسوق المدينة: لا والذي اصطفى موسى على البشر. قال: فرجع رجل من الأنصار يده فصك بها وجهه. قال: تقول هذا فنيا نبي الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَيُفِيحُ فِي الصُّورِ فَصَيَّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُفِيحُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان من امتننى الله... الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٧).

(١) قيل: كالشهداء، أو خواص الملائكة، أو إسرائيل نفسه، ثم يموت بعد ذلك. والأولى أن يقال: الله أعلم بنبته، إذ لا يصار إلى بيان المهمات إلا بقاطع. (٢) الصواب عدم تخصيص النبيين هنا بمحمد ﷺ، بل هو قول غريب بعيد، ولا تخصيص الشهداء بأتمه عليه الصلاة والسلام، لأنه خلاف الظاهر. وجمهور المفسرين على أن المراد جماعة الأنبياء ليشهدوا على أممهم بأنهم بلغوهم، أما الشهداء فقيل بما ذكره المفسر، وقيل: المراد الملائكة الحافظة على أعمال العباد، وقيل: أعضاء الإنسان، وقيل: الأرض، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، والآية تحتمل كل ذلك، ولا تعارض.

(٣) هود: ١١٩.

(٤) هذا قول كثير من المفسرين، كما تقدم في سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّكَ الْأَرْضَ رِئُوسًا يَكُونُ الْمُتَكَلِّمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وسبق هنالك بيان اعتراض القاضي كتمان على ذلك واختياره أن الأرض في الآيتين هي الأرض المعهودة وليست أرض الجنة، والله أعلم.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُبُوْرَةُ عَافِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ عَافِي الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ لِيَهُ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرُكَ تَقَدُّهُمُ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَبَتْ فَعَلَهُمُ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالبَطْلِ لِيُذْخِصُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

﴿١﴾ يُسَبِّحُونَ ﴿٢﴾ خَبِرَهُ ﴿٣﴾ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿٤﴾ مَلَاسِينِ لِلْحَمْدِ؛ أَي: يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ﴿٥﴾ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ. - تَعَالَى - بِصَافِيهِمْ؛ أَي: يَصَدُقُونَ بِوَحْدَانِيَتِهِ ﴿٦﴾ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٧﴾ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أَي: وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ كُلَّ شَيْءٍ، وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ دِينَ الْإِسْلَامِ ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ النَّارِ.

﴿٧٥﴾ ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ﴾ حَالٌ ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ مِنْ كِلِ جَانِبٍ مِنْهُ ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ حَافِينَ ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ مَلَاسِينِ لِلْحَمْدِ؛ أَي: يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ ﴿بِالْحَقِّ﴾ أَي: الْعَدْلِ، فَيُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ، وَالْكَافِرِينَ النَّارَ ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حُجْمٌ اسْتِقْرَارُ الْفَرِيقَيْنِ بِالْحَمْدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ (١).

سُبُوْرَةُ عَافِي

[مكية، إلا: ﴿الَّذِينَ يَجْتَدِلُونَ﴾ الآيتين، خمس وثمانون آية،

نزلت بعد الزمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهِ.

[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ الْقُرْآنَ، مُبْتَدَأٌ ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ خَبِرَهُ ﴿الْعَزِيزِ﴾ فِي مَلَكِهِ ﴿الْعَلِيمِ﴾ بِخَلْقِهِ.

[٣] ﴿عَافِي الذَّنْبِ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ لَهُمْ مَصْدَرٌ ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ لِلْكَافِرِينَ؛ أَي: مُشَدَّدُهُ ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ الْإِنْعَامِ الْوَاسِعِ، وَهُوَ مَوْصُوفٌ عَلَى الدَّوَامِ بِكُلِّ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فِإِضَافَةِ الْمَشْتَقِ مِنْهَا لِلتَّعْرِيفِ (٢) كَالْآخِرَةِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ لِيَهُ الْمَصِيرُ﴾ الْمَرْجِعِ.

[٤] ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةِ ﴿فَلَا يَغْزِرُكَ تَقَدُّهُمُ فِي الْبِلَادِ﴾ لِلْمَعَاشِ سَالِمِينَ فَإِنْ عَاقَبْتَهُمُ النَّارَ.

[٥] ﴿كَذَبَتْ فَعَلَهُمُ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾ كَعَادَ وَثَمُودَ وَغَيْرَهُمَا ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يَقْتُلُوهُ ﴿وَجَادَلُوا بِالبَطْلِ لِيُذْخِصُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ﴾ بِالْعِقَابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ لَهُمْ؛ أَي: هُوَ وَاقِعٌ مَوْقِعُهُ.

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أَي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الْآيَةَ (٣) ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ بِدَلٍّ مِنْ «كَلِمَةً».

[٧] ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ (٤) مُبْتَدَأٌ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عَطْفٌ عَلَيْهِ

(٥) فائدة: أخبر أبو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». أبو داود - كتاب السنة (٣٤) باب (١٩) في الجهمية، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٥٤).

(١) وقيل: إن القائل هم المؤمنون، وقال ابن كثير: أي: ونطق الكون أجمعه - ناطقه وبهيمه - لله رب العالمين بالحمد؛ في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

(٢) أي إضافة المشتق من هذه الصفات؛ «عافيه» و«قابل» و«شديد» لتعريف المضاف؛ ليصح أن يكون صفة للمعرفة؛ وهو لفظ الجلالة المقدم في قوله: «من الله».

(٣) هود: ١١٩.

[٩] ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: عذابها ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدَرْنَا رَحْمَةً﴾ وذلك هو القور العظيم.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادِرُونَ﴾ من قبل الملائكة، وهم يمتقون أنفسهم عند دخولهم النار: ﴿لَمَقَّتْ اللَّهُ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ إذ تدعون ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ إلى الإيمَن فتكفرون.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَنَّاتُنَّ﴾ إمامتين ﴿وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَتَيْنِ﴾ إحياءتين؛ لأنهم نطقاً^(١) أموات، فأحيوا، ثم أميتوا، ثم أحيوا للبعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ من النار، والرجوع إلى الدنيا، لنطيع ربنا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق، وجوابهم: لا.

[١٢] ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب الذي أنتم فيه ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ يُجْعَلُ لَهُ شَرِيكٌ ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا بالإشراك ﴿فَالْتَكُمُ﴾ في تعذيبكم ﴿بِاللَّهِ الْعَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم.

[١٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ بتعظ ﴿إِلَّا مَنْ يَنْسَى﴾ يرجع عن الشرك.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إخلاصكم منه.

[١٥] ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه^(٢) ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: قوله ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يُنذِرُ ﴿يَخُوفَ الْمَلْئِكَةِ عَلَيْهِ النَّاسَ﴾ ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ بحذف الباء وإثباتها^(٣)؛ يوم القيامة؛ لتلاقي أهل السماء والأرض، والعباد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَاكِرُونَ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ لِمَنْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ﴿يَقُولُ﴾ - تعالى - ويوجب نفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَجْدُ الْفَهَارُ﴾ أي: لخلقه.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادِرُونَ لِمَقَّتِ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَنَّاتُنَّ وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَتَيْنِ فَاغْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بَأْتِيهِ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُوْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَاكِرُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدُ الْفَهَارُ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾ عطف على «هم» في: «وَأَدْخِلْهُمْ»، أو: في: «وَعَدْتَهُمْ» ﴿وَمَنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

(١) كذا في بعض النسخ بنصب «نطقاً» على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا، أو خلقوا نطقاً... اهد. من حاشية الصاوي.

(٢) الله عز وجل خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواؤه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٣) بالياء وصلماً ووفقاً لقراءة ابن كثير، وأثبتها ورش وصلماً فقط، وكذلك قالون بخلاف عنه.

[١٧] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لخديث بذلك^(١).

[١٨] ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَقَةِ﴾ يوم القيامة؛ من أرف الرحيل: قوب ﴿إِذِ الْقُلُوبُ تَرْتَفِعُ خَوْفًا﴾ لدى عند ﴿الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾ ممتلئين غمًا، حال من «القلوب»، عولمت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسِيمٍ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ لا مفهوم للوصف، إذ لا شفيع لهم أصلاً، ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾^(٢) أوله مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء؛ أي: لو شفعا فرضاً لم يقبلوا.

[١٩] ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: الله ﴿عَايَةَ الْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ القلوب.

[٢٠] ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: كفار مكة، بالياء والتاء^(٣) ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ يَتَّقُونَ﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالهم.

[٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة^(٤): «منكم» ﴿قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَعَدَّهُمْ اللَّهُ﴾ أهلكتهم ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ لهم من الله بن وافي عذابه.

[٢٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا فَأَعَدَّهُمْ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا﴾: هو ﴿سَجِرٌ كَذَّابٌ﴾.

[٢٥] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا أَأَقْتُلُوا آبَاءَنَا﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَأَسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنَّا بِالْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ هلاك.

الْيَوْمَ نَخْتِمُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَقَةِ ﴿١٨﴾ وَالْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ عَايَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢١﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَعَدَّهُمْ اللَّهُ يَذُوبُهُمْ وَمَا كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَعَدَّهُمْ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا أَأَقْتُلُوا آبَاءَنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنَّا بِالْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٤﴾

(١) سبق بيان أن هذا سبق قلم من المصنف رحمه الله، وانظر التعليق على الآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٢) الشعراء: ١٠٠.

(٣) بالياء قراءة نافع وهشام، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) لابن عامر.

إياي، فتبعوه ﴿وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة: ﴿أَوْ﴾، وفي أخرى: يفتح الياء والهاء وضم الدال^(١).

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لقومه وقد سمع ذلك: ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي: ضرر كذبه ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ﴾ مشرك ﴿كَذَابٌ﴾ مفتر.

[٢٩] ﴿يَتَوَمَّرُ لَكُمْ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غالين حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَنْ يَصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه، إن قتلتم أوليائه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ طريق الصواب.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَوَمَّرُ بِإِنِّ لَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أي: يوم حزب بعد حزب^(٢).

[٣١] ﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ «مثل» بدل من «مثل» قبله؛ أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَيَتَوَمَّرُ بِإِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ بحذف الياء وإثباتها^(٣)؛ أي: يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك.

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾ مانع ﴿وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٧﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ كَذَابٌ ﴿٢٩﴾
الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَوَمَّرُ بِإِنِّ لَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣١﴾
مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾
وَيَتَوَمَّرُ بِإِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾
يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مَنْ عَاصِرٌ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم

(١) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، وقرأ شعبة وحمزة والكسائي: ﴿وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، وقرأ حفص: ﴿وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

(٢) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ مفرد في معنى الجمع؛ أي أيامها؛ حيث إن هلاك الأحزاب المكذبين؛ كقوم نوح وغيرهم ممن كذب الرسل، لم يكن في يوم واحد.

(٣) بالياء قراءة ابن كثير وصلًا ووقفًا، وأثبتها ورش وصلًا فقط وكذلك قالون بخلاف عنه.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل موسى، وهو يوسف ابن يعقوب في قول^(١)، عَمَّرَ إِلَى زَمَنِ مُوسَى، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف ابن يعقوب في قول، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّكُمْ مَتَى جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ من غير برهان: ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُزْتَابٌ﴾ شاك فيما شهدت به البينات.

[٣٥] ﴿الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ مَعْرَاضًا مُبِغِبًا لَهُمْ مِمَّا رَفَعْنَا لَهُمْ قَدْرَهُمْ﴾ جادلهم، خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾ مثل إضلالهم ﴿يَطِيعُ﴾ يختم ﴿اللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ﴾ بتنوين «قلب» ودونه^(٢)، ومتى تكبر القلب، تكبر صاحبه وبالعكس، و«كل» على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب، لا لعموم القلب^(٣).

[٣٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُنَ ابْنُ لِي صَرَخًا﴾ بناءً عاليًا ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾.

[٣٧] ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ طرفها الموصلة إليها ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ بالرفع^(٤) عطفًا على «أبلغ»، وبالنصب جوابًا له «ابن» ﴿إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أي: موسى ﴿كَذِبًا﴾ في أن له إلهًا غيري، قال فرعون ذلك تمويهًا ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ [وَصِدْ] عَنِ السَّبِيلِ ﴿طَرِيقَ الْهُدَىٰ﴾ بفتح الصاد وضمها^(٥) ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسار.

[٣٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُوا﴾ [يُتَعَوَّبُ] ﴿بِآيَاتِ الْبَاءِ وَحُذْفِهَا﴾ ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ تقدم.

[٣٩] ﴿يَقُولُوا﴾ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ ﴿تَمَعُ يَرْوُلُ﴾ [وَأَنَّ] الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ.

[٤٠] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَجْرَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ دَكَرَ أَوْ أَنْتَنَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بضم الباء وفتح الحاء، وبالعكس^(٦) ﴿يَرْزُقُونَ فِيهَا بَعِيرٍ جَسَابٍ﴾ رزقًا واسعًا بلا تبعة.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّكُمْ مَتَى جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُزْتَابٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ مَعْرَاضًا مُبِغِبًا لَهُمْ مِمَّا رَفَعْنَا لَهُمْ قَدْرَهُمْ كَذَلِكَ يُطِيعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُنَ ابْنُ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصِدْعَ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُوا يَهْمُنُنَ ابْنُ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصِدْعَ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مِمَّنْ دَكَرَ أَوْ أَنْتَنَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَيَرْزُقُونَ فِيهَا بَعِيرٍ جَسَابٍ ﴿٤٠﴾

(١) وهو الراجح، لكن قول المفسر إنه عَمَّرَ إِلَى زَمَنِ مُوسَى غريب، وخلاف الظاهر، وردّه غير واحد من أهل العلم، بل المراد: جاء آباءكم.

(٢) بالتثنية قراءة أبي عمرو وابن ذكوان.

(٣) أي: يختم الله بالضلال على جميع القلب.

(٤) قراءة الشُّبَّةِ عدا حفص.

(٥) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٦) بالياء وصلًا ووقفًا قراءة ابن كثير. وأنتنها وصلًا فقط أبو عمرو وقالون.

(٧) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. وبالعكس قراءة بقية السبعة.

[٤٢] ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيمِ﴾ الغالب على أمره ﴿الْفَقْدُ﴾ لمن تاب.

[٤٣] ﴿لَا جْرِمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لِأَعْبُدَهُ﴾ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ ﴿أَي: استجابة دعوة﴾ (١) ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾ مرجعنا ﴿إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الشَّرِيفِينَ﴾ الكافرين ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٤﴾

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا عابتم العباد ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ذلك لما توعدوه بمخالفة دينهم.

[٤٥] ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ به من القتل ﴿وَحَافٍ﴾ نزل ﴿بِئَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ العرق.

[٤٦] ثم ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يحرقون بها ﴿عُدْوًا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً (٢) ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يقال: ﴿اُدْخُلُوا﴾ (٣) ﴿يَا أَيُّهَا فِرْعَوْنُ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الحاء، أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم.

[٤٧] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إذ يتحاجون ﴿بِتَخَاصُمِ الْكُفَّارِ﴾ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَتَاؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴿جمع تابع﴾ فَيَقُولُ الضُّعْفَتَاؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴿٤٨﴾

[٤٨] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار﴾.

[٤٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أُدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾

﴿٤٩﴾ تَدْعُونَنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيمِ الْغَفِيرِ ﴿٤٩﴾ لَا جْرِمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٥٠﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥١﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَافٍ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٥٢﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا عُدْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَتَاؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْتَدُونَ ﴿٥٤﴾ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٥٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٥٧﴾

[٤٩] ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أُدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾

(١) وقيل: المراد ليس له دعوة ترجب له الألوهة، ولعله أقرب.

(٢) أي في عالم القبر والحياة البرزخية. قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿اُدْخُلُوا﴾ بفتح الهمزة.

[٥٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الحزبة تهكما: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي: فكفروا بهم ﴿قَالُوا قَدَّعُوا﴾ أنتم، فإننا لا نشفع للكافرين، قال - تعالى -: ﴿وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ انعدام.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ بِالْيَأِ وَالْيَأِ وَالنَّاءِ﴾^(١) ﴿الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم، لو اعتذروا ﴿وَلَهُمْ الْعُقُوبَةُ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الآخرة؛ أي: شدة عذابها.

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهَدَى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْزَنَّا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿أَلَكُتَبِ﴾ التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿وَذَكَرْنَا لِأَوَّلِ الْأَنْبِيَاءِ﴾ تذكرة لأصحاب العقول.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنتم ومن تبعك منهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكْ﴾ ليستن بك ﴿وَسَبِّحْ﴾ صل متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَالْإِبْكَرِ﴾ الصلوات الخمس^(٢).

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِعَدْرِ سُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿أَنْتَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر وطمع أن يعلموا عليك ﴿مَّا هُمْ بِيَلْبِغُونَ فَاسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

[٥٧] ﴿وَنَزَلَ فِي مُكْرِي الْبَحْثِ﴾ لِحَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ابْتِدَاءً﴾ أَكْثَرَ مِنْ حَلْقِ النَّاسِ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَنْ يَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فهم كالأعمى، ومن يعلمه كالصير.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ لا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا قَدَّعُوا وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾
 إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾
 وَلَهُمُ الْعُقُوبَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهَدَى وَأَوْزَنَّا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ الْكُتُبِ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذَكَرْنَا لِأَوَّلِ الْأَنْبِيَاءِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِعَدْرِ سُلْطَانٍ أَنْتَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْبِغُونَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لِحَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ حَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَى ﴿٥٨﴾ قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وهو المحسن ﴿وَلَا الْمُنَى﴾ فيه زيادة «لا»^(٣) ﴿قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، بالياء والناء^(٤)؛ أي: تذكرهم قليل جداً.

(١) بالناء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٢) يعني أن التسبيح في هذين الوقتين يتراد به الصلوات الخمس، وقيل: المراد صلاة العصر وصلاة الفجر، وقيل: هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ ركعتان غدوة وركعتان عشية، والأقرب أن المراد بالتسبيح أعم من الصلاة، فيشملها ويشمل تزبيده - شُبْحَانَهُ - بالذکر والدعاء والإخلاص في العبادة والتوجه ونحو ذلك.

(٣) للتوكيد، لطول الكلام بالصلة.

(٤) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالناء.

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَارْتَبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضَّلِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَاتَى تَوْفِكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ أَي: مثل إفك هؤلاء إفك ﴿الَّذِينَ كَانُوا يَتَّيَّبَتِ اللَّهُ﴾ معجزاته ﴿يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوْرَكُمْ فَآخَسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ عَبْدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ من الشرك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَارْتَبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ﴾

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ بها. ﴿٦٠﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٥٩﴾ أي: اعبدوني أنيكم، بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الحاء وبالعكس ﴿٦١﴾ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٥٩﴾ صاغرين. ﴿٦١﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴿٦١﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي؛ لأنه يُبَصِّرُ فِيهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضَّلِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله، فلا يؤمنون. ﴿٦٢﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَاتَى تَوْفِكُونَ ﴿٦٢﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان. ﴿٦٣﴾ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ أَي: مثل إفك هؤلاء إفك ﴿الَّذِينَ كَانُوا يَتَّيَّبَتِ اللَّهُ﴾ معجزاته ﴿يَجْحَدُونَ﴾. ﴿٦٤﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴿٦٤﴾ سقفا ﴿وَصَوْرَكُمْ فَآخَسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿٦٥﴾ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ ﴿٦٥﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ من الشرك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿٦٦﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الثعلبان بن بشير عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال: «الدعاء هو العبادة»، وقراً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١)، ومن سورة المؤمن. وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٥).

(١) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقراً بقية السبعة بالعكس.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَفَلَا يَكْتُوبُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأْتَوْا بِالْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْتُمْ مَا كَانْتُمْ تَسْرِكُونَ ﴿٧١﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَمَّا نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كَانْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كَانْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٣﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّصْكَ بِبَعْضِ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ أَوْ نَتَوَفَّىٰكَ فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٥﴾

[٧٧] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بعدا بهم ﴿حَقٌّ فَكَيْفًا تُرَبِّصُكَ﴾ فيه «إن» الشرطية مدغمة، و«ما» زائدة، تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضِ الَّذِي نَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي: فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّىٰكَ﴾ أي: قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ﴾ فتعذيبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط^(٦).

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ متبوعاً ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ يبيحكم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ تكامل قوتكم، من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسر هاء^(١) ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلٍ﴾ أي: قبل الأشد والشيوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِنَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى﴾ وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون.

[٦٨] ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴿أراد إيجاد شيء﴾ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿بضم النون وفتحها^(٢) بتقدير «أن»؛ أي: يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور^(٣).

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يُبَصِّرُونَ﴾ عن الإيمان.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ بالقرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم.

[٧١] ﴿إِذْ الْأَعْتَلُ فِي أَصْنَاقِهِمْ﴾ إذ بمعنى إذا ﴿وَالسَّلْسِلُ﴾ عطف على «الأغلال» فتكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: في أرجلهم، أو خبره: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ أي: يُجْرُونَ بها.

[٧٢] ﴿فِي النَّارِ﴾ أي: جهنم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تبيخاً: ﴿أَتَيْتُمْ مَا كَانْتُمْ تَسْرِكُونَ﴾.

[٧٤] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معه، وهي الأصنام؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَل لَمَّا نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أنكروا عبادتهم إياها، ثم أحضرت^(٤)؛ قال - تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾^(٥)؛ أي: وقودها ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٥] ويقال لهم أيضاً: ﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿من الإشراف وإنكار البعث﴾ ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح.

[٧٦] ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾

(١) قرأ ورش وحفص وأبو عمرو وهشام وقالون بالضم، وقرأ شعبة وحمرزة وابن كثير وابن ذكوان والكسائي بالكر.

(٢) بالفتح قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بضم النون.

(٣) وفي هذا التفسير نظراً؛ حيث إن الأمر والقول غير الإرادة، وهذا الكلام مبناه على مذهب المصنف رحمه الله في تأويل صفة الكلام بالكلام النفسي، وهذا خلاف مذهب السلف الذين يقولون - إن الله عز وجل - يتكلم بما شاء كيف شاء ومتى شاء.

(٤) أوجب به المفسر عما يقال: إن حمل الآية على هذا الوجه بخالف قوله - تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ لَهَا وَرْدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فأجاب بأنهم أولاً تضل عنهم ألتهتهم ويترأون، ثم تحضر وتقرن بهم.

(٥) الأنبياء: ٩٨.

(٦) أي: نقول: ﴿توفئك﴾؛ لأن جواب ﴿تربيتك﴾ محذوف كما تقدم.

منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزل العذاب على الكفار ﴿فُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿يَلْقَىٰ وَخَيْرَ هَٰئِلِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

[٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا^(١)، والظاهر: البقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَلِتُكْرِمُوا فِيهَا مَتَاعًا﴾ من الدر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَسْبَلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفَالِكِ﴾ السفن في البحر ﴿تَحْمَلُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: الدالة على وحدانيته ﴿تُنْكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ، وتذكير «أي» أشهر من تأنيبه^(٢).

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكفار ﴿بِمَا عِنْدَهُمْ﴾ أي: الرسل^(٣) ﴿بَيْنَ الْعَالَمِينَ﴾ فرح استهزاء وضحك، منكرين له^(٤) ﴿وَحَقَّ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: العذاب.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ مُشْرِكِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سَتَّ اللَّهُ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه^(٥) ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ في الأمم، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَيْرَ هَٰئِلِكَ الْكٰفِرُونَ﴾ تبين خسرانهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْضِصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَيْرَ هَٰئِلِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَتَسْبَلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمَلُونَ﴾ ﴿وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعَالَمِينَ وَحَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ بِسِتْرِهِمْ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سَتَّ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ هَٰئِلِكَ الْكٰفِرُونَ﴾

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْضِصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾

(١) أي: لأنها هي التي يوجد فيها المنافع الآتية في الآيات هنا.

(٢) أي: أشهر من «آية».

(٣) الراجع أن المراد فرح الكفار بما عند أنفسهم من العلم؛ لا بما عند الرسل؛ ولذا أتوه على ما جاءت به الرسل.

(٤) وعلى القول الراجع؛ يكون فرح إعجاب وجهل.

(٥) تقديره: سئ الله بهم سئته من قلوبهم.

سُورَةُ فَضَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فَضَّلْتَ آيَاتَهُ وَ
 قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
 فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَأَلْوَبْنَا فِي آيَاتِكُمْ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ
 وَفِيءَاذَانِنَا وَقُرْءَانِنَا وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَدِيمُونَ
 ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ
 فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَرَبُّ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ
 لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ
 لَكُمْ كُفْرٌ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْدَادًا
 ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِيسًا وَمِنْ قَوْعِهَا
 وَيَبْرُقَ فِيهَا قُودًا وَقَدَرًا فِيهَا أَقْوَاتُهَا فَمَنْ أَرَبَعَةَ أَيَّامٍ سَوَاءً
 لِلنَّسَائِلِ يَوْمَئِذٍ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْرَعْنَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
 لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أُنْيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْ أَنْتِنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

﴿لِلنَّسَائِلِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

[١١] ﴿ثُمَّ أَسْرَعْنَا﴾ قصد ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ
 لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أُنْيَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ في موضع الحال؛
 أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتْ أَنْتِنَا﴾ من فينا ﴿طَائِعِينَ﴾ فيه تغليب المذكر
 العاقل، أو: نُزِّلْنَا لِحَطَابِهِمَا مَنْزِلَتَهُ.

سُورَةُ فَضَّلَتْ

[مكية: ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد غافر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمراه به.
 [٢] ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مبتدأ.
 [٣] ﴿كِتَابٌ﴾ خبره ﴿فُضِّلْتَ آيَاتُهُ﴾ يُنْتَقِ بِالأحكام والقصص
 والمواظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من «كتاب» بصفته^(١) ﴿لِقَوْمٍ﴾ متعلق
 بـ«فضلت» ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب.
 [٤] ﴿بَشِيرًا﴾ صفة «قرآنا» ﴿وَنَذِيرًا﴾ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ لَمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾
 سماع قبول.
 [٥] ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي: ﴿أَلْوَبْنَا فِي آيَاتِكُمْ﴾ أعطية ﴿وَمِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ
 وَقِيءَاذَانِنَا وَقُرْءَانِنَا﴾ نقل ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين
 ﴿فَأَعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّا عَدِيمُونَ﴾ على ديننا.
 [٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ
 فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَرَبُّ﴾ كلمة عذاب
 ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾.
 [٧] ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ تأكيد ﴿كُفِرُونَ﴾.
 [٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.
 [٩] ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ لَكُمْ كُفْرٌ﴾ بتحقيق الهزيمة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف
 بينها بوجهيها وبين الأولى^(٢) ﴿لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾
 الأحد والاثنتين^(٣) ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْدَادًا﴾ شركاء ﴿ذَلِكَ رَبُّ﴾ أي: مالك
 ﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع عالم، وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه الباء
 والنون؛ تغليبا للعلاء.

[١٠] ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»؛ للفاصل
 الأجنبي^(٤) ﴿فِيهَا رِيسٌ﴾ جبالا ثوابت ﴿مِنْ قَوْعِهَا وَرَبْرُقَ فِيهَا﴾ بكثرة المياه
 والزرور والضرور ﴿وَقَدَرٌ﴾ قسم ﴿فِيهَا أَقْوَاتُهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِي﴾
 تمام ﴿أَرَبَعَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: الجعل، وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء^(٥)
 ﴿سَوَاءً﴾ منصوب على المصدر أي: استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص

(١) في بعض النسخ «حَمَّ الشَّجْدَةَ» وعدد آياتها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاث وخمسون، وعند أهل الكوفة أربع وخمسون.

(٢) أي الكتاب؛ والمضى أن المسوغ لجمي الحال منه مع كونه نكرة، هو وصفه بما بعده وهو جملة: ﴿فُضِّلْتَ آيَاتُهُ﴾.

(٣) قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهزلة الثانية بين يين مع إدخال الألف بينهما، وابن كثير وورش بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالإدخال مع التسهيل وتركه، والتسهيل مقدم له في الأداء، وبغية السبعة بالتحقيق من غير إدخال.

(٤) (٦)، (٦) تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه الخليلي هنا، أو في نحوها من الآيات، لا سند له، وهو مخالف لما قاله هو في تفسير سورة الفرقان آية (٥٩)، حيث قال: «من أيام الدنيا؛ أي: قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس».

(٥) وهو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله: «مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»... إلخ»؛ قال في حاشية الصاري: «هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجملة المعترضة، ولا يقال: إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغفر في التابع ما لا يغفر في التبوع؛ فالأولى إسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ» اهـ.

آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به من فيها، من الطاعة والعبادة ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ اللَّهُبِابَ﴾ بنجوم ﴿وَحَفَظْنَا﴾ منصوب بفعله المقدر؛ أي: حفظناها من استراق الشياطين السَّمْعَ بالشهب ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيِّ﴾ بخلقه. [١٣] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ أي: كفار مكة، عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ خوفكم ﴿صِیْفَةً مِثْلَ صِیْفَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي: عذابها يهلككم مثل الذي أهلکم.

[١٤] ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط ﴿فَلَمَّا نزلَ﴾ أي: بأن ﴿لَا تُعْبَدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ﴾ أي: ما أنزلنا ﴿فَلَمَّا عَادُوا﴾ على زعمكم ﴿كُفِرُوا﴾.

[١٥] ﴿فَلَمَّا عَادُوا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْخَلْقَ وَقَالُوا﴾ لما خوفوا بالعذاب: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: لا أحد، كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

[١٦] ﴿فَلَمَّا سَأَلْنَا عَنْهُمْ رَبِّمَا صَرَصَرُوا﴾ باردة شديدة الصوت، بلا مطر ﴿فِي آيَاتِنَا نَحْسَاتٌ﴾ بكسر الحاء وسكونها^(١)؛ مشغومات عليهم ﴿لِيُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ الذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَخْرَجْنَاهُم مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بمنع عنهم.

[١٧] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ يتأ لهم طريق الهدى ﴿فَاسْتَجَبُوا أَمْرًا﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى الْكَلْبِ فَخَلَقْنَاهُمْ صِیْفَةً الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ المهين ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَبَيْنَمَا هُمْ مِنَ الْآيَاتِ ءَامِنُونَ﴾ بالله. [١٩] ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا يُحْسِرُ﴾ بالباء والنون المفتوحة، وضم الشين وفتح الهمزة^(٢) ﴿أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ بساقون.

[٢٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَسَوَّادُهُمْ﴾ زائدة ﴿جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَسَوَّادُهُمْ﴾ بما كانوا يعملون.

فَقَضَيْنَهُنَّ سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ اللَّهُبِابَ وَمَنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صِیْفَةً مِثْلَ صِیْفَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ فَمَا عَادُوا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْخَلْقَ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَآرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَخْرَجْنَاهُمْ مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَجَبُوا أَمْرًا عَلَى الْكَلْبِ فَخَلَقْنَاهُمْ صِیْفَةً الْعَذَابِ الْهُونِ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَبَيْنَمَا هُمْ مِنَ الْآيَاتِ ءَامِنُونَ وَإِذْ ذَكَرْنَا يُحْسِرُ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَسَوَّادُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

[١٢] ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه؛ أي: صيرها ﴿سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس والجمعة^(١)، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم^(٢)، ولذلك لم يقل هنا: سواء، ووافق ما هنا

(١) راجع ما تقدم في التعليق على تعيين هذه الأيام على هذا النحو.

(٢) ظاهر كلام المصنف أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وخلقها آفاقاً من السنين. أو يكون مراده: أنه خلق في مثل هذا اليوم، كما تقول: ولد محمد يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين.

(٣) بسكونها قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: الأخيرة من (أعداء)، وهي قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالباء، ورفع (أعداء).

﴿٢١﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَنْ نَشْهَدَهُمْ ثُمَّ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْظِقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ أَي: أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله - تعالى - كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادرٌ على انطاق جلودكم وأعضائكم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توفوا بالبعث ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾ عند استنكاركم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْفًا يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَذَلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنَنْتُمْ﴾ بدل منه ﴿الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ نعت، والخبر ﴿أَرَدْتُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿فَيَنْ يَصْبِرُوا﴾ على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا﴾ يطلبوا العتبي أي: الرضا ﴿فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المرصين^(١).

﴿٢٥﴾ ﴿وَقِيضْنَا﴾ سبنا ﴿لَهُمْ قُرْآنًا﴾ من الشياطين ﴿فَرِيضُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب، وهو: ﴿لَا تَلَذُّنَّ بِهِمْ﴾ الآية^(٢) ﴿فِي﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ إتهمهم كانوا خسرين.

﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عند قراءة النبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْءِ فِيهِ﴾ اتوا باللغظ ونحوه، وصبحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيسكت عن القراءة.

﴿٢٧﴾ قال الله - تعالى - فيهم: ﴿فَلْيَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَابُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أفصح جزاء عملهم.

﴿٢٨﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسمو الجزاء ﴿جَزَاءَ عَذَابِ اللَّهِ﴾ بتحقيق الهزيمة الثانية وإبدالها وإزا^(٣) ﴿النَّارِ﴾ عطف بيان للجزء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَاءَ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار: ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنْ

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أي: إبليس وقابيل^(٤)؛ ساء الكفر والقتل ﴿تَجْمَعُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿يَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: أشد عذابًا منا.

(١) ما جاء في نزول الآيات (٢٢ - ٢٤): أخرجه أحمد عن عبد الله (ابن مسعود) قال: كنت مستنيرًا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر؛ تقفني وحتاه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه بلونهم، قال: فحدثوا بينهم بحديث، قال: فقال أحدهم: أترى الله ﷻ يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع ما رفعناه، وما خفضنا لا يسمع، قال الآخر: إن كان يسمع شيئًا فهو يسمعه كله. قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ قال: فزلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾. أحمد (١/٤٤٤)، وصححه الأرنؤوط في تخريجه على المسند (٧/٢٧٣). وأخرجه في الصحيحين بدون ذكر الآيتين، وأخرجه الترمذي إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٢) ومن سورة حم السجدة.

(١) هود: ١١٩.

(٢) تحقيق الهزيمة الثانية هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدالها وإزا هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) هذا القول مروى عن علي بن أبي طالب ؑ، وتُعب بأنه لا يصح عن علي ؑ؛ فإن قابيل مؤمن عاصي. ويكون المقصود من قوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: فريقي شياطين النوعين المتقيضين لهم الخاملين لهم على الكفر والمعاصي بالنسويل والترتيب.

تَخَافُوا ﴿٣١﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد؛ فنحن نخلفكم فيه ﴿وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[٣١] ﴿يَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: نحفظكم فيها ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ تطلبون.

[٣٢] ﴿تُرَا﴾ رزقا مهيبا، منصوب بـ«جعل» مقدرًا ﴿وَمِنَ عَفْوَرٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: الله.

[٣٣] ﴿وَمِنَ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لا أحد أحسن قولًا ﴿وَمِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمَلٍ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض ﴿أَدْفَعُ﴾ السببة ﴿بِأَلْيِّ﴾ أي: بالحصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا الِذِي يَبْنُكَ وَبَيْنَهُ عِدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٥) أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فـ«الذي» مبتدأ، و«كانه» الخبر، و«إذاه» ظرف لمعنى التشبيه.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾ أي: يؤتى الحصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا الِذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَقْلٍ﴾ ثواب ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٣٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: يصرفك عن الحصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف؛ أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٧] ﴿وَمِنَ ءَايَاتِهِ أَلْيَلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا يَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الِذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فإن استكبروا فالذير عند ربك يسبحون له، بالليل والنهار وهو لا يستعبدون ﴿٣٨﴾

[٣٨] ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: فاللائكة ﴿يَسْبِحُونَ﴾ يصلون ﴿لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئُونَ﴾ لا يملون.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَكْفُرُوا وَلَا تُحْزِنُوا وَتُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ فَيَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٢﴾ تُرَا مِنْ عَفْوَرٍ رَّجِيمٍ ﴿٣٣﴾ وَمِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعُ بِالْيَأْيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الِذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عِدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَقْلٍ عَظِيمٍ ﴿٣٦﴾ وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمِنَ ءَايَاتِهِ أَلْيَلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الِذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ ﴿٣٩﴾

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُنَّ بَانَ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: ﴿ادْفَعُ بِالْيَأْيِّ هِيَ أَحْسَنُ﴾: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوه عصمهم الله ووضعت لهم عدوهم ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة فصلت (٤١).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْهَا آمَنَ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ
 لَكِنَّتْ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ وَلَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴿٤٢﴾ أَي: ليس قبله كتاب
 يكذبه ولا بعده ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أَي: الله الحمود في أمره.
 ﴿٤٣﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ مِنَ التَّكْذِيبِ ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَّا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ
 قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفُونٍ ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين.
 ﴿٤٤﴾ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ آيَةً﴾ الذكر ﴿قُرْآنًا آجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا هَلَّا
 فَضَّلْتُمْ بَيْنْتُمْ﴾ آيَاتُهُ ﴿حَتَّى نَفْهَمَهَا﴾ أَي: ﴿قُرْآنًا آجْمِيًّا﴾ نبي
 ﴿عَزِيزٍ﴾ استفهام إنكار منهم، بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفًا، بإشباع
 ودونه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِقَاءٌ﴾ من
 الجهل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءٌ﴾ نقل فلا يسمعونهُ ﴿وَهُوَ
 عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُولَئِكَ بُدِّدُوا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أَي: هم
 كالمنادى من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.
 ﴿٤٥﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَأَشْتَفَىٰ يَدَيْهِ﴾ بالتصديق
 والتكذيب، كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير
 الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِّىٰ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما
 اختلفوا فيه ﴿وَأَيُّهُمْ﴾ أَي: المكذبين به ﴿لَفِي سَكْرَةٍ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ موقع في
 الرية.
 ﴿٤٦﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَمَلِيَهَا﴾ أَي:
 فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْمُجْسِدِ﴾ أَي: بذى ظلم؛ لقوله -
 تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (٤).

(١) يشير إلى الفرائض، فيفتح الباء والحاء ﴿يُلْحِدُونَ﴾ قرأ حمزة، من لَحَدَ الثلاثي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الباء وكسر الحاء.

(٢) ومن الإلحاد في آيات الله تعريفها وتأويلها بغير ما قصد منها.

(٣) هذا سبق قلم من المفسر كَلَمَةً، والصواب أن يقال: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه؛ فالإشباع: هو إدخال ألف بين المحققة والمسهلة، وعدمه: هو ترك الإشباع. قرأ حمزة والكسائي وشعبة بتحقيق

الهمزة الثانية، وقرأ قتيل وهشام - بخلاف عنهما - بالجر، والباقون بالاستفهام مع التسهيل بين يين، وكل على أصله.

(٤) النساء: ٤.

[٤٨] ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قِبَلٍ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَوَطَّنُوا﴾ أبقوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين^(١) معلق عن العمل، وحمله النفي^(٢) سُدَّت مسدَّ المفعولين.

[٤٩] ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوَى الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتَوَسَّسُ قَتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٠] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿أَذْفَنَهُ﴾ أتياه ﴿رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿وَبَنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ﴾ شدة وبلاء ﴿مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: بعلمي ﴿وَمَا أَظُنُّ أَلَسَاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿رُجِعْتُ إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ﴾ أي: الجنة ﴿فَلَنَتَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم.

[٥١] ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَوَنَاءً﴾^(٤) يجابيه ﴿ثَنَى عَطْفَهُ مَبْتَخَرًا﴾ وفي قراءة بتقديم الهمة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُو دُعَاةٍ عَرِيضٍ﴾ كثير.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ﴾ أي: لأحد ﴿أَضَلَّ وَمَنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بِعِيدِهِ﴾ عن الحق، أوقع هذا^(٥)، موقع: «منكم» بيانا لحالهم.

[٥٣] ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ أقطار السماوات والأرض، من الثيرات، والنبات، والأشجار ﴿وَوَفَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ المنزل من الله، بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به وبالجمالي به ﴿أُولَئِكَ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ﴾ فاعل «يكفر» ﴿أَنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ سَهِيدٌ﴾ بدل منه؛ أي: أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما!.

[٥٤] ﴿أَلَا يَأْتِيهِمْ فِي مَرَاتِبَةٍ﴾ شك ﴿بَيْنَ لَيْسَاءَ رَبِّيهِمْ﴾ لانكارهم البعث ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ علما وقدرة، فيجازيهم بكفرهم.

* إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَاتَّحِمِلٌ مِنْ أَنْتَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آتِنَ شُرَكَاءِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مَتَّانًا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٩﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنَ نَجِيصٍ ﴿٥٠﴾ لَا يَسْتَعْرِ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاةِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتَوَسَّسُ قَتُوطٌ ﴿٥١﴾ وَلَيْنَ أَذْفَنَهُ رَحْمَةً مَتَّانًا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ أَلَسَاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ فَلَنَتَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُو دُعَاةٍ عَرِيضٍ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلَّ وَمَنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٤﴾ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أُولَئِكَ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرَاتِبَةٍ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٦﴾

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون، لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ وفي قراءة^(١) ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها؛ جمع «كم» بكسر الكاف، إلا يعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْتَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آتِنَ شُرَكَاءِي قَالُوا آذَنَّاكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَا مَتَّانًا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: شاهد بأن لك شريكا.

(١) لحمة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ثمرات﴾.

(٢) أي في قوله: ﴿وما منا﴾، وقوله: ﴿وما لهم﴾؛ فالنفي فيها معلق لكل من: «آذن»، و«هطن» عن العمل لفظًا لا محلاً.

(٣) أي: في الموضعين؛ في قوله: ﴿وما لهم من نجيب﴾، وقوله: ﴿وما منا من شهيد﴾؛ فالجملة الأولى سُدَّت مسدَّ مفعولي ﴿وظنوا﴾، والثانية: سُدَّت مسدَّ المفعول الثاني لـ ﴿آذن﴾، وأما المفعول الأول فهو كاف الخطاب في ﴿آذنتك﴾.

(٤) وهي قراءة ابن ذكوان، وقرأ بقية السبعة: ﴿ونأى﴾.

(٥) أي: قوله: ﴿ومن أضل ممن هو في شقاقٍ بعيدٍ﴾.

سُورَةُ الشُّورَى

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ﴾ الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد فصلت]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحِي إِيَّاكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَابٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ
 يَسَاءٍ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

[١] ﴿حَمَّ﴾.

[٢] ﴿عَسَقَ﴾ الله أعلم بمراحه به.

[٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِي إِلَيْكَ وَ﴾ أوحى ﴿إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ﴾ فاعل الإيحاء ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ على خلقه ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

[٥] ﴿تَكَادُ﴾ بالياء والياء^(١) ﴿السَّمَوَاتُ﴾ [يَتَفَطَّرْنَ] بالنون^(٢)، وفي قراءة بالياء والتشديد ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾؛ أي: تشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله - تعالى - ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: ملاسین للحمد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من المؤمنین ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ لأوليائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ حَفِيفٌ﴾ مُخَصَّصٌ عَلَيْهِمْ ﴿لِيَجْازِيَهُمْ﴾ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿تَحْصُلُ الْمَطْلُوبُ مِنْهُمْ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾.

[٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ﴾ تُخَوِّفُ ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾ النَّاسَ ﴿يَوْمَ الْجُمُعِ﴾ يوم القيامة، تُجْمَعُ فِيهِ الْخَلَائِقُ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿النَّارِ﴾.

[٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على دين واحد، وهو الإسلام ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ يَسَاءٍ مِنْ يَسَاءٍ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ﴾ الْكَافِرُونَ ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

[٩] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أم منقطعة بمعنى «بل» التي للانتقال، والهمزة للإنكار^(٣)؛ أي: ليس المتخذون أولياء ﴿فَاللَّهُ هُوَ

الْوَلِيُّ﴾ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء مجرد العطف ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُ﴾ مردود ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أَرْجِعْ.

(١) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ نيفة السبعية: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾.

(٣) في نسخة القاضي كنعان: «وهمزة الإنكار»؛ أي: إن «أم» بمعنى: همزة الإنكار.

﴿يَذُرُّكُمْ﴾ بالمعجمة؛ يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ في الجغل المذكور؛ أي: يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي والأنعام بالتغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الكاف زائدة؛ لأنه - تعالى - لا مثل له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْبَصِيرُ﴾ لما يفعل.

[١٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنها؛ من المطر والنبات وغيرها ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّهُ يَكْفِي شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة^(١) ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَتُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ هذا هو المشروع الموصى به، والموحى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَرَّمَ عَظَمَ﴾ على الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴿مِنَ التَّوْحِيدِ﴾ اللَّهُ يَجْتَنِي إِلَيْهِ ﴿إِلَى التَّوْحِيدِ﴾ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿يَقِيلُ إِلَى طَاعَتِهِ﴾.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: أهل الأديان في الدين، بأن وحد بعض، وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ﴾ بالتوحيد ﴿بَعَثْنَا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴿بِعَذَابِ الْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا﴾ وَإِنَّ الدِّينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ لَفِي شَكِّ مَنْهٌ ﴿مِنَ مُحَمَّدٍ ﷺ﴾ مَرِيبٌ ﴿مَوْجِعٌ فِي الرِّبَةِ﴾.

[١٥] ﴿فَلِذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿فَادْعُ﴾ يا محمد الناس ﴿وَأَسْتَقِيمَ﴾ عليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ﴾ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ ﴿أَي:﴾ بَأَن أَعْدِلَ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ في الحكم ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا﴾ فكل يجازى بعمله ﴿لَا حِجَّةَ﴾ خصوصية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَنِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعَثْنَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الدِّينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكِّ مَنْهٍ مَرِيبٌ ﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقِمَ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا لِحُجَّةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[١١] ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا

(١) أي أول الرسل الذين جاءوا بشرية شاملة؛ كما في حديث الشفاعة المشهور في الصحيحين وغيرهما، وفيه: «ولكن اثنا نوحًا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»، وأما آدم فإنه أول نبي.

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي دِينٍ﴾ الله ﴿نبيه﴾ ﴿وَمَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ بالإنسان، لظهور معجزته (١) وهم اليهود ﴿جَنَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَنْتَنِيهِمْ عَصَبٌ﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿.

[١٧] ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَالْمَلِكِ﴾ متعلق بـ﴿أَنْزَلَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ﴾ العدل ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يُعَلِّمُكَ ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي: إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾ «والعل» معلق للفعل (٢) عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون: متى تأتي؟ ظناً منهم أنها غير آتية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنَهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا آتِيَةٌ﴾ آتِيَةٌ ﴿الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يجادلون ﴿فِي السَّاعَةِ﴾ لِيَصْلَحَ بَعِيدٌ ﴿.

[١٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بَرَّهُمْ وَقَاجِرَهُمْ؛ حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿يُرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرَّتَ الْآخِرَةَ﴾ أي: كسبها، وهو الثواب ﴿زُرْدَ لَهُ فِي حَرْبٍ﴾ بالضعيف فيه؛ الحسنه إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرَّتَ الدُّنْيَا نَفْسَهُ﴾ مِنهَا؛ بلا تضعيف، ما قسيم له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُمْ﴾ للكفار ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ﴾ أي: القضاء السابق، بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿وَمَا كَسَبُوا﴾ في الدنيا من السيئات، أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿وَأَقْبَعُ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ﴾ أنزهها، بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَصَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
 اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا آتِيَةٌ الْآلَاءِ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لِيَصْلَحَ بَعِيدٌ ﴿١٨﴾
 اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرَّتَ الْآخِرَةَ نَفْسَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ تَرَى الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

(١) في نسخة القاضي: «معجزاته».

(٢) وهو: «يدرلك».

القول وغيره، وقد فعل^(١) ﴿وَمِمَّنْ أَلَّ اللَّهُ الْبَطِلَ﴾ الذي قاله ﴿وَيُحْيِي الْمَيِّتَ﴾
بيته ﴿يَكْتُمِيهِ﴾ النزلة على نبيه ﴿إِنَّهُ عَيْبٌ يُدَاتُ الصُّدُورَ﴾ بما في
القلوب.

[٢٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾
الكتاب عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا يُفْعَلُونَ﴾ [الباء والناء^(٢)].

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يجيبهم إلى ما
يسألون^(٤) ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ والكافرون لهم عذاب شديد^(٥).

[٢٧] ﴿وَلَوْ سَئَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ جميعهم ﴿لَعَوَّا﴾ جميعهم؛
أي: طغوا ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٦)؛ من الأرزاق
﴿يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ﴾ فيسبها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي
﴿وَأَنَّهُ يُعَادِي عَادِيَّ بَصِيرٍ﴾.

[٢٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنْ بَيْنِ مَا قَطَطُوا﴾ يشوس من
نزوله ﴿وَيُنشِرُ رَحْمَتَهُ﴾ يسقط مطره^(٧) ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين
﴿الْحَسِيدُ﴾ المحمود عندهم.

[٢٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلق ﴿مَا بَيْنَ﴾ فوق
ونشر ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض^(٨) من الناس وغيرهم
﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ للحرش ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ في الضمير تغليب العاقل
على غيره.

[٣٠] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين^(٩) ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ بلية
وشدة ﴿فِيهَا كَسَبَتْ آيَاتِكُمْ﴾ أي: كسبت من الذنوب، وعبر بالأيدي، لأن
أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها؛ فلا يجازي عليه، وهو
- تعالى - أكرم من أن ينفي الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في
الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

[٣١] ﴿وَمَا أَنزَلْنَا﴾ يا مشركون ﴿بِمُعْجِزَاتِكَ﴾ الله هرباً ﴿فِي الْأَرْضِينَ﴾
فتوته ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع
عذابه عنكم.

ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ عِبَادَةَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ
حَسَنَةً تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
أَفَرَأَىٰ عَلَى اللَّهِ كَيْدًا وَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ
الْبَطِلَ وَيُحْيِي الْحَيَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٣﴾
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَلَوْ سَئَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَثُوا فِي الْأَرْضِ
وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ
الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيُنشِرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ
﴿٣٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا
كَسَبَتْ آيَاتِكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٤٠﴾

[٢٣] ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ﴾ من البشارة مخففاً ومثقلاً^(١) به ﴿اللَّهُ عِبَادَهُ﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا إِلَّا
الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن أسألكم أن تؤدوا قرابتي، التي هي
قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قریش قرابة ﴿وَمَن يَقْرَفْ﴾ يكتسب
﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ للذنوب
﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه.

[٢٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَرَأَىٰ عَلَى اللَّهِ كَيْدًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله -
تعالى - ﴿وَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ﴾ يربط ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا

- (١) ﴿يُبَيِّنُ﴾ مخففاً قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقراء بقية السبعة: ﴿يُبَيِّنُ﴾.
- (٢) الراجح وعليه أكثر المفسرين أن هذه الآية كقوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ تَرَكْنَا مَعَهَا بَعْضَ الْأَهْوَالِ﴾ لَخَدَّأْنَا بِهَا الْبَلِيَّةَ ﴿مِمَّا نَطَقْنَا بِهِ الْفَوَاحِشُ﴾، والمراد منها الاستشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه لا شيء لو افترى على الله كذباً لنعمه من ذلك قطعاً فنضم على قلبه بحيث لم يخطر بباله معنى من معانيه، ولم ينطق بحرف من حروفه، وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله.
- (٣) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقراء بقية السبعة بالناء.
- (٤) فهو ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع نصب، وقليل: بل في موضع رفع، والمعنى يستجيبون لربهم فيقادون له ويلبسون دعوته، فإذا فعلوا ذلك شكر لهم وزادهم توفيقاً ونشاطاً على العلم ومضاعفة في الأجر. وهذا القول أقرب، والله أعلم.
- (٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراء بقية السبعة بالتشديد.
- (٦) الصحيح أن الرحمة صفته - سبحانه وتعالى - وهي غير المطر، وهو من آثار رحمته، التي هي أعم ووسعت كل شيء.
- (٧) ظاهر الآية يفيد ما يدب على السماء كذلك من ملائكة، وبه قال بعض المفسرين، بل ذهب بعض الباحثين إلى وجود حيوانات كحيوانات الأرض ولو ازم حياتها من نباتات وأشجار وبحار وأنهار هنالك، واستبعاد غيرهم من أهل العلم.
- (٨) الظاهر أن الخطاب عام للمؤمنين وغيرهم.

[٣٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ كالجبال في العظم.

[٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ﴾ يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾ نوابت لا تجري ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ هو المؤمن يصبر في الشدة، ويشكر في الرخاء.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوقِعَهُمْ عِطْفَ عَلَىٰ يَسْكِنُ﴾ أي: يفرقهن بغضف الرياح بأهلهن ﴿وَمَا كَسُوا﴾ أي: أهلهن من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها، فلا يفرق أهلها.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالرفع مستأنف، وبالنصب (١) معطوف على تعليل مقدر؛ أي: يفرقهن ليتقنم منهم، ويعلم ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ مهرب من العذاب، وجملة النفي سدت مسد مفعولي «يعلم»، والنفي معلق عن العمل.

[٣٦] ﴿فَمَا أُوَيْدَتْكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿وَمِنْ شَيْءٍ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها، ثم يرول ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَجِيمٍ يَتَكَلَّمُونَ﴾.

[٣٧] ويعطف عليه (٢): ﴿وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ موجبات الحدود، من عطف البعض على الكل ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يتجاوزون.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه، من التوحيد والعبادة ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنزَلْنَاهُمْ﴾ الذي يبدو لهم ﴿شُورَىٰ يَتَّبِعُونَ﴾ يتشاورون فيه ولا يجعلون ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُفَقِّهُونَ﴾ في طاعة الله. ومن ذكر صف.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ الظلم ﴿هُم يَتَضَرَّعُونَ﴾ صنف؛ أي: ينتقمون من ظلمهم بمثل ظلمه، كما قال - تعالى -: [٤٠] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سميت الثانية سيرة لمشابقتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يقتض فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له: أضرأك الله؛ فيجيبه: أضرأك الله ﴿فَمَنْ عَفَاكَ﴾ عن ظلمه ﴿وَأَسْلَحَ﴾ الود بينه وبين المغفور عنه ﴿فَأَجْرٌ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إن الله يأجره لا محالة ﴿إِنَّهُمْ لَا يَجِدُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: البادئين بالظلم، فيترتب (٣) عليهم عقابه (٤).

[٤١] ﴿وَلَمَنْ أَنصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي: ظلم الظالم إياه ﴿فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ سَبِيلٍ﴾ مؤاخضة.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ﴿٣٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٤﴾ أَوْ يُوقِعَهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٥﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٣٦﴾ فَمَا أُوَيْدَتْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَجِيمٍ يَتَكَلَّمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفَقِّهُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ فَاجْرَهُ وَعَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَمَنْ أَنصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بَغْيًا حَقًّا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَا إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزِمَ الْأُمُورَ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ اللَّهِ مَرَدٌّ أَوْ لَنَا مِنَ اللَّهِ آلَةٌ لِيُبْذَرَ الظَّالِمِينَ أَيُّهُم بِأَعْيُنِنَا قَدْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكِنَّا نَكْفُرُ ﴿٤٤﴾

[٤٢] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾ يعملون ﴿فِي الْأَرْضِ بَغْيًا حَقًّا﴾ بالمعاصي ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٤٣] ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وَعَفَا﴾ تجاوز ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لِمَنْ عَزِمَ الْأُمُورَ﴾ أي: معزوماتها؛ بمعنى المطلوبات شرعاً.

[٤٤] ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: أحد يلي هدايته، بعد إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ اللَّهِ مَرَدٌّ إِلَى الدُّنْيَا﴾ ومن سبيل ﴿طريق؟

(١) بالرفع قراءة نافع وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالنصب؛ «ويعلم».

(٢) في بعض النسخ المطبوعة: «عليهم»، والصواب الثبت؛ أي: على قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

(٣) في نسخة القاضي: «فترتب».

(٤) هذا من آثار عدم مجئنا للظالمين، وليس هذا تفسير مقابل الحجة، وهذه طريقة المفسر غير الله لنا وله، في تأويل هذه الصفة بآثارها ولو ازاهما.

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٤٦﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعقدة لهم في الجنة، لو آمنوا، والموصول: خبر «إن» ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم، هو من مقول الله تعالى -

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنَّ أَوْلِيَاءَ يَصُرُّونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَنْ سَبِيلٍ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

[٤٧] ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يردده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ﴾ يؤمئذ وما لكم من تكبير إنكار لذنوبكم.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ أعمالهم، بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَلِيًّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ سَيِّئَةٌ بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قدموه، وعبر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تراول بها ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ للنعمة.

[٤٩] ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ لمن يشاء ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من الأولاد ﴿وَيَنْشَأُ وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَرَ﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ يُرْوِجُهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّهُمْ عَائِدٌ﴾ بما يخلق ﴿فَيَذَرُ﴾ على ما يشاء^(١).

[٥١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلَهًا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحَيًّا﴾ في المنام أو بإلهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِنَ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه؛ كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ ملكًا كجبريل ﴿فَيُوحِي﴾ الرسول إلى المرسل إليه؛ أي: بكلمه ﴿بِأَذْنِهِ﴾ أي: الله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ الله ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ عن صفات المحدثين^(٢) ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ ﴿٤٧﴾ من طرفي حفي ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَرَ﴾ ﴿أَوْ يُرْوِجُهُمْ ذُكْرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ وَعَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلَهًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ وَعَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

[٤٥] ﴿وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النار ﴿خَشِيعَاتٍ﴾ خائفين متواضعين ﴿مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِنَ طَرْفِي حَفِيٌّ﴾ ضعيف النظر، مسارقة، ومن ابتدائية، أو بمعنى الباء ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾

(١) النعمة من آثار الرحمة، وهذا يلزم منه إثبات صفة الرحمة صفة لله قائمة بذاته.

(٢) الصواب عدم تقييد القدرة بالمشيئة، فظاهر القرآن إثبات القدرة المطلقة، وهذا هو الأكمل والأحسن في الصفة. وما أثبتته المفسر بكلمة إنما هو منه جريا على طريقة الأشاعرة.

(٣) وهذا من قصر العلم على بعض أفرادها؛ فضلا عن كون هذه العبارة موهمة ويستخدمها البعض لنفي الصفات الثابتة لله سبحانه، والآية من أدلة إثبات صفة العلو التام لله سبحانه وتعالى وشأنها.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرٍ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّحُرْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿٥١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَنْبِيَاءِ لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ ﴿٥٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٧﴾
فَأَهْلَكْنَا أَسَدَمَ مِن مَّثَلِ بَطْشَا وَمِثْلَ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾
وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّن خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٥٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٠﴾

- [٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَسَدَمَ مِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمِثْلًا﴾ سبق في آيات ﴿مِثْلَ الْأَوَّلِينَ﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك.
[٩] ﴿وَلَيْن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مِّن خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ آخر جوابهم أي: الله ذو العزة والعلم.
[١٠] زاد - تعالى -: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فإرشا كالمهد للصي ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ طرفا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم.

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إباحثنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن، به تحيا القلوب ﴿مِنْ أَمْرٍ﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: شرائعه ومعالجه، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده سد مسند المفعولين ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الروح، أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِ﴾ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.
[٥٣] ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبدا ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ترجع.

سُورَةُ الزُّحُرْفِ

[مكية، وقيل: إلا: ﴿وَسَلَّ مَن أَرْسَلْنَا﴾ الآية،
تسع وثمانون آية، نزلت بعد الشورى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة.
[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أوجدنا^(١) الكتاب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَمَّا كُنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَمَقُّلُونَ﴾ تفهمون معانيه.
[٤] ﴿وَإِنَّهُ﴾ مثبت ﴿فِي أُولَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ أصل الكتب؛ أي: اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلِّيُّ﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة.
[٥] ﴿أَفَضْرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنْكُمْ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾ إمساكًا، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ﴾ مشركين؟ لا.
[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾.
[٧] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

(١) تفسير الجعل بالإيجاد مبني على القول بخلق القرآن، والصواب تفسيره بالإنزال أو نحوه، مما ذكر أصحاب السنة من المفسرين؛ كابن جرير والبغوي وغيرهما؛ لأنه جعل هنا متعد إلى مفعولين، فلا يكون بمعنى الخلق والإيجاد، بل بمعنى التصيير ونحوه.

وهو مجرور في الأول^(١)؛ أي: فيه، منصوب في الثاني^(٢).

[١٣] ﴿لَيْسُوا﴾ لتستقروا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ ذكر الضمير، وجمع الظهر؛ نظرا للفظ «ما» ومعناها ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ مطبقين.

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾^(٣) لمنصرفون.

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء من الوالد، والملائكة من عباده. تعالى - ﴿إِنَّا إِلَٰهٌ سَمِيعٌ﴾ القائل ما تقدم ﴿لِكُفْرِهِمْ﴾ يبين ظاهر الكفر.

[١٦] ﴿أَيُّ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر؛ أي: أتقولون ﴿أَتَخَذَ وَمَا يُخْلَقُ بَنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَكَمُ﴾ أحلصكم ﴿يَالْبَٰئِئِينَ﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر.

[١٧] ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ جعل له شبهة بنسبة البنات إليه؛ لأن الولد يشبه الوالد؛ المعنى: إذا أخبر أحدهم بالنبوة تولد له ﴿ظَلٌّ﴾ صار ﴿وَجِهَهُمْ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير معتما ﴿وَهُوَ كَلِيمٌ﴾ مملئ غمًا، فكيف ينسب البنات إليه، تعالى عن ذلك.

[١٨] ﴿أَوْ﴾ همزة الإنكار، واو العطف، بجملة^(٤)؛ أي: يجعلون لله ﴿مَنْ يُنَشِّئُوا فِي الْخَلْقِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مظهر الحجة^(٥)؛ لضعفه عنها بالأثوة؟! ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدتهم

﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أمء اتينهم ﴿كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون^(٦)

[١٩] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راض بها، قال - تعالى -: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿وَمَنْ عَلَيْهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به.

[٢٠] ﴿أَمْ يَتَّبِعُونَ مَنَّا بَنِينَ﴾ ككتابنا من قبله^(٧)؛ أي: القرآن، عبادة غير الله ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أي: لم يقع ذلك.

[٢١] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ عِتَقٍ مَلَّةٍ﴾ وريثا ﴿وَأِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَىٰ عِتَقٍ﴾ آثرهم مهتدون^(٨) بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوتُ﴾^(٩) ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَٰكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾^(١٠) لتستقروا على ظهوره ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(١١) ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾^(١٢) ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ إِلَّا سَمِيعٌ لِّكُفْرِهِمْ﴾^(١٣) ﴿أَمْ لِي أَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكَمُ بِالْبَٰئِئِينَ﴾^(١٤) ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ وَمُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(١٥) ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُوا فِي الْخَلْقِ وَالْجَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(١٦) ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾^(١٧) ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(١٨) ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمُ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾^(١٩) ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٢٠)

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفانا ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾ أحيينا ﴿بِهِ﴾ ببلدة ميتة كذالك^(١)؛ أي: مثل هذا الإحياء ﴿نُخْرِجُوتُ﴾ من قبوركم أحياء.

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ السِّنِينَ وَالْأَنْعَامَ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ خذف العائد اختصارا،

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا، ثم قال: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ . وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا... الحديث. مسلم - كتاب الحج (١٥) باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

(١) أي: إذا أعيد إلى الفلك، والمعنى: «وجعل لكم من الفلك ما تركبون».

(٢) أي: إذا أعيد إلى الأنعام، والمعنى: «وجعل لكم من الأنعام ما تركبونها».

(٣) أي: هما كلمتان حرفان، لا كلمة واحدة.

(٤) في نسخة القاضي كتمان: «الحججه».

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴿٢٣﴾
منعموها مثل قول قومك: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرٍ ﴿٢٣﴾ ملة ﴿وَرِئًا عَلَيَّ
عَآئِرِهِمْ مُفْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ متبعون.

[٢٤] ﴿فُلْ ﴿١﴾﴾ لهم: ﴿أَهْ﴾ تتبعون ذلك ﴿وَلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا
وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴿٢٤﴾ أنت ومن قبلك ﴿كُفْرُونَ ﴿٢٤﴾.

[٢٥] قال - تعالى - تحويفاً لهم: ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ أي: من المكذبين
للرسول قبلك ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٦] ﴿وَوَ﴾ اذكر ﴿وَرِئًا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴿٢٦﴾ وَمَوْجُوهَ إِنِّي بَرَاءٌ ﴿٢٦﴾ أي: بريء
﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿٢٧﴾﴾ خلقني ﴿فَإِنَّهُمْ سَاهُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يرشدني لدينه.

[٢٨] ﴿وَجَمَلَهَا ﴿٢٨﴾﴾ أي: كلمة التوحيد^(١) المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ
إِلَىٰ رَبِّي سَاهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيْبِهِ ﴿٢٨﴾﴾ ذريته، فلا يزال فيهم من
يوحيد الله ﴿لَعَلَّهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ أي: أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ عما هم عليه إلى دين
إبراهيم أبيهم.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ ﴿٢٩﴾﴾ المشركين ﴿وَأَبَاءَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ ولم أعجلهم
بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴿٢٩﴾﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾ مظهر لهم الأحكام
الشرعية، وهو محمد ﷺ.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴿٣٠﴾﴾ القرآن ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ ﴿٣٠﴾﴾ كُفْرُونَ ﴿٣٠﴾.

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا ﴿٣١﴾﴾ هلاً ﴿نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ
﴿الْقُرَيْبِينَ ﴿٣١﴾﴾ من أمة منهما ﴿عَظِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ أي: الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن
مسعود الثقفي بالطائف.

[٣٢] ﴿أَهْرَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿٣٢﴾﴾ النبوة ﴿عَنْ قَسَمَاتِ بَيْنَهُمْ مَّيْسَتَهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٢﴾﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾ بالغنى
﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمُ ﴿٣٢﴾﴾ الغني ﴿بَعْضًا ﴿٣٢﴾﴾ الفقير ﴿سُخْرِيًّا ﴿٣٢﴾﴾
مسخراً في العمل له بالأجرة، والياء للنسب، وقرئ^(٤) بكسر السين ﴿وَرَحِمَتْ
رَبِّكَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: الجنة^(٥) ﴿حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ في الدنيا.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿٣٣﴾﴾ على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴿٢٣﴾
﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿وَرِئًا عَلَيَّ
عَآئِرِهِمْ مُفْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿فُلْ ﴿١﴾﴾ لهم: ﴿أَهْ﴾ تتبعون ذلك ﴿وَلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا
وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴿٢٤﴾﴾ أنت ومن قبلك ﴿كُفْرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.
قال - تعالى - تحويفاً لهم: ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ أي: من المكذبين
للرسول قبلك ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾﴾. واذ قال إبراهيم لأبيه وقومه
﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ إلا الذي فطرنى فإنه وسهدين
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ بل
مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ ﴿٢٩﴾﴾ وءآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ﴿٢٩﴾
ولمَّا جاءهم الحق قالوا هذا سحر وءآباءهم كُفْرُونَ ﴿٣٠﴾ وقالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴿٣١﴾ أهر
يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليأخذ بعضهم
بعضاً سُخْرِيًّا ورحمت ربك خير مما يجمعون ﴿٣٢﴾ ولولا
أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
ليسوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ﴿٣٣﴾

يُكْفَرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُيُوِّبَهُمْ ﴿٣٣﴾ بدل من «لمن» ﴿سُقْفًا﴾ بفتح السين وسكون
القاف، وبضمها^(٦)؛ جمعاً ﴿مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجٍ ﴿٣٣﴾﴾ كالدرج من فضة
﴿عَلَيْهَا يَطَّهَّرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعلون إلى السطح.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿قَالَ﴾.

(٢) المراد بقوله: (وجعلنا) يحمل أن يكون الله ﷻ، ويحتمل أن يكون إبراهيم - عليه السلام -؛ قولان للمفسرين، ويدل على الثاني قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعَيْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَيَتَّقُونَ﴾ الآية.

(٣) الصافات: ٩٩. وقوله: «المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَاهُونَ﴾» لعلة سبق قلم، والصواب أن يقول: المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي نفسها.

(٦) بالإنفراد؛ بفتح السين وسكون القاف، قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضمها.

[٣٦] ﴿رَمَن يَعْشُ﴾ يعرض ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ﴾ أي: القرآن ﴿نَقِيضٌ﴾ نسب ﴿لَهُمْ سَيِّطَانًا فَهُوَ لَمْ يُقِرِّينَ﴾ لا يفارقه.

[٣٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿كَصِدْقَاتِهِمْ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ النَّبِيِّ﴾ أي: طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ في الجمع رعاية معنى «من».

[٣٨] ﴿حَقَّقَ إِذَا جَاءَنَا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ لَهُ﴾: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَيَسَّ الْقَرِينُ﴾ أنت لي.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿وَلَنْ يَفْعَلْكُمْ﴾ أي: العاشين، تَمَكُّمٌ وَتَدَكُّمٌ ﴿الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي: تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ علة بتقدير اللام؛ لعدم النفع، وإذ بدل من «اليوم».

[٤٠] ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّدَّ أَوْ تَهْدِي السَّمْعَ﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي صَلْبِ مُيَبِّبٌ ﴿بَيْنَ؟﴾ أي: فهم لا يؤمنون.

[٤١] ﴿فِيمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿نَدَّهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٢] ﴿أَوْ تُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿الَّذِي وَعَدْتَهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْنِهِمْ﴾ على عذابهم ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾ قادرون.

[٤٣] ﴿فَأَسْتَسِيكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّشَرِّ لِّلْكَ وَالْقَوْمِ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تَنْتَلُونَ﴾ عن القيام بحقه.

[٤٥] ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ قيل: هو على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين؛ لأن المراد من الأمر بالسؤال: التقرير لمشركي قريش، أنه لم يأت رسول من الله، ولا كتاب بعبادة غير الله.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُمْ بِهَا يَضْحَكُونَ﴾.

وَالْيَوْمِئِذِهِمْ أَنْزَلْنَا وَسُورًا عَلَيْهَا يُتَكَوَّنُ ﴿٣٦﴾ وَرُحْرُقًا وَإِن كَلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَنَّعَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ يَعْشُ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نَقِيضٌ لَهُ وَسَيِّطَانًا فَهُوَ لَمْ يُقِرِّينَ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ نَأَقَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسَّ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَفْعَلْكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّدَّ أَوْ تَهْدِي السَّمْعَ وَمَنْ كَانَتْ فِي صَلْبِ مُيَبِّبٌ ﴿٤٠﴾ فِيمَا نَدَّهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ تُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَسْتَسِيكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّكَ وَالْقَوْمِ وَسَوْفَ تَنْتَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ بِهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

[٣٤] ﴿وَالْيَوْمِئِذِهِمْ أَنْزَلْنَا﴾ من فضة ﴿و﴾ جعلنا لهم ﴿سُورًا﴾ من فضة، جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يُتَكَوَّنُ﴾.

[٣٥] ﴿وَرُحْرُقًا﴾ ذهبًا، المعنى: لولا خوفا الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيانه ذلك؛ لقلته خطر الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَإِن﴾ مخففة من التثنية ﴿كَلَّ ذَلِكَ﴾ [لَمَّا] بالتخفيف، ف«ما» زائدة، وبالتشديد (١) بمعنى «إلا» ﴿فَإِن﴾ نافية ﴿مَنَّعَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

(١) بالتخفيف قراءة السبعة عدا عاصم وحزمة، وهشام بخلاف عنه.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة، وقرا بقية السبعة: ﴿جَاءَنَا﴾.

﴿٤٨﴾ وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا يَا هَذَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَمَّا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْتَكِبُونَ ﴿٥١﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ أَفْخَارًا ﴿٥٢﴾ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٣﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٤﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ وَفَاطَا عُوهُ إِتْمَانًا مِّنْهُمْ فَاعْرِفْتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا أَلِهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُوَ قَوْمٌ خَصِيمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾

خَصِيمُونَ^(٥٨) شديداً الخصومة.

[٥٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: كالمثل لغرابته يستدل به على قدرة الله - تعالى - على ما يشاء.

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ بديكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ بأن نهلككم.

[٤٨] ﴿وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ﴾ من آيات العذاب؛ كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى حلوق الجالسين، سبعة أيام، والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قرينتها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر. [٤٩] ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى لما رأوا العذاب: ﴿يَا هَذَا السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل؛ لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَمَّا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْتَكِبُونَ﴾ ينقضون عهدهم، ويصرون على كفرهم.

[٥١] ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾ افخاراً ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟

[٥٢] ﴿أَمْ﴾ تبصرون، وحينئذ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾ أي: موسى ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يُظْهِرُ كَلَامَهُ لِلنَّغْتَةِ بِالْحِمْرَةِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا فِي صَغَرِهِ^(١).

[٥٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَلْقَى عَلَيْهِ﴾ إِنْ كَانَ صَادِقًا ﴿[أَسُورَةٌ]﴾ مِّنْ ذَهَبٍ ﴿جَمْعُ آسُورَةٍ﴾^(٢) كـ «أَغْرِبَةٌ»، جمع سوار، كعادتهم فيمن يسودونه، أَنْ يَلْبَسُوهُ آسُورَةً ذَهَبَ، وَيَطُوقُوهُ طَوْقَ ذَهَبٍ ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه.

[٥٤] ﴿فَاسْتَحَفَّ﴾ استغفر فرعون ﴿قَوْمَهُ فَاطَا عُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَيْقِينُ﴾.

[٥٥] ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرِفْتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا﴾ جمع سالف كخادم وخدم؛ أي: سابقين عبرة ﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ بعدهم، يمثّلون بحالهم، فلا يُقَدِّمُونَ على مثل أفعالهم.

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جُعِلَ ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْكُمْ مِّنْ قَوْمٍ يُشْرِكُونَ﴾؛ لأنه عُيِدَ من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْهُ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضحكون فرحاً بما سمعوا^(٣).

[٥٨] ﴿وَقَالُوا يَا أَلِهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: عيسى، فرضي أن تكون ألهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل ﴿لَكَ﴾ إِلَّا جَدَلًا ﴿خِصُومَةً بِالْبَاطِلِ﴾ لعلمهم أن «ما» لغير العاقل، فلا يتناول عيسى ﷺ ﴿بَلْ هُوَ قَوْمٌ

(٥٨) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج أحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لقرشي: «يا معشر قرشي، إنه ليس أحد بعد من دون الله فيه خير»، وقد علمت قرشي أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد، أنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً؟ فلئن كنت صادقاً؛ فإن ألهتهم لكما تقولون. قال: فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. أحمد - المسند (١ - ٣١٨)، وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٨٦/٥، ٨٧).

(٥٩) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُوَ قَوْمٌ خَصِيمُونَ﴾ الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٤) ومن سورة الزخرف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٣).

(١) سبق بيان ذلك في تفسير سورة «طه» آية (٢٧).

(٢) أي: جمع الجمع، وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿أَسُورَةٌ﴾.

(٣) الأنبياء: ٩٨.

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٣﴾ يبين العداوة.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فيبين لهم أمر الدين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى؛ أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بدل من الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئها قبله.

[٦٧] ﴿الْأَخْلَاقَ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء.

[٦٨] ويقال لهم: ﴿يَتَّبِعُوا لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[٦٩] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نعت لعبادي ﴿وَيَايُنُسَا﴾ القرآن ﴿وَكَاوُوا مُسْلِمِينَ﴾.

[٧٠] ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجِكُمْ﴾ زوجاتكم ﴿تُحْبَبُونَ﴾ تسرون وتكرمون، خير المبتدأ.

[٧١] ﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب؛ وهو: إناء لا عروة له، ليشرَب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ تَلذُّذًا﴾ وتلذذ الأعراب ﴿نظرا﴾ وأنتر فيها خلادوت.

[٧٢] ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا﴾ أي: بعضها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

وَأِنَّهُ وَلِعَلُّ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٥﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٦﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ ﴿٦٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ الْأَخْلَاقَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٧٠﴾ يَلْعَابِدِ لِأَخْوَفٍ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَبُونَ ﴿٧٣﴾ يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٥﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٦﴾

[٦١] ﴿وَأَيُّهُ﴾ أي: عيسى ﴿لِعَلَّمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: تشكركم فيها، حذف منه نون الرفع للجرم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿و﴾ قل لهم: ﴿اتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ﴾ يصرفكم عن دين الله ﴿الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تتعموا فلا تبسوا أبداً، فذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١) سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٨).

[٧٤] ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

[٧٥] ﴿لَا يُغْتَرَّ بِمَغْرَرٍ يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾ ساكنون سكوت يأس.

[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٧٧] ﴿وَنَادُوا بِبَنِيكَ﴾ هو خازن النار ﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليمتنا ﴿قَالَ﴾ بعد ألف سنة^(١): ﴿إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ مقبوضون في العذاب دائما.

[٧٨] قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِالْحَقِّ﴾ على لسان الرسول ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرْتُمْ الْبَحْثَ كَرِهْتُمْ﴾.

[٧٩] ﴿أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة، أحمكو ﴿أَمْ أَعْمَى﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَأَنَا مُؤْمِنُونَ﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم.

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ بِرَهُمْ وَنَجْزِيهِمْ﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بِكَلْبٍ﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُمُونَ﴾ ذلك.

[٨١] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ﴾ فرضا ﴿فَأَبْنَا أُولَ الْعَالَمِينَ﴾ للولد، لكن ثبت أن لا ولد له - تعالى - فانتفت عبادته.

[٨٢] ﴿سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ﴾ الكرسي^(٢) ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه.

[٨٣] ﴿فَذَرَهُمْ يَبْغُضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة.

[٨٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ هو ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإسقاط الأولى وتسهيلها كالباء^(٣)؛ أي: معبود ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمصالحهم.[٨٥] ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظم ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَالَّذِي يُرْجِعُونَ﴾ بالياء والتاء^(٤).

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: الكفار ﴿وَمِن دُونِهِ﴾ أي: من دون الله ﴿الشَّفَعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي: قال: لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْمَلُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين.

[٨٧] ﴿وَالَّذِينَ لَا مَقْصِدَ لَهُمْ إِلَّا سَعْيٌ مَبْغُوتٌ﴾ حذف منه نون الرفع وواو الضمير^(٥) ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن عبادة الله؟

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُغْتَرَّ عَنْهُمْ وَهُمْ

فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾

وَنَادُوا بِبَنِيكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْفُورُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ

جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ

فَأَنَا مُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ بِرَهُمْ وَنَجْزِيهِمْ بَلَى

وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ فَأَنَا أَوَّلُ

الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَبْغُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ

الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ

إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا

مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ رَبِّي رَبُّ آبِ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ

لَا يَوْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَأَلْتُمْ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾

[٨٨] ﴿وَقِيلَ﴾ أي: قول محمد النبي، ونصبه على المصدر بفعله المقدر^(٦)؛ أي: وقال: ﴿يَرْبِّي إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَوْمِنُونَ﴾.[٨٩] قال - تعالى -: ﴿فَأَصْفَحْ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَأَلْتُمْ﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٧)؛ تهديد لهم.

(١) وهذا مروى عن ابن عباس كما عند الحاكم وغيره وصححه، ولا حجة فيه لأنه إن صح عنه فقد خالفه غيره من الصحابة، وهو عبد الله بن عمرو، فروى عنه أنه - تعالى - يجيهم بعد أربعين سنة وكلاهما - رضي الله عنهما - معروف بالحدث عن بني إسرائيل؛ فالأولى ترك ذلك.

(٢) سبق التنبيه على أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه، وبدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقفة ملقاة في فلاة» الصحيحة (١٠٩).

(٣) سهل الأولى مع المد والقصر قالون والبري، وأسقطها مع القصر والمد أبو عمر، وسهل الثانية ورش وقنبل، ولورش وقتيل إبدالها ألفا مع القصر لتحرك ما بعدها، وحققها بقية السبعة.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير، وقرا بقية السبعة بالتاء.

(٥) حذف نون الرفع لنوالي التونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين.

(٦) أي: وقال: «قيل»، وهي قراءة السبعة عدا عاصم وحمزة، وقرا عاصم وحمزة: «وقيل»، بالجر عطفا على «الساعة»؛ قوله: «وعنده علم الساعة»؛ أي: ويعلم وقت قيامها، ويعلم وقت تضرعه وقيله.

(٧) بالتاء قراءة نافع وابن عامر، وقرا بقية السبعة بالياء.

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۝
 إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمَّا
 مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
 وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأُولِيَاءِ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝
 فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ
 هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝
 ۝ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ نُمِرُّ
 تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْحُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
 إِنْ كُنْتُمْ عَابِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝
 ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝
 ۝ أَنْ أَدَّوْا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ إِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ ۝

سورة الدخان

[مكية، إلا: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ الآية،

وهي: ست، أو سبع، أو: تسع وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمِّ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر الحلال من الحرام.

[٣] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان^(١)، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ مخوفين به.

[٤] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ أي: في ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان^(٢) ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم، من الأزواق والآجال وغيرهما، التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

[٥] ﴿أَمَّا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرسل؛ محمداً ومن قبله.

[٦] ﴿رَحْمَةً﴾ رافة بالمرسل إليهم ﴿وَرَبُّكَ رَبُّ السَّمِيعِ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمِ﴾ بأفعالهم.

[٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ برقع «رب» خير ثالث، وبجره^(٣) بدل من «ربك» ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تُوقِنِينَ﴾ بأنه - تعالى - رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله.

[٨] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقال: ﴿اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف﴾^(٤).

[٩] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاء بك يا محمد، فقال: ﴿اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف﴾^(٤).
 [١٠] قال - تعالى -: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فأجذبت الأرض، واشتد بهم الجوع، إلى أن رأوا من شدته كهيفة الدخان بين السماء والأرض.

[١١] ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ فقالوا: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون نبيك.

[١٣] قال - تعالى -: ﴿أَنْتَ اللَّهُمَّ الذِّكْرَى﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان^(٥) عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ بين الرسالة.

[١٤] ﴿نُمِرُّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْحُونٌ﴾ أي: يعلمه القرآن بشرٌ ﴿مَجْحُونٌ﴾.

[١٥] ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ أي: الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه.

[١٦] اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ منهم والبطش الأخذ بقوة^(٥).

[١٧] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بلونا ﴿فَبَلَّغَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ هو موسى الطليح ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله - تعالى -.

[١٨] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَدَّوْا إِلَيْكُمْ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان؛ أي: أظهِروا إيمانكم لي^(٦) يا ﴿عِبَادَ اللَّهِ إِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على ما أرسلت به.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠ - ١٦): أخرج البخاري عن عبد الله (ابن مسعود) قال: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم فحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيفة الدخان من الجهد، فأنزل الله: ﴿بَدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ قال: فأتى رسول الله ﷺ. فقل له: يا رسول الله، استسق الله لضر، فإنها قد هلكت. قال: «لمضر؟ إنك تجريء» فاستسقى فسقوا، فنزلت: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابهم الرفاهية، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ قال: يعني يوم بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥). سورة الدخان (٤٤) باب (٢).

(١) وهذا القول باطل مخالف لصريح القرآن كما قال العلامة أبو بكر بن العربي، والصحيح الذي عليه الجمهور أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وفيها ابتداء نزول القرآن.

(٢) وهذا القول ضعيف مردود كما سبق بيانه.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالجر.

(٤) البخاري (٤٨٠٩) ومسلم (٢٧٩٨) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً، واللفظ للبخاري.

(٥) الظاهر أن النفي هو استبعاد وقوع الإيمان منهم عند كشف العذاب أو انتفاعهم بما يحيق بهم من عذاب الدنيا، لأن حصول الإيمان منهم لا ينفعهم.

(٦) الأرجح والمشهور عند المفسرين أن المراد أرسلوا معي بني إسرائيل وأطلقوهم من العذاب، كما جاء في سورة الأعراف والشعراء.

[١٩] ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا لَمْ نَلْمَأْكُمُ﴾ تنجبروا ﴿عَلَىٰ اللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّي نَذِيرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ برهان ﴿مُنِيرٌ﴾ بين على رسالتي، فتوعده بالرجم. [٢٠] فقال: ﴿وَأِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي زَيْدًا أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ بالحجارة. [٢١] ﴿وَأَنْ لَّمْ تَقُولُوا لِي﴾ تصدقوني ﴿فَأَعْرَبُونِي﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه.

[٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿هَذِهِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ مشركون. [٢٣] فقال - تعالى -: ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الهمة ووصلها^(١) ﴿بِعِبَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لِيَلَا إِلَهُكُمْ مُنْتَبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه.

[٢٤] ﴿وَأَتَاكَ الْبَحْرُ﴾ إذا قطعت أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكنًا منفرجًا، حتى يدخله القبط ﴿إِيَّاهُمْ جُدًّا مُّتْرَفُونَ﴾ فاطمان بذلك فأغروا.

[٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتِي﴾ بساتين ﴿وَعُيُونِي﴾ بحري.

[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَابِرِ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن.

[٢٧] ﴿وَنَعْمَ﴾ متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَتَكِينٌ﴾ ناعمين.

[٢٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ أي: الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: أموالهم ﴿قَوْمًا مَّآخِرِينَ﴾ أي: بني إسرائيل.

[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء^(٢) ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين للتوبة.

[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء.

[٣١] ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ قيل بدل من «العذاب» بتقدير مضاف؛ أي: عذاب، وقيل: حال من «العذاب» ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْبٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَىٰ الْفَلَاحِ﴾ أي: عالمي زمانهم؛ أي: العقلاء.

[٣٣] ﴿وَوَدَّيْتَهُمْ مِنَ الْآلِيَّتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة، من فلق البحر والمثل والسلوى وغيرها.

[٣٤] ﴿إِنَّ هَذِهِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ [٣٥] ﴿إِنْ هِيَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ أي: وهم نطفت ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية.

[٣٦] ﴿فَأَنزَلْنَا بِآبَائِنَا﴾ أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنا نبعت بعد موتنا؛ أي: نحيا.

[٣٧] قال - تعالى -: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ﴾ هو نبي، أو رجل صالح^(٣)

وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِنِّي آتَيْكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تَقُولُوا لِي فَأَعْرَبُونِي ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ وَأَنَّ هَذِهِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لِيَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَتَكِينُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتَاكَ الْبَحْرُ رَهْوًا وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴿٢٤﴾ فَتَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٦﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْبٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ وَوَدَّيْتَهُمْ مِنَ الْآلِيَّتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّ هَذِهِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٣٠﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَنزَلْنَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ ﴿٣٤﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِيَّاهُمْ﴾ كانوا مجرمين.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ﴾ بخلق ذلك، حال.

[٣٩] ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: محققين في ذلك؛ لئلا يستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(١) بوصلها قراءة نافع وابن كثير، وفرأ بقية السبعة بقطع الهمة.

(٢) روي هذا عن ابن عباس وغيره كما أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤/٢٢ - ٣٦) وروي مرفوعاً عن أنس بن مالك عند الترمذي برقم (٣١٧٨) بلفظ: «ما من مؤمن إلا وله بابان؛ باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٥١٩٧).

(٣) الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين أنه ليس نبياً، وقومه هم «سبأ» وكانوا يستقون ملكهم «بجها» كما يسمى ملك الفرس «كسرى»، و«قصر» لمن ملك الروم، وقيل: إنه كان كافراً ثم أسلم وتابع دين موسى ﷺ، وكان ذلك قبل بعثة عيسى ﷺ.

[٤٥] ﴿كَالْمُهْلِ﴾ أي: كدردي الزيت الأسود، خبر ثانٍ ﴿تَغْلِي﴾ في الأبطون، بالفوقانية خبر ثالث، وبالفتحانية^(١) حال من «المهل».

[٤٦] ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ الماء الشديد الحرارة.

[٤٧] ﴿حُدُوهُ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾ بكسر التاء وضمها^(٢)؛ جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسط النار.

[٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ مِن عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿أَي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: ﴿يَصُبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٣).

[٤٩] ويقال له: ﴿ذُقْ﴾؛ أي: العذاب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ بزعمك، وقولك: ما بين جليلها أعز وأكرم مني^(٤).

[٥٠] ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَذَا الَّذِي ترون من العذاب﴾ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ فيه تشكرون.

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي مَقَابِرِ﴾ مجلس ﴿أَمِينٍ﴾ يؤمن فيه الخوف.

[٥٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَوُجُوهٍ﴾.

[٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رُقَّ من الدياج، وما غلظ منه ﴿مُنْفِئِينَ﴾ حال؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأبروة بهم.

[٥٤] ﴿كَذَلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر ﴿وَوَجَّعْنَاهُمْ﴾ من الترويح، أو قرناهم ﴿يَجُورِينَ﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها.

[٥٥] ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة، أن يأتوا ﴿يَكْفُلُ فَنَكْهَتُهُ﴾ منها ﴿أَمِينَاتٍ﴾ من انقطاعها، ومضرتها، ومن كل مخوف؛ حال.

[٥٦] ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَةَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها^(٥)، قال بعضهم: «إلا» بمعنى «بعد» ﴿وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿فَضَلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً، منصوب بـ«فضل» مقدراً ﴿وَمِن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَلَمَّا يَسَّرْنَاهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿يَلْسَانِكَ﴾ بلغتك، لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون.

[٥٩] ﴿فَارْتَقِبْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

إِنَّ يَوْمَ الْقَاصِلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُعْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٧﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴿٤٨﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٩﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٥٠﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٥١﴾ حُدُوهُ فَأَعْتَلَوْهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٥٣﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي ترون من العذاب ﴿٥٥﴾ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي مَقَابِرِ أَمِينٍ ﴿٥٧﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٨﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَفَلِّحِينَ ﴿٥٩﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٦٠﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهَةٍ آمِينٍ ﴿٦١﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَةَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦٢﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ فَلَمَّا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٦٥﴾

سورة النحل

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقَاصِلِ﴾ يوم القيامة، يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُعْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى﴾ بقرابة أو صداقة؛ أي: لا يدفع عنه ﴿شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمتعون منه، و«يوم» بدل من: «يوم الفصل».

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون؛ فإنه يشفع بعضهم لبعض ياذن الله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ هي من أخشب الشجر المرتبها، ينبتها الله - تعالى - في الجحيم.

[٤٤] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير.

(١) بالناء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

(٢) بالضم قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٣) الحج: ١٩.

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٠/٢٥) عن قتادة أن الآية نزلت في عدو الله أبي جهل، عندما قال ذلك للنبي ﷺ، وهو ضعيف لإرساله، كما في الاستيعاب (٢٠٢/٣).

(٥) أي: فالاستثناء منقطع، والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

سُورَةُ الْجَانَّةِ

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ الآية،
وهي: ست، أو: سبع وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمْدٌ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّالْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ يَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يَتُومِنُونَ ﴿٥﴾ وَإِلَّٰ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ
اللَّهِ تَتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ بَصُرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٧﴾ وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ آيَاتِنَا سَيِّئًا أَخَذْنَا هَارُونَ وَأُولِيئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٨﴾ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْحِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾
* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَاحُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا لِّقَنَانِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾

- [١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿نَزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.
[٣] ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَآيَاتٍ﴾ دالة على قدرة الله ووحديته. تعالى: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
[٤] ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم، من نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، إلى أن صار إنساناً ﴿وَفِي﴾ خلق ﴿مَّا يَبُذُّ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ هي ما يبدب على الأرض من الناس وغيرهم^(١) ﴿آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.
[٥] ﴿تِلْكَ﴾ في ﴿أَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ مطر؛ لأنه سبب الرزق ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ تغليبها، مرة جنوباً، ومرة شمالاً، وباردة وحارة ﴿آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُعْقِلُونَ﴾ الدليل فيؤمنون.
[٦] ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿اتلوا﴾ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَدَّدَ اللَّهُ﴾ أي: حديثه وهو القرآن ﴿وَمَا يُدِينُهُ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: لا يؤمنون، وفي قراءة^(٢) بالباء.
[٧] ﴿وَإِلَّٰ لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم.
[٨] ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿تَتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ بَصُرُ ثُمَّ يُبْصِرُ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.
[٩] ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ آيَاتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿سَيِّئًا أَخَذْنَا﴾ ﴿هَارُونَ﴾ ﴿أَيُّ﴾ مَهْرُورًا بها ﴿أُولِيئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة.
[١٠] ﴿مِن رَّجْحِ أَلِيمٍ﴾ أي: أمامهم؛ لأنهم^(٤) في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ﴾ ولا يُغْنِي عَنْهُمْ مَّا كَسَبُوا﴾ من المال والفعال ﴿شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ وَكَمَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

- [١١] ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابَتُونَ رَبَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِن رَّجْحِ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٍ﴾ مروع.
[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَاحُ﴾ السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ ياذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿.
[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها؛ أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِنَهُ﴾ حال؛ أي: سخرها كائنة منه - تعالى - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيؤمنون.

(١) هذه الآية كقولها: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ وَمَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ فلا يقتصر على كون بث الدواب في الأرض. راجع التعليق على الآية (٢٩) في سورة الشورى.

(٢) لخمرة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٣) بضم الزاي وبالهمز، وهي قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقراء حمزة: ﴿هَارُونَ﴾ بالهمز مع سكون الزاي، وقراء حفص: ﴿هَارُونَ﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا. كما تقدم في الأنبياء، آية

(٣٦)

(٤) في نسخة القاضي زيادة: «الآن» في هذا الموضع.

[١٥] ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَبَاهٍ﴾ أساء ﴿ثُمَّ لِيَّ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمسيء.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَالنَّبِيَّةَ﴾ لموسى وهارون منهم ﴿وَوَرَّفْنَا هُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ عالمي زمانهم العقلاء.

[١٧] ﴿وَأَنبَأْنَهُمْ بَيْنَتِ بَيْنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين، من الحلال والحرام، وبعثة محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في بعثته ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لبغي حدث بينهم حسداً له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدٌ عَلَى شَرِيحَةٍ﴾ طريقة ﴿وَمِنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة غير الله.

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنَوْا﴾ يدفَعُوا ﴿عَنكَ مِنْ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿سَيِّئًا وَرَاءَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٢٠] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَّيْرٌ لِلنَّاسِ﴾ معالم، يتصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ اكتسبوا

﴿السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سورة] ﴿خَيْرٌ﴾ خبر ﴿يَجْعَلُهُمْ وَمَمَاتِهِمْ﴾ مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من الكاف، والضميران للكفار؛ المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير

كالمؤمنين؟ أي: في رغد من العيش، مساوٍ لعيشهم في الدنيا؛ حيث قالوا للمؤمنين: لئن نبعثنا لَنُفْقَى من الخير مثل ما تعطون؟ قال تعالى على وفق

إنكاره بالهمزة: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب، بعملهم الصالحات في الدنيا؛ من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك،

و«ما» مصدرية؛ أي: بسن حكماً حكمهم هذا.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق»؛ ليدل على قدرته ووحديته ﴿وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من

المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمْ لَا يظَلُونُ﴾

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَبَاهٍ ثُمَّ لِيَرْجِعْهُنَّ إِلَى رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ وَوَرَّفْنَا هُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ وَوَضَّلْنَا هُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنبَأْنَهُمْ بَيْنَتِ بَيْنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنَوْا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا بَصَّيْرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٢﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يظَلْمُونَ ﴿٢٣﴾

[١٤] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ وقائه؛ أي: اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون ﴿١٥﴾ ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من العُقر للكفار أذاهم. (٢)

(١) لحمرة والكسائي وابن عامر.

(٢) أي المؤمنون؛ فيشبههم، ويمكن أن يكون المعنى: ليجزي الكافرين على أذاهم للمؤمنين. كما قال الطبري.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: «سواء» بالفتح، على الحال.

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ [٢٣] ﴿أَخْبَرَنِي﴾ أَخْبَرَنِي ﴿مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ مَا يَهْوَاهُ مِنْ حَجَرٍ بَعْدَ حَجَرٍ يَرَاهُ أَحْسَنَ ﴿وَأَسْأَلُهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِي﴾ مِنْهُ - تَعَالَى ؛ أَي: عَلِمًا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ قَبْلَ حَلْفِهِ ﴿وَوَحَّمَ عَلَى سَمْعِهِ﴾ فَلَمْ يَسْمَعْ الْهَدَى وَلَمْ يَعْزَلْهُ ﴿وَيَجْعَلُ عَلَى بَصَرِهِ عَشْنُونَ﴾ ظَلَمَةً، فَلَمْ يَبْصُرِ الْهَدَى، وَيَقْدِرُ هُنَا الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِدِرَأَيْتَ: «أَيَهْتَدِي؟» ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أَي: بَعْدَ إِضْلَالِهِ إِيَّاهُ؛ أَي: لَا يَهْتَدِي ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ تَتَعَطَّوْنَ؟ فِيهِ إِدْغَامٌ إِحْدَى الثَّانِيَيْنِ فِي الدَّالِ (١).

﴿٢٤﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أَي: مَنَكَرُوا الْبَيْتَ: ﴿مَا هِيَ﴾ أَي: الْحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ الَّتِي فِي «الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا» أَي: يَمُوتُ بَعْضٌ، وَيَحْيَا بَعْضٌ بِأَنْ يُولَدُوا ﴿وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا الْأَدْهَرُ﴾ أَي: مَرُورُ الزَّمَانِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ الْقَوْلِ ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ مَا ﴿هُمْ إِلَّا يَطْلُونُ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى الْبَيْتِ ﴿يَنْتَنُوا﴾ وَاضْحَابٌ؛ حَالٌ ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِمَا يَكْفِيكُمْ﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿أَنَا نُبْعَثُ﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ حِينَ كُنْتُمْ نَافِثًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أَحْيَاءَ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ﴾ شَكٍّ ﴿فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْقَائِلُونَ مَا ذَكَرَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يُبَدِّلُ مِنْهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفِذُ يَحْسَرَ الْمُسْتَطَلُونَ﴾ الْكَافِرُونَ؛ أَي: يَظْهَرُ خَسْرَانُهُمْ، بِأَنْ يَصِيرُوا إِلَى النَّارِ.

﴿٢٨﴾ ﴿وَرَبِّي كُلُّ أُمَّةٍ﴾ أَي: أَهْلُ دِينٍ ﴿حَائِيَةٌ﴾ عَلَى الرِّكْبِ، أَوْ: مُجْتَمِعَةٌ ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ كِتَابُ أَعْمَالِهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿الْيَوْمَ نُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَي: جَزَاءَهُ.

﴿٢٩﴾ ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ دِيْوَانُ الْحِفْظَةِ ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نَسَبْنَا وَنَحْفِظُ ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَمَّا الذُّرِّيَّةُ﴾ أَمْثَلُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رُحْمَتُهُمْ فِي رَحْمَتِي وَجَنَّتْ (٢) ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الَّذِي﴾ الْبَيْتُ الظَّاهِرُ.

﴿٣١﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ مَائِنِي﴾ الْقُرْآنِ ﴿تُنْتَلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تَكْبَرْتُمْ ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ كَافِرِينَ.

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِالْبَيْتِ ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ (٣) ﴿لَا رَيْبَ﴾ شَكٍّ ﴿فِيهَا فَلْتَمَّ مَا تَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ إِنْ ﴿مَا﴾ نَطَّنُ إِلَّا نَطَّنًا ﴿قَالَ الْمُرِيدُ: أَصْلُهُ: إِنْ نَحْنُ إِلَّا نَطْنُ نَطْنًا﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَقْبِقِينَ ﴿أَنَّهَا آتِيَةٌ.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الدال.

(٢) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، ورحمة الله ﷻ صفة له قائمة بذاته، ونبيها له - شيبخانة - على الوجه اللائق به.

(٣) بالنصب قراءة حمزة.

[٣٦] ﴿فَلِلَّهِ الْمُنْتَدَىٰ﴾ الوصف بالجميل، على وفاء وعده في المكذبين^(١) ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق ما ذكر، والعالم: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، و«رب» بدل.
[٣٧] ﴿وَالَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حال؛ أي: كائنه فيها ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم^(٢).

سورة الأحقاف

مكية، إلا: ﴿فَلْ أَرَبُّشَرِّ إِن كَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية، وإلا: ﴿فَأَصْبِرْ﴾ كما صرَّ أولوا العزير من الرسل ﴿الآية، وإلا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ الثلاث آيات، وهي: أربع، أو خمس وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.
[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خلقاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فئتهما يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عمَّا أُذِّبُوا ﴿خَوْفًا مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ مُعْرِضُونَ.
[٤] ﴿فَلْ أَرَبُّشَرِّ﴾ أخبروني ﴿مِمَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام، مفعول أول ﴿أُرْوِي﴾ أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بيان ﴿مَا﴾ ﴿أَمْ لَمْ يَشْرِكُوا﴾ مشاركة^(٥) ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مع الله، و«أم» بمعنى همزة الإنكار ﴿أَتَتُونِي يَكْتُمُونَ﴾ منزل ﴿مِن قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿أَوْ أَشْرَكُوا﴾ بقية ﴿بَرِّتْ عَلَيْهِمْ﴾ يؤثر عن الأولين، بصحة دعواكم في عبادة الأصنام، أنها تقربكم إلى الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.
[٥] ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿أَصْلٌ وَمَنْ يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ إِلَى بَوْرِ الْقِيَمَةِ ﴿وَهُمُ الْأَصْنَامُ﴾ لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَن دَعَائِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿عَقِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

وَبَدَّ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُولًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَالِمَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَالَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمَّ ﴿٣٣﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٣٤﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِّبُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣٥﴾ فَلْ أَرَبُّشَرِّ مِمَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرْوِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَتُونِي يَكْتُمُونَ قَبْلَ هَذَا أَوْ أَشْرَكُوا مِنْ عِندِ اللَّهِ كُفْرًا صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ أَصْلٌ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دَعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٣٧﴾

[٣٣] ﴿وَبَدَّ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا؛ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: العذاب.
[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ﴾ نترككم في النار ﴿كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: تركزتم العمل لِقائِهِ ﴿وَمَاؤْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين منه.
[٣٥] ﴿ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمُ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿هُزُولًا﴾^(١) ﴿وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول^(٢) ﴿فِيهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يُرضوا ربهم بالثوبة والطاعة؛ لأنها لا تنفع يومئذ.

(١) قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، كما تقدم في الآية (١١) من هذه السورة.
(٢) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي، وقراء بقية السبعة بالبناء للمفعول: ﴿يُخْرَجُونَ﴾.
(٣) أي إنه سبحانه يحسد على «العدل» وهو إدخاله الكافرين النار، كما يحسد على «الفضل» وهو إدخاله المؤمنين الجنة. واقتصر المصنف على الأول هنا دفعا لتوهم اقتصار الحمد على الفضل فقط.
(٤) أي: «العزير» في ملكه، «الحكيم» في صنعه. كما تقدم في أكثر من موضع.
(٥) في بعض النسخ المطبوعة: «مشارك»، وقال في حاشية الجمل تعليقا على ذلك: لو فسر الشرك بالشركة لكان أوضح، وفي السمين الحلي: والشرك: المشاركة.

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْنَاءَ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ بَعَادَةً عَابِدِيهِمْ﴾ كافرين جاحدين.

[٧] ﴿وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿ءَايْتُنَا﴾ القرآن ﴿يَسْتَجِيبُ﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يبين ظاهر.

[٨] ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل، وهزمة الإنكار ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ﴾ فَوْضًا ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرين على دفعه عني، إذا عذبنى الله ﴿هُوَ أَهْلًا بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَاٍ﴾ بدعيًا ﴿مِنَ الرَّسُولِ﴾ أي: أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبوني؟ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا^(١)؛ أأخرج من بلدي، أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي؛ أو تؤمّنون بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذّبين قبلكم؟ ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: القرآن ولا أبتدع من عندي شيئًا، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يبين الإنذار.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني، ماذا حالكم ﴿إِنْ كَانُ﴾ أي: القرآن ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هو عبدالله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي: عليه أنه من عند الله ﴿فَتَمَنَّ﴾ الشاهد ﴿وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط بما^(٢) عطف عليه: أستم ظالمين^(٣)؛ دل عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: في حقهم: ﴿لَوْ كَانُوا إِيمَانًا﴾ حَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ أي: القائلون ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿فَسَبِّحُوا هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَمَنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُوسَىٰ﴾ أي: التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به، حالان ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِإِسْرَائِيلَ عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في ﴿مُصَدِّقٌ﴾ ﴿يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من مشركي مكة ﴿وَو﴾ هو ﴿يُنشِئُ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِسَمْتِ الْقُرْآنِ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ فَمَا نَسْأَلُكَ بِهَذَا سِحْرٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ فَمَا نَسْأَلُكَ بِهَذَا سِحْرٍ مُّبِينٍ ﴿٩﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرَّسُولِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِن أَنُتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانُوا مِن عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ بِدَعْوَانِي لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانُوا إِيمَانًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ فَسَبِّحُوا هَذَا قُرْآنًا مَّكْرُومًا ﴿١٢﴾ قُلْ هُوَ الْقُرْآنُ الْعَرَبِيُّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَإِن كَانُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا سَأَلُوا آلَ مَرْيَمَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِذْ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ آلُكِ بِمِثْلِ حَالِكِ فَكَفَرْتُمْ عَلَيْكُمْ وَإِن كُنْتُمْ إِذْ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ آلُكِ بِمِثْلِ حَالِكِ فَكَفَرْتُمْ عَلَيْكُمْ وَإِن كُنْتُمْ إِذْ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ آلُكِ بِمِثْلِ حَالِكِ فَكَفَرْتُمْ عَلَيْكُمْ وَإِن كُنْتُمْ إِذْ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ آلُكِ بِمِثْلِ حَالِكِ فَكَفَرْتُمْ عَلَيْكُمْ

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١٤] ﴿أُولَئِكَ اصْطَبَّ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر؛ أي: يُجزون ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن عبد الله بن يوسف قال: سمعت مالكًا يحدث عن أبي النضر... عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ الآية. البخاري. كتاب مناقب الأنصار (٦٢) باب (١٩) مناقب عبدالله ابن سلام.

(١) قوله: ﴿في الدنيا﴾؛ هذا قول الحسن البصري وجماعة، وهذا القول - كما قال ابن كثير -: هو الذي عوّل عليه ابن جرير، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه. وعلى القول الآخر تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

(٢) أي: مع ما.

(٣) أي: محذوف تقديره: «أستم ظالمين».

وهو أكثر الأشدُّ ﴿قَالَ رَبِّ﴾ الخ، نزل في أبي بكر الصديق (١) لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من بعث النبي ﷺ آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزَعِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ بِعَمَلِكَ الْبَرِّ﴾ أَعَمَّتْ بها ﴿عَلَى وَعَلَى وَالِدَيْكَ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ فأعنت تسعة من المؤمنين (٢)، يُعَذِّبُونَ في الله ﴿وَأَصْلِحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فكلهم مؤمنون ﴿إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[١٦] ﴿أَوْلَيْتِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول، أبو بكر وغيره ﴿الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى حسن ﴿مِمَّا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ حال؛ أي: كاثنتين في جملتهم ﴿وَعَدَّ الصِّدِّيقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ (٤).

[١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ وفي قراءة بالإدغام (٥)؛ أريد به الجنس ﴿أَبِي﴾ بكسر الفاء وفتحها (٦)؛ بمعنى مصدره؛ أي: ننتا وبقبحا ﴿لَكُمْ﴾ أنضجر منكما ﴿أَعْدَانِي﴾ وفي قراءة (٧) بالإدغام ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ الْأُمُّ﴾ ومن قبلي ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهُ﴾ يسألانه العوذ برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَبِيكَ﴾ أي: هلاكك، بمعنى هلكت ﴿عَيْنِ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعَدَّ اللَّهُ حَتَّىٰ يَقُولَ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨) ﴿وَأَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ كَانُوا أَحْسَبِينَ﴾ (٩) في أمرهم قد خلت من قبليهم من الجن والإنس إنهم كانوا أحسبين (١٠).

[١٨] ﴿أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ حَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعباد ﴿فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾.

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَاتٍ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُؤْفِقَهُمُ﴾ أي: الله، وفي قراءة (١١) بالنون ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: جزاها ﴿وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ﴾ شيئاً، يُنْقِصُ للمؤمنين، ويزاد للكفار.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزة، وبهمزتين، وبهمزة ومدة (١٢)، وبهما وتسهيل الثانية (١٣) ﴿بِطِينَتِكُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَفْتَمُكُمْ﴾ تمتعتم ﴿بِهَا﴾ فأول يوم تجزون عذاب الهون ﴿أَي: الهوان﴾ بما كنتم تستكبرون ﴿تتكبرون﴾ ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وبما كنتم تفسئون بها، وتعذبون بها.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَوَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦﴾ وَأَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مِمَّا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدِّيقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمْ كَمَا أَنْعَدْتُمْنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهَ وَإِنَّكَ آتِيَةٌ مِنْ رَبِّكَ وَإِنَّكَ بِقَوْلِ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ وَأَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ كَانُوا أَحْسَبِينَ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٩﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ ظَلَمْتُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَفْتَمُكُمْ بِهَا فَاَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (١) وفي قراءة: ﴿إِحْسَانًا﴾ أي: أمرناه أن يحسن إليهما، فنصبت ﴿إِحْسَانًا﴾ على المصدر بفعله المقدر، ومثله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: على مشقة ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ستة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة الرضاع، وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّى﴾ غاية لجملة مقدره؛ أي: عاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامها،

(١) نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِحْسَانًا﴾.

(٢) يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٣٢٢) والسيوطي في الدر المنثور (٤٤٣/٧) عن عطاء بن ابن عباس، وعزاه السيوطي لابن مردويه. وذكر البغوي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب. وقيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص. وهو مذهب الضحاك. وقيل: إن الآية عامة، وهو قول الحسن. ولعل هذا هو الأقرب؛ فإن أبا تحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما لم يُسلم إلا بعد فتح مكة، وكان عمر أبي بكر وقتها تسعًا وخمسين سنة. والله أعلم.

(٣) هذا على اختيار المصنف أنها نزلت في أبي بكر، وسبق بيان أن الأقرب أنها عامة.

(٤) النوبة: ٧٢.

(٥) أي: إدغام لام ﴿قال﴾ مع إسكانها، وهو لام ولوالديه، وهو مذهب أبي عمرو في أحد الوجهين من روايتي الدروري والسيوطي جميعاً.

(٦) بالفتح من غير تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر من غير تنوين قراءة الباقرين عدا نافع وحفص، وقرأ نافع وحفص: ﴿أَفَّ﴾.

(٧) مع المد للشيء؛ ﴿أعنداني﴾، وهي قراءة سبعة لعشام.

(٨) لحمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٩) المناسب أن يقول: ﴿وبهمزتين محققين ومدة﴾.

(١٠) قرأ بهمزتين على الاستفهام ابن كثير وابن عامر، كل على أصله في التسهيل وعدمه، والإدخال وعدمه، وقرأ بقية السبعة: ﴿أذهبتهم﴾.

الإسلام ﴿وَالِىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أى: طريقه.

[٣١] ﴿يَقَوْمًا أٰجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ محمداً ﷺ إلى الإيمان ﴿وَأٰمِنُوا بِهِ﴾ يَغْفِرُ ﴿اللَّهُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أى: بعضها؛ لأن منها المظالم، ولا تُغفر إلا برضا أصحابها ﴿وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ آٰلِهِمْ﴾ مؤلم.

[٣٢] ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أى: لا يعجز الله بالهرب منه، فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ﴾ لمن لا يجيب ﴿وَمِنْ ذُنُوبِهِ﴾ أى: الله ﴿أُولَآئِكَ﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُولَآئِكَ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿فِي ضَلٰلٰتٍ مُّبِينٍ﴾ بين ظاهر.

[٣٣] ﴿أُولَآئِكَ يَرْوٰهُ﴾ يعلموا؛ أى: منكرو البعث ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْهُ سِتْرًا﴾ لم يَعْجِزْ عنه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ خبر «أن»، ويزيدُ الباء فيه؛ لأن الكلام في قوة^(٧): ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ﴾ ﴿عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتُ بَلَىٰ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن يعذبوا بها، يقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هٰذَا الَّذِى كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ بالتحقُّقِ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ قَالُوا قَدُوْنَا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ.

[٣٥] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُولَآءُ الْعَزْمِ﴾ ذرو الثبات والصبر على الشدائد ﴿وَمِنَ الرَّسُلِ﴾ قتلك فتكون ذا عزم، و«من» للبيان، فكلمهم ذوو عزم، وقيل: للتبعيض^(٨) فليس منهم آدم؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُمْ عَزْمًا﴾^(٩) ولا يونس؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَلَاحِ كَثُوْتٍ﴾^(١٠) ﴿وَلَا سَمْعِيلَ فَهْمٍ﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب؛ فإنه نازل لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة، لطلوه ﴿لَمْ يَلْتَمِسُوْا﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَّهَارٍ﴾، هذا القرآن ﴿يَلْبَغُ﴾ تليغ من الله إليكم ﴿فَهَلْ﴾ أى: لا ﴿يُنْهٰكُ﴾ عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الْفٰسِقُونَ﴾ أى: الكافرون.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا لِمَا قُضِيَ وَلَوُا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿١﴾ قَالُوا لَيْقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ آٰلِهِمْ ﴿٣﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَۡوَلِيَاءٌ أُولَآئِكَ فِي ضَلٰلٰتٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ أُولَآئِكَ يَرْوٰهُ أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْهُ سِتْرًا يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتُ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هٰذَا الَّذِى كَفَرْتُمْ بِهِ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَال فَدُوْنَا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَآءُ الْعَزْمِ مِنَ الرَّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغْ فَمَلَّ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفٰسِقُونَ ﴿٧﴾

نبذة مختصرة

[٢٩] ﴿و﴾ اذكر ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾ أمألتنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن «نصيبين»^(١) باليمن، أو جن «ينوى»^(٢)، وكانوا سبعة^(٣) أو تسعة^(٤)، وكان ﷺ يظن نخلة^(٥) يصلي بأصحابه الفجر. [رواه الشيخان]^(٦) ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا﴾ أى: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصَبُوا﴾ أصغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من قراءته ﴿وَلَوُا﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ﴾ مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهودًا وقد أسلموا. [٣٠] ﴿قَالُوا لَيْقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أى: تقدمه؛ كالطرواة ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾

(١) «نصيبين» ليست باليمن، وإنما هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، شمال العراق، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.

(٢) مدينة قديمة، منها نبي الله يونس بن متى، وهي اليوم أطلال وأثار على الضفة اليسرى لنهر دجلة، مقابل مدينة الموصل من جهة الشرق، والنهر بينهما.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن عباس (١٣٥/٢٢).

(٤) أخرجه الطبري عن زر بن حبیش (١٣٥/٢٢).

(٥) في أكثر النسخ التي بأيدينا من المطبوع؛ «نخل»، والمثبت من نسخة القاضي، وهو الصحيح كما في صحيح البخاري، و«نخلة» هي نخلة البمانية، وهو موضع في الطريق إلى الطائف. أما «نخل» فهو موضع في نجد على بعد ليثين من المدينة؛ حيث صلى صلاة الخوف.

(٦) البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس، وليس فيها أنها سبب لنزول هذه الآية.

(٧) قوله: «في قوة: «أليس الله بقادر؟»: جواب عما يقال: إن الباء لا تُراد إلا في خبر «ليس» و«ما»، كما قال ابن مالك: وبعد «ما» و«ليس» جر الباء الخبر.

(٨) قال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعدد أولي العزم على أقوال؛ وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم؛ محمد ﷺ. اهـ. وقيل: إن الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكماله؛ فكلمهم أصحاب عزم، ولكنهم متفاوتون في ذلك.

(٩) طه: ١١٥.

(١٠) القلم: ٤٨.

(١)

سورة القتال

[مدنية، إلا: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرَيْبٍ﴾ الآية، أو: مكة،

وهي ثمان، أو: تسع وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَصْحَابُ﴾ أصحاب ﴿أَعْمَالِهِمْ﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يسيرون لها في الآخرة ثواباً، ويجزؤون بها في الدنيا، من فضله - تعالى (٢) - .

[٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ قِبَلِ رَبِّهِمْ﴾ وهو القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كقَرَّ عَيْنَهُمْ ﴿غُفِرَ لَهُمْ﴾ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿حَالِهِمْ﴾ حالهم، فلا يعصونه.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال، وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَطِلَ﴾ الشيطان ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كذلك، أي: مثل ذلك البيان ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ بين أحوالهم؛ أي: فالكافر يحبط عمله، والمؤمن يغير له.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله؛ أي: فاضربوا رقابهم؛ أي: اقتلوهم، وعبر بضرب الرقاب؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَنُوا﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿وَشُدُّوا﴾ فأسسكوا عنهم وأسرهم، وشدوا ﴿الْوَتَانَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِذَا مِتَّ بَعْدَ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله؛ أي: تمثون عليهم، ياطلقتهم من غير شيء ﴿وَأَمَّا يَدَاؤُهُ﴾ فقادونهم بالمال، أو: أسرى مسلمين ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ لُرَبِّي﴾ أي: أهلها ﴿أُزُورَكُمْ﴾ أنقلها، من السلاح وغيره؛ بأن يسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنُنصِرَنَّ مِنْهُمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَكِنَّ﴾ أمركم به ﴿يَتَّبِعُوا بَعْضَكُمْ بَعْضِينَ﴾ منهم في القتال، فيصير من قتل منكم إلى الجنة، ومنهم إلى النار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ وفي قراءة (٣) ﴿قَاتَلُوا﴾، الآية، نزلت يوم أحد (١)، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فَنَزَلَ اللَّهُ فَتَرَى بَعْضُكُمْ يَحِبُّهُمُ﴾ أَعْمَالَهُمْ .

[٥] ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة، إلى ما ينفعهم ﴿وَيُضِلُّهُمُ﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يقتل، وأدرجوا في «قتلوا» تعلقياً.

[٦] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا﴾ يَتَّبِعُهُمُ ﴿لَهُمْ﴾ فينتدون إلى مساكنهم منها، وأزواجهم وخدمهم، من غير امتدال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلًا أَعْمَلَهُمْ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ قِبَلِ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بِالْهَمِّ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۗ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَنُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فَإِنَّمَا مَتَابَعُودٌ وَإِنَّمَا فَتْنَةٌ لِقُرْبٍ أَوْ زَارَهَا ۗ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْخَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنَّ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَعْضُهُمْ أَلْفِتًا ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۗ سَيَهْدِيَهُمْ اللَّهُ بِصُلْحٍ بِالْهَمِّ ۗ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ءَامَنُوا إِن تَضَرَّوْا اللَّهُ يَضُرَّكُمْ وَإِن تَصُرُّوْا لَهُ يَشُرَّكُمْ وَإِن تَعْلَمُوْا أَنَّكُمْ مَأْمُونُونَ مِنْهُ فَكُلُوا وَشَرُّوا فَغَسَّ اللَّهُ أَصْلَابَهُمْ وَأَصْلًا أَعْمَلَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهُمْ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۗ

[٧] ﴿يَتَّبِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إن نُصِرُوا اللَّهُ ﴿أَي:﴾ دينه ورسوله ﴿يَضْرِبُكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُؤْتِيَتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ يبتكم في المعترك.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره: «تبعوا» (٢)، يدل عليه: ﴿فَغَسَّ اللَّهُ﴾ أي: هلاكاً وخيبة من الله ﴿وَأَصْلًا أَعْمَلَهُمْ﴾ عطف على «تبعوا».

[٩] ﴿ذَلِكَ﴾ أي العس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

[١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿أَهْلَكَ أَنفُسَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهُمْ ﴿أَي:﴾ أمثال عاقبة ما قبلهم.

[١١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نصر المؤمنين، وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى﴾ ولي وناصر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.

(١) وتسمى أيضاً: سورة «محمد» ﷺ.

(٢) كما في حديث أنس عند مسلم وغيره مرفوعاً: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيقطع بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها». مسلم (٢٨٠٨).

(٣) للسيمة عدا حفص وأبي عمرو.

(٤) هذا قول ابن جريج؛ كما في الدر المنثور (٤٦١/٧)، ونسبه لابن المنذر، ونسبه الغوري لقتادة، وسنده ضعيف لإعضاله كما في الاستيعاب (٢١٨/٣).

(٥) أي: تقديراً: «تبعوا».

في عبادة الأوثان؛ أي: لا مائلة بينهما.

[١٥] ﴿مَثَلٌ﴾ أي: صفة ﴿الْحَيَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخلها، مبتدأ خبره: ﴿فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ عَيْنٍ﴾ بالمد والقصر^(١)؛ كضارب وخدر؛ أي: غير متغير، بخلاف ماء الدنيا، فيغير بعارض^(٢) ﴿وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْتَهَرَ طَعْمُهُ﴾ بخلاف لبن الدنيا، لخروجه من الضروع ﴿وَأَنْهَرٌ مِنْ حَمْرٍ لَذِقٌ﴾ لذينة ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مَصْفَى﴾ بخلاف عسل الدنيا؛ فإنه يخرج من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَلَمْ يَهَيَّأْ فِيهَا﴾ أصناف ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهو راض عنهم، مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساعطاً عليهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: آمن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّعَ أَعْمَاءَهُمْ﴾ أي: مصارينهم فخرجت من أديبارهم، وهو جمع مقي بالقصر، وألفه عن ياء؛ لقولهم: ميعان^(٣).

[١٦] ﴿وَمَنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَيْلُ﴾ لعلماء الصحابة، منهم: ابن مسعود، وابن عباس^(٤)، استهزاء وسخرية: ﴿مَاذَا قَالَ مَايُقَا﴾ بالمد والقصر^(٥)؛ أي: الساعة؛ أي: لا نرجع إليه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَمِعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَأَنْبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في النفاق.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمُ﴾ الله ﴿هُدًى وَآلَتَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ألهمهم ما يتقون به النار.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينظرون؛ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أن تأتيهم ﴿بَدَلِ اسْتِمَالِ﴾ من «الساعة» أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بِعَثَّةٍ﴾ فجأة ﴿فَقَدَّ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان.

﴿فَأَنْ لَمْ إِذَا جَاءَهُمْ﴾ الساعة ﴿ذَكَرْتَهُمْ﴾ تذكرهم؛ أي: لا ينفعهم.

[١٩] ﴿فَاعَلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: ذم يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصمته؛ لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»^(٦) ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَأَلَّهُ يَعْلَمُ مَقَالِكُمْ﴾ منصرفكم لأشغالكم في النهار ﴿وَمَثُورِكُمْ﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل؛ أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فأحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَانَ مِنْ قَرِيْبِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَ عَنْهَا فَلَا تَأْمُرُ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْحَيَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ عَيْنٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْتَهَرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ حَمْرٍ لَذِيْعٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مَصْفًى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَعْمَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ إِيضًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَمِعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآلَتَهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْبَأَهُمْ وَإِذَا جَاءَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُورَكُمْ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ يَتَنَبَّهُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ أي: ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ منزل ومقام ومصير.

[١٣] ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيْبِهِ﴾ وكم ﴿مِنْ قَرِيْبِهِ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبِكَ﴾ مكة؛ أي: أهلها ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ روعي لفظ «قرية» ﴿أَهْلَكَ عَنْهَا﴾ روعي معنى «قرية» الأولى ﴿فَلَا تَأْمُرُ لَهُمْ﴾ من إهلاكنا.

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ حجة وبرهان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ فراه حسناً، وهم كفار مكة ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

(١) بالقصر أي «أعين»، قراءة ابن كثير.

(٢) في نسخة القاضي: «لعارض».

(٣) أي في تنبيهه.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره؛ قال ابن عباس: كنت ممن يسأل. وروي عن ابن عباس: يريد عبد الله بن مسعود. وقيل غير ذلك، وقال ابن زيد: إنهم الصحابة.

(٥) بالقصر أي «أنفأ» قراءة البرقي بخلاف عنه.

(٦) أخرج نحوه مسلم (٢٧٠٢) عن الأغر بن يسار مرفوعاً.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ طلبنا للجهاد: ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿نَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ أي: لم ينسخ منها شيء ﴿وَوَدَّكَ فِيهَا الْفِتْنَالُ﴾ أي: طلبه ﴿نَزَلَتْ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكرهه له؛ أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ مبتدأ، خبره: [٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وجملة «لو» جواب «إذا».

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين وفتحها^(١)، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب؛ أي: لعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية، من البغي والقتال^(٢).

[٢٣] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعَمَّتْ أَبْصَارَهُمْ﴾^(٣) عن طريق الهدى.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَى قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَفْقَالُهَا﴾ فلا يفهمونه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا﴾ باللفاق ﴿عَلَىٰ آذَنِيهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَلْهُدَىٰ الشَّيْطَانِ سَوَّلَ﴾ أي: زين ﴿لَهُمْ﴾ [وَأَمْلَى] لَهُمْ بضم أوله ويفتحه واللام^(٤)، والممالي الشيطان يارادته - تعالى -، فهو المضل لهم.

[٢٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي: للمشركين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتبسيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سبواً، فأظهره الله - تعالى - ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة جمع «سيرة»، وبكسرهما^(٥): مصدر.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ بِصُرُوتٍ﴾ حال من «الملائكة» ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع من حديد؟.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا آيَاتُ الَّذِينَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿١١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّتْ أَبْصَارَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا وَعَدَّلُوا بِصُرُوتِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانِ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿١٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ بِصُرُوتٍ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارِهِمْ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ وَفَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿١٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْحَابَهُمْ ﴿١٩﴾

أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي: العمل بما يرضيه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْحَابَهُمْ﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين؟.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطعية. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك.» ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّتْ أَبْصَارَهُمْ﴾ ﴿١٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾.» مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (٦) صلة الرحم وتحريم قطعيتها.

(١) بالكسر قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بفتح السين.

(٢) في نسخة القاضي: «القتل».

(٣) بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَمْلَى﴾ بفتح أوله واللام.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره، بالياء والنون^(١) في الأفعال الثلاثة^(٢).

[٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَسَأَقُوا الرَّسُولَ﴾ خالفوه ﴿وَمِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾ يطلها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر^(٣) أو: في قريظة والنضير^(٤).

[٣٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾ بالمعاصي^(٥) مثلاً.

[٣٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريقه، وهو الهدى ﴿لَمْ يَمَأُوا وَمَمَّ كَفَرًا﴾ فلن يعفر الله لهم، نزلت في أصحاب القليب^(٦).

[٣٥] ﴿فَلَا تَهْتُوا﴾ تضعفوا ﴿وَدَعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ بفتح السين وكسرها^(٧)؛ أي: الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ حذف منه واو لام الفعل: الأعلون القاهرون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر^(٨) ﴿وَلَنْ يَرْكَبَكُمْ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: ثوابها.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَيْسَ وَكُفُوهٌ وَإِنْ تَوَيْسُوا﴾ وتفقوا، الله وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبْخُلُوا﴾ وتخرج البخل ﴿أَصْنَعْنَا لَكُمْ﴾ لدين الإسلام.

[٣٨] ﴿هَاتُوا﴾ يا هؤلاء تدعوا لتشفقوا في سبيل الله، ما فرض عليكم ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ﴾ يقال: يبخل عليه وعنه ﴿وَاللَّهُ الْعَلِيُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه ﴿وَإِنْ تَنَزَّلُوا﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يجعلهم بدلکم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّتًا لَكُمْ﴾ في التولي عن طاعته، بل مطيعين له ^(٩).

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ هُمْ فَاعْرِفْتُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُوتُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَتَبْلُوتُوا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَسَأَقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأُوا وَهُمْ كُفَرًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْتُوا وَتَدَعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ هَا فِي حِفْظِكُمْ تَبْخُلُوا وَتُخْرِجُ أَصْعَابَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَاتُوا هَاتُوا هَاتُوا تَدْعُونَ لِيَتَفَقَّهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْعَلِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَسَوَّلُوا يُسْتَبَدَّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّتًا لَكُمْ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ﴾ عرفناكم، وكررت اللام في: ﴿لَتَعْرِفَنَّهُمْ بِسِمَتِهِمْ﴾ علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَتَبْلُوتُنَّكُمْ﴾ نخبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَتَبْلُوتُوا أَخْبَارَكُمْ﴾

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَنَزَّلُوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّتًا لَكُمْ﴾ قالوا: ومن يستبدل لنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال: «هذا وقومه، هذا وقومه». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٧) ومن سورة محمد، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٨).

(١) بالياء قراءة شعبة في الأفعال الثلاثة: أي: «ليلونكم»، و«يعلم»، و«يلو»، وقرأ بقية السبعة في الأفعال الثلاثة، بالنون.

(٢) في نسخة: «في ثلاثتها»، والأفعال الثلاثة هي: «ليلونكم»، و«تعلم»، و«يلو»، من هذه الآية.

(٣) هذا قول ابن عباس، كما في تفسير البغوي، أي الذين أطعموا قراء أهل مكة، الذين خرجوا لقتال المسلمين فيها.

(٤) ذكره الواحدي كما في زاد المسير.

(٥) ليست كل معصية مظنة للأعمال الصالحة، بل منها ما يبطلها جميعاً؛ كالردة، ومنها ما يبطل بعضها؛ كإرباب في أصل العمل، ومنها ما لا يبطل شيئاً.

(٦) «القليب»: هو بدر في «بدر»، ألقى فيه قتلى الكفار في معركة بدر. وظاهر الآية العموم وإن كان السبب خاصاً، كما قال الشوكاني في فتح القدير.

(٧) بالكسر قراءة شعبة وحزمة.

(٨) وهذا من لوازم معيته. شجائته. الخاصة بعباده المؤمنين، وحقيقتها الصحة اللائقة، ولا تنافي بينها وبين كونه مستوراً على عرشه بائناً من خلقه؛ فكلاهما حق.

سُورَةُ الْفَتْحِ

[مدنية، تسع وعشرون آية،

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة^(١) وغيرها، في المستقبل غنوة بجهادك ﴿فَتَمَّا بَيْنَنَا﴾ بيننا ظاهراً. [٢] ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ﴾ وما تأخر، منه؛ لترغب أمثلك في الجهاد، وهو مؤول؛ لعصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدحها مسبب لا سبب^(٢) ﴿وَيُنِذِرَ﴾ بالفتح المذكور ﴿بِقِسْمَتِهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ﴾ به ﴿صِرَاطًا﴾ طريقاً ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يبتك عليه، وهو دين الإسلام. [٣] ﴿وَيُضِرِّكَ اللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ ذا عز لا ذل له. [٤] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ بشرائع الدين، كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٥] ﴿لِيُخَلِّطَ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أمر بالجهاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا^(٣). [٦] ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِنَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ بِاللَّهِ طَرَبَ السَّوَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بِفَتْحِ السَّوَاءِ وَضَمِّهَا فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ^(٤)؛ ظنوا أنه لا ينصر محمداً ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ﴾ بالذلل والعذاب ﴿وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَتَمَهُمْ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعاً. [٧] ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا^(٥) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَفِّرُوهُ وَتَشْتَخِذُوهُ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا^(٦).

(٥٠) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: نكلت أم عمر عمر، تزوت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يزل في القرآن، فما نشيت أن سمعت صارتاً يصرخ بي. فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجيئت رسول الله ﷺ نسلمت عليه فقال: «لقد أنزل عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفتح (٤٨) باب (١).

وأخرج أيضاً عن سهل بن حنيف قال: أنها الناس اتهموا أنفسهم، فإنا كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر ابن الخطاب فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتلانا في الجنة وقاتلهم في النار؟ قال: «بلى». قال: فعلام تعطي الدنيا في ديننا؟ أترجع ولا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيغي الله أبداً، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيغيه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم». البخاري - كتاب الجزية والموادعة (٥٨) باب (١٨).

وأخرج أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قال: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً... حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي وقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوز المطافل، قد ليسوا جلود النور يهادنون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً... فأتاه سهل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»... حتى إذا كان بين يدي مكة والمدينة في وسط الطريق، فنزلت سورة الفتح. أحمد في مسنده (٢٢٦/٤). وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: لما انصرفنا من غزوة الحديبية، قال رسول الله ﷺ: «من يحرسنا الليلة؟» قال عبد الله: أنا... ونزلت على رسول الله ﷺ سورة الفتح. أحمد - المسند (٣٩١/١)، (٤٦٤)، وقال أحمد شاكر: (إسناده صحيح (٣٧١٠).

(٥١) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: نزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت عليّ آية أحب إليّ مما على الأرض» ثم قرأها النبي ﷺ عليهم. فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، قد بنى الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُخَلِّطَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حتى بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٩) ومن سورة الفتح، وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٠١).

(١) الراجح أن المراد بالفتح هنا هو صلح الحديبية.

(٢) قال أبو السعود في تفسيره ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾: «غاية للفتح، من حيث إنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في إغلاء كلمة الله - تعالى -، بمكابدة مشاق الحروب، واقتحام موارد الخطوب. ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى. وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل».

(٣) هنا سبق قلم من المصنف رحمه الله، فهذه الآية، والموضع الثاني في الآية (١٢) من هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَوظنتم ظن السوء﴾ ليس فيها إلا فتح السين باتفاق القراء، وليس فيها ضمها باتفاقهم. وأما الضم والفتح؛ ففي قوله تعالى: ﴿عليهم دائرة السوء﴾ فقط؛ بفتح السين وضمها، والضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هو نحو ﴿مَنْ طَبَعَ الرَّسُولَ فَقَدْ طَبَعَ اللَّهَ﴾^(٣) ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ التي بايعوا بها النبي؛ أي: هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها^(٤) ﴿فَمَنْ تَكَبَّ﴾ نقض البيعة ﴿فَأَمَّا يَنْتَكِبُ﴾ يرجع وبال نقضه ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ﴾ بالياء والنون^(٥) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة؛ أي: الذين خلفهم الله عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفاً من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها: ﴿سَخَّطْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَأَسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله، من ترك الخروج معك، قال - تعالى - مكذبا لهم: ﴿يَقُولُونَ بِاللَّيْسِيَّةِ﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿فَلَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ بفتح الضاد وضمها^(٦) ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[١٢] ﴿بَلْ﴾ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ وَوَرَّيْتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: أنهم يُستأصلون بالقتل، فلا يرجعون ﴿وَلظننتم ظن السوء﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ جمع بائر؛ أي: هالكين عند الله بهذا الظن.

[١٣] ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ نازا شديدة.

[١٤] ﴿وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بما ذكر.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون: ﴿إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَكَانٍ﴾ هي معانم خيبر ﴿لِنَأْخُذْهَا ذُرُوبًا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لناخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن يَسِّرَلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وفي قراءة^(٧): ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ بكسر اللام؛ أي: مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُلْ لَنْ تَسْبِعُونَنَا﴾ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَبَّ فَإِنَّمَا يَنْتَكِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَخَّطْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِاللَّيْسِيَّةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَبَّيْنَا ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَعَانِمِ لِنَأْخُذْهَا ذُرُوبًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَسْبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا

[٨] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على أمتك في القيامة ﴿وَمُشِيرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا، مُحَوِّفًا فيها مَنْ عمل سوءًا بالنار.
[٩] ﴿الْيَوْمُوتُوا﴾ يَأْتِيَهُمْ وَرَسُولِي﴾ بالياء والتاء^(١)، فيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَيُغْرَزُوه﴾ ينصروه، وقرئ^(٢) برلين مع الفوقانية ﴿وَيُؤْفِقُوه﴾ يعظموه، وضميرها لله أو لرسوله ﴿وَيُسَبِّحُوه﴾ أي: الله ﴿بِحَمْدِهِ وَأَصِيلًا﴾ بالغداة والعشي.

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٢) أي شذوذاً.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) وهذا تفسير باللام، ولا يمنع ذلك من إثبات اليد حقيقة لله ﴿يَقْبَلُ﴾ على ما يليق به، كما هو مذهب أهل السنة.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) لحمزة والكسائي.

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّونَ إِلَى قَوْمِ أَبِي بَاسٍ شَدِيدٍ
تَقْبَلُونَهُمْ أَوْ يُسَامُونِ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يَعِذُّكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعِذُّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ
مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَذَى لَمْ يَجِدُوا وَلِيًّا وَلَا نُصِيرًا ﴿٢٢﴾ سَنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الكافرين ونصر المؤمنين؛ أي: سن الله ذلك سنة ﴿التي قد خلت من قبل﴾ ولن
يجد لسنة الله تبديلاً منه.

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ المذكورين؛ اختصاراً: ﴿سُدُّونَ إِلَى قَوْمِ أَبِي بَاسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب ﴿أَبِي بَاسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل: هم بنو خنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم ﴿تَقْبَلُونَهُمْ﴾ حال مقدرة، هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسَامُونُ﴾ فلا تقاتلون ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يَعِذُّكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٧] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ في ترك الجهاد ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالباء والنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعِذُّهُ﴾ بالباء والنون ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحدبية ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يباجزوا قريباً وأن لا يفروا من الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، بعد انصرافهم من الحدبية.

[١٩] ﴿وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٠] ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود، فغذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي: المعجزة، عطف على مقدر؛ أي: لتشكروه ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: طريق التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه - تعالى ..

[٢١] ﴿وَأَنْتَرُونَ﴾ صفة «مغامم» مقدراً، مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ هي من فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٢] ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحدبية ﴿لَوْلُوا الْأَذَى لَمْ يَجِدُوا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ بحرسهم ﴿وَلَا نُصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سَنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لمضمون الجملة قبله، من هزيمة

(١) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ
 بَعْدَ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٤﴾
 هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَالْهَدَىٰ مَعَكُمُوهَا وَأَنْ يُبَلِّغَ مَجَلَّةً وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَرِيسَاءُ
 مُّؤْمِنَةٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُنَّ أَنْ تَطَّوَّهُنَّ فَصَّيْبِكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرَةٌ
 يَغَيِّرُ عِلْمًا يَدْخُلُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
 عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ
 وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٦﴾
 لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
 الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَاهِلِينَ مُحْلِقِينَ رِءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
 لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
 فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
 الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٨﴾

[٢٤] ﴿هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾
 بالحدبية ﴿وَبِنَ بَعْدَ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم؛
 ليصيبوا منكم فأخذوا وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلق سيبلهم،
 فكان ذلك سبب الصلح^(١) ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بصيركم بالياء والفاء^(٢)؛
 أي لم يزل متصفاً بذلك. [٢٥] ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَالْهُدَىٰ﴾ معطوف على «كم»^(٣)

﴿مَعَكُمُوهَا﴾ محبوبوا حال ﴿أَنْ يَبَلِّغَ مَجَلَّةً﴾ أي: مكانه الذي ينحر فيه عادة،
 وهو الحرم، بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَرِيسَاءُ مُّؤْمِنَةٌ﴾ موجودون
 بمكة مع الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُنَّ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَنْ تَطَّوَّهُنَّ﴾ أي: تقتلوهن
 مع الكفار، لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من «هم» ﴿فَصَّيْبِكُمْ مِنْهُنَّ
 مَعْرَةٌ﴾ أي: إثم ﴿يَغَيِّرُ عِلْمًا﴾ منكم به، وضمان الغيبة للصنفين بتغليب
 الذكور، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف؛ أي: لأذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن
 فيه حينئذ ﴿لَيَدْخُلَنَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوْ
 تَزَيَّلُوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة
 حينئذ، بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بـ«عَذَّبْنَا» ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿فِي
 قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ بدل من «الحمية»،
 وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ
 رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم
 من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقالوهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي: المؤمنين
 ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى؛
 لأنها سببها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف
 تفسيري ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن
 معلومه - تعالى - أنهم أهلها. [٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾
 رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو
 وأصحابه، آمنين ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما
 خرجوا معه وصددهم الكفار بالحدبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض
 المنافقين نزلت، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«صَدَقَ»، أو حال من
 ﴿الرُّؤْيَا﴾ وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾
 للبرك ﴿ءَاهِلِينَ مُحْلِقِينَ رِءُوسَكُمْ﴾ أي: جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض
 شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبداً ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح
 ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلح ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخول
 ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، وتحقق الرُّؤْيَا في العام القابل.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي:
 دين الحق ﴿عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾
 أنك مرسل بما ذكر.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج مسلم عن أنس ﷺ أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً
 فاستحياهم، فأمر الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٦) (وهو الذي كفف أيديهم عنكم).

وأخرج مسلم أيضاً عن سلمة بن الأكوع قال: ... فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واخلط بعضنا بعضاً، أتيت شجرة دكسخت^(١) أي كنسخت شوكتها فاضطجعت في أصلها. قال: فأتاني أربعة
 من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك؛ إذ نادى مناد: يا للهاجرين؛ قتل ابن
 زينب. قال: فاحترطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضيقاً [خزماً] في يدي. قال: ثم قلت: والذي كرم وجهه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه،
 إلا ضربت الذي فيه عيابه. قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دعهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه، فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأمر الله: ﴿هُوَ الَّذِي
 كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ الآية. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٥) غزوة ذي قرد وغيرها.

وأخرج البخاري عن المنصور بن مخزوم ومروان في حديث طويل، وفيه قصة أبي بصير وتربصه ومن أوى إليه من المسلمين حتى لا يردهم المسلمون إلى قريش - كما في شروط صلح الحديبية -
 وقطعهم الطريق على قوافل قريش وغيرها - فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لئلا أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأمر الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ
 عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾... الآية. البخاري - كتاب الشروط (٥٤) باب (١٥) الشروط في الجهاد. قال الحافظ: ووظاهره أنها نزلت في شأن أبي بصير. وفيه نظر. والمشهور في سبب نزولها ما
 أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ومن حديث أنس بن مالكه الفتح (٤١٤/٥).

(٢) أي: الضمير في (صدوكم)، والمعنى منعكم ومنعوا الهدى.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

[٢٩] كما قال الله - تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبره ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أصحابه من المؤمنين، مبتدأ، خبره: ﴿أَشِدَّاءُ﴾ غلاظ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿وَحِمَاءٌ يَنْهَمُّ﴾ خبر ثان؛ أي: متعاطفون متوادون، كالوالد مع الولد ﴿زَيْنَهُمْ﴾ تصبرهم ﴿رُكْمًا سَجْدًا﴾ حالان ﴿يَنْتَوُونَ﴾ مستأنف يطلبون ﴿فَسَلَا مِنَّ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم، مبتدأ ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾ خبره، وهو نور وياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا^(١) ﴿مِنَ أَمْرِ السُّجُودِ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر؛ أي: كائنه، وأغرب حالاً من ضميره المنتقل إلى الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم، مبتدأ ﴿فِي التَّوْبَةِ﴾ خبره ﴿وَمَتَلَعُ فِي الْإِنجِيلِ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿كَرَجَ أَخْرَجَ سَطْرَهُ﴾ بسكون الطاء وفتحها^(٢)؛ فراحه^(٣) ﴿فَأَرَزَهُ﴾ بالمد والقصر^(٤)؛ قواه وأعانه ﴿فَأَسْتَعْلَفَ﴾ غلظ ﴿فَأَسْتَوَى﴾ قوي واستقام ﴿عَلَى سُوْقَيْهِ﴾ أصوله، جمع ساق ﴿يَعِجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: زراعه؛ لحسنه، مثل الصحابة - رضي الله عنهم - بذلك؛ لأنهم بدأوا في قلة وضعف، فكثروا وقووا على أحسن الوجوه ﴿يَعِظُ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(٥) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله؛ أي: شبهوا بذلك ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ الصحابة، و«من» لبيان الجنس لا للتبعض؛ لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ والجنة، وهما^(٦) لمن بعدهم - أيضاً - في آيات.

سورة الحجرات

[مدنية، ثمان عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ من قَدَّمَ بمعنى تقدم؛ أي: لا تقدموا بقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه؛ أي: بغير إذنهما ﴿وَأَنْتُمْ أَلْفٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - على^(٧) النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد^(٨)، [٢] ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إذا نطق ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إذا ناجيتهما ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دون ذلك إجلالاً له ﴿أَنْ يَحِطَّ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين^(٩)، [٣] ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر^(١٠) وغيرهما^(١١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَنْتَوُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَمْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرَجَ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَفَازَهُ فَاسْتَعْلَفَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقَيْهِ يَعِجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِظُ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ يَحِطَّ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اختبر ﴿اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ أي: لتظهر منهم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الجنة. [٤] ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة والنبي ﷺ في منزله فنادوه: ﴿إِنَّ الْكَلْبَ يُنَادِيكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ حجارة نساته ﷺ، جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، وكان كل واحد منهم نادى خلف حجرة - لأنهم لم يعلموه في أي حجرة - مناداة الأعراب بغلظة وجفاء^(١١) ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ - فيما فعلوه - محلك الرفع وما يناسبه من التعظيم.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٢، ١): أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير ﷺ: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافا، فماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حتى اقتضت =

(١) الظاهر أن المراد بالسيما هنا علامتهم في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة كذلك يعرفون بالمر المحجلين، قال بعض المفسرين: أي قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطهم استنارت بالجلال ظواهرهم. (٢) بالفتح قراءة ابن كثير وابن ذكوان. (٣) السطء: فراخ النخل. (٤) بالقصر قراءة ابن ذكوان.

(٥) استنبط الإمام مالك من هذه الآية تكفير الشيعة والروافض الذين يعضون الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنهم يعضونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، وواقفه كثير من العلماء. انتهى من «المواهب» نقلًا عن روح المعاني للأوسلي. (٦) أي: المغفرة والأجر العظيم؛ لمن بعدهم من المؤمنين. (٧) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي حاشية الجمل والصابوي: «الأولى أن يقول: «عند النبي»، وفي نسخة القاضي: «عنده». (٨) البخاري (٤٣٦٧، ٤٨٤٧). (٩) أي: حين بلغها النبي عن رفع الصوت؛ فصارا يخفضان صوتهما عند النبي ﷺ؛ كما قال ابن الزبير عند البخاري (٤٨٤٥): فما كان عمر يسبح رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. (١٠) لعله يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٥/٢٦٦)، والطبراني في الكبير (٦٨/٢) رقم ١٣١٦، والهيثمي في المجمع (٣٢١/٩) أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وإسناده ضعيف كما ذكر في الاستيعاب (٢٦١/٣).

(١١) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامعه (٧٧/٢٦٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٨/١) وغيرهما عن الأقرع بن حابس أنه أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، اخرج إلينا، فلم نجبه، فقال: يا محمد، إن حمدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال ﷺ: «ذاك الله؛ فأقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَلْبَ يُنَادِيكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. وأخرجه أحمد في مسنده مختصراً؛ دون ذكر أنه سب نزول الآية. وصححه في الاستيعاب (٢٦٣/٣).

يَا لَأَلْقَيْتُمْ^(١) لا يَبْدُغُ بعضكم بعضاً بلقب بكرهه؛ ومنه: يا فاسق، يا كافر ﴿يَسَّسَ الْإِيمَانُ﴾ أي: المذكور من السخرية^(٢) واللمز والتناير ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ بدل من الاسم؛ لإفادته أنه فسق، لتكرره عادة ﴿وَمَنْ لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ ذَلِكَ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ أي: مؤثم، وهو كثير، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافه بالفساق منهم، فلا إثم فيه، في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ حذف منه إحدى التائين؛ لا تتبعوا عورات المسلمين ومعانيهم، بالبحث عنها ﴿وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه، وإن كان فيه ﴿أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٤)؛ أي: لا يحسُنْ به ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فاجتنباه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه، فآكروها الأول ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ أي: عقابه في الاعتباب، بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل توبة التائبين ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم. [١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ هو أعلى طبقات النسب ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هي دون الشعوب، وبعدها: العماثر، ثم البطون، ثم الأفخاذ، ثم الفصائل آخرها. مثاله: خزمية: شعب، كنانة: قبيلة، قريش: عِمارة - بكسر العين، قمي: بطن، هاشم: فخذ، العباس: فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ حذف منه إحدى التائين؛ ليعرف بعضكم بعضاً، لا لتفخروا بعلو النسب، وإنما للفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾ أي: الله عليمٌ ﴿بِكُمْ﴾ ﴿خَيْرٌ﴾ بيواطنكم.

[١٤] ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ نفر من بني أسد: ﴿أَمَّا نَحْنُ﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَمْ تَوَدُّوا وَلَكِن قُولُوا أَسْمَلْنَا﴾ انقدنا ظاهراً ﴿وَكَلَّمَا﴾ أي: لم يدخل الإيمن في قلوبكم ﴿إِلَى الْآنَ﴾، لكنه يتوقع منكم ﴿وَأَن تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا يَأْتِيَكُمُ﴾ بالهزم، وتركه، وبإبداله^(٥) ﴿لَا يَنْقُصُكُمْ﴾ ﴿وَيُنِزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يَدْعُوهُ﴾ للمؤمنين ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم.

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم، كما صرح به بعد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاهدهم يُظهر صدق إيمانهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم، لا من قالوا: أمنا، ولم يوجد منهم غير الإسلام. [١٦] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَعْمَلُمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مُضعفٌ عليمٌ بمعنى شعره؛ أي: أتشعرون بما أنتم عليه في قولكم: أمنا؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْمَلْنَا وَمَا أَسْمَلْنَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَا يَنْزِلُ اللَّهُ مِن سَمَوَاتِهِ فَذَلِكُمْ هُوَ الْإِيمَانُ وَمَنْ لَمْ يَتَّخِذْ مِنَ اللَّهِ مِيعَادًا فَلَيْسَ إِلَّا خاسِرًا ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٥﴾ قُلْ لَمْ تَوَدُّوا وَلَكِن قُولُوا أَسْمَلْنَا أَنقَدْنَا ظَاهِرًا وَكَلَّمْنَا سِرًّا وَلَكِن نُّحِبُّ اللَّهَ وَإِنَّا لَمُتَّقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ لِمَ تَقُولُونَ مَا قَالُوا لَمْ يَأْتِيَكُمُ الْكِتَابُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنَّا لَأَعْيُنُهُ عَلَى الْغُيُوبِ ﴿١٧﴾ يَسْمُنُونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا قُلْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَجْعَلُ الْوَعْدَ عَنَاءً بِكُمْ إِنِ الْبِرُّ أَتَىٰ اللَّهَ فَهُوَ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

[١٧] ﴿يَسْمُنُونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا﴾ من غير قتال، بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ﴾ منصوب بنزع الخافض «الباء»، ويقدر قبل «أن» في الموضوعين^(٤) ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَيْتُمُ الْإِيمَانَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم: أمنا.

[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما غاب فيها ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٥): لا يخفى عليه شيء منه.

(١) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج أبو داود عن أبي جبرية بن الضحاک قال: فبنا نزلت هذه الآية؛ في بني سلمة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِاللَّغْوِ بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾ قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان وثلاثة، فجعل النبي ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله! إنه بغضب من هذا الاسم، فأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِاللَّغْوِ﴾ أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (٧١) في الألقاب. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٤١٥١).

(١) في نسخة القاضي: «الشكر».

(٢) بالتشديد قراءة نافع.

(٣) قرأ أبو عمرو بهززة ساكنة بين الياء واللام، ويدل منها ألفاً إذا سهل كل همزة ساكنة، وقرأ بقية السبعة: ﴿لَا يَلْتَمِسْكُمْ﴾.

(٤) أي: في «أن أسلموا»، وأن هداكم.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وقرأ بقية السبعة بالياء.

سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ إِنْ دَامَتْنا وَكُنَّا آباءَ ذَٰلِكَ رَجَعُوا بَعِيدٌ ﴿٣﴾ فَذَعَلْنَا مَا نَقُصُّ الْأَرْضِ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ ﴿٥﴾ أَفَأَمْرٌ يُظَرُّوْا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيِّنُهَا وَرَبِّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِيسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَبْعُوثٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَهُ وَدَكَّرَهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيَّنَّا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

سورة ق

[مكية، إلا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية، فمدنية، خمس وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ق﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ الكريم، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ (١).
[٢] ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم يخوفهم بالنازل

بعد البعث ﴿فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا﴾ الإنذار ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [٣] ﴿أَوْ دَامَتْنا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (١) ﴿وَسَنَّا وَكُنَّا زُرَّابًا﴾ نرجع ﴿ذَٰلِكَ رَجَعُوا بَعِيدٌ﴾ في غاية البعد. [٤] ﴿فَدَعَلْنَا مَا نَقُصُّ الْأَرْضِ﴾ تأكل ﴿مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيفٌ﴾ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.

[٥] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ﴾ مضطرب؛ قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة.

[٦] ﴿أَفَأَمْرٌ يُظَرُّوْا﴾ يعيونهم، معتبرين بعقولهم، حين أنكروا البعث ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ كائنه ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيِّنُهَا﴾ بلا عمد ﴿وَرَبِّئِنَّهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ شقوق تعيبيها؟.

[٧] ﴿وَالْأَرْضِ﴾ معطوف على موضع «إلى السماء»، كيف ﴿مَدَدْنَاهَا﴾ دحوناها على وجه الماء (٢) ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِيسِي﴾ جبالاً بنتبتها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَبْعُوثٍ﴾ صنف ﴿بِهَيْجٍ﴾ يُهَيِّجُ به؛ لحسنه.

[٨] ﴿تَبَصَّرَهُ﴾ مفعول له؛ أي: فعلنا ذلك؛ تبصيراً منا ﴿وَدَكَّرَهُ﴾ تدكيراً ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى طاعنتنا.

[٩] ﴿وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ كثير البركة ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزرع ﴿الْحَصِيدِ﴾ المحصود.

[١٠] ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طويلاً، حال مقدرة ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ مترابك بعضه فوق بعض.

[١١] ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ مفعول له ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ يستوي فيه الذكر والمؤنث ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا الإحياء ﴿الْخُرُوجُ﴾ من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

[١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأيبت الفعل لمعنى «قوم» ﴿وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ﴾ هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبههم قبل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره ﴿وَتَمُودُ﴾ قوم صالح.

[١٣] ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾.

[١٤] ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ الغيضة، قوم شعب ﴿وَقَوْمُ تَبَّعٍ﴾ هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبوه ﴿كُلٌّ﴾ من المذكورين ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كفر يش ﴿لِحَقِّ وَعِيدِ﴾ وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك.

[١٥] ﴿أَفَعَيَّنَّا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: لم نغي به، فلا نعيها بالإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البعث.

(١) أي: أن قوله - تعالى -: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ قسم جوابه محذوف، تقديره ما ذكر.

(٢) سهل الهزرة الثانية مع الإدخال قالون وأبو عمرو، وسهلها من غير إدخال ورش وابن كثير، وحققها بقية السبعة من غير إدخال إلا هشاماً فله الإدخال وعدمه.

(٣) قال ابن كثير: «مددناها»: أي: وسعناها وفرشناها. وقال الطبري: بسطانها.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ حَالًا بَتَقْدِيرٍ ﴿نَحْنُ﴾ ﴿مَا﴾ مصدرية ﴿تُسَوِّمُونَ﴾ تسمت ﴿بِهِ﴾ الباء زائدة، أو للتعدية، والضمير للإنسان ﴿نَفْسَهُ﴾ ﴿نَفْسُهُ﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الإضافة لليبان، والوريدان: عرقان بصفحتي العنق.

[١٧] ﴿إِذْ﴾ منصوبة بـ«اذكر» مقدرًا ﴿بَلَّغْنَا﴾ يأخذ ويثبت ﴿الْأَلْفَيَانَ﴾ الملكان الموكلان بالإنسان، ما يعمله ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منه ﴿فِيهِ﴾ أي: قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله.

[١٨] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَيْنُهُ﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثني.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ غمرته وشدته ﴿بِالْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة، حتى يراه المنكر لها عيانًا، وهو نفس الشدة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الموت ﴿مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيذًا﴾ تهرب وتفرغ.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النفخ ﴿يَوْمَ الْوَعْدِ﴾ للكفار بالعذاب.

[٢١] ﴿وَجَاءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَتَمًّا سَائِقًا﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَسَهِيذًا﴾ يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: ﴿لَقَدْ كُنْتُ﴾ في الدنيا ﴿فِي عَقْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكَفَنَّاكَ عَنَّا عَضَاهُ﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَصَرَكَ أَيُّومَ حَيِّدٍ﴾ حادٌ تترك به ما أنكرته في الدنيا.

[٢٣] ﴿وَقَالَ رَبُّهُ﴾ الملك الموكل به: ﴿هَذَا مَا﴾ أي: الذي ﴿لَدَىَّ عَيْنَيْكَ﴾ حاضر. [٢٤] فيقال للمالك: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ أي: ألي أنتي، أو «الفتين»، وبه قرأ الحسن^(١)، فأبدلت النون ألفًا ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنِي﴾ معاند للحق.

[٢٥] ﴿مَنَاعَ الْيَحْيَى﴾ كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُرِيبٍ﴾ شاك في دينه. [٢٦] ﴿الَّذِي جَمَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ مبتدأ ضامن معنى الشرط، خبره: ﴿فَأَلْفَيَا﴾ في ألمذاب النَّبِيِّينَ تفسيره مثل ما تقدم.

[٢٧] ﴿قَالَ رَبُّهُ﴾ الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَا أَفْعَيْتُنَا﴾ أضللته ﴿وَلَكِنْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطعاني بدعائه له.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَىَّ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعْدِ﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه. [٢٩] ﴿مَا يَبْدُلُ﴾ يُغَيِّرُ ﴿الْقَوْلَ لَدَىَّ﴾ في ذلك ﴿وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلنَّبِيِّينَ﴾ فأعذبهم بغير جرم، و«ظلام» بمعنى: ذي ظلم؛ لقوله: ﴿لَا ظَلَمَ أَيُّومٌ﴾^(٢).

[٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه «ظلام» ﴿تَقُولُ﴾ بالنون والياء^(٣) ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ استفهام تحقيق؛ لوعده بملئها ﴿وَتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال: ﴿هَلِ مِنْ مَّرْيُومٍ﴾ أي: لا أسع غير ما امتلأت به؛ أي: قد

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوْسُونَ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذِ تَتْلَى السَّمْعَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدٌ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَجِيذًا يَوْمَ الْوَعْدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي عَقْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَرِيدٌ وَقَالَ رَبُّهُ هَذَا مَا لَدَىَّ عَيْنَيْكَ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنِي مَنَاعَ الْيَحْيَى مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفَيَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ قَالَ رَبُّهُ رَبَّنَا مَا أَفْعَيْتُنَا وَلَكِنْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلنَّبِيِّينَ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلِ مِنْ مَّرْيُومٍ وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ

امتلأت^(٤). [٣١] ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكانًا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم فيرونها. [٣٢] ويقال لهم: ﴿هَذَا﴾ المرئي ﴿مَا تَوْعَدْتُمْ﴾ بالناء والياء^(٥)؛ في الدنيا، ويبدل من ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رَجَاعٌ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ﴿حَفِيظٌ﴾ حافظ لحدوده. [٣٣] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ﴾ خافه ولم يره ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ مقبل على طاعته. [٣٤] ويقال للمتقين - أيضًا -: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ سالين من كل مخوف، أو مع سلام؛ أي: سلموا وادخلوا ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ الدوام في الجنة. [٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا.

(١) وهي قراءة شاذة، وقال القاضي في قرّة العينين: وهذا سهو من الجلال الحلبي، صوابه: أن قراءة الحسن هي: بهزرة مكسورة، وبألف ممدودة بعد القاف، وهزرة منصوبة منونة؛ أي: «القاء» مصدر «ألقى». اهـ.
 (٢) غافر: ١٧.
 (٣) بالياء قراءة نافع وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالنون.
 (٤) هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان. وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة. وهو مروى عن ابن عباس، وقال ابن كثير: هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث. اهـ. ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «ألقى في النار» ﴿وَتَقُولُ هَلِ مِنْ مَّرْيُومٍ﴾ حتى يضع قدمه، فتقول قط قطه. وفي رواية في الصحيحين أيضًا: «... حتى يضع رب العزة فيها قدمه؛ فتقول قط قط وعزتك...». البخاري (٤٨٤٨)، (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨). وفي رواية أي هزرة عندها مرفوعًا: «... فتلا فتلا حتى يضع رجله؛ فتقول: قط قط؛ فهالك تملأ...». البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).
 (٥) بالياء قراءة ابن كثير.

وغيرهم، من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صل حامدا ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صل العشاءين ﴿وَأَذِّنْ الشُّجُورَ﴾ بفتح الهمزة: جمع ذُرٌّ، وكسرهما^(٦) مصدر أذبر؛ أي: صل النوافل المستنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، ملائسا للحمد.

[٤١] ﴿وَأَسْمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ ينادِ السَّامِعُ﴾ هو إسرائيل ﴿وَيُنَادِي السَّمْعَانِ قَرِيبَ﴾ من السماء^(٧)، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيها العظام البالية، والأوصال المقطعة، واللحم المتسرفة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمرك أن تجتمعن لفصل القضاء.

[٤٢] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلق كلهم ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرائيل، ويحتمل أن تكون قبل نداءه وبعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ من القبور، وناصب «يوم ينادي» مقدر؛ أي: يعملون عاقبة تكذيبهم^(٨).

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾.

[٤٤] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشْفَقُ﴾ بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها^(٩) ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ يראطاً﴾ جمع «سريع»، حال من مقدر؛ أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمعلقها، للاختصاص وهو لا يضر، و«ذلك» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب.

[٤٥] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِبَارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا من قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِبِدُ﴾ وهم المؤمنون.

سورة الذاريات

[مكية، ستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتُ﴾ الرياح تذررو التراب وغيره ﴿ذُرُورًا﴾ مصدر، ويقال: تذرره ذرًّا: تهبُّ به. [٢] ﴿فَالْحَالِياتُ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وَقَرَارًا﴾ نقلاً، مفعول «الحاملات». [٣] ﴿فَالْبَارِياتُ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿يَسِيرًا﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة. [٤] ﴿فَالْمَقْسِمَاتُ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، بين البلاد والعباد. [٥] ﴿إِنَّا مَا نُوعِدُونَ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعده صادق. [٦] ﴿وَإِنَّا لَأَرْبِينُ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَدِعُ﴾ لا محالة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبِرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشْفَقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرًّا فَأَذِّنْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِبِدُ ﴿٤٤﴾

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتُ ذُرُورًا ﴿١﴾ فَالْحَالِياتُ وَقَرَارًا ﴿٢﴾ فَالْبَارِياتُ يَسِيرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْسِمَاتُ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا نُوعِدُونَ لِصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّا لَأَرْبِينُ ﴿٦﴾

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أهلنا قبل كفار قريش قرونًا كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ قَشُوا ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرًا﴾ لعظة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع العوظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بالقلب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وأخرها الجمعة^(١) ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ تعب، نزل ردًّا على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت^(٢)، وانتفاء التعب عنه؛ لتنزيهه تعالى - عن صفات المخلوقين^(٣)، ولعدم المماسه بينه وبين غيره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤).

[٣٩] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود

(١) راجع التعليق على تعيين هذه الأيام وتحديدها في تفسير سورة فصلت، الآيات (٩ - ١٢).

(٢) روي هذا عن ابن عباس، كما عند الحاكم في مستدرکه (٥٤٣/٢)، وصححه، وتعبه الذهبي، وأخرجه أيضًا الطبري في جامع البيان (٦١/٢٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣١٤/٧)، وضعفه في الاستيعاب (٢٩٠/٣، ٢٩١).

(٣) إن أراد نفي مشابهة صفاته - شبيهاته - لصفات المخلوقين فهذا حق، وإن أراد نفي الصفات عنه كصفة اليد والوجه وغيرها من الصفات الذاتية؛ فهذا باطل وهو مذهب أهل التعطيل.

(٤) يس: ٨٢. (٥) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وحزمة.

(٦) روي هذا عن كعب الأبحار، وليس فيه نص صحيح ثابت مرفوع إلى النبي ﷺ.

(٧) قال في حاشية الجمل: «ولو قدره الشارح بحجب منصوبه؛ لكان أسهل في الفهم؛ لأنه قوله: ﴿ذلك يوم الخروج﴾ من جملة الاعتراض الآتي التنبيه عليه؛ فالعامل في «يوم ينادي» بقدر قلبه».

(٨) بالشديد مع ما ذكر، قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَبِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
 أَفَكَ ﴿٩﴾ قِيلَ الْخَرُوصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرِهِمْ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ
 أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٢﴾ يَوْمَهُمْ عَلَى النَّارِ يُمْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَتَنَتَكُمْ
 هَذَا الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَسْتَعِجَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
 ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَاءً تَارِبًا رُيُومًا رِيحًا كَأَوْاقِلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾
 كَأَوْاقِلَ ذَلِكَ مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا سَحَابًا مُمِيسًا يَسْعُرُونَ ﴿١٨﴾
 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
 لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
 وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُرْبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
 تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَلَفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ
 دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلِمَةً قَوْمٌ مُّكَرَّمُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَهُ
 أَهْلِهِ فَمَاءً يُعْجِلُ سَمِينًا ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾
 فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِعَلِيمٍ عَلَيْكُمْ ﴿٢٨﴾
 فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَافٍ فَصَكَتَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾
 قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

[٢٧] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ عرض عليهم الأكل. فلم يجيبوا
 [٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ﴾ إنا رسل
 ربك ﴿وَبَشِّرْهُ بِعَلِيمٍ عَلَيْكُمْ﴾ ذي علم كثير، وهو إسحاق كما ذكر في
 «هود».
 [٢٩] ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿فِي صِرَافٍ﴾ صبيحة، حال؛ أي: جاءت
 صابحة ﴿فَصَكَتَ وَجْهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ لم تلد قط، وعمرها
 تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة، أو: عمره مائة وعشرون سنة،
 وعمرها تسعون سنة.
 [٣٠] ﴿قَالُوا كَذَلِكَ﴾ أي: مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ
 الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلقه.

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ جمع «حبيكة»؛ كطريقة و«طرق»؛ أي: صاحبة
 الطرق في الخلقة؛ كالطريق في الرمل. [٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة، في شأن
 النبي ﷺ والقرآن ﴿لَبِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر،
 كهانة. [٩] ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن؛ أي: عن
 الإيمان به ﴿مَنْ أَفَكَ﴾ صرف عن الهداية في علم الله - تعالى .. [١٠] ﴿قِيلَ
 الْخَرُوصُونَ﴾ لعن الكذابون، أصحاب القبول المختلف. [١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ
 فِي عَمْرِهِمْ﴾ جهل بغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن أمر الآخرة.
 [١٢] ﴿يَسْتَلُونَ﴾ النبي استفهام استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ أي: متى
 مجيئه؟ وجوابهم: يحيى [١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُمْتَنُونَ﴾ أي: يعدون
 فيها. [١٤] ويقال لهم حين التعذيب: ﴿ذُوقُوا فَتَنَتَكُمْ﴾ تعذيبكم ﴿هَذَا﴾
 التعذيب ﴿الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَسْتَعِجَلُونَ﴾ في الدنيا استهزاء. [١٥] ﴿إِنَّ
 الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها. [١٦] ﴿آخِذِينَ﴾ حال
 من الضمير في خبر «إن» ﴿مَاءً تَارِبًا رُيُومًا﴾ أعطاهم ﴿رِيحًا مُمِيسًا﴾ من الثواب ﴿إِيَّاهُمْ
 كَأَوْاقِلَ ذَلِكَ﴾ أي: دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا. [١٧] ﴿كَأَوْاقِلَ ذَلِكَ
 مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ينامون، و«ما» زائدة، و«يهجعون» خبر «كان»، و«أقيلًا»
 ظرف؛ أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره. [١٨]
 ﴿وَأَلْسِنًا مُمِيسَةً يَسْعُرُونَ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. [١٩] ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
 لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل لتعففه. [٢٠] ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ من الجبال
 والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيَاتٌ﴾ دلالات على قدرة الله -
 سبحانه وتعالى - وحدانيته ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾. [٢١] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ آيات - أيضًا
 - من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا
 تُبْصِرُونَ﴾ ذلك فتستدلون به على صنعه وقدرته؟ [٢٢] ﴿قُرْبِ السَّمَاءِ
 رِزْقُكُمْ﴾ أي: المطر المسبب عنه النبات، الذي هو رزق ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من
 المآب والثواب والعقاب؛ أي: مكتوب ذلك في السماء. [٢٣] ﴿قُرْبِ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: ما توعدون ﴿لَحَقٌّ﴾ [مِثْلُ] مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿بِرَفْعِ مِثْلِ﴾:
 صفة، و«ما» مزيدة، وفتح اللام: مركبة مع «ما»^(١)، المعنى: مثل نطقكم في
 حقيقته؛ أي: معلوميته عندكم ضرورة صدور عنيكم. [٢٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ
 حَدِيثٌ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثٌ ضَلَفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وهم ملائكة؛ اثنا
 عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل. [٢٥] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ«حديث
 ضيف» ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلِمَةً﴾ أي: هذا
 اللفظ^(٢) ﴿قَوْمٌ مُّكَرَّمُونَ﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خير مبتدأ
 مقدر؛ أي: هؤلاء.
 [٢٦] ﴿فَرَأَى إِلَهُ أَهْلِهِ﴾ سرًّا ﴿فَمَاءً يُعْجِلُ سَمِينًا﴾ وفي
 سورة هود ﴿يُعْجِلُ حَنِيمًا﴾^(٣) أي: مشوي.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) أي: الذي صدر منهم هو لفظ: «سلامًا»؛ منصوب بفعل مقدر، والذي صدر منه هو لفظ «سلام»؛ مرفوع على الخبرية لمبتدأ مضمرة.

(٣) هود: ٦٩.

[٣٨] ﴿وَفِي مَوْصِيٍّ﴾ معطوف على ﴿فِيهَا﴾، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْتَهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبساً ﴿بِشَطْرَيْنِ ثِيْبَيْنِ﴾ بحجة واضحة.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرَبِّهِ﴾ مع جنوده؛ لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى: هو ﴿سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُودُهُ فَسَبَّحْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي آيَةٍ﴾ البحر، فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُتَّبِعٌ﴾ أت بما يلام عليه؛ من تكذيب الرسل، ودعوى الربوبية.

[٤١] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها؛ لأنها لا تحمل المطر، ولا تفتح الشجر، وهي الذئبور^(١).

[٤٢] ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ﴾ كالباقي المنفقت.

[٤٣] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى انقضاء آجالكم، كما في آية: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾^(٢).

[٤٤] ﴿فَمَتَّعُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْ آيَةِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام؛ أي: الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: بالنهار.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَبَلَّعُوا مِنْ قِيَارٍ﴾ أي: ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُتَسَبِّحِينَ﴾ على من أهلكتهم.

[٤٦] ﴿وَقَوْمٍ نُّوحٍ﴾ بالجر عطف على ﴿ثَمُودَ﴾ أي: وفي إهلاكهم بما في^(٣) السماء والأرض آية، وبالنصب^(٤)؛ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿بَيْنَ قَبَلٍ﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِآيَاتٍ﴾ بقوة^(٥) ﴿وَأَنَا لَمُوسِمُونَ﴾ قادرون؛ يقال: أد الرجل بيد قوي، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوة.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها ﴿فَيَتَمَّ السَّهْدُونَ﴾ نحن.

[٤٩] ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿عَلَّفْنَا﴾ ﴿عَلَّفْنَا رَجَعِينَ﴾ صنفين؛ كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجليل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ ففعلتمون أن خالق الأرواح فرد فتعبده.

[٥٠] ﴿فَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه؛ بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمْرُودٍ﴾ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِّنْ طِينٍ﴾ ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسَابِقِينَ﴾ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿وَفِي مَوْصِيٍّ إِذَا أَرْسَلْتَهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ يَسُطَّنْ مِثِينَ﴾ ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ﴾ ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ﴾ ﴿فَسَبَّحْنَاهُمْ فِي آيَةٍ﴾ ﴿وَهُوَ مُتَّبِعٌ﴾ ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿فَمَا اسْتَبَلَّعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَنَصِّرِينَ﴾ ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِّنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِآيَاتٍ وَإِنَّا لَمُوسِمُونَ﴾ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَيَتَمَّ السَّهْدُونَ﴾ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَجَعِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿فَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

[٣١] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. [٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمْرُودٍ﴾ كافرين، هم قوم لوط.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِّنْ طِينٍ﴾ مطبوخ بالنار. [٣٤] ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلمة، عليها اسم من يُرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بإتيانهم المذكور مع كفرهم.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: فرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسَابِقِينَ﴾ وهم لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام؛ أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.

(١) كما عند البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «فُصِّرَتْ بِالضَّبَاءِ، وَأَهْلِكْتَ عَادَ بِالذَّبُورِ». والضَّبَاءُ: هي الريح التي تهب من مطلع الشمس، والذَّبُورُ: هي التي تهب من مغربها. البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) قرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي بالحذف، وقرأ بقية السبعة بالنصب.

(٤) في نسخة القاضي: «بماء».

(٥) الأيد هنا مصدر أد؛ وليس بجمع ليد، فليس في الآية تأويل، ومن ثم فيها متمسك لمن زعم تناقض السلف في آيات الصفات تأويلاً وتركاً له.

[٥٢] يُقَدَّرُ قَبْلَ ﴿فَيُرَوُّا﴾: قل لهم: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ: أي: مثل تكذيبهم لك، بقولهم: إنك ساحر، أو مجنون، تكذيب الأم قبلهم رسَلهم، بقولهم ذلك.

[٥٣] ﴿أَنْتُمْ أَصَوُّوا﴾: كلهم ﴿يُؤَيِّدُونَ﴾؟ استفهام بمعنى النفي ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ﴾: جمعهم على هذا القول طغاباتهم.

[٥٤] ﴿فَتَوَلَّى﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾: لأنك بلعنهم الرسالة. [٥٥] ﴿وَذَكَرْنَا عِظَ الْقُرْآنِ﴾: فَإِنَّ الَّذِينَ نَفَعُوا الْمُؤْمِنِينَ ﴿مَنْ عِلْمُ اللَّهِ - تعالى - أنه يؤمن. [٥٦] ﴿وَمَا سَلَّطْنَا آلِينَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَهُ﴾: ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين؛ لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك: برئت هذا القلم لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به. [٥٧] ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾: لي، ولأنفسهم وغيرهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَهُ﴾: ولا أنفسهم ولا غيرهم. [٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾: الشديد.

[٥٩] ﴿فَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أنفسهم بالكفر، من أهل مكة وغيرهم ﴿ذُنُوبًا﴾: نصيبًا من العذاب ﴿مِثْلَ ذُنُوبِهِمْ﴾: نصيب ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾: الهاككين قبلهم ﴿فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾: بالعذاب؛ إن أخرتهم إلى يوم القيامة.

[٦٠] ﴿قَوْلِهِمْ﴾: شدة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ﴾: في ﴿يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: أي: يوم القيامة.

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾
 ﴿أَنْتُمْ أَصَوُّوا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ ﴿٥٣﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٥٤﴾
 وَذَكَرْنَا الْقُرْآنَ الْعِزَّةَ لِيُنذِرَ الَّذِينَ نَفَعُوا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا سَلَّطْنَا
 آلِينَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَهُ ﴿٥٦﴾ وَمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ
 أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾
 فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ
 الْعَذَابَ ﴿٥٩﴾ قَوْلِهِمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ النَّارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّارُورِ ﴿١﴾ وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ ﴿٢﴾ فِي رَقِيٍّ مَنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ
 الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
 عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
 مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلُهُمْ يَوْمَئِذٍ لِمُكذِّبِينَ
 الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ
 جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿١٣﴾

- [٩] ﴿يَوْمٌ﴾: معمول لواقع ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾: تتحرك وتدور.
- [١٠] ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾: تصير هباء منثورًا، وذلك في يوم القيامة.
- [١١] ﴿قَوْلُهُمْ﴾: شدة عذاب ﴿يَوْمَئِذٍ لِمُكذِّبِينَ﴾: للرمل.
- [١٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ﴾: باطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾: أي: يشاغلون بكفرهم.
- [١٣] ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾: يدفعون بعنف، بدل من ﴿يَوْمٌ تَمُورُ﴾، ويقال لهم تبيكتنا: [١٤] ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾.

سُورَةُ النَّارِ

[مكية، تسع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿وَالنَّارُورِ﴾: أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسى.
- [٢] ﴿وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ﴾: [٣] ﴿فِي رَقِيٍّ مَنشُورٍ﴾: أي: التوراة أو القرآن.
- [٤] ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾: هو في السماء الثالثة^(١) أو السادسة^(٢) أو السابعة^(٣)، بحيال الكعبة^(٤)، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبدًا^(٥). [٥] ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾: أي: السماء.
- [٦] ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: أي: المملوء^(٦). [٧] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: لنازل بمستحقه. [٨] ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾: عنه.

(١) لم أجده، وروي عن أبي هريرة مرفوعًا أنه في السماء الدنيا، وهو مخالف لما في الصحيحين من حديث أنس أنه في السابعة، وسيأتي.
 (٢) وهو مروى عن علي، وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «أقول من الجنة فكان يعمر بمكة، فلما كان الفرق رفعه الله فبه في السماء السادسة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، من قبلة إبليس، ثم لا يرجع إليه أحد يومًا واحدًا أبدًا» [الدر المنثور (١٤٤/٦)].
 (٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» [الدر المنثور (١٤٤/٦)]، وهو في الصحيحين من حديث أنس كما سيأتي.
 (٤) أخرج ابن المنذر والعمري وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في السماء بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة... الحديث، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١٤٤/٦).
 وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو رفعه قال: «إن البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط شيء منه لسقط عليها... الحديث.
 وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يومًا لأصحابه: «هل تدرؤن ما البيت المعمور؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لعلها... الحديث. وهناك آثار وأحداث أخرى. انظر: [الدر المنثور (١٤٤/٦)، (١٤٥)، (١٤٥)، وإسناده مرسل صحيح كما في الصحيحة. وقال الألباني: وجملته القول: إن هذه الزيادة: (وحيال الكعبة) ثابتة بمجموع طرقها...»؛ الصحيحة (١٧٨١/١).
 (٥) البخاري (٢٩٦٨) ومسلم (٢٣٤) من حديث أنس بن مالك وفيه «رفع في البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...» وفي صحيح مسلم (٢٣٤) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا: «... من عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مستنًا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه...»
 (٦) هذا قول قتادة والحسن وجهور اللغويين. وقال محمد بن كعب والضحاك: يعني «الموقد» المحمي؛ بمنزلة النور - أي القرن - المسجور. وهو قول ابن عباس؛ كما في تفسير البغوي. وقيل غير ذلك.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَرَوَّجْتَهُمْ﴾ عطف على ﴿جَنَّتْ﴾؛ أي: قرناهم ﴿يُحَوِّرُ عَيْنَ﴾ عظام الأعين حسنا(١).

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ﴾ (١) وفي قراءة: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾ ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ (٢) وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الصغار وال كبار ﴿يَايُنِي﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار (٤)، والخبر: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم؛ تكرامة للآباء، باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَا أَكْتَنَهُمْ﴾ بفتح اللام وكسرها(٥): نقصناهم ﴿بِمَنْ عَلَيْهِمْ مِنْ زَائِلَةٍ﴾ (٦) براد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ أُمَّرِيٍّ يَمَّا كَسَبَ﴾ من عمل خير أو شر ﴿رَهِيْنٌ﴾ مرهون؛ يؤاخذ بالشر، ويجازى بالخير.

[٢٢] ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفِكَهَتِهِمْ﴾ وأخبرناهم ﴿بِئْتَنَبْرُونِ﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه.

[٢٣] ﴿يَتَنَزَّعُونَ﴾ يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأَسَا﴾ حمرا ﴿لَا لَعُوًّا فِيهَا﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ به يلحقهم، بخلاف حمر الدنيا.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿عِلْمَانٌ﴾ أرقاء (٧) ﴿هَمٌّ كَأَنَّهُمْ﴾ حسنا ولطافة ﴿لَوْ لَوْ مَكُونُ﴾ مصون في الصلدف؛ لأنه فيها أحسن منه في غيرها.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه؛ تلذذا واعترافا بالنعمة.

[٢٦] ﴿قَالُوا﴾ إيماء إلى علة الوصول: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُتَشَفِّقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله.

[٢٧] ﴿فَمَرَجْنَا اللَّهُ عِلْمَانًا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ النار؛ لدخولها في المسامح.

[٢٨] وقالوا إيماء - أيضا - : ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده موحدين ﴿إِنَّهُ﴾ بالكسر استئنافا، وإن كان تعليلا معنى، وبالفتح (٨) تعليلا لفظا ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾ الحسن الصادق في وعده ﴿الْأَرْحِيمُ﴾ العظيم الرحمة.

[٢٩] ﴿فَذَكَرْكَ﴾ ثم على تذكير المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿يَكَاهِنُ﴾ خبير ﴿مَا﴾ ﴿وَلَا يَحْتَوِنُ﴾ معطوف عليه.

[٣٠] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ تَرْتَضُ بِهِ رَبِّي الْمُنُونُ﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

[٣١] ﴿قُلْ تَرَضُّوا﴾ هلاكه ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَضِينَ﴾ هلاككم، فغذبوها بالسيف يوم بدر، والترضى: الانتظار.

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَأَصْبَرُوا
أَوْ لَا تَضْبِرُوا سِوَاهُ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ وَيَعِيرُ ﴿١٧﴾ فَكَيْهِنَ بِمَاءِ أُنْهَمُ رَبُّهُمْ
وَوَقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُّوا وَأَشْرَبُوا هَيْثَا يَمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَرَوَّجْتَهُمْ
بِحَوْرِ عَيْنٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَتَّبَعَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَمَسُوهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أُمَّرِيٍّ يَمَا
كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَتِهِمْ وَخَجِرَ مَا يَسْتَهْوُونَ ﴿٢٢﴾
يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعُوْفِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
عِلْمَانٌ لَهُمْ كَمَا أَنَّهُمْ لَوْ لَوْ مَكُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّقِينَ
﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا
مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْكَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ يَكَاهِنُ وَلَا يَحْتَوِنُ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرْتَضُ بِهِ رَبِّي
الْمُنُونُ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَضُّوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَضِينَ ﴿٣١﴾

[١٥] ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ العذاب الذي ترون، كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر؟ ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُرُونَ﴾؟

[١٦] ﴿أَصْلَوْهَا فَأَصْبَرُوا﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَضْبِرُوا﴾ صبركم وجزعكم ﴿سِوَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

[١٧] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ وَيَعِيرُ﴾.

[١٨] ﴿فَكَيْهِنَ﴾ متلذذين ﴿بِمَا﴾ مصدرية ﴿ءَانْتَهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ ووقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿عَطْفًا عَلَى﴾ أي: بإتيانهم ووقايتهم.

[١٩] ويقال لهم: ﴿كَلُّوا وَأَشْرَبُوا هَيْثَا﴾ حال؛ أي: مهنتين ﴿بِمَا﴾ الباء سببية ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[٢٠] ﴿مُتَّكِبِينَ﴾ حال من الضمير المستكن في قوله: ﴿فِي جَنَّتِ﴾

(١) هذا المذكور تفسير عين؛ ومفردها عيناء. وأما معنى «حوره» فهو اسوداد المقلة، ولا يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها. ويقال: حورت العتق، أي اشتد يابض يابضا، وسواد سوادها.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ﴾.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر، لكن الأول مع النصب، والثاني مع الرفع، وقرأ بقية السبعة: ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾.

(٤) أي: وبايمان الآباء في الصغار.

(٥) بالكسر قراءة ابن كثير.

(٦) أي كالأرقاء في الحياة والاستيلاء؛ مسخرين لخدمتهم.

(٧) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْدَانُكُمْ﴾ عقولهم ﴿عِدًّا﴾ قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بعادهم.
 [٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ اختلق القرآن؟ لم يختلقه ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استكباراً.

[٣٤] فإن قالوا: اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مختلق ﴿يشبهه﴾ إن كانوا صدقيين في قولهم.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أنفسهم؟ ولا يُعْقَل مخلوق بغير خالق، ولا معدوم يُخلَق، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فلم لا يوجدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟

[٣٦] ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق، فلم لا يعبدونه؟ ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به، وإلا لأمنوا بنبيه.

[٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخسوا من شاؤوا بما شاؤوا؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾ المتسلطون الجبارون، وفعله: سيطر، ومثله: يطر ويقر^(١).

[٣٨] ﴿أَمْ لَمْ نُنزِّلْ﴾ مرقي إلى السماء ﴿يَسْمَعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه؛ كلام الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي، بزعمهم، إن ادعوا ذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ شَهِدَهُمْ﴾ مدعي الاستماع عليه ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة بينة واضحة.

[٣٩] ولبسه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال - تعالى -: ﴿أَمْ لَهُ الْكِنُزُوتُ﴾ بزعمكم ﴿وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾؟ تعالى الله عما زعمتموه.

[٤٠] ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُجْرًا﴾ على ما جنتهم به من الدين ﴿فَهُمْ مِنْ مَفْرَمٍ﴾ غرم ذلك ﴿مُتَقَلِّبُونَ﴾ فلا يسلمون؟

[٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة، بزعمهم؟

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك، ليهلكوك في دار الندوة؟ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المغلوبون المهلكون، فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم بيد.

[٤٣] ﴿أَمْ لَمْ يَلِدْهُ إِلَّا عَذْرَاءٌ شَحَنَ اللَّهُ عَنَّا يُفْرِكُونَ﴾ به من الآلهة، والاستفهام بداهة ﴿في مواضعها للتفصيح والتوبيخ.

[٤٤] ﴿فَإِنْ رَوَّا كَيْفًا﴾ بعضاً ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاطِئًا﴾ عليهم، كما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كَيْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(٢)؛ أي: تعذيباً لهم ﴿يَقُولُوا﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ متراكب نرتوي به، ولا يؤمنون.

[٤٥] ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يموتون.

[٤٦] ﴿يَوْمٌ لَا يُعْنَى﴾ بدل من: ﴿يَوْمِهِمْ﴾ ﴿عَنَّهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ ينجون من العذاب في الآخرة.

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا قبل

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْدَانُكُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾^(٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ بل لَا يُؤْمِنُونَ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ إن كانوا صدقيين ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٤) ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ بل لَا يُؤْمِنُونَ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾^(٥) ﴿أَمْ لَهُ الْكِنُزُوتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾^(٦) ﴿أَمْ لَسْنَا لَهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَفْرَمٍ مُتَقَلِّبُونَ﴾^(٧) ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾^(٨) ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾^(٩) ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١٠) ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَلْقَاوُا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾^(١١) ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾^(١٢) ﴿يَوْمٌ لَا يُعْنَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾^(١٣) ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٤) ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ﴾^(١٥)

سورة النجاة

موتهم، فَعَذَّبُوا بالجوع والقحط سبع سنين، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل بهم.

[٤٨] ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى منا نراك ونحفظك^(٣) ﴿وَسَبِّحْ﴾ متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك، أو من مجلسك.

[٤٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضاً ﴿وَإِدْبَرَ الْجُومِ﴾ مصدر؛ أي: عقب غروبها سبحه أيضاً، أو: صل في الأول العشاءين، وفي الثاني: الفجر^(٤)، وقيل: الصبح^(٥).

(١) أي في الوزن «مُفْعِل»، ولم يأت على هذا الوزن إلا خمسة أفعال. ومُتْبِعِي، من: يقر؛ أي فسد وهلك، ومشى مشية المتكبر.

(٢) الشعراء: ١٨٧، ﴿كَيْفًا﴾ في آية الطور؛ هي بسكون السين، باتفاق القراء.

(٣) وفي الآية إثبات صفة العين له - سبحانه - على الوجه اللانحجلاج، وأما أفرادها في بعض النصوص وجمعها في البعض الآخر؛ فهذا مما تسعه لغة العرب؛ حيث يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين، فلا حجة في ذلك على نفيها.

(٤) أي: سنة الفجر.

(٥) أي: الفريضة. واختاره الطبري.

يريه نفسه، على صورته التي خلُق عليها، فواعده بـ«حراء»، فنزل جبريل له في صورة آدميين^(١). [٨] ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه ﴿كَلَّمَ﴾ زاد في القرب.

[٩] ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ﴾ قدر ﴿فَوَسَّيَ أَوْ أَدْنَى﴾ من ذلك حتى أفاق وسكن روعه. [١٠] ﴿فَأَوْحَى﴾ تعالى ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ جبريل ﴿مَا أَوْحَى﴾ جبريل إلى النبي ﷺ، ولم يذكر الموحى؛ تفخيماً لشأنه. [١١] ﴿مَا كَذَبَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ أنكر ﴿الْفُؤَادَ﴾ فؤاد النبي ﴿مَا رَأَى﴾ ببصره من صورة جبريل. [١٢] ﴿أَفْتَمَرْتُهُ﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَى مَا رَى﴾ خطاب للمشركين المنكرين برؤية النبي ﷺ لجبريل. [١٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على صورته ﴿نَزَّلَهُ﴾ مرة ﴿أَخْرَجْتَ﴾. [١٤] ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ لما أسرى به في السماوات، وهي شجرة تنبثق عن بين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. [١٥] ﴿عِنْدَمَا جَنَّ الْمَأْوَى﴾ تأوى إليها الملائكة، وأرواح الشهداء، والمؤمنين^(٤). [١٦] ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَقْتُلُ السَّيِّدَةَ مَا يَغْتَنِي﴾ من طير وغيره، و«إذ» معمولة ل«رأه». [١٧] ﴿مَا رَأَى الْبَصَرَ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَنَّ﴾ أي: ما مال بصره عن مرثيه المقصود له، ولا جازوه تلك الليلة. [١٨]

﴿لَقَدْ رَأَى﴾ فيها ﴿مِثْرَ بَابِ رَبِّهِ الْكَبْرَى﴾ العظام؛ أي: بعضها؛ فرأى من عجائب الملكوت فرحاً أخضر سدأ أفق السماء^(٥)، وجبريل له ستمائة جناح^(٦). [١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَلَكَ وَالْعُرْوَى﴾. [٢٠] ﴿وَمِنَ الثَّالِثَةِ﴾ يلتفت قبلها ﴿الْأُخْرَى﴾ صفة ذم للثالثة، وهي: أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها، ويؤمنون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول «أفرايتهم» الأول:

«اللوات»، وما عطف عليه، والثاني محذوف، والمعنى: أخبروني، ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما، فعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ [٢١] ولما زعموا - أيضاً - أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزلت: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ لِكُلِّ ذَكَرٍ﴾. [٢٢] ﴿إِذَا سَمِعُوا صَوْتَهُ﴾ جاثرة، من ضازه

بضميره: إذا ظلمه وجار عليه. [٢٣] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما للذكورات ﴿إِلَّا أُنثَى﴾ سميت بها ﴿أُنثَى وَمَا يَأْتِيكُمْ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: عبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله - تعالى - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهَدَى﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه.

[٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ﴾ أي: لكل إنسان منهم ﴿مَا تَشَاءُ﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. [٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيها إلا ما يريد - تعالى -.. [٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ أي: وكثير من الملائكة ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تَعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَى﴾ عنه؛ لقوله: ﴿وَلَا يَسْتَفْعَمُونَ﴾ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى^(٧)، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَبْطِغُنَّ فِي السَّمَوَاتِ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٤﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٦﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٧﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿٩﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١٠﴾ أَفَتَمَرَّوْنَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٢﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ مَا جَاءَهُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٤﴾ إِذْ يَخْتَصِمِي السَّيِّدَةَ مَا يَغْتَنِي ﴿١٥﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٦﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الثَّالِثَةِ الْاُخْرَىٰ ﴿١٩﴾ أَلَمْ يَكُن لَكُمْ الْاَلْفُؤَادُ مَا نُنزَلُ إِذَا فُيِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٠﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا اَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢١﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٢﴾ فَلِلَّهِ الْاُخْرَىٰ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٣﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٤﴾

سورة النجم

[مكية، اثنتان وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّجْمِ﴾ الثريا ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ غاب. [٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد - عليه الصلاة والسلام - عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابس الغي، وهو جهل من اعتقاد فاسد. [٣] ﴿وَمَا يَبْطِغُنَّ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْمَوْتَىٰ﴾ هوى نفسه. [٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ إليه. [٥] ﴿عَلَّمَهُ﴾ ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. [٦] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة؛ أو: منظر حسن؛ أي: جبريل الطليق ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ استقر. [٧] ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ أفق الشمس؛ أي: عند مطلعها، على صورته التي خلُق عليها، فرأه النبي ﷺ وكان بـ«حراء»، قد سد الأفق إلى المغرب، فخر مغشياً عليه^(١)، وكان قد سأله أن

(١) كما في حديث جابر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى بهبط، فتوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي؛ فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجلست منه رعباً...» البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٢) يشير إلى ما أخرجه أحمد عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك، قال: فدعا ربه. قال: فطلع عليه سواد من قبل المشرك. قال: فجعل يرتفع وينثر. قال: فلما رآه النبي ﷺ ضيق. فأنابه فعضه، ومسح اللباز عن شيدته. وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٧/١١)، والهيتمي في الجمع (٢٥٧/٨)، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما نقات. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. (السند ٣٤٨/٤) حديث رقم (٢٩٦٧)، ووضعت الأرقام لإسناده في تخريجه على المسند (٢٩٦٥).

(٣) بالشديد قراءة هشام. (٤) في نسخة القاضي: فأو: أرواح الشهداء؛ أو: المنقون. (٥) كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود البخاري (٣٢٣٣)، ومسلم (١٧٤). والرفرف: كساء، أو ثوب رفيع. (٦) البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود. (٧) الأنبياء: ٢٨. (٨) البقرة: ٢٥٥.

[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا كَسِيمَةَ الْأُنثَىٰ﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِمْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيه العلم، فيما المطلوب فيه العلم.

[٢٩] ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَوْ رُدُّوا إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿سَلَفُهُمْ مِنَ الْعَالَمِ﴾ أي: نهاية علمهم؛ أن أتروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ﴾ أي: عالم بهما، فيجازيهم.

[٣١] ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضلال والمهتدي، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ﴿يَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَيَسْأَلُ مَا عَمِلُوا﴾ من الشرك وغيره ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿يَأْتِيهِ﴾ الجنة.

[٣٢] ﴿وَيَسِّرُ الْحَسَنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ﴾ هو صغار الذنوب؛ كالنظرة والقيلة واللحمة، فهو استثناء منقطع، والمعنى لكن اللغم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ بذلك ويقبول التوبة، ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا صيامنا حجنا^(١): ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿يَكُونُ إِذْ أَنشَأَ مِنْ الْأَرْضِ﴾ أي: خلق أباهم آدم من التراب ﴿وَرَأَىٰ أَنشُرَ آجِنَّةٍ﴾ جمع جنين ﴿فِي بَطْنِ أُمِّهِنَّ كَمَا فَلَاحُ الْفَسْحِ﴾ لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿يَسِّرُ آتَمَهُ﴾.

[٣٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان، ارتد لما عُيِّرَ به، وقال: إني خفيت عقاب الله، فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجع^(٢).

[٣٤] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من المال المسمى ﴿وَأَكْثَىٰ﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكدية، وهي أرض صلبة كالصخرة، تمنع حافر البشر إذا وصل إليها من الحفر.

[٣٥] ﴿أَعْدُوهُ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ بَرِيءٌ﴾ يعلم من جملة أنه غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره، وجملة: «أعدده» المفعول الثاني لـ«رأيت»، بمعنى: أخبرني.

[٣٦] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَمْ يَبْتَئَا بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها [٣٧] ﴿وَوَقَّ﴾ صحف إبراهيم الذي وقَّ، تم ما أمر به، نحو: ﴿وَإِذْ أَنشَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فأتاهن^(٣).

[٣٨] وبيان «ما»: ﴿لَا تُرْزَ وَازْرَهُ وَرَزَّ الْخُرَىٰ﴾ إلخ، و«أن» مخففة

(١) أي: يقولون ذلك، على سبيل الإعجاب والإدلال بعلمهم.

(٢) روي ذلك عن زيد بن أسلم، كما عند الطبري في جامع البيان (٤٢/٢٧)، وهو ضعيف جدًا، كما في الاستيعاب (٢٩٩/٣).

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) أي: شذوذًا.

من الثقيلة؛ أي: لا تحمل نفس ذنب غيرها.

[٣٩] ﴿وَأَنَّ﴾ أي: أنه ﴿لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخبز شيء.

[٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ يصير في الآخرة.

[٤١] ﴿ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ الأكمل، يقال: جزيته سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا، وقرئ^(٤) بالكسر استئنافًا، وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجملة في الصحف على الثاني ﴿إِنَّ رَبَّكَ الْمُسْتَهْتَبُ﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

[٤٣] ﴿وَأَنَّ هُوَ أَضْحَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَ﴾ من شاء أحزنه.

[٤٤] ﴿وَأَنَّ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث.

أهلكناهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْلَمَ﴾ من عاد وثمود؛ لظول لبت نوح فيهم ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَكَّةٍ إِلَّا حَسِبْتِ عَامَا﴾^(١) وهم - مع عدم إيمانهم به - يؤذونه ويضربونه. [٥٣] ﴿وَأَلْمُؤْتِفِكَةُ﴾ وهي: قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء، مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك.

[٥٤] ﴿فَنَسْنَهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا عَشَى﴾ أيهم تهربوا، وفي هود: ﴿جَمَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأَمَطْنَا عَلَيْهَا جِجَارَةً مِّن سَبِيلِ﴾^(٢).

[٥٥] ﴿وَيَايَ مَا لَا رَيْكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَمَانِي﴾ تشكك أيها الإنسان أو تكذب؟ [٥٦] ﴿هَذَا﴾ محمد ﴿بَدِيرٍ مِّنَ الْأَنْذَرِ الْأَوَّلِ﴾ من جنسهم؛ أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم، كما أرسلوا إلى أقوامهم. [٥٧] ﴿أَرَأَيْتَ الْآيَةَ﴾ قرب القيامة. [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ نَفْسٌ كَافَّةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو؛ كقولهم: لا يبيها لوقتها إلا هو^(٣). [٥٩] ﴿أَفَئِن هَذَا الْحَدِيثُ﴾ القرآن ﴿تَعْجِبُونَ﴾ تكذبا. [٦٠] ﴿وَتَقْسِمُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لسماع وعده ووعيده. [٦١] ﴿وَأَنْتُمْ سَعِيدُونَ﴾ لاهون غافلون عما يطلب منكم؟

[٦٢] ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ﴾^(٤) الذي خلقكم ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

سورة القبر

[مكية، إلا ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ﴾ الآية. وهي: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَفَرَأَيْتَ السَّاعَةَ﴾ قرب القيامة ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ انفلق فلقتين، على أبي قبيس وقَعِيقَان، آية له ﷺ، وقد سنلها فقال: «أشهدوا» [رواه الشيخان]^(١). [٢] ﴿وَلَانَ بَرَوَاءُ﴾ أي: كفار قريش ﴿عَائِيَةً﴾ معجزة له ﷺ ﴿يَعْرِضُونَ وَيَقُولُوا﴾: هذا «يسخر مستحضر» قوي، من المنة: القوة، أو دامت^(٢).

[٣] ﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَأَيْبَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الباطل ﴿وَكَسَلُ أَمْرِهِ﴾ من الخير والشر ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ بأهله في الجنة أو النار. [٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلكم ﴿مَا فِيهِ مَرْدَجَرٌ﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان، والدال بدل من تاء الافتعال، وازدجرته وزجرته: نهيته بغلظة، و«ما» موصولة أو موصوفة. [٥] ﴿حِكْمَةً﴾ خير مبتدأ محذوف، أو بدل من «ما»، أو من «مردجر» تامة ﴿فَمَا تُعْنِ﴾ تنفع فيهم ﴿الْأَنْذَرُ﴾ جمع نذير، بمعنى منذر؛ أي: الأمور المنذرة لهم، و«ما» للنفي، أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم.

[٦] ﴿فَنَزَّلَ عَنْهُمْ﴾ هو فائدة ما قبله، وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ هو إسماعيل، وناصب «يوم»: «يخرجون» تغد ﴿إِلَى شَيْءٍ تُكْذِرُ﴾ بضم

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فأنشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْحَرُ مُسْتَحْضِرٌ﴾ يقول: ذاهب. الترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٤). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٠)، وهو في الصحيحين مختصرا.

(١) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالضم: «النشأة». (٢) لأبي عمرو وورش، وقرأ قائلون كذلك، لكنه يأتي بهمة ساكنة بعد اللام.

(٣) بالتونين قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم. (٤) العنكبوت: ١٤. (٥) هود: ٨٢. (٦) الأعراف: ١٨٧.

(٧) هذه أول آية سجدة نزلت، كما عند البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرائق الباطلة، والتي سبق التنبيه على بطلانها في تفسيره سورة الحج آية (٥٢).

(٨) قصة انشقاق القمر جاء ذكرها مختصرة في البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، وهي عندهما أيضا من حديث أنس بن مالك؛ البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢). وأما التفاصيل المذكورة؛ فجاءت فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس كما في الدر المنثور [١٧٧٦].

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٥١﴾ مِّن تَطْفَافٍ إِذِ اتَّخَذَ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتِفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَعَشَاهَا مَأْسَى ﴿٥٤﴾ فَيَايَ آءِ رَبِّكَ تَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى ﴿٥٦﴾ أَرَأَيْتَ الْآيَةَ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَئِن هَذَا الْحَدِيثُ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَلْمَدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ﴿٦٢﴾

سورة القَيْمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَرَأَيْتَ السَّاعَةَ وَالنَّشَقَ الْقَمَرِ ﴿١﴾ وَإِن بَرِوَاءَ آيَةٍ يَعْرِضُونَ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مَرْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةً بَلِغَةً فَمَا تَعْنِ الْأَنْذَرِ ﴿٥﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكِرٍ ﴿٦﴾

[٤٥] ﴿وَأَنْتُمْ عَلَى الزُّوْجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَى﴾.

[٤٦] ﴿مِن تَطْفَافٍ﴾ مني ﴿إِذَا تَنَّى﴾ تصب في الرحم.

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ﴾ بالمد والضم^(١) ﴿الْأُخْرَى﴾ الحلقة الأخرى للبعث، بعد الحلقة الأولى. [٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى﴾ بالناس، بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى المال المتخذ قبية. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ هو: كوكب خلف الجوزاء، كانت تعبد في الجاهلية.

[٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وفي قراءة^(٢) بإدغام التنوين في اللام وضما بلا همزة، وهي قوم عاد، والأخرى قوم صالح. [٥١] ﴿وَتَمُودًا﴾ بالضم اسم للأب، وبلا صرف^(٣) للقبيلة، وهو معطوف على «عاد»، ﴿فَمَا أَبْقَى﴾ منهم أحدًا. [٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل عاد وثمود،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فأنشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْحَرُ مُسْتَحْضِرٌ﴾ يقول: ذاهب. الترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٤). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٠)، وهو في الصحيحين مختصرا.

(١) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالضم: «النشأة». (٢) لأبي عمرو وورش، وقرأ قائلون كذلك، لكنه يأتي بهمة ساكنة بعد اللام.

(٣) بالتونين قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم. (٤) العنكبوت: ١٤. (٥) هود: ٨٢. (٦) الأعراف: ١٨٧.

(٧) هذه أول آية سجدة نزلت، كما عند البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرائق الباطلة، والتي سبق التنبيه على بطلانها في تفسيره سورة الحج آية (٥٢).

(٨) قصة انشقاق القمر جاء ذكرها مختصرة في البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، وهي عندهما أيضا من حديث أنس بن مالك؛ البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢). وأما التفاصيل المذكورة؛ فجاءت فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس كما في الدر المنثور [١٧٧٦].

الكاف وسكونها^(١)؛ أي: منكر تنكره النفوس، وهو الحساب.

[٧] ﴿حُشَعًا﴾ أي: ذليلاً، وفي قراءة^(٢): ﴿حُشَعًا﴾ بضم الحاء وفتح الشين مشددة ﴿أَبْصُرُهُمْ﴾ حال من الفاعل ﴿يَعْرِجُونَ﴾ أي: الناس ﴿وَمِنَ الْأَكْدَانِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جِرَادٌ مُّثَيَّرٌ﴾ لا يدرون أين يذهبون، من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: [٨] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين مادين أعناقهم ﴿إِلَى الدَّلَاجِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ منهم: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ صعب على الكافرين؛ كما في المدرس: ﴿يَوْمٌ عَرِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

[٩] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمٌ نُوحٍ﴾ تأنيث الفعل لمعنى قوم ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا بَحْثُونُوا زُرِّيْرًا﴾ انتهره بالسب وغيره.

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ بالفتح؛ أي: بأني ﴿مَعْلُوبٌ فَانصُرْ﴾.

[١١] ﴿فَفَتَحْنَا﴾ بالتحفيف والتشديد^(٤) ﴿أَنْزَبَ السَّمَاءَ بِمَاءٍ مُّنْهَرٍ﴾

منضَّب انصباباً شديداً. [١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تبع ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ﴾ حال ﴿فَدَفَّرَ قَدِيرٌ﴾ قضى به في الأزل، وهو هلاكهم غرقاً. [١٣] ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي: نوحاً ﴿عَلَى سَفِينَةٍ﴾ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسْرٍ وهو ما تشد به الأرواح من المسامير وغيرها، واحداً وثناءً؛ ككتاب.

[١٤] ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا^(٥)؛ أي: محفوظة ﴿جِرَاءً﴾ منصوب بفعل مقدر؛ أي: أغرقوا انصهاراً ﴿لِيَمُنَّ كَانُ كَيْفٍ﴾ وهو نوح التَّيْلَانِ، وقرئ^(٦):

﴿كَعَمْرٍ﴾ بالبناء للفاعل؛ أي: أغرقوا عقاباً لهم. [١٥] ﴿وَلَقَدْ رَكَنَهَا﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿بِأَيْدِي﴾ لمن يعتبر بها؛ أي: شاع خبرها واستمر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ معتبر ومتعظ بها؛ وأصله: مذتكر؛ أبدلت التاء دالاً مهمله، وكذا

المعجمة وأدغمت فيها. [١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذاري؟ استفهام تقرير، و«كيف»: خير «كان»، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى:

تحفل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه - تعالى - بالمكذبين لوح موقعه.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر؛ أي: احفظوه وانعطوا به، وليس يُحْفَظُ من كُتِبَ اللَّهُ عن ظهر القلب وغيره. [١٨] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هوذا فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إنذاري لهم بالعذاب

قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [١٩] ﴿وقد بينه بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿فِي يَوْمٍ نَحِيزٍ﴾ شؤم ﴿مُسْتَسْمِرٍ﴾ دائم الشؤم،

أو: قوية، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر^(٧). [٢٠] ﴿تَنْزِجُ النَّاسَ﴾ تفلعهم من حُفْرِ الْأَرْضِ المندسِّين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدقُّ رقابهم، فَيُبَيِّئُ الرَّأْسَ عَنِ الْجَسَدِ ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَعْبَاجٌ﴾ أصول ﴿تُخَلِّجُ مُنْفَعِرٍ﴾ منقطع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، ودُكِّرَ هنا وَأَنْتَ

في الحاققة ﴿تُخَلِّجُ حَاوِيًّا﴾^(٨)؛ مراعاة للفواصل في الموضوعين. [٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ [٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾؟

[٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ جمع نذير بمعنى: منذر؛ أي: بالأمور التي أنذرتهم بها نبيهم صالح، إن لم يؤمنوا به ويتعوه. [٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبْتْرَأُ﴾

حُشَعًا أَبْصُرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جِرَادٌ مُنْشَرٌ ﴿١﴾

مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّلَاجِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ﴿٨﴾ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ فكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَعْلُوبٌ فَاَنْصُرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا الْأَوْبَ السَّمَاءَ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿١١﴾

وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جِرَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ رَكَنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٧﴾

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحِيزٍ مُسْتَسْمِرٍ ﴿٢٠﴾ تَنْزِجُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْبَاجٌ تُخَلِّجُ مُنْفَعِرٍ ﴿٢١﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٢٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٤﴾ فَقَالُوا أَبْتْرَأُ مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ وَإِنَّا إِذْ لَأَنفَى ضَلَّالٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٥﴾ أَنفَى الذِّكْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَمِعَ الْمُؤْمِنُونَ عَدَاً مِنَ الْكذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

مَنْصُوبٌ عَلَى الْاِسْتِغْثَالِ ﴿مِنَّا وَجِدًا﴾ صفتان له «بشراً» ﴿تَبَعَهُ﴾ مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منا، وليس بملك؟ أي: لا نتبعه ﴿إِنَّا إِذَا مَا﴾ إن اتبعناه ﴿أَنفَى ضَلَّالٍ﴾ ذهب عن الصواب ﴿وَسُعْرٍ﴾ جنون. [٢٥] ﴿أَنفَى﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه^(٩) ﴿الذِّكْرِ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه أوحى إليه ما ذكر ﴿أَشِرُّ﴾ متكبر بطر. [٢٦] قال - تعالى -: ﴿سَمِعَ الْمُؤْمِنُونَ عَدَاً﴾ في الآخرة ﴿مِنَ الْكذَّابِ الْأَشِرِّ﴾ وهو: هم، بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً. [٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة، كما سألوها ﴿وَبِنْتَهُ﴾ محنة ﴿لَهُمْ﴾ لنخبتهم ﴿فَارْتَبِعْهُمْ﴾ يا صالح؛ أي: انتظر ما هم صانعون، وما يصنع بهم ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال؛ أي: اصبر على أذاهم.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم، وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو: ﴿حُشَعًا﴾ وهي القراءة المفسرة.

(٢) بالشدشيد قراءة ابن عامر.

(٣) أي شدوذاً.

(٤) وفيها إثبات صفة العين له - شَيْخَانَةٌ - على الوجه اللاتح به.

(٥) هذا مما لا سبيل ولا دليل صحيح لثبوته، كما لا فائدة من ذكره.

(٦) الحاققة: ٧.

(٧) راجع التعليل على الآية (٨) من سورة ص.

بِالنُّذْرِ ﴿٢٨﴾ أي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه. [٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلوكوا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابنتاه معه ﴿بِحَبْنَتِهِمْ بَسْحَرٌ﴾ من الأسحار، وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لمنع من الصرف؛ لأنه معرفة معدول عن السحر؛ لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع، وإن كان من الجنس تنسجها. [٣٥] ﴿يَتَمَعَّمُ﴾ مصدر؛ أي: إنعاماً ﴿وَمَنْ عِنْدَنَا كَذَابٌ﴾ أي: مثل ذلك الجزء ﴿بِحَبْرٍ مِّنْ شَكْرٍ﴾ أتعمتا وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسله ﴿وأطاعهم. [٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ خَوْفَهُمْ لَوْطٍ﴾ بَطَشْنَا ﴿أُحَذِّثْنَا إِيَّاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ قَسَاوَزًا ﴿تَجَادَلُوا وَكَذَبُوا﴾ بِالنُّذْرِ ﴿بِإِنذَارِهِ. [٣٧] ﴿وَلَقَدْ زُودُوا عَنْ صَيِّفٍ﴾ أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف؛ ليخبتوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فَطَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أعيناهما، وجعلناها بلا شئ كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُوا﴾ قلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذاري وتخويفي؛ أي: ثمرته وفائته. [٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهمُ بَكْرَةٌ﴾ وقت الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

[٣٩] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾. [٤٠] ﴿وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ [٤١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ مَعَهُ النَّذْرُ﴾ الإنذار، على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا. [٤٢] بل ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُفَّاهُ﴾ أي: التسع التي أوتيتها موسى ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ بِالْعَذَابِ﴾ أَخَذَ عَزِيزٌ ﴿قَوِي﴾ مُتَّقِدِرٌ ﴿قَادِرٌ﴾ لا يعجزه شيء. [٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿حَبْرٌ مِّنْ أَوْلِيائِكُمْ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون، فلم يُعَدِّبُوا؟ ﴿أَمْ لَكُمْ قَرِيشٌ بَرَاءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الرُّزِيِّ﴾ الكتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي؛ أي: ليس الأمر كذلك. [٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ كفار قريش: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جمع ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ على محمد. [٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْبَصْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرُ﴾ ﴿١٣﴾ فهزموا بيدر، وتُصَيَّرُ رسول الله ﷺ عليهم. [٤٦] ﴿بَلِ الْآسَاءَةُ مَوْعِدُهُمُ﴾ بالعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أي: عذابها ﴿أَذْنُ﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمْرٌ﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا. [٤٧] ﴿إِنَّ النَّجْرِمِينَ فِي سَنَلٍ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعْرٍ﴾ نار مسقرة بالتشديد؛ أي: مهيجة، في الآخرة. [٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْجَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إصابة جهنم لكم. [٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿حَلَقْنَاهُ بِقَدْرِ﴾ بتقدير، حال من «كل»؛ أي: مقدراً، وقرئ: ﴿كُلُّ﴾ بالرفع، مبتدأ خبره: ﴿حَلَقْنَاهُ﴾. ﴿٥﴾

وَيَبِّئُهُمُ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ فَخَضَرٌ ﴿٢٩﴾ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٣٠﴾ كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَالْهَشِيمِ الْمَحْتَضِرِ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٣٣﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ حَبْنَتُهُمْ بِسِحْرِ ﴿٣٥﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ بَحْرِيٍّ مِّنْ شَكْرٍ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ زُودُوا عَنْ صَيِّفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهمُ بَكْرَةٌ عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٩﴾ وَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٤٢﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُفَّاهُ فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿٤٣﴾ أَكْفَارُكُمْ حَبْرٌ مِّنْ أَوْلِيائِكُمْ أَفَلَمْ تَكُونُوا أَهْلَ عِلْمٍ فِي الرُّزِيِّ ﴿٤٤﴾ أَفَرِيقُونَ تَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٥﴾ سَيَبْرَهُمُ الْبَصْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرُ ﴿٤٦﴾ وَيُولُونَ الدُّبُرُ ﴿٤٧﴾ بَلِ الْسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنُ وَأَمْرٌ ﴿٤٨﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي سَنَلٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٩﴾ يَوْمَ يُسْجَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ حَلَقْنَاهُ بِقَدْرِ ﴿٥١﴾

[٢٨] ﴿وَيَبِّئُهُمُ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمَةٌ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة؛ يوم لهم، ويوم لها ﴿كُلُّ شَرِبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿فَخَضَرٌ﴾ يحضره ^(١) القوم يومهم والناقة يومها، فتمادوا على ذلك، ثم ملأوه، فهزموا بقتل الناقة. [٢٩] ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ فَنَادُوا؛ ليقنلتها ﴿فَتَعَاطَى﴾ تناول السيف ﴿فَعَقَرَ﴾ به الناقة؛ أي: قتلها موافقة لهم. [٣٠] ﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [٣١] ﴿وَبَيَّنَّا﴾ بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَالْهَشِيمِ الْمَحْتَضِرِ﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة، من بابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو: الهشيم. [٣٢] ﴿وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾. [٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٤٨، ٤٩): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش بخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر؛ فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْجَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ حَلَقْنَاهُ بِقَدْرِ. مسلم - كتاب القدر (٤٦) باب (٤) كل شيء بقدر.

(١) في نسخة القاضي: «يحضره».

(٢) في نسخة الصاوري: «ورسوله»، والثبت من نسخة القاضي المطبوعة.

(٣) جاء نحو ذلك عن ابن عباس، كما في المصنف لابن أبي شيبة (٣٥٧/١٤ رقم ١٨٥٠٩)، دون ذكر أن قائل ذلك هو أبو جهل، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦٤/٢٧)، وحسنه في الاستيعاب (٣٠٥/٣). وفي صحيح البخاري (٤٩٩٣) عن عائشة قالت: لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة، وإني لحارية العلب: ﴿بَلِ الْآسَاءَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنُ وَالْمُرُّ﴾. وظاهر هذا أن قوله تعالى قل هذه الآية: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْبَصْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرُ﴾ مما نزل أيضاً بمكة، ويؤيده ما ذكره الحافظ في الفتح قال: «وفي رواية أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: لما نزلت: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْبَصْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرُ﴾ قال عمر: أي جمع لهم؟ قال: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تثبت في الدروع ويقول: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْبَصْعُ﴾... فظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة، ولا ينافي ذلك أن يتلوها الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر، دون أن يكون ذلك سبب نزولها، أو يقال: إنها نزلت مرتين؛ إحداهما بيدر، والله أعلم. (٤) أي: شندوا.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۖ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
 أَشْيَاءَكُمْ فَهُمْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ
 ۝٥١ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ۖ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
 فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۖ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ۝٥٢

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤
 الشَّمْسُ ۝٥ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٦ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٧
 وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٨ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٩
 وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝١٠ وَالْأَرْضَ
 وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١١ فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَدَاكٌ وَالْكَامِ ۝١٢
 وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ۝١٣ وَالرَّيْحَانُ ۝١٤ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ
 ۝١٥ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٦ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ
 مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ۝١٧ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ۝١٨ رَبُّ
 الْمَسْرُورِينَ ۝١٩ وَرَبُّ الْمَعْرُورِينَ ۝٢٠ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ۝٢١

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا﴾ أمره ﴿وَاحِدَةٌ﴾ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ في السرعة، وهي قول: كن، فيوجد، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر، من الأمم الماضية ﴿فَهُمْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اذكروا واتعظوا.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العباد، مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ كتب الحفظه.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنوب، أو العمل ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ.

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَنَهَرٍ﴾ أريد به الجنس، وقرئ (٢): بضم النون والهاء جمعاً؛ كَأَسَدٍ وَأُسْدٍ، والمعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأنيب، أريد به الجنس، وقرئ (٣): ﴿مَقْعِدَةٍ﴾، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأنيب، بخلاف مجالس الدنيا، فقل أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا خبيراً تائباً، وبدلاً، وهو صادق يبدل البعض، وغيره (٤) ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ مثال مبالغة؛ أي: عزيز الملك واسعه ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله - تعالى، و«عند» إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله. تعالى (٥).

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

مكية، إلا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وهي: ست، أو: ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الله - تعالى. [٢] ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿الْقُرْآنَ﴾. [٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس. [٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ النطق. [٥] ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحساب. [٦] ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما لا ساق له من النبات ﴿وَالشَّجَرُ﴾ ما له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾ يخضعان لما يراد منهما. [٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل. [٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ ما يوزن به. [٩] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ تنقصوا الموزون. [١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنْبَاءِ﴾ للخلق؛ الإنس

والجن وغيرهم. [١١] ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أوعية طلعمها. [١٢] ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ الثين ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الورق المشموم. [١٣] ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكذِّبَانِ﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتحقير؛ لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «مالي أراكم سكوناً!! للجن كانوا أحسن منكم رداً؛ ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب؛ فلك الحمد» (١). [١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طين يابس، يسمع له صلصلة؛ أي: صوت إذا نُقِرَ ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين. [١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان. [١٦] ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾.

(١) يس: ٨٢.

(٢) أي: شذوذاً.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) أي: وهو بدل الاشتغال؛ لأن الجنات مشتتة على المقعد.

(٥) وفي هذا التفسير نظر؛ ومبناه على نفي العلو لله ﷻ؛ فهذه العندية مما استدلل به السلف على إثبات العلو لله ﷻ.

(٦) أخرج نحوه الترمذي (٣٢١٣) وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله كما في الدر المنثور [١٨٩/٦] وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٨)، والسلسلة الصحيحة (٢١٥٠).

للمفعول والفاعل ^(١) ﴿مِنْهُمَا﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما، وهو الملح ﴿الَّذِينَ وَالْمُرْجَاتِ﴾ حرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ. [٢٣] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾.

[٢٤] ﴿وَالْجَبْرُوتِ﴾ السفن ﴿الْمُشْتَاتِ﴾ المحدثات ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجلال عظاما وارتفاعا. [٢٥] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٢٦] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: الأرض من الحيوان ﴿فَإِنْ﴾ هالك، وعبر به «من» تغليبا للعقلاء [٢٧] ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذَاةُ﴾ ذاته ^(٢) ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ العظيمة ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ للمؤمنين ^(٣)، بأنعمه عليهم. [٢٨] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٢٩] ﴿يَسْتَأْذِنُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ينطق، أو: حال ^(٤)، ما يحتاجون إليه، من القرة على العبادة، والرزق والمغفرة، وغير ذلك ﴿كُلُّ يَوْمٍ﴾ وقت ﴿هُوَ فِي سَائِرِ﴾ أمر؛ يظهره على وفق ما قدره في الأول؛ من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داع، وإعطاء سائل، وغير ذلك. [٣٠] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٣١] ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾ سنقصد لحسابكم ﴿آيَةَ الْفُلْقَانِ﴾ الإنس والجن. [٣٢] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٣٣] ﴿يَتَمَعَّرُ الْبَيْنَ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَنْفَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾ نواحي ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ أمر تعجيز ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة، ولا قوة لكم على ذلك. [٣٤] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمُ شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ هو لهيها الخالص من الدخان، أو: معه ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ أي: دخان لا لهب فيه ^(٥) ﴿فَلَا تَنْصُرَانِ﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. [٣٦] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٣٧] ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتْ السَّمَاءُ﴾ انفرجت أبوابها لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ زُرَّةً﴾ أي: مثلها محمرة ﴿كَالْإِهْسَانِ﴾ كالأدم الأحمر، على خلاف العهد بها، وجواب «إذا»: فما أعظم الهول. [٣٨] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٣٩] ﴿فَيَرْبِزُونَ لَهَا يُسْئَلُونَ عَن ذَنْبِهِ﴾ ويسألون في وقت آخر؛ ﴿فَوَرِيدًا لِّلشَّيْطَانِ أَجْمَعِينَ﴾ ^(٦)، والجان هنا وفيما سيأتي ^(٧) بمعنى: الجني، والإنس فيها بمعنى: الإنسي. [٤٠] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٨﴾ بَيْنَهُمَا بَرْحٌ لَّا يَبْعِيَانِ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَيْبِكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٢٠﴾ مَرْجٌ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢١﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَيْبِكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٢٢﴾ وَالْجَبْرُوتِ الْمُسْتَاتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَيْبِكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٢٤﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ ﴿٢٥﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٦﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَيْبِكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٢٧﴾ يَسْتَأْذِنُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٨﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَيْبِكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٢٩﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ آيَةَ الْفُلْقَانِ ﴿٣٠﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَيْبِكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٣١﴾ يَتَمَعَّرُ الْبَيْنَ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَنْفَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٢﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَيْبِكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٣٣﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمُ شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ ﴿٣٤﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَيْبِكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٣٥﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ زُرَّةً كَالْإِهْسَانِ ﴿٣٦﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَيْبِكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَرْبِزُونَ لَهَا يُسْئَلُونَ عَن ذَنْبِهِ إِنَّسٌ وَإِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٨﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَيْبِكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٣٩﴾ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٠﴾

[١٧] ﴿رَبُّ الشَّرْقَيْنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ كذلك. [١٨] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [١٩] ﴿مَرْجٌ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين. [٢٠] ﴿بَيْنَهُمَا بَرْحٌ﴾ حاجز من قدرته - تعالى - ﴿لَّا يَبْعِيَانِ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر، فيحتلط به.

[٢١] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٢٢] ﴿يُخْرَجُ﴾ بالبناء

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: «من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرح كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين». ابن ماجه - المقدمة باب (١٣) فيما أنكرت الحموية. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٦٧).

(١) بالبناء للمفعول قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالبناء للفاعل.
(٢) وهذا لا يتنافى صفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونشبهها له حقيقة على الوجه اللائق به، ومن لوازم بقاء الوجه بقاء الذات؛ لكن لا يقال: إن الوجه هو الذات، وقال ابن كثير في تفسير الآية: «... ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب - تعالى - وتقديس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً».

(٣) قوله ﷻ: ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ في الآية هي صفة لوجهه «وليس لهرب»؛ كما قال ابن كثير والطبري، ووجهه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام كما أنه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام. فقول المفسر: (للمؤمنين) دليل على إرادة نفي صفة الوجه، لا عن مجرد إرادة الدلالة على أن بقاء الوجه يلزم منه بقاء الذات.

(٤) أي: بلسان الحال.

(٥) وهذا قول ابن عباس المشهور عنه، وسعيد بن جبير وغيرهما، واختاره الطبري. وقال آخرون: هو التحاسن المذاب؛ يصب على رءوسهم. وروي ذلك عن ابن عباس وقادة وغيرهما.

(٦) الحجر: ٩٢.

(٧) أي في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَبْرِيَهُنَّ إِنَّسُ فِتْنَاهُنَّ وَلَا جَانٌّ﴾ في الآيتين: (٥٦)، (٧٤) من السورة.

[٤١] ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ﴾ سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَيُؤَخِّدُ بِالرَّيْبِ وَالْأَفْئَامِ﴾ [٤٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: تضم ناصية كل منهم إلى قدميه، من خلف أو قدام، ويلقى في النار، ويقال لهم: [٤٣] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ﴾.

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانِ﴾ شديد الحرارة، يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص؛ كـ «قاضي».

[٤٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٦] ﴿وَلَمَّا خَذَفُ﴾ أي: لكل منهم، أو: لمجموعهم ﴿مَقَامٌ رَيْدٌ﴾ قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾.

[٤٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٨] ﴿ذَرَاتًا﴾ تنيبة «ذوات» على الأصل^(١)، ولامها باء^(٢) ﴿أَفْتَانِ﴾ أغصان، جمع «فن»؛ كـ «طلل».

[٤٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٠] ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

[٥١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو: كل ما يتفكه به ﴿زَيْنَانِ﴾ نوعان؛ رطب وياابس، والمرمهما في الدنيا كالخضفل حلو.

[٥٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٤] ﴿مُتَّكِفِينَ﴾ حال عامله محذوف؛ أي: يتنعمون ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْبٍ﴾ ما غلظ من الديباج وخشن، والظهاثر من السندس ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿ءَانِ﴾ قريب، يناله القائم والقاعد والمضطجع.

[٥٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٦] ﴿فِيهِمَا﴾ في الجنة، وما اشتملنا عليه من العلالى والقصور ﴿فَصَبْرُتِ الْأَعْرَابِ﴾ العيين، على أزواجهن المتكفين، من الإنس والجن ﴿لَا يَطُوفُ فِيهِمْ﴾ يفتضهن، وهن من الحور، أو: من نساء الدنيا المنشآت^(٣) ﴿إِنِّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾.

[٥٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالصَّفَاءُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أي: اللؤلؤ بياضاً.

[٥٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَاءُ الْإِحْسَانِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ بالنعيم.

[٦١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿١٢﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿١٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿١٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ذَوَاتَا أَفْتَانٍ ﴿١٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَجْرِيَانِ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَيْنَانِ ﴿٢١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ مُتَّكِفِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْبٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ فِيهِمَا قَصِيرَتِ الْأَطْرَفِ لَم يَطُوشْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٢٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٢٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ تَكْذِبَانِ ﴿٣١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٣٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٣٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٣٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾

[٦٢] ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: الجنة المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾^(٤) أيضًا، لمن خاف مقام ربه.

[٦٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٤] ﴿مُدَاهَنَتَانِ﴾ سوداوان من شدة خضرتهما.

[٦٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، لا ينقطعان.

[٦٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آتيتهما وما فيها، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيها. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الرحمن (٥٥) باب (١) ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

(٢) أي: على ما قبل حذف الواو؛ وبعد الحذف تصبح «ذات» فتثنى على «ذاتان». والفصحى في تنيبها: «ذواتان»، كما في الآية.

(٣) أي لأن أصلها: «ذوي»؛ تحركت الياء، وانفتح ما قبلها؛ فقلت ألفًا، فأصبحت: «ذوي»؛ كـ «فتى».

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنفَاةً ۖ فَجَعَلْنَهُمْ أَيْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٦]؛ أي: يجعلهن بعد الثبوة أيكارًا.

- [٧٦] ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ أي: أرواجهن، وإعراجهن كما تقدم ﴿عَلَى رَقْوَى حُضْرٍ﴾ جمع روفة؛ أي: بُسَط، أو: وسائد ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانَ﴾ جمع عبقرية؛ أي: طنافس. [٧٧] ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾. [٧٨] ﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم، ولفظ «اسم» زائد.

سورة الواقعة

مكية، إلا ﴿فِيهَا لَذَوِيثُ﴾ الآية، و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الآية، وهي: ست، أو: سبع، أو: تسع وتسعون آية^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة. [٢] ﴿لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ﴾ نفس تُكذَّب، بأن تفيها كما نفتها في الدنيا. [٣] ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة. [٤] ﴿إِذَا رَجَوتِ الْأَرْضُ رَجَاً﴾ حُرُوت حركة شديدة. [٥] ﴿وَيَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ قُتَّت. [٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا﴾ غباراً ﴿مُتَّبَتًّا﴾ منشراً، وإذاه الثانية بدل من الأولى. [٧] ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ [٨] ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يُؤْتُونَ كتبهم بأيمانهم، مبتدأ خبره: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة. [٩] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ أي: الشمال، بأن يُؤْتَى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ تحمير لشأنهم بدخولهم النار. [١٠] ﴿وَالسَّائِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء، مبتدأ ﴿السَّائِقُونَ﴾ تأكيد تعظيم شأنهم. [١١] ﴿أُولَئِكَ الْمَقْرُونُونَ﴾ [١٢] ﴿فِي جَنَّتِ النَّجْمِ﴾ [١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ؛ أي: جماعة من الأمم الماضية [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة^(٦). [١٥] ﴿والخبر: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. [١٦] ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ عَلَيْهِمَا مَقْعَلِيَّتَيْنِ﴾ حالان من الضمير في الخبر.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٧٧﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٧٩﴾ لَوِيظَتُهُنَّ اسِنَّ قِبَلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٨١﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى رَقْوَى حُضْرٍ وَعَبْقَرِيَّ حِسَانَ ﴿٨٢﴾ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٨٣﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٤﴾

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رَجَوتِ الْأَرْضُ رَجَاً ﴿٤﴾ وَيَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٩﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿١٠﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿١١﴾ وَالسَّائِقُونَ ﴿١٢﴾ السَّائِقُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ الْمَقْرُونُونَ ﴿١٤﴾ فِي جَنَّتِ النَّجْمِ ﴿١٥﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٨﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهِمَا مَقْعَلِيَّتَيْنِ ﴿١٩﴾

- [٦٨] ﴿فِيهَا فَتْكُهُمْ﴾ وَعَلَى رَقْوَى﴾ هما منها^(١)، وقيل: من غيرها. [٦٩] ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾. [٧٠] ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنة وما فيها^(٢) ﴿خَيْرَاتٌ﴾ أخلاقاً ﴿حِسَانٌ﴾ وجوهاً. [٧١] ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾. [٧٢] ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ مستورات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ من دُوْ مجوف، مضافة إلى القصور، شبيهة بالحدود. [٧٣] ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾. [٧٤] ﴿لَوِيظَتُهُنَّ اسِنَّ قِبَلَهُمْ﴾ قبل أرواجهن ﴿وَلَا جَانٌ﴾. [٧٥] ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، قد شئت؟! قال: شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَسْتَأْذِنُ﴾، و﴿إِذَا انشَقَّتْ كُرُوتٌ﴾. وسبق تخريجه في أول سورة هود.

(١) أي: النخل والزمان من الفاكهة.

(٢) في نسخة القاضي: «وقصورهما»، بدلاً من: «وما فيها». وقال ابن الجوزي في زاد المسير: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعني في الجنان الأربع. اهـ، وكذا قال البغوي. وفي حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين: البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من نفضة؛ أنتهما وما فيها، وجنتان من ذهب؛ أنتهما وما فيها».

(٣) هذا قول مجاهد والحسن البصري، واختاره ابن جرير، ولم يحكي غيره. قال ابن كثير: «وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظراً بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن؛ فيبعد أن يكون المقرونين في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجسوع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم اهـ».

ثم قال ابن كثير: «فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة. اهـ. وأول هذه الأمة هم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، وآخرها: الصلحاء، وهم قليل».

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ
 ﴿١٨﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَقَلْهَبَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ
 ﴿٢٠﴾ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٍ عِينٍ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ
 الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
 وَلَا تَأْتِيهِمْ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٥﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
 الْيَمِينِ ﴿٢٦﴾ فِي سِدْرٍ مَفْضُودٍ ﴿٢٧﴾ وَطَلْحٍ مَبْدُودٍ ﴿٢٨﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ
 ﴿٢٩﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣٠﴾ وَقَلْهَبَةٍ كَبِيرَةٍ ﴿٣١﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
 ﴿٣٢﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً ﴿٣٤﴾ فَعَمَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا
 ﴿٣٥﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٦﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٧﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٨﴾
 وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٩﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ
 ﴿٤٠﴾ فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤١﴾ وَظِلِّ مِّنْ تَحْمُورٍ ﴿٤٢﴾ لَا بَارِدٍ
 وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْبَلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٤﴾ وَكَانُوا
 يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُفْتَنُونَ أَبَدًا مِمَّا وَكُنَّا
 تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا الْمَبْعُوثُونَ ﴿٤٦﴾ أَوَّابًا وَأَنَا الْوَالُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ
 الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٨﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٩﴾

[٤٧] ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدًا مِّنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في
 الهمزتين في الموضوعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على
 الوجهين^(١).

[٤٨] ﴿أَوَّابًا وَأَنَا الْوَالُونَ﴾ بفتح الواو للعطف، والهمزة للاستفهام، وهو
 في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة^(٢): بسكون الواو، عطفًا به (أَوْ)
 والمعطوف عليه: محل (إِنَّ) واسمها. [٤٩] ﴿قُلْ إِنَّكَ الْوَالِيْنَ وَالْآخِرِينَ﴾.
 [٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ لوقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: يوم القيامة.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقربوا إن شئتم: ﴿وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾». البخاري - كتاب التفسير

(٦٥) سورة الواقعة (٥٦) باب (١) ﴿وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ فقال: «أفتم ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، وتقاسمونها نصف الباقي». أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريجه على المسند (١٣٢/٧) رقم (٩٠٦٩).

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ على شكل الأولاد، لا
 يهرمون. [١٨] ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿وَأَبَارِيقٍ﴾ لها غرى وخراطيم
 ﴿وَكَأْسٍ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِنْ مَّعِينٍ﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع
 أبدًا.

[١٩] ﴿لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ بفتح الزاي وكسرها^(١)، من نَزَفَ
 الشارب وأَنْزَفَ أي: لا يحصل لهم منها صداع، ولا ذهاب عقل، بخلاف
 خمر الدنيا. [٢٠] ﴿وَقَلْهَبَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾. [٢١] ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا
 يَشْتَهُونَ﴾. [٢٢] ﴿وَحُورٍ﴾ لهم للاستمتاع ﴿حُورٌ﴾ نساء شديدات سواد
 العيون وبياضها^(٢) ﴿عِينٍ﴾ ضحاح العيون، كسرت عينه بدل ضمها؛ مجانسة
 الباء^(٣)، ومفردة: عيناء؛ كحمرء، وفي قراءة^(٤) بجر «حور عين». [٢٣] ﴿كَأَمْثَلِ
 اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ المصون. [٢٤] ﴿جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ فاحشًا من الكلام ﴿وَلَا
 تَأْتِيهِمْ مَا يُوْتَمُّ﴾. [٢٦] ﴿لَا﴾ لكن ﴿قِيلًا﴾ قولًا ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ بدل من:
 ﴿قِيلًا﴾ فإنهم يسمعونها. [٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾.
 [٢٨] ﴿وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ شجر التيق ﴿مَفْضُودٍ﴾ لا شوك فيه. [٢٩] ﴿وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ شجر
 الموز ﴿مَفْضُودٍ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه. [٣٠] ﴿وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾
 دائم. [٣١] ﴿وَقَلْهَبَةٍ كَبِيرَةٍ﴾ جار دائمًا. [٣٢] ﴿وَقَلْهَبَةٍ كَبِيرَةٍ﴾.
 [٣٣] ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بنمن. [٣٤] ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على
 السرر. [٣٥] ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً﴾ أي: الحور العين من غير ولادة.

[٣٦] ﴿فَعَمَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن
 عذارى، ولا وجع. [٣٧] ﴿عُرُبًا﴾ بضم الراء وسكونها^(٥)؛ جمع غزوب،
 وهي: المتحبة إلى زوجها عشقًا له ﴿أَتْرَابًا﴾ جمع تزوب؛ أي: مستويات في
 السن. [٣٨] ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ صلة «أَنشَأْنَاهُنَّ» أو «جعلناهن».

[٣٩] وهم ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. [٤٠] ﴿وَتَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾.
 [٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِي سَمُورٍ﴾ ريح حارة
 من النار، تنفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة. [٤٣] ﴿وَظِلِّ مِمَّنْ
 يَحْمُورُ﴾ دخان شديد السواد. [٤٤] ﴿لَا بَارِدٍ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا
 كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر. [٤٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْبَلَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾
 منعمين؛ لا يتعبون في الطاعة.
 [٤٦] ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنْثِ﴾ الذنب ﴿الْعَظِيمِ﴾ أي: الشرك.

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٢) أي: سواد الخدقة وبياض ما حولها، وقيل مع شدة بياض الجسد كذلك.

(٣) لأن أصلها: «عَيْن» بضم العين وسكون الباء.

(٤) لحمزة والكسائي.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة.

(٦) أي وتركه، وقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٧) بالسكون قراءة ابن عامر وقائلون.

خَلَقْنَاكُمْ ﴿٥١﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿تَصَدَّقُونَ﴾ بالبعث؛ إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. [٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْتَقُونَ﴾ تريقون من النبي في أرحام النساء. [٥٩] ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه (٦٠) في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: النبي بشراً ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْخَالِقِينَ﴾. [٦٠] ﴿تَحْسَبُ فَذَرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف (٦١) ﴿بَيْنَكَ الْمَوْتُ وَمَا تَحْسَبُ بِمَسْبُوبِينَ﴾ بعاجزين.

[٦١] ﴿عَلَى﴾ عن ﴿أَنْ نُبَدِّلَ﴾ نجعل ﴿أَنْتُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنشِئُكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصورة؛ كالقردة والخنازير. [٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ﴾ (٦٢) ﴿الْأُولَى﴾ وفي قراءة بسكون الشين ﴿فَلَوْلَا﴾ [تذكرون] فيه إدغام الناء الثانية في الأصل في الدال (٦٣) ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوتُونَ﴾ تثيرون في الأرض، وتلقون البدر فيها؛ [٦٤] ﴿ءَأَنْتُمْ تَرَزُّوهُ﴾ تبتئونه ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الرِّزْقَ﴾ [٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حَطَلًا﴾ نباتاً يابساً، لا حب فيه ﴿فَطَلْتُمْ﴾ أصله: ظَلَمْتُمْ بكسر اللام، حذفتم تخفيفاً؛ أي: أقمتم نهاراً ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ حذفتم منه إحدى التائين في الأصل؛ تعجبون من ذلك، وتقولون: [٦٦] ﴿إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾ نفقة زرعنا. [٦٧] ﴿بَلْ تَحْسَبُ عُرْوَتُونَ﴾ ممنوعون رزقنا.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾. [٦٩] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب، جمع «مُزْنَةٍ» ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ السَّمْنَاطِينَ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجون من الشجر الأخضر. [٧٢] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ كالموخ والعفار والكلح (٧٣) ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ السَّمْنَاطِينَ﴾ [٧٣] ﴿تَحْسَبُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ نار جهنم ﴿وَمَتَّعْنَا﴾ بُلَغَةً ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ للمسافرين؛ من: أقوى القوم؛ أي: صاروا بالقوا، بالقصر والمد؛ أي: القصر، وهو: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ﴾ زُورَةً ﴿يَاسْمِينِ﴾ زائدة (٧٥) ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: الله. [٧٥] ﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِمَوْقِعِ الشُّجَيْرِ﴾ بمساقطها لغروبها (٧٦) ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القسم بها ﴿لَقَسَمٌ لِّوَيْلٍ تُعْمَرُونَ عَظِيمٌ﴾ لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفْرٍ﴾ ﴿فَمَا لَوْ لَوْ مِنْهَا الْبَطُونَ﴾ ﴿فَقَشَرِيُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيرِ﴾ ﴿فَقَشَرِيُونَ شَرِبَ الْأَمِيرِ﴾ ﴿هَذَا زُرْتُمُوهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿تَحْسَبُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا﴾ ﴿تَصَدَّقُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَأْتُمُونَ﴾ ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ وَأَمْ تَحْسَبُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿تَحْسَبُ فَذَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا تَحْسَبُ بِمَسْبُوبِينَ﴾ ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوتُونَ﴾ ﴿ءَأَنْتُمْ تَرَزُّوهُ وَأَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الرِّزْقَ عَرُوتٌ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حَطَلًا﴾ ﴿فَمَا لَوْ لَوْ تَفَكَّهُونَ﴾ ﴿إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾ ﴿بَلْ تَحْسَبُ مَحْرُومُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ السَّمْنَاطِينَ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَلْحَابًا﴾ ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْمُنْتَشِقُونَ﴾ ﴿تَحْسَبُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ ﴿وَمَتَّعْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الشُّجَيْرِ﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَيْلٍ تُعْمَرُونَ عَظِيمٌ﴾

[٥١] ﴿تَحْسَبُ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ الْكَافِرُونَ﴾. [٥٢] ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفْرٍ﴾ بيان للشجر. [٥٣] ﴿فَمَا لَوْ لَوْ مِنْهَا﴾ من الشجر ﴿الْبَطُونَ﴾. [٥٤] ﴿فَقَشَرِيُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: الرقوم الماكول ﴿بِئِنَّ اللَّحِيمِ﴾. [٥٥] ﴿فَقَشَرِيُونَ﴾ [شُوب] بفتح الشين وضماً (٥٦) مصدر ﴿الْحَمِيرِ﴾ الإبل العطاش، جمع هيمان للذكر، وهيمي للأنثى؛ كعطشان وعطشى. [٥٦] ﴿هَذَا زُرْتُمْ﴾ ما أعد لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم القيامة. [٥٧] ﴿تَحْسَبُ﴾

(١) بالفتح قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) انظر التعليق على الآية (١٧) من سورة الفرقان.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿النَّشْأَةَ﴾ بسكون الشين.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بتخفيف الدال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

(٦) أنواع من الشجر سريعة القلح.

(٧) أي: الباء، وليس لفظة (اسم)؛ كما قال - تعالى -: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرِ﴾ [الأعلى: ١]. وكما يجب تنزيه الله عما لا يليق به؛ فإنه يجب أن تُشْرَفَ أسمائه التي سُمي بها نفسه، أو سماها بها

رسوله ﷺ.

(٨) هذا قول قتادة، وقال عطية: مواقع النجوم؛ منازلها. وهذا أظهر؛ فإنه كما للشمس مشارق ومغارب؛ فللقمر بروج ومنازل.

[٧٧] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: المثلو عليكم ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾. [٧٨] ﴿فِي كِتَابٍ﴾ مكتوب ﴿مَكْتُوبٍ﴾ مصون وهو المصحف^(١). [٧٩] ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ خبر بمعنى النهي ﴿إِلَّا أَنْطَهَرُونَهُ﴾ الذين طهروا أنفسهم من الأحداث. [٨٠] ﴿تَنْزِيلٍ﴾ منزل ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [٨١] ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ مهاونون مكذبون؟
 [٨٢] ﴿وَيَعْمَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر؛ أي: شكره ﴿أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ بسقيا الله حيث قلم: فطرننا بنوء كذا؟^(٢)
 [٨٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح وقت النزح ﴿الْحُلُقُومَ﴾ هو: مجرى الطعام. [٨٤] ﴿وَأَنْتُمْ﴾ يا حاضري الميت ﴿جِنْدِبٌ نَنْظُرُونَ﴾ إليه.
 [٨٥] ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ بالعلم ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ من البصرة؛ أي: لا تعلمون ذلك. [٨٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ مجزيين بأن تبعوا؛ أي: غير مبعوثين بزعمكم.

[٨٧] ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ تردون الروح إلى الجسد، بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما زعمتم، فـ«لولا» الثانية تأكيد للأولى، و«إذا» ظرف لـ«ترجعون» المتعلق به الشرطان، والمعنى: هلاً ترجعونها، إن نفيتم البيعت صادقين في نفيه؛ أي: لينتفي عن محلها^(٣) الموت كالبيعت. [٨٨] ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ من الموت ﴿وَرَزَقًا مِنْ حَسَنٍ﴾ ورحمةً بغير ﴿وَرَحْمَتٍ بَعِيرٍ﴾ وهل الجواب لـ«أما»^(٤) أو لـ«إن»، أو لهما؟ أقول. [٩٠] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾. [٩١] ﴿سَلَامٌ لَكُمْ﴾ أي: له السلامة من العذاب^(٥) ﴿وَمِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ من جهة أنه منهم. [٩٢] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ﴾ الضالين^(٦). [٩٣] ﴿فَنَزُلُ مِنْ جَحِيمٍ﴾. [٩٤] ﴿وَنُصَلِّيَهُ جَحِيمٍ﴾. [٩٥] ﴿إِنْ هَذَا لَمَوْحٌ حَقٌّ لِّلْقَبْرِ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته. [٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ تقدّم.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرِزْقٌ وَرَحْمَةٌ بَعِيرٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴿٩٢﴾ فَالضَّالِّينَ ﴿٩٣﴾ فَذُلٌّ مِنَ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ وَنُصَلِّيَهُ جَحِيمٍ ﴿٩٥﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ حَقٌّ لِّلْقَبْرِ ﴿٩٦﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٧﴾

سُورَةُ الْجَائِنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

وجيء بـ«أما» دون «من» تغليبا للأكثر ﴿وَهُوَ الْقَرِيبُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعته^(٥).

[٢] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء، بلا بداية ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء، بلا نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس^(٦) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

سُورَةُ الْجَائِنَاتِ

[مكية، أو: مدنية، وأبانتا تسع وعشرون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: زهده كل شيء، فاللام مزيدة،

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٥ - ٨٢): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوره كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ الثُّجُوبِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾. مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٢٢) كفر من قال مطرنا بالنوء.

(١) أكثر المفسرين أن المراد الكتاب المكون هو اللوح المحفوظ، والمظهرون هم الملائكة، ولا يحسه يفيد النفي على ظاهره، وهذا هو الأرجح.
 (٢) أي: عن محل الروح، وهو الجسد.
 (٣) أي: وجواب (إن) محذوف؛ لدلالة المذكور عليه، وهذا معهود كثيرا.
 (٤) أشار بهذا إلى أن «السلام» في الآية بمعنى: السلامة، وهذا قول ابن عباس. وقال عطاء: تسلّم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهو قريب من قول البخاري: مُسلم لك أنك من أصحاب اليمين، وقيل المعنى: سلام لك يا صاحب اليمين، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ تعظيما لصاحب اليمين.
 (٥) سبق التثنية في سورة البقرة آية (١٢٩) على أن الأولى التعميم في متعلق الحكمة؛ فقال: الحكيم في كل شأن من شئونه؛ من صنعته، وقدره، وتشريعها، وجزائها، وإرساله رسله، وإنزاله كتبه... الخ. ونعيده هنا للتذكير والتأكيد.
 (٦) والأولى تفسير هذين الاسمين بما فسرهما به النبي ﷺ في قوله: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» فيكون اسمه الظاهر دالاً على علوه، واسمه الباطن دالاً على إحاطة علمه.

[٥] ﴿لَهُ مَلِكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ الموجودات جميعها.

[٦] ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ يدخله ﴿فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٧] ﴿ءَامِنُوا﴾ داموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا﴾ في سبيل الله ﴿وَمَا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ من مال من تقدمكم، وسيخلفكم فيه من بعدكم، نزل في غزوة العشرة، وهي غزوة تبوك^(١) ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ إشارة إلى عثمان رضي الله عنه ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ خطاب للكفار؛ أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِئُمْتَا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ﴾ بضم الهمزة وكسر الحاء، وفتحها ونصب ما بعده^(٢) ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ عليه؛ أي: أخذه الله في عالم الدُّنْيَا حين أشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٣) ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: مردين الإيمان به، فبادروا إليه.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ﴾ آيات القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بما فيهما؛ فصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ منكم ﴿مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ ملكة ﴿وَقَاتِلَ أَوْلِيَّكَ أَتَّكَمُ دَرَجَةً﴾ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا﴾ من الفريقين، وفي قراءة^(٤): بالرفع؛ مبتدأ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ﴾ الخنة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ يانفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿فِيضْعَافَهُ﴾ وفي قراءة^(٥) ﴿فِيضْعَافَهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مقترن به رضا وإقبال.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَصْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥﴾ لَهُ مَلِكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٦﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٨﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِئُمْتَا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أَوْلِيَّكَ أَتَّكَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ رُءُوسًا كَثِيرًا ﴿١٢﴾

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أولها الأحد وآخرها الجمعة^(١) ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الرَّسِيِّ﴾ الكرسي^(٢) استواء^(٣) يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كالطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَصْرُجُ﴾ يصعد ﴿وَبَيْنَهَا﴾ كالأعمال الصالحة والسبية^(٤) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه^(٥) ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) سبق الرُّدُّ على تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه المحلي هنا، أو في نحوها من الآيات وأن هذا لا سند له. وذلك في سورة فصلت الآية (٩).

(٢) والعرش غير الكرسي كما سبق، وهو أعظم منه كما في الحديث.

(٣) سبق التعليق على تفويض الاستواء، وأنه إذا كان يريد تفويض الكيفية فهذا حق، وإن كان يريد تفويض المعنى؛ فغير صحيح، إذ إن السلف يعلمون من معناه: الاستقرار والعلو.

(٤) المناسب حذفه؛ لأن الذي يرفع إما هو الأعمال الصالحة كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.

(٥) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمة المية العام والخاص وحقيقتها في آخر سورة النحل.

(٦) لم أتف على أحد من المفسرين غير المحلي ذكر أن هذا سبب نزول الآية، والصحيح أنها عامة، وليست بما نزل على سبب، والله أعلم.

(٧) وكذا غيره من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا دليل على قصرها على عثمان رضي الله عنه.

(٨) بالضم قراءة أبي عمرو، وقراءة بقية السبعة بالفتح: ﴿أَخَذَ﴾، ونصب: ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾.

(٩) الأعراف: ١٧٢.

(١٠) لابن عامر.

(١١) لابن كثير وابن عامر، لكن ابن كثير مع الرفع.

[١٢] اذكر ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَوَجْهٌ يَكُونُ بِأَيْمَانِهِمْ﴾ ويقال لهم: ﴿بَشِّرْكُمْ الْيَوْمَ بِجَنَّتِكُمْ﴾ أي: ادخلوها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ أبصرونا، وفي قراءة (١) بفتح الهمزة وكسر الطاء؛ أمهلونا ﴿فَقَيْسٌ﴾ نأخذ القيس والإضاءة ﴿مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ﴾ لهم استهزاء بهم: ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فرجعوا ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ قيل: هو سور الأعراف ﴿لَهُمْ بَابٌ بِأَيْمَانِهِمْ فِيهِ الرِّحْمَةُ﴾ من جهة المؤمنين ﴿وَوَظُهُرٌ﴾ من جهة المنافقين ﴿مِنْ فِيهِ الْإِعْدَابُ﴾.

[١٤] ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ على الطاعة ﴿فَالْتُوا بَنِي وَوَلَيْكُمُ فَتَنَتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالفراق ﴿وَتَرْتَضِينَ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَأَرْتَبْتُمْ﴾ شككم في دين الإسلام ﴿وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِي﴾ الأطماع ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الموت ﴿وَعَزَّيْتُمْ يَأْتِيهِ الْعُرُورُ﴾ الشيطان.

[١٥] ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ بالياء والتاء (٢) ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَلَا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُوْنِكُمْ أَن تَارَ هِيَ مَوْلَانِكُمْ﴾ أولى بكم ﴿وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ هي.

[١٦] ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ يحسن ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في شأن الصحابة، لما أكتروا المزاح (٣) ﴿أَن تَخَشَّ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا [نَزَلَ]﴾ بالتشديد والتخفيف (٤) ﴿مِنْ الْحَقِّ﴾ القرآن؟ ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ معطوف على «تخشع» ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لم تلن لذكر الله ﴿وَكَبِيرٌ يَنْتَهُمْ تَسْفُوتٌ﴾.

[١٧] ﴿أَعْلَمُوا﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات، فكذاك يفعل بقلوبكم؛ يردها إلى الخشوع ﴿فَدَبَّيْنَا لَكُمْ الْأَنْبِيَاءَ﴾ الدالة على قدرتنا بهذا وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّا أَلْمَضِدِينَ﴾ من الصدق، أدمغت التاء في الصاد؛ أي: الذين تصدقوا ﴿وَأَلْمَضِدِينَ﴾ اللاتي تصدقن، وفي قراءة (٥) بتخفيف الصاد فيها؛ من التصديق والإيمان ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ راجع إلى الذكور والإناث

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشَرِّكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا وَانْقَتِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٤﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى
وَلَكِن كُفَرْتُمْ فَبَشِّرْهُم بِقِسْمَتِكُمْ وَمَنْ يُبَدِّلْ اللَّهُ قِسْمَتَهُ
فَلَا يُغَيِّرُهَا شَيْئًا وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ يَوْمَ
يَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ
لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَسِيفُونَ ﴿١٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَلْمَضِدِينَ وَالْمَضِدَاتِ
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لِيُضْعِفَ لَهُمْ وَاوْنَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿١٩﴾

بالغليب، وعطف الفعل على الاسم في صلة «أل»؛ لأنه فيها حل محل الفعل، وذكّر القرض بوصفه بعد التصديق تقييد له ﴿يُضْعَفُ﴾ وفي قراءة (٦): ﴿يُضْعَفُ﴾ بالتشديد؛ أي: قرضهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

(١) حمزة؛ أي: «انظروننا».

(٢) ببناء قراءة ابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٣) يشير إلى ما أخرجه ابن شيبه في مصنفه (٦٠/١٤ رقم ١٧٥٦٤) عن ابن أبي رواد، وضعفه في الاستيعاب (٣٢٠/٣) لإعضاله. وأخرج مسلم في صحيحه (٣٠٢٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية؛ «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخَشَّ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» إلا أربع سنين».

(٤) بالتشديد قراءة السبعة عدا نافع وحفص.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وشعبة.

(٦) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر بغير ألف مع تشديد العين، وقرأ بقية السبعة بالألف وتخفيف العين.

وَيُورِثُهُمْ وَأَوْلِيَهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۗ الدالة على وحدانيتنا
﴿أَوْلِيَتِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ﴾ النار.

[٢٠] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ دَرَجَةٌ ۗ وَهُمْ فِيهَا مُتَنَزِّهَاتٌ ۗ وَمَا يَنْبَغُ لَكُمْ فِيهَا كِبَارٌ ۗ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۗ أَي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿عَيْتٍ﴾ مطر ﴿عَجَبَ الْكُفَّارِ﴾ الزراع^(١) ﴿بِنَاتِهِمْ﴾ الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ يبس ﴿فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ۗ ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۗ فَتَأْتِي الضمحل بالرياح ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن أثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: الشعة ﴿أَعْدَتَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بالجذب^(٢) ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ كالمرض، وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا﴾ «كي» ناصبة للفعل بمعنى «أن»؛ أي: أخير - تعالى - بذلك لئلا ﴿تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿وَمَا آتَاكُمْ﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر^(٣): جاءكم منه ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس.

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به، لهم وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ﴾ ضمير فصل، وفي قراءة^(٤) بسقوطه ﴿الْقَتْلِ﴾ عن غيره ﴿الْحَمِيدِ﴾ لأوليائه.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ۗ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ دَرَجَةٌ ۗ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ عَيْتٍ عَجَبَ الْكُفَّارِ بِنَاتِهِ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ ۗ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَعْدَتَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۗ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ۗ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۗ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ۗ

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ المبالغون في التصديق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ

(١) وهذا قول كثير من المفسرين، وقيل: المراد الكافرون بالله ﷻ؛ لأنهم أشد إعجابًا وافتتانًا بزينة الحياة الدنيا. وهذا القول أقرب، واستحسنه القرطبي.

(٢) ونحوه كالوباء والغلاء والقحط، والأولى: أن يقول: كالجذب؛ ليكون ذلك على سبيل التمثيل.

(٣) بالقصر قراءة أبي عمرو.

(٤) لنافع وابن عامر.

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمحجج القواطع ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أخرجه من المعادن ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف على: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ ﴿مَنْ يَصْرُفْ﴾ بأن ينصر دينه بالآلات الحرب، من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلُهُ بِالْقَيْبِ﴾ حال من هاء ﴿يَصْرُفْ﴾ أي: غابنا عنهم في الدنيا؛ قال ابن عباس: ينصرونه ولا يصرونه ﴿إِنْ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا حاجة له إلى النصر، لكنها تنفع من يأتي بها.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزيور، والفرقان؛ فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فِيهِمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آدَامَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَنِي آدَمَ الْيَتِيمَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿أَبْتَدَعُوهَا﴾ من قبل أنفسهم ﴿مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِنَّ﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿أَيْتَاءَ رِضْوَانٍ﴾ مرضاة ﴿اللَّهِ﴾ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم فأمنوا ببينا ﴿فَقَاتِلْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ﴾.

[٢٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعيسى ﴿أَتَقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرُسُولِهِ﴾ محمد ﷺ وعيسى ﴿يُؤْتِيكُمُ كَلِمَاتٍ﴾ نصيبين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بالنبين ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط ﴿وَيُخَوِّفُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿لَيْلًا بَعَثَهُ﴾ أي: أعلمكم بذلك، ليعلم ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ التوراة، الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مخففة من التقلية، واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنهم ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أعباء الله وأهل رضوانه ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فأتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين، كما تقدم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٤).

(٤) ما جاء في نزول الآيات (٢٧ - ٢٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كانت ملوك بعد عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون بقرؤون التوراة، قيل للموكلهم: ما نجد شقاً أشد من شتم بشتونا هؤلاء؛ إنهم يقرءون: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وهؤلاء الآيات، مع ما يعيونا به في أفعالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرؤا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمننا، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها. فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنا لنا أسطوانات ثم اقرعونا إليها ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقبلوا، وقالت طائفة منهم: ابنا لنا دوراً في الفيافي، ونحفر الآبار ونحترق البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال ففعلوا ذلك، فأزل الله ﷻ ﴿وَرَهَابَانِيَّةً أَبْتَدَعُوا مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَيْتَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ والأخرون قالوا: تبعد كما تبعد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا به. فلما بعث الله النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من دير، فأقنوا به وصدقوه، فقال الله - تبارك وتعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَأْتُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِيكُمُ كَلِمَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: أجرين: لإيمانهم بعيسى والتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم. قال: ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ القرآن واتباعهم النبي ﷺ، قال: ﴿لَيْلًا بَعَثَهُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يشتمون بكم: ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الآية. النسائي. كتاب آداب القضاة (٤٩) باب (١٢). (صحيح الإسناد موقوف) صحيح سنن النسائي (٤٩٩٠).

وقال ابن كثير: «هذا السباق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا».

﴿فِي رُوحِهَا﴾ المظاهر منها، وكان قال لها: أنت علي كظهر أمي. وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك؛ فأجابها بأنها حرمت عليه، على ما هو المعهود عندهم، من أن الظهار موجبة فرقة مؤبدة، وهي خولة^(١) بنت ثعلبة، وهو: أوس بن الصامت ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وحدتها وافتقارها وصبية، صغاراً؛ إن ضنتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجمكما ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ عالم^(٢).

[٢] ﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ﴾^(٣) أصله يظهرون؛ أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة^(٤) بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أخرى^(٥): «كـ» يقاثلون»، والموضع الثاني^(٦) كذلك ﴿يَسْتَكِينُ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي أَلْتِي﴾ بهمة وياء وبلا ياء^(٧) ﴿وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ زُورًا﴾ كذباً ﴿وَإِنَّكَ اللَّهُ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ للمظاهر بالكفارة.

[٣] ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ﴾ من نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي: فيه؛ بأن يخالفوه يماسك المظاهر منها، الذي هو خلاف مقصود الظهار، من وصف المرأة بالتحريم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعانتها عليه ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَّسِقَ بِالِوِطْءِ﴾ ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقة ﴿فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّسِقَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي: الصيام ﴿فَإِطْعَامَ سِتِّينَ سَكِينًا﴾ عليه؛ أي: من قبل أن يتماسق؛ حملاً للمطلق على المقيد؛ لكل مسكين مثد من غالب قوت البلد ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَيَذَلِكَ﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودِ اللَّهِ﴾ وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم^(٨).

[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ كُفُورًا﴾ أدلوا ﴿كَمَا كُفَّتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في مخالفتهم رسوله ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٦] ﴿يَوْمَ يَسْعَهُمُ اللَّهُ﴾ جَمِيعًا فَيَنْشُرُهُمْ يَمَّا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسَوْءَ مَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي رُوحِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي أَلْتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّسِقَ ذَلِكَ لَكُمْ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّسِقَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ سَكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَيْفُ مَا كُنْتِ الْذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْبِتُهُمْ يَمَّا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسَوْءَ مَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

سورة المجادلة

[مدنية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ تُراجعك أيها النبي

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج أبو داود عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة، قالت: ظاهري مني أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: «اتقي الله؛ فإنه ابن عمك». فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي رُوحِهَا﴾ إلى الفرض، فقال: «يعنى رقة». قالت: لا يجد. قال: «فيصوم شهرين متتابعين». قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به صيام. قال: «فليطعم ستين مسكيناً». قالت: ما عنده شيء يصدق به. قالت: فأنتي ساعته بقرق من تمر. قلت: يا رسول الله، فإنني أعينه بقرق آخر. قال: «قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكيناً وارجعي إلى ابن عمك». قال: والقرق ستون صاعاً. أبو داود - كتاب الطلاق (١٧) في الظهار. حسن دون قوله: «والقرق ستون صاعاً». صحيح سنن أبي داود (١٩٣٤).

(١) ويقال لها أيضاً: «خويلة» بالتصغير.

(٢) العلم غير النسخ والبصر؛ فالسمع تدرك به الأصوات، والبصر تدرك به المرئيات، والعلم يشمل هذا وغيره، وكلها صفات ثابتة لله ﷻ يجب الإيمان بها على الوجه اللائق به - شيخانته..

(٣) أي: «يظاهرون»، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) لحمزة والكسائي وابن عامر.

(٥) وهي قراءة عاصم.

(٦) أي: في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ آية (٣).

(٧) انظر التعليق على كلمة (اللآئي) في سورة الأحزاب، الآية (٢).

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ﴾ بعلمه ^(١) ﴿وَلَا حَسْرَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا تَمَّ بَيْنَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِرِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيتهم؛ أي: تحدثهم سرًا ناظرين إلى المؤمنين؛ ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وَرِذَاكَ جَاهُكَ حَيْوَتِكَ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يَجِيكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك؛ أي: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من النجوة، وأنه ليس بنبي، إن كان نبيًا؟ ﴿حَسْبُنَا جَهَنَّمُ بَصُورُنَا يُنْفَسُ الْمَصِيرُ﴾ هي ^(٢).

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْآثِرِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ بالإنم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بغيره ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَكِنْ هُوَ﴾ بصائرهم شيئًا إلا بإذن الله ﴿أَي: لرادته﴾ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْحَوا﴾ توسعوا ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ ^(٣) ﴿مَجْلِسُ النَّبِيِّ ﷺ﴾ والذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة: ﴿الْمَجْلِسِ﴾ ﴿فَأَنْسَحُوا بِسَخِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وَإِذَا قِيلَ [انْشُرُوا]﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿فَأَنْشُرُوا﴾ ^(٤)، وفي قراءة: بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَرَفَعَ الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا أَلِيمًا دَرَجَاتٍ﴾ في الجنة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا حَسْرَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا تَمَّ بَيْنَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِرِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتِكَ بِمَا لَمْ يَجِيكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُنَا جَهَنَّمُ بَصُورُنَا يُنْفَسُ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْآثِرِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَكِنْ هُوَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْحَوا فِي الْمَجْلِسِ فَاَنْسَحُوا بِسَخِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ فَانْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا أَلِيمًا دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج مسلم عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ أناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! قال: «وعليكم»، قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والنام، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لا تكوني فاحشة» فقالت: وما سمعت ما قالوا؟ فقال: «أأو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا، قلت: وعليكم». فأقول الله ﷻ: ﴿وَرِذَاكَ جَاهُكَ حَيْوَتِكَ بِمَا لَمْ يَجِيكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية. مسلم، كتاب السلام (٣٩) باب (٤) النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(١) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان تسمي المعية العام والخاص وبيان حقيقتها في آخر سورة النحل.

(٢) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ عاصم: ﴿الْمَجْلِسِ﴾.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة بخلاف عنه، وقرأ بقية السبعة، وهو الوجه الثاني للشعبة: ﴿فَأَنْشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ بضم الشين فيهما.

فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة.

[١٣] ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(١) أي: خفتن من أن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ تَحُونَ كَرَّ صَدَقْتُمْ لفقير ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ الصدقة ﴿وَرَبَّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: دارموا على ذلك ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ هم المنافقون ﴿فَوَمَا﴾ هم اليهود ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ﴾ أي: المنافقون ﴿بِنِسْبَتِكُمْ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَتُوبُ﴾ من اليهود، بل هم مذنبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ﴾ أي: قولهم: إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَعْمَلُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه^(٢).

[١٥] ﴿أَمَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي.

[١٦] ﴿أَتَّخَذُوا آيَاتِنَاهُمْ هُجُوعًا﴾ سترًا على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدَّقُوا﴾ بها المؤمنين ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد فيهم، بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٧] ﴿لَنْ تَنفَعَكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿سَيَتَّبِعُكَ مِنَ الْإِغْنَاءِ﴾ أو أَوْلِيكَ أَحْسَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٨] اذكر ﴿يَوْمَ يَبْتَسِمُ اللَّهُ جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كاللذات ﴿وَأَلَّا يَتَّبِعُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ هم الكاذبون.

[١٩] ﴿أَسْتَعْوَدُ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَسْتَهْمُ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيكَ جَزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أتباعه ﴿أَلَّا إِنَّ جَزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْمُخْسِرُونَ﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيكَ فِي الْآدَاءِ﴾ المغلوبين.

[٢١] ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، أو: قضى ﴿لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة، أو: السيف^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِ مُؤَيَّنِينَ بِيَدِي جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْرَهُ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ جُنُودَكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَرَبَّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا فَوَمَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ أَمَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَتَّخَذُوا آيَاتِنَاهُمْ جَهَنَّمَ فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَالَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧﴾ لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أَوْلِيكَ أَحْسَبُ النَّارِ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ءَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ ﴿١٩﴾ أَسْتَعْوَدُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ءَلَّا إِنَّ جَزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْمُخْسِرُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيكَ فِي الْآدَاءِ ﴿٢١﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ أردتم مناجاةه ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ جُنُودَكُمْ﴾ قبلها ﴿صَدَقَةٌ﴾ ذلك خير لكم وأطره ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا﴾ لذنوبكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ما تصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمناجاتكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم؛ يعني: تجدوا.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤، ١٨): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرته... فقال لبعض أصحابه: «يجيكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه، فجاه رجل أرق، فلما رآه النبي ﷺ دعا، فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ قال: كما أنت حتى أتيتك بهم، قال: فذهب فجاه بهم فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا، وأمر الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْتَسِمُ اللَّهُ جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَكُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾. ونحوه في (١/ ٢٤٠). ولله الشكر.

وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده في المسند (١٧/ ١٨) رقم (٢١٤٧)، وحسن الأناؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٤٨/٤).

(١) انظر التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

(٢) أو: بهما جميعا.

[١٢٢] ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾ يصادقون ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ أي: الحادون ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بل يقصدونهم بالسوء، ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة - رضي الله عنهم (١) - ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين لا يوادونهم ﴿كَتَبَ﴾ أنبت ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ ﴿بِنُورٍ﴾ مِنَّمَا ﴿عَالَى﴾ وَيَدَّبُّنَاهُمْ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿الَّذِينَ خَلَدُوا فِيهَا رِضًا بِمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته (٢) ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بنوابه ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يتبعون أمره، ويجتنبون نهيه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفاتحون.

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنَّمَا وَعِدْنَاهُمْ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الَّذِينَ خَلَدُوا فِيهَا رِضًا بِمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

[مدنية، أربع وعشرون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نزهه، فاللام مزيدة، وفي الإتيان بـ«ما» تغليب للأكثر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه.
[٢] ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم: بنو النضير من اليهود ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لِلأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هو: حشرهم إلى الشام (٣)، وآخروه: أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر (٤) ﴿مَا ظَنَّتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُمْ﴾ خير ﴿أَنَّ﴾ ﴿حُصُونَهُمْ﴾ فاعله، به تم الخبر ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ﴾ أي: أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لم يخطر ببالهم، من جهة المؤمنين ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضما (٥): الخوف؛ بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف (٦) من: «أخرب» ﴿بُيُوتَهُمْ﴾ لينقلوا ما استحسنته منها، من خشب وغيره ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[٣] ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ﴾ قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الخروج من الوطن (٧) ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسي، كما فعل بقريظة من اليهود ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن سعيد بن جبيرة قال: قلت لابن عباس... سورة الحشر. قال: نزلت في بني النضير. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٦) باب (١).
(١) كأي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وعمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وعلي وحمره قفلا عتبة وشيبة يوم بدر.
(٢) كان المفسر يريد تأويل رضا الله عن المؤمنين بالتوفيق إلى الطاعة، وهذا خلاف مذهب السلف في إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته الله سبحانه على الوجه اللائق.
(٣) اتفق المفسرون على أن «أول الحشر» هو: إخراجهم من المدينة.
(٤) هذا سبق قلم أو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «من خيبر»؛ حيث إن عمر بن الخطاب رحمه الله أجلاهم من خيبر وجميع جزيرة العرب، إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام. وتفسير الحشر الثاني بذلك؛ هو قول مرة الهذلي. وقال الحسن: هو: إلى أرض الحشر يوم القيامة. وقبل غير ذلك.
(٥) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.
(٦) بالتشديد قراءة أبي عمرو.
(٧) في نسخة القاضي (المواطن).

[٦] ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ﴾ رد ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ أسرعتهم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿حَيْلٍ وَلَا رِيَابٍ﴾ إيل؛ أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ، ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه؛ من أن لكل منهم خمس الخمس، وله ﷺ الباقي، يفعل فيه ما يشاء؛ فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة من الأنصار (١) لفقهم.

[٧] ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ «كالصفراء» و«وادي القرى» و«يثع» و«فيلو» يأمر فيه بما يشاء «وَالرَّسُولِ وَالَّذِي» صاحب «الْقُرَى» قرابة النبي؛ من بني هاشم وبني المطلب «وَالَّذِينَ» أطفال المسلمين الذين هلكت آبؤهم وهم فقراء «وَالَّذِينَ» ذوي الحاجة من المسلمين «وَأَبْنَاءَ النَّبِيِّ» المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس، وله الباقي «كُنْ لَا» «كِي» بمعنى اللام، و«أن» مقدره بعدها «يَكُونُ» الفيء؛ علة لتقسيمه كذلك «دَوْلَةٌ» متداولاً «بَيْنَ الْأَخْيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَيْنَاكُمْ» أعطاكم «الرَّسُولُ» من الفيء وغيره «فَحُدُودُهُ» وما آتاكم «عَنْ قَاتِلِهِمْ» وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: اعجبوا (٢) ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي: المدينة «وَالْإِيمَانَ» أي: ألفوه، وهم الأنصار «مَنْ قَبْلَهُمْ يُجِبُونَ» من هاجر إليهم «وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً» حسداً «وَمَا أُوْتُوا» أي: أتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم «وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ» ولو كان يوم خصاصة «حاجة إلى ما يؤثرون به» «وَمَنْ يُوَفَّ شِحْ نَفْسِيهِ» حرصها على المال «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (٣).

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِمَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْخَرِي الْفَلْسِقِينَ ﴿٧﴾ وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِيَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَيْنَاكُمْ الرِّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأْتُوهُ وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفَّ شِحْ نَفْسِيهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾

[٤] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٥] ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ يا مسلمون ﴿مِنْ لِمَنَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: خيركم في ذلك ﴿وَلِيْخَرِي﴾ بالإذن في القطع ﴿الْفَلْسِقِينَ﴾ اليهود، في اعتراضهم أن قطع الشجر الممر فساد (٤).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج الترمذي عن ابن عباس في قوله ﷺ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِمَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال: اللينة: النخلة. ﴿وَلِيْخَرِي الْفَلْسِقِينَ﴾ قال: استنزولهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً، فلنسلأ رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأقول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِمَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٩) ومن سورة الحشر. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣١). وهو في الصحيح عن ابن عمر مختصراً.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلي نساء فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يضيفه الليلة بريحه الله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهن، وتعالي فأطعني السراج ونظري بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله ﷻ - أو ضحك - من فلان وفلانة». فأقول الله ﷻ: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. البخاري - التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٩) باب (٦).

(١) هم: أبو دجانة يمتك بن غرشة، وضهل بن حثيف، والحارث بن الشثمة. وقال ابن إسحاق: بل أعطى اثنين فقط؛ أبا دجانة وسهلًا.

(٢) الأقرب أن الكلام متعلق بما قبله، وهو قوله: ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾، فالعنى: الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾
لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأُذُنُ مَا يُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ
أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقُولُونَ كُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْضَةٍ
أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُبٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَفُؤُوا وَكَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ حقدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

[١١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم: بنو النضير، وإخوانهم في الكفر: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ مِنْ الْأَرْضِ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في خذلانكم ﴿أَمَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ﴾ حذفت منه اللام الموطئة ﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

[١٢] ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ أي: جاؤوا لنصرهم ﴿لَيُولِيَنَّ الْأُذُنُ مَا يُبْصِرُ﴾ واستغني بجواب القسم المقدّر، عن جواب الشرط، في المواضع الخمسة ﴿١١﴾ ﴿ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: اليهود.

[١٣] ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً﴾ خوفًا ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ أي: المناققين ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ لتأخير عذابه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[١٤] ﴿لَا يَقُولُونَ كُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرَى مُحْضَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُبٍ﴾ [جُدُبُ] ﴿سُورَةُ﴾ وفي قراءة: ﴿جُدُبٍ﴾ ﴿بَأْسُهُمْ﴾ حربهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ متفرقة خلاف الحساب ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[١٥] مثلهم في ترك الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ بزم قريب، وهم أهل بدر من المشركين ﴿ذَفُؤُوا وَكَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبته في الدنيا من القتل وغيره ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة.

[١٦] مثلهم - أيضًا - في سماعهم من المناققين وتخلفهم عنهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ كذبًا منه ورياء.

(١) وهي: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، و﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾، و﴿لَئِنْ قُوتِلُوا﴾، و﴿لَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾.

(٢) هي: الأربعة المتقدمة المشار إليها في التعليق السابق، والخامس هو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ قُوتِلُوا﴾.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراء بقية السبعة ﴿جُدُبٍ﴾.

﴿كَانَ﴾ أي: «أَنَّهَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» أي: الكافرين.

[١٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهُ وَلَسْتَ تَرَى نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يوم القيامة ﴿وَأَتَفَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَالِقُونَ﴾ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة هم الفالِقون.

[٢١] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿لَرَأَيْتَهُ خَشِيحًا مُّصَدِّعًا﴾ منشفقا ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ المذكورة ﴿تَضَرَّبَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون.

[٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿السَّلَامُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق رسله،

بخلق المعجزة لهم^(١) ﴿الْمُهَيَّبُ﴾ من هيمن بهيمن؛ إذا كان رفيقا على الشيء؛ أي: الشهيد على عبادته بأعمالهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿الْجَبَّارُ﴾ جبر خلقه على ما أراد ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ نزه نفسه

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ المنشئ من العدم ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ﴾ الأسماء الحسن^(٢)، ﴿الْحَسَنُ﴾ مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

تقدم أولها.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهَ وَلَسْتَ تَرَى نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَتَفَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَالِقُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيحًا مُّصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ الْمُذَكَّرَةُ فِيهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾

سورة الممتحنة

[١٧] ﴿كَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ أي: الغاوي والمغوي، وقرئ^(١): بالرفع؛ اسم

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وقيل: الذي يؤمن خلقه من ظلمه، وقيل غير ذلك، وهذا من التفسير الجزئي، وهو يشمل ذلك كله.

(٣) سبق التنبيه إلى أن الأسماء الحسنى أكثر من ذلك ولا يحصيها إلا الله ﷻ، وأن الحديث إنما هو في فضل من يحصي تسعة وتسعين اسماً منها.

سُورَةُ التَّوْحِيدِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ كفار مكة ﴿أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتُونَ﴾ تتوصلون ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إليهم ﴿فَصَدَّ النَّبِيَّ ﷺ غَرْوَهُمْ﴾ الذي أسره إليهم، ووَرَى بِخَيْتَيْنِ ﴿بِالْمُؤَدَّةِ﴾ بينكم وبينهم؛ كتب حاطب بن أبي بلتعنة إليهم كتاباً بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين فاسترده النبي ﷺ من أرسله معه، بإعلام الله - تعالى - بذلك، وقيل عذر حاطب فيه ^(١) ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: دين الإسلام والقرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: لأجل أن آمنتم ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ إن كنتم خرجتم جهداً للجهاد ﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ وجواب الشرط دل عليه ما قبله؛ أي: فلا تتخذوهم أولياء ﴿شُرُونِ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ وَأَنَا أَتْلُو بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَقَعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ أي: إسرار خبر النبي إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الهدى، والسواء في الأصل: الوسط ^(٢).

[٢] ﴿إِنْ يَنْفَقُوا بِكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَأَلْسِنَتُهُمُ بِالسُّوءِ﴾ بالسب والشتم ﴿وَوَدُّوا﴾ تمتوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣] ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ المشركون، الذين لأجلهم أسرتهم الخير، من العذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يفضل] بالبناء للمفعول والفاعل ^(٣) ﴿بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم، فتكونون في الجنة، وهم في جملة الكفار في النار ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٤] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِشْرَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها ^(٤) في الموضوعين ^(٤): قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: به، قولاً وفعلًا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْفَةٍ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ كطريف ﴿وَمَنْ تَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أنكرناكم ﴿وَبَدَلًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعُدَاةُ وَالنِّقَمَاتُ أَبَدًا﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوًا ^(٥) ﴿حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ إِذْ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَفِرَّنَّكَ مِنَ مَسْتَنِي مِنْ «أسورة»، فليس لكم التأسى به في ذلك؛ بأن تستغفروا للكفار، وقوله: ﴿وَمَا أَمْرُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه وتوابه ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو مبني عليه مستثنى من حيث المراد منه ^(٦)، وإن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَقَعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ إِنْ يَنْفَقُوا بِكُمْ لَكُمُ أَعْدَاءُ وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْفَةٍ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَلْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعُدَاةُ وَالْبَغِضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِذَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَفِرَّنَّكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَّمَكُنَا مَا نَكُنَّا نَكُنَّا وَاللَّيْلُ وَالنَّجْمُ الْمُسْتَقِيمُ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

كان من حيث ظاهره مما يُتأسى فيه ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ ^(١) واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكره في «براءة» ^(٢). ﴿رَبَّنَا عَلَّمَكُنَا نَوْحَنَا وَإِلَيْكَ آتَيْنَا وَاللَّيْلُ وَالنَّجْمُ الْمُسْتَقِيمُ﴾ من مقول الخليل ومن معه؛ أي قالوا ^(٣): ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا تظهرهم علينا، فيظنوا أنهم على الحق، فيفتنوا؛ أي: تذهب عقولهم بنا ﴿وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكك وصنعك.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان عن عمرو بن دينار... عن عبيد الله بن رافع كاتب علي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزيبر والمقداد قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة عجاج؛ فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها؛ فذهبنا نعداى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطعينة، فقلنا: أخرجنا الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين النياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعنة إلى أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمسون بها أهلهم وأولادهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطع إليهم بئد يحمون قرياتي، وما فعلت ذلك كفسراً ولا ارتداداً عن ديني، فقال النبي ﷺ: «إنه قد صدقكم». فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه! فقال: «إنه شهد بدراً؛ وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». قال عمر بن دينار: ونزلت فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التوحدة (٦٠) باب (١).

(١) قصة حاطب في الصحيحين وغيرهما من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام، البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).
 (٢) بالبناء للمفعول قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. وفرأ ابن عامر كذلك مع تشديد الصاد.
 (٣) بالكسر قراءة السبعة عدا عاصم.
 (٤) أي في هذه الآية، وفي الآية السادسة الآتية.
 (٥) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدال الثانية واوًا، هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.
 (٦) قوله: «فهو مبني عليه» أي: للاستغفار لك، ومرتب به، ولكنه مستثنى منه كما أفاده قوله بعد ذلك: «مستثنى... الخ؛ والمعنى: واقتدوا به إلا في الاستغفار لكفار». (٧) الفصح: ١١، والآية أتى بها المنصف على سبيل الاستدلال لقوله: «ما يتأسى فيه»؛ فكانه قال: بدليل قوله - تعالى -: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾. وهو قوله - تعالى -: ﴿لَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَدُوٌّ لَكُمُ بَدَلًا مِنْكُمْ﴾ [براءة: ١١٤].
 (٨) في نسخة القاضي: «وقالوا».

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم.

[٨] ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الْكُفْرِ﴾ من الكفار ﴿فِي الَّذِينَ وَلَّوْا بِخُرُوجِكُمْ أَمْ أَنْ بَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتغال من «الذين» ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ تقضوا ﴿إِيَّاهُمْ﴾ بالقسط، أي: بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين^(١).

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الَّذِينَ رَأَيْتُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَظَهَرُوا﴾ عاونوا ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْلَوْهُمْ﴾ بدل اشتغال من «الذين»؛ أي: تخذلوهم أولياء ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ أَثِمَتْ نَفْسُهُ﴾.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ بالسنتهن ﴿مُهَاجِرَاتٌ﴾ من الكفار، بعد الصلح معهم في الحديبية، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يرُدُّ ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالخلف على أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضا لأزواجهن الكفار، ولا عشقا لرجال من المسلمين، كذا كان يُحْلِفُهُنَّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمْنَ إِذَا عَلِمْتَهُنَّ﴾ ظنتموهن بالخلف ﴿مُؤَيَّنَاتٌ﴾ ولا ترجوهن ﴿تَرُدُّهُنَّ إِلَى الْكُفْرِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ولا تؤهمن ﴿أَي: أعطوا الكفار أزواجهن^(٢)﴾ ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ بِشْرَطِهِ﴾ إذا آتيتموهن بأجرهن ﴿مُؤْمِنَاتٌ﴾ ولا تَمْسِكُوا بالشديد والتخفيف^(٣) ﴿بِعِصْمِ الْكُفْرَانِ﴾ زوجاتكم، لقطع إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَسَلُّوا﴾ اطلبوا ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور، في صورة الارتداد، من تزوجهن من الكفار ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا﴾ على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿ذَلِكَ حَكْمُ اللَّهِ يُحْكَمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤).

[١١] ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ نِسَاءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو شيء من مهورهن بالذهاب ﴿إِلَى الْكُفْرَانِ﴾ مرتدات ﴿فَأَقِمْ وَفِعْوَتَهُمْ﴾ لغواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَأَنْفَقُوا﴾ الذي أشرف به مؤمنوتكم ﴿وَقَدْ فَعَلَ الْمُؤْمِنُونَ مَا أَمَرُوا بِهِ مِنَ الْإِيثَابِ لِلْكَفَّارِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم ارتفع هذا الحكم^(٥).

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠﴾ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً والله قديرٌ والله عَزِيزٌ رَجِيمٌ ﴿١١﴾ لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمْنَ إِذَا عَلِمْتَهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفْرَانِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثِمُوا مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تَمْسِكُوا بِعِصْمِ الْكُفْرَانِ وَمَا أَنْفَقُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حَكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ نِسَاءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفْرَانِ فَعَابِقْتُهُنَّ فَانكِحُواهُنَّ مَا أَنْفَقُوا مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَتَقْوُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدر ﴿فِيهِمْ إِشْرَافٌ﴾ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ ﴿بِدَلِّ اشْتِمَالٍ مِنْ «كَمْ»﴾^(١) بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يخافهما، أو: يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته.

[٧] ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾ من كفار مكة، طاعة لله - تعالى - ﴿مُودَةً﴾ بأن يهدبهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة ... عن أسماء ابنة أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت: أتتني أمي وهي راقبة، في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ: أصلها؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فأقول الله - تعالى. فيها: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾. البخاري - كتاب الأدب (٧٨) باب (٧) صلة الوالد المشرك.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن مروان بن مسور بن مخرمة - رضي الله عنهما - يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما كتب سهل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهل ابن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا... وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ - وهي عاتق - فجاه أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾. البخاري - كتاب الشروط (٤٥) باب (١) ما يجوز من الشروط في الإسلام.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن. وبلغنا أنه لما أنزل الله - تعالى: أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهم، وحكم على المسلمين أن لا يسكروا بعصم الكافر - أن عمر طلق امرأتين: قريبة بنت أبي أمية، وابنة جرول. فتزوج قريبة معاوية، وتزوج الأخرى أبو جهم، فلما أبى الكفار أن يقرؤا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهم أنزل الله - تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ نِسَاءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفْرَانِ فَعَابِقْتُهُنَّ﴾. والعقب: ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يعطي من ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صدقات نساء الكفار اللاتي هاجرن. وما نعلم أحداً من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها. البخاري - السابق باب (١٥) الشروط في الجهاد.

(١) أي في قوله: «ولكم».

(٢) أي: الذين هم أزواجهن.

(٣) بالشديد قراءة أي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

الْإِسْلَامَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ الكافرين.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُظْهِرُوا﴾ منصوب بـ«أن» مقدره، واللام مزيدة ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَقْوَابِهِمْ﴾ بأقوالهم: إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَأَنَّهٗ﴾ [مُتَمِّمٌ] ﴿١﴾ ﴿نُورُهُ﴾ ﴿نُورُهُ﴾ وفي قراءة: بالإضافة ﴿وَأَنَّهُ كَرِهَ﴾ الْكُفْرُونَ﴾ ذلك.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ بعليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك^(٢).

[١٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرْ عَلَىٰ تَحِيَّرٍ تُنَجِّجُكَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٣) ﴿وَمِنَ عَذَابِ آيَاتِهِ﴾ مؤلم، فكأنهم قالوا: نعم، فقال:

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ تدمون على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بِأَمْرِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

[١٢] ﴿تَبَيَّرَ﴾ جواب شرط مقدره أي: إن فعلوه يغير ﴿لَكُمْ دُونَكُمْ﴾ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ مَّكِينٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿ذَلِكَ﴾ الْقَرُورِ الْعَظِيمِ﴾.

[١٣] ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَضْرِبُ يَدَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والفتح.

[١٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا﴾ [أَنْصَارًا لِلَّهِ]^(٤) لدينه، وفي قراءة بالإضافة ﴿كَمَا قَالَ﴾ الخ؛ المعنى: كما كان الحواريون كذلك، الدال عليه: قال ﴿عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِيَّةٌ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من الأنصار الذين يكونون معي، متوجهًا إلى نصرته لله؟ ﴿فَالِكُ الْحَوَارِيُّونَ حَقُّ أَنْصَارِ اللَّهِ﴾ والحواريون: أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من الحوَر، وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿فَعَامَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعيسى^(٥)، وقالوا: إنه عبد الله رفع إلى السماء ﴿وَكَثُرَتْ طَائِفَةٌ﴾ لقولهم: إنه ابن الله رفعه إليه، فاقتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ فوينا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من الطائفتين ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الطائفة الكافرة ﴿فَأَتَّبَعُوا طَائِفَتَهُ﴾ غالبين.

وَأَذُكُرْ عَلَىٰ تَحِيَّرٍ تُنَجِّجُكَ قَالَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْبَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ يُرِيدُونَ لِيُظْهِرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَابِهِمْ وَاللَّهُ مِتِّمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكُفْرُونَ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرْ عَلَىٰ تَحِيَّرٍ تُنَجِّجُكَ مِنْ عَذَابِ آيَاتِهِ ﴿١٥﴾ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ دُونَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ مَّكِينٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْقَرُورِ الْعَظِيمِ ﴿١٧﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَضْرِبُ يَدَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِيَّةٌ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ حَقُّ أَنْصَارِ اللَّهِ فَعَامَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَثُرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٩﴾

[٦] ﴿وَأُذُكُرْ﴾ إِذُ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لم يقل: يا قوم؛ لأنه لم يكن له فيهم قرابة^(١) ﴿إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إِذُكُرْ مَمْدُوحًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ قَبْلِي ﴿مِنَ التَّوْبَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ جاء أحمد الكفار ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات والعلامات ﴿قَالُوا هَذَا﴾ أي: الحجيء به ﴿سِحْرٌ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿سَاحِرٌ﴾ أي: الجائي به ﴿غَيْبٌ﴾ تَبَيَّنَ.

[٧] ﴿وَمَنْ﴾؛ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾ أشد ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه، ووصف آياته بالسحر ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَىٰ﴾

(١) فائدة: أخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أتزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أن ذلك نائم. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم بعث الله ربحًا طيبة فتوفي كل من في قلبه متغال حية بحردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم. مسلم - كتاب الفتن وأشراف الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخليفة.

(١) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي كَتَبَهُ في تعليقه على الجلالين ص (١٧٢): الأولى أن يقال: ناداهم بذلك تذكيرًا لهم بأبيهم يعقوب، ليستعمل بذلك قلوبهم إلى سلوك منهج أبيهم...
 (٢) لحزرة والكسائي.
 (٣) نافع وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «متم نوره».
 (٤) بالتشديد قراءة ابن عامر.
 (٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «أنصار لله».
 (٦) في نسخة القاضي: «بعيسى ابن مريم».

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

[مدنية، إحدى عشرة آية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا يُخَوِّفُهُمْ سَبَّأُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِهِ وَزَيَّنَّ لَهُمْ وَيَعَاهُ الْمُكذِبُونَ وَالْحَكِيمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ
أَبَدًا إِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ
إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عِلَاقِ الْعُيُوبِ وَالشَّهَادَةُ فِي بُيُوتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

ومبدؤها الموت، فتمنوه.

- [٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم
لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.
[٨] ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ﴾ الفاء زائدة ﴿مُلَاقِيكُمْ
ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْعُيُوبِ وَالشَّهَادَةُ﴾ السر والعلانية ﴿فِي بُيُوتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ يبرِّهه، فاللام زائدة ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ﴾ في ذكر «ما» تغليب للكثرة ﴿الْمَلَائِكَةُ الْقُدُّوسُ﴾ المنزه عما لا يليق به
﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ﴾ العرب، والأمة: من لا يكتب ولا
يقرأ كتاباً ﴿رَسُولًا يُخَوِّفُهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿سَبَّأُوا عَلَيْهِمْ﴾ سَبَّأُوا عَلَيْهِمْ
﴿وَزَيَّنَّ لَهُمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿وَيَعَاهُ الْمُكذِبُونَ﴾ القرآن
﴿وَالْحَكِيمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها
محذوف؛ أي: وإنهم ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
يَبِينُ.

[٣] ﴿وَءَاخِرِينَ﴾ عطف على ﴿الْأُمَمِينَ﴾ أي: الموجودين ﴿مِنْهُمْ﴾
والآتين منهم بعدهم ﴿لَمَّا﴾ لم يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴿فِي السَّابِقَةِ﴾ والفضل^(١)
﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه، وهم التابعون^(٢)، والافتقار
عليهم كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم،
من بعث إليهم وأمنوا به، من جميع الإنس والجن، إلى يوم القيامة؛ لأن كل
قرن خير من يليه.

[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ النبي ومن ذكر معه ﴿وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٥] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ كُفُّوا الْعَمَلَ بِهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾
لم يعملوا بما فيها، من نعمة ﷺ، فلم يؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ
أَسْفَارًا﴾ أي: كسبأ؛ في عدم انتفاعه بها ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ المصدقة للنبي ﷺ، والخصوص بالذم محذوف تقديره: هذا
المثل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

[٦] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ
الَّذِينَ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تعلق بـ«تمنوا» الشرطان على أن الأول
قيد في الثاني؛ أي: إن صدقت في زعمكم أنكم أولياء لله، والولي يؤثر الآخرة

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٧) ما يقرأ في يوم الجمعة.

(١) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يرجعه حتى سأله ثلاثاً - وفينا سلمان الفارسي - وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لئله رجال أو رجل من هؤلاء». البخاري (٤٨٩٨)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٢) هذا قول عكرمة ومجاهد في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَءَاخِرِينَ﴾، وقال آخرون: هم العجم. قاله ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية ليش عن مجاهد. ويشهد له حديث الصحيحين المتقدم. وقيل غير ذلك.

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَوْا أَنْفَصُوا إِلَيْهَا﴾ أي: التجارة؛ لأنها مطلوبهم دون الله ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَالِيمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ للذين آمنوا ﴿مِنَ اللَّهِ وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهِ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته؛ أي: من رزق الله - تعالى (١٢) (١٠).

سورة المنافقون

[مدنية، إحدى عشرة آية] (**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا﴾ بأستهم على خلاف ما في قلوبهم: ﴿نَتَّبِعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ لَكُمْ﴾ يعلم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾ فيما أضمره، مخالفا لما قالوه.
 [٢] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ ستره على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدَّقُوا﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الجهاد فيها (٣) ﴿إِنَّمَا سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
 [٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بالقلب؛ أي: استمروا على كفرهم به ﴿فَطُجِحَ﴾ ختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.
 [٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم؛ في ترك التفهم ﴿[حُشِبَ]﴾ بسكون الشين وضمها (٤) ﴿مُسْتَدَّةً﴾ مائلة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صِدْقَةٍ﴾ نضاح؛ كنداء في العسكر، وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما في قلوبهم من الرعب؛ أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاسْتَدْرَبُوهُ﴾ فإنهم يفشون سرًّا للكفار ﴿فَتَلَبَّسُوا بِاللَّهِ﴾ أهلهم ﴿أَلَمْ يَتَّقُوا﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان!؟

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا أَقْبَضْتُمُ الصَّلَاةَ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَوْا أَنْفَصُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَالِيمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٢﴾

سورة المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَنْ نَبْرُحَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدَّقُوا وَعَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِدْقَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ يَوْفُونَ ﴿١٣﴾

[٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ﴾ بمعنى في ﴿يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ فامضوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ للصلاة ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اتروا عقده ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه.
 [١٠] ﴿فَإِذَا أَقْبَضْتُمُ الصَّلَاةَ فانتشروا في الأرض﴾ أمر بإباحة ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكرا ﴿كثيرا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تفوزون؛ كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، قدمت عير وضرِب لقدموها الطبل (١١) على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلا فنزلت.

(١٠) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاما، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا. فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَوْا أَنْفَصُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَالِيمًا﴾ البخاري - كتاب الجمعة (١١) باب (٣٨) إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة.
 (١١) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا من حوله، ولكن رجعا من عنده ليخرجن الأعرض منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي - أو لعمري - فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثني، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا. تكذبي رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصيبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن تكذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله - تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ بعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد. البخاري - التفسير (٦٥) سورة المنافقون (٦٣) باب (١).

(١) أخرج نحوه البخاري (٩٣٦) ومسلم (٨٦٣) عن جابر بن عبد الله، وليس فيه ذكر الطبل، ولكن جاء ذكر الطبل فيما ذكره البغوي في تفسيره عن مقاتل، وقصر مجاهد اللغو بأنه الطبل كما أخرجه عنه الطبري.
 (٢) يشير المفسر إلى أن اسم التفضيل في قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ على يابه؛ أي فالرازقون متعددون، ولكن على سبيل المجاز، وإلا فالرازق حقيقة هو الله تعالى وحده.
 (٣) في نسخة القاضي: «فيه».
 (٤) بسكونها قراءة الكسائي وأبي عمرو وقيل، وقرأ بقية السبعة بضم الشين: ﴿حُشِبَ﴾.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا﴾ معتردين ﴿سَتَغْفِرَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ آتَا﴾ بالتشديد والتخفيف (١): عطفوا ﴿رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ استغني بهمة الاستفهام عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٧] ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾ يفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالرزق، فهو الرزاق (٢) للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ أي: من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ﴾ عونا به أنفسهم ﴿مِثْلَ الْأَذَلِّ﴾ (٣) عونا به المؤمنين (٤) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ وللمؤمنين ﴿وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُوا﴾ تشللكم ﴿أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الصلوات الخمس (٥) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِنْ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِمَّن قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد؛ أتصدق بالزكاة ﴿وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بأن أحجج؛ قال ابن عباس (٦): ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت (٧).

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء والبياء (٨).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ آتَا وَسَهُمُ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ
خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ
مِثْلَ الْأَذَلِّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِمَّن قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ
يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ النَّافِثُونَ

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أبي: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾. وقال أيضا: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أخبرته به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فمتمت، فدعاني رسول الله ﷺ فاتبعته، فقال: إن الله قد صدقك، ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا﴾ الآية. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المنافقين (٦٣) باب (٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. وتقدم بسياق آتم من هذا.

(١) بالتخفيف قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٢) في نسخة القاضي: «الرزاق».

(٣) الذي عليه جماهير العلماء من أهل السير والتفسير أن قائل ذلك هو هذا المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، عنى بالأعز نفسه الخبيثة ومن معه من المنافقين، وبالآذل رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين، والأمر عكس ما قاله اللعين، وذكر ابن كثير تفصيل ذلك ومناسبته، فراجع.

(٤) هذا من التفسير بالمال، والتنبيه للمطلوب بأهم جزئياته؛ لأن ذكر الله أعم من الصلوات الخمس، وكذا الإنفاق أعم من الزكاة، والصلاح أعم من الحج.

(٥) أخرجه الترمذي (٣١٦)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٦٥٣).

(٦) بالياء قراءة شعبة، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلق، ثم يبيّنكم ويبيدكم على ذلك ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الأدمي أحسن الأشكال ﴿وَاللَّيْلِ الْمَعِيْرُ﴾.

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ يَا كُفْرًا مَكَّةَ نَبَؤُا خَيْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبة الكفر في الدنيا ﴿وَاللَّهُمَّ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوا أَأَبْشَرُ﴾ أريد به الجنس ﴿يَهْدُونَنَا فَكُفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿وَأَسْتَفْتَى اللَّهَ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ عَنِّي﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

[٧] ﴿رَضِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنهم ﴿لَنْ يَغْتَرُوا قُلُوبَ بَلٍ وَرَبِّي لَتُبْعِنُنَّ ثُمَّ لَنُنَبِّئَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٨] ﴿فَتَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ القرآن ﴿الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ حَيْرٌ﴾.

[٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمَ النَّعَابِ﴾ يعين المؤمنون الكافرين، بأخذ منازلهم وأهلهم في الجنة، لو آمنوا ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة^(١) بالون في الفعلين ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْخِرُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبْشَرُ يَهْدُونَنَا فَكُفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفْتَى اللَّهَ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَتَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالتَّوْرَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ حَيْرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَسْخِرُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ينزعه، فاللام زائدة، وأنى بـ«ما» دون «من» تعليبا للأكثر ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١) لتافع وابن عامر؛ أي «تكفر»، و«تدخله».

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرِ﴾ هي.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بفضائه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ الْمِصْبَةَ بِفَضَائِهِ ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ لِلصَّبْرِ عَلَيْهَا ﴿وَاللَّهُ يَكْفِي سُنَّ عَالِيَهُ﴾.

[١٢] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ البين.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوهم في الخلف عن الخير؛ كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَعَفَّوْا﴾ عنهم في تنبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ لَّكُمْ شَاغِلَةٌ عَنِ أُمُورِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تقوتوه، باشتغالكم بالأموال والأولاد.

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِلِهِ﴾ (١) ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما أمرتم به سماع قبول ﴿وَاطِيعُوا وَأَنْفِقُوا﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ خير «يكن» مقدره؛ جواب الأمر ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٧] ﴿إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضْعِفْهُ لَكُمْ﴾ وفي قراءة (٢): ﴿يُضْعِفُهُ﴾ بالشديد؛ بالواحدة عشراً إلى سعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما يشاء ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجاز على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب على المعصية.

[١٨] ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ العلانية ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرِ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَاطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ نَفْسِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ ﴿١٧﴾ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الظَّلَافِقِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤): أخرج الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقوه في الدين عموا أن يعاقبهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) ومن سورة التغاين. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٤٦٤٢).

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) لامين كبير وابن عامر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ
يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾
فَإِذَا بَلَغَ الْأَجُوهْنَ فَأَمْسَكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارُقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ
بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَبَلِيغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَيْسِّنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ
أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي تَرْتَحِضُنَّ وَأُولَاتُ
الْأَحْمَالِ أَجُوهْنَ أَنْ يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ لِيُنذِرَكُمْ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٥﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ المراد أمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم: ﴿إِذَا
طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ لأولها؛ بأن يكون
الطلاق في طهر لم تمس فيه؛ لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان (١) ﴿وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ﴾ احفظوها؛ لثراجعوا قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في
أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ منها، حتى تنقضي
عدتهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ زنا ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ بفتح الباء وكسرها (٢)؛

يُبَيِّنُتْ أَوْ بَيِّنَةٌ، فيخرجن لإقامة الحد عليهن ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ
وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾
الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجُوهْنَ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن
تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ فَارُقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن
حتى تنقضي عدتهن، ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾
على المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهدود عليه، أو له
﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ﴾ في أمره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ [تألف أمرة] (٣) مراده،
وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كرخاء وشدة ﴿قَدْرًا﴾
ميقانًا.

[٤] ﴿وَالَّتِي يَيْسِّنُ﴾ بهمرة وياء، وبلا ياء في الموضعين (٤) ﴿يَيْسِّنُ مِنَ
الْمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في عدتهن
﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي تَرْتَحِضُنَّ﴾ لصغرهن؛ فعدتهن ثلاثة أشهر،
والنساءتان في غير التوقي عنهن أزواجهن، أما هُنَّ فعدتهن ما في آية:
﴿يَرْتَضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (٥) ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجُوهْنَ﴾
انقضاء عدتهن؛ مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن: ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنْزَلَهُ لِيُنذِرَكُمْ وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَسَيَتَأْوِيهِ وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا﴾.

(١) البخاري (٤٩٠٨) ومسلم (١٤٧١) عن عبد الله بن عمر، ولفظه عند البخاري: وأنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ: فتعظف فيه رسول الله ﷺ ثم قال: «اليراجعها، ثم
يُكسها حتى تطهر، ثم يحض فطهر؛ فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسه؛ فلنك العدة كما أمر الله ﷻ».

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالإضافة: «بالع أمره».

(٤) قرأ الكوفيون وابن عمر بهزمة محققة بعدها ياء وقرأ الباقون بحذف الياء، وحقق الهمة منهم قالون وقبيل، وسهلها ورش، وأبدلها ياء ساكنة مع مد الألف بالإشباع بالساكنين البري وأبو عمرو.

(٥) البقرة: ٢٣٤.

[٦] ﴿أَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي: المطلقات ﴿وَمِنْ حَيْثُ سَكَتُمْ﴾ أي: بعض
 مساكنكم ﴿وَمِنْ وَجِدِكُمْ﴾ أي: سعتكم، عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة
 الجار وتقدير مضاف؛ أي: أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا
 عَلَيْهِنَّ﴾ المساكن فيحتجج إلى الخروج: أو: النفقة، فيفتدين منكم ﴿وَأَنْ كُنَّ
 أَوْلَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ إِنْ أَنْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن
 ﴿فَأَوْهَنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأَتَوَرَّوْا بَيْنَكُمْ﴾ وبينهن ﴿بِمَعْرِيفٍ﴾
 بحميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَأَنْ
 تَمَاتَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله
 ﴿تَسْتَرْضِعُ لَهُنَّ﴾ للاب ﴿أَخْرَجَ﴾ ولا تكره الأم على إرضاعه.
 [٧] ﴿لِيُنْفِقَ﴾ على المطلقات والمرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتَيْهِ وَمَنْ
 قَدِرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ﴾ أعطاه ﴿اللَّهُ﴾ على قدره ﴿وَلَا
 يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقد جعله بالفتح.
 [٨] ﴿وَكَايُنَ﴾ هي: كاف الجزم، دخلت على «أي» بمعنى: «كم» ﴿بَيْنَ
 قَرِيْبَةٍ﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عَدَّتْ﴾ عصت؛ يعني: أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا
 وَرُسُلِهِ فَمَاسَبَتْهَا﴾ في الآخرة، وإن لم تجز؛ لتحقق وقوعها ﴿حَسَابًا شَدِيدًا
 وَعَدَّتْهَا عَذَابًا نَّكَرًا﴾ بسكون الكاف وضمها^(١)؛ فظليقا، وهو عذاب النار.
 [٩] ﴿فَدَاقَتْ وَيَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عِقَابُهُ أَمْرًا حَسْرًا﴾ حسارًا
 وهلاكًا.
 [١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ
 يَتَذَكَّرُ الْأَلْبَابَ﴾ أصحاب العقول ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت للمنادى، أو بيان
 له ﴿فَدَأَزَلَّ إِلَهُ إِيكُمُ ذِكْرًا﴾ هو القرآن.
 [١١] ﴿رَسُولًا﴾ أي: محمداً ﷺ، منصوب بفعل مقدر؛ أي: وأرسل
 ﴿يُنزِلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ بفتح الباء وكسرها^(٢) كما تقدم ﴿لِيُخْرِجَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾
 الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَنْ
 يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة^(٣) بالنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة، التي لا ينقطع
 نعمها.

من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ متعلق بمحذوف؛ أي:
 أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني: سبع أرضين
 ﴿يُنزِلُ الْأَمْزَارَ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل

(١) بالضم قراءة نافع وابن ذكوان وشعبة.

(٢) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٣) لنافع وابن عامر.

سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغَى مَرْصَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ
 عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا
 بَيَّنَّاتُ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا
 بَيَّنَّاهُ بِهِ قَالَتْ مَنَ أَنْبَأُكَ هَذَا قَالَ تَبَيَّنَّا الْغَيْبَ لَخَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِنْ
 تَوَّابًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ
 هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَّى الْمُرْءِينَ وَالْمَلَكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ
 ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكَ
 مُسَلِّمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَيِّنَاتٍ تَيَبَّنَّتِ عِيْدَاتٍ سَلَّحَاتٍ تَبَيَّنَّتِ
 وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوَا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
 وَفُؤُدَهَا النَّاسَ وَالْحِجَارَةَ عَلَيْهَا مَلِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
 لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا جُزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سورة التحريم

[مدنية، اثنتا عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من أنتك مارية القبطية؛ لما
 واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة، فجاءت وسق عليها كون ذلك في بيته
 وعلى فراشها؛ حيث قلت: «هي حرام علي» «تبتغي» بتحريمها ﴿مَرْصَاتَ
 أَرْوَاحِكُمْ﴾ أي: رضاهن ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفر لك هذا التحريم.

[٢] ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ﴾ شرع ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تخليتها؛ بالكفارة
 المذكورة في سورة «المائدة»^(١)، ومن الأيمان: تحريم الأمة، وهل كفر ﴿تَبَتَّغَى﴾؟ قال
 مقاتل: أعتق رقية في تحريم مارية، وقال الحسن: لم يكفر؛ لأنه ﴿عَفُورٌ﴾ مغفور له
 ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

[٣] ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ﴾ هي حفصة
 ﴿حَدِيثًا﴾ هو تحريم مارية، وقال لها: «لا تفسيه» ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ﴾ عاتشة؛
 ظناً منها أن لا حرج في ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ أطلعه ﴿عَلَيْهِ﴾ على المنبأ به
 ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ﴾ لحفصة ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ تكرماً منه ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاهُ بِهِ﴾ قَالَتْ
 مَنَ أَنْبَأُكَ هَذَا قَالَ تَبَيَّنَّا الْغَيْبَ لَخَبِيرٍ: أي: الله.

[٤] ﴿إِنْ تَوَّابًا﴾ أي: حفصة وعاتشة ﴿إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾
 مالت إلى تحريم مارية؛ أي: سرّ كما ذلك، مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك
 ذنب، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تُقْبَلَا، وأطلق «قلوب» على قلبين ولم
 يعثر به؛ لاستقلال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿وَإِنْ
 تَظَاهَرَا﴾ يادغام التاء الثانية في الأصل في الظاء^(٢)، وفي قراءة بدونها؛

تصاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: النبي فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل
 ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَلَّى الْمُرْءِينَ﴾ أبو بكر وعمر^(٣). رضي الله
 عنهما - معطوف على محل اسم «إن»، فيكونون ناصريه ﴿وَالْمَلَكَةَ بَعْدَ
 ذَلِكَ﴾ بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظَهِيرٌ﴾ ظهره؛ أعوان له في نصره
 عليهما^(٤). [٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ أي: طلق النبي أزواجه ﴿أَنْ
 يُبَدِّلَهُ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٥) ﴿أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ خير «عسى»، والجملة
 جواب الشرط، ولم يقع التبدل؛ لعدم وقوع الشرط ﴿مُسَلِّمَاتٍ﴾ مقرات
 بالإسلام ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مخلصات ﴿قَيِّنَاتٍ﴾ مطيعات ﴿تَبَيَّنَّتِ عِيْدَاتٍ﴾

سَلَّحَاتٍ صامتات أو مهاجرات ﴿تَبَيَّنَّتِ وَأَبْكَارًا﴾^(٦).

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوَا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالحمل على طاعة الله
 ﴿نَارًا وَفُؤُدَهَا النَّاسَ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةَ﴾ كأصنامهم منها؛ يعني: أنها
 مفرطة الحرارة تنقد، بما ذكر، لا كتار الدنيا، تنقد بالخطب ونحوه ﴿عَلَيْهَا
 مَلِكَةٌ﴾ خزنتها، عدتهم تسعة عشر، كما سبأتي في «المذثر» ﴿غِلَاظٌ﴾ من:
 غلظ القلب ﴿شِدَادٌ﴾ في البطش ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ بدل من لفظ
 الجلالة؛ أي: لا يعصون أمر الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ تأكيد، والآية تخويف
 للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بأستهم دون قلوبهم.

[٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم
 النار؛ أي: لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا جُزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلاً، فواصبت أنا وحفصة أن أئتنا دخل عليها النبي ﷺ فنقل: إني
 لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداها فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش، ولن أعرد له»، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾
 إلى ﴿إِنْ تَوَّابًا﴾ إلى الله فقد صغت قلوبكم، لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ﴾ لقوله: شربت عسلاً. البخاري - كتاب الطلاق (٦٨) باب (٨).
 وأخرج النسائي عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه، فأنزله الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى آخر الآية.
 السائي - كتاب عشرة النساء (٣٧) باب (٤) الغيرة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن النسائي (٣٦٩٥). قال الحافظ: «وقد اختلف في الذي حرم على نفسه وعوتب على تحريمه... والراجع من
 الأقوال كلها: قصة مارية؛ لاختصاص عائشة وحفصة بها بخلاف العسل فإنه اجتمع فيه جماعة منهن». انظر: [الفتح (٩/ ٢٠٠، ٢٠١)].

وقال القرطبي وابن كثير: والصحيح أنه كان في العسل، وأنه شره عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فحرم ما جرى، فحلف ألا يشربه وأسر بذلك إليها، ونزلت الآية في الجميع. اهـ.
 (٥) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر ﷺ: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدلهن أزواجاً خيراً منكن» فنزلت هذه الآية.
 البخاري - كتاب التفسير (١٥) سورة التحريم (٦٦) باب (٥).

(١) الآية (٨٩).

(٢) نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف؛ ﴿تَظَاهَرَا﴾.

(٣) هذا قول ابن مسعود وعكرمة والضحاك، وقيل غير ذلك، ولعل هذا على سبيل التمثيل والتنبه بفضل الصالحين خاصة، والله أعلم. (٤) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو.

[٨] ﴿يَأْتِيهَا اللَّذِينَ ءَامَنُوا نُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمة (١)؛ صادقة؛ بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿وَعَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ تَوْجِيهَةٌ تَفْعُ ﴿أَنْ يُكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ﴾ بساكنين ﴿يَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ بِدَاخِلِ النَّارِ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بِيَدِهِمْ ﴿أَمَامَهُمْ﴾ ﴿وَرُكَّ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ﴾ مستأنف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ ربنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَأْتِيهَا النَّارُ جَهَنَّمَ﴾ بالكسرة بالسيف ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ باللسان والحنة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والغت ﴿وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيدُ﴾ هي.

[١٠] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٍ نُوحٍ وَامْرَأَتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين؛ إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح واسمها «واهلة» تقول لقومه؛ إنه مجنون. وامرأة لوط واسمها «واعلة» تدل قومها على أضيافه إذا نزلوا به ليلاً؛ بإيقاد النار ونهازا بالتدخين ﴿فَلَمَّا بَعَثْنَا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عَنْهَا مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿وَسَيِّئًا وَقِيلَ لهما:﴾ أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿من كفار قوم نوح وقوم لوط.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ﴾ أمنت بموسى، واسمها (آسية)، فعذبا فرعون، بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحي عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرقت عنها من وُكِّل بها ظللتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حال التعذيب: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشفت لها فرأته، فسهل عليها التعذيب ﴿وَوَجَّيْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وتعذبه ﴿وَوَجَّي مِنْ الْقَوٰمِ الظَّالِمِينَ﴾ أهل دينه، فقبض الله روحها، وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة حية، فهي تأكل وتشرب (٢).

[١٢] ﴿وَوَصَّيْ﴾ عطف على: «امرأة فرعون» ﴿أَبْنَتَ عِمْرَانَ﴾ أَلْيَ أَحْصَتَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته ﴿فَتَفَخَّخَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: جبريل، حيث نفخ في جيب درعها، بخلق الله - تعالى (٣). فعلة الواصل إلى فرجها، فحملت بعيسى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه ﴿وَكَلِمَةٍ﴾ المنزلة ﴿وَكَانَ مِنَ الْقٰنِنِينَ﴾ من القوم المطيعين.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا نُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ جَارِيَةٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّارَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بِيَدِهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا النَّارُ جَهَنَّمَ وَالْمُتَّقِينَ ﴿٩﴾ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيدُ ﴿١٠﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّا بَعَثْنَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ سَيِّئًا وَقِيلَ لهما: اَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَجَّيْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَجَّيْ مِنْ الْقَوٰمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَمَرَّسَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَلِمَةٍ مِنَ الْقٰنِنِينَ ﴿١٣﴾

(١) بالضم قراءة شعبة.

(٢) هذا من الأمور الغيبية التي يحتاج إثباتها إلى دليل صحيح ثابت.

(٣) قوله: «بخلق الله تعالى» متعلق بـ «فتفخخا» وكان المقام للإضمار بأن يقول: «بخلقنا» وفعله: أي: فعل جبريل، وهو: الفخخ ومعنى: خلقه؛ إيصال أثره، وهو: الريح، والهواء الحاصل به إلى فرجها.

سُورَةُ التَّلَاكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ رَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِصُبْحٍ وَجَعَلْنَا نُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُومُ الْمُصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا الْفُؤَادُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْعَيْظِ كَمَا آتَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى فَرِحْنَا فَكُذِّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

سُورَةُ التَّلَاكِ

[مكية، ثلاثون آية] ﴿١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَرَّكَ﴾ تَبَرَّكَ: تَزَهَّدَ عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدِثِينَ ﴿١﴾ ﴿الَّذِي بِيَدِهِ﴾ فِي تَصْرِفِهِ ﴿١﴾ ﴿الْمُلْكُ﴾ السُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يفر له: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) في عدد الآي. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٤٧).

(١) هذه العبارة موهمة، ويستخدمها البعض لنفي الصفات الثابتة لله - عز وجل -؛ كالسمع والبصر وغيرها من الصفات؛ التي يؤولها البعض بزعم تزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه، و«تبارك» على وزن تفاعل؛ من البركة والنماء والزيادة وكثرة الخير ودوامه. وقال الطبري: تعاطم وتعالى.

(٢) وهذا تعطيل لصفة اليد وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما فهمه السلف منها؛ كما قال ابن جرير: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانها نافذ فيما أمره وقضاؤه كما أن تقدير الكلام على تفسيره: «بيده» أي: «في تصرفه» يكون مضطربًا كما قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وتكون العبارة غير مستقيمة؛ ويكون المعنى: «تزه عن صفات المحدثين الذي في تصرفه السلطان والقدره»، وهذا ليس في التصرف. فنؤمن بهذه الصفة لله تعالى ونثبتها له على الوجه اللائق به.

(٣) يشير المصنف إلى اختلاف المتكلمين في الموت؛ حيث ذهب بعضهم إلى أنه أمر وجودي؛ أي: شيء يوجد، وهو ضد الحياة؛ وذهب آخرون إلى أنه أمر عديم؛ أي: ليس شيئًا يخلق وإنما هو عدم الحياة؛ وعلى هذا القول يكون «خلق الموت» بمعنى قدر الموت. والأول هو الصحيح أن الموت أمر وجودي كالحق؛ يخلق الله عند نهاية الحياة. وهو ظاهر الآية.

(٤) أي: شدوًا.

(٥) بعضها قراءة الكسائي.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ هُمَا فِي الدُّنْيَا، فَالظُّفَةُ تَعْرُضُ لَهَا الْحَيَاةَ، وَهِيَ: مَا بِهِ الْإِحْسَاسُ، وَالْمَوْتُ: ضِدُّهَا، أَوْ: عَدْمُهَا^(١)؛ فَوَلَانِ، وَالخَلْقُ عَلَى الثَّانِي بِمَعْنَى التَّقْدِيرِ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ لِيُخْتَبِرَكُمْ فِي الْحَيَاةِ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أَطْوَعُ لِلَّهِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ ﴿الْعَفُورُ﴾ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا﴾ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، مِنْ غَيْرِ مِمَّا سَمِعَ ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ لَهْنٌ: أَوْ: لَغِيْرُهُنَّ ﴿مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ تَبَايُنٍ وَعَدَمِ تَنَاسُبٍ ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أَعِدْهُ إِلَى السَّمَاءِ ﴿هَلْ تَرَى فِيهَا مِنْ فُطُورٍ﴾ صُدُوعٍ وَشُقُوقٍ؟ [٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ ﴿يَنْقَلِبْ﴾ يَرْجِعُ ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا﴾ ذَلِيلًا؛ لِعَدَمِ إِدْرَاقِ خَلْقِ ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ مُنْقَطِعٌ عَنْ رُؤْيَةِ خَلْقِ.

[٥] ﴿وَلَقَدْ رَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ الْقَرْبَى إِلَى الْأَرْضِ ﴿بِمَصْبِيحٍ﴾ بِنَجْمٍ ﴿وَجَعَلْنَا نُجُومًا﴾ مَرَاجِمَ ﴿لِلشَّيْطَانِ﴾ إِذَا اسْتَرْقَوْا السَّمْعَ، بَأَنَّ يَفْصَلُ شَهَابٌ عَنِ الْكَوْكَبِ، كَالْقَيْسِ يُؤَخِّدُ مِنَ النَّارِ، فَيَقْتُلُ الْجِنِّيَّ أَوْ يَخِيلُهُ، لِأَنَّ الْكَوْكَبَ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ النَّارَ الْمُوقَدَةَ.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُومُ الْمُصِيرُ﴾ هِيَ. [٧] ﴿إِذَا الْفُؤَادُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا﴾ صَوْتًا مُنْكَرًا كَصَوْتِ الْحِمَارِ ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تَغْلِي.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّرُ﴾ وَفِي^(١): «تَتَمَيَّرُ» عَلَى الْأَصْلِ تَنْقَطِعُ ﴿وَمِنَ الْعَيْظِ﴾ غَضَبًا عَلَى الْكَافِرِ ﴿كَمَا آتَى فِيهَا فَوْجٌ﴾ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سَوَّالٌ تَوَيْخُ: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رَسُولٌ يَنْذِرُكُمْ عَذَابَ اللَّهِ - تَعَالَى؟

[٩] ﴿قَالُوا بَلَى فَرِحْنَا فَكُذِّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ لِلْكَافِرِ حِينَ أُخْبِرُوا بِالتَّكْذِيبِ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ الْكَافِرِ لِالثَّر. سؤال

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أَي: سَمَاعٌ فَفَهُمْ ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أَي: عَقْلٌ تَفَكَّرُ ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

[١١] ﴿فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ الْإِعْتِرَافُ ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ وَهُوَ تَكْذِيبُ النَّذْرِ ﴿فَسُحِقًا﴾ بِسُكُونِ الْحَاءِ وَضَمِّهَا^(٥) ﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ بَعْدَ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

[١٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يَخَافُونَهُ ﴿بِالْغَيْبِ﴾ فِي غَيْبَتِهِمْ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ؛ فَيَطِيعُونَهُ سَوَاءً، فَيَكُونُ عِلَاقِيَّةً أَوْلَى ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أَي: الْحِجَةُ.

[١٣] ﴿وَأَيُّرَا﴾ أيها الناس ﴿فَوَلَّكُمُ أَوْ أَجْعَلُوا بِهِ إِنتُمْ﴾ تعالى ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك: أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد^(١).

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون؛ أي: أنتني علمه بذلك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيه؟ لا.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ سهلة للمشي فيها ﴿فَاتَمَشُوا فِي مَتَابِكِهَا﴾ جواتبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَوَالَيْهِ النُّشُورُ﴾ من القبور للجزاء.

[١٦] ﴿وَأَمِنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينها وبين الأخرى، وتركة، وإبدالها ألفاً^(٢) ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ سلطانه وقدرته^(٣) ﴿أَنْ يَخْفِيَ﴾ بدل من ﴿مَنْ﴾ ﴿يَكُمُ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تنحرك بكم وترتفع فوقكم.

[١٧] ﴿أَمْ أَيْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يُرْسِلَ﴾ بدل من ﴿مَنْ﴾ ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحا ترمىكم بالحصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ إنذار بالعباد؛ أي: إنه حق.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٍ﴾ إنكارى عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم؛ أي: إنه حق.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَفَّتْ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَفْقِصْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط؛ أي: وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ يَكْفِي شَيْءٌ بَصِيرٌ﴾ المعنى: ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء، على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم، وغيره من العذاب؟

[٢٠] ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ بدل من ﴿هَذَا﴾ ﴿هُوَ جُدُّكُمْ﴾ أعوان ﴿لَكُمْ﴾ صلة ﴿الَّذِي﴾ ﴿يَضْرِبُكُمْ﴾ صفة الجند ﴿مَنْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره، يدفع عنكم عذابه؛ أي: لا ناصر لكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْكُفْرُونَ﴾ إلا في غرورٍ ﴿غَرَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بأن العذاب لا ينزل بهم.

[٢١] ﴿أَنْتُمْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَكُمْ﴾ أي: المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فمن يرزقكم؟ أي: لا رازق لكم غيره ﴿بَلْ لَجُّوا﴾ تمادوا ﴿فِي عُتُوِّكُمْ﴾ تكبر ﴿وَتَقْوَرُ﴾ تباعد عن الحق.

[٢٢] ﴿أَفَنْ يَبْشَى مِثْلًا﴾ واقعا ﴿عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَبْشَى سَوِيًّا﴾ معتدلاً ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وخبر ﴿مَنْ﴾ الثانية محذوف دل عليه خير الأولى؛ أي: أهدي، والمتمثل في المؤمن والكافر، أيهما على هدى.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول. وعراه في زاد المسير لابن عباس.

(٢) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٣) وهذا تعطيل لصفة الملو، وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما دلت عليه النصوص المتواترة من علوه. شيبانته وتعالى. على خلقه بذاته المقدسة واستوائه على عرشه.

وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ وَأَجْعَلُوا بِهِ إِنتُمْ﴾ تعالى ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْتَشُوا فِي مَتَابِكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمْ أَيْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَفْقِصْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ أَيْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَفْقِصْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ أَيْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَفْقِصْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ أَيْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَفْقِصْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿فَلَيْلَا مَا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًا على هذه النعم.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ للإنذار.

بعض المتجبرين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول! فذهب ماء عينه وعمي، نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته.

سُورَةُ الْفَجْرِ

[مكية، ثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَ﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقَائِرَةِ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ يعني: انتفى الجنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رد لقولهم: إنه مجنون.

[٣] ﴿وَأَنَّكَ لَآخِرُ عَزَّةٍ مَّتُونٍ﴾ مقطوع.

[٤] ﴿وَأَنَّكَ لَمَلَكٌ خَلَقِي﴾ دين ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٥] ﴿فَسْتَصِرْ وَتَصِيرُونَ﴾.

[٦] ﴿يَأْتِيَكُمْ الْمَقْتُولُ﴾ مصدر؛ كالمعقول؛ أي: الفتون؛ بمعنى: الجنون؛ أي: أبك أم بهم؟

[٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ له، «وأعلم» بمعنى عالم.

[٨] ﴿فَلَا تُطِيعُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[٩] ﴿وَدَّأُ﴾ تنمنا ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهَنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ يلينون لك، وهو معطوف على ﴿تُدْهَنُ﴾ وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا»، فدر قبله بعد الفاء: «هم».

[١٠] ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَاقِي﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مَهِينٍ﴾ حقير

[١١] ﴿هَمَّازٍ﴾ عتَاب؛ أي: مغتاب ﴿مَشَّائٍ بِبَمِيمٍ﴾ ساع بالكلام بين الناس، على وجه الإفساد بينهم.

[١٢] ﴿مَنْعٍ لِّلنَّهْرِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُتَدَرِّجٍ﴾ ظالم ﴿أَنبِيءٍ﴾ أئم.

[١٣] ﴿عَتَلٍ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيءٍ﴾ ذمعي في قريش، وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانين سنة، قال ابن عباس^(٤): لا نعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارًا لا يفارقه أبدًا، وتعلق بـ«زنيمة» الظرف قبله.

[١٤] ﴿أَنَّ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: لأن، وهو متعلق بما دل عليه.

[١٥] ﴿إِذَا تَنَتَّلَ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسْطُرُ الْأَكْرَبِينَ﴾ أي: كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر، وفي قراءة^(٥): ﴿أَنَّ﴾ بهمزتين مفتوحتين.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ إِلَهٍ ﴿١٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَ وَالْقَائِرَةِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ

لَكَ لَآخِرُ عَزَّةٍ مَّتُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خَلَقِي عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسْتَصِرْ

وَيَصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ

عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِيعُ الْمُكَدِّبِينَ

﴿٨﴾ وَدَّأُ لَوْ تَدْهَنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ

﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّائٍ بِبَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِّلخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنِيبٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ

عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيءٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَنَتَّلَ عَلَيْهِ

ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطُرُ الْأَكْرَبِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُوطِ ﴿١٦﴾

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا ﴿سَيِّتَتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ أي: قال الخزنة لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ بإنذاره ﴿تَدْعُونَ﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتي، عبر عنها بطريق المضي؛ لتحقق وقوعها.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين بعذابه، كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ إِلَهٍ﴾ أي: لا مجير لهم منه.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بالباء والياء^(١)، عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين، أنحن، أم أنتم، أم هم؟

[٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرا في الأرض ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ جار؛ تناله^(٢) الأيدي والدلاء كما فكهم؛ أي: لا يأتي به إلا الله - تعالى - فكيف تنكرون أن يبعثكم؟! ويستحب أن يقول القارئ عقب «معين»: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث^(٣)، وتليت هذه الآية عند

(١) بالياء قراءة الكسائي.

(٢) في نسخة القاضي: «لا تناله» وهو خطأ بين.

(٣) وهذا الحكم يحتاج إلى دليل من المعصوم ﷺ ولم يرد حديث بذلك.

(٤) وأخرج البخاري (٤٩١٧) عنه قال: ﴿عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيءٍ﴾، قال: رجل من قريش، له زئمة مثل زئمة الشاة. والزئمة: ما يقطع من أذن الشاة. وقيل: المعنى: أنه الذي يعرف بالشؤ كما تعرف الشاة بزئمتها.

(٥) لحزمة وشعبة، وكذلك ابن عامر لكن مع تسهيل الهجزة الثانية.

[١٦] ﴿سَيَسْمُرُ عَلَ الْمُرْتَابِ﴾ سنجعل على أنه علامة، يُعْمِرُ بها ما عاش، فحُطِمَ أنه بالسيف يوم بدر.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ امتحنا أهل مكة بالهط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَلَاءِ﴾ البستان ﴿إِذْ أَتَوْا لِيَصْرَبْنَاهَا﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُضِيِّينَ﴾ وقت الصباح؛ كي لا يشعر بهم المساكين؛ فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَنْوِنَ﴾ في يمينهم بمشيقة الله - تعالى - ، والجملة مستأنفة؛ أي: وشأنهم ذلك.

[١٩] ﴿فَلَمَّا عَلِمْنَا لَمَافٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ نار أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيرِ﴾ كالليل الشديد الظلمة؛ أي: سوداء.

[٢١] ﴿فَنَادَوْا مُصِيبِينَ﴾.

[٢٢] ﴿أَن أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْبًا﴾ عَلَيْكُمْ، تفسير لـ«تنادوا» أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ مریدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله.

[٢٣] ﴿فَأَطْلَقْنَا وَهْمَ يَنْفَعُونَ﴾ يتساورون.

[٢٤] ﴿أَن لَا يَدْخُلَهَا أَيُّومٌ عَلَيْكَ مَسْكِينٌ﴾ تفسير لما قبله، أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن.

[٢٥] ﴿وَنَدَّأَ عَلَيَّ حَرْبٌ﴾ منع للفقراء ﴿قَدِيرِينَ﴾ عليه في ظنهم.

[٢٦] ﴿فَمَا زَالَوْنَا﴾ سوداء محترقة ﴿فَالْوَا إِنَّا لَمُؤْمِنُونَ﴾ عنها؛ أي: ليست هذه.

[٢٧] ثم قالوا ما علموها: ﴿بَلْ نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ نمرتها، بمنعنا الفقراء منها.

[٢٨] ﴿فَالِ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم: ﴿أَلْزَأْ أَلْزَأْ لَكَ لَوْلَا هَلَا﴾ ﴿فَسُجُونُ﴾ الله تائبين.

[٢٩] ﴿فَالْوَا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يمنع الفقراء حقهم.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضًا يَتَلَوْنَهُ﴾.

[٣١] ﴿فَالْوَا يَاكَ لِلنَّبِيِّ﴾ و«بَلَّغْنَا» هلاكنا ﴿وَإِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْعَثَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف (١) ﴿حَتَّىٰ يَنْبَأَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رُغَبُونَ﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيرا من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيرا منها.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿الَّذِينَ﴾ لمن خالف أمرنا، من كفر مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابها، ما خالفوا أمرنا.

[٣٤] ونزل لما قالوا: إن بعثنا نُعطى أفضل منكم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ الْجَنَّةَ﴾.

[٣٥] ﴿فَتَجْمَلُ السُّلَيْمِينُ كَالْمُرْوِيِّ﴾ أي: تابعين لهم في العطاء.

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟.

[٣٧] ﴿أَمْ؟﴾ أي: بل أ ﴿لَكُمْ كَيْفَ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرأون؟.

[٣٨] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهَا مَا تَحْتَرُونَ﴾ تختارون.

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَنْتُمْ؟﴾ عهدود ﴿عَيْنَا بِلَيْعَةٍ﴾ واثقة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

(١) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) هذا أحد قولي العلماء في تفسير الآية، وأنها ليست من آيات الصفات، وأصحاب هذا القول من السلف لا ينفون عن الله - تعالى - صفة الساق التي ثبتت بالسة الصحيحة، وإنما يثبتونها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

والقول الثاني: أن المراد في الآية هنا أن الله يكشف عن ساقه - سبحانه - ، ويدل على هذا القول ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة...» الحديث. رواه البخاري (٤٩١٩).

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرَبْنَاهُمْ فَاصْبَرُوا وَلَا يَسْتَنْوِنَ ﴿١٧﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيرِ ﴿١٩﴾ فَنَادَوْا مُصِيبِينَ ﴿٢٠﴾ أَن أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْبًا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ فَأَطْلَقْنَا وَهْمَ يَنْفَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَن لَا يَدْخُلَهَا أَيُّومٌ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٣﴾ وَعَدُوا عَلَيَّ حَرْبًا وَإِنَّا لَمُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا عَلِمْنَا لَمَافٍ مِّن رَّبِّكَ لَوْ لَوْلَا إِنَّا لَمُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأْ لَكَ لَوْلَا إِنَّا لَمُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضًا يَتَلَوْنَهُ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٨﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْعَثَنَا خَيْرًا مِنَّا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رُغَبُونَ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ الْجَنَّةِ الْأُفْحَىٰ ﴿٣١﴾ فَتَجْمَلُ السُّلَيْمِينُ كَالْمُرْوِيِّ ﴿٣٢﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ لَكُمْ كَيْفَ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَحْتَرُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَكُمْ أَنْتُمْ؟ ﴿٣٦﴾ عَيْنَا بِلَيْعَةٍ ﴿٣٧﴾ وَاثِقَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٣٩﴾

متعلق معنى بـ«علينا»، وفي هذا الكلام معنى القسم؛ أي: أقسمنا لكم، وجوابه: [٤٠] ﴿إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم.

[٤١] ﴿سَهْمُهُمْ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم، من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿رَبِّعِيمٌ﴾ كليل لهم؟ ﴿أَمْ هُمْ؟﴾ أي: عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾ موافقون لهم في هذا القول، يكفلون به لهم؟ فإن كان كذلك ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

[٤٢] اذكر ﴿يَوْمَ يُكْفَىٰ عَن سَاقٍ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء (٢)؛ يقال: كشفت الحرب عن ساق: إذا اشتد الأمر فيها ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَىٰ الشُّجُودِ﴾ امتحاناً لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تصير ظهورهم طبعاً واحداً.

- [٥٠] ﴿فَاجْتَبِهٖ رَبُّهٖ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾ الأنبياء.
 [٥١] ﴿وَإِنْ يَكَادُ الزَّيْنُ كَفَرُوْا لِبُرْلُوْنِكَ﴾ بضم الياء وفتحها (١) ﴿بِأَبْصَرِيْهِ﴾
 ينظرون إليك نظراً شديداً، يكاد أن يصرعك، ويسقطك من مكانك ﴿لَمَّا سَمِعُوْا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُوْلُوْنَ﴾ حسداً: ﴿إِنَّهٗ لَمَجْنُوْنٌ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.
 [٥٢] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِلْعَالَمِيْنَ﴾ الجن والإنس، لا يحدث بسبب جنون.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

[مكية، إحدى، أو: اثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

- [١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾ القيامة، التي يحق فيها ما تُكْرَهُ من البعث والحساب والجزاء، أو: المظاهرة لذلك.
 [٢] ﴿مَا الْمَآءَةُ﴾ تعظيم لشأنها، وهما: مبتدأ وخبر، خبر: «الهاقة» (٢).
 [٣] ﴿وَمَا أَذْرَبُكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْمَآءَةُ﴾ زيادة تعظيم لشأنها، ف«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لد«أدرى».
 [٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بأهلها.
 [٥] ﴿فَأَمَّا ثَمُوْدُ فَأَهْلِكُوْا بِالسَّاعِيَةِ﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة.
 [٦] ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوْا بِرِيْحٍ مَّسْرُورٍ﴾ شديد الصوت ﴿عَالِيَةٍ﴾ قوية شديدة على عاد، مع قوتهم وشدتهم.
 [٧] ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلها بالهفر ﴿عَلَيْهِنَّ سَجَّ لِيَالٍ وَتَكْنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء (٣) ﴿حُسُوْمًا﴾ متتابعات، شُهِت بتتابع ففعل الحاسم، في إعادة الكي على الداء كوة بعد أخرى، حتى ينحسم.
 ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمْ أَحْمَاجٌ﴾ أصول ﴿تَحُلِّي حَاوِيَةٍ﴾ ساقطة فارغة.
 [٨] ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ صفة «نفس» مقدره (٤)، أو التاء للمبالغة؛ أي: باقى؟ لا.

خَشِيْعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُوْدِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿١٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِيْنٌ ﴿١٥﴾ أَمْ لَسْتُمْ لَهُمْ آجْرًا فَمَنْ مِّنْكُمْ مَّنْقُولُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُوْمٌ ﴿١٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدْرِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهٖ لَلْبُدْبُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُوْمٌ ﴿١٩﴾ فَاجْتَبِهٖ رَبُّهٖ وَفَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِيْنَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرْفَلُوْنَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُوْلُوْنَ إِنَّهٗ لَمَجْنُوْنٌ ﴿٢١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِيْنَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

- الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْمَآءَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَبُكَ مَا الْمَآءَةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُوْدُ فَأَهْلِكُوا بِالسَّاعِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيْحٍ مَّسْرُورٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَمْعَ لِيَالٍ وَتَكْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوْمًا ﴿٧﴾ تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَحْمَاجٌ تَخَلَّي حَاوِيَةٍ ﴿٨﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٩﴾
- [٤٣] ﴿خَشِيْعَةً﴾ حال من ضمير «يدعون»؛ أي: ذليلة ﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى السُّجُوْدِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ فلا يتأون به، بأن لا يصلوا. [٤٤] ﴿فَذَرْنِي﴾ دعني ﴿وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [٤٥] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنِّي كَيْدِي مَتِيْنٌ﴾ شديد لا يطاق. [٤٦] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَسْتُمْ لَهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿آجْرًا﴾ فهم من مفرمهم مما يعطونكم ﴿مَّنْقُولُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك؟ [٤٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي فيه الغيب ﴿فَعَمَّ يَكْتُمُونَ﴾ منه ما يقولون؟

- [٤٨] ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس التَّنَّحِيْلُ ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُوْمٌ﴾ ملء غمًا في بطن الحوت.
 [٤٩] ﴿لَوْلَا أَنْ تَدْرِكُهُ﴾ أدركه ﴿نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهٖ﴾ رحمة ﴿لَلْبُدْبُ بِالْعَرَاءِ﴾ من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿هُوَ مَذْمُوْمٌ﴾ لكنه رجم فليد غير مذموم.

(١) بالفتح قراءة نافع.

(٢) أي: وجملة المبتدأ والخبر: «الهاقة».

(٣) الأولى عدم تعيين هذه الأيام، على هذا النحو، من غير دليل صحيح يُصار إليه. ويكفي إطلاق القرآن أنها «سبع ليال وثمانية أيام».

(٤) أي: «من نفس باقية».

[٩] ﴿وَيْمَاءٌ يَرَوْنَ وَنَن يُبْقِلُهُ﴾^(١) أتباعه، وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء؛ أي: مَنْ تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَالَّذِينَ كُفُّوا﴾ أهلها، وهي قرى قوم لوط ﴿بِالْحَاطِطَةِ﴾ بالفعلات ذات الخطأ.

[١٠] ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لوطاً وغيره ﴿فَلَخَذَهُمْ آخِذَةً رَبَّيَّةً﴾ زائدة في الشدة على غيرها.

[١١] ﴿إِنَّا لَنَّا طَعْنَا أَلَمَةً﴾ علا فوق كل شيء، من الجبال وغيرها، زمن الطوفان ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ يعني آباءكم؛ إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِي لَمَّارِيَّةٍ﴾ السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون.

[١٢] ﴿لِيَجْزِلَنَّهُا﴾ أي: هذه الفعلة وهي إغناء المؤمنين، وإهلاك الكافرين ﴿لَكُرِّيْ نَذْرِكُمْ﴾ عظة ﴿وَتَنْبِيْهَا﴾ ولتحفظها ﴿أَذُنٌ رَّصِيَّةٌ﴾ حافظة لما تسمع.

[١٣] ﴿فَإِذَا نَبَّخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَجِدَةً﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية.

[١٤] ﴿وَحُمِلَتْ﴾ رفعت ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكُّنَا﴾ دفنا ﴿ذِكُّهُ وَجِدَةً﴾.

[١٥] ﴿فَيَوْمِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة.

[١٦] ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَفِي يَوْمِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة.

[١٧] ﴿وَالْمَلَائِكُ﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَى أَرْسَابِهَا﴾ جوانب السماء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: الملائكة المذكورين ﴿يَوْمِذٍ مُّخَيَّبَةٌ﴾ من الملائكة، أو من صفوفهم.

[١٨] ﴿يَوْمِذٍ تُعْرَضُونَ لِلْحَسَابِ﴾ لا تخفى ﴿بِالنَّاءِ وَالْبِأَةِ﴾^(٢) ينكر حافية من السرائر.

[١٩] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْقِنَ كِتَابَهُ يَسْمِيهِ﴾ فيقول ﴿خطابها لجماعته لما شر به: هاؤم﴾ خذوا ﴿أَفْرَوْا كِتَابِيَّةً﴾ تنازع فيه «هاؤم» و«افرعوا»^(٣).

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ﴾.

[٢١] ﴿فَهُوَ فِي عَيْشِهِ رَاضِيَةٌ﴾ مرضية.

[٢٢] ﴿فِي حَسْبَةٍ عَالِيَةً﴾.

[٢٣] ﴿فَقَطَّوْفَهَا﴾ ثمارها ﴿وَدَائِيَّةً﴾ قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

[٢٤] فيقال لهم: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا حَيْثُ مَا﴾ حال؛ أي: متهنين ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِنَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يقول يأق للتنبه ﴿أَلْبَسْتِي لِرَأْوَتٍ كِتَابِيَّةً﴾.

[٢٦] ﴿وَلَرَّ أَدْرُ مَا حَسْبِيَّةٌ﴾.

[٢٧] ﴿يَلْبَسُهَا﴾ أي: الموتة في الدنيا ﴿كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ القاطعة لحياتي، بأن لا أبعث.

[٢٨] ﴿مَا أَخْفَى عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾.

[٢٩] ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ قوتي وحجتي، وهاء «كتابه» و«حسابيه» و«ماليه» و«سلطانيه» للسكت تثبت وقتاً ووصلاً؛ اتباعاً للمصحف الإمام

(١) وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة: ﴿قَبْلَهُ﴾ بفتح القاف وسكون الباء.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) التنازع هو: توجه عاملين إلى معقول واحد. والعمالان هنا هما: «هاؤم» و«افرعوا»، والمعمل هو: «كتابه» فأيهما عملت، فيقدر للأخر مفعوله، وقد عمل الثاني عند البصريين، والأول عند الكوفيين، وأضمر في الآخر، وحذف لأنه فضلة.

(٤) أي عن النبي ﷺ.

(٥) أي السبعة، وهو حمزة، والعشرة، وهو يعقوب.

والنقل^(٤)، ومهم^(٥) من حذفها وصلاً.

[٣٠] ﴿خُدُّوهُ﴾ خطاب لخرنثة جهنم ﴿فَعَلُّوهُ﴾ اجتمعوا يديه إلى عنقه في الغُل.

[٣١] ﴿قُرِّ الْمَجِيمِ﴾ النار المحرقة ﴿سَوَّوهُ﴾ أدخلوه.

[٣٢] ﴿قُرِّ فِي سَلْسَلَةٍ دَرَعَهَا سَعُونَ ذِرَاعًا﴾ بذراع الصلح ﴿فَأَسْلَكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمتع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم.

[٣٣] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

يُنْزِلُ مِنْ أَسْفَلٍ هُوَ اسْمُ «مَا»، وَ«مِنْ» زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، وَ«مِنْكُمْ» حَالٌ مِنْ «أَحَدٍ»
 ﴿عَنْ حَجْرَيْنَ﴾ مَعْنَى خَيْرِ «مَا»، وَجُمِعَ لِأَنَّ «أَحَدًا» فِي سِيَاقِ النَّفْيِ مَعْنَى
 الْجَمْعِ، وَضَمِيرُ «عَنْهُ» لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ أَي: لَا مَانِعَ لَنَا عَنْهُ، مِنْ حَيْثِ الْعِقَابِ.
 [٤٨] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿لَنُذَكِّرَنَّ﴾. [٤٩] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ
 مَنكُرَ﴾ أَي: النَّاسِ ﴿شُكْرِيْنَ﴾ بِالْقُرْآنِ، وَمُصَدِّقِينَ. [٥٠] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أَي:
 الْقُرْآنَ ﴿لَنَحْصِرَنَّ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ إِذَا رَأَوْا ثَوَابَ الْمُصَدِّقِينَ، وَعِقَابَ الْمُكْذِبِينَ بِهِ
 ﴿وَإِنَّهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿لَنَحْقُقَنَّ الْيَقِينَ﴾ أَي: لِلْيَقِينِ الْحَقَّ. [٥١] ﴿فَسَبِّحْ﴾ نَزْهُ
 ﴿وَأَسْمِرْ﴾ زَائِدَةٌ (٧) ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ سُبْحَانَهُ.

سورة الماعجزة

[مكية، أربع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دَعَا دَاعٍ ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.
- [٢] ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُم دَافِعٌ﴾ هُوَ النَّصْرُ مِنْ الْحَارِثِ (٤)، قَالَ: ﴿اللَّهُمَّ
 إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ﴾ الْآيَةَ (٥).
- [٣] ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ مُتَّصِلٌ بِوَقْعٍ ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ مُصَاعِدِ الْمَلَائِكَةِ، وَهِيَ
 السَّمَاوَاتُ.
- [٤] ﴿تَنْزِيلٌ﴾ الْبِنَاءُ وَالْبَيَاءُ (١) ﴿الْمَلَكِيَّةِ وَالرُّوحِ﴾ جِبْرِيلُ ﴿إِلَيْهِ﴾ إِلَى
 مَهبطِ أَمْرِهِ مِنَ السَّمَاءِ (٢) ﴿فِي يَوْمٍ﴾ مُتَّعِلٌ بِمَحذُوفٍ؛ أَي: يَقَعُ الْعَذَابُ بِهِمْ
 فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿كَأَن يَمْدَادُهُ حَمِيمٌ﴾ حَمِيمٌ أَلْفٌ سَنَةٌ. بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِ، لِمَا يَلْقَى
 فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَكُونُ أَحْفَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يَصِلُهَا فِي
 الدُّنْيَا؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ (٨).
- [٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أَي: لَا جُرْعَ
 فِيهِ.
- [٦] ﴿إِنَّمَا يَرَوْنَهُ﴾ أَي: الْعَذَابَ ﴿بَعِيدًا﴾ غَيْرَ وَاقِعٍ.
- [٧] ﴿وَرِزْقَهُ قَرِيبًا﴾ وَاقِعًا لَا مُحَالَةً.
- [٨] ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾ مُتَّعِلٌ بِمَحذُوفٍ أَي: يَقَعُ ﴿كَالْمُهْلِ﴾ كَذَابِ
 الْفِضَّةِ.
- [٩] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ كَالصُّوفِ؛ فِي الْخِفَةِ وَالطَّيْرَانِ بِالرِّيْحِ.
- [١٠] ﴿وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قَرِيبٌ قَرِيبَهُ؛ لِاسْتِغْثَالِ كُلِّ بِحَالِهِ.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشَلِينَ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ﴾ فَلَا أَقْسِمُ
 بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿وَمَا هُوَ
 يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ
 ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿فَمَا مِنْكُمْ
 مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ﴾ وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿وَإِنَّا
 لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ مَنكُرَ مُكْذِبِينَ﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
 ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥١﴾

سورة الماعجزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾
 مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكِيَّةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ
 فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا
 ﴿إِنَّمَا يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ وَرِزْقَهُ قَرِيبًا ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
 كَالْمُهْلِ﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾

[٣٥] ﴿فَلَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ مِمَّنْ هُنَا جَمِيمٌ﴾ قَرِيبٌ يَنْتَفِعُ بِهِ. [٣٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشَلِينَ﴾
 صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ أَوْ شَجَرِ فِيهَا. [٣٧] ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ﴾
 الْكَافِرُونَ. [٣٨] ﴿وَإِنَّهُ﴾ «لَا» زَائِدَةٌ ﴿أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ مِنَ الْمَحَلُّوَاتِ.
 [٣٩] ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ مِنْهَا؛ أَي: بِكُلِّ مَحَلُّوَةٍ [٤٠] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ
 ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أَي: قَالَهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى .. [٤١] ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ
 شَاعِرٌ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ﴾. [٤٢] ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ﴾ بِالْبِنَاءِ
 وَالْبَيَاءِ (١) فِي الْفَعْلَيْنِ، وَ«مَا» مُزِيدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَشْيَاءَ يَسِيرَةٍ
 وَتَدَّكُرُوهَا، مِمَّا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَةِ وَالْعَفَافِ فَلَمْ تَغْنِ عَنْهُمْ
 شَيْئًا. [٤٣] بَلْ هُوَ ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [٤٤] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أَي: النَّبِيُّ
 ﴿عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ بَلْ قَالَ عَلَيْنَا مَا لَمْ نَقُلْهُ. [٤٥] ﴿لَاخَذْنَا مِنْهُ لِيَلْمَنَا
 بِمُنْذَرٍ عَقَابًا﴾ بِالْيَمِينِ بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ (٢). [٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾
 نِيَاطَ الْقَلْبِ، وَهُوَ عِرْقٌ مُتَّصِلٌ بِهِ، إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ. [٤٧] ﴿فَمَا مِنْكُمْ

(١) بالياء قراءة ابن كثير وابن عامر في الفعلين: «يؤمنون»، ويتدكرون.
 (٢) تفسير اليمين بالقوة والقدرة بخلاف ظاهر اللفظ عدول به عنه، ولو قال: لأنها أشد في البطش، أو أقوى، لكان أوضح وأظهر، مع ما فيها من إثبات صفة اليمين لله ﷻ على الوجه اللائق به،
 وكلنا يديه سبحانه يمين. كما عند مسلم وغيره (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو.
 (٣) أي: البناء، كما تقدم، وليس لفظة «اسم».
 (٤) قاله ابن عباس، كما عند النسائي في تفسيره (٤٦٣/٢ رقم ٦٤٠)، وحسنه في الاستيعاب (٤٥٧/٣).
 (٥) قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِدِّكَ فَاطْمَئِنِّي عَلَيْكَ جِسَارَةً مِنَ السَّكَّةِ أَوْ أَتَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الْأَنْفَالُ: ٣٢.
 (٦) وهذا من تأويل المعطلة الذين ينفون علو الله - سبحانه - بذاته على خلقه، وفي الآية إثبات عروج الملائكة إلى الله - سبحانه - ..
 (٧) بالياء قراءة الكسائي.
 (٨) حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد وغيره، وضعفه الألباني، وانظر التعليق على الآية رقم (٥) من سورة السجدة.

سورة نوح

[مكية، ثمان، أو: تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.
- [٢] ﴿قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي لَا أجدُ لَكُمْ آيَاتٍ إِلَّا كَذِبٌ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ عَدُوا لِلَّهِ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
- [٣] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَقْفُوا وَأَطِيعُوا﴾.
- [٤] ﴿يَقْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يُغفر به ما قبله، أو: تبعيضية؛ لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُخَوِّضْكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بعبادكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَاءَ لَا يُخَرِّجُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لآمتنم.
- [٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً متصلاً.
- [٦] ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا زُرَّارًا﴾ عن الإيمان.
- [٧] ﴿وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيَتَّقُوا اللَّهَ فَهُمْ يُحْسِنُوا﴾ غطوا رؤوسهم بها؛ لئلا ينظروني ﴿وَأَصْرًا﴾ على كفرهم ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿أَسْتَكْبَرُوا﴾.
- [٨] ﴿فَدَعَا رَبِّي دَعْوَةً جَهَارًا﴾ أي: بأعلى صوتي.
- [٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ صَوْتِي وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارِي﴾
- [١٠] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا﴾

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي لَا أجدُ لَكُمْ آيَاتٍ إِلَّا كَذِبٌ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ عَدُوا لِلَّهِ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٣﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٤﴾ وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيَتَّقُوا اللَّهَ فَهُمْ يُحْسِنُوا ﴿٥﴾ وَأَصْرًا ﴿٦﴾ وَأَسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ فَدَعَا رَبِّي دَعْوَةً جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

- [٤٠] ﴿فَلَا﴾ «لا» زائدة ﴿أَقِيم رَبِّي الْقِسْقِسَ وَالْمَرْبِ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَدْرُونَ﴾.
- [٤١] ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ﴾ تأتي بدلهم ﴿خَيْرًا يُغْنِي وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين عن ذلك.
- [٤٢] ﴿فَدَرَهُمْ﴾ اتركهم ﴿يُخَوِّضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْبَسُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ بلقوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب.
- [٤٣] ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْعِمَامَاتِ﴾ القبور ﴿بِرُكُنَا﴾ إلى الحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُوبٍ﴾^(١) وفي قراءة بضم الحرفين؛ شيء منصوب؛ كعلم أو راية ﴿يُؤْفَضُونَ﴾ يسرعون.
- [٤٤] ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبْصَرُهمُ رَهَقَهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذَلِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ «ذلك» مبتدأ، وما بعدها الخبر، ومعناه: يوم القيامة.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ حفص وابن عامر: ﴿نُصُوبٍ﴾ بضم النون والصاد.

(٢) في نسخة القاضي: «بصروني».

[١١] ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ مَطْرًا، وَكَانُوا قَدْ مُنِعُوا عَنْكُمْ يَذْرَأًا﴾
كثير الدرور.

[١٢] ﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبَغِلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ بِسَاتِينَ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا جَارِيَةً﴾.

[١٣] ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا؟!.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ جمع طَوْرٌ، وهو الحال، فَطَوْرًا: نطفة، وطورًا: علقة، إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه.

[١٥] ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض؟.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مجموعهن؛ الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ مصباحًا مضيئًا، وهو أقوى من نور القمر.

[١٧] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ إذ خلق أبائكم آدم منها ﴿بَنَاتًا﴾.

[١٨] ﴿فَمِمَّنْ يُبَدَّلُ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُغْرَسُكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا﴾.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِسَاطًا﴾ مبسوطه.

[٢٠] ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿فِي جِبَالٍ﴾ واسعة.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْني وَأَتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿مَنْ لَرَّبِّهِ زَيْدٌ مَالَهُ وَوَالِدُهُ﴾^(١) وهم الرؤساء، المتعم عليهم بذلك، و«ولد» بضم الواو وسكون اللام ويفتحهما، والأول، قيل: جمع «ولد» بفتحهما «كخشب»، و«خشب»، وقيل: بمعناه ك«بخل»، و«بخل» ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ طغيانًا وكفْرًا.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿مَكْرًا كَبِيرًا﴾ عظيمًا جدًّا، بأن كذبوا نوحًا وأذوه ومن اتبعه.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا﴾ للسفلة: ﴿لَا تَذَرْنِ الْهَيْكَلَ وَلَا تَذَرْنَ وِدًّا﴾ بفتح الواو وضمها^(٢) ﴿وَلَا سَوَاءًا وَلَا يَفُوتَ وَيَعُوقَ وَتَسْرًا﴾ هي أسماء أصنامهم.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ بها ﴿كِبِيرًا﴾ من الناس؛ بأن أمرهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ عطفًا على «قد أضلوا» دعا عليهم لما أوحى إليه: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكُمْ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾^(٣).

[٢٥] ﴿مِمَّا﴾ «ما» صلة ﴿خَطَايَاهُمْ﴾^(٤) وفي قراءة: ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بالهمز ﴿أَعْرَفُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء^(٥).

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ يمينون عنهم العذاب. [٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكٰفِرِينَ دِيَارًا﴾ أي: نازل دار،

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبَغِلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿وَقَارًا ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بَنَاتًا ﴿فَمِمَّنْ يُبَدَّلُ فِيهَا وَيُغْرَسُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِسَاطًا ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْني وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَرَّبِّهِ زَيْدٌ مَالَهُ وَوَالِدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ كِبَارًا ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرْنِ الْهَيْكَلَ وَلَا تَذَرْنَ وِدًّا وَلَا سَوَاءًا وَلَا يَفُوتَ وَيَعُوقَ وَتَسْرًا ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿مِمَّا خَطَبْتُمْ عَلَيْهِمُ الْأَعْرَافَ فَأَذْخَلُوا أَنَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكٰفِرِينَ دِيَارًا ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ بِيضُوا عَبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَقَارًا ﴿رَبِّ أَعْقِبْنِي وَاغْنِنِي وَاوَلِدْنِي وَاغْنِنِي وَاوَلِدْنِي وَاغْنِنِي وَاوَلِدْنِي ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿

والمعنى: أحذنا.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ بِيضُوا عَبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَقَارًا﴾ من يفجر ويكفر، قال ذلك لما تقدم من الإحباء إليه.

[٢٨] ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَاوَلِدْنِي﴾ وكان مؤمنين ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي﴾ منزلي، أو: مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكًا، فأهلكوا.

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: «وولد» بفتح الواو واللام.

(٢) بالضم قراءة نافع.

(٣) هود: ٣٦.

(٤) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «خطيئتهم» بالهمز.

(٥) أي في الدنيا؛ وهذا قول الضحاك؛ وذلك أنهم كانوا يغرَقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب. وقال ابن السائب: سيدخلون في الآخرة نازًا؛ فناء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال؛ لأن الوعد حق. وهذا قول الأكثرين. وقال آخرون: هي نار البرزخ، والمراد: عذاب القبر.

وهم الذين ذكروا في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ صَرَخْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية (٢) ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يتعجب منه؛ في فصاحته وغازرة معانيه، وغير ذلك.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَقَامَنَا بِرَبِّهِ﴾ وَلَمْ نَشْرِكْ بِهِ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنا أَحَدًا﴾.

[٣] ﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير للشأن، فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزهه جلالة وعظمته، عما نسب إليه ﴿مَا أَخَذَ صَاحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ سَطَطًا﴾ غلوا في الكذب؛ بوصفه بالصاحبة والولد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾ مخففة؛ أي: أنه ﴿لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْإِنْسُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وبوصفه بذلك، حتى تبينا كذبهم بذلك.

[٦] قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يُوقُونَ﴾ يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فَرَادَوْهُمْ﴾ بعدوهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ فقالوا: شذنا الجن والإنس.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يا إنس ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

[٨] قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ زئنا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَا فِيهَا﴾ من الملائكة ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ نجومًا مخرقة، وذلك لما بعث النبي ﷺ.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قبل بعثته ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ أي: نستسمع ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ﴾ أُرْسِدَ لَهُ لِيُرَى بِهِ.

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ﴾ بعد استراق السمع ﴿وَمِنَ فِي الْأَرْضِ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيرًا.

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كَمَا طَرَفَيْنَا قَدَدًا﴾ فرقًا مختلفين؛ مسلمين وكافرين.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: إنه ﴿لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو: هارين منها في السماء.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدْحَى﴾ القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ بتقدير: «هو» بعد الفاء ﴿بِحَسَابٍ﴾ نقضًا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلماً؛ بالزيادة في سيئاته.

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ وَتَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ سَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْإِنْسُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا فِيهَا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّسَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بَيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرَفْنَا فِي قَدَدَا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدْحَى ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ الْأَوْلِيَاءِ هَرَقًا ﴿١٣﴾

سورة الجن

[مكية، ثمان وعشرون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أخبرت بالوحي من الله - تعالى - ﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح بطن نخل^(١) (موضع بين مكة والطائف)،

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حبل بين الشياطين وخبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حبل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن سمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدًا، وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (٧٢) باب (١).

(١) الصواب: «بطن نخلة» كما تقدم في تفسير سورة الأحقاف الآية (٢٩). «بطن نخلة»: موضع بين مكة والطائف. أما «بطن نخل»: فهو موضع في نجد على بعد ليلتين من المدينة.

(٢) الأحقاف: ٢٩.

[١٤] ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرُونَ بكفرهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرُّوا رَشَدًا﴾ قصدوا هداية.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقوداً، و﴿أَنَا﴾ و﴿أَنَّهُمْ﴾ و﴿أَنَّهُ﴾ في اثني عشر موضعاً؛ هي: ﴿وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ﴾ و﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ وما بينهما، بكسر الهمزة: استئنافاً، وفتحها^(١) بما يوجه به.

[١٦] قال - تعالى - في كفار مكة: ﴿وَأَنْكُحُوا الْمُؤْمِنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ ن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وأنهم، وهو معطوف على «أنه استمع» ﴿لَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذْبًا﴾ كثيراً من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين.

[١٧] ﴿لِنُنزِّلَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شكرهم، علم ظهور ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿نَسْلُكُهُ﴾ بالنون والياء^(٢)؛ ندخله ﴿عَذْبًا صَعْدًا﴾ شاقاً.

[١٨] ﴿وَأَنْ أَلَسَّجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾ فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كتابهم ويصيحون أشركوا.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُ﴾ بالفتح، والكسر^(٣) استئنافاً، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده ببطن نخل^(٤) ﴿كَأَدْوَاهُ﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيكًا﴾ بكسر اللام وضمها^(٥)؛ جمع لينة؛ كاللبد في ركوب بعضهم بعضاً ازدحاماً، حرصاً على سماع القرآن.

[٢٠] ﴿قَالَ﴾^(٦) ﴿مَجِيبًا لِلْكَفَّارِ فِي قَوْلِهِمْ: ارْجِعْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿قُلْ﴾: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ إِلَهًا ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا﴾ غيًّا ﴿وَلَا رَحْمَةً﴾ حيزاً.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿وَلَنْ أُجِدَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿مُنْتَصِدًا﴾ ملجأً.

[٢٣] ﴿وَلَا بَلَاغًا﴾ استثناء من مفعول «أقول»؛ أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عنه ﴿وَرِسَالَتِي﴾ عطف على «بلاغاً»، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض؛ لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿وَإِنْ لَمْ تَرَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ حال من ضمير «من» في: «له»؛ رعاية لمنها، وهي حال مقدره، والمعنى: يدخلونها مُقَدَّرًا خلودهم ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

[٢٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ ابتدائية، فيها معنى الغاية لمقدر قبلها؛ أي: لا يزالون على كفرهم، إلى أن يروا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب ﴿فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ﴾ حلولة بهم يوم بدر، أو: يوم القيامة ﴿مَنْ أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني.

[٢٥] فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ﴿قُلْ إِنِّي﴾ ما ﴿أَدْرِي﴾ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا﴾ غاية وأجلاً لا

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٤) الضواب: «تخله» كما تقدم.

(٥) بالضم قراءة هشام بخلاف عنه.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿قُلْ﴾.

(٧) كذا بالأصل، والمناسبات حذف «به».

يعلمه إلا هو؟

[٢٦] ﴿عَلَّمَ الْقَتِيبَ﴾ ما غاب به^(٧) عن العباد ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾ يطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ من الناس.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِن رَّسُولِي فَإِنَّهُ﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْأَلُ﴾ يجعل ويسئِر ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ رصداً ﴿ملائكة يحفظونه، حتى يبلغه في جملة الوحي.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ﴾ الله علم ظهور ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الرسل ﴿رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «من» ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عطف على مقدر؛ أي: فعلم ذلك ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ تمييز، وهو محول عن المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

التكاليف.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أُنْذٌ [وِطَاءٌ]﴾^(١) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْرَبُ قِيلًا﴾ أيقن قولاً.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ تصرفاً في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن.

[٨] ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك^(٢) ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ تَبَتُّبًا﴾ مصدر «تبتل»، جيء به رعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتل.

[٩] ﴿هُوَ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ موكلًا له أمورك.

[١٠] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة، من أذاهم ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا﴾ لا جرح فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

[١١] ﴿وَوَدَّرْنِي﴾ اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكمهم، وهم صناديد قريش ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ التمتع ﴿وَمَهْلِكُ قِيلًا﴾ من الزمن؛ فقتلوا بعد يسير منه بيدي.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أُنْكَالًا﴾ قيودًا ثقلاً؛ جمع «نكل» بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا﴾ نازًا محرفة.

[١٣] ﴿وَكَلِمًا نَا غُصَّةً﴾ يعص في به الخلق، وهو: الرُّقُوم، أو: الضَّرِيع، أو: الغسلين، أو: شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا﴾ رملاً مجتمعاً ﴿مَهِيلاً﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من: هال يهيل، وأصله: مهؤول؛ استقبلت الضممة على الياء فقلبت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلت الضمة كسرة لمجانسة الياء.

[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿سَهْبًا عَلِيًّا﴾ يوم القيامة، بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى - عليه الصلاة والسلام -.

[١٦] ﴿فَقَصَّ فِرْعَوْنَ أَرْسُولَهُ أَلْحَدًا وَيَلًا﴾ شديدًا.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ مفعول «تتقون»؛

أي: عذابه؛ أي: بأي حصن تحصنون من عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ جمع أشيب؛ لشدة هول، وهو يوم القيامة، والأصل في شين «شيبا» الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة.

[١٨] ﴿الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ﴾ ذات انقطاع؛ أي: انشقاق ﴿بِؤَدٍ﴾ بذلك اليوم لشدته ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ - تعالى - مجيء ذلك ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: هو كائن لا محالة.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات الخوفاة ﴿تَذَكُّرٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالإيمان والطاعة.

سُورَةُ الْمُرْتَدِّينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمُرْتَدُّ فِرَّانِيًّا لَا قِيلًا ۝ نِصْفَهُ ۝ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تَرْوِيلًا ۝ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا قَبِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْرَبُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا ۝ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا ۝ وَوَدَّرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهْلِكُ قَلِيلًا ۝ إِنَّا لَدَيْنَا أُنْكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَصَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْتَهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ ۝ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ ۝ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝

سُورَةُ الْمُرْتَدِّينَ

[مكية، أو: إلا قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلى آخرها؛ فمدني، تسع عشرة، أو: عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْتَدُّ﴾ النبي، وأصله: «المرتدل»، أدغمت التاء في الزاي؛ أي: المثلث بشباه حين مجيء الوحي له؛ خوفاً منه لهيبته.
- [٢] ﴿فِرَّانِيًّا﴾ صل ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.
- [٣] ﴿نِصْفَهُ﴾ بدل من «قيلًا»، وقلته بالنظر إلى الكل ﴿أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث.
- [٤] ﴿أَوْ زِدَ عَلَيْهِ﴾ إلى الثلثين، و«أو» للتخيير ﴿وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ﴾ ثبتت في تلاوته ﴿تَرْوِيلًا﴾.
- [٥] ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرأنا ﴿قَبِيلًا﴾ مهيباً، أو: شديدًا؛ لما فيه من

(١) هذه قرأة أبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: (وظل) يفتح الواو وسكون الطاء؛ أي أثبت قرأة وقبانا.

(٢) ذكر اسم الرب في الآية أعظم من قصره على ذكر البسملة في ابتداء القراءة، وإنما المعنى: دم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً، بالتوحيد والتعظيم، على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك.

[٢٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي الثَّلَاثِ وَيَضَعُكَ وَيَلْفِيكَ﴾ بالجر عطف على «ثلاثي»، وبالنصب (١) على «أدنى»، وقيامه كذلك، نحو ما أيزر به أول السورة ﴿وَلَقَدْ مَنَّا مِنَ الَّذِينَ مَكَتَ﴾ عطف على ضمير: «تقوم»، وجاز من غير تأكيد للفصل، وقيام طائفة من أصحابه كذلك، للتأسي به، ومنهم من كان لا يدرى كم صلى من الليل، وكم بقي منه؛ فكان يقوم الليل كله احتياطاً، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر؛ فخفف عنهم قال - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ بِعَدْوِيٍّ﴾ بصصي ﴿الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ عَلِمَ أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿أَنَّ تَحْضُرَهُ﴾ أي: الليل؛ لتقوموا فيما يجب القيام فيه، إلا بقيام جميعه، وذلك يشق عليكم ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿وَأَقْرَبُوا مَا بَيَّنَّ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ في الصلاة، بأن تصلوا ما تيسر ﴿عَلِمَ أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُوٌّ وَمَاخْرُوجٌ يُصْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ يطلبون من رزقه؛ بالتجارة وغيرها ﴿وَمَاخْرُوجٌ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل، فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس (٢) ﴿فَأَقْرِبُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ كما تقدم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَأُواثُوا الزُّكُوةَ وَأَقْرِبُوا اللَّهَ﴾ بأن تفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿وَرَبَّيَا حَسَنًا﴾ عن طيب قلب ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ مما خلفتم، وهو «فصل، وما بعده» (٣) وإن لم يكن معرفة؛ يشبهها؛ لامتناعه من التعريف ﴿وَأَعْظَمُ آيَةً وَأَسْتَعْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي الثَّلَاثِ وَيَضَعُكَ وَيَلْفِيكَ﴾
 ﴿مِنَ الَّذِينَ مَكَتَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي الثَّلَاثِ وَيَضَعُكَ وَيَلْفِيكَ﴾
 ﴿عَلَيْكُمْ فَأَقْرَبُوا مَا بَيَّنَّ مِنَ الْقُرْآنِ﴾
 ﴿وَمَاخْرُوجٌ يُصْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَبُوا مَا بَيَّنَّ مِنَ الْقُرْآنِ﴾
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأُواثُوا الزُّكُوةَ وَأَقْرِبُوا اللَّهَ قَرِيبًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ آيَةً وَأَسْتَعْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

سورة الزمزم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَبِشَا بَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
 وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَقِنَنَّ سَكْرَتَكَ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نَفَرَ ﴿٨﴾
 فِي النَّوْافِرِ ﴿٩﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١٠﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرٌ ﴿١١﴾
 ذَرَفِي وَمَنْ حَلَقَتْ وَجِيدًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلَتْ لَهُ مَا لَمْ يَمْسُودَا ﴿١٣﴾ وَيَبِينَ ﴿١٤﴾
 شُهُودًا ﴿١٥﴾ وَمَهَّدَتْ لَهُ بُرْهَانًا ﴿١٦﴾ فَمَنْ طَمَعُ أَنْ يُزِيدَ ﴿١٧﴾ شُهُودًا ﴿١٨﴾
 كَانَ لَا يَلْتَمِنَا عَيْنِدَا ﴿١٩﴾ سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا ﴿٢٠﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿٢١﴾

سورة الزمزم

[مكية، خمس (٤) وخمسون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ النبي ﷺ، وأصله المدثر، أدغمت التاء في الباء؛ أي: المتلف بشيابه، عند نزول الوحي عليه. [٢] ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ خوف أهل مكة النار، إن لم يؤمنوا. [٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظم عن إشراك المشركين. [٤] ﴿وَبِشَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ عن النجاسة، أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم بخلاف؛ فربما أصابها نجاسة. [٥] ﴿وَالرَّجْزَ﴾ فسره النبي ﷺ بالأوثان (٥). ﴿فَاهْجُرْ﴾ أي: دم على هجره. [٦] ﴿وَلَا تَقِنَنَّ سَكْرَتَكَ﴾ بالرفع حال؛ أي: لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به ﷺ؛ لأنه مأمور بأحمل الأخلاق وأشرف الآداب. [٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ على الأوامر والنواهي. [٨] ﴿فَإِذَا نَفَرَ فِي النَّوْافِرِ﴾ نفع في الصور، وهو: القرن، النسخة الثانية. [٩] ﴿فَذَلِكَ﴾ أي:

وقت النحر ﴿بِوَيْبِذٍ﴾ بدل مما قبله، المبتدأ، ويبي لإضافته إلى غير متمكن (٦) وخبر المبتدأ: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ والعامل في «إذا» ما دلت عليه الجملة؛ أي: اشتد الأمر. [١٠] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرٌ يَبِينٌ﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين؛ أي: في عسرته. [١١] ﴿ذَرَفِي وَمَنْ حَلَقَتْ وَجِيدًا﴾ اتركني ﴿وَمَنْ حَلَقَتْ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه ﴿وَجِيدًا﴾ حال من «من»، أو: من ضميره المحذوف، من «حلقته»؛ أي منفردًا بلا أهل ولا مال، هو: الوليد بن المغيرة المخزومي. [١٢] ﴿وَجَعَلَتْ لَهُ مَا لَمْ يَمْسُودَا﴾ واسعا متصلا من الزروع والضروع والتجارة. [١٣] ﴿وَيَبِينَ﴾ عشرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾ يشهدون المخالف، وتسمع شهاداتهم. [١٤] ﴿وَمَهَّدَتْ﴾ بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش والعمر

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فذروني، فأتول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ قبل أن تفرض الصلاة. وهي الأوثان» البخاري - كتاب بدء الوحي (١) باب (٣).

(١) بالجر؛ قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالنصب فيهما؛ «نصفه وثلثه».
 (٢) أخرجه مسلم (٧٤٦) عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال لعائشة: أتبينني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: أليست تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام النبي ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في السماء، حتى أنزل الله في السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة.
 (٣) وهو قول تعالى: (خبراً)، والمعنى: أن ضمير الفصل «هو» إنما جاز الإتيان به هنا بين معرفة ونكرة، وهو لا يقع إلا بين معرفتين - إلا أنه جاز الإتيان به هنا؛ لأن أفضل التفضيل: «خبراً» يشبه المعرفة.
 (٤) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي بعضها: ست وخمسون آية. وهو صحيح.
 (٥) أخرجه الحاكم (٢٧٥/٢) وصححه على شرطهما. وتفسير الرجز بالأوثان عند مسلم (١٦٦) وأحمد (١٤٦١٧) من قول أبي سلمة بن عبد الرحمن.
 (٦) أي: إلى مثوّن تنوين عوض عن الجملة، وهو: «إذ» في: «بِوَيْبِذٍ». أي: يوم إذ نُقِر في الناوحر.

الإيمان ﴿وَأَسْتَكْبِرُ﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. [٢٤] ﴿فَقَالَ﴾ فيما جاء به: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ إلا يخبر بؤثر ﴿ينقل عن السحرة. [٢٥] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ إلا قول البشر ﴿كما قالوا: ﴿إِنَّمَا عَلَّمَهُ شِسْرٌ﴾^(١). [٢٦] ﴿سَأُطِيبَهُ﴾ أدخله ﴿سقر﴾ جهنم. [٢٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ تعظيم لشأنها. [٢٨] ﴿لَا تَنْبِي وَلَا تَنْزُرُ﴾ شيقاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان. [٢٩] ﴿لَوَئِمَّةٌ لِلْبَشَرِ﴾ مُحْرقة لظاهر الجلد. [٣٠] ﴿عَلَيْهَا سِتْرَةٌ عَسْرٌ﴾ ملكاً خزنها؛ قال بعض الكفار وكان قوياً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أتم الثمانين^(٢).

[٣١] قال - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَكَةً﴾ أي: فلا يطاقون كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَذَابَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا قِسْفَةً﴾ ضلالاً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر؟ ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ ليستبين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الكئيب ﴿أي: اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر، الموافق لما في كتابهم ﴿وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِسْنًا﴾ تصديقاً؛ لموافقته ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرْبَاةَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الكئيب والنزوين ﴿من غيرهم، في عدد الملائكة ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ نَرَضٌ﴾ شك بالمدينة ﴿وَالكُفْرُونَ﴾ بمكة: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سموه لغرابته بذلك، وأعرب حالاً ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال منكر هذا العدد، وهدى مُصَدِّقُهُ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة؛ في قوتهم وأعاونهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا يَلْمِ﴾ أي: سقر ﴿إِلَّا ذَكَرَى لِلْبَشَرِ﴾.

[٣٢] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿وَالنَّمْرِ﴾. [٣٣] ﴿وَاللَّيْلِ﴾ إذا ﴿بفتح الذال﴾ [دنبر]^(٣) جاء بعد النهار، وفي قراءة: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ بسكون الذال بعدها همزة؛ أي: مضى. [٣٤] ﴿وَالضُّحَى﴾ إذا أشرق ظهر. [٣٥] ﴿إِنَّمَا﴾ أي: سقر ﴿لِيَحْدَى الكُفْرَ﴾ البلايا العظام. [٣٦] ﴿نَذِيرًا﴾ حال من «إحدى»، وذكر لأنها بمعنى العذاب ﴿لِلْبَشَرِ﴾. [٣٧] ﴿لِيَنْشَأَ﴾ ينكر ﴿بدل من «البشر»﴾ أن يقدّم إلى الخير، أو: الجنة، بالإيمان ﴿أَوْ يَنْتَحِرَ﴾ إلى الشر، أو: النار، بالكفر. [٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾ مرهونة مأخوذة بعملها في النار. [٣٩] ﴿إِلَّا أَصْحَابُ الْآيَاتِ﴾ وهم المؤمنون، فجاجون منها. [٤٠] كائنون ﴿فِي جَنَّاتٍ يَبْسُؤُونَ﴾ بينهم. [٤١] ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وحالهم. [٤٢] ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ ما أدخلكم ﴿فِي سَقَرٍ﴾. [٤٣] ﴿قَالُوا لَرَبِّكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾. [٤٤] ﴿وَلَوْ أَنَّكَ تُطْعَمُ الْيَسْتَكِينِ﴾. [٤٥] ﴿وَكُنَّا نَحْوُكُمْ﴾ في الباطل ﴿مَعَ الْفَاطِيضِينَ﴾. [٤٦] ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ البعث والجزاء [٤٧] ﴿حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ﴾ الموت.

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرْنَا كَيْفَ قَدَرْنَا نُنْظَرُ ﴿١٦﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَكَرَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ﴿١٨﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَرٌ ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٠﴾ سَأُطِيبُهُ سَقَرٌ ﴿٢١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٢﴾ لَا يَنْبِي وَلَا تَنْزُرُ ﴿٢٣﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٤﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٢٥﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحصَبَ النَّارِ إِلَّا الْمَلَائِكَةَ وَمَا جَعَلْنَا عَنْدَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٢٦﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٢٧﴾ وَإِلَيْكَ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٢٨﴾ وَالضُّحَى إِذَا اسْفَرَ ﴿٢٩﴾ إِنَّمَا لِيَحْدَى الْكُفْرَ ﴿٣٠﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أُوْتِيَ خَيْرٌ ﴿٣٢﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا أَصْحَابُ الْآيَاتِ ﴿٣٤﴾ فِي جَنَّاتٍ يَبْسُؤُونَ ﴿٣٥﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٣٧﴾ قَالُوا رَبَّنَا كَيْفَ نَحْنُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٣٨﴾ وَلَوْ أَنَّكَ تُطْعَمُ الْيَسْتَكِينِ ﴿٣٩﴾ وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْفَاطِيضِينَ ﴿٤٠﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤١﴾ حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٢﴾

والولد ﴿فَتَهَيَّأَ﴾. [١٥] ﴿ثُمَّ يَطْعَمُ أَنْ أَزِيدَ﴾. [١٦] ﴿كَلَّا﴾ لا أزيدُه على ذلك ﴿إِنَّهُ كَانَ لَكَيْبًا﴾ القرآن ﴿عَبِيدًا﴾ معاندا. [١٧] ﴿سَأُطِيبُهُ﴾ أكلفه ﴿صَعُودًا﴾ مشقة من العذاب، أو: جبلاً من نار، يصعد فيه ثم يهوي أبداً.

[١٨] ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ فيما يقول في القرآن، الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ذلك. [١٩] ﴿فَقِيلَ لِعَن وَعَذِبَ﴾ كَيْفَ قَدَرْنَا على أي حال كان تقديره. [٢٠] ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرْنَا﴾. [٢١] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجهه قومه، أو فيما يقدح به فيه. [٢٢] ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قبض وجهه وكلفه؛ ضيقاً بما يقول ﴿وَوَسَّوَسَ﴾ زاد في القبض والكُلُوح. [٢٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن

وأخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَتَابَعُ الْكُفْرَ﴾. قلت: أنبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَتَابَعُ الْكُفْرَ﴾. قلت: أنبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المدثر (٧٤) باب (١). قال الحافظ: المراد بالأولية في قوله: «أول ما نزل سورة المدثر» أولية مخصوصة بما بعد فطرة الوحي، أو مخصوصة بالأمر والإنذار، لأن المراد أنها أولية مطلقة. [الفتح ٥٤٨/٨]. وقال النووي: الصواب أن أول ما نزل على الإطلاق: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ﴾، كما صرح به في حديث عائشة.

(١) النحل: ١٠٣.

(٢) ذلك عن رجل يقال له: أبو الأئيد أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي. كما في تفسير البغوي وغيره، وروي غير ذلك، ولم يثبت منه شيء صحيح تقوم به الحجة.

(٣) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ بسكون الذال بعدها همزة.

[٤٨] ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا﴾ مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه^(١) ﴿عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من الضمير، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاض؟ [٥٠] ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ وحمشية. [٥١] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أسد؛ أي: هربت منه أشد الهرب. [٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْتَشَرَةً﴾ أي: من الله - تعالى - باتباع النبي؛ كما قالوا: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾^(٢).

[٥٣] ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عما أُرَادُوهُ. ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذابها. [٥٤] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿تَذْكَرَةٌ﴾ عظة. [٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ قرأه فاتعظ به. [٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ بأن يتقى ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ بأن يعفر لمن اتقاه.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

[مكية، أربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا﴾ زائدة في الموضعين ﴿أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. [٢] ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَالِدَةِ﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف؛ أي: لتبضع، دل عليه: [٣] ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿أَنْ تَجْعَلَ عِظَامَهُ﴾ للبعث والإحياء؟ [٤] ﴿سِجِلٌّ﴾ جمعها ﴿فَنَدِيرٌ﴾ مع جمعها ﴿عَلَى أَنْ سُئِيَ بَنَاتُهُ﴾ وهو: الأصابع؛ أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ [٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة، ونصبه به ﴿أَنْ﴾ مقدرة؛ أي: أن يكذب ﴿أَمَانَتُهُ﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: [٦] ﴿سَيَسْأَلُ أَيَّانُ﴾ متى ﴿يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. [٧] ﴿فَإِنَّا يَرَى الصُّرُورَ﴾ بكسر الراء وفتحها^(٤)؛ دهش وتحمير، لما رأى مما كان يكذبه. [٨] ﴿وَحَسَفَ أَلْفَمُ﴾ أظلم وذهب ضوءه. [٩] ﴿وَجَمَعَ السَّمْسُ وَالْقَمَرَ﴾ فطلع من المغرب، أو: ذهب ضوءهما، وذلك في يوم القيامة.

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ الفرار؟ [١١] ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن طلب الفرار ﴿لَا وَرَرْ﴾ لا ملجأ يُحْصَنُ به. [١٢] ﴿إِنِّي رَيْكُ يَوْمَئِذٍ لَأَنْتَفَرُّ﴾ مستقر الخلاق؛ فيحاسبون ويجازون. [١٣] ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وأخره. [١٤] ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد؛ تنطلق جوارحه بعمله، والهال للمبالغة، فلا بد من جزائه. [١٥] ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَادِزِيرُ﴾ جمع

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْتَشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكُرَةٌ ﴿٥٣﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٤﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَالِدَةِ ﴿٢﴾ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ لَيْسَ بِدَائِرَةٍ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَاتُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ سَيَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِنَّا يَرَى الْبَصُرَ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ الْقَمَرَ ﴿٨﴾ وَجَمَعَ السَّمْسُ وَالْقَمَرَ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَرَرْ ﴿١١﴾ إِلَى رَيْكُ يَوْمَئِذٍ لَأَنْتَفَرُّ ﴿١٢﴾ يَنْبِئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَى مَعَادِزِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَأَنْتَفَرُّ بِهِ لِسَانِكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَفُرْءَانُهُ ﴿١٧﴾ فَإِنَّا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعَنَّا وَتَبِعْنَا وَتَبِعْنَا بِبَيِّنَاتِهِ ﴿١٨﴾

«معدرة»، على غير قياس؛ أي: لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه.

[١٦] قال - تعالى - لبيه: ﴿لَا تَحْرُكْ يَدَيْهِ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانِكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ خوف أن يفلت منك. [١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُ﴾ قراءتك إياه؛ أي: جريانه على لسانك. [١٨] ﴿فَإِنَّا قَرَأْنَاهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَاتَّبَعَنَّا وَتَبِعْنَا﴾ استمع قراءته، فكان يستمع ثم يقرؤه. [١٩] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ بالتفهم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها^(٥).

(٥) ما جاء في نزل الآيات: (١٦ - ١٩). أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تَحْرُكْ يَدَيْهِ لِسَانِكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشده عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية التي في ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: ﴿لَا تَحْرُكْ يَدَيْهِ لِسَانِكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾ قال: علينا أن نجتمع في صدرك وقرأته أن تقرأه ﴿فَإِنَّا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعَنَّا وَتَبِعْنَا وَتَبِعْنَا بِبَيِّنَاتِهِ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ علينا أن نبيه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) باب (٢) سورة القيامة (٧٦).

(١) لأن القاعدة: أن الجار والمجرور إذا وقع خبراً؛ حذف متعلقه وجواباً، وانتقل ضميره إليه.
(٢) الإسراء: ٩٣.
(٣) بالتاء قراءة نافع.
(٤) بالفتح قراءة نافع.

أي: الشوق، وهذا يدل على العامل في «إذا»، والمعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها. [٣١] ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ الإنسان ﴿وَلَا صَلَّى﴾ أي: لم يصدق ولم يصل. [٣٢] ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. [٣٣] ﴿ثُمَّ دَبَّ إِلَيْهِمْ سَبْطٌ﴾ يتبختر في مشيته إعجاباً. [٣٤] ﴿أُولَى﴾ لك. فيه التفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل، واللام للثنين؛ أي: وليك ما تكره ﴿فَأُولَى﴾ أي: فهو أولى بك من غيرك. [٣٥] ﴿ثُمَّ أُولَى﴾ لك فأولى لك تأكيد. [٣٦] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ يظن ﴿الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ هملًا، لا يكلف بالشرائع؟ أي: لا يحسب ذلك. [٣٧] ﴿أَلَمْ يَكُنْ﴾ أي: كان ﴿نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ﴾ يئس، بالياء والتاء^(١)؛ نُطْفٌ في الرحم؟ [٣٨] ﴿شَرٌّ كَانُ﴾ المني ﴿عَلَقَةً﴾ فَمَلَأَ اللهُ منها الإنسان ﴿سُوءُونَ﴾ عدل أعضائه؟ [٣٩] ﴿فَخَلَقَ مِنْهُ﴾ من المني الذي صار علقه، أي: قطعة دم ثم مضغته؛ أي: قطعة لحم ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ النوعين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة. [٤٠] ﴿الَّذِينَ ذَكَرَ﴾ الفعّال لهذه الأشياء ﴿يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يُخَيِّئَ الْوَفْقَ﴾ قال ﷺ: «بلى»^(٢).

كَلَابِلُ تُجَبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١﴾ وَتَدْرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٤﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٥﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٦﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَ ﴿٧﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٩﴾ وَالْتَفَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿١٠﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿١١﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿١٢﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آهْلِهِ يَمْتَسِكُ ﴿١٤﴾ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿١٥﴾ ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿١٦﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿١٧﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿١٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَهَسَوَى ﴿١٩﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٢٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيِّئَ الْمَوْتَ ﴿٢١﴾

سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَعْتَدْنَا وَسْعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَوَّلَ يُشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

سورة الإنسان

[مكية أو مدنية، وآياتها إحدى وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ آدم ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ أربعون سنة^(٥) ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ فيه ﴿شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ كان فيه مصورًا من طين لا يذكر، أو: المراد بالإنسان الجنس، وبالحين: مدة الحمل. [٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الجنس ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاطه؛ أي: من ماء الرجل وماء المرأة، المختلطين المتترجين ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ نخبته بالتكليف، والجملة مستأنفة؛ أو: حال مقدره؛ أي: مريدين ابتلاء حين تأمله ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. [٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ يبيّن له طريق الهدى، يبعث الرسل ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا﴾ أي: مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان من المفعول؛ أي: يبيّن له في حال شكره أو كفره، المقدره، و﴿إمّا﴾ لتفصيل الأحوال. [٤] ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا﴾ يسحبون بها في النار ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في أعناقهم، تُشد فيها السلاسل ﴿وَسَعِيرًا﴾ نازا مسعرة؛ أي: مهتجة، يعذبون بها.

[٥] ﴿إِنَّ الْأَوَّلَ يُشْرَبُونَ﴾ جمع «بُرٌّ» أو «بَارٌّ»، وهم: المطيعون ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ هو إناء شرب الخمر وهي فيه، والمراد: من خمر؛ تسمية للحال باسم المحل، و﴿من﴾ للتعبير ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

[٢٠] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿بَلْ يُجِيبُونَ﴾ العاجلة ﴿الدنيا بالياء والتاء في الفعلين^(١)﴾. [٢١] ﴿وَيَذَرُونَ﴾ الآخرة ﴿فلا يعملون لها.﴾ [٢٢] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿ناصرة﴾ حسنة مضيفة. [٢٣] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ﴾ أي: يرون الله - سبحانه وتعالى - في الآخرة. [٢٤] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ كالحة شديدة العبوس. [٢٥] ﴿تَنْظُرُ﴾ توقن ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهية عظيمة، تكسر فقار الظهر. [٢٦] ﴿كَلَّا﴾ بمعنى: ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسَ الرَّاقِيَ﴾ عظام الحلق. [٢٧] ﴿وَقِيلَ﴾ قال من حوله: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ يرقيه ليشفي؟

[٢٨] ﴿وَلَنْ﴾ أيقن من بلغت نفسه ذلك ﴿أَنَّ الْفِرَاقَ﴾ فراق الدنيا. [٢٩] ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ﴾ أي: إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت، أو: التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة. [٣٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾

(١) أي: «يجون» و«يذرون»، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بالناء قراءة السبعة عند حفص.

(٣) أخرجه نحوه أبو داود (٧٥٣) وأحمد (٧٠٨٦) من حديث أبي هريرة، وأخرج الطبري (٨٢/٢٤) عن قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك بلى». وأخرج أبو داود (٧٥٠) عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ ﴿الَّذِينَ ذَكَرَ يُقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يُخَيِّئَ الْوَفْقَ﴾ قال: سبحانك بلى، فسألوه عن ذلك. فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٨٦).

(٤) أي: فليست هل للاستفهام. وقيل: إنها للاستفهام التقريري. والمقصود إزام الخصم المنكر للبعث؛ لأن القادر على إيجاد الإنسان من عدم قادر على إعادته.

(٥) قيل: مرت عليه أربعون سنة، وكان مصورًا من طين لم ينفخ فيه الروح.

[٣١] ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته^(٣)، وهم المؤمنون ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ ناصبه فعل مقدر؛ أي: «أوعد»، يفسره: «أعد لهم عذاباً أليماً» مؤلماً، وهم الكافرون.

سورة المرسلات

[مكية، خمسون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ أي: الرياح متتابعة؛ كعُرف الفرس، يتلو بعضه بعضاً، ونصبه على الحال.

[٢] ﴿فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا﴾ الرياح الشديدة.

[٣] ﴿وَالنَّاشِرَاتُ فَرْقًا﴾ الرياح تنشر المطر.

[٤] ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا﴾ أي: آيات القرآن، تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

[٥] ﴿فَالْمَلَكُوتِ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسول يلقون الوحي إلى الأمم.

[٦] ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله - تعالى - وفي قراءة^(٤): بضم ذال «تذراً»، وقرئ^(٥): بضم ذال «عذراً».

[٧] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لِكُفْرَانِكُمْ﴾ أي: كفار مكة؛ من البعث والعذاب ﴿لَوْ تَقَوُّوا﴾ كائن لا محالة.

[٨] ﴿فَإِذَا الْكُفُوفُ سُطِّتْ﴾ محي نورها.

[٩] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ شُتَّت.

[١٠] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِّتْ﴾ قُتَّت وُسِّتَتْ.

[١١] ﴿وَإِذَا الرَّسْمُ وَوُتَّتْ﴾ بالواو، وبالهمزة^(٦) بدلاً منها؛ أي: جمعت لوقت.

[١٢] ﴿لَآئِي يَوْمٍ﴾ ليوم عظيم ﴿أُجِلَّتْ﴾ للشهادة على أهمهم بالتبليغ.

[١٣] ﴿يَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب «إذاه»؛ أي: وقع الفصل بين الخلائق.

[١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ تهويل لشأنه.

[١٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيد لهم.

[١٦] ﴿أَلَمْ تَنْهَى الْأَعْيُنَ﴾ تكذيبهم؛ أي: أهلكتناهم.

[١٧] ﴿ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ممن كذبوا؛ ككفار مكة؛ فنهلكهم.

[١٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نَفَعْنَا بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل؛ فنهلكهم.

[١٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تأكيد.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٧﴾ تَخَنُّ حَلْفَتُهُمْ وَشَدَّدْنَا أَنَسَهُمْ وَإِذَا اسْتَنْبَأْنَا بِدَلَّتْ أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٨﴾ إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠﴾ يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءَ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتُ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمَلَكُوتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ تَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوْ تَقَوُّوا ﴿٧﴾ فَإِذَا الْكُفُوفُ سُطِّتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِّتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسْمُ وَوُتَّتْ ﴿١١﴾ لَآئِي يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ يَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَنْهَى الْأَعْيُنَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفَعْنَا بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٦] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صل التطوع فيه؛ كما تقدم من: ثلثه أو نصفه أو ثلثه.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا؛ أي: يوم القيامة لا يعملون له.

[٢٨] ﴿تَخَنُّ حَلْفَتُهُمْ وَشَدَّدْنَا أَنَسَهُمْ﴾ قوبنا ﴿أَنَسَهُمْ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا اسْتَنْبَأْنَا بِدَلَّتْ﴾ جعلنا ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ في الحلقة بدلاً منهم، بأن نهلكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ تأكيد، ووقعت «إذاه» موقع «إن» نحو: «إِنْ يَنْتَأُيُدِّهِكُمْ»^(١)؛ لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذا لما يقع.

[٢٩] ﴿إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالطاعة.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ بالتاء والياء^(٢): اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار إذ نزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ﴾ فإنه ليتلوها وأنا لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: «أقلوها» فابتدرناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقت شرکم كما وقتتم شرها». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المرسلات (٧٧) باب (٤).

(٢) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بخلاف عن.

(١) فاطر: ١٦.

(٣) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي، وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، فنبينا له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٤) لنافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٥) أي: شذوذاً.

(٦) بالواو قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «أقتت» بالهمزة.

[٢٠] ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ضعيف، وهو المني.

[٢١] ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ حريز، وهو الرحم.

[٢٢] ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الولادة.

[٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ نحن.

[٢٤] ﴿وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٢٥] ﴿أَلَمْ تَعْمَلِ الْأَرْضَ كِنَانًا﴾ مصدر «كَفَت» بمعنى ضَمَّ؛ أي: ضامة.

[٢٦] ﴿أَحْيَا﴾ على ظهرها ﴿وَأَمْرَاتًا﴾ في بطنها.

[٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسًا شَمِخَاتٍ﴾ جبالاً مرتفعات ﴿وَأَنْعَمْنَا مَاءَ قُرْآنًا﴾ عذبا.

[٢٨] ﴿وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٢٩] ويقال للمكذبين يوم القيامة: ﴿أَنْظِلُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ نُكُذِّبُونَ﴾.

[٣٠] ﴿أَنْظِلُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلْدَتٍ شَعْرٍ﴾ هو دخان جهنم، إذا ارتفع افرق ثلاث فرق ليعظمه.

[٣١] ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ كنين يظلمهم من حر ذلك اليوم ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ يرد عنهم شيئاً ﴿وَيَنْ أَلْهَبٍ﴾ النار.

[٣٢] ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: النار ﴿تَرَى بِسُكَّرٍ﴾ هو ما تطاير منها ﴿كَالْقَصْرِ﴾ من البناء، في عظمه وارتفاعه [٣٣] ﴿كَأَنَّهُ جِبَالَاتٌ﴾ جمع: «جمالة»، جمع: «جمل»، وفي قراءة: ﴿جَمَلَاتٌ﴾ «صَفْرٌ» في هيبتها ولونها، وفي الحديث: «شرار النار أسود كالقير»^(١)، والعرب تُسمي سود الإبل: صفراً؛ لشوب سوادها بصفرة، فقليل: «صفر» في الآية بمعنى سود؛ لما ذكر، وقيل: لا، و«الشُّرر» جمع: «شُررة»، و«الشرار» جمع «شُرارة»، والقير: القار»^(٢).

[٣٤] ﴿وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٣٥] ﴿هَذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فيه بشيء.

[٣٦] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العذر ﴿فَيَعْبُدُونَ﴾ عطف على «يؤذن»، من غير تسبب عنه^(٣)، فهو داخل في حيز النفي؛ أي: لا إذن فلا اعتذار.

[٣٧] ﴿وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٣٨] ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَضَائِ جَمْعَتَكُمْ﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿وَالْأُولَى﴾ من المكذبين قبلكم، فتحاسبون وتعذبون جميعاً.

[٣٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُوا﴾ فافعلوها.

[٤٠] ﴿وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤١] ﴿إِنَّ السَّمَوَاتِ فِي ظُلُلٍ﴾ أي: تكاثف أشجار، إذ لا شمس يُظلل من حرها ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾ نابعة من الماء.

[٤٢] ﴿وَفَوْكَ وَمَا يَنْسَهُونَ﴾ فيه إعلام بأن المأكول والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم، بخلاف الدنيا فيحسب ما يبعد الناس في الأغلب.

[٤٣] ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْئًا﴾ حال؛ أي: متهئين ﴿بِمَا كُنْتُمْ

الْمُخْلَقُكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ

مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَعِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

الْمُخْلَعِ الْأَرْضِ كِنَانًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَا وَأَمْرَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسًا

شَمِخَاتٍ وَأَنْعَمْنَا مَاءَ قُرْآنًا ﴿٢٧﴾ وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

أَنْظِلُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْظِلُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلْدَتٍ

شَعْرٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْأَلْهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرَى بِسُكَّرٍ

كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ رِجَالٌ صَفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ

لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَضَائِ جَمْعَتَكُمْ وَالْأُولَى ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ

لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٩﴾ وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ السَّمَوَاتِ

فِي ظُلُلٍ وَعِیُونَ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَ وَمَا يَنْسَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْئًا

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلِّمُوا

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلِّمُوا

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْكُرُوا قُلُوبَكُمْ لَا يَصْلُونَ ﴿٤٨﴾

وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْكُرُوا قُلُوبَكُمْ لَا يَصْلُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْكُرُوا قُلُوبَكُمْ لَا يَصْلُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْكُرُوا قُلُوبَكُمْ لَا يَصْلُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلِّمُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: «جِجَالَتْ».
 (٢) ذكر البغوي في تفسيره أنه جاء في الحديث أن شرار نار جهنم أسود كالقير (٣٠٧/٨)، ولم أصف عليه بهذا اللفظ.
 (٣) وهو الرفض، وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: عند مالك والبيهقي في الشعب مختصراً: «أثرونها حمراء ككارم هذه! لهن أشد سواداً من القار والقال: الرفض». وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٠).
 (٤) أي: ليست الفاء في «فيحذرون» فاء السببية؛ ليقدر بعدها «أن»، وينصب بها الفعل المضارع؛ نحو: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦].

سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ بَسَّاءَةٌ ۚ لَوْنٌ ۚ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ۚ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿١﴾
 كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٢﴾ تُوْكَلا سَيَعْمُونَ ﴿٣﴾ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٤﴾
 وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٥﴾ وَخَلَقْتُمْ أَزْوَاجًا ﴿٦﴾ وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٧﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿٩﴾ وَبَدَيْنَا
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١١﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَّاجًا ﴿١٢﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا
 الْأَفْقَا ﴿١٤﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٥﴾ يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الصُّورِ
 فَتَأْتُونَ أَقْوَاجًا ﴿١٦﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٧﴾ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿١٨﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١٩﴾ لِلظَّالِمِينَ
 مَعَابًا ﴿٢٠﴾ لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢١﴾ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٢﴾
 إِلَّا الْأَحْمِيمَ وَعَسَاقًا ﴿٢٣﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
 لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٥﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٦﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
 أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٧﴾ فَذُوقُوا فَن تَزِيدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٢٨﴾

سورة التيسال (١)

[مكية، إحدى وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿عَمَّ﴾ عن أي شيء ﴿بَسَّاءَةٌ لَوْنٌ﴾ يسأل بعض قريش بعضًا.
 [٢] ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء
 به النبي ﷺ من القرآن، المشتمل على البعث وغيره. [٣] ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾
 فالؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه. [٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَيَعْمُونَ﴾ ما
 يحل بهم على إنكارهم له. [٥] ﴿تُوْكَلا سَيَعْمُونَ﴾ تأكيد، وحيء فيه «ثم»
 للإيدان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول. [٦] ﴿ثُمَّ أَوْمًا﴾ تعالى - إلى القدرة
 على البعث فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ فرأشًا كالمهد.
 [٧] ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تثبتت بها الأرض، كما تثبتت الحياض بالأوتاد؟

والاستفهام للتقرير.

[٨] ﴿وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ ذكورا وإناثًا.
 [٩] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾ راحة لأبدانكم.
 [١٠] ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ ساترا بسواده.
 [١١] ﴿وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ جمع «شديدة»؛
 أي: قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.
 [١٢] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ منيرا ﴿وَمَاجًا﴾ وقادا؛ يعني: الشمس.
 [١٣] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ السَّحَابَاتِ الَّتِي حَانَ لَهَا أَنْ تَمَطَّرَ﴾
 كالمُعْصِرَةِ: الحارفة التي دنت من الحيض ﴿مَاءً ثَمَّاجًا﴾ صبايا.
 [١٤] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾ كالحنطة ﴿وَبَاتًا﴾ كالنيس.
 [١٥] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».

[١٦] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».
 [١٧] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».
 [١٨] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».

[١٩] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».
 [٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».
 [٢١] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».

[٢٢] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».
 [٢٣] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».

[٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».
 [٢٥] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».

[٢٦] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».
 [٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».

[٢٨] ﴿وَجَعَلْنَا سَبْعَ سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ ك«شريف»
 و«أشراف».

(٢) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(١) وتسمى سورة التين.

(٣) شعبي النوم بردا؛ لأنه يبرد صاحبه. وهي لغة هذيل. وقال ابن عباس: البرد: برد الشراب. وقال الزجاج: لا يدقون فيها برد ربيع، ولا ظل نوم. فجعل البرد: برد كل شيء له راحة.

(٤) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبُ ﴿٧٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَحْشَى ﴿٧٩﴾ فَأَرْبَهُ الْكِبْرَى ﴿٨٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴿٨٢﴾ فَحَسْرَةً دَأَى ﴿٨٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٨٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٨٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَحْشَى ﴿٨٦﴾

ءَأَنشُرْ أَشْدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَدَلُهَا ﴿٨٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٨٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُوحَهَا ﴿٨٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٩٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٩١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٩٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمُ وَلَا تَعْمِدْكُمْ ﴿٩٣﴾ فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٩٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٩٥﴾ وَبُرْزُتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٩٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَى ﴿٩٧﴾ وَءَاتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٩٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٩٩﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١٠٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١٠١﴾ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿١٠٢﴾ فِيمَا أَنتَ مِن ذِكْرِهَا ﴿١٠٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَمِّتْهَا ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَّن يَحْشَاهَا ﴿١٠٥﴾ كَآثَمِهِمْ يَوْمَ قُورُوقِهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوِضَّحَهَا ﴿١٠٦﴾

سُورَةُ التَّوْبَاتِ

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْأَيْمَنِ ثَمُودَ﴾ اسم الوادي، بالتثوين وتركه^(١)، فقال: [١٧] ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِذْهُ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر.

[١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبُ﴾ وفي قراءة^(٢) بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها؛ تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله.

[١٩] ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته بيهان ﴿فَتَحْشَى﴾ فتخافه.

[٢٠] ﴿فَأَرْبَهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ من آياته التسع، وهي اليد أو العصا.

[٢١] ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَى﴾ اللّهُ - تعالى.

[٢٢] ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَى﴾ في الأرض بالسفاد.

[٢٣] ﴿فَحَسْرَةً﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَكَادَىٰ﴾.

[٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لا رب فوقى.

[٢٥] ﴿فَأَنذَرَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالفرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي: هذه الكلمة ﴿وَالْأُولَى﴾ أي: قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِكُمْ﴾^(٣)، وكان بينهما أربعون سنة.

* * *

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِمَن يَتَّقَى﴾ اللّهُ - تعالى ..

[٢٧] ﴿ءَأَنشُرْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه^(٤)؛ أي: منكرو البعث ﴿أَشْدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ أشد خلقًا؟ ﴿بَدَلُهَا﴾ بيان لكيفية خلقها.

[٢٨] ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء؛ أي: جعل سمتها في جهة العلو ربيعًا، وقيل: سَمَكُهَا: سقفها ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعلها مستوية بلا عيب.

[٢٩] ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ صُحُوحَهَا﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل؛ لأنه ظلها، والشمس؛ لأنها سراجها.

[٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دخو.

[٣١] ﴿وَأَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد»؛ أي: مُخْرِجًا ﴿مِنَهَا مَاءَهَا﴾ بفتح عيونها ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة.

[٣٢] ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن.

[٣٣] ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له لمقدار؛ أي: فعل ذلك متعة، أو: مصدر؛ أي: تمتعًا ﴿لَكُمُ﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم.

[٣٤] ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ الفسخة الثانية.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ بدل من «إذا» ﴿مَا سَعَى﴾ في الدنيا من خير وشر.

[٣٦] ﴿وَبُرْزُتِ الْجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿الْجَحِيمُ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَى﴾ لكل راء.

وجواب «إذا»: [٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ كفر. [٣٨] ﴿وَءَاتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اتباع الشهوات. [٣٩] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مأواه.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمانة ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ المُرُودِي اتباع الشهوات. [٤١] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة.

[٤٢] ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى وقوعها وقيامها؟

[٤٣] ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرِهَا﴾ أي: ليس عندك علمها حتى تذكرها.

[٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَمِّتْهَا﴾ منتهى علمها، لا يعلمه غيره.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ إنما ينفع إندارك ﴿مَن يَحْشَاهَا﴾ يخافها.

[٤٦] ﴿كَآثَمِهِمْ يَوْمَ قُورُوقِهَا لَمْ يَلْبَسُوا﴾ في قبورهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ صُحُوحًا﴾ عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشيّة؛ لما بينهما من الملاسة؛ إذ هما طرفا النهار، وحسّن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

(١) برك التنوين قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) نافع وابن كثير.

(٣) الفصص: ٣٨.

(٤) فالقراءات خمس كلها سبعة. راجع التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

سُورَةُ الْجَلَالِينِ

[مكية، اثنتان وأربعون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] عَبَسَ النَّبِيُّ؛ كَلَجَ وَجْهَهُ ﴿وَتَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ، لِأَجْلِ [٢] «أَنْ جَاءَهُ الْآخِثُنُ» عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْنُونٍ، فَقَطَعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ، مِنْ يَرْجُو إِسْلَامَهُ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ الَّذِي (١) هُوَ حَرِيصٌ عَلَى إِسْلَامِهِمْ، وَلَمْ يَدْرِ الْأَعْمَى أَنَّهُ مَشْغُولٌ بِذَلِكَ فَنَادَاهُ: عَلِمَنِي مِمَّا عَلِمْتُكَ اللَّهُ. فَانصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ؛ فَعَوَّتَبَتْ فِي ذَلِكَ بِمَا نَزَلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ إِذَا جَاءَ: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَيْتَنِي فِيهِ رَبِّي» (٢) وَيَسْطَلُّهُ رِداءَهُ. [٣] «وَمَا يَدْرِيكَ» يَعْلَمُكَ ﴿لَعَلَّكَ يَرْبُذُ﴾ فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الزَّيْ؛ أَيُّ: يَنْظُرُ مِنَ الذَّنُوبِ، بِمَا يَسْمَعُ مِنْكَ. [٤] «أَوْ يَذَّكَّرُ» فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ؛ أَيُّ: يَنْعَظُ ﴿فَتَنْفَعُهُمُ الذِّكْرُ﴾ الْعِظَةُ الْمَسْمُوعَةُ مِنْكَ، وَفِي قِرَاءَةٍ (٣) نَبَسَبَ «تَنْفَعُهُ» جَوَابُ التَّرْجِيحِ. [٥] «أَنَا مَنِ اسْتَنْفَيْتُ» بِالْمَالِ [٦] «فَأَنْتَ لَمْ تَصْنَعْ» وَفِي قِرَاءَةٍ (٤) بِتَشْدِيدِ الصَّادِ؛ يَأْدِغَامُ النَّاءِ الثَّانِيَةَ فِي الْأَصْلِ فِيهَا؛ تُقْبَلُ وَتَعْتَرَضُ. [٧] «وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْبُذُ» يُؤْمِنُ.

[٨] «وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعًا» حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ «جَاءَهُ». [٩] «وَهُوَ يَخْتَصِي» اللَّهُ، حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ «يَسْعِي»، وَهُوَ الْأَعْمَى. [١٠] «فَأَنْتَ عَنْتَ لِلْعَمَى» فِيهِ حَذْفُ النَّاءِ الْأُخْرَى فِي الْأَصْلِ؛ أَيُّ: تَتَشَاغَلُ؟ [١١] «كَلَّا» لَا تَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ﴿إِنَّمَا﴾ أَيُّ: السُّورَةُ أَوْ الْآيَاتُ ﴿يَذْكُرُ﴾ عِظَةُ لِلخَلْقِ. [١٢] «فَسَاءَ سَاءَ ذَكَرُوكَ» حَفِظَ ذَلِكَ، فَاتَعَظُ بِهِ. [١٣] «فِي صُغْفَى» خَيْرٌ ثَانٍ لِذُنُوبِهَا (٥)، وَمَا قَبْلَهُ اعْتِرَاضٌ ﴿مُكْرِمًا﴾ عِنْدَ اللَّهِ. [١٤] «مَرْوُوعًا» فِي السَّمَاءِ ﴿مُطَهَّرًا﴾ مَنزَهَةٌ عَنِ مَسِّ الشَّيَاطِينِ. [١٥] ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ كَتَبَتْ يَنْسَخُونَهَا مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفَظِ. [١٦] ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ مُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ. [١٧] ﴿فَقِيلَ لِلْإِنْسَانِ﴾ لِمَنْ الْكَاْفِرُ ﴿مَا أَكْفَرُوا﴾ اسْتِفْهَامُ تَوْبِيخٍ؛ أَيُّ: مَا حَمَلَهُ عَلَى الْكُفْرِ؟ [١٨] ﴿بَيْنَ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ. [١٩] ثُمَّ يَبِينُهُ فَقَالَ: ﴿مِنْ نَفْطَةٍ خَلَقَهُ مُقَدَّرًا﴾ عِلْقَةٌ ثُمَّ مَضْعَةٌ، إِلَى أَحْسَرِ خَلْقِهِ. [٢٠] ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾ أَيُّ: طَرِيقَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ﴿يَسْرُرًا﴾. [٢١] ﴿ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْرَأْ﴾ جَعَلَهُ فِي قَبْرِ يَسْرُرِهِ. [٢٢] ﴿ثُمَّ إِذَا سَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ لِلبَعَثِ. [٢٣] ﴿كَلَّا﴾ حَقًّا ﴿لَمَّا بَقِيَ﴾ لَمْ يَفْعَلْ ﴿مَا أَمَرُ﴾ بِهِ رَبِّهِ. [٢٤] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نَظَرَ اعْتِبَارٍ ﴿إِلَى طَمَائِيهِ﴾ كَيْفَ قَدَّرَ وَذُبِّرَ لَهُ. [٢٥] ﴿أَنَا صَبَبْتُ الْمَاءَ﴾ مِنَ السَّحَابِ ﴿صَبَابًا﴾. [٢٦] ﴿ثُمَّ سَفَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿سَفَقًا﴾. [٢٧] ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ. [٢٨] ﴿وَعَبًا وَقَضْبًا﴾ هُوَ الْقُتُّ الرَّطْبُ. [٢٩] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾. [٣٠] ﴿وَحَدَائِقَ غُلَابًا﴾ بَسَاتِينَ كَثِيرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۚ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّاهُ يَنْزِكُ ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ أَمَّا مَنْ اسْتَعْتَى ۚ فَأَنْتَ لَهُ رَصَدَى ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْبُذَ ۚ وَآمَانَ مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ وَهُوَ يَخْتَصِي ۚ فَأَنْتَ عَنْتَهُ لَعَلَّاهُ يَنْزِكُ ۚ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۚ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ فِي صُغْفَىٰ مُكْرِمَةٍ ۚ مَرْوُوعًا مُطَهَّرًا ۚ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ قِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُوا ۚ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ مِنْ نَفْطَةٍ خَلَقَهُ ۚ فَقَدَّرَهُ ۚ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُرَهُ ۚ ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْرَأْهُ ۚ ثُمَّ إِذَا سَاءَ أَنْشَرَهُ ۚ كَلَّا لَمَّا بَقِيَٰ مَا أَمَرَهُ ۚ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۚ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا ۚ ثُمَّ سَفَقْنَا الْأَرْضَ سَفَقًا ۚ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ وَعَبًا وَقَضْبًا ۚ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ وَحَدَائِقَ غُلَابًا ۚ وَنَخْلًا وَنَخْلًا ۚ وَإِنَّا مَتَاعٌ لَكُمُ وَلَا تَعْمَلُونَ ۚ إِذَا جَاءَتْ الْأَصْحَابَةُ ۚ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۚ وَصَدِيقَتِهِ ۚ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ أُمَّرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۚ وَخُوجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۚ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۚ وَوُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۚ

الأشجار. [٣١] ﴿وَقَفَّكِهِ وَأَبًا﴾ مَا تَرَعَاهُ الْبِهَاتِمُ، وَقِيلَ: الثَّنُّ. [٣٢] ﴿نَسْتَعَا﴾ مَتَعَةٌ، أَوْ تَمْتِيعًا، كَمَا تَقْدَمُ فِي السُّورَةِ قَبْلَهَا ﴿لَكُرُؤًا وَلا تَمْتِئِكُمْ﴾ تَقْدَمُ فِيهَا أَيْضًا. [٣٣] ﴿وَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ النَفْخَةُ الثَّانِيَةَ. [٣٤] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾. [٣٥] ﴿وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ﴾. [٣٦] ﴿وَصَدِيقَتِهِ﴾ زَوْجَتَهُ وَبَنِيهِ «يَوْمَ» بَدَلَ مِنَ «إِذَا»، وَجَوَابُهَا دَلَّ عَلَيْهِ: [٣٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ حَالٌ يَشْغَلُهُ عَنِ شَأْنِ غَيْرِهِ؛ أَيُّ: اشْتَغَلَ كُلُّ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ. [٣٨] ﴿وَخُوجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مُضْبِغَةٌ. [٣٩] ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ فَرِحَةٌ، وَهِيَ الْمُنْمُونُ. [٤٠] ﴿وَوُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غِبَارٌ. [٤١] ﴿رَمَعْمَهَا﴾ تَغَشَّاهَا ﴿فَقَرَّةٌ﴾ ظِلْمَةٌ وَسَوَادٌ. [٤٢] ﴿أُولَئِكَ﴾ أَهْلُ هَذِهِ الْحَالَةِ ﴿هُمْ الْكَاْفِرَةُ الْفَجِرَةُ﴾ أَيُّ: الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفَجْرِ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ السُّورَةِ: أَمْرُجُ التَّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَنْزَلَ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فِي أَمِّ بْنِ مَكْنُونٍ الْأَعْمَى؛ أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَجَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْشُدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَعَجَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْضُرُ عَنْهُ وَيَقِيلُ عَلَى الْآخَرِ وَيَقُولُ: «أَتَرَىٰ مَا أَقُولُ بِأَمَّا؟» يَقُولُ: لَا، فَنَفِي هَذَا أَنْزَلَ. التَّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٢٣) وَمِنْ سُورَةِ عَبَسَ. (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ)، صَحِيحُ سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٦٦١).

(١) كَذَا فِي أَكْثَرِ الطَّبُوعِ، وَفِي حَاشِيَةِ الصَّارِي قَالَ: «نَعَتْ لِأَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ التَّعْبِيرُ بِالذِّينِ». وَفِي حَاشِيَةِ الْجَمَلِ قَالَ: «... فَكَانَتْ جَاءَ عَلَى الْاسْتِعْمَالِ الْقَلِيلِ مِنْ اسْتِعْمَالِ «الَّذِي» فِي الْجَمْعِ؛ عَلَى حَذْفِ: «وَصُغْفَى كَالَّذِي حَسَابًا» (التَّوْبَةُ: ٦٩).»
 (٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي سَبَابِ الزُّرُولِ ص ٣٨٥، وَقَالَ ابْنُ حَجْرٍ فِي الْكَاتِبِيِّ الشَّافِئِيِّ (١٨١): ذَكَرَهُ التَّلْبِي بِلا إِسْنَادٍ. وَأَخْرَجَهُ الدَّبْلِيُّ فِي الْفَرْدُوسِ (٦٨٥) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، مِنْ غَيْرِ إِسْنَادٍ. وَهُوَ فِي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى (٤٣١/٤) رَقْمَ (٣١٢٣) عَنْ أَنَسٍ بِإِسْنَادِ ظَاهِرِهِ الصَّحَّةُ بِلَفْظِ: «... فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَكْرَهُ». (٣) بِالزَّائِفِ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عِدَا عَاصِمٍ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ بِالنَّبَسِ.
 (٤) لِنَافِعِ وَابْنِ كَثِيرٍ. (٥) وَالْخَيْرُ الْأَوَّلُ: «تَذَكَّرَهُ».

فرت بأجسادها. [٨] ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ﴾ الجارية تدفن حية، خوف العار والحاجة ﴿سُيِّتَتْ﴾ تبيكتا لغاتهما. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وقرئ (١٣) بكسر التاء حكاية لما تخاطب به، وجوابها أن تقول: قُتِلَتْ بلا ذنب. [١٠] ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ صحف الأعمال ﴿شُيِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٤)؛ فُتحت وبُسطت. [١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ نُزعت عن أماكنها، كما ينزع الجلد عن الشاة. [١٢] ﴿وَإِذَا الْجَبَابِغُ﴾ النار ﴿شُعِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٥)؛ أُججت. [١٣] ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ قُربت لأهلها ليدخلوها. وجواب «إذا» أول السورة، وما عطف عليها: [١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَا أَحْضَرَتْ﴾ من خير وشر. [١٥] ﴿فَلَا أَفْسِدُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِالْحَنِينِ﴾. [١٦] ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد نخس. بضم النون؛ أي: ترجع في مجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كُوراجعاً إلى أوله، وتكيس بكسر النون: تدخل في كتابتها؛ أي: تعقب في المواضع التي تعقب فيها. [١٧] ﴿وَإِلَيْكَ إِنَّا عَسَعَسَ﴾ أقبل بظلامه، أو: أدبر. [١٨] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ امتد حتى يصير نهارةً شيئاً. [١٩] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله تعالى، وهو جبريل، أُضيف إليه لتزوله به. [٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله تعالى - ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة، متعلق به عند. [٢١] ﴿سَمَاعٍ ثُمَّ﴾ تطيعه الملائكة في السماوات ﴿أَيُّنَ﴾ على الوحي. [٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ محمد ﷺ عطف على «إنه»، إلى آخر المقسم عليه ﴿يَمْحُوجُنَّ﴾ كما زعمتم. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ البين، وهو الأعلى بناحية المشرق. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى النَّبِيِّ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بِظُنِينٍ﴾ (١٧)؛ أي: بمشهم، وفي قراءة بالضاد؛ أي: بيخيل، فينتقص شيئاً منه. [٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ سَيِّطَانٍ﴾ مسترق السمع ﴿رَجِيمٍ﴾ مرجوم. [٢٦] ﴿فَأَن تَذَهَبُونَ﴾ فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه؟ [٢٧] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. [٢٨] ﴿لِيَسْتَأْذِنَ بِنُكْحِ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ باتباع الحق. [٢٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلاق، استيقانكم عليه (٧).

تَرَهُّهَا قَاتِرَةٌ (١١) أَوْلَيْتِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْعَجْرَةُ (١٢)

سورة التكاوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَبَابِغُ سُعِرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) فَلَا أَفْسِدُ بِالْحَنِينِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ (١٦) وَإِلَيْكَ إِذَا عَسَعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْحُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ يَقُولُ سَيِّطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَن تَذَهَبُونَ (٢٦) إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)

سورة التكاوير

[مكية، تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفَّت وذُهب بنورها. [٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ انْفَطَتْ وتساقت على الأرض (١). [٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذُهب بها عن وجه الأرض؛ فصارت هباءً منبأً. [٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُركت بلا راع، أو: بلا حَلَب؛ لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها. [٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ مُجمعت بعد البعث؛ ليقتنص لبعض من بعض، ثم تصير تراباً. [٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٢)؛ أوقدت فصارت ناراً. [٧] ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

(١) النجوم لا تساقط على الأرض، وإنما تفتت وتتأثر. فالأولى: عدم ذكر الأرض.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: شدوداً ﴿قُتِلَتْ﴾.

(٤) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) بالتخفيف قراءة السبعة عدا نافع وابن ذكوان وحفص.

(٦) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالضاد؛ ﴿بضنين﴾.

(٧) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٢٦١): «العميم في متعلق المشيئة أولى؛ لحذف المفعول. والتقدير: وما تشاءون شيئاً من خير أو شر؛ إلا أن يشاء الله ذلك. ويدخل في ذلك الاستقامة دخولاً أولياً للآية السابقة، وذلك تدل الآيات على مشيئة الله الكونية خلافاً للمعتزلة».

في ذلك الاستقامة دخولاً أولياً للآية السابقة، وذلك تدل الآيات على مشيئة الله الكونية خلافاً للمعتزلة».

سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ

[مكية، تسع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انشقت.
- [٢] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انَّتَرَّتْ﴾ انقضت وتساقت.
- [٣] ﴿وَلِذَا الْيَمَامُ فُجِّرَتْ﴾ فُجِح بعضها في بعض، فصارت بحرا واحداً، واختلط العذب بالملح.
- [٤] ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ قُلب ترابها، وبُعث موتاها.
- [٥] وجواب «إذا» وما عطف عليها: «عَلِمَتْ نَفْسٌ أَي: كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة» مِمَّا قَدَّمَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الكافر ﴿مَّا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ حتى عصيته.
- [٦] ﴿وَالَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿مَسْوُودًا﴾ جعلك مستوي الخلق، سالم الأعضاء ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(١)؛ جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء؛ ليست يد أو رجل أطول من الأخرى
- [٨] ﴿وَيَوْمَ أُنزِلُ سُورَةَ مَاءٍ﴾ صلة ﴿شَاءَ رَبُّكَ﴾.
- [٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاعتزاز بكرم الله - تعالى^(٢) - ﴿بَلْ تَكْفُرُونَ أَي: كفار مكة بِالَّذِينَ﴾ بالجزاء على الأعمال.

سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انَّتَرَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْيَمَامُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَكَ رَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَبُّكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالذِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ إِنْ الْأَبْرَارُ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَوَّجُوهُم بِحِسْرُونَ ﴿٣﴾ لَا يُعْطُونَ أَكْثَرَ مِمَّا كَالُوا وَلَا يَنْصِفُونَ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

[مكية، أو: مدنية، ست وثلاثون آية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.
- [٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الكيل.
- [٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَوَّجُوهُمْ﴾ أي: كالوا لهم ﴿أَوْ زَوَّجُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿بِحِسْرُونَ﴾ ينقصون الكيل أو الوزن.
- [٤] ﴿الْأَكْثَرَ﴾ استفهام توبيخ ﴿بِطَنِّ﴾ يتيقن ﴿أَوْلَيْتِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾.
- [٥] ﴿يَوْمٌ عَظِيمٌ﴾ أي: فيه، وهو يوم القيامة.
- [٦] ﴿يَوْمٌ﴾ يدل من محل «ليوم»؛ فناصبه: «مبعوثون» ﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿رَبِّهِ الْعَالَمِينَ﴾ الخلائق؛ لأجل أمره وحسابه وجزائه.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج ابن ماجه عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحببت الناس كَيْلًا، فأُنزل الله . شَيْخَانَهُ: . ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسبوا الكيل بعد ذلك. ابن ماجه - كتاب الحشرات (١٢) باب (٣٥) التوفي في الكيل والوزن. (حسن) صحيح سنن ابن ماجه (١٠٨٠).

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.
 (٢) قول الخليلي: «ردع عن الاعتزاز بكرم الله تعالى» يفيد أنه ذهب إلى أن جواب الإنسان الكافر على سؤال: ﴿مَّا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ في الآية السادسة هو: غرّه كرم الله. وهذا قول ضعيف مردود، والكافر إنما غرّه جهله بربه وبصفاته. وقد يتوجه هذا الجواب ويقبل لو حمل على أن السؤال موجه إلى المؤمن العاصي. لكن الخطاب في الآية للكافر.
 (٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَوْمٌ﴾ بالفتح.

فغشيها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ.
[١٥] ﴿كَلَّا﴾ حَقًّا ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿مَسْحُورُونَ﴾ فلا يرونه.

[١٦] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ هَاتِفًا﴾ لدخول النار المحرقة.
[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ﴾ لهم: ﴿هَذَا﴾؛ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ تَكْذِبُونَ.

[١٨] ﴿كَلَّا﴾ حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْآزْجَارِ﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين، الصادقين في إيمانهم ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش.
[١٩] ﴿وَمَا أَزْجَارُكُمْ﴾ أعلمكم ﴿مَا عَلِمْتُمْ﴾ ما كتاب عليين؟

[٢٠] هو ﴿كِتَابُ مَرْثُومٍ﴾ مخموم.
[٢١] ﴿يَسْأَلُهُ الْمَلَأُونَ﴾ من الملائكة.
[٢٢] ﴿إِنَّ الْآزْجَارَ لَأَنبُؤَاتٌ﴾ جنة.
[٢٣] ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ﴾ الشرير في الحِجَالِ (١) ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ما أعطوا من العليم.

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة التمتع وحشنة.
[٢٥] ﴿يَسْقُونَ مِنْ رَاحِقٍ﴾ حمر خالصة من الدنس ﴿مَسْحُورٍ﴾ على إناثها، لا ينفك حشنة إلا هم.

[٢٦] ﴿حِجْنَتُهُمْ مِنْهَا﴾ أي: آخر شربه، تفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.
[٢٧] ﴿وَمِنْ تَنْبِيئِهِمْ﴾ أي: ما يبرح به ﴿بَيْنَ تَنْبِيئِهِمْ﴾، فُسِّرَ بقوله:

[٢٨] ﴿عَيْنًا﴾ فصبه بـ«أمدح» مقدرًا ﴿يَتَرَبَّصُّ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ منها، أو: ضُحْنٌ «يشرب» معنى: يلتذ.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كأني جهل ونحوه ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كعقار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بهم.
[٣٠] ﴿وَإِذَا رَأَوْا﴾ أي: المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَعَامَرُونَ﴾ بشير المحرمون إلى المؤمنين، بالجنس والحاجب استهزاء.

[٣١] ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا﴾ ﴿فَأَكْبَهِينَ﴾ وفي قراءة (٢): ﴿فَكَبِهِينَ﴾: معجبين بذكرهم المؤمنين.
[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَأَصْحَابُ﴾ لإيمانهم

بمحمد ﷺ.
[٣٣] قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ لهم، أو: لأعمالهم؛ حتى يردوهم إلى مصالحهم.
[٣٤] ﴿فَالْيَوْمِ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ﴿وَمَا أَزْجَارُكُمْ مَاسِيحِينَ﴾ ﴿كِتَابُ مَرْثُومٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ ﴿وَمَا كَذَّبَ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿إِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِ إِيتَانَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ يَكْذِبُونَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْآزْجَارِ لَفِي عِلْيَيْنَ﴾ ﴿وَمَا أَزْجَارُكُمْ مَاعِلُونَ﴾ ﴿كِتَابُ مَرْثُومٍ﴾ ﴿يَسْأَلُهُ الْمُفْرَبُونَ﴾ ﴿إِنَّ الْآزْجَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ﴿يَسْقُونَ مِنْ رَاحِقٍ مَّخْمُومٍ﴾ ﴿حِجْنَتُهُمْ مِنْهَا﴾ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ ﴿وَمِنْ تَنْبِيئِهِمْ﴾ ﴿عَيْنًا يَتَرَبَّصُّ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبَاعَمُونَ﴾ ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكَاهِنِينَ﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَأَصْحَابُ الْأَرْيَاقِ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾

[٧] ﴿كَلَّا﴾ حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده.

[٨] ﴿وَمَا أَزْجَارُكُمْ مَاسِيحِينَ﴾ ما كتاب سجين.
[٩] ﴿كِتَابُ مَرْثُومٍ﴾ مخموم.
[١٠] ﴿وَلَقَدْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾

[١١] ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ الجراء، بدل، أو: بيان «للمكذبين».
[١٢] ﴿وَمَا كَذَّبَ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز الحد «أثيم» صيغة مبالغة.
[١٣] ﴿إِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِ إِيتَانَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الحكايات التي سطرت قديمًا، جمع: «أسطورة» بالضم أو: «إسطارة» بالكسر.

[١٤] ﴿كَلَّا﴾ ردة وزجر لقلوبهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾

(١) جمع: «حجلة»، وهي: القبة فوق السرير.

(٢) للبيعة عدا حفص وابن عامر بخلاف عنه.

[٣٥] ﴿عَلَىٰ الْأَرْيَافِ﴾ في الحنطة **يَنْظُرُونَ** من منازلهم إلى الكفار وهم يعبثون، فيضحكون منهم، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.
 [٣٦] ﴿هَلْ تُؤْتِي﴾ جوزي **الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**؟ نعم.

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

[مكية، ثلاث، أو: خمس وعشرون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. [٢] ﴿وَأُذُنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق
 ﴿رَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ أي: وحقق لها أن تسمع وتطع.
 [٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ زيد في سمعتها، كما تمدُّ الأديم، ولم يبق عليها بناء ولا جبل.
 [٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَوَقَلَّتْ﴾ عنه.
 [٥] ﴿وَأُذُنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿رَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب «إذا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده؛ تقديره: لقي الإنسان عمله.
 [٦] ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك ﴿إِلَى﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَذَمًا فَمَلَيْتَهُ﴾ أي: ملاق عملك المذكور، من خير أو شر يوم القيامة.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْرِقَ كِتَابُهُ﴾ كتاب عمله **بِيسِينِهِ** هو المؤمن.
 [٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرض عمله عليه كما في حديث الصحيحين، وفيه: «مَنْ تَوَقَّشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»^(١) وبعد العرض يجاوز عنه.
 [٩] ﴿وَيَرْقُبُ﴾ إلى أهلِهِ في الجنة **مَسْرُورًا** بذلك.
 [١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْرِقَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ هو الكافر، تُعَلُّ يمناه إلى عنقه ويُجَعَلُ يسراه وراء ظهره؛ فأخذ بها كتابه.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا﴾ عند رؤيته ما فيه **تُجُورًا** ينادي هلاكه بقوله: يا نهوراه.
 [١٢] ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة^(٢) بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة.
 [١٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ عشيرته في الدنيا **مَسْرُورًا** بطرا باتباعه هواه.
 [١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه **لَّنْ** يحور يرجع إلى ربه.
 [١٥] ﴿بَلَىٰ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ عالمًا برجوعه إليه^(٣).
 [١٦] ﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾ لا زائدة ﴿بِالْشَّفَقِ﴾ هو الحمرة في الأفق، بعد غروب الشمس.

[١٧] ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جمع ما دخل عليه، من الدواب وغيرها.
 [١٨] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وتم نوره، وذلك في الليالي البيض.
 [١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله: «تركبون» حذف نون الرفع؛ لتوالي الأمثال، والواو؛ للالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، وهو

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿١﴾ عَلَى
 الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ﴿٢﴾ هَلْ تُؤْتِي الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأُذُنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾
 وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأُذُنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا
 الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَيْتَهُ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْرِقَ
 كِتَابُهُ بِيسِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَرْقُبُ
 إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْرِقَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
 يَدْعُوا تُجُورًا ﴿١١﴾ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
 إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ
 بِالْشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
 لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
 عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي: الكفار **لَا يُؤْمِنُونَ** أي: أي مانع من الإيمان،
 أو: أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه؟
 [٢١] ﴿وَالَّذِينَ﴾ مالم **إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْمَعُونَ** يخضعون؛
 بأن يؤمنوا به لإعجازه.
 [٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالبعث وغيره.
 [٢٣] ﴿وَالَّذِينَ﴾ مالم **يَسْمَعُونَ** يجمعون في صحفهم، من الكفر
 والتكذيب وأعمال السوء.
 [٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم **بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** مؤلم.
 [٢٥] ﴿بَلَىٰ﴾ لكن **الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ**
مَمْنُونٍ غير مقطوع ولا منقوص ولا يُخَيَّرُ به عليهم.

(ه) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سُرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا انشَقَّتْ كُورَتُ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧٤) من سورة ﴿إِذَا انشَقَّتْ كُورَتُ﴾، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٥٣).

(١) البخاري (٤٩٣٩)، مسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) لنافع وابن كثير وابن عامر والكسايني؛ «يُصَلِّي».

(٣) البصر غير العلم، فالواجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلاله - سبحانه..

[٤] ﴿قِيلَ لَنْ﴾ **﴿أَخَذُوا الْأَخْذُودَ﴾** الشق في الأرض.
 [٥] ﴿التَّارِ﴾ بدل اشتمال منه **﴿ذَاتِ الزُّوْفِ﴾** ما توقد به.
 [٦] ﴿إِذْ هَرَّ عَلَيْهَا﴾ حولها على جانب الأخدود على الكراسي **﴿تَمُودُ﴾**.
 [٧] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم **﴿شُهُودٌ﴾** حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من نتم فأحرقهم^(١).

[٨] ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه **﴿الْحَمِيدِ﴾** المحمود.

[٩] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالإحراق **﴿ثُمَّ لَمْ يُؤْتُوا فَأَهْمَرْ عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾** بكفرهم **﴿وَلَمْ يَكُنْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾** أي: عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن أخرجت النار فأحرقهم، كما تقدم.

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَكُنْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ذلك الفوز الكبير.

[١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار **﴿لَشَدِيدٌ﴾** بحسب إرادته.

[١٣] ﴿إِنَّهُ هُوَ بَرِيءٌ﴾ الخلق **﴿وَبَرِيءٌ﴾** فلا يعجزه ما يريد.

[١٤] ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ للمذنبين المؤمنين **﴿الْكُودُودُ﴾** المتوذد إلى أوليائه بالكرامة.

[١٥] ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكة^(٢) **﴿الْمَجِيدُ﴾** بالرفع؛ المستحق لكمال صفات العلو^(٣).

[١٦] ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ لا يعجزه شيء.

[١٧] ﴿هَلْ أَنْتَ﴾ يا محمد **﴿حَدِيثُ الْجُودِ﴾**.

[١٨] ﴿فِرْعَوْنَ وَتَمُودَ﴾ بدل من «الجنود»، واستغني بذكر فرعون عن أتباعه، وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن؛ ليتعظوا.

[١٩] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ بما ذكر.

[٢٠] ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مَحْيطٌ﴾ لا عاصم لهم منه.

[٢١] ﴿بَلِ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ عظيم.

[٢٢] ﴿فِي لَيْلٍ﴾ هو في الهواء، فوق السماء السابعة **﴿مَحْظُوظٌ﴾** بالجر^(٤)، من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء؛ قاله ابن عباس^(٥).

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَخَذُوا الْأَخْذُودَ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا فُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لِشَدِيدٍ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَرِيءٌ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ﴿١٥﴾ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَتَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مَحْيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلِ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَيْلٍ مَحْظُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْبُرُوجِ

[مكية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ الكواكب اثنا عشر برجاً تقدمت في الفرقان^(١).

[٢] ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة.

[٣] ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة **﴿وَمَشْهُودٍ﴾** يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في الحديث^(٢)؛ فالأول: موعود به، والثاني: شاهد بالعمل فيه، والثالث: تشهد الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صدّره، تقديره: لقد.

(١) الفرقان: ٦١.

(٢) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٦٢) عن أبي هريرة مرفوعاً، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٢٠١).

(٣) روي ذلك عن الربيع بن أنس، وحكاه الفراء، وأكثر المفسرين أن هذا العذاب في جهنم.

(٤) الله **﴿يَحْكُمُ﴾** خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواؤه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٥) وكذا بالجر في قراءة حمزة والكسائي.

(٦) وهي قراءة السبعة غير نافع.

(٧) تحديد اللوح بما ذكر من الأمور الغيبية التي يحتاج الجازم بها إلى دليل صحيح عن المصوم ﷺ.

سورة الطارق

[مكية، سبع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ﴾ أصله: كل آت ليلاً، ومنه النجوم تطلوعها ليلاً.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ مبتدا وخبر، في محل المفعول الثاني له «أدرك»، وما بعد «ما» الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده. [٣] هو ﴿النَّجْمُ﴾؛ أي: الثريا، أو: كل نجم ﴿النَّاقِبُ﴾ المضيء؛ لقبه الظلام بضوئه. وجواب القسم: [٤] ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَتَهَا حَافِظٌ﴾ بتخفيف «ما» فهي مزيدة، و«إن» مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: إنه، واللام فارقة، وبشديدها^(١) ف«إن» نافية، و«لما» بمعنى «إلا»، و«الحافظ» من الملائكة، يحفظ عملها من خير وشر. [٥] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء؟ جوابه: [٦] ﴿خُلِقَ مِنْ نَّوَارِقٍ﴾ ذي اندفاعي من الرجل والرواة، في رجوعها. [٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ للرجل ﴿وَأَنْزَابٍ﴾ للمرأة؛ وهي: عظام الصدر. [٨] ﴿إِنَّهُ﴾ - تعالى - ﴿عَلَى سَبِيلِهِ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿فَتَأْتِرُ﴾ فإذا اعتبر أصله عليم أن القادر على ذلك قادر على بعثه. [٩] ﴿يَوْمَ يُبْلَى﴾ تختبر وتكشف ﴿النَّازِعَاتُ﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات. [١٠] ﴿مَا لَمْ﴾ لمنكر البعث ﴿وَمِنْ قُوَّةٍ﴾ يتمتع بها من العذاب ﴿وَلَا تَأْوِيهِ﴾ يدفعه عنه.

[١١] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾ المطر؛ لغوده كل حين. [١٢] ﴿وَالْأَرْضَ ذَاتَ الصَّارِعِ﴾ الشق عن النبات. [١٣] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ قَسَلٌ﴾ يفصل بين الحق والباطل. [١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِالْقُرْآنِ﴾ باللب والباطل. [١٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ. [١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون. [١٧] ﴿فَهَلْ﴾ يا محمد ﴿الْكُفْرَيْنِ﴾ أمهاتهم ﴿تَأْكِيدُ﴾ حشنة مخالفة اللفظ؛ أي: أنظرهم ﴿رُؤُودًا﴾ قليلاً، وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل، مصغر: «رؤودا»؛ أي: «إزوادا» على الترخيم، وقد أخذهم الله تعالى - بيذر، ونسخ الإمهال بآية السيف؛ أي: الأمر بالقتال والجهاد.

سورة الأعلى

[مكية، تسع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نزهه ربك عما لا يليق به، و«اسم» زائد^(٢) ﴿الْأَعْلَى﴾ صفة ل«ربك»^(٣). [٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَوَاقِبَ﴾ مخلوقه؛ جعله متناسب الأجزاء، غير متفاوت. [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَى﴾ إلى ما قدره من خير وشر. [٤] ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ الْأَنْزَامَ﴾ أنبت العشب. [٥] ﴿نَجْمَعَهَا﴾ بعد الخضرة ﴿عَنَاءً﴾ جافاً هشياً ﴿أَحْوَى﴾ أسود يابسا. [٦] ﴿سَنفِرُكَ﴾ القرآن ﴿فَلَا تَنسَى﴾ ما تقرؤه. [٧] ﴿إِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكانه قيل

سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ بُدِيَ السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَهَالِكٌ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضَ ذَاتَ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْقُرْآنِ ﴿١٤﴾ إِنْهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَهَلْ الْكُفْرَيْنِ أَمَهُلُهُمْ رُؤُودًا ﴿١٧﴾

سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ سَوَاقِبَ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنفِرُكَ ﴿٦﴾ فَلَا تَنسَى ﴿٧﴾ إِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ بِعَالَمِ الْغَيْبِ وَمَا يَخْفَى ﴿٨﴾ وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٩﴾ فَذِكْرُنْ لِقَعْتِ الذِّكْرِ ﴿١٠﴾ سَيَذَكِّرُنَّ خَلْقًا ﴿١١﴾

له: لا تعجل بها، إنك لا تنسى ولا تشعب نفسك بالجهربها. ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ منها. [٨] ﴿وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ للشرعية السهلة، وهي الإسلام. [٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ عطف بالقرآن ﴿إِنْ نَقَعْتَ الذِّكْرَى﴾ مَنْ تُذَكِّرُهُ، المذكور في: «سيدر»؛ يعني: وإن لم تنفع، ونفعها لبعض، وعدم النفع لبعض آخر. [١٠] ﴿سَيَذَكِّرُ﴾ بها ﴿مَنْ يَخْفَى﴾ يخاف الله - تعالى - كآية ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخْفَى وَعِيدَهُ﴾^(٤). [١١] ﴿وَيَسِّرُهَا﴾ أي: الذكرى؛ أي: يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿الْأَشْفَى﴾ بمعنى الشقي؛ أي: الكافر. [١٢] ﴿الَّذِي يَصَلُّ النَّارَ الْكُورَى﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا. [١٣] ﴿مِمَّ لَا يَبُوءُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَجِيءُ﴾ حياة هنيئة. [١٤] ﴿فَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَنْ تَرَى﴾ تطهر بالإيمان. [١٥] ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ مكبراً ﴿فَصَلَّى﴾ الصلوات الخمس. وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة معرضون عنها.

(١) فائدة: أخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. النسائي - كتاب قيام الليل (٢٠) باب (٤٦) القراءة في الوتر، وضححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٦٢٣).

(٢) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو. (٣) الأعلى اسم من أسماء الله ﷻ، وهو يشتمل على إثبات صفة العلو لله - تعالى - ومعناه: الأعلى من كل شيء؛ ذاتاً وقهراً وشأناً. (٤) ق: ٤٥.

(٢) بل يجب تنزيه الاسم كذلك، كما يجب تنزيه ذاته المقدسة سبحانه.

بأهلها.

- [٢] ﴿وَمُؤْمِنًا يُؤْتِيهِمْ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة.
 [٣] ﴿عَائِلَةً نَّاصِبَةً﴾ ذات نصيب وتعب، بالسلاسل والأغلال.
 [٤] ﴿تَصَلَّى﴾ ففتح الناء وضما^(١) ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.
 [٥] ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ مَّائِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة.
 [٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ هو نوع من الشوك، لا ترعاه دابة؛ لحيته.
 [٧] ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.
 [٨] ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِعَائِمَةٍ﴾ حسنة.

- [٩] ﴿لَسَعِبًا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةً﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.
 [١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ جِدَا وَمَعْنَى﴾.
 [١١] ﴿لَا يُسْمَعُ﴾ بالياء والناء^(٢) ﴿فِيهَا﴾ [لاغية] أي: نفس ذات لغو، أي: هذيان من الكلام.
 [١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالياء؛ بمعنى: عيون.
 [١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ذاتا وقدرا ومحلا.
 [١٤] ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ أفداح لا غرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون، معدة لشربهم.

- [١٥] ﴿وَنَارًا﴾ وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجانب بعض، يستند إليها.
 [١٦] ﴿وَرِزْقًا﴾ بسطط طنافس لها حمل^(٣) ﴿مَثْوًى﴾ مسوطة.
 [١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

- [١٨] ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾. [١٩] ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.
 [٢٠] ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: بسطت، فيستدلون بها على قدرة الله - تعالى - ووحديته، وضدَّت بالإبل؛ لأنهم أشد ملاسة لها من غيرها، وقوله: ﴿سُطِحَتْ﴾ ظاهر في أن الأرض سطح؛ وعليه علماء الشرع، لا كره؛ كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع^(٤).

- [٢١] ﴿فَذَكِّرْ﴾ لهم نعم الله ودلائل توبيخه ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.
 [٢٢] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ وفي قراءة بالصاد بدل السين؛ أي: بمسلط، وهذا قبل الأمر بالجهاد.

- [٢٣] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ﴾ بالقرآن.
 [٢٤] ﴿فَعَذِّبْنَاهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر.

- [٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم بعد الموت.
 [٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ جزاءهم لا نتركه أبدًا.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن العمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرِ﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنكبُوتِ﴾ قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلواتين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٦) ما يقرأ في صلاة الجمعة.

(١) بالياء لأني عمرو.
 (٢) بالضم قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تصلى﴾ بالفتح.
 (٣) بالياء لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ نافع بالياء مع ضمها؛ منيًّا للمجهول؛ ﴿تسمع﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿تسمع فيها لاغية﴾ للفاعل مع نصب ﴿لاغية﴾.
 (٤) ﴿رِزْقًا﴾؛ جمع: ﴿رُزْقَةٌ﴾ بتليث الزاي. و﴿طنافس﴾؛ جمع: ﴿طنفسة﴾ بتليث الفاء والطاء، وتسمى أيضًا: سجادة. وال ﴿تخلل﴾: ال وهذب.
 (٥) بل الصحيح أنها كروية كما ثبت بالعلم الحديث وبينه ثقات من علماء المسلمين من قبل، وأما بسطها وتسطيحها فلا يتنافى مع كرويتها في نفسها وذلك لتباعذ أطرافها، فكل قطعة منها على حدة ممدودة مسطحة، والكروية كائنة لجللتها، كما قال - تعالى -: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَكَّةً﴾.
 (٦) ليشام، وقرأ حمزة بخلف عن خلاد: بإشمام الصاد الزاي، وقرأ بقية السبعة بالصاد، وهو الوجه الثاني لخلاد.

وَتَجَبَّبَهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي صَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدَّ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ يُؤْذِرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَنْتَقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنكبُوتِ ﴿١﴾ وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِعَائِمَةٍ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ مَّائِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِعَائِمَةٍ ﴿٨﴾ لَسَعِبًا رَاضِيَةً ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارًا قَرِيبًا مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَرِزْقًا مَثْوًى ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكَرْهُمْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾

- [١٦] ﴿بَلْ يُؤْذِرُونَ﴾ بالثخانة والفرقانية^(١) ﴿الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة. [١٧] ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَنْتَقَى﴾.
 [١٨] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيرًا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.
 [١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وهي: عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

سورة العنكبوت

[مكية، ست وعشرون آية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنكبُوتِ﴾ قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنكبُوتِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق

سُورَةُ الْفَجْرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أي: فجر كل يوم.

[٢] ﴿وَاللَّيْلِ عَسْرِ﴾ أي: عشر ذي الحجة.

[٣] ﴿وَالشَّفْعِ الْوَجَّ﴾ والوَجَّ: بفتح الواو وكسرهما^(١)؛ لغتان: الفرد.

[٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ مقبلاً ومدبراً.

[٥] ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ الْقِسْمِ﴾ القِسْمِ: قِسْمٌ لِيَرَى جَمْرًا ﴿عقل؟ وجواب القسم محذوف؛ أي: لتُعَذِّبُنِي يَا كَافِرًا مَكَّةَ﴾.

[٦] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

[٧] ﴿إِذْ﴾ هي عاد الأولى، ﴿فإِرام﴾ عطف بيان، أو: بدل، ومع

الصرف؛ للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ الْإِيمَادِ﴾ أي: الطول، كان طول الطويل منهم أربعين ذراعاً^(٢).

[٨] ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي الْيَلْدِ﴾ في بطشهم وقوتهم.

[٩] ﴿وَيَوْمَ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ قطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾ جمع «صخرة»، واتخذوها بيوتاً ﴿بِالْوَادِ الْقُرَى﴾.

[١٠] ﴿وَفَرَعُونَ ذِي الْأَرْوَاحِ﴾ كان يَبْدُ أربعة أوتاد، يشد إليها يدي ورجلي من يُعَذِّبُهُ.

[١١] ﴿الَّذِينَ طَعَوْا﴾ تجبروا ﴿فِي الْيَلْدِ﴾.

[١٢] ﴿فَأَكْرَمُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ القتل وغيره.

[١٣] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾ نوع ﴿عَذَابٍ﴾.

[١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِكَلِيمٍ رَّصِيدٍ﴾ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء؛ ليجازيهم عليها.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ﴾ إِذَا مَا أَبْتَلْتَهُ ﴿اخْتَرَهُ﴾ رُبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ﴿بِالْمَالِ﴾ وغيره ﴿وَنَعَمَ يَقُولُ رَبِّي أَكْرَمٌ﴾.

[١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْتَلْتَهُ فَقَدَّرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ يَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾.

[١٧] ﴿كَلَّا﴾ ردع؛ أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتهون لذلك ﴿بَلْ لَا يُكْرَمُونَ﴾ الْيَتِيمَ ﴿لا يحسنون إليه مع غناهم، أو: لا يعطونه حقه من الميراث.

[١٨] ﴿وَلَا يَتَخَصَّصُونَ﴾ أنفسهم أو غيرهم ﴿عَلَى طَعَاوِرِ﴾ أي: إطعام ﴿الْيَتَامَى﴾.

[١٩] ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ الْثُرَاتِ ﴿الميراث﴾ أَكْثَرًا ﴿لَمَّا﴾ أي: شديداً، لِغَنَمِ نَصِيبِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ مِنَ الْمِيرَاثِ، مع نصيبهم منه أو: مع مالهم.

[٢٠] ﴿وَيُجِبُونَ﴾ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿أي: كثيراً فلا ينفقونه، وفي قراءة

(١) بالكسر حمزة والكسائي.

(٢) هذا من الإسرائيليات التي لا تصح، وتتنافى مع ما صح عنه من تناقض الخلق من لندن آدم عليه السلام، والذي كان طوله ستون ذراعاً فقط، ومعنى ﴿ذَاتِ الْإِيمَادِ﴾ أي: ذات الأيدي المرفوعة على العتد، أو: البناء المرتفع، وقال مجاهد وقادة: كانوا أهل عمود لا يقيمون؛ أي لحياهم، واختاره ابن جرير، وواقفه ابن كثير.

(٣) والقراءة المذكورة أولاً بالياء في الأربعة لأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالتاء، إلا أنه قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿مُخْشُونَ﴾. وقرأ بقتبهم: ﴿مُخْشُونَ﴾.

(٤) تأويل الجيء بأمر الله خلاف ظاهر النص، وعدول عما فهمه السلف من الآية، والجيء صفة من صفات الفعل التابئة لله تعالى على ما يليق به.

(٥) كما جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم (٢٨٤٢) مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». والزمام: هو: الحُطَماء الذي يقاد به البعير.

إِلَّا لَأَمْنٌ تُؤْتِي وَكَفَرٌ ﴿٢١﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٢﴾

إِنَّ الْإِنْسَانَ آيَاتٍ بَهُمْ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ﴿٤﴾

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرِ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْيَلْدِ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ

جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفَرَعُونَ ذِي الْأَرْوَاحِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي

الْيَلْدِ ﴿١١﴾ فَأَكْرَمُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ

عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَدَأَهُ

رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَدَأَهُ

فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ

الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَخْشَوْنَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ

الْثُرَاتِ أَكْثَرًا لَمَّا ﴿١٩﴾ وَتُجِبُونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا

ذُكِرَتِ الْأَرْضُ ذُكًى ذَكَاءً ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

بالفوقانية في الأفعال الأربعة^(٣).

[٢١] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا ذُكِرَتِ الْأَرْضُ ذُكًى ذَكَاءً﴾ زلزلت، حتى يهدم كل بناء عليها وينعدم.

[٢٢] ﴿وَسَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره^(٤) ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي: الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين، أو: ذوي صفوف كثيرة.

[٢٣] ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك^(٥) لها زفير وتغيظ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إِذَا»، وجوابها:

﴿يَذُكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ أي: الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّى لَهُ الْذِكْرَى﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا ينفعه تذكره ذلك.

سورة البقرة

[مكة، عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحَقُّ بِهَذَا الْبَيْتِ مِنْكَ﴾ مكة.
 [٢] ﴿وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿حَلَّ﴾ حلال ﴿بِهَذَا الْبَيْتِ﴾ بأن يحل لك
 فنقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين المقسم
 به وما عطف عليه.

[٣] ﴿وَوَالِدٍ﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ أي: ذريته، ﴿وَمَا﴾ بمعنى «من».

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس ﴿فِي كَيْدٍ﴾ نصب وشدة؛ يكابد
 مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

[٥] ﴿أَيُّسِبُّ﴾ أيظن الإنسان؛ قوي قريش، وهو أبو الأشد ابن كندة،
 بقوته ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾
 أحدٌ ﴿وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ﴾.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عدواة محمد ﴿مَا لَا لُبْدَاءُ﴾ كثيرًا بعضه على
 بعض. [٧] ﴿أَيُّسِبُّ أَنْ﴾ أي: أنه ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفق، فيعلم قدره؟
 والله عالم^(٦) بقدره، وأنه ليس مما يكثر به، ومجازيه على فعله السيئ.

[٨] ﴿أَلَّا يَجْمَلَ﴾ استفهام تقرير؛ أي: جعلنا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ﴾.

[٩] ﴿وَلِسَانًا وَمَنْفَتَيْنِ﴾.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بيِّنًا له طريق الخير والشر.

[١١] ﴿فَلَا﴾ فهلاً ﴿أَفَنَحْمُ الْعَقَبَةَ﴾ جاوزها.

[١٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ التي يقتحمها؛ تعظيمًا لشأنها،
 والجملة اعتراض.

[١٣] ﴿وَيَسِّرْ سببَ جَوَازِهَا بِقَوْلِهِ﴾ ﴿فَكُ رَقِيَّةٌ﴾^(٧) من الرق بأن أعتقها.

[١٤] ﴿أَوْ﴾ ﴿أَطْعَمٌ﴾^(٨) في يوم ذي مسعى ﴿مَجَاعَةً﴾.

[١٥] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قرابة.

[١٦] ﴿أَوْ﴾ ﴿مِسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ لُصُوقٍ بالتراب؛ لفقره، وفي قراءة بدل
 الفعليين^(٩)؛ مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقية^(١٠)، وينون الثاني^(١١)، فيقدر
 قبل العقبة: اقتحام^(١٢)، والقراءة المذكورة^(١٣) بيانه.

[١٧] ﴿ثُمَّ﴾ ﴿كَانَ﴾ عطف على ﴿اقتحم﴾، ﴿وَمِنْ﴾ للترتيب الذكري،
 والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضًا
 ﴿بِالْقَسْرِ﴾ على الطاعة، وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الرحمة على
 الخلق. [١٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اليمين.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَانِبَانَا﴾ ﴿هُمُ﴾ ﴿أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ الشمال.

[٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمزة والواو بدله^(١٤)، مُطَبَّقَةٌ.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى
 لَهُ الذِّكْرَى ﴿٣١﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٣٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ
 لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٣٣﴾ وَلَا يُؤْتِيهِمْ وَفَاقَهُ أَحَدًا ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا
 النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٣٥﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٣٦﴾
 فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٣٧﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴿٣٨﴾

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَيْتِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حَلُّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدِ وَمَا وُلِدَ
 ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ ﴿٤﴾ أَيُّسِبُّ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ
 أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدَاءُ ﴿٦﴾ أَيُّسِبُّ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ
 ﴿٧﴾ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَسَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ
 النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا أَفْتَحُمُ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
 فَكُ رَقِيَّةٌ ﴿١٣﴾ أَوْ اطْعَمٌ فِي يَوْمِ ذِي مَسْعَى ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ
 ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا
 بِالْقَسْرِ ﴿١٧﴾ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٩﴾

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان
 ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة، أو: وقت حياتي في الدنيا. [٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا
 يُعَذِّبُ﴾ بكسر الذال ﴿عَذَابُهُ﴾ أي: الله ﴿أَحَدًا﴾ أي: لا يكله إلى غيره.
 [٢٦] ﴿وَوَ﴾ كذا ﴿لَا يُؤْتِيهِمْ﴾ بكسر التاء ﴿وَفَاقَهُ أَحَدٌ﴾ وفي قراءة^(١) بفتح
 الذال والتاء، فضمير «عذابه» و«وفاقه» للكافر، والمعنى: لا يُعَذِّبُ أَحَدٌ مِثْلَ
 تَعَذِّبِهِ، وَلَا يُؤْتِيهِمْ مِثْلَ إِيثَاقِهِ. [٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ وهي
 المؤمنة. [٢٨] ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يقال لها ذلك عند الموت؛ أي: ارجعي إلى
 أمره وإرادته^(٢) ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عند الله بملكك؛ أي: جامعة
 بين الوصفين، وهما حالان، ويقال لها في القيامة: [٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جملة
 ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين [٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ معهم.

(١) للكسائي.

(٢) وهذه طريقة نفاة الصفات بزعم تنزيه الله ﷻ عن مشابهة خلقه، والصواب أن الرجوع إلى الله: لقاؤه - شبحائه - يوم القيامة، والوقوف بين يديه للحساب والجزاء، على ما يليق بجلاله، أو يكون المراد بالنفس: الروح، ولقاؤها ربها حين خروجها من الجسد ساعة الموت.

(٣) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها؛ وضميع المفسر جريًا على طريقته في تأويل الصفات كما هي طريقة أهل التأويل.

(٤) (٥) للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٦) (٧) أي: «فكُ رقية».

(٨) أي: «إطعام».

(٩) أي: بالمصدرين المرفوعين: «فكُ»، و«إطعام». وقوله: «بيانه» أي هذه القراءة بيان لمعنى الاقتحام المقدر؛ أي: اقتحام العقبة هو: فكُ رقية أو إطعام.

(١٠) (١١) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

سورة البهائم

[مكية، خمس عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالشَّمْسُ وَجَهَنَّمَ﴾ ضوئها. [٢] ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ تبعها طالما عند غروبها. [٣] ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ بارتفاعه. [٤] ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ يغطيها بظلمته، و«إذا» في الثلاثة مجرد الظرفية^(١)، والعامل فيها فعل القسم. [٥] ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهَا﴾. [٦] ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾ بسطها. [٧] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ «وما سَوَّاهَا» في الحلقة، و«ما» في الثلاثة مصدرية، أو بمعنى «من». [٨] ﴿فَالهَمَّاهُمَا مُجْتَازَاهُمَا وَتَقْوَاهُمَا﴾ يبيِّن لها طريق الخير والشر، وأحزَّ التقوى؛ رعاية لرؤوس الآي. [٩] وجواب القسم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حذف منه اللام طول الكلام ﴿مَنْ رَزَقَهَا﴾ طهرها من الذنوب. [١٠] ﴿وَقَدْ حَاطَبَ﴾ حسر ﴿مَنْ دَسَّهَا﴾ أخفاها بالمعصية، وأصله: دَسَّسها؛ أبدلت السين الثانية ألفًا تخفيفًا. [١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولها صالحًا ﴿يَطْعُونَهَا﴾ بسبب طغيانها. [١٢] ﴿إِذْ أُبْعِثَ﴾ أسرع ﴿أَشَقْنَاهَا﴾ واسمه قُدَّار، إلى عقر الناقة برضاهم. [١٣] ﴿فَقَالَ لِمُ رَسُولِ اللَّهِ﴾ صالح: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي: ذروها ﴿وَسَقَيْنَاهَا﴾ شربها في يومها، وكان لها يوم ولهم يوم. [١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله، المرتب عليه نزول العذاب بهم، إن خالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوها ليسلم لهم ماء شربها. [١٥] ﴿فَدَمَدْنَا﴾ أطبق ﴿عَلَيْهِمْ رِجْمَهُمُ﴾ العذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ أي: الدمدمة عليهم؛ أي: عثمهم بها، فلم يفلت منهم أحد. [١٦] ﴿وَلَا﴾ بالواو والفاء^(٢) ﴿يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ تبعتها.

سورة الليل

[مكية، إحدى وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ بظلمته، كل ما بين السماء والأرض. [٢] ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ تكشَّف وظهر، و«إذا» في الموضعين مجرد الظرفية، والعامل فيها فعل القسم. [٣] ﴿وَمَا﴾ بمعنى «من» أو: مصدرية ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ آدم وحواء، وكل ذكر وكل أنثى، والخنثى المشكِل عندنا ذكر أو أنثى عند الله - تعالى - فيحنث بكليمه من حلف لا يكلم ذكرًا ولا أنثى. [٤] ﴿إِنَّ سَعْيَكُمُ﴾ عملكم ﴿لَشَقِيٌّ﴾ مختلف؛ فعامل اللجنة بالطاعة، وعامل للنار بالمعصية. [٥] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ حق الله ﴿وَأَتَّقَىٰ﴾ الله.

(١) أي: فلا تنفيذ الشرطية.

(٢) بالفاء قراءة نافع وابن عامر، وقراء بقية السبعة بالواو.

(٣) أي: في هذه الآية، والآية التاسعة من نفس السورة.

(٤) أي: شذوذًا.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَإِيْتَانَاهُمُ أَحْسَبُ الْمُسْتَعْمَةِ عَلَيْهِمْ تَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ

سورة الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَدَّلَهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ حَاطَبَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَّغْيُونَهَا ﴿١١﴾ إِذْ أُبْعِثَ أَشَقْنَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمَدْنَا عَلَيْهِمْ رِجْمَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمُ لَشَقِيٌّ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَدِّسِرُهُ لِّلْجَنَّةِ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ كَبَّلَ وَالْأَسْفَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾

[٦] ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بلا إله إلا الله، في الموضعين^(٣).

[٧] ﴿فَسَدِّسِرُهُ لِّلْجَنَّةِ﴾ للجنة.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ كَبَّلَ﴾ بحق الله ﴿وَأَسْتَقَىٰ﴾ عن ثوابه.

[٩] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾.

[١٠] ﴿فَسَدِّسِرُهُ﴾ نهيبه ﴿لِّلْجَنَّةِ﴾ للنار.

[١١] ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿يُنْفِي عَنْهُ مَالَهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ في النار.

[١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال؛ ليمتثل أمرنا بسلك الأول، ونهيننا عن ارتكاب الثاني.

[١٣] ﴿وَلَنَا لِّلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا؛ فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

[١٤] ﴿فَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ خوفتكم يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلْقَىٰ﴾ بحذف إحدى

التاءين من الأصل، وقرئ^(٤) ببيوتها؛ أي: تتوقد.

﴿وَتَعْبُرُ مَا دُونَهُ ذَلِكَ لِمَنْ نَبَاةٌ﴾^(١) فيكون المراد الضحى المؤبد. [١٧] ﴿وَسَيَجْزِيَنَّهَا﴾ يعبد عنها ﴿الْأَنْفَى﴾ بمعنى التقى. [١٨] ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ متركباً به عند الله تعالى. بأن يخرججه لله تعالى. لا رياء ولا سمعة؛ فيكون زاكياً عند الله، وهذا نزل في الصديق عليه السلام لما اشترى بلالاً للمعذب على إيمانه وأعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كان له عنده فنزلت: [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾. [٢٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك ﴿أَنْبَاءً وَسَبَّوْهُ رَبِّيَ الْأَعْلَى﴾ أي: طلب ثواب الله^(٢). [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بما يُعطاه من الثواب في الجنة^(٣)، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله عنه. فيبعد عن النار ويثاب.

سورة الضحى

[مكية، إحدى عشرة آية]

ولما نزلت كبر عليه السلام آخرها فسُنَّ التكبير آخرها^(٤). وروي^(٥) الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو: لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ أي: أول النهار أو كله. [٢] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ غطى بظلامه أو سكن. [٣] ﴿وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن ربه ودعه وفلاه^(٦). [٤] ﴿وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿مِنَ الْأُولَىٰ﴾ الدنيا. [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاءً جزيلًا ﴿فَرِحْتَنِي﴾ به، فقال عليه السلام: «إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار»^(٧) إلى هنا تم جواب القسم بمُتَّبِعِينَ بعد مُتَّبِعِينَ. [٦] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ استفهام تقرير؛ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو: بعدها ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ بأن ضمكتك إلى عمك أبي طالب. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عما أنت عليه من الشريعة ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي: هداك إليها. [٨] ﴿وَوَجَدَكَ

فَسَيَرْضَىٰ رَبُّكَ لِلْعُسْرَىٰ وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۚ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۚ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۚ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۚ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۚ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۚ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۚ

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ۚ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۚ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۚ وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۚ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۚ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۚ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۚ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۚ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۚ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۚ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۚ

سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۚ وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزْرَكَ ۚ

[١٥] ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ يدخلها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ بمعنى الشقي. [١٦] ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ النبي ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مؤول؛ لقوله - تعالى -:

(٥) جاء في نزول الآيات (٣٠١): أخرج البخاري عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يبق ليدين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك؛ لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأقول الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ و﴿اللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الضحى (٩٣) باب (١) كيف نزل الوحي وأول ما نزل.

(١) النساء: ٤٨.

(٢) في الآية إثبات صفة الوجه لله ﷻ، وسبق الإشارة إلى كلام ابن القيم في الرد على من قال: إن لفظ الوجه مجاز، وبيان بطلان هذا القول. وقال ابن كثير في تفسير الآية: أي طمأن في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات.

(٣) أخرج نحوه الواحدي في أسباب النزول ص (٣٩٢) عن ابن عباس، وأخرج نحوه أيضاً الأجرى في الشريعة (٥٤ / ٣) رقم (١٣٥١)، وإسناده ضعيف لانقطاعه كما في الاستيعاب (٥١٨/٣)، ٥١٩. وفي الطبري (١٤٦/٣٠)، والطبراني في الكبير (٣/٢٠) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. دون ذكر قصة بلال واعتناقه له، ولا قول الكفار عن ذلك. وقال الهيثمي في المجمع (١٣٨/٧): «رواه البراز، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وشيخ الزبار لم يسمعه». وأخرجه الحاكم (٥٢٥/٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي فهو حسن بمجموع طرقه؛ وانظر الاستيعاب (٥١٧/٣).

(٤) قال الشيخ ابن باز رحمته الله في مجموع فتاوى ومقالات الجزء الأول عندما سئل: هل ثبت التكبير من سورة الضحى إلى آخر القرآن؟ قال: لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير رحمته الله في أول تفسير سورة الضحى، ولكن ذلك عادة جرى عليها بعض القراء لحديث ضعيف ورد في ذلك، فالأولى ترك ذلك لأن العبادات لا تثبت بالأحاديث الضعيفة والله الموفق.

(٥) أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن البرقي المقرئ عن أبي بن كعب مرفوعاً [الدر المنثور (٦٠٨/٦)]، ورواه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ١٤٥) ثم قال: «هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البرقي، قال أبو حاتم: منكره»، وانظر أول تفسير سورة الضحى لابن كثير حيث ذكر عن الشافعي ما يدل على تصحيحه لهذا الحديث.

(٦) متفق عليه من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه؛ البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٧) لم أجد بهذا اللفظ، وأخرج البيهقي في شعبه عن ابن عباس قال: رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة. شعب الإيمان (١٦٤/٢). وقال ابن القيم في الجواب الكافي ص (٢٦١) في معرض الرد على من يحتج بذلك؛ قال: «وهمهم من يعتر بهم فاسد، فهمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة؛ فانكروا عليه؛ كانكال بعضهم على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ قالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمته، وهذا من أفتح الجهل، وأبين الكذب عليه؛ فإنه يرضى بما يرضى به ربه ﷻ، والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والحفوة والمصرين =

عَايِلًا ﴿فَقِيرًا﴾ ﴿فَأَعْيَنَ﴾ أَغْنَاكَ بِمَا فَعَلْتَ بِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ الْغَنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنْ الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ» (١). [٩] ﴿فَأَمَّا آلِيَبَدِّ فَمَا نَهَرٌ﴾ بِأَخْذِ مَالِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. [١٠] ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ تَنْجِرْهُ لِفَقْرِهِ. [١١] ﴿وَأَمَّا يَتِيمَ رَبِّكَ﴾ عَلَيْكَ بِالْبُيُوتِ وَغَيْرِهِ ﴿فَوَحِّدْتَ﴾ أَخْبِرْ، وَحَذَفَ ضَمِيرَهُ ﷻ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ رِعَايَةً لِلْفَوَاصِلِ.

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجَبْ﴾

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتِينَ وَالزُّبُرُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَجَلِقُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِيْقَدِرُ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ اسْتَعْجَلَا ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿٩﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١٠﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١١﴾

ذلك من الشاهدين (٤).

سُورَةُ الْعَجَلِقُونِ

امكية، تسع عشرة آية. صدرها إلى: ﴿مَا لَوْ يَتَمُّ﴾ أول ما نزل من القرآن، وذلك بغار حراء. رواه البخاري (٥٠٠٠٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَأَ﴾ أوجد القراءة، مبتدأ ﴿بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الخلائق. [٢] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ الجنس ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمع علقه، وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ. [٣] ﴿أَقْرَأَ﴾ تأكيد للأول ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الذي لا يوازيه كريم، حال من الضمير في «اقرأ». [٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ وأول من خط به إدريس عليه السلام (١). [٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾ الجنس ﴿مَا لَمْ يَتَمُّ﴾ قبل تعليمه؛ من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها. [٦] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِيْقَدِرُ﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

مكية، ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِي نَشْرَحُ﴾ استفهام تقرير؛ أي: شرحنا ﴿لَكَ﴾ يا محمد ﴿صَدْرَكَ﴾ بالنبوة وغيرها. [٢] ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حططنا ﴿عَنكَ﴾ وَوَرَدَكَ. [٣] ﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾ أُنْقِلَ ﴿ظَهْرَكَ﴾ وهذا كقولہ - تعالى -: ﴿يَعْبُرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ (٢). [٤] ﴿وَوَضَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بأن تُذَكِّرَ مع ذكري، في الأذان والإقامة، والشهد والخطبة، وغيرها. [٥] ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ الشدة ﴿يُسْرًا﴾ سهولة. [٦] ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ والنبي ﷺ قاسى من الكفار شدة، ثم حصل له اليسر بصره عليهم. [٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَانصَبْ﴾ اتعب في الدعاء. [٨] ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجَبْ﴾ تضرع.

سُورَةُ التِّينِ

مكية، أو: مدنية، ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْتِينَ وَالزُّبُرُونَ﴾؛ أي: المأكولين، أو: جبلين بالشام، يثبتان المأكولين. [٢] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الجبل الذي كلم الله - تعالى - عليه موسى، ومعنى «سينين»: المبارك، أو: الحسن بالأشجار المثمرة. [٣] ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مكة؛ لأمن الناس فيها جاهليةً وإسلامًا. [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الجنس ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تعديل لصورته. [٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ في بعض أفرادہ ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره؛ لقوله - تعالى -: [٦] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع، وفي الحديث: ﴿إِذَا بَلَغَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكِبَرِ مَا يُعْجِزُهُ عَنِ الْعَمَلِ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يُفْعَلُ﴾ (٣). [٧] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الكافر ﴿بَعْدَ﴾ بعد ما ذكر من خلق الإنسان في أحسن صورة، ثم رده إلى أرذل العمر، الدال على القدرة على البعث ﴿بِالذِّينِ﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب؛ أي: ما يجعلك مكذبًا بذلك، ولا جاعل له!؟ [٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ أي: هو أفضى القاضين، وحكمه بالجزاء من ذلك، وفي الحديث: «من قرأ والتين إلى آخرها فليقل: بلى وأنا على

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾. قلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ قال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾. قلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ قال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ سبق تخريجه والتعليق عليه في أول سورة المدثر.

= على الكبار، فحاشا رسول الله لا يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى. (١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) عن أبي هريرة مرفوعا. (٢) الفتح: ٢. (٣) أخرجه الطبري عن إبراهيم بن قوله (٥١١/٢٤)، وأخرج البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: «إذا مرض العبد أو سافر، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا». (٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٧) وأبو داود (٨٨٧) وأحمد (٧٣٤٤) عن أبي هريرة مرفوعا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٨٤). (٥) البخاري (٤٩٥٣). (٦) قاله الضحاك. وقيل: بل آدم عليه السلام.

يَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٧﴾ ما صدر منه؛ أي: يعلمه (١٧) فيجازه عليه؛ أي: اعجب منه يا مخاطب؛ من حيث نبيه عن الصلاة، ومن حيث إن النبي على الهدى أمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذب متول عن الإيمان. [١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَيْنٌ﴾ لام قسم ﴿لَوْ بَدَيْتُ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لَنَسْتَعْتَبُ﴾ بالناصية لنجوز ناصيته إلى النار. [١٦] ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَذِبَةٍ خَائِفَةٍ﴾ وضمها بذلك مجاز، والمراد صاحبها. [١٧] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهل ناديه، وهو المجلس يتنقذ، يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني؛ لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً مجرداً ورجالاً مرذاً. [١٨] ﴿سَنَنْتُكَ أَزْبَانِيَةً﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، كما في الحديث: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً» (٤). [١٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تَطْمَعُ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدْ﴾ صل لله ﴿وَأَقْرَبْ﴾ منه بطاعته (٤).

سورة القدر

[مكية، أو: مدنية، خمس، أو: ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن، جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي: الشرف العظيم. [٢] ﴿وَمَا أَذْرُوكَ﴾ أعلمك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأنها، وتعجب منه. [٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. [٤] ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾ بحذف إحدى التائين من الأصل ﴿وَالرُّوحِ﴾ أي: جبريل ﴿فِيهَا﴾ في الليلة ﴿يَأْذِنُ رَبِّهِمْ﴾ بأمره ﴿وَمَنْ كَلَّمَ رَبَّهُ﴾ قضاة الله فيها، لتلك السنة إلى قابل، و«من» سببية بمعنى الباء. [٥] ﴿سَلَّمَ مِنْ حَيْثُ خَبِرَ مَقْدَمٌ وَمَبْتَدَأٌ﴾ (٥) ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بفتح اللام وكسرهما (١)، إلى وقت طلوعه، جعلت سلاماً؛ لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تشعروا بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

سورة البينة

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات] (**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا يَكْفُرُ الْإِسْلَامَ كُفْرًا مِنْ لِبْيَانِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أي:

أَرَبَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَرَيْتَ لِمَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَوَيْتَهُ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَائِفَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَنْتُكَ أَزْبَانِيَةً ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِيعُهُ ﴿١٩﴾ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿٢٠﴾

سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرُوكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ مِنْ حَيْثُ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الْإِسْلَامَ كُفْرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُحْضِينَ لَهُ الَّذِينَ حَقَّاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ رِبِّ الْقِيمَةِ ﴿٥﴾

يُنْفِقُ ﴿٧﴾ ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ أي: نفسه ﴿اسْتَفْتَى﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، و«رأى» علمية (١)، و«استفتى»: مفعول ثان، و«أن رآه» مفعول له. [٨] ﴿إِنَّهُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا إنسان ﴿الرُّجُوعُ﴾ أي: الرجوع، تخويف له فيجازي الطاعني بما يستحقه. [٩] ﴿أَرَبَيْتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ هو أبو جهل. [١٠] ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّى﴾ [١١] ﴿أَرَبَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ المنهي ﴿عَلَى الْمَلَأِكَةِ﴾ [١٢] ﴿أَوْ﴾ للتقسيم (١) ﴿أَمَرَ بِالْقَوَى﴾ [١٣] ﴿أَرَبَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبي ﷺ عن الإيمان. [١٤] ﴿أَرَى﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٩-٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، وزعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجعهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويثني يديه. قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لحدفاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاحتطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: فأقول الله ﷻ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّا إِنْ لَأْسَكَ لَبِقُؤٌ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تَطْمَعُ﴾ زاد عبد الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به. وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فنهده النبي ﷺ، فقال: أنتهدني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَرَبَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ عبداً إذا صَلَّى ﴿أَرَبَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَلَأِكَةِ﴾ أو أمر بالقوى ﴿أَرَبَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. قال ابن عباس: والذي نفسي بيده، لو دعا ناديه لأخذته الزبانية. أحمد - المسند (١/٣٢٩). وأخرجه الترمذي، وفيه: «فأقول الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿سَنَنْتُكَ أَزْبَانِيَةً﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تَطْمَعُ﴾ يا محمد، إن ربك يأمر أن تقرى هذه السورة أبي بن كعب، فقال النبي ﷺ: «يا أبي، إن ربي ﷻ أمرني أن أقرئك هذه السورة فبكي وقال: ذكرت ثمة؟ قال: نعم. أحمد - المسند (٣/٤٨٩)، وصححه الأرنؤوط في تخريجه على المسند (٣٨١/٢٥) رقم (١٦٠٠٠).

(١) أي: تنصب مفعولين.
 (٢) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها، وسبق التنبيه على ذلك مراوفاً.
 (٣) أخرج نحوه الترمذي (٣٣٤٩) وأحمد (٢٣١٧) وموقوفاً، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٥٥٧).
 (٤) قال الصاوي في حاشيته: «الأولى أن يقول: بمعنى الواو. فهو ﷺ على الهدى وأمر بالتقوى»
 (٥) أي: مبتدأ مؤخر.
 (٦) بالكسر قراءة الكسائي.

عَبْدَةُ الْأَصْنَامِ، عَطْفٌ عَلَى «أَهْلِ» ﴿مُنْفَكِينَ﴾ خَيْرٌ «يَكْرَهُ» أَي: زَائِلِينَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ ﴿حَقٌّ تَأْيِيدُهُمْ﴾ أَي: أَنْتَهُمْ ﴿الْيَتِيمَةَ﴾ أَي: الْحِجَّةَ الْوَاضِحَةَ، وَهِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ [٢] ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ بَدَلٌ مِنَ «الْبَيْتَةِ»، وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ مِنَ الْبَاطِلِ. [٣] ﴿وَيَبَيِّنُ كُتُبًا﴾ أَحْكَامَ مَكْتُوبَةٍ ﴿قِيَمَةً﴾ مُسْتَقِيمَةً؛ أَي: يَتْلُو مَضْمُونِ ذَلِكَ، وَهُوَ الْقُرْآنُ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ. [٤] ﴿وَمَا نَفَرُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فِي الْإِيمَانِ بِهِ ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ أَي: هُوَ ﷺ، أَوْ: الْقُرْآنُ الْجَائِي بِهِ مُعْجَزَةٌ لَهُ، وَقَبْلَ مَجِيئِهِ ﷺ كَانُوا مَجْتَمِعِينَ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ إِذَا جَاءَهُ، فَحَسَدَهُ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ. [٥] ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ فِي كِتَابِهِمُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أَي: أَنْ يَعْبُدُوهُ، فَحَذَفَتْ «أَنْ» وَزِيدَتْ اللَّامُ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿حُفَاءً﴾ مُسْتَقِيمِينَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَدِينِ مُحَمَّدٍ إِذَا جَاءَهُ، فَكَيْفَ كَفَرُوا بِهِ؟ [٦] ﴿وَتَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَذَكَرُوا يَوْمَ الْحُجَّةِ﴾ الْمَلَّةَ ﴿الْقِيَمَةَ﴾ الْمُسْتَقِيمَةَ. [٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ؛ أَي: مُقَدَّرًا خُلُودَهُمْ فِيهَا مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - ﴿أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾. [٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ الْخَلِيقَةِ. [٩] ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إِقَامَةٌ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿بَطَاعَتِهِ﴾ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِثَوَابِهِ ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ﴾ خَافَ عِقَابَهُ فَانْتَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ - تَعَالَى.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَعْيَانَهَا يَا أُنثَى تِلْكَ أَوْحَى لَهَا
 يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

سُورَةُ الْعَلَّاقَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالْعَلَّاقَاتِ صَبَّحًا فَالْمُورِيكَتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْعًا فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعًا

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ حُرُوكَتِ لِقِيَامِ السَّاعَةِ ﴿زِلْزَالَهَا﴾ حُرُوكِهَا الشَّدِيدِ الْمُنَاسِبِ لِعَظَمَتِهَا. [٢] ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ كَبْرُوهَا وَمَوْتَاهَا، فَالْتَمَتِهَا عَلَى ظَهْرِهَا. [٣] ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ الْكَافِرُ بِالْبَعْثِ: ﴿مَا لَهَا﴾ إِنْكَارًا لِتِلْكَ الْحَالَةِ. [٤] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بَدَلٌ مِنَ «إِذَا»، وَجَوَابُهَا: ﴿تُخْبِتُ أَعْيَانَهَا﴾ تَخْبِرُ بِمَا عَمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. [٥] ﴿يَا أُنثَى﴾ بِسَبَبِ أَنَّ ﴿رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أَي: أَمَرَهَا بِذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «تَشْهَدُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أُمَّةٍ بِكُلِّ مَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا»^(١). [٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ﴾ يَنْصَرِفُونَ مِنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ ﴿أَشْتَاتًا﴾ مُتَفَرِّقِينَ؛ فَأَخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَخَذَ ذَاتَ الشَّمَالِ إِلَى النَّارِ ﴿يُسْرَوًا أَعْمَلَهُمْ﴾ أَي: جَزَاءُهَا؛ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ. [٧] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ زَنَةَ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ يَرُ ثَوَابَهُ. [٨] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ يَرُ جَزَاءَهُ^(٢).

سُورَةُ الْعَلَّاقَاتِ
 [مكية، أو: مدنية، إحدى عشرة آية]
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 [١] ﴿وَالْعَلَّاقَاتِ﴾ الْخَيْلُ تَعْدُو فِي الْعَزْوِ، وَتَضْبَعُ ﴿صُبْحًا﴾ هُوَ صَوْتُ أَجْوَاهِهَا إِذَا عَدَّتْ. [٢] ﴿فَالْمُورِيكَتِ﴾ الْخَيْلُ، تُورِي النَّارَ ﴿قَدْحًا﴾ بِجَوَافِهَا؛ إِذَا سَارَتْ فِي الْأَرْضِ ذَاتَ الْحِجَارَةِ اللَّبْلِيلِ. [٣] ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ الْخَيْلُ، تَغِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ وَقْتَ الصَّبْحِ، بِإِغَارَةِ أَصْحَابِهَا. [٤] ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ هَيَّجَنَ﴾ بِدُونِهِ بِمَكَانِ عَذُوبِهِ، أَوْ: بِذَلِكَ الْوَقْتِ ﴿نَقْعًا﴾ غِيَارًا، بِشِدَّةِ حُرُوكَتِهِنَّ. [٥] ﴿فَوَسَّطْنَ بِهِ﴾ بِالنَّقْعِ ﴿جَمْعًا﴾ مِنَ الْعُدُوِّ؛ أَي: صَرْنَ وَسَطَهُ، وَغَطَفَ الْفِعْلُ عَلَى الْأَسْمِ؛ لِأَنَّهُ فِي تَأْوِيلِ الْفِعْلِ؛ أَي: وَاللَّاتِي عَدُوٌّ فَأَوْزِينَ فَأَعْوَزُونَ. [٦] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ الْكَافِرَ ﴿لِرَبِّهِ﴾ لِكُفْرِهِ ﴿لِكُفْرِهِ﴾ بِجُحْدِ نِعْمَتِهِ - تَعَالَى - .. [٧] ﴿وَأَنْزَلْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ أَي: كِتُوبَهُ ﴿لِتَشْهَدَ﴾ بِشَهِدٍ عَلَى نَفْسِهِ بِصَنْعِهِ. [٨] ﴿وَأَنْزَلْنَاهُ لِحَبِّ الْحَيْرِ﴾ أَي: الْمَالِ ﴿لِتَشْهَدَ﴾ الْحَبُّ لَهُ، فَيُخْبِلُ بِهِ. [٩] ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ أُنْبِرَ وَأُخْرِجَ ﴿مِمَّا فِي الْأَشْجَارِ﴾ مِنَ الْمَوْتَى؛ أَي:

(١) فائدة: سُمِّيَ الرَّسُولُ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: «الْجَمَاعَةُ الْفَاعِدَةُ» كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شُئِلَ عَنْ زَكَاةِ الْحَمْرِ فَقَالَ: «مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْجَمَاعَةُ الْفَاعِدَةُ» وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. وَمَعْنَى «الْفَاعِدَةُ»: الْوَحِيدَةُ الْفَرِيدَةُ فِي أَحْكَامِهَا. الْبُخَارِيُّ (٢٣٧١)، وَمُسْلِمٌ (٩٨٧).

(٢) إِنْ كَانَ مُرَادُ الْمَفْسَرِ أَنَّ الرِّضَا حَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِ طَاعَتِهِمْ لِلَّهِ - شَيْخَانَهُ - فَهَذَا حَقٌّ، وَإِنْ كَانَ يَقْصِدُ تَفْسِيرَ الرِّضَا بِالْتَوْفِيقِ إِلَى الطَّاعَةِ فَيَكُونُ مِنْ تَأْوِيلِ صِفَةِ الرِّضَا لِلَّهِ ﷻ بَعْضُ لَوَازِمِهَا، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِبْتِنَائُهَا لِلَّهِ ﷻ عَلَى الْوَجْهِ اللَّاتِي بِهِ - شَيْخَانَهُ - .. (٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٥٣) وَأَحْمَدُ (٨٦٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا، وَضَعَفَهُ الْأَبْنَاءِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ (٤٨٣٤).

[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ زيادة تهويل لها، و«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني ل«أدرى». [٤] ﴿يَوْمٌ﴾ ناصبه دل عليه «القارعة»؛ أي: تفرع ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر، يموج بعضهم في بعض للخيزرة، إلى أن يدعوا للحساب.

[٥] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ كالصوف المنذوف، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في الجنة؛ أي: ذات رضى؛ بأن يرضاها؛ أي: مرضية له.

[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته.

[٨] ﴿فَأَمُّهُ﴾ فسكنه ﴿هَاسِبَةً﴾ [٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ أي: ما هابوية؟ هي: [١٠] ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ شديدة الحرارة، وهاء «هية» للسكت تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة (٢) تحذف وصلاً.

سورة التكاثر

[مكية، ثمان آيات]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْهَلْكَامُ﴾ شغلتم عن طاعة الله ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

[٢] ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بأن متم فدفنتم فيها، أو: عددم الموتى تكاثراً.

[٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. [٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبة تفاخركم، عند النزاع، ثم في القبر.

[٥] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علماً يقيناً، عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به.

[٦] ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ النار؛ جواب قسم محذوف، ولحذف منه لام الفعل وعينه وألقت حركتها على الراء (٣).

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مصدر؛ لأن «رأى» و«عين» بمعنى واحد.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ﴾ لحذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لانقضاء الساكنين ﴿يَوْمَ يَمِيزُ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ الْجُوعِ﴾ ما يلتذ به في الدنيا، من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿الْهَلْكَامُ التَّكَاثُرُ﴾ فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يَمِيزُ عَنِ الْجُوعِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل وإنما هما الأسودان: الماء والتمر، وسيفنا على رقابنا والعدو حاضر، فمن أي نعيم نسأل؟ قال: «إن ذلك سيكون». أحمد - المسند (٥/٤٢٩). وأخرجه الترمذي عن الزبير بن العوام وعن أبي هريرة، وفيه لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يَمِيزُ عَنِ الْجُوعِ﴾. (حسن الإسناد صحيح سنن الترمذي (٢٦٧٢، ٢٦٧٣).

(١) كنا في النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي إشارة إلى الاختلاف في عدد آياتها؛ فقيل: عشر آيات، أو: إحدى عشرة آية.

(٢) وهي قراءة حمزة.

(٣) أي من: «الترون»، وأصله: «ترعون» بوزن: «فعللون»؛ فعذفت لام الفعل وعينه؛ أي: الهزرة والباء من أصل الفعل: «رأى»، ثم ألقت حركة الهزرة، وهي الفتحة، على الراء قبلها، فسقطت الهزرة، وتحركت الباء وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفاً؛ فالنقى ساكنان، فحذفت الألف، ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة؛ فحذفت نون الرفع لتوالي الأفعال، وحركت الواو بالضم؛ فصارت «لترؤن».

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ لَرِجْحٌ الْحَبِيرَ لَشَدِيدٌ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ﴿٤﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿٦﴾

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَلْكَامُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

بعثوا. [١٠] ﴿وَحِصْلٌ﴾ يمين وأقرض ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ القلوب من الكفر والإيمان. [١١] ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ لعالم؛ فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «يعلم»؛ أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق «خبير» ب«يومئذ» وهو - تعالى - خبير دائماً؛ لأنه يوم المجازة.

سورة القنطرة

[مكية، ثمان آيات*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾ القيامة التي تفرع القلوب بأهوالها.

[٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ تهويل لشأنها، وهما مبتدأ وخبر؛ خبر القارعة.

سُورَةُ الْعَصْرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر.

[٢] ﴿إِنَّكَ الْإِنْسَانُ الْخَسِرُ﴾ الجنس ﴿لَقِيَ خَسِرًا﴾ في تجارته^(١).

[٣] ﴿إِلَّا الْآلِينَ مَأْمُورًا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسار ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

سُورَةُ الْبُهَجَةِ

[مكية، أو: مدنية، وآياتها تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمْزٍ لَمُرَّةٍ﴾

أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين؛ كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.

[٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢) ﴿مَا لَا وَعَدَدٌ﴾ أحصاه وجعله عدَّة حوادث الدهر^(٣).

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُوهُ﴾ جعله خالدًا لا يموت.

[٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لِيُبْدَنَّ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: ليظهرنَّ ﴿فِي الْأُظْمَةِ﴾ التي تحطم كل ما ألقى فيها.

[٥] ﴿رَبِّمَا أَدْرَيْكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْأُظْمَةُ﴾.

[٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسقرة.

[٧] ﴿الَّتِي تَطَّلُعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْقِدَةِ﴾ القلوب فتحرقها، وألها أشدُّ من ألم غيرها للظفها.

[٨] ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ﴾ جمع الضمير رعاية معنى «كل» ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمز وبالواو بدل^(٤): مطبقة.[٩] ﴿فِي عُقْدٍ﴾ بضم الحرفين، ويفتحهما^(٥) ﴿مُؤَمَّدَةٌ﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العقدة.

سُورَةُ الْفِيلِ

[مكية، خمس آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّتِي تَرَى﴾ استفهام تعجب؛ أي: اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾

بأحسبِ الْفِيلِ﴾ هو: «محمود» وأصحابه: أبرهة ملك اليمن وجيشه؛ بتى بصنعاء كنيسة؛ ليضربَ إليها الحاج عن مكة؛ فأحدث رجل من كنانة فيها

سُورَةُ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَهُ ﴿٢﴾

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لِيُبَدَّنَا فِي الْأُظْمَةِ ﴿٤﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْأُظْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلُعُ

عَلَى الْأَفْقِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّتِي تَرَى﴾ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ يَا صَحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ

كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

ولطخ قِيْلَتَهَا بالغيْرة احتقارًا بها؛ فحلف أبرهة ليهدم الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها «محمود»، حين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله: [٢] ﴿الَّتِي يَجْعَلُ﴾ أي: جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضَلُّلٍ﴾ خسارة وهلاك. [٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات؛ قيل: لا واحد له؛ كأساطير، وقيل: واحده «أبويل»، أو: «إبائل»، أو: «أبيل»؛ كعُجُول ومفتاح وسكين. [٤] ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفته؛ أي: أهلكتهم الله - تعالى - كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدسة، وأصغر من الحبيضة، يخرق البيضة والرجل والفيل، ويصل إلى الأرض^(١)، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

(١) أي في متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في أمور لا تنفعهم في الآخرة. والخسران: ذهاب رأس مال الإنسان، في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٣) هذا قول عكرمة. وقال غيره: المعنى: أي عدته مرة بعد أخرى حتى له وشغفًا به. وقيل: جعله أصنافًا وأنواعًا؛ كقمار، ومناج، ونقود.

(٤) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

(٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) ما ذكره المفسر من أوصاف ودقائق يحتاج إلى دليل صحيح ثابت عن المعصوم ﷺ.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

[مكية، أو: مدنية، أو: نصفها، ونصفها، ست، أو: سبع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ﴾ بالجزء والحساب؛ أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه [٢] ﴿فَذَلِكِ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف عن حقه.

[٣] ﴿وَلَا يَحِضُّ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاصي بن وائل، أو: الوليد بن المغيرة.

[٤] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. [٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها.

[٦] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ في الصلاة وغيرها. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقيدر والقضعة.

سُورَةُ الْكَوثرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوثرِ﴾ هو نهر في الجنة، هو حوضه ترد عليه أمته، أو: الكوثر: الخير الكثير؛ من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها.

[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَأَنْحَرْ﴾ نسكك.

[٣] ﴿إِن كُنتَ تَشَاكُرُ﴾ أي: تبتغض ﴿هُوَ الْأَيْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العقب، نزلت في العاصي بن وائل^(١)؛ سقى النبي ﷺ أبتير عند موت ابنه القاسم.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ ﴿١﴾ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّنِّ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْكَوثرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوثرِ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سُورَةُ قُرَيْشٍ

[مكية، أو: مدنية، أربع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ [٢] ﴿إِلَافِهِمْ﴾ تأكيد، وهو مصدر «ألف» بالمد. [٣] ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ إلى اليمن ﴿وَالصَّيْفِ﴾ رحلة «الصَّيْفِ» إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم: ولد النضر بن كنانة. [٤] ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تعلق به ل«إيلاف»، والفاء زائدة ﴿رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. [٥] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي: من أجله ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: من أجله، وكان يصيهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغشى إغشاءً ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت عليّ سورة»، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوثرِ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِن كُنتَ تَشَاكُرُ﴾ ﴿هُوَ الْأَيْتَرُ﴾». مسلم. كتاب الصلاة (٤) باب (١٤) حجة من قال: «بسملة آية من أول كل سورة».

(١) أخرجه الواحدي بنحوه في أسباب النزول عن يزيد بن رومان عن (٤٠٤)، وهو مرسل. وأخرج البراز عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم؛ ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبت من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة، وأهل السقاية؟! فقال: أتمم خير منه، قال: فنزلت: ﴿إِن كُنتَ تَشَاكُرُ﴾ ﴿هُوَ الْأَيْتَرُ﴾. وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل الوادعي ص (٢٣٧). والآية تعم كل من أبغض النبي ﷺ.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

[مكية أو مدنية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَا أَعْبُدُ فِي الْحَالِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. [٣] ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الحال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله - تعالى - وحده. [٤] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾. [٥] ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق «ما» على الله على وجه المقابلة. [٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينُ الْإِسْلَامِ﴾، وهذا قبل أن يؤمر بالحرث، وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وفقاً ووصلاً، وأثبتها يعقوب^(١) في الحالين.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مدنية، ثلاث آيات]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ نبيه ﷺ على أعدائه ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة. [٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات، بعدما كان يدخل فيه واحد وواحد، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: متلبساً بحمده ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ﴾ كَانَ تَوَّابًا، وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه^(٢)، وعلمت بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

سُورَةُ الْمُنَادَاتِ

[مكية، خمس آيات]**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٣). فقال عمه أبو لهب: تبأ لك الهدأ دعوتنا؟^(٤) نزل: ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: حملته، وعبر عنها باليدين مجازاً؛ لأن أكثر الأفعال تراول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّتْ﴾ خسرت هو، وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك. [٢] ﴿وَمَا خَوْفُهُ﴾ النبي بالعذاب فقال: إن كان

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعها؟ قلت: نعم؛ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال: صدقت. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) رقم (٢١). وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال النبي ﷺ: «فأنكم أهل اليمن هم أرق قلوباً، والإيمان يمان، والفقه يمان، الحكمة يمانية». أحمد. المسند (٢٧٧/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٧٧٠٩). وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ حتى ختمها وقال: «فأرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال: «الناس خير، وأنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية». أحمد. المسند (٢٢/٣)، (١٨٧). وأخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة (إذا جاء) (١١٠) باب (١).

(٥٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عِبْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ سعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، =

(١) وهو من العشرة.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤) عن عائشة، وهو في البخاري (٤٩٦٧) بلفظ: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

(٤) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨). (٥) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم.

(٣) سبأ: ٤٦.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ١ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢
 ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ٣ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ ٤
 ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ٥ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينُ﴾ ٦

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١ ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ٢ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ٣

سُورَةُ الْمُنَادَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ١ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ ٢
 ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ٣ ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ٤
 ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ ٥

ما يقول ابن أخي حقاً؛ فإني أفندي منه بمالي وولدي، نزل: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ أي: وكسبه؛ أي: ولده، و«أغنى» بمعنى: «يغني». [٣] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تلهب وتوقد، فهي مال تكبته؛ لتلهب وجهه إشفاقاً وحمرة. [٤] ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ عطف على ضمير «يصلى»، سوغه الفصّل بالمفعول وصفته، وهي: أم جميل ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالرفع والنصب^(٥) ﴿الْحَطَبِ﴾ الشوك والسعدان، تلقفه في طريق النبي ﷺ. [٥] ﴿فِي جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: ليف، وهذه الجملة حال من «حَمَّالَةَ الحطب» الذي هو نعت لـ «أمرأته»، أو: خبر مبتدأ مقدر.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعها؟ قلت: نعم؛ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال: صدقت. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) رقم (٢١). وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال النبي ﷺ: «فأنكم أهل اليمن هم أرق قلوباً، والإيمان يمان، والفقه يمان، الحكمة يمانية». أحمد. المسند (٢٧٧/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٧٧٠٩). وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ حتى ختمها وقال: «فأرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال: «الناس خير، وأنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية». أحمد. المسند (٢٢/٣)، (١٨٧). وأخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة (إذا جاء) (١١٠) باب (١).

(٥٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عِبْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ سعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، =

(١) وهو من العشرة.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤) عن عائشة، وهو في البخاري (٤٩٦٧) بلفظ: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

(٤) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨). (٥) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم.

(٣) سبأ: ٤٦.

المقصود في الحوائج على الدوام. [٣] ﴿لَمْ يَكِدْ﴾ لانتهاء مجانسته ﴿وَلَمْ يُكِدْ﴾ لانتهاء الحدوث عنه. [٤] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: مكافئاً ومماثلاً، والله متعلق بـ «كفوؤه» وقدم عليه؛ لأنه محط القصد بالنفي، وأخر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها؛ رعاية للفاصلة.

سُورَةُ الْفَلَاقِ

[مكية، أو: مدنية، خمس آيات] (**)

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحلها^(١)، فأحضر بين يديه ﷺ وأمر بالتعوذ بالسورتين؛ فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد شقفة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما تُنشط من عقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الصبح. [٢] ﴿وَمِنَ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك. [٣] ﴿وَمِنَ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم، والقمر إذا غاب. [٤] ﴿وَمِنَ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ التي تعقدوها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق، وقال الزمخشري معه^(٢) كينات لبيد المذكور. [٥] ﴿وَمِنَ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه؛ كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها «ما خلق» بعده؛ لشدة شرها.

سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ خالقهم ومالكهم، خصصوا بالذكر تشريفًا لهم، ومناسبة للاستفادة من شرّ الموشوسين في صدورهم. [٢] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. [٣] ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ بدلان، أو: صفتان، أو: عطفًا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادةً للبيان.

= لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، ففجأ أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ مَا أَفْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿١﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢).
(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج الترمذي عن أبي بن كعب ؓ أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. الترمذي، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب ومن سورة الإخلاص. وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في المسند (١٣٤ / ٥)، وحسن الألباني هذا الجزء من الحديث في ضعيف سنن الترمذي (٢٦٦)، وحسنه في الاستيعاب (٥٨٠/٣).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عفة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: قد أنزل الله عليّ آيات لم يُر مثلهن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ إلى آخر السورة. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٢)، وأخرجه مسلم (٨١٤) أيضًا مختصراً. وأخرج الترمذي أيضًا عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما. الترمذي - كتاب الطب (٢٩) باب (١٦) ما جاء في الرقية بالمعذتين. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٨١).

(١) جاء نحو هذا عن زيد بن أرقم؛ قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود؛ قال فاشتكى؛ فاتاه جبريل فنزل عليه بالمعذتين، وقال: «إن رجلاً من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان»، قال: فأرسل عليًا ففجأ به. قال: فأمره أن يخل العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويصل حتى قام النبي ﷺ كأنما أنتشط من عقال... أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٤٧/١)، رقم (٢٧١)، وأخرجه بنحوه - دون ذكر النزول بالمعذتين - السنائي في الجبى (٤٠٨٠)، وأحمد في المسند (٣٦٧/٤)، وصححه في الاستيعاب (٥٨٩/٣). وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٣١٥): «... وإذا ثبت أن السورتين مكيان؛ فقد أن يكون سحر الرسول ﷺ سب نزولهما؛ إلا أن يقال بجواز تكرار النزول للآية، أو السورة، أو السورة» اهـ.

(٢) أي: الريق؛ ففي النفت قولان.

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝

لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

سُورَةُ الْفَلَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَاقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ

النَّاسِ ۝ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي

يُؤَسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

[مكية، أو: مدنية، أربع، أو: خمس آيات] (**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] سئِلَ النبي ﷺ عن ربه؛ فنزل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإله خبير هو، و«أحد» بدل منه، أو: خير ثانٍ. [٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر؛ أي:

[٤] ﴿مِنَ سَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ الشيطان، سُمي بالحدث^(١) لكثرة ملابسته له ﴿الْحَنَاسِ﴾ لأنه يَحْشُشُ ويتأخر عن القلب، كلما ذُكِرَ الله.

[٥] ﴿الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ قلوبهم، إذا غَفَلُوا عن ذكر الله.

[٦] ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي؛ كقوله - تَعَالَى -: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٢)، أو: «من الجنة» بيان له، و«الناس» عطف على «الوسواس»، وعلى كُلِّ بِشْمَلِ شَرِّ لِبِيدِ وَبَنَاتِهِ الْمَذْكُورِينَ. واعترض الأول بأن النَّاسَ لا يوسوس في صدورهم النَّاسُ؛ إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المؤدي إلى ذلك. واللَّهُ - تَعَالَى - أعلم.

[واللَّهُ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى اللَّهُ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، دائمًا أبدًا، وحسبنا اللَّهُ ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا باللَّهِ العلي العظيم]^(٣).



خاتمة

(نَسألُ اللهَ حَسَنها)

يقول مُراجعه وجامع حواشيه

الفقير إلى عفو مولاه ورضاه وجميل ستره وحسن لقاها

أبو عبد الرحمن هُشَيْبُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَشْرٍ

كان الفراغ من مراجعة تفسير الجلالين وجمع حواشيه ليلة الجمعة غرة جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ،

وكان البدء في هذا العمل قبل قرابة عشر سنوات، واللَّهُ أسألُ أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

(١) أي: المصدر، وقوله: «لكثرة ملابسته له»؛ أي ملازمته للوسوسة، كما تقول: زيد عدل. وما ذكره المفسر ليس بمعنى: فإن الوسواس - كما يستعمل في المصدر - يطلق كذلك على نفس الشيطان، وعلى ما يخطر بالقلب من شر.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) ما بين المعرفين موجود في نهاية تفسير الفاتحة، وأثبتته هنا للمناسبة. وقال في حاشية الجمل: كأن هذه العبارة من وضع تلامذة الخليلي، أو من وضع السيوطي، قصد بها حتم تفسير الخليلي، والإشارة إلى فراغه وانقضائه، ويعدُّ جدًّا أنها من كلام الخليلي؛ لما عرفت سابقًا أنه كان قد شرع في تفسير النصف الأول، وأنه ابتداءً بالفاتحة، وأنه اخترمه المنية بعد الفراغ منها، وقبل الشروع في البقرة وما بعدها، وإذا كان كذلك فيبعد منه أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء والاختتام أثناء تفسير النصف الأول. فتأمل. وآخر هذه العبارة هو قوله: «وإليه المآب»... ثم قال: «...فعلى هذا يكون ما في هذه النسخة من قوله: وصلى اللَّهُ على سيدنا محمد... إلى آخره» ليس من نسخة الخليلي، وإنما هو من وضع بعض الناس، ويدل عليه ثبوته في بعض النسخ دون بعض.

فهرس الكتاب

٢٨٥	سورة القصص	(ا)	تقرير فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد عيسى المعصراوي	□
٢٩٦	سورة العنكبوت	(ج)	مقدمة الشيخ وحدي الغزاوي	□
٤٠٤	سورة الروم	(هـ)	مقدمة المحقق	□
٤١١	سورة لقمان	(ز)	التعريف بالتفسير والمفسرين	□
٤١٥	سورة السجدة	(ح)	مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به	□
٤١٨	سورة الأخراب	(ي)	منهج العمل في الكتاب	□
٤٢٨	سورة سبأ	١	سورة الفاتحة	
٤٣٤	سورة هاجر	٢	سورة البقرة	
٤٤٠	سورة يس	٥٠	سورة آل عمران	
٤٤٦	سورة الصافات	٧٧	سورة النساء	
٤٥٢	سورة ص	١٠٦	سورة المائدة	
٤٥٨	سورة الزمر	١٢٨	سورة الأنعام	
٤٦٧	سورة غافر أو المؤمن	١٥١	سورة الأعراف	
٤٧٧	سورة حم السجدة	١٧٧	سورة الأنفال	
٤٨٣	سورة الشورى	١٨٧	سورة التوبة	
٤٨٩	سورة الزخرف	٢٠٨	سورة يونس	
٤٩٦	سورة الدخان	٢٢١	سورة هود	
٤٩٩	سورة الجاثية	٢٢٥	سورة يوسف	
٥٠٢	سورة الأحقاف	٢٤٩	سورة الزمر	
٥٠٧	سورة القاتل (محمّد)	٢٥٥	سورة إبراهيم	
٥١١	سورة الفتح	٢٦٢	سورة الحجر	
٥١٥	سورة الحجرات	٢٦٧	سورة النحل	
٥١٨	سورة ق	٢٨٢	سورة الإسراء	
٥٢٠	سورة الداريات	٢٩٢	سورة الكهف	
٥٢٣	سورة الطور	٢٠٥	سورة مريم	
٥٢٦	سورة النجم	٢١٢	سورة طه	
٥٢٨	سورة القمر	٢٢٢	سورة الأنبياء	
٥٣١	سورة الرحمن	٢٣٢	سورة الحج	
٥٣٤	سورة الواقعة	٢٤٢	سورة المؤمنون	
٥٣٧	سورة الحديد	٢٥٠	سورة النور	
٥٤٢	سورة المجادلة	٢٥٩	سورة الفرقان	
٥٤٥	سورة الحشر	٢٦٧	سورة الشعراء	
٥٤٩	سورة الممتحنة	٢٧٧	سورة التمل	

٥٩٢	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ -	٥٥١	سُورَةُ الصَّفِّ -
٥٩٣	سُورَةُ الْفَجْرِ -	٥٥٣	سُورَةُ الْجُمُعَةِ -
٥٩٤	سُورَةُ الْبَلَدِ -	٥٥٤	سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ -
٥٩٥	سُورَةُ الشَّمْسِ -	٥٥٦	سُورَةُ النَّبَأِ -
٥٩٥	سُورَةُ اللَّيْلِ -	٥٥٨	سُورَةُ الطَّلَاقِ -
٥٩٦	سُورَةُ الضُّحَى -	٥٦٠	سُورَةُ النَّجْمِ -
٥٩٧	سُورَةُ الشَّرْحِ -	٥٦٢	سُورَةُ الْمُتَكِّينِ -
٥٩٧	سُورَةُ التِّينِ -	٥٦٤	سُورَةُ الْقَلَمِ -
٥٩٧	سُورَةُ الْعَلَقِ -	٥٦٦	سُورَةُ الْحَاقَّةِ -
٥٩٨	سُورَةُ الْقَدْرِ -	٥٦٨	سُورَةُ الْمُعَارِجِ -
٥٩٨	سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ -	٥٧٠	سُورَةُ نُوحٍ -
٥٩٩	سُورَةُ الزُّزُرِ -	٥٧٢	سُورَةُ الْجِنِّ -
٥٩٩	سُورَةُ الْغَايَاتِ -	٥٧٤	سُورَةُ الْمُرْمَلِ -
٦٠٠	سُورَةُ الْقَارِعَةِ -	٥٧٥	سُورَةُ الْمُنَادِرِ -
٦٠٠	سُورَةُ التَّكْوِينِ -	٥٧٧	سُورَةُ الْقِيَامَةِ -
٦٠١	سُورَةُ الْقَصْرِ -	٥٧٨	سُورَةُ الْإِنْسَانِ -
٦٠١	سُورَةُ الْهُمَزَةِ -	٥٨٠	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ -
٦٠١	سُورَةُ الْفِيلِ -	٥٨٢	سُورَةُ النَّبَاِ (التَّسَاوُلِ) -
٦٠٢	سُورَةُ هُرَيْثِ -	٥٨٢	سُورَةُ النَّازِعَاتِ -
٦٠٢	سُورَةُ الْمَاعُونِ -	٥٨٥	سُورَةُ عَبَسَ -
٦٠٢	سُورَةُ الْكُوْنِ -	٥٨٦	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ -
٦٠٢	سُورَةُ الْكَافِرِيْنَ -	٥٨٧	سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ -
٦٠٣	سُورَةُ النَّصْرِ -	٥٨٧	سُورَةُ الْمُصَفِّينِ -
٦٠٣	سُورَةُ الْمَسَدِ -	٥٨٩	سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ -
٦٠٤	سُورَةُ الْاِخْلَاصِ -	٥٩٠	سُورَةُ الْبُرُوجِ -
٦٠٤	سُورَةُ الْفَلَقِ -	٥٩١	سُورَةُ الطَّارِقِ -
٦٠٤	سُورَةُ النَّاسِ -	٥٩١	سُورَةُ الْاَعْلَى -

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الحمد لله

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com